المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن



أقوال عطاء الخراساني في التفسير

- جمعاً ودراسة مقارنة -

(من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب :

محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاوي

الرقم الجامعي

٤٢٥٨٨١٤٨

إشراف فضيلة الدكتور :

عبد الله بن مقبل القرني

١٤٢٨- ١٤٢٩هـ

❖ نوقشت هذه الرسالة العلمية بقاعة المناقشات بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة مغرب يوم الأربعاء ١٤٢٩/٦/٧هـ من قبل اللجنة المشكّلة من :

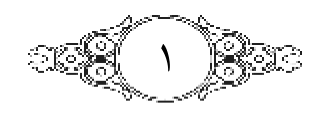
١) **سعادة الدكتور / رضا بن عبد المجيد المتولي (مناقشاً داخلياً)**

٢) **سعادة الدكتور / أحمد بن نافع المورعي (مناقشاً داخلياً)**

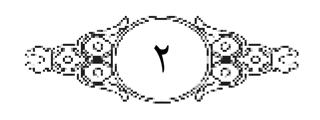
٣) **سعادة الدكتور / سليمان بن الصادق البيرة (مقرراً للرسالة)**

وأجيزت بتقدير ممتاز بـ (٩٨) درجة ، والتوصية بطباعتها ..

والحمد لله رب العالمين »




بسم الله الرحمن الرحيم



ملخص الرسالة

"أقوال عطاء الخراساني في التفسير جمعاً ودراسةً مقارنةً من أول سورة الكهف إلى نهاية سورة الناس"

البحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الكتاب والسنة

يقوم هذا البحث على جمع أقوال عطاء الخراساني رحمه الله في التفسير من أكثر من ستين مصدراً في كتاب واحد ، ثم دراستها دراسة إسنادية ، ومقارنتها بأقوال السلف الأخرى ، ثم الجمع والموازنة أو الترجيح بينها على ضوء قواعد التفسير وأقوال العلماء . ويتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس ، فأما المقدمة ففيها خطبة الرسالة ، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ، والمصادر التي استخرجت منها أقوال عطاء الخراساني ، والعقبات التي أحاطت بالبحث ، ومنهجي في كتابة البحث ، ثمَّ خطة البحث ، وشكر وتقدير .

وأما الباب الأول فيتحدث عن حياة عطاء الخراساني من خلال فصلين:الأول : حياته ، وفيه خمسة مباحث : أولها : اسمه ونسبه وكنيته ،والثاني : مولده ونشأته ،والثالث : عصره ، والرابع : سيرته ووعظه ،والخامس : وفاته. والفصل الثاني :عن سيرته العلمية. وفيه سبعة مباحث.أولها :رحلاته العلمية ، والثاني : سماعه من ابن عباس ، والثالث : شيوخه ،والرابع : تلاميذه ،والخامس : فقهه ، والسادس : مؤلفاته ، والسابع : مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .

وأما الباب الثاني فيتحدث عن : عطاء الخراساني مفسِّراً ، وفيه ثلاثة فصول: الأول :المدارس التفسيرية في عهد النبي ﷺ وعصر الصحابة والتابعين . وأما الفصل الثاني: ففيه المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره ،والثالث : منهج عطاء الخراساني في التفسير ، وأما الباب الثالث فهو جمع أقوال عطاء الخراساني في التفسير ومقارنتها بأقوال السلف الأخرى من أول سورة الكهف وحتى نهاية سورة الناس . وهذا الباب هو صُلب الرسالة ولبُّها . ثم تأتي الخاتمة لتبيِّن أبرز ما توصلت إليه من نتائج مع بعض التوصيات ،ومنها :

١) تعد هذه الرسالة عناية بأثر من آثار هذا العالم الرباني ممثلة في تفسيره وهي محيلةٌ على بقية آثاره رحمه الله .

٢) عطاء الخراساني تابعي جليل ، صاحب عقيدة سليمة ، متنوع المعارف ، ذو منهج قويم على الكتاب والسنة.

٣) عطاء الخراساني ملمٌ باللغة العربية ، وعلوم القرآن . وما عنايته بأسباب النزول ، وغريب القرآن والقراءات وأنواع التفسير وأمثال القرآن وقصصه إلا دليل على ذلك.

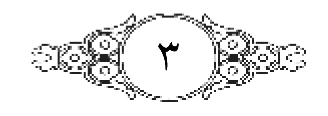
٤) عطاء الخراساني كثير الأخذ عن ابن عباس ولم يلقه ، وأقواله توافق أقواله كثيراً . إضافة لذلك فهو مجتهد له آراؤه الخاصة ، وفقهه المتميز .

وقد احتوى البحث بعد الخاتمة على ملحق للصور العلمية والمكانية المكتشفة حديثا والتي تثبت حقائق علمية أو مكانية معينة ،ثمَّ الفهارس واشتملت على فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية ،وفهرس الآثار ، وفهرس الأبيات الشعرية ، وفهرس الأعلام ،وفهرس شيوخ عطاء ،وفهرس تلاميذ عطاء ، وفهرس القواعد التفسيرية ، وفهرس غريب المفردات ، وفهرس الأماكن والبلدان ، وقائمة المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات ، وقد زادت صفحات الرسالة على نحو من ألف صفحة ،والحمد لله .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الطالب

محمد بن عبد الجواد الصاوي



In the Name of Allah, Most Merciful, Most Compassionate

﴿ The Summary of the Research ﴾

The saying of Ataa Al-Khorasany in interpreting the Holy Quran from surat Al-Kahf until surat Al-Nas in a collecting and comparing way.

This research will be introduced for getting MA degree in the department of Quran and Sunnah.

This research depends on collecting the sayings of Ataa Al-Khorasany in interpretation of Quran from more than sixty sources in one book, thin studying them in referring way and comparing them with those of other previous scholars. After that it will collect them, balance and compare in the light of Quran interpretation rules and scholars' sayings.

This research consists of an introduction, three chapters, conclusion and indexes. In the introduction, you can find the message speech, the importance of the topic and the causes of its choosing, the sources from which I elicit the sayings of Ataa Al-Khorasany, the obstacles standing in front of the research, my curriculum in writing the research, the plan of it and at last thank and appreciate.

The first chapter is about the life of Ataa Al-Khorasany through two parts. The first part is his life including five sections. The first section is his name, his origin and his nickname. The second section is his birth and his childhood. The third is his age. The fourth is his biography and sermons. The fifth is his death. The second part is about his scientific life. In it there are seven sections, his scientific journeys, his hearing from Ibn Abbas, his teachers, his students, his jurisprudence (doctrine), his books and his scientific position, and scholars' sayings about him.

The second chapter speaks about Ataa the interpreter. In it there are three sections, the first, the interpreting schools at the time of prophet Mohammed peace be upon him and his companions and the followers. The second, the sources on which he depended in his interpreting. The third is his curriculum in interpreting.

The third chapter is collecting Ataas' sayings in interpreting and comparing them with other scholars' sayings from the first of surat Al-Kahf until the end of surat Al-Nas. This chapter is the element of the research. And thin there is the conclusion to show the brilliant results I reached at and some recommendations:

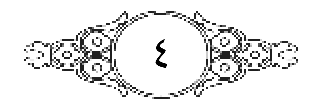
1) This message shows cares and attention for this godly scholar represented in his interpretations and its related to other books of his such as (Al-Nasekh and Al-Mansoukh) which I recommend its verification and reproduction.

2) Ataa Al-Khorasany a man of original belief following the straight path of the holy Quran and Sunnah. He did not say anything to be contradictory to the beliefs of the group of Sunnah.
3) His full knowledge of the sciences and the origin of the Quran. His care about (Al-Nasekh and Al-Mansoukh) and the reasons for revealing the verses and the strange in the Quran, the different readings of the Quran, the different kinds of interpretations and the examples in the Quran are all evidence for that carefulness.
4) Ataa took a lot from Ibn Abbas and he did not meet him. His sayings match Ibn Abbas' sayings. In addition he was hard working with special opinions and reliant doctoring.

For the indexes, they include an index of the Quranic verses as well as the sayings of the prophet. It also include an index of the rules of interpretations, an index of the prominent an index for poetry, an index for strange vocabulary, an index for locations countries, a list of resources and references and an index of the topics.

Peace and prayers of Allah be upon our prophet Mohammed.

Student :
Mohammed a. Al-Sawi





المقدمة

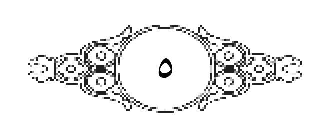
الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً .. وأصلي وأسلِّم على من بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلَّغ رسالة ربه ، وأدَّى الأمانة ، ونصح لهذه الأمة ؛ صلى الله وسلَّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هديه إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإنَّ الله جلَّ وعلا أنزل القرآن رحمة للعالمين ، ودليلاً للسالكين ، أنزله على نبيه محمد ﷺ ليعمل به الناس ، ويتبعوا أوامره ، ويجتنبوا نواهيه ، ويكون لهم الدستور ، ومنهج الحياة .

ومما أتمَّ الله به النعمة على عباده أن حفظ لهم القرآن من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ، فقال جلَّ وعلا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، ومن حفظه سبحانه وتعالى أن هيَّأ له أعلاماً على مرِّ التاريخ ، يدرِّسون هذا الكتاب الكريم ، ويشرحونه ، ويوضحونه ، وفاءً بما أخذ الله عليهم من عهد وميثاق : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ، فانتشر هذا العلم في الآفاق ، وبلغ القاصي والداني ، وتعاقبت الأجيال جيلاً بعد جيل يدرِّسونه للناس ، ويصنِّفون فيه المصنَّفات ، ويبذلون فيه الجهد ، رغبة في الأجر والثواب ، ونشراً له ليطبَّق بين الناس ، وتخليداً لعلم ينتفع به على مرِّ العصور والدّهور ، ولا غرو .. فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم ، والعلوم تشرف بمقاصدها .

ولا زال العلماء والمفسِّرون عبر التاريخ يُعنَون بالقرآن الكريم تلقيناً وتعليماً وتفسيراً وتدويناً ، وصنِّفت المصنَّفات الكثيرة في تفسيره ؛ من لدن من أنزل عليه الكتاب نبينا محمد ﷺ ، ومن بعده أئمة الإسلام الأُوَل ، إلى عصرنا هذا ، فنفع الله بهذا العلم المبارك ، وحفِظه من حِفْظه لكتابه الكريم .

ولما كان هذا العلْم ينقسم إلى : التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول ،



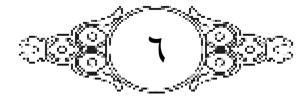
وكان أفضلهما هو التفسير بما أثر عن النبي ﷺ وصحابته الكرام ، وتابعيهم من سلف هذه الأمة ومن علمائها الربانيين ، فكان لي شرف النظر في آثار هؤلاء الأعلام علّي أن ألج جنات حدائقهم ، وأنتقي من أطايب ثمارهم .

وبينما كنت أقلِّب النَّظر في أهل التفسير من الرعيل الأول ، من التابعين أو تابعيهم ، أبغي علَماً لم يُجمع تفسيره ، ولم يُعتنى بدراسة أقواله ، وحرصت جهدي أنْ يكون من المتقدِّمين ، إذ هم أقرب إلى زمن الوحي ، وأدقّ في فهم القرآن الكريم ، وهم أقرب إلى الخيرية من غيرهم ، حيث قال المصطفى ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[1] .

فوقفت من أولئك الأجلَّة ، على الإمام العلَم ، القدوة الحجة الزاهد ، عالم خراسان الأول ، ومفسِّرَها الأشهر : عطاءُ بن أبي مسلم الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٥هـ ، الثقة الصدوق ، نزيل الشام ﷺ ، فقمت بجمع ودراسة أقواله ومقارنتها بالأقوال الأخرى لنصف القرآن الثاني ؛ إذ قد كان النصف الأول قد بدأ العمل فيه أحد الفضلاء في رسالة علمية ، فكانت هذه الرسالة .



(١) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٦٥٢) في كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أشهد ، وبرقم : (٣٦٥١) في كتاب المناقب ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وبرقم : (٦٤٢٩) في كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وبرقم : (٦٦٥٨) في كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا قال : أشهد بالله أو شهدت بالله . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٥٣٣) في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ثمَّ الذين يلونهم . من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .



☆ أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تظهر أسباب اختيار هذا الموضوع في أهميته وثمرته وقيمته العلمية ، وتظهر أهميته في نقاط أبرزها :

١) أنَّ تفسير السلف عموماً وتفسير التابعين على وجه الخصوص له مكانة متميزة ، إذ أنَّ جميع التفاسير والفهوم التي جاءت بعد ذلك إنما هي ثمرة ذلك العقل الأول ، والرعيل الأفضل الذي أخذ معاني كلام الله تعالى من أفضل خلق الله نبينا محمد ﷺ ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم .

٢) التعرّف على طريقة السلف رحمهم الله في التأويل وحمل الآية على المعنى المراد .

٣) جمع عبارات السلف في التفسير ، وتكوين الشخصية العلمية لذلك المفسِّر ، فإنَّ مجموع العبارات عنهم أقوى وأفضل ، لأنها أدلُّ على المقصود، وأقوى في تعيين المراد من عبارة أو عبارتين .

٤) أنَّ دراسة أقوال التابعين في التفسير وما جاء من آرائهم يعتبر ميداناً تطبيقياً للباحث في أصول التفسير وعلومه وقواعده ، إضافة لما لها من تحديد المصادر التي يعتمد عليها ذلك التابعي في تفسيره .

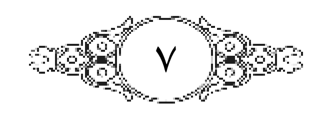
٥) شهرة (عطاء الخراساني) في التفسير وأنه صاحب صناعة تفسيرية عميقة ، ويكثر نقل المفسِّرين والمحدثين عنه في مصنَّفاتهم .

٦) تنوع المعاني التفسيرية عند عطاء الخراساني رحمه الله حيث يلحظ في تأويله ، تفسير لفظ ، وضرب أمثلة تقريبية للمعنى ، وتشبيهات ، وبيان إبهام، وحكاية نزول ، وتعليق على الآية ، وغير ذلك ، مما يدل على أنه رحمه الله صاحب صنعة تفسيرية ، وتميز واجتهاد في هذا الباب .

٧) أنَّ تعدد الأقوال التي سوف تدرس وتنوعها واختلافها يتيح للباحث فرصة الوقوف على جملة كبيرة من مباحث أصول التأويل وعلوم القرآن ، وأحكامه ، ومعانيه ، وفقهه وفهمه ، والرجوع إلى أمهات الكتب في ذلك .

٨) أنه مجال رحب لتوجيه أقوال السلف في التفسير عموماً وما يستفاد من ذلك في التأدب مع أقوالهم وآرائهم وحملها على المحمل الحسن .

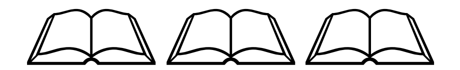
٩) أنه لم يسبق أنْ وصل إلينا كتاب في التفسير يرجع إلى العصر الأموي ، وهو

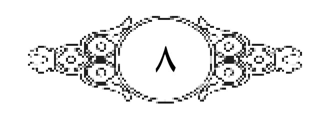


عصر عطاء الخراساني ، وهذا ما يدفع الباحثين إلى جمع أقوال المفسِّرين من التابعين في ذلك العصر ، إذ فيها إثراء لمكتبة التفسير ، وإخراج لنتاج صفوة من الأخيار الذين أدركوا صحابة رسول الله ﷺ ، ونهلوا من معينهم .

١٠) أنه لم تسبق دراسة تفسير عطاء الخراساني ولا جمعه ، سوى ما بدأه أخي الباحث : سلطان بن بدير العتيبي من جمع ودراسة أقوال عطاء الخراساني من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الإسراء ، ثمّ ما يسَّر الله لي في هذا البحث في القسم الثاني من القرآن ، من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ، فبدأت مستعيناً بالله في إكمال هذا العمل ، علِّي أنْ أسهم بذلك في إخراج هذا العِلْم المبارك ؛ لهذا العَلَم الجليل .

لهذه الأسباب ولغيرها اخترت أن يكون هذا البحث بهذه الصورة مجال دراستي في هذه المرحلة ، ومن الله وحده أستمدُّ العون والتوفيق .



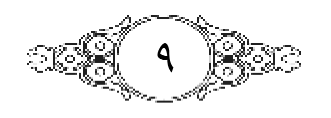


☆ مصادر أقوال عطاء الخراساني في التفسير :

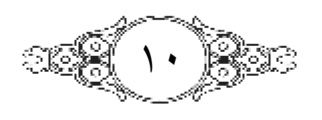
قمت في هذا البحث بدراسة (٢٦٠) مائتين وستين قولاً لعطاء الخراساني في التفسير ، من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ، جمعتها من أكثر من ستين مرجعاً من كتب التفسير والسنة والتراجم ، على رأسها : تفسير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن كثير ، والسيوطي ، وبهذا الجمع الذي جمعته ودرسته في هذا البحث ، أكون متمِّماً للعدد الذي سبق بحثه أخي الشيخ / سلطان العتيبي ، في القسم الأول ، حيث قام بجمع ودراسة : (٢٣٥) مائتين وخمسة وثلاثين قولاً تقريباً ، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء ، فيكون مجمل ما تمَّ جمعه من أقوال عطاء الخراساني في تفسير القرآن كاملاً هو : (٤٩٥) أربعمائة وخمسة وتسعون قولاً ، قُسِّمت على رسالتين بمرحلة الماجستير .

والمصنفات التي استخرجت منها أقوال عطاء الخراساني ﷺ مرتبة حسب وفيات أصحابها هي :

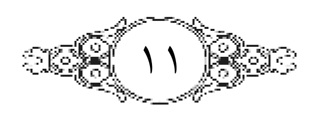
م	اسم الكتاب	المؤلف	وفاته
١	تفسير مجاهد	مجاهد بن جبر	١٠٤
٢	تفسير مقاتل بن سليمان	مقاتل بن سليمان	١٥٠
٣	كتاب الزهد	عبد الله بن المبارك	١٨١
٤	تفسير الصنعاني	عبد الرزاق الصنعاني	٢١١
٥	الطبقات الكبرى	محمد بن سعد البصري	٢٣٠
٦	الكرم والجود وسخاء النفوس	محمد البرجلاني	٢٣٨
٧	كتاب الزهد	أبو بكر بن أبي الدنيا	٢٨١
٨	غريب الحديث	إبراهيم الحربي	٢٨٥
٩	روايات الرملي عن عطاء الخراساني	محمد بن نصر الرملي	٢٩٥
١٠	جامع البيان	ابن جرير الطبري	٣١٠
١١	تاريخ الأمم والملوك	ابن جرير الطبري	٣١٠
١٢	الكنى والأسماء	محمد بن أحمد الدولابي	٣١٠



١٣	كتاب التوحيد	أبو بكر ابن خزيمة	٣١١
١٤	تفسير القرآن العظيم	عبد الرحمن ابن أبي حاتم	٣٢٧
١٥	المجالسة وجواهر العلم	أبو بكر أحمد الدينوري	٣٣٣
١٦	معاني القرآن	أبو جعفر النحاس	٣٣٨
١٧	مسند الشاميين	سليمان بن أحمد الطبراني	٣٦٠
١٨	الدعاء	سليمان بن أحمد الطبراني	٣٦٠
١٩	العظمة	أبو الشيخ الأصبهاني	٣٦٩
٢٠	أحكام القرآن	أبو بكر الجصاص	٣٧٠
٢١	بحر العلوم	محمد بن أحمد السمرقندي	٣٧٣
٢٢	الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية	ابن بطة العكبري	٣٨٧
٢٣	شرح أصول اعتقاد أهل السنة	هبة الله اللالكائي	٤١٨
٢٤	الكشف والبيان	أبو إسحاق الثعلبي	٤٢٧
٢٥	حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني	٤٣٠
٢٦	النكت والعيون	أبو الحسن علي الماوردي	٤٥٠
٢٧	دلائل النبوة	أبو بكر البيهقي	٤٥٨
٢٨	شعب الإيمان	أبو بكر البيهقي	٤٥٨
٢٩	موضح أوهام الجمع والتفريق	الخطيب البغدادي	٤٦٣
٣٠	الاستيعاب في معرفة الأصحاب	أبو عمر ابن عبد البر	٤٦٣
٣١	الوسيط في تفسير القرآن المجيد	أبو الحسن علي الواحدي	٤٦٨
٣٢	تفسير القرآن	أبو المظفَّر السمعاني	٤٨٩
٣٣	إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالي	٥٠٥
٣٤	معالم التنزيل	أبو محمد الحسين البغوي	٥١٦
٣٥	المحرر الوجيز	ابن عطية الأندلسي	٥٤١
٣٦	زاد المسير	ابن الجوزي	٥٩٧
٣٧	ذمّ الهوى	ابن الجوزي	٥٩٧

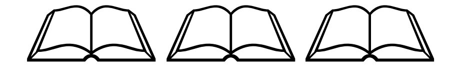


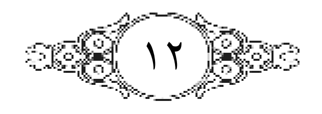
٣٨	المنتظم	ابن الجوزي	٥٩٧
٣٩	التفسير الكبير	الفخر الرازي	٦٠٤
٤٠	المغني	ابن قدامة المقدسي	٦٢٠
٤١	بغية الطلب في تاريخ حلب	كمال الدين ابن العديم	٦٦٠
٤٢	الجامع لأحكام القرآن	الإمام القرطبي	٦٧١
٤٣	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	نظام الدين النيسابوري	٧٢٨
٤٤	مجموع الفتاوى	شيخ الإسلام ابن تيمية	٧٢٨
٤٥	لباب التأويل في معاني التنزيل	أبو الحسن علي الخازن	٧٤١
٤٦	البحر المحيط	أبو حيان الأندلسي	٧٤٥
٤٧	كتاب الكبائر	الحافظ شمس الدين الذهبي	٧٤٨
٤٨	تاريخ الإسلام	الحافظ شمس الدين الذهبي	٧٤٨
٤٩	تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير	٧٧٤
٥٠	التخويف من النار	ابن رجب الحنبلي	٧٩٥
٥١	طبقات الشافعية الكبرى	أبو بكر بن شهبة	٨٥١
٥٢	فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	٨٥٢
٥٣	المطالب العالية	ابن حجر العسقلاني	٨٥٢
٥٤	عمدة القاري	محمود العيني	٨٥٥
٥٥	الجواهر الحسان	عبد الرحمن الثعالبي	٨٧٥
٥٦	اللباب من علوم الكتاب	سراج الدين عمر بن عادل	٨٨٠
٥٧	المقاصد الحسنة	محمد السخاوي	٩٠٢
٥٨	الدر المنثور	أبو بكر السيوطي	٩١١
٥٩	بدائع الزهور ووقائع الدهور	أبو بكر السيوطي	٩١١
٦٠	إرشاد العقل السليم	القاضي أبو السعود	٩٨٢
٦١	مرقاة المفاتيح	علي بن سلطان القاري	١٠١٤
٦٢	كشف الخفاء ومزيل الإلباس	إسماعيل بن محمد العجلوني	١١٦٢



٦٣	روح المعاني	محمود الألوسي	١٢٧٠
٦٤	فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني	١٣٥٠
٦٥	معارج القبول بشرح سلم الوصول	حافظ بن أحمد الحكمي	١٣٧٧
٦٦	التحرير والتنوير	الطاهر بن عاشور	١٣٩٣
٦٧	أضواء البيان	محمد الأمين الشنقيطي	١٣٩٣

علماً بأني جمعت أقوال عطاء الخراساني ﷺ دون مروياته ، إذ هي المقصود من هذا البحث ، وربما احتجت للنظر في بعض مرويات عطاء الخراساني عن ابن عباس ، لدراسة بعض الأسانيد عنه ﷺ .





☆ العقبات التي أحاطت بالبحث :

١- تناثر أقوال عطاء الخراساني بين كتب التفسير والسنة والشروح وغيرها مما جعلني أقوم بالتنقيب في بعض الكتب بدقة ، كتفسير الثعلبي الذي يقع في عشرة أجزاء .

٢- اختلاف اسمه في الكتب التي أوردت أقواله ، فيقال : عطاء الخراساني ، وعطاء الخرساني ، وعطاء بن مسلم ، وعطاء بن ميسرة الخراساني ، وهكذا بنحو ستة أسماء أو سبعة ، وهو أمر صعب جداً في البحث ؛ حيث يتطلَّب دقَّة وحذراً .

٣- تنوع أقوال عطاء الخراساني في التفسير ؛ فهو مفسِّر محدِّث لغوي واعظ فقيه ؛ الأمر الذي جعلني أطيل النظر في كتب التفسير والسنة واللغة والفقه وغيرها ، لأنه عالم موسوعي له باع في كثير من الفنون .

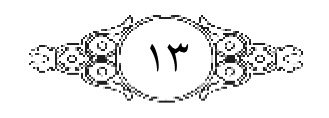
٤- صعوبة التمييز بين نسبة القول إلى عطاء الخراساني ، وعطاء ابن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وغيرهم في نقولات المفسِّرين عنهم ، مما جعلني أطيل النظر في بعض الأقوال المسندة ، بحثاً عن الأسانيد التي تميِّز لي قوله من قول غيره ، وتحريت في ذلك الدقَّة قدر المستطاع .

٥- طول الوقت في جمع هذه الأقوال وترتيبها حسب سور القرآن وآياته حيث استغرقت عملية الجمع والفهرسة فترة طويلة .

٦- كثرة الأسانيد في الأقوال التي رُويت عنه ، وهو أمر استغرق وقتاً وجهداً كبيراً لدراستها ، خاصَّة وأنَّ بعض هذه الأسانيد ربما أُبهم بعض رجاله، ولم يصرَّح بأسمائهم كاملة ، الأمر الذي أجهدني في الوصول إلى تراجمهم .

٧- توسُّع المقارنة في دراسة أقوال عطاء الخراساني فهي – أي المقارنة – ليست بينه وبين عالم واحد أو علماء عصر واحد بل هي بين أشهر الأقوال وأبرزها ، وهذا أمر كان سبباً في الإطالة والفائدة معاً .

٨- النَّظر في أشهر كتب التفسير في كلّ مسألة أو قول أشرع في دراسته ، مما جعلني أنظر للمسألة الواحدة في أكثر من خمسة وثلاثين كتاباً ، ويظهر ذلك في طول الحواشي ، وذكر أقوال المفسِّرين .

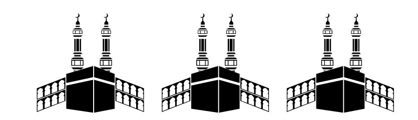


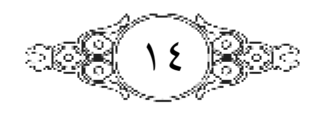
٩- الحكم على الأسانيد التي تصل القول إلى عطاء الخراساني والتي لم يسبق لأحد أن درسها أو حكم عليها ، لذا قمت بدراستها بحذر خشية الوقوع في الزلل .

١٠- قِدَم عصر عطاء الخراساني فهو عالم أموي متقدِّم لم تستفض كتب التراجم في سيرته ، كما هم العلماء الذين عاصروا عصر التدوين ، ومع ذلك فقد رجعت لأغلب الكتب التي تكلَّمت عنه ، ونقلت عنها .

١١- طول البحث ، واكتشاف أقوال جديدة ، إلى حين فترة المراجعة والطباعة ، وذلك لتنوع عبارات المفسِّرين في النقل عنه ، وكثرة الأسانيد ، الأمر الذي أطال حجم الرسالة ، وجعلها تفوق - من حيث الحجم - عدداً من الرسائل الجامعية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه معاً .

والحمد لله ..





☆ منهجي في البحث :

نظراً لطول الموضوع ، وكثرة تشعباته ، حددت منهجي في البحث وفق الخطوات والضوابط التالية :

❖ **أولاً : العمل في جمع أقوال عطاء ودراستها .**

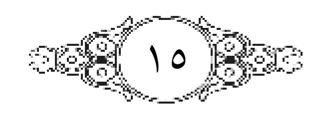
١) جمع المواضع التي فسَّرها عطاء الخراساني في التفسير في كل سورة على حدة ، وسمَّيتها مواضع ، وكتبت اسم السورة قبل ذكر مواضعها ، ورقَّمت مواضع السورة نفسها تحت عنوان : الموضع الأول ، الموضع الثاني... وهكذا ، ثمَّ رقَّمت أقوال عطاء كلها بأرقام متسلسلة ، حتى يسهل الرجوع إليها ، وحصرها ، والإحالة عليها فيما بعد .

ثمَّ أذكر جزء الآية التي فسَّرها عطاء الخراساني منقولة برسم المصحف ، واسم السورة ورقم الآية بخط صغير بعدها ، وأنقل الآية بتمامها في الحاشية إن كنت قد كتبت في المتن جزءاً منها فقط ، وإذا كانت المواضع متتالية من آية واحدة ، كما جاء ذلك في سورة الحج في الآية رقم : (٣٦) أكتفي بذكر الآية كاملة في حاشية الموضع الأول أو الأخير منها فقط .

وبعد ذلك أذكر قول عطاء بلفظ : قال عطاء الخراساني : .... وأنقل قوله ، ثمَّ أخرِّجه في الحاشية ، وأذكر أشهر من ذكر عنه القول من أصحاب الكتب التي وقفت عليها ، سواء أكان مسنِداً أم ناقِلاً ، فمن أسند منهم عبَّرت عنه بـ: أخرجه عنه ... وأقوم بدراسة إسناده ، ومن نقله دون سند عبَّرت عنه بـ: ذكره عنه ... ، وهكذا في جميع أقوال عطاء الخراساني في البحث .

٢) يقتصر البحث على دراسة أقوال عطاء الخراساني في التفسير ، دون روايته لتفسير غيره مثل : روايته عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقد أذكر أحياناً في الحاشية عند عزو قول لابن عباس من طريقه ؛ أنه روي من طريق عطاء الخراساني ، ولم أذكر إلاَّ موضعاً واحداً قد يعتبر من مروياته عن الغير ، في قصة ثابت بن قيس في سورة الحجرات ، لما فيه من رحلة عطاء العلمية ، وسؤاله عن سبب النزول من مصدره الصحيح .

وقد جمعت أقوال عطاء في التفسير من المصادر التي سبقت الإشارة إليها ، فإن اختلف النقل عن عطاء في مسألة واحدة من مصادر متنوعة ، تحققت من نسخِ الكتب



التي وجدت فيها القول ، فإن كان لشيء منها مخطوط أو تحقيق رجعت إليه ، وإن صحَّ النصُّ في كلا المصدرين فإني أعتبر أنَّ له قولين في المسألة ، ويعرف ذلك بترقيم كل قول برقم ، وفي الدراسة أرجِّح أحدهما أو كلاهما إن ناسب الجمع بينهما ، أمَّا إن اختلف اللفظ عن عطاء والمعنى واحد فإني أذكر اللفظ دون ترقيم له ، ولا أعتبره قولاً جديداً لعطاء ، وإنما لفظ روي عنه ، فأسبقه بعبارة : وفي لفظ .

٣) يقوم البحث على جانبين من الدراسة وهما : دراسة الإسناد ، ودراسة المتن .

- طريقة **دراسة الإسناد** تقوم على تخريج أقوال عطاء الخراساني في التفسير ثمَّ الحكم على كل قول له سند ، ونقل الأقوال الأخرى غير المسندة كما هي ، محاولاً استقصاء جميع المصادر التي ذكرت القول عن عطاء ، والبحث في بطون الكتب والأجزاء الحديثية عن الأسانيد التي تثبت القول له ، وذلك من باب التحقيق والتدقيق .

- طريقة **الدراسة التفسيرية** على النحو الآتي :

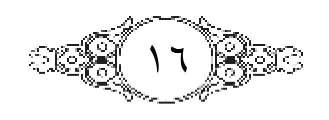
١- ذكر الآية المراد تفسيرها أو الجزء المقصود منها .

٢- ذكر قول عطاء الخراساني في تفسير الآية أو الجزء منها .

٣- دراسة القول تحت عنوان : (الدراسة) وتدخل تحته النقاط التالية :

أ) بيان المعنى العام لقول عطاء الخراساني في الآية إن احتيج لبيانه ، دون التدخل في الترجيح أو غيره ، وقد يكون توضيحاً للسياق ، أو بياناً للمعنى العام ، أو شرحاً موجزاً للآية بأسلوبي بعد سبر أقوال المفسرين ، وكثيراً ما أشير فيه إلى المقصود العام للآية ، وأهدف إلى بيان سلوك أو فائدة تربوية ليجمع البحث بين الجانب النظري والسلوكي قدر المستطاع .

ب) إن كان في الآية قراءات تفيد المعنى ، أو لها علاقة بقول عطاء الخراساني في الموضع نفسه ذكرتها تحت عنوان : القراءات في الآية ، ولا أتوسَّع كثيراً في تفصيل القراءة ، وإنما أشير لها بإيجاز ، وأما القراءات التي ليس لها علاقة مباشرة بقول عطاء فإني قد أذكرها ضمناً أثناء الدراسة والأقوال إن احتجت إليها ، وإلا فإني لا أتعرَّض للقراءات ولا لأسباب النزول إن لم يكن لها تعلُّق مباشر بالقول أو الخلاف في تفسير الآية .



ج) أذكر الأقوال في الآية أو في اللفظ الذي فسَّره عطاء الخراساني مبتدئاً في الترتيب بقول عطاء ثم الأقوال الأخرى مرتَّبة حسب شهرتها وأهميتها، وأوازن بينها على خطوات :

أولاً : ذكر أقوال السلف في تفسير الآية وتوضيح كل قول معزواً إلى مصدره ، وأبدأ في ترتيب الأقوال معتمداً في توثيق نسبتها لأصحابها على تفسير مجاهد ، والصنعاني ، والطبري ، وابن أبي حاتم (لأنها من أقدم وأشهر كتب التفسير بالمأثور) ، وما نقله السيوطي في الدر المنثور عن غيرهم أكتفي بعبارة : (وعزاه السيوطي في الدر المنثور لـ.......) . وما لم يكن موجوداً في هذه الكتب ذكرت مصدره من كتب التفسير الأخرى .

وأعتمد في ترتيب الأقوال وسردها غالباً على تفسير الماوردي - النكت والعيون - كمرجع أساس ، وأتجنَّب فيه الأقوال الشاذة قدر المستطاع ، وإن ذكر أحد المفسِّرين الخلاف كلَّه أو جزء منه في تفسيره فأشير إليه في حاشية عنوان : الأقوال في الآية .

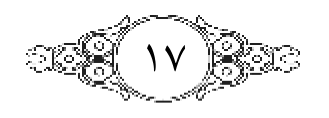
وأقتصر في ذكر الخلاف على الأقوال المشهورة في كتب التفسير .

وإن وجدت التقسيم في الخلاف مختلفٌ بين الكتب حاولت تقعيد الخلاف وتأصيله ، وأنظر في كلِّ مسألة في كلام عامة المفسِّرين ، وأشير إلى أقوالهم في الحاشية .

ثانياً : توجيه هذه التفاسير المنقولة عنهم وتحليلها بذكر نوع الاختلاف وسببه ، ثمَّ الجمع أو الترجيح بين هذه التفاسير بناءً على أقوال العلماء ، وقواعد التفسير ، وإن كان هناك قول من أقوال المفسِّرين يؤيِّد الترجيح ؛ ذكرته بعده بنسبته إلى قائله نصاً ، أو أذكره بمعناه دون ذكر القائل في المتن ، وأشير في الحاشية بعبارة : انظر : .... وهكذا ، وليس من منهجي مناقشة ضعف الأقوال الأخرى ، وإنما أذكر توضيحاً للراجح وسبب ترجيحه ، وإنْ احتاج المقام لبيان سبب تضعيف أحد الأقوال بيَّنته إيجازاً خشية إطالة البحث .

ثالثاً : الحكم على قول عطاء الخراساني في المسألة من حيث الترجيح وعدمه ، بعد ذكر القاعدة التفسيرية .

❖ ثانياً : العمل في الأحاديث النبوية والشعر والأعلام والغريب والأماكن والبقاع .



١) تخريج الأحاديث والآثار التي وردت في ثنايا البحث من مصادرها الأصيلة والحكم على الأحاديث صحَّة وضعفاً ؛ وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه ، وإذا كان في غيرهما حكمت عليه من خلال أقوال الأئمة المحدثين ؛ وإذا لم أجد حكماً لأحدهم اجتهدت في الحكم على الإسناد بعد دراسة حال رجاله .

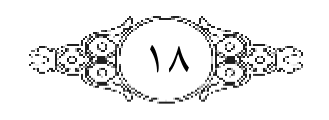
أما إحالات الأحاديث ؛ فإن كانت في الكتب الستة فأذكر الكتاب والباب ورقم الحديث ، وإن كانت في غيرها اكتفيت بكتابة الرقم فقط ، وقد أذكر الكتاب والباب أحياناً .

٢) أستشهد بالأبيات الشعرية في ثنايا البحث إذا كانت تشهد لمعنى لغوي، واستشهد بها أحد المفسِّرين ، ومنهجي في ذلك أن أبحث عن قائل البيت ، وعن ديوانه – إن كان له ديوان – ، فإن وجدته أحلت عليه ؛ وإلاَّ اكتفيت بذكر أشهر المفسِّرين وأهل اللغة الذين استشهدوا به في كتبهم ، وإن احتاج الأمر إلى توضيح الألفاظ الغريبة في البيت وضَّحتها بإيجاز.

٣) أترجم للأعلام الواردين في صلب الرسالة من غير المشهورين ، واعتمد كثيراً على كتاب الكاشف للذهبي ، والتقريب لابن حجر ، وقد أحتاج إلى ترجمة من غيرهما من كتب التراجم ، ولعل ضابط الشهرة : أن يكون العَلم معروفاً بفنٍّ معين ، ومعروفاً بما يميزه عن غيره لدى طلاب العلم كشهرة عطاء الخراساني ونحوه ، وقد أترجم لبعض المشهورين بإيجاز شديد، ولا أعزو للترجمة في كل مرة يذكر فيها العلَم وإنما أكتفي بالترجمة الأولى ، وعليه فمن مرَّ به عَلَمٌ وأراد أن يعرف هل سبقت ترجمته أم لا فلينظر في فهرس الأعلام آخر البحث .

٤) شرح الألفاظ الغريبة من مصادرها الأصيلة اللغوية في الحاشية ، وربما وجدت تعريفاً أو فائدة مميزة في المعنى في أحد كتب التفسير فأذكرها وأشير إليه .

٥) التعريف بالأماكن والبقاع التي ترد في صلب البحث ، وإضافة صور لبعض الأماكن والمعلومات العلمية الحديثة التي وقفت على صور لها مما له علاقة بالموضوع ، وجعلتها في ملحق مستقلٍّ آخر البحث ، وأكتفي أثناء



البحث بالإشارة إليه في الحاشية ، وقد يكون هذا من التجديد والإضافة في مثل هذه البحوث العلمية الأكاديمية ؛ خاصة في العلوم الشرعية .

❖ ثالثاً : ضوابط وأمور عامة في العمل ومنهج البحث .

- التزام التوثيق العلمي لكل ما ورد في الرسالة بذكر اسم المصدر أو المرجع بالجزء والصفحة ، وأجتهد وسعي أن أنقل من المصادر الأصيلة .

- الحرص على الموضوعية في البحث من التزام المقصود الأصلي وتحرير المراد وعدم الاستطراد .

- التزمت في الحاشية ترتيب الكتب حسب الوفيات ، إلا إذا كان كتاباً يناقش قول عطاء مباشرة فإني أقدِّم هذا الكتاب على غيره من الكتب ، ولو كان صاحبه متأخراً في الوفاة لأنه كتاب تخصص هنا .

- أيُّ مكتوب لا أسبقه بقول قائل ، أو أضعه بين علامتي تنصيص فهو من قولي الذي أنشئه أو أفهمه من كلام أهل العلم ، ولم أتقيَّد بكلمة "قلت" لأني أحسب أني دونها بكثير ، فهي تدلُّ غالباً على باع علميٍّ كبير لصاحبها .

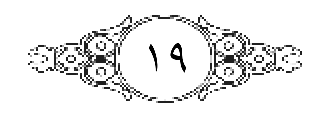
- إذا ذكر القول الواحد عن مجموعة من السلف ، في أحد كتب التفسير التي أعزو إليها الأقوال ، وعزاها لأصحابها ، فإني أكتفي عند الإشارة إليها بعزوها جملة عنهم في الحاشية ، دون عزو كل قول لوحده ، وكل عالم لوحده بل أعزو إلى الكتب جميعاً جملة خشية الإطالة وتكثير الحواشي .

- قمت على ترتيب البحث ترتيباً واضحاً ، وحاولت العمل على منهج واحد دون تشتيت .

- إذا نقلت نصاً أشرت إلى مصدره في الحاشية ، فيفهم منه أنه منقول بنصه ، سواء ذكرت القائل في المتن أو لا .

- إن قلت في المتن : وعليه عامة المفسرين ، أو أكثرهم ، أو جمع منهم، ونحو هذه العبارات فإني أشير إلى أسماء الكتب في الحاشية التي قال أصحابها هذا القول ، دون ذكر اسم المؤلف ، وذلك خشية الإطالة .

- إذا قلت في الحاشية : انظر ، فهو إما كلام نقل بتصرف من هذا المصدر ، وغالباً ما يكون الكلام في المتن منقول بمعناه ، نتيجة قراءتي عدداً من المراجع في المسألة ، وهذه خلاصتها . وهو الذي أشير له بعبارة : أنظر ، وإمَّا أن أشير فيها إلى أكثر من كتاب ذكر أصحابها المسألة وتكلَّموا عنها .



- أفرد الأعلام الذين أريد الترجمة لهم برقم حاشية مستقل ، ولا أخلط الترجمة بتخريج الأثر عن العلَم ، أو مصدر النَّقل عنه .

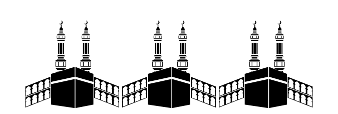
- ما كان من أسباب النزول ذكرت حكم المحققين عليه ، وأعتمد غالباً في ذلك على كتاب : الاستيعاب في بيان الأسباب ، وإن لم أجد اجتهدت في دراسة إسناده ثمَّ الحكم عليه .

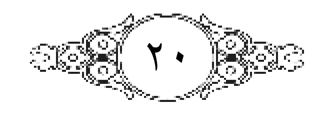
- عمِلْت على ذكر أسماء الكتب الأصلية ، ولم أكتفِ بشهرة الكتاب إلى مؤلِّفه ، وذلك حتى أستفيد ويستفيد القارئ بضبط أسماء كتب التفسير ومؤلفيها ، وأما العناوين المتشابهة مثل : معاني القرآن ، فإني أذكر كل كتاب معزواً لصاحبه ، مثل : معاني القرآن للفراء ، وما تشابه واشتهر باسم صاحبه مثل تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، أو لابن أبي حاتم ؛ فأنسبه إليه مباشرة ، دون ذكر اسم الكتاب تمييزاً واختصاراً .

- إن قلت في المتن : وهو بنحو قول فلان .. فإن رأيت حاجة لذكر قوله ذكرته في الحاشية ، وإلا اكتفيت بالإشارة إليه بهذه العبارة .

وبعد هذا العرض ؛ فإني لا أجد نعتاً لهذا العمل أفضل من كونه جهد المقلّ ، وعمل متواضع في بحر هذا العلْم المبارك ؛ علم تفسير كتاب الله تعالى .

وهو ما اجتهدت فيه قصارى جهدي على تقصيري وجهلي ، فما أخطأت فيه فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله من كلّ زلل ونقص ، والله يأبى إلا أن يكون الكمال لكتابه وهو المستعان والمعين ..





✰ خطة البحث :

✻ المقدِّمة :

تتضمن أهمية البحث ، والأسباب الدَّافعة للكتابة فيه ، والعقبات التي أحاطت به، ومنهجي في كتابته .

الباب الأول

التعريف بالإمام عطاء الخُراساني

وفيه فصلان :

الفصل الأول

* **حياة الإمام عطاء بن أبي مسلم الخراساني** ، وفيه مباحث :

❖ **المبحث الأول** : اسمه ونسبته وكنيته .

❖ **المبحث الثاني** : مولده ونشأته .

❖ **المبحث الثالث** : عصره . وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : الحالة الدينية .
- **المطلب الثاني** : الحالة السياسية .
- **المطلب الثالث** : الحالة العلمية .
- **المطلب الرابع** : الحالة الاجتماعية .

❖ **المبحث الرابع** : سيرته ووعظه . وفيه مطالب :

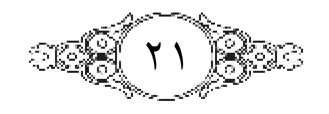
- **المطلب الأول** : عبادته لله وذكره .
- **المطلب الثاني** : وعظه ونصحه .
- **المطلب الثالث** : حرصه على العلم والعلماء .
- **المطلب الرابع** : عقيدته ومذهبه .

❖ **المبحث الخامس** : وفاته .

الفصل الثاني

* **السيرة العلمية للإمام عطاء الخراساني** ، وفيه مباحث :

❖ **المبحث الأول** : رحلاته العلمية .



❖ **المبحث الثاني** : سماعه من ابن عباس .

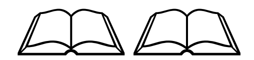
❖ **المبحث الثالث** : شيوخه .

❖ **المبحث الرابع** : تلاميذه .

❖ **المبحث الخامس** : فقهه .

❖ **المبحث السادس** : مؤلفاته .

❖ **المبحث السابع** : مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .



الباب الثاني

عطاء الخراساني مفسّراً

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

* **المدارس التَّفسيرية في عصر النَّبيِّ ﷺ، وعصر الصَّحابة، وعصر التَّابعين :** وفيه مباحث :

❖ **المبحث الأول** : التفسير في اللغة والاصطلاح .

❖ **المبحث الثاني** : مدرسة التفسير في عصر النبي ﷺ .

❖ **المبحث الثالث** : مدرسة التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم . وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : أهمية التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم .

- **المطلب الثاني** : مصادر التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم .

- **المطلب الثالث** : خصائص التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم .

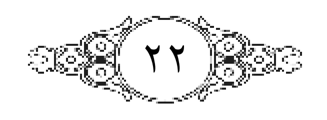
- **المطلب الرابع** : قيمة تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

❖ **المبحث الرابع** : مدرسة التفسير في عصر التابعين رحمهم الله . وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : التفسير في عصر التابعين رحمهم الله .

- **المطلب الثاني** : مصادر التفسير في عصر التابعين رحمهم الله .

- **المطلب الثالث** : مميزات تفسير التابعين رحمهم الله .



- **المطلب الرابع** : حجِّية تفسير التابعين رحمهم الله .

الفصل الثاني

* **مصادر عطاء الخراساني في التفسير** ، وفيه مباحث :

❖ **المبحث الأول** : القرآن الكريم .

❖ **المبحث الثاني** : السنة النبوية .

❖ **المبحث الثالث** : أقوال الصحابة .

❖ **المبحث الرابع** : لغة العرب .

❖ **المبحث الخامس** : الاجتهاد .

❖ **المبحث السادس** : الإسرائيليات في تفسير عطاء الخراساني .

الفصل الثالث

* **منهج عطاء الخراساني في التفسير**، وفيه مباحث :

❖ **المبحث الأول** : عنايته بأسباب النزول .

❖ **المبحث الثاني** : عنايته بعلوم القرآن .

❖ **المبحث الثالث** : تفسير آيات الأحكام .

❖ **المبحث الرابع** : بيانه لغريب القرآن .

❖ **المبحث الخامس** : عنايته بالقراءات القرآنية .

❖ **المبحث السادس** : التفسير بالمثال .

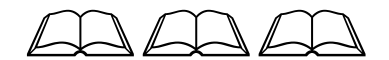
❖ **المبحث السابع** : التفسير بالقصة .

❖ **المبحث الثامن** : التعرّض لأمثال القرآن الكريم .

❖ **المبحث التاسع** : تعدد أقواله في الآية .

❖ **المبحث العاشر** : انفراده ببعض الأقوال .

❖ **المبحث الحادي عشر** : التفسير وفق القواعد التفسيرية .





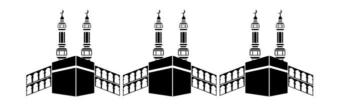
الباب الثالث

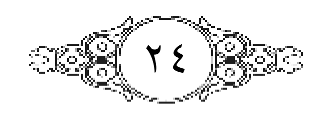
جمع أقوال عطاء الخراساني في التفسير ومقارنتها بالأقوال الأخرى من أوّل سورة الكهف إلى آخر سورة الناس .

- ❖ الخاتمة .
- ❖ ملحق الصور .
- ❖ الفهارس :

وتشتمل على الفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس شيوخ عطاء الخراساني .
- فهرس تلاميذ عطاء الخراساني .
- فهرس القواعد التفسيرية .
- فهرس غريب المفردات .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس الفرق والمذاهب .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .



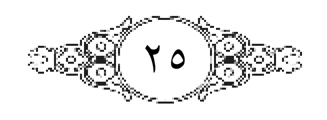


☆ شكر وتقدير :

وبعد .. فإني أتقدَّم بالشكر كله أوله وآخره ، وسرّه وإعلانه لصاحب الجود والفضل والإحسان ، الذي لا أحصي ثناءً عليه سبحانه ، هو كما أثنى على نفسه ، فأحمده أولاً وآخراً ، وأشكره ظاهراً وباطناً ، على نعمه السابغة، وفضائله المتتابعة ، فبفضله وتيسيره وعونه أتممت البحث وأنجزته ، فله الحمد وهو الحقيق بالمنة والفضل ، وله الشكر وهو للشكر أهل ، وقد تجلَّى لي لطفه وعونه في كل أحوالي ، رغم تقصيري في حقه وإهمالي ، فله المنة والحمد ، في كل نعمة أنعم بها عليَّ في قديم أو حديثٍ ، أو سرٍّ ، أو علانية، فاللهم لك الحمد كالذي نقول ، ولك الحمد خيراً مما نقول ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد بعد الرضا .

ثمَّ أثنِّي بالشكر والتقدير ، والثناء الجزيل لمن أمرني الله بالشكر لهما في قوله سبحانه : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾، للوالدين الكريمين اللذين ربياني صغيراً ، وعلَّماني كبيراً ، وتعِبا وبذلا وسهرا من أجل أن يريا نتاجاً مباركاً ، وكانا سبباً لي بعد الله في سلوك سبيل العلم وأهله ، فلا حرمهما الله الأجر والثواب ، وأقرَّ أعينهما بصلاح أولادهما ، وأمدَّهما بالصحة والعافية ، والعمر المديد على الطاعة والإيمان .

ثمَّ أعترف بالفضل لأهله ، وأذكرهم فأشكرهم ، وإن كنت أنسى فلا أنسَ شيخي وأستاذي ومعلِّمي الأوَّل الذي حثَّني على سلوك سبيل العلم ، وأخذ بيدي ، وكان متابعاً لي وموجِّهاً حتى أدركَتْه المنية ، بعد أن وضع قدمي على أول الطريق ، فأذاقني لذيذ العلم ، وحببني فيه ، وسقاني من معينه العذب ، وخلَّد في قلبي فهماً صحيحاً لدين الله ، وتوسُّطاً واعتدالاً في منهج هذا الدين؛ شيخي وأستاذي الحبيب الغالي العلامة الوالد / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله رحمة واسعة ، ونوَّر له في قبره ووسَّع له فيه ، الذي رافقته مرافقة الولد للوالد خلال حقبة زمنية مباركة ، ولا أقدر في هذا المقام أن أبذل الشكر له إلا بدعوات صالحات فأسأل الله ألاَّ يحرمه أجر هذا العمل ، وثواب هذا النتاج ، وأسأله سبحانه أن يجمعنا به مع المصطفى ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنَّة .



وأرفع في هذا المقام دعوة صادقة لشيخي ومشرفي الدكتور / عبد الله بن مقبل القرني ، الذي بذل جهداً مشكوراً ، ولم يبخل عليَّ برأي ولا مشورة ، وكانت لمساته واضحة مشكورة ، حتى أصابه المرض الذي أصابه ، وحال دون الإتمام معه ، فأسأل الله أن يشفيه ويعافيه ، وأن يجمع له بين السلامة والأجر .

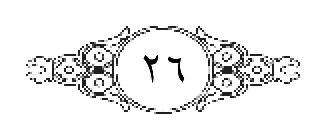
كما أشكر أستاذي وشيخي الحبيب فضيلة الشيخ الدكتور / سليمان بن الصادق البيرة – مقرِّر الرسالة - ، على توجيهه الدائم ، وتشجيعه المتواصل لي طوال مرحلة البحث كلما رآني ولقيني ، وكم كان لكلماته أثرٌ كبير في رفع همَّتي ، واجتهادي ، والشكر موصول له على موافقته أن يكون مقرراً للرسالة، ثمَّ مراجعته وتوجيهه ، فله مني صادق الدعاء .

وكذا أشكر صاحبي الفضيلة المناقشَين القديرين : الدكتور / أحمد بن نافع المورعي ، والدكتور / رضا بن عبد المجيد المتولي ، على قبول المناقشة ، وتجشُّمهما صعاب قراءة هذه الرسالة على طولها ، ثمَّ على تفضُّلهما بإبداء النَّقد الذي أسعد به ، وأعُدُّه نبراساً ونوراً اهتدي به في درب العلم الطويل ، وأسأل الله أن يجعل هذا في موازين حسناتهما ، وأن يكتب الأجر لهما بكل حرف نطقا به لتسديد خللي ونقصي وتوجيهي .

كما أشكر أمين القسم السابق الدكتور / جلال الدين بن إسماعيل عجوة، الذي لم يبخل عليَّ بنصحه وعلمه وتوجيهاته التي يفتقر لها كلُّ طالب في دراسته ، وقد فاجئنا برحيله من الجامعة لظروفه الصحية ، فأسأل الله أن يشفيه ويعافيه ، وأن يبارك في عمره وعمله . فلكلٍّ هؤلاء مني أصدق الشكر ، وجميل الدعاء .

وشكر خاص مرصَّع بآيات المحبة والتقدير لأخي ورفيق دربي الشيخ النقيب / سلطان بن بدير العتيبي ، صاحب الجزء الأول من موضوع البحث نفسه ، والذي لم يدَّخر جهداً ، ولم يبخل عليَّ بنصح أو استشارة أو تقويم بروح عالية ، وخلق جمٍّ ، في سبيل إتمام هذا العمل المبارك ، والله أسأل أن يعيننا على إخراجه للناس ليبقى لنا بعد الموت علماً ينتفع به .

ولا يفوتني أنْ أشكر إخوتي ، وزوجتي وأهل بيتي الذين شاركوني تعب



البحث ، وعناء الدراسة ، وصبَروا على عزلتي وانقطاعي طيلة السنوات الأربع التي قطعتها في هذه المرحلة ، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

والشكر موصول لكل من ساهم برأي أو جهد أو نصيحة ، ولم يبخل عليَّ بشيء خلال مسيرة العمل في البحث ، وعلى رأس هؤلاء الأجلَّة : الشيخ الدكتور / عبد الرحيم نبولسي ، وأخي الشيخ / عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل ، وأخي الشيخ / توفيق بن سعيد الصايغ ، وأخي الشيخ / عدنان بانافع ، والشيخ / عمر بامفلح .

ولكلٍ من بذل وساعد وشارك واهتمَّ وسأل ، وخاصة أصحاب الأيادي الخفية في دعم مسيرتي الدراسية ، فهم وإن لم أذكرهم فالله يعلمهم ، وأسأله أن يباركهم ، وأن يجزيهم خير الجزاء وأوفره .

وأخيراً أشكر جامعة أم القرى عموماً وكلية الدعوة وأصول الدين ، ممثلة بقسم الكتاب والسنة خصوصاً ، على ما تبذله من خدمة للعلم وطلبته ، فجزا الله القائمين عليها خيراً وأجزل لهم الأجر والمثوبة .

وما أطلت في تقديم الشّكر للجميع إلاَّ لأنَّ شكرهم من شكر الله تعالى على نعمته بالتمام ، و « لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ » [1].

أسأل الله جلَّت قدرته أن ينفعني بهذا العمل المبارك ، وأن يجعله خالصاً صواباً .. وأن يباركه ليكون عِلماً ينتفع به ، باقياً لي بعد موتي .

اللهم هذا منك ولك فتقبله بقبول حسن ، وأنبته نباتاً حسناً ، واجمعنا مع عطاء الخراساني ، ووالدينا ، وأسلافنا ، وعلمائنا ، ومشايخنا ، وإخواننا ، وأزواجنا وذرِّياتنا مع نبيك وحبيبك ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة .. آمين

وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

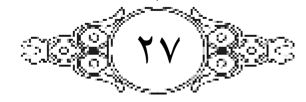
وكتبه راجي عفو ربه :

محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاوي

جدة – غرة ربيع الثاني ١٤٢٩هـ

---

(١) **صحيح** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (١٩٥٤) في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك . وأبو داود في سننه برقم : (٤٨١١) في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ، واللفظ له ، وأحمد في مسنده برقم : (٧٨٧٩) ، من حديث أبي هريرة ﷺ . والحديث صحيح ، قال عنه الترمذي : حديث حسن صحيح ، وصححه ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/٣٣٠) ، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤١٦) : إسناده صحيح على شرط مسلم .



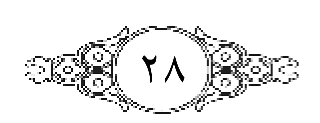
الباب الأول

التعريف بالإمام عطاء بن أبي مسلم الخراساني

وفيه فصلان :

<u>الفصل الأول</u>: حياة الإمام عطاء بن أبي مسلم الخراساني .

<u>الفصل الثاني</u>: السيرة العلمية للإمام عطاء الخراساني .



الفصل الأول :

حياة الإمام عطاء بن أبي مسلم الخراساني .

وفيه مباحث :

❖ **المبحث الأول : اسمه ونسبته وكنيته .**

❖ **المبحث الثاني : مولده ونشأته .**

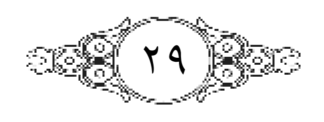
❖ **المبحث الثالث : عصره .** وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : الحالة الدينية .
- **المطلب الثاني** : الحالة السياسية .
- **المطلب الثالث** : الحالة العلمية .
- **المطلب الرابع** : الحالة الاجتماعية .

❖ **المبحث الرابع : سيرته ووعظه .** وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : عبادته وذكره .
- **المطلب الثاني** : وعظه ونصحه .
- **المطلب الثالث** : حرصه على العلم والعلماء .
- **المطلب الرابع** : عقيدته ومذهبه .

❖ **المبحث الخامس : وفاته .**



❖ المبحث الأول : اسمه ونسبته وكنيته [١] :

هو عطاء ابن أبي مسلم [٢]، واسم أبي مسلم : ميسرة – ويقال : عبد الله – أبو أيوب– ويقال : عثمان ، ويقال : أبو محمد ، ويقال : أبو صالح – الخراساني [٣].

من أهل سمرقند [٤] ، ويقال : من أهل بلخ [٥] ، مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي [٦].

---

(١) انظر مصادر ترجمته : الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٦٩/٧) ، التاريخ الكبير للبخاري (٤٧٤/٦) ، معرفة الثقات للعجلي (١٣٧/٢) ، أخبار مكة للفاكهي (٣٤٣/٢) ، المعرفة والتاريخ (٣٧٦/٢) ، الجرح والتعديل (٣٣٤/٦) ، الثقات لابن حبان (٢٠٦/٥) ، الكامل لابن عدي (٣٥٨/٥) ، مولد العلماء ووفياتهم (٣١٩/١) ، حلية الأولياء (١٩٣/٥) ، الإرشاد (٢٢٠/١) ، موضح أوهام الجمع والتفريق للبغدادي (١٥٤/١) ، التمهيد لابن عبدالبر (٢/٢١) ، طبقات الفقهاء للشيرازي (٤٠/١) ، الأنساب للسمعاني (٣٣٧/٢) ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٤٠/ ٤١٦ -٤٣٧) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٣٣١/٧) ، صفة الصفوة (١٥٠/٤) ، معجم البلدان (٣٥٤/٢) ، الكامل في التاريخ (٩٧/٥) ، بغية الطلب في تاريخ حلب (٣٢٦٦/٧) ، تهذيب الأسماء للنووي (٣٠٧/١) ، تهذيب الكمال للمزي (٢٠/ ١٠٦ – ١١٦) ، تاريخ الإسلام للذهبي (٤٩٠/٨-٤٩١) ، العبر في خبر من غبر للذهبي (١٨٢/١) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٩٢/٥- ٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤٠/٦)، مرآة الجنان لليافعي (٢٨١/١) ، البداية والنهاية لابن كثير (٥٧/١٠) ، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٩٠/٧)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٣٣١/١) ، طبقات المفسرين للداودي ص٢٦٤، كشف الظنون لحاجي خليفة (٤٣٠/١) ، شذرات الذهب (١٩٢/١) ، أبجد العلوم للقنوجي (١٨٠/٢) ، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (٧٨/١) ، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط – علوم القرآن - (١٨/١) ، الأعلام للزركلي (٢٣٥/٤) ، معجم المؤلفين (٢٨٣/٦)، مشائخ بلخ من الحنفية للدكتور محمد محروس ص٥٠ ، نيل السائرين في طبقات المفسرين ص (٣٥-٣٨)، معجم طبقات الحفاظ والمفسرين (١٢٨ ، ٢٥٤) ، مجلة المسلمون العدد السابع رمضان عام ١٣٧٣هـ ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (١٥٣٠/٢-١٥٣١) .

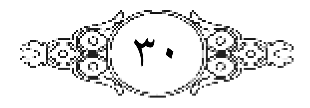
(٢) ذكر بعضهم أنه عطاء بن مسلم ، والصواب ما أثبته . انظر : مسند الشاميين للطبراني (٣٥٠/٣) .

(٣) نسبة إلى **خراسان** وهي بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند ، وتشتمل على عدد من البلدان منها : نيسابور ، وهراة ، ومرو ، وبلخ وغيرها ، ونسب لها : البخاري ، ومسلم ، وإسحاق ، وأحمد بن حنبل ، وعطاء الخراساني . انظر : معجم البلدان (٣٥٠/٢) .

(٤) **سمرقند** : يقال لها بالعربية سمران ، بلد معروف مشهور قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر . وقيل من بناء الإسكندر ، وهي من أجمل مدن خراسان . انظر معجم البلدان (٢٤٦/٣ – ٢٤٩) .

(٥) **بلخ** : مدينة مشهورة بخراسان من أجملها وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان وخوارزم . انظر معجم البلدان (٤٧٩/١) .

(٦) **المهلب بن أبي صفرة** : الأمير البطل قائد الكتائب أبو سعيد توفي سنة (٨٢هـ) غزا الهند ، وحارب الخوارج وولي خراسان ، وتوفي غازياً بمرو الروذ في ذي الحجة ، وولي خراسان ابنه يزيد بن المهلب . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٢١/٥-٣٢٢) .



❖ **المبحث الثاني : مولده ونشأته :**

ولد عطاء الخراساني ﷺ سنة خمسين من الهجرة [(١)].

ونشأ أول حياته في خراسان [(٢)]، وطلب العلم بها واشتهر أمره وعُرف بالعلم والفضل فيها ، حتى عُرِفت خراسان به وعرف هو بخراسان .

حتى إنَّ بعض المؤرخين مثل ياقوت الحموي لم يفصِّل عند ذكر خراسان في سيرة أحد علمائها كتفصيله وإسهابه في ترجمة عطاء الخراساني ﷺ .

ولنشأته العلمية البارزة ونبوغه في العلم تولى قضاء خراسان فكان قاضي خراسان [(٣)] .

ولقد كان عطاء الخراساني ممن انتهى إليه الفقه بخراسان ، يشهد لهذا قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ﷺ : (لما مات العبادلة : عبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ؛ صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالى ؛ فصار فقيه أهل مكة : عطاء بن أبي رباح ، وفقيه أهل اليمن : طاووس ، وفقيه أهل اليمامة : يحيى بن أبي كثير ، وفقيه أهل البصرة : الحسن البصري ، وفقيه الكوفة : النخعي ، وفقيه أهل الشام : مكحول ، وفقيه أهل خراسان : عطاء الخراساني ، إلاَّ المدينة فإنَّ الله تعالى خصَّها بقرشي ؛ فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب) [(٤)].

ثم أراد أن ينتقل عن خراسان رغبة في زيادة تحصيل العلم ، وطمعاً في لقاء العديد من أهل العلم ، فيقول ﷺ : " لما هممت بالنقلة عن خراسان شاورت من بها من أهل العلم أين يرون أن أنزل بعيالي وكلهم يقولون لي: عليك بالشام "[(٥)].

---

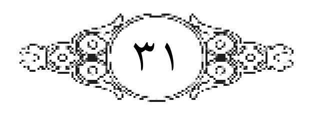
(١) انظر : الكنى والأسماء للدولابي (١٠٠٨/٣) ، موضح أوهام الجمع والتفريق (١٥٤/١) ، التمهيد (٢/٢١)، الأنساب (٣٣٧/٢) ، تاريخ دمشق (٤٢١/٤٠) ، معجم البلدان (٤٧٩/١٤) ، تهذيب الكمال (١١٤/٢٠) ، تاريخ الإسلام (٤٩١/٨) ، العبر في خير من غبر (١٤٠/١) ، ميزان الاعتدال (٩٣/٥) ، شذرات الذهب (١٩٢/١) ، تاريخ التراث العربي (٧٨/١) ، الموسوعة الميسرة (١٥٣٠/٢) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٩٩/١) .

(٣) انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢٢٠/١) .

(٤) انظر : أخبار مكة للفاكهي (٣٤٣/٢) ، وطبقات الفقهاء (٤٠/١) ، وتاريخ دمشق (٤٢٦/٤٠) ، المنتظم (٣٢٠/٦) ، معجم البلدان (٣٥٤/٢) ، إعلام الموقعين (٢٢/١) .

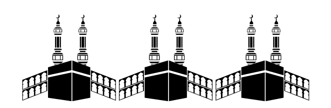
(٥) انظر : تاريخ مدينة دمشق (٩٩/١) .



فامتثل مشورة علماء خراسان وانتقل إلى الشام وسكن بها [1].

وسكن من الشام بيت المقدس في بعض قراها [2] ، وذلك في خلافة عبدالملك بن مَرْوان [3].

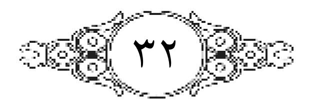
فكان أحد أعلام الشام البارزين يفد إليه طلاب العلم من سائر الأمصار والأقطار .



(١) انظر : التاريخ الكبير (٦/٤٧٤) ، الجرح والتعديل (٦/٣٣٤) ، تاريخ دمشق (٤٠/٤١٦) ، تهذيب الأسماء (١/٣٠٧) ، مشائخ بلخ من الحنفية ص٥٠ .

(٢) انظر : الكامل لابن عدي (٥/٣٥٨) ، تاريخ دمشق (٤٠/٤٢٣) ، مرآة الجنان (١/٢٨) ، شذرات الذهب (١/١٩٢) .

(٣) انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٠/٤٢٣) ، وكانت خلافة عبد الملك ما بين عام ٧٣هـ إلى ٨٦هـ فيكون عطاء الخراساني شاباً عند قدومه الشام ويكون عمره حينذاك ما بين ٢٣سنة و٣٦ سنة ، والله أعلم . انظر : تاريخ الخلفاء (٢٠٠-٢٠٦) .



❖ المبحث الثالث : عصره [1].

تمهيد

ولد عطاء الخراساني في بداية عهد الدولة الأموية ، في السنة التاسعة من قيام الدولة الأموية ، في عهد أول خلفائها معاوية بن أبي سفيان ﷺ ، حيث إنه قد تولى الخلافة سنة إحدى وأربعين من الهجرة [2].

عاش عطاء الخراساني معاصراً للدولة الأموية حتى نهايتها وقيام الدولة العباسية على يد السَّفاح أول خلفاء بني العباس[3] .

وقد مرَّت الدولة الأموية بتقلُّبات كثيرة ، وعاصرت أحداثاً جسيمة ، كانت عاملاً رئيساً في التأثير على مناحي الحياة المختلفة .

وإنَّ تاريخ بني أمية قد أصابه الكثير من التشويه ، حتى ظنَّ كثير من الناس أنَّ الإسلام لم يمكَّن له إلا في العهد النبوي والراشدي فقط .

ولقد شنَّت حملات تاريخية سيئة ضدَّ الدولة الأموية ، وظهرت عليهم الشائعات الكثيرة المغرضة ، التي نالت منهم ، وطعنت فيهم حتى أخرجوهم من الإسلام ، فلم ينج منهم أحد ، وساعدت بعض العوامل التاريخية والاجتماعية أيضاً في انتشار تلك الشائعات المغرضة ، واتّهم المجتمع كله ، وعدَّ مجتمعاً فاسداً ، واستدلوا على ذلك ببعض أقوال الشعراء في ذلك العصر .

إضافة إلى ذلك فقد سلِّطت الأضواء على النكبات التي حدثت في عهد الأمويين، مثل فاجعة كربلاء [4]ومقتل الحسين ، ووقعة الحرة واستباحة المدينة النبوية ، وضرب مكة ، ومقتل عبد الله بن الزبير ، وغير ذلك ، مما ساعد على نشر تلك الشائعات الكثيرة التاريخية ، التي أساءت إلى الدولة الأموية .

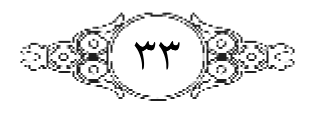
---

(١) الكلام عن عصر عطاء الخراساني صغته في جميع المطالب بأسلوبي الخاص ، وقد استفدت فيه من المراجع التالية : التاريخ الإسلامي (٤/٥-٥٨) ، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط (٧٧-١٨١) ، ولم أكثر النقل من مصادر تاريخية أخرى نظراً لما تعرَّض له تاريخ بني أمية من الغمز واللمز والطعن الكثير فيه ، فحاولت الاقتصار على أبرز الأحداث وأهمها وأوثقها .

(٢) تاريخ بن خلدون (١/٩٧٢).

(٣) تاريخ الخلفاء ص(٢٣٨) .

(٤) **كربلاء** = هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي ﷺ في طرف البرية عند الكوفة ، والكربلة رخاوة في القدمين ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك . انظر : معجم البلدان (٤/٤٤٥) .

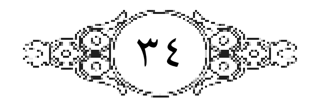


وعلى كلِّ حال فإنَّ التاريخ قد ظلم بني أمية ظلماً كثيراً ، إذ طمس إيجابياتهم ، وتوسَّع في ذكر السلبيات ، وافترى عليهم الكذب ، فنسب لهم ما لم يكن منهم ، وأوجد حوادث لم تقع في أيامهم ، وذلك لأنَّ كتابة التاريخ كانت في عهد خصومهم من بني العباس ، ولأنَّ الكتابة كانت بأيد شيعية ، وُجدت في تلك الحقبة ، وكانت حاقدة تنتقد الحكم ، ومن ورائها أهداف وغايات [1].

ومن تأمل بعدل وتجرَّد بصدق ؛ وجد الأمر غير ما صوَّره أولئك ، فهو وإن كانت الفتن فيه عظيمة ، إلا أنه من أفضل العصور الإسلامية ، وسيظهر ذلك بإذن الله فيما يأتي .



(١) انظر : التاريخ الإسلامي (٤/٥-٤٥) .



- **المطلب الأول : الحالة الدينية .**

كان ذلك العصر من خير العصور بعد عصر الخلفاء الراشدين من حيث الدين وقوة تمسك الناس به ، وكان الناس لا زالوا قريبي عهد من عصر النبوة ، ولا زال للصحابة الكرام وجود في هذه الدولة ، الأمر الذي جعل تلك الفترة من أفضل الفترات التاريخية التي ساد فيها الدين ، وانتشر فيها الإسلام .

وهو– وإن وقعت فيه فتن وقلاقل – فهو ولا شكَّ من أقرب العصور للخيرية التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[(١)] .

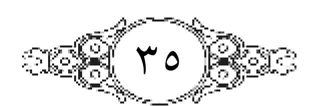
وقد انتشر الإسلام في ذلك الوقت انتشاراً عظيماً ، فدخل الشام ومصر وشمالي إفريقيا والأندلس والعراق والسند وبلاد فارس وبلاد ما وراء النَّهر ، وامتدت الفتوحات الإسلامية من حدود الصين إلى الأندلس ، ومن بحر قزوين إلى المحيط الهندي ، ودخل في الإسلام شعوباً كثيرة ، ولم تكن تلك الفتوحات غزواً عسكرياً للشعوب ، ونهباً لثرواتها ، بل كانت فتحاً دينياً ثقافياً لغوياً ، فانتشر الإسلام في الأرض ، وأصبح هذا العالم الفسيح عالماً إسلامياً واحداً ، فيه السماحة والرحمة ، والعدل والإنصاف ، وامتزج الإسلام بأرواح الناس وحياتهم ، وكانت المعايشة للشعوب ، والقدوة العملية أمامهم ، وإقامة شعائر الدين بينهم من أبرز أسباب ذلك .

وكان الفاتحون المسلمون حريصين على دعوة الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، والتأثير فيهم بالقدوة الطيِّبة ، وعني الكثير من القادة المسلمين ذلك الوقت ببناء المساجد في المدن والقرى حتى تؤدَّى فيها الصلاة ، ويقوم فيها الدعاة إلى الله بتعليم الناس شعائر الإسلام وشرائعه .

هذا .. وقد كانت الحضارة الإسلامية هي السائدة المهيمنة على العصر آنذاك ، وقد قامت على دعامتين :

الدعامة الأولى : القرآن الكريم ، وسنة النبي الكريم ﷺ ، وكان تأثيرهما كبيراً لما فيهما من الحثِّ على العلم والتعليم ، والتفكُّر في الكون وأسراره ، وتسخيره لمنافع الإنسان ؛ ثمَّ في العلوم الكثيرة التي انبثقت من الكتاب والسنة ، كالتفسير وعلوم القرآن ، والفقه والأصول ، والحديث وعلومه ، والسير والتاريخ ، واللغة العربية

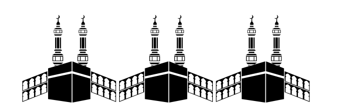
(١) سبق تخريجه ص(٦) .



وآدابها ، ونحو ذلك .

الدعامة الثانية : التراث الحضاري الهائل الذي ورثه المسلمون عن الأمم السابقة في البلاد التي فتحوها ، كتراث الحضارة الإغريقية والفارسية والهندية والمصرية القديمة .

ومما يذكر فيُشكر للدولة الأموية أنها حافظت على ذلك التراث من الضياع ، وعملت على الاستفادة منه في حياة المسلمين وواقعهم ، مما كان له الأثر الكبير في الرقي والازدهار الذي حصل بعد ذلك للمسلمين في جميع مناحي الحياة المتنوعة (١).



(١) انظر : الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط (٧٧-١١٦) .



- **المطلب الثاني : الحالة السياسية .**

كان تعيين الخليفة في عصر الخلفاء الراشدين ببيعة حرَّة وعامة ، بعد ترشيح شخص أو أكثر ، ويتمّ الأمر بالشورى بين المسلمين .

أما الأمر في العهد الأموي فقد اختلف تماماً حينما تحوَّل إلى سلطة وراثية ، يتوارثها الأبناء والإخوة ، ولم يكتفِ الخليفة منهم بتولية العهد لواحد فقط ، بل درجوا على تولية أكثر من ولي للعهد .

وقد سبب هذا الأمر معارضة وخلافاً ، وتطوَّرت هذه المعارضة لتصبح خروجاً على الحكام ، كما حصل من الحسين ، مع يزيد بن معاوية ، واستشهاده يوم كربلاء سنة ٦١هـ ، وما حصل من عبد الله بن عمر حين بايع يزيد بن معاوية حفاظاً على وحدة المسلمين ، بعد أن رأى أنَّ استمرار المعارضة لن يكون فيه مصلحة للأمة الإسلامية .

وقد عاد عبد الله بن الزبير بالخلافة لنفسه بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ ، ثمَّ دخل في صراع مع الأمويين انتهى بمقتله سنة ٧٣هـ بعد أن دامت خلافته تسع سنوات .

وهكذا .. نجد أنَّ أمر الخلافة هذا قد جرَّ عليهم المتاعب ، وأوقد نار الفتنة والصراع بين أبناء الأسرة الأموية ، مما كان له أكبر الأثر في تدهور الدولة والإسراع بسقوطها في نهاية الأمر .

وشغلت الدولة الأموية إحدى وتسعين سنة من التاريخ تقريباً ، كانت فيها الفتوحات العظيمة شرقاً وغرباً ، ونشروا الإسلام في أصقاع المعمورة .

ومما يدلُّ على قوة هذه الدولة وتماسكها إلى حدٍّ كبير : أنَّهم قاموا بكل هذه الأعمال الجليلة وهم يصارعون أعداء أشداء من الداخل ، تمثَّلوا في تيارات وأحزاب سياسية ودينية ، لم يتركوا فرصة للثورة عليهم إلا انتهزوها .

ومن تلك الأحزاب من تذرَّع بالدين يحارب به ، ويتَّهم بني أمية بالخروج على الدين وقواعده ، وأنهم مغتصبون للسلطة ، ومن هؤلاء : الخوارج والشيعة .

وكان من هؤلاء شخصيات أعلنت التمرُّد والثورة على بني أمية لأهداف شخصية، تكمن في الوصول إلى الحكم بأي ثمن ، كالمختار بن أبي عبيد الثقفي [(١)]، وعبد

---

(١) **المختار بن أبي عبيد الثقفي** = رجل كذاب ، ضال مضل ، زعم أن جبرائيل عليه السلام ينزل عليه ، ووالده أبو عبيد

الرحمن بن محمد بن الأشعث [(١)]، ويزيد بن المهلَّب [(٢)].

ومن أبرز التيارات المعارضة التي أفسدت كثيراً ، وأثَّرت على الحركة السياسية في ذلك العصر : الخوارج . وهم في الأصل كانوا من أنصار علي بن أبي طالب ﷺ ، وشهدوا معه الجمل وصفِّين ، ثمَّ انشقوا عليه لمَّا قبل التحكيم بينه وبين معاوية ، فسمّوا خوارج ، لخروجهم على إمامهم ، وحين بالغوا في عدائهم له ، وعاثوا في الأرض فساداً اضطر إلى قتالهم في معركة النهروان ، ثمَّ عادَوا بني أمية ودخلوا في صراع طويل معهم .

وظلَّ الخوارج فرقة واحدة ، تتبنى أفكاراً ومبادئ واحدة ، حتى وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ ، ثمَّ بدأ الشقاق والخلاف يدبّ بينهم ، فانقسموا فرقاً وأحزاباً ، حتى وصلوا ثلاثين فرقة ، ثمَّ تطوَّر تفكيرهم بمرور الزمن ، وبدؤوا يخوضون في قضايا تدخل في صلب الدين ، كمعتقدهم في مرتكب الكبيرة ، وغيرها من القضايا .

ومن أشهر فرق الخوارج التي ناصبت العداء بني أمية :

١) الأزارقة ، وهم أتباع نافع بن الأزرق [(٣)]، وهو أحد زعماء الخوارج الكبار ،

كان من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر في خلافة عمر بن الخطاب ، وإليه نسبت الوقعة فيها جسر أبي عبيد ، وكان المختار ولد بالهجرة ، وبسبب ذلك ذكره ابن عبد البر في الصحابة لأنه له رؤية في ما يغلب على الظن ، وكان ممن خرج على الحسن بن علي بن أبي طالب في المداين ، ثم صار مع ابن الزبير بمكة فولاه الكوفة فغلب عليها ، ثم خلع بن الزبير ودعا على الطلب بدم الحسين فالتفت عليه الشيعة وكان يظهر لهم الأعاجيب ، ثمَّ جهز عسكراً مع إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد وقتله سنة خمس وستين ، ثم توجه بعد ذلك مصعب بن الزبير إلى الكوفة فقاتله فقتل المختار وأصحابه ، ويقال أنه قتل ممن استأمن إليه ستة آلاف صبراً ، وكان قتل المختار سنة سبع وستين . انظر : لسان الميزان (٦/٦) .

(١) **عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث** = عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، روى عن أبيه عن جده عن عبد الله بن مسعود حديث : « إذا اختلف البيعان فالسلعة قائمة » ، مجهول الحال، قيل أن الحجاج قتله بعد سنة تسعين . انظر : تهذيب الكمال (٣٥٩/١٧) .

(٢) **يزيد بن المهلَّب** = يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة ، الأمير أبو خالد الأزدي ، ولي المشرق بعد أبيه ، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك ، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطاة ، وطلبه عمر وسجنه ، له أخبار في السخاء والشجاعة ، وكان الحجاج مزوَّجا بأخته ، وكان ذا تيه وكبر . ولما استخلف يزيد بن عبد الملك غلب على البصرة وتسمى بالقحطاني فسار لحربه مسلمة بن عبد الملك فالتقوا فقتل يزيد في صفر سنة اثنتين ومئة ، قتل عن تسع وأربعين سنة ، ولقد قاتل قتالاً عظيماً فما زال يحمل بنفسه في الألوف لا لجهاد بل شجاعة وحمية حتى ذاق حمامه نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٠٣/٤) .

(٣) **نافع بن الأزرق** = الحروري ، من رؤوس الخوارج ، ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء ، وكان نافع هذا من رؤوس الخوارج ، وإليه تنسب الطائفة الأزارقة وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية فذكر ابن

وهي تعدّ أشدّ فرق الخوارج تطرّفاً في أفكارها السياسية والدينية ، فهم يرون الخروج على الخليفة الذي يخالفها في أفكارها ، ويكفِّرون مرتكب الكبيرة ، ويحكمون بخلوده في النار ، ويبيحون دماء مخالفيهم في الرأي .

٢) النجدات ، وينسبون إلى نجدة بن عامر [١]، وهم أقل تطرفاً من الأزارقة .

٣) البيهسية : وينسبون إلى زعيمهم : بيهس [٢]، ويرون أنَّ مخالفيهم في الرأي منافقون ، تجري عليهم أحكام المنافقين .

٤) الصفرية . وهم أتباع زياد بن الأصفر [٣]، وهم معتدلون إلى حد كبير في أفكارهم .

٥) الشيعة . وهم أتباع علي بن أبي طالب ﷺ بادئ الأمر ، وقد نشأ التشيع بسيطاً ثمَّ تطوَّر بمرور الزمان ، وأصبح مذهباً دينياً وسياسياً ، ثمَّ ما لبثوا أن تفرَّقوا إلى فرق كالزيدية [٤]، ....

أبي خيثمة عن خالد بن خداش أن نافع بن الأزرق الخوارج إمام سوق الأهواز ، ويعترض الناس بما يحير العقل في الناس ، حتى النساء والصبيان ، وكان يطلب العلم ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته عن نافع المذكور ، وأخرج الطبراني بعضها في مسند بن عباس من المعجم الكبير . انظر : لسان الميزان (١٤٤/٦) .

(١) **نجدة بن عامر** = نجدة بن عامر الحروري ، من رؤوس الخوارج ، زائغ عن الحق ، وهو ابن عمير اليمامي ، خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية ، وقدم مكة ، وله مقالات معروفة ، واتباع انقرضوا ، ووقع ذكره في صحيح مسلم وأنه كاتب ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربي ، وعن قتل الأطفال الذين يخالفونه وغير ذلك ، وأجابه ابن عباس واعتذر عن مكاتبته له . انظر : لسان الميزان (١٤٨/٦) .

(٢) **بيهس** = بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن نائل ابن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد بن كثير بن غالب ابن عدي بن شمس ، ويقال شميس ، ويقال : بيهس بن طرود بن قدامة بن جرم بن الريان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو المقدام الجرمي . فارس شاعر أصله من البصرة ، وسكن داريا وكان يشبب بابنه عم له اسمها صفراء بنت عبد الله بن نائل ، وشهد بيهس بن صهيب الأزارقة مع المهلب بن أبي صفرة . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٥٢٨/١٠) .

(٣) **زياد بن الأصفر** = مؤسس الفرقة الصفرية من الخوارج ، وهم يخالفون الأزارقة في تكفير القعدة ، وفي إسقاط الرجم ، وفي أطفال الكفار ، ومنع التقية في القول ، وقالوا المعصية الموجبة للحد لا يسمى صاحبها إلا بها ، وما لا حد فيه لعظمه كترك الصلاة والصوم كفر ، وقيل تزوج المؤمنة من الكافر في دار التقية دون العلانية . انظر : المواقف (٦٩٣/٣) .

(٤) **الزيدية** = إحدى فرق الشيعة ، ترجع نسبتها إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ﷺ ، ولم يجوزا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين

والإسماعيلية [(١)] وغيرهم .

ومع هذا الصراع الدائم المرير الذي واجهه خلفاء بني أمية ، إلا أنهم قاموا بأعمال عظيمة ، تذكر فتشكر ، ففتحوا الأمصار ، وقسَّموا المناطق تقسيماً إدارياً ، وعيَّنوا الولاة من قبلهم على الأمصار ، وأداروا البلاد ، ونشروا الأمن والنظام في ربوعها الممتدة التي ضمَّت شعوباً مختلفة الأجناس واللغات والثقافات والعادات والتقاليد ، ولم يكن صهر هذه الشعوب في بوتقة واحدة وإخضاعها لنظام واحد أمراً سهلاً ، في وقت كانت فيه الخيل هي أسرع وسيلة للمواصلات .

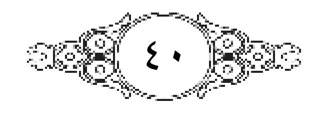
وقد كان الفضل في هذا النَّجاح الذي كتبه خلفاء بني أمية في إدارة الدولة الإسلامية يعود بعد الله لرجالهم الأفذاذ ، فقد كانوا على قدرة فائقة في فنِّ الحكم وإدارة البلاد ، وعلى مهارة عالية في سياسة الناس .

وقد أنشئوا العديد من الأجهزة الإدارية والدواوين ، لملائمة تطور الحياة ، واتساع مساحة الدولة ، فأنشئوا إلى جانب ديوان الجند الذي أنشأه عمر بن الخطاب ﷺ ، وديوان العطاء - وهو المعني بالمخصصات المالية التي كانت تدفعها الدولة للناس - ، وديوان الخراج - والذي يشبه وزارة المالية في الوقت الحاضر - ؛ أنشئوا إضافة إلى ذلك : ديوان البريد ، وديوان الخاتم ، وديوان الرسائل ، وديوان العمال ، وعرَّبوا ديوان الخراج الذي كان يستخدم لغات أجنبية ، كالفارسية ، واليونانية ، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة السائدة الوحيدة في كل المعاملات المالية في الدولة الإسلامية .

إضافة لذلك : فقد نظَّموا القضاء ، واستحدثوا نظام قضاء المظالم ، وهو نوع من أنواع القضاء المستعجل الذي يتطلَّب البتّ السريع في القضايا التي لا تحتمل الانتظار ،

رضي الله عنهما ، وعن هذا جوز قوم منهم إمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور ، وقتلا على ذلك ، وجوزا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة . انظر : الملل والنحل (١/١٥٤) ، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٢٦) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والفرق المعاصرة (١/٨١) .

(١) **الإسماعيلية** = فرقة باطنية ، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ، ظاهرها التشيع لآل البيت ، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام ، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر ، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة ، وقد مالت إلى الغلوِّ الشديد لدرجة أنَّ الشيعة الاثني عشرية يكفِّرون أعضاءَهَا . انظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٢٦) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والفرق المعاصرة (١/٣٨٦) .



ونظراً لأهمية القضاء وما يتطلبه من الحزم والهيبة فقد كان بعض خلفاء بني أمية يتولونه بأنفسهم ، وأول من جلس منهم لقضاء المظالم عبد الملك بن مروان [١].

وأيضاً : نظَّموا الحسبة ، والشرطة ، استتباباً للأمن ، وحفظاً للنظام ، وتعقباً للجناة والمفسدين .

وعلى كل حال .. فقد كانت إدارة الدولة الأموية إدارة حسنة بصفة عامة ، وانتشر الأمن ، وساد العدل ، وإن شاب ذلك ما يشوبه عادة من بعض القصور والأخطاء ، وقد بذل الأمويون جهداً في إصلاح الدولة الإسلامية ، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير.



(١) انظر : الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط (١٢٩) ، وقد ذكر الشيخ محمود شاكر في التاريخ الإسلامي (٤/٥٥) أنَّ بني أمية لم يتدخَّلوا في القضاء أبداً ، وإنما كانوا يعينون القضاة من خيرة أهل العلم ويدعونهم وشأنهم ، خشية أن تقع منهم حادثة يرجعون فيها إلى القضاء ، لأنَّ معنى ذلك الحكم عليهم ، ولا بدَّ من تنفيذ ما أمر به القاضي ، ولو كانوا هم الحكام . والله أعلم .

- **المطلب الثالث : الحالة العلمية .**

كانت الحركة العلمية بمختلف اتجاهاتها في العصر الأموي امتداداً للحركة العلمية التي بدأت منذ عهد النبي ﷺ ، ونمَت في عهد الخلفاء الراشدين ، وأخذت العلوم تتمايز عن بعضها ، ويصبح لكل منها مدارسه ورجاله بعد أن كانت العلوم ممتزجة بعضها في بعض ، فالرسول ﷺ كان يعلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم ، ويفسِّر لهم ما أبهم عليهم من القرآن الكريم ، وبعد وفاته أصبح أصحابه معلمين لمن بعدهم من التابعين .

ولم يكن الصحابة على درجة واحدة من العلم ، بل كانوا متفاوتين في ذلك ، ومما يشهد لذلك قول مسروق [(١)] : " لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ[(٢)]؛ فالإخاذ يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ يروي المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، فوجدت عبد الله من ذلك الإخاذ " [(٣)].

وقد اشتهر عدد من الصحابة بالعلم دون غيرهم ، كالخلفاء الراشدين ، وعائشة أم المؤمنين ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت الأنصاري ، وأبي الدرداء ، وأبي هريرة ، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم .

وكانت المراكز الرئيسة للحركة العلمية هي المساجد ، ثمَّ بدأت العلوم يمتاز بعضها عن بعض ، وعُرف رجال بالتفسير ، وآخرون بالحديث ، واختصّ غيرهم بالفقه ، مع علمهم بالعلوم الأخرى ، لكنهم اشتهروا بفنون عن فنون .

ثمَّ خطت الحركة العلمية خطوة كبيرة في العصر الأموي ببدء حركة تدوين العلوم، بعد أن كان الصحابة يعتمدون على الذَّاكرة في الحفظ .

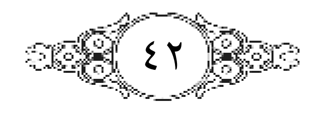
ومنذ منتصف القرن الأول للهجرة تقريباً بدأت حركة التدوين بداية متواضعة ، فيروى أنَّ معاوية بن أبي سفيان أمر بتدوين ما يرويه له في مجلسه من تاريخ الأمم

---

(١) **مسروق** = ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، أبو عائشة الكوفي ، ثقة فقيه عابد مخضرم ، من الثانية، أحد الأعلام ، روى عن : أبي بكر ، ومعاذ ، وروى عنه : إبراهيم ، وأبو إسحاق ، قال عنه الشعبي : ما علمت أطلب منه للعلم ؛ كان أعلم بالفتيا من شريح ، كان يصلي حتى تورم قدماه ، مات سنة ثلاث وستين. انظر : الكاشف (٢/٢٥٦) ، تقريب التهذيب (٥٢٨) .

(٢) **الإخاذ** : الغدير ، انظر : لسان العرب (١/٦٤) .

(٣) انظر : تاريخ مدينة دمشق (٣٣/١٥٧) ، صفوة الصفوة (١/٤٠٣) .



السابقة حيث كان مولعاً بها ، وكذلك عبد العزيز بن مروان [(١)]والي مصر ، أرسل إلى كثيِّر بن مرة الحضرمي[(٢)] أن يكتب له ما سمع من أحاديث رسول الله ﷺ إلا أحاديث أبي هريرة ﷺ لأنها كانت موجودة عنده . وبعدها جاءت الخطوة الحاسمة للتدوين حين أمر عمر بن عبد العزيز أثناء خلافته أبا بكر بن حزم [(٣)] أن يدوِّن أحاديث رسول الله ﷺ خوفاً من ضياع العلم وذهاب العلماء .

ثمَّ تتابعت حركة التدوين ، فدوَّن ابن شهاب الزهري [(٤)]، ويزيد بن أبي حبيب المصري [(٥)]، وغيرهما ، وانتقل التدوين إلى العلوم الأخرى ، فدوّن التفسير والفقه وغيرهما .

وشجَّع الخلفاء الأمويون الحركة العلمية بصفة عامة ، والتدوين بصفة خاصة ، وبدأ في عصرهم ظهور طبقة المعلِّمين ، لأنَّ الخلفاء أنفسهم كانوا مهتمين بتعليم

---

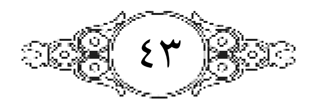
(١) **عبد العزيز بن مروان** = ابن الحكم ، أمير مصر ، أبو الأصبغ المدني ، ولي العهد بعد عبد الملك ، عقد له بذلك أبوه ، واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة ، وله بدمشق دار إلى جانب الجامع هي السميساطية ، مات سنة خمس ثمانين ، وقيل : مات في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ، ومرض ومات بحلوان وهي مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر . انظر : سير أعلام النبلاء (٤/٢٤٩) .

(٢) **كثير بن مرة الحضرمي** = الرهاوي ، أبو شجرة ، ويقال أبو القاسم الحمصي ، روى عن النبي ﷺ مرسلاً ، وعن معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وغيرهم ، روى عنه : خالد بن معدان، ومكحول ، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير ، ونصر بن علقمة ، وآخرون ، شامي تابعي ثقة ، وكان قد أدرك سبعين بدرياً ، مات من السبعين إلى الثمانين . انظر : تهذيب التهذيب (٨/٣٨٣) .

(٣) **أبو بكر بن حزم** = هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قاضى المدينة ، روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، وروى عنه الزهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري قال مالك : لم يكن عندنا بالمدينة أحد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان ولاه عمر بن عبد العزيز ، وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد ، فكتبه له ، ولم يكن على المدينة أنصاري أميراً غير أبى بكر بن حزم . انظر : الجرح والتعديل (٩/٣٣٧) .

(٤) **ابن شهاب** = محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، القرشي مدني ، أبو بكر ، سمع سهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وسنينا أبا جميلة ، وأبا الطفيل ، روى عنه : صالح بن كيسان ، ويحيى بن سعيد ، وعكرمة بن خالد ، مات الزهري سنة أربع وعشرين ومائة بالشام . انظر : التاريخ الكبير (١/٢٢٠) .

(٥) **يزيد بن أبي حبيب** = اسمه سويد الأزدي ، مولاهم ، أبو رجاء المصري ، وقيل غير ذلك في ولائه ، روى عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، وأبي الطفيل ، وأسلم بن يزيد أبي عمران ، وإبراهيم بن عبد الله بن حنين ، وعطاء بن أبي رباح ، كان مفتي أهل مصر في زمانه ، وكان حليماً عاقلاً ، وكان أول من أظهر العلم بمصر والكلام في الحلال والحرام ، كان ثقة ، كثير الحديث ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (١١/٢٧٨) .



أولادهم ، وبخاصة العلوم الإسلامية .

وقد فقدت الكثير من المدونات والمؤلفات التي كتبت في العصر الأموي ، لكنَّ معظم محتوياتها وصلت إلينا في المؤلفات الكثيرة التي أُلِّفت في العصر العباسي .

وبرز من العلوم في عصر الدولة الأموية علم التفسير ببحث بيان معاني كلام الله ، وكان هناك جماعة من التابعين المفسِّرين في ذلك العصر ، على رأسهم : مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، وسفيان ابن عيينة ، وعطاء الخراساني ، وغيرهم .

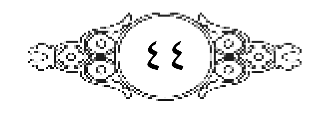
ولم يصل إلينا كتاب في التفسير يرجع إلى العصر الأموي ، وأوّل كتاب في التفسير وصل إلى أيدي الناس هو كتاب معاني القرآن للفرَّاء ، ثمَّ توالت بعده مطولات كتب التفسير ، كجامع البيان للطبري ، وغيره .

وكما ظهرت العناية بعلم التفسير فقد عني بعلم الحديث ، فدوِّن الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ خوفاً من ضياعه ، ثمَّ أقبل المسلمون على هذا العلم وصنَّفوا فيه ، واهتموا به .

وكما دونت السنة ، فقد تميز علم الفقه في العصر الأموي بظهور إمامين جليلين من أئمة الفقه الكبار ، هما : أبو حنيفة النعمان [١]، ومالك بن أنس [٢]، وقد عاصرا

(١) **أبو حنيفة النعمان** = الإمام الحافظ الفقيه ، النعمان بن ثابت التيمي ، أبو حنيفة الكوفي ، مولى بني تيم الله بن ثعلبة ، روى عن : عطاء بن أبي رباح ، وعاصم بن أبي النجود ، وحماد بن أبي سليمان ، وروى عنه : ابنه حماد ، وإبراهيم بن طهمان ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وزفر بن الهذيل ، وأبو يوسف القاضي ، وآخرون . ولد النعمان سنة ثمانين ، كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ ، كان ثقة في الحديث ، ومناقب الإمام أبي حنيفة كثيرة جداً فرضي الله تعالى عنه ، واسكنه الفردوس آمين . تهذيب التهذيب (١٠/٤٠١) .

(٢) **مالك بن أنس** = ابن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن جثيل بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح الأصبحي الحميري ، أبو عبد الله المدني الفقيه ، أحد أعلام الإسلام ، إمام دار الهجرة ، روى عن : عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، ونعيم بن عبد الله المجمر ، وزيد بن أسلم ، ونافع مولى بن عمر ، وآخرون ، وروى عنه الزهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد ، وشعبة بن الحجاج ، والليث بن سعد ، وابن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وآخرون . قال وهيب ليحيى بن حسان: ما بين شرقها وغربها أحداً من عندنا يعني على العلم من مالك ، والعرض على مالك أحب إلي من السماع من غيره .ا..هـ كان ثقة مأموناً ثبتاً ورعاً فقيهاً عالماً حجة ، ولم يكن يروي إلا ما صح ، ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك ، توفي صبيحة أربع عشرة من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ، وكان ابن خمس وثمانين سنة . انظر : تهذيب التهذيب (١٠/٥) .



عدداً آخر من العلماء لا يقلوا عنهما علماً وفقهاً ، مثل : الأوزاعي [(١)]، إمام أهل الشام، والليث بن سعد [(٢)] إمام أهل مصر ، غير أنَّ مذهب هذين الإمامين اندثر بعدهما لأنهما لم يجدا تلاميذ يواصلون نشر مذهبيهما .

وكانت هناك إضافة لذلك : عناية باللغة العربية وعلومها ، وعرف علم النحو في الدولة الأموية ، حيث اختلط العرب بغيرهم ، فأصابهم اللحن والغلط ، فظهر علم النحو الذي أنشأه علي بن أبي طالب ﷺ ، ووضعه أبو الأسود الدؤلي [(٣)].

وكان من أبرز علماء العربية في العصر الأموي الذين طوَّروه وجددوه ، وأضافوا إليه ما زاده بياناً ووضوحاً ، ودونوا فيه المؤلفات : يحى بن يعمر [(٤)]، وعنبسة بن معدان[(٥)]، وعيسى بن عمر الثقفي [(٦)]، ....

---

(١) **الأوزاعي** = عبد الرحمن بن عمرو ، شيخ الإسلام ، أبو عمرو الأوزاعي ، الحافظ الفقيه الزاهد ، روى عن عطاء ، ومكحول ، ومحمد بن إبراهيم التيمي ، ورأى محمد بن سيرين . وروى عنه : قتادة ، ويحيى بن أبي كثير شيخاه ، وأبو عاصم ، والفريابي ، وكان رأساً في العلم والعبادة ، مات في الحمام في صفر سنة سبع وخمسين ومائة . انظر : الكاشف (١/٦٣٨) .

(٢) **الليث بن سعد** = ابن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث المصري ، ثقة ثبت ، فقيه إمام مشهور ، سمع عطاء وابن أبي مليكة ونافعاً ، وروى عنه : قتيبة ، ومحمد بن رمح ، وأمم . ثبت من نظراء مالك ، قيل : كان مغله في العام ثمانين ألف دينار فما وجبت عليه زكاة ، عاش إحدى وثمانين سنة ، مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة . انظر : الكاشف (٢/١٥١) ، تقريب التهذيب (٤٦٤) .

(٣) **أبو الأسود الدؤلي** = ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الديل بن بكر الديلي ، ويقال الدؤلي ، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير ، كان من سادات التابعين وأعيانهم صحب علي بن أبي طالب ﷺ ، وشهد معه وقعة صفين ، وهو بصري وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلاً ، وهو أول من وضع النحو ، وكان قاضي البصرة ، روى عن عمر ، وأبي ومعاذ ، وروى عنه ابنه حرب ، ويحيى بن يعمر ، كان ثقة ابتكر النحو توفي ٦٩هـ . انظر : وفيات الأعيان (٢/٥٣٥) ، الكاشف (٢/٤٠٨) .

(٤) **يحيى بن يعمر** = البصري ، أبو سليمان ، ويقال : أبو سعيد ، ويقال : أبو عدي القيسي الجدلي ، قاضي مرو ، روى عن : عثمان ، وعلي ، وعمار ، وأبي ذر ، وأبي هريرة ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي سعيد، وعائشة ، وجماعة . روى عنه : يحيى بن عقيل ، وسليمان التيمي ، وعبد الله بن بريدة ، وقتادة ، وعكرمة، وعطاء الخرساني ، وغيرهم . كان ثقة ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً باللغة مع الورع الشديد ، وكان نحوياً صاحب علم بالعربية والقرآن ، فقيه أديب نحوي مروزي تابعي وأكثر روايته عن التابعين وأخذ النحو عن أبي الأسود الديلي ، مات سنة تسع وعشرين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (١١/٢٦٦) .

(٥) **عنبسة بن معدان** = الفيل ، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه ، روى الأشعار وظرف وفصح وروى شعر جرير والفرزدق ، انظر : معجم الأدباء (٤/٥١٠) .

(٦) **عيسى بن عمر الثقفي** = أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ، عالم بالنحو والعربية والقراءة ، مشهور بذلك ، أخذ عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين

والخليل بن أحمد الفراهيدي [(١)]، وسيبويه[(٢)]، وغيرهم .

ومما تميز في العصر الأموي أيضاً : علم السير والمغازي والتاريخ ، وهو من أوائل العلوم التي اعتنى بها المسلمون الأوائل ، ومن أشهر من ألف في هذا العصر : محمد بن إسحاق [(٣)]، ويعدّ كتابه أقدم كتاب وصل إلينا في المغازي والسيرة .

وقد برزت أيضاً حركة الترجمة من اللغات الأجنبية ، وقد حافظ الأمويون على التراث الثقافي للبلاد التي كانت تحت حكمهم ، في الإسكندرية [(٤)]،

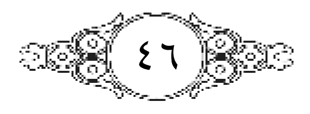
ومائة في خلافة المنصور قبل أبي عمرو بن العلاء بخمس سنين أو ست . انظر : معجم الأدباء (٥١٩/٤) .

(١) **الخليل بن أحمد** = ابن عمر بن تميم ، أبو عبد الرحمن الفراهيدي ، ويقال الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر الأزدي البصري سيد الأدباء في علمه وزهده ، كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وروى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما ، وأخذ عنه الأصمعي وسيبويه والنضر بن شميل وأبو فيد مؤرخ السدوسي وعلي بن نصر الجهضمي وغيرهم ، وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب ، وكان يحج سنة ويغزو سنة ، وكان من الزهاد المنقطعين إلى الله تعالى ، وله من التصانيف : كتاب الإيقاع ، وكتاب الجمل، وكتاب الشواهد ، وكتاب العروض ، وكتاب العين في اللغة ، توفي سنة ستين ومائة وقيل سبعين ومائة وله أربع وسبعون سنة . انظر : معجم الأدباء (٣٠٠/٣) .

(٢) **سيبويه** = أستاذ النحاة ، أبو بشر ، عمر بن عثمان بن قمبر ، مولى بن الحارث بن كعب ، وقيل: مولى الربيع بن زياد الحارث البصري ، وقد اشتهر بلقب (سيبويه) وهو فارسي الأصل ، كانت أمه تحب أن تراقصه وتدلله في الصغر فكانت تناديه (سيبويه) ، وهي كلمة فارسية مركبة وتعني "رائحة التفاح" ، وهو شيخ النحاة من لدن زمانه إلى زماننا هذا ، والناس عيال على كتابه المشهور في هذا الفن ، وقد شرح بشروح كثيرة، وقلَّ من يحيط علماً به ، تتلمذ على يد العديد من كبار الشيوخ والعلماء ، وأخذ العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه ، وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي الخطاب الأخفش الكبير ، وغيرهم ، مات ببلاد شيراز ، في قرية يقال لها البيضاء ، وقيل إنه ولد بهذه وتوفي بمدينة سارة سنة سبع وسبعين ، وقيل ثمان وثمانين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل أربع وتسعين ومائة ، فالله أعلم، وقد ينف على الأربعين ، وقيل بل إنما عمر ثنتين وثلاثين سنة فالله أعلم . انظر : البداية والنهاية (٦٩/١١) .

(٣) **محمد بن إسحاق** = ابن يسار ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبد الله المطلبي ، مولاهم المدني ، الإمام صاحب السيرة ، رأى أنساً ، وروى عن عطاء ، والزهري ، وروى عنه : شعبة والحمادان والسفيانان ويونس بن بكير وأحمد بن خالد ، كان صدوقاً من بحور العلم ، وله غرائب في سعة ما روى تستنكر ، واختلف في الاحتجاج به ، وحديثه حسن ، وقد صححه جماعة ، مات سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقيل سنة اثنتين . انظر : الكاشف (١٥٦/٢) .

(٤) **الأسكندرية** = بلدة قديمة في بلاد مصر ، تنسب للإسكندر بن فيلفوس الرومي ، فتحت سنة عشرين من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب ﷺ على يد عمرو بن العاص بعد قتال وممانعة ، فلما قتل عمر وولي عثمان ﷺ ولى مصر جميعها : عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاع ، فطمع أهل الأسكندرية، ونقضوا ، فقيل لعثمان : ليس لها إلا عمرو بن العاص فإنَّ هيبته في قلوب أهل مصر قوية ، فأنفذه عثمان ففتحها ثانية عنوة ، وسلمها إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وخرج من مصر فما رجع إليها إلا في أيام معاوية . انظر: معجم البلدان (١٨٢/١-١٨٩) .



وبيروت [(١)]، ودمشق[(٢)]، وأنطاكية [(٣)]، ونصيبين [(٤)]، وحران [(٥)]، وغيرها من المدن التي كانت هي أعظم مراكز العلم القديمة .

وقد تأخر الأمويون في العناية بالعلوم الأجنبية لانشغالهم بالجهاد والفتوحات ، وتوطيد الدولة الإسلامية ، وتأسيس العلوم العربية والإسلامية التي سبق الحديث عنها، ولانشغالهم أيضاً بالصراعات الداخلية في الدولة نفسها .

ومما سبق يتَّضح لنا أنَّ الحركة العلمية بلغت أوجاً عظيماً في العصر الأموي ، ولاقت عناية كبيرة ، ولا غرو في ذلك ، فهي معاصرة للصحابة والتابعين ، وفيها كان خيار هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ .

ولا عجب أن يكون فيها أمثال عطاء الخراساني ، في العناية بالتفسير وعلوم القرآن كما كان غيره ، فهو عصر علمي زاهر ، كان فيه أئمة الدنيا وعظماء التاريخ من الرعيل الأول بعد النبي ﷺ وصحابته الكرام .



---

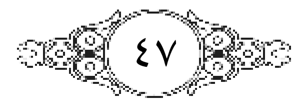
(١) **بيروت** = مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال دمشق ، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ ، ولم تزل بيروت في أيدي المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها بغدوين الأفرنجي الذي ملك القدس في جمعه وحاصرها حتى فتحها عنوة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ٣٠٥هـ . انظر : معجم البلدان (١/٥٢٥) .

(٢) **دمشق** = في الشام ، البلدة المشهورة ، قصبة الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف ؛ لحسن عمارة ، ونضارة بقعة ، وكثرة فاكهة ، ونزاهة رقعة ، وكثرة مياه ، ووجود مآرب ، قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا . انظر : معجم البلدان (٢/٤٦٣) .

(٣) **أنطاكية** = من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير ، وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية ، وقيل إنَّ أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقين اليفز بن سام بن نوح ﷺ ، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم ، انظر : معجم البلدان (١/٢٦٦) .

(٤) **نَصِيْبِيْن** = مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام ، وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها وبين الموصل ستة أسام ، وبين دنيسر يومان عشرة فراسخ ، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها . وهي مدينة وبئة لكثرة بساتينها ومياهها . انظر : معجم البلدان (٥/٢٨٨) .

(٥) **حَرَّان** = مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهي قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، قيل سميت بهاران أخي إبراهيم ﷺ لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران . فتحت في أيام عمر بن الخطاب ﷺ على يد عياض بن غنم ، وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم . انظر : معجم البلدان (٢/٢٣٥) .



- **المطلب الرابع : الحالة الاجتماعية .**

كان المجتمع الإسلامي في العصر الأموي مجتمعاً شاباً يتوقَّد حياة وقوة وفتوة ، وكان فيه من الثراء والقوة العسكرية والاقتصادية ، والنهضة العلمية ما ينبئ بازدهار حضارة عظيمة ، وتخللت تلك الحياة الجادة بعض مظاهر اللهو والتسلية البريئة للترويح عن النفوس .

وقد كان للخلفاء مجالس يعقدونها للمسامرة مع الأقارب والأصحاب ، وكان لتلك المجالس آداب وطقوس خاصة من حيث الكلام على قدر الحاجة ، وأن تكون الألفاظ منتقاة ، وكان الخلفاء يصونون مجالسهم عن الكذب والنفاق ، وكانوا يحبون سماع الشعر في تلك المجالس .

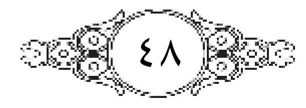
وقد كانت حياة العرب بسيطة ، وخاصة فيما يتعلَّق بالطعام ، ولم يتجاوز أغلب طعامهم صنفاً أو صنفين ، وكان أفضل طعامهم اللحم مع الثَّريد ، ولكن تغيَّر الحال بعد الفتوحات الإسلامية ، واتساع الدولة وكثرة الأموال ، ومخالطة الشعوب في البلاد المفتوحة ، فعرفوا ألواناً من الطعام والشراب ، واستخدموا أدوات للمائدة لم يكونوا يعرفونها من قبل .

وكما توسَّعوا في الطعام فقد توسَّعوا في الملابس والأزياء ، فلبسوا الحرير والديباج والإستبرق ، وكانت الملابس تختلف من فئة إلى أخرى على قدر ثرائها ومراكزها الاجتماعية ، فكانت ملابس الفقهاء تختلف عن ملابس الكتاب ، وهؤلاء تختلف ملابسهم عن ملابس الجند ، وكانت عناية النساء بالملابس أكثر من الرجال ، وتوسَّعن في استخدام الحلي والجواهر من اللآلي واليواقيت والذهب ، وسائر أدوات التجميل .

وكان للمرأة مكانة كبيرة وأثر واضح في الحياة العامة ، ومن أشهر النساء : سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب [1]، وكانت من أعلَم النساء وأظرفهن ، وأحسنهن أخلاقاً ، وكان الشعراء يجتمعون عندها ، وكان لها ذوق رفيع في نقد الشِّعر .

---

(١) **سُكيْنَة بنت الحسين** = ابن علي بن أبي طالب ، أمها الرباب بنت امرئ القيس ، تزوجها مصعب بن الزبير بن العوام ، ابتكرها فولدت له فاطمة ، ثم قتل عنها فخلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، فولدت له عثمان الذي يقال له قرين ، وحكيماً ، وربيحة ، فهلك عنها ، فخلف عليها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فهلك عنها . ماتت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة ، روت عن أهل بيتها ، وروى عنها أهل الكوفة . انظر : طبقات ابن سعد (٨/٤٧٥) ، الثقات (٤/٣٥٢) .



وقد كثرت الجواري من سبايا الحروب في البيوت ، مما كـان لـه أثـره البـالغ في الحياة الاجتماعية ، فقد نقلوا للبيـت العـربي عـادات شـعوبهم وتقاليـدها في الطعـام والشراب والملبس .

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية : الاحتفال بالأعياد والمناسبات ، فقد كان الخلفاء يخرجون في يوم العيد للصلاة في موكب مهيب ، يتقدَّمهم الجند ، ويحيط بهم الأمراء وكبار رجال الدولة ، وتتجاوب أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير ، وتقام الزينات ، وتسطع المشاعل والقناديل في ليالي العيد .

ومما يذكر أيضاً : أنَّ حفلات الزواج قد تطوَّرت في العهد الأموي ، لتجـاري مـا أصبح عليه المجتمع من ترف وثـراء ، بعـد أن كانـت في عهـد الرسـول ﷺ والخلفـاء الراشدين غاية في البـساطة والبعـد عـن التكلّـف ، وقـد بـالغوا في المهـور ، وإقامـة الولائم، وكانت تقام حفلات لختان الأطفال وغيرها .

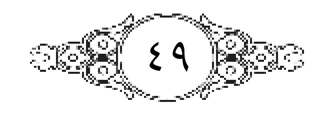
وقد عرفت المجتمعات الإسـلامية في ذلـك العـصر ضـروباً مختلفـة مـن اللـهو واللعب والتسلية ، وعلـى رأسـها الغنـاء الـذي شـغف بـه النـاس كـثيراً ، فـازدهر ، وأصبحت له دور خاصة يقصدها الناس للسماع والمتعة .

وشغل الناس بأنواع من الرياضة ، كالصيد ، وسباق الخيل ، وغيرها .

ويجدر بالذكر أنَّ كل ما سبق من مظاهر الحياة الاجتماعية كان سائداً في كل العالم الإسلامي ، على الرغم من تنوع الأجناس التي ضمَّتها الدولة الأموية .

وعلى كلِّ حال : فالمظاهر الاجتماعية غلب عليهـا التوسَّـع والانفتـاح في الدولـة الأموية ، نظراً للانفتاح على العالم كله من خلال الفتوحات الإسلامية .





❖ المبحث الرابع : سيرته ووعظه . وفيه مطالب :

- المطلب الأول : عبادته وذكره .

اشتهر عطاء الخراساني ﷺ بالعلم والفضل والفتوى والجهاد والعبادة والوعظ ، وعُرِف بذلك [(١)].

وسيرته ﷺ مليئة بالقصص المشرقة ، والأمثلة الحيَّة التي تدلُّ على عبادته وتقواه .

ومن أمثلة حرصه على العبادة :

- كان ﷺ إذا دخل بيته لم يضع ملابسه حتى يأتي مسجد بيته فيصلي ركعتين [(٢)].

- وكان معروفاً بالإكثار من قيام الليل [(٣)] ، يظهر عليه أثر القيام ، ومن ذاق لذَّة العبادة وعظ في الترغيب فيها ، وورد عنه في ذلك أنه قال : " قيام الليل محياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوَّة في البصر والأعضاء كلها ، وإنَّ الرجل إذا قام الليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام عن حزبه أصبح حزيناً مكسور القلب كأنه قد فقد شيئاً وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً " [(٤)].

- ولم يكن يشغله ﷺ العلمِ والتعليم أو الدعوة والجهاد عن صلاة التطوُّع وقيام الليل ، بل كان يعظ ويذكِّر أصحابه بذلك حتى في المغازي .

يقول عبد الرحمن بن يزيد بن جابر[(٥)]: " كنا نغازي مع عطاء الخراساني فكان يحيي الليل صلاة ، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يُسمِعنا : يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، ويا يزيد بن يزيد [(٦)]، ويا

---

(١) انظر : معجم البلدان (٢/٣٥٤) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٤٠/٤٣٢) .

(٣) انظر : الأعلام (٤/٢٣٥) .

(٤) انظر : البداية والنهاية (٩/٢٩٤) .

(٥) **عبد الرحمن بن يزيد بن جابر** : الإمام الحافظ فقيه الشام مع الأوزاعي أبو عتبة الأزدي الدمشقي الداراني ، ولد في خلافة عبد الملك ورأى الكبار وبعض الصحابة ، توفي سنة ١٥٣ وقيل ١٥٤. انظر : سير أعلام النبلاء (٧/١٢٩) .

(٦) **يزيد بن يزيد** = يزيد بن يزيد بن جابر الأزدي الدمشقي ، ثقة صالح بكاء فقيه ، من السادسة ، روى عن : عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الأصم ، وروى عنه السفيانان ، خلف مكحولاً بدمشق ، ثم خرج معهم على الوليد ، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة . انظر : الكاشف (٢/٣٩١) ، تقريب التهذيب (٦٠٦) .

هشام بن الغاز [(١)]، يا فلان ويا فلان ، قوموا وتوضئوا وصلوا ؛ فإنَّ قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ، ومقطعات الحديد ، الوحا الوحا ، النجا النجا [(٢)]، ثم يقبل على صلاته " [(٣)].

- وكان رحمه الله شديد الحرص على الذِّكر واغتنام الأوقات فيه ، ومما ورد عنه في ذلك ما قاله لعمر بن خليفة[(٤)] حيث قال عمر : " سمعت عطاء الخراساني – وصلى معنا المغرب فأخذ بيدي حين انصرفنا – فقال : ترى هذه الساعة مابين المغرب والعشاء ، فإنها ساعة الغفلة وهي صلاة الأوابين ، ومن جمع القرآن فقرأه من أوله إلى آخره في الصلاة كان في رياض الجنة"[(٥)].

- وكان رحمه الله لا يقوم من مجلسه حتى يقول : " اللهم هب لنا يقيناً بك حتى يهون علينا مصيبات الدنيا ، وحتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتبت علينا ، ولا يأتينا من هذا الرزق إلا ما قسمت لنا "[(٦)].

وقد تأسى في هذا بابن عمر رضي الله عنهما وكان ابن عمر يقوله ويقول : " كان رسول الله يفعل هذا "[(٧)].

---

(١) **هشام بن الغاز** = هشام بن الغاز بن ربيعة الجُرَشي الدمشقي ، نزيل بغداد ، ثقة صدوق عابد ، من كبار السابعة ، روى عن عطاء الخراساني ، ومكحول ، وروى عنه : شبابة ، وأبو المغيرة ، مات سنة ست وخمسين ومائة . انظر : الكاشف (٣٣٨/٢) ، تقريب التهذيب (٥٧٣) .

(٢) **الوحى** : العجلة يقولون الوحى الوحى ، والوحاء الوحاء يعني : البدار البدار ، والوحاء الوحاء يعني : الإسراع، والعرب تقول : النجاء النجاء والنجى النجى والنجاك النجاك والنجاءك النجاءك ، وتوح يا هذا في شأنك أي أسرع و وحاه توحية أي عجله . انظر : لسان العرب (١٧٢/١٥) .

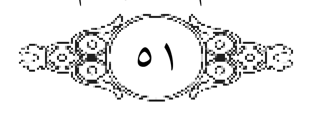
(٣) انظر : المعرفة والتاريخ (٣٧٧/٢) ، التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (٢٢٥) ، الكامل لابن عدي (٣٦٠/٥) ، حلية الأولياء (١٩٣/٥) ، تاريخ دمشق (٤٣٣/٤٠) ، المنتظم (٣٣١/٧) ، صفة الصفوة (١٥١/٤) ، وتهذيب الأسماء (٣٠٧/١) ، تهذيب الكمال (١١٠/٢٠) ، تاريخ الإسلام (٤٩١/٨) ، العبر في خبر من غبر (١٨٢/١) ، ميزان الاعتدال (٩٥/٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤٣/٦) ، مرآة الجنان (٢٨١/١) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٩٣/١) .

(٤) **عمر بن خليفة** = هو ابن أبي خليفة ، حجاج العبدي ، أبو حفص البصري ، قال أبو حاتم : صالح الحديث، مقبول من الثامنة ، مات سنة تسع وثمانين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (٧٣٨٩/٧) ، تقريب التهذيب (٤١٢).

(٥) انظر : حلية الأولياء (٢٢٨/٥) ، صفة الصفوة (١٥٢/٤) .

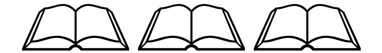
(٦) انظر : اليقين لابن أبي الدنيا (٢٧-٢٨) ، تاريخ دمشق (٤٣٢/٤٠) .

(٧) انظر : السنن الكبرى رقم (١٠٢٣٤) ، المعجم الصغير رقم (٨٦٦) .

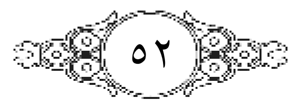


والذِّكر لا يقتصر عند عطاء على اللسان فقط ؛ بل هو أوسع من ذلك ، فمجالس العلم التي يُدرَّس فيها الحلال والحرام من الذِّكر .

يقول ﷺ في ذلك : " مجالس الذِّكر هي مجالس الحلال والحرام " [(١)].



(١) انظر : حلية الأولياء (١٩٥/٥) ، تاريخ دمشق (٤٣٢/٤٠) ، صفة الصفوة (١٥١/٤) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٩٤/٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤٢/٦) .



- **المطلب الثاني : وعظه ونصحه .**

إنَّ الموعظة التي يسبقها قيام ليل وعبادة وصدق وعلم ؛ ليست كموعظة من ليس في نفسه من ذلك شيء .

وقد اشتهر عطاء الخراساني بالوعظ والنُّصح للخلق ، وقد حفظت لنا المصنَّفات من ذلك الكثير عنه ، فمن ذلك :

- قال إبراهيم بن أبي عبلة[(١)] : " كنا نجلس إلى عطاء الخراساني يتكلَّم إذا صلى الصبح بكلمات فغاب ذات يوم فتكلَّم المؤذِّن ، فأنكر رجاء بن حيوة [(٢)] صوته ، فقال : من هذا ؟ فقال : أنا يا أبا المِقدام ، فقال رجاء : اسكت فإنا نكره أن نسمع الخبر إلا من أهله " [(٣)].

- ومن المواعظ التي وردت عنه قوله ﷺ : " إنَّ الجنة حظرت بالصبر والمكاره ، فلا تؤتى إلا من باب صبر أو مكروه ، وإن جهنَّم شعِّبت بالشهوات واللذات ، فلا تؤتى إلا من باب شهوة أو لذة " [(٤)].

وقد استقى هذه الموعظة من قوله ﷺ : « حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » [(٥)].

- ومن مواعظه الطوال هذه الموعظة المؤثِّرة ، التي فيها من النصح والإرشاد والوعظ ، قال ﷺ : " إني لا أوصيكم بدنياكم أنتم بها مستوصون وأنتم عليها حُرَّاص ، وإنما أوصيكم بآخرتكم ؛ تعلمنَّ أنه لن يعتق عبد - وإن كان في الشرف والمال ، وإن قال أنا فلان ابن فلان - حتى يعتقه الله تعالى من النار ؛ فمن أعتقه الله من النار عتق ، ومن لم يعتقه الله من النار كان في أشد هلكة هلكها أحد قط ، فجدُّوا في دار المعتمل لدار الثواب ، وجدوا

---

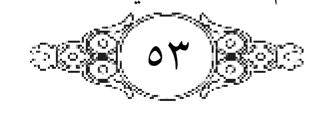
(١) **إبراهيم بن أبي عبلة** : الإمام القدوة ، شيخ فلسطين أبو إسحاق العقيلي الشامي المقدسي ، من بقايا التابعين ولد بعد الستين ، وتوفي سنة مائة وثنتان وخمسون . انظر : سير أعلام النبلاء (٦/٣٢٣) .

(٢) **رجاء بن حيوة بن جرول** : وقيل ابن جزل وقيل ابن جندل ، الإمام القدوة الوزير العادل ، أبو نصر الكندي الأزدي ، ويقال الفلسطيني ، الفقيه ، من جلة التابعين ، قال ابن سعد : كان ثقة عالماً فاضلاً كثير العلم ، توفي سنة مائة وثنتا عشرة . انظر : سير أعلام النبلاء (٤/٥٥٧) .

(٣) انظر : كتاب المعرفة والتاريخ (٢/٢١٨) ، حلية الأولياء (٥/١٧٢) ، التمهيد (٢١/٣) ، وتاريخ دمشق (٤٠/٤٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (٤/٥٦٠) ، تهذيب الكمال (٢٠/١١١) .

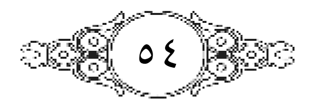
(٤) انظر : كتاب الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (٣٤) .

(٥) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٨٢٣) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب .



في دار الفناء لدار البقاء ، فإنما سميت الدنيا لأنها أدنى فيها المعتمل ، وإنما سميت الآخرة لأن كل شيء فيها مستأخر ، ولأنها دار ثواب ليس فيها عمل ، فالصقوا إلى الذنوب إذا أذنبتم إلى كل ذنب : اللهم اغفر لي ، فإنه التسليم لأمر الله ، والصِقوا إلى الذنوب : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيراً، والحمد لله رب العالمين ، وسبحان الله وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وأتوب إليه ، فإذا نشرت الصحف وجاء هذا الكلام قد ألصقه كل عبد إلى خطاياه رجا بهذا الكلام المغفرة وأذهبت هذه الحسنات سيئاته ، فإنَّ الله تعالى يقول في كتابه : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود : ١١٤] ، فمن خرج من الدنيا بحسنات وسيئات رجا بها مغفرة لسيئاته ، ومن أصرَّ على الذنوب واستكبر عن الاستغفار خرج ذلك اليوم مصرّاً على الذنوب ، مستكبراً عن الاستغفار ، قاصه الحساب وجازاه بعمله ، إلا من تجاوز عنه المتجاوز الكريم ، فإنه لذو مغفرة للناس على ظلمهم وهو سريع الحساب . واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه فوالله لتفارقنها ، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه فوالله لتذوقنه ، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه فوالله لتنزلنها، وهي دار الناس كلهم ؛ ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ لسفره أهبته، وتجهز له بجهازه ، وأخذ للحرِّ ظلالة ، وللعطش مزاداً ، وللبرد لحافاً ، فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط ، ومن خرج إلى سفر لم يتجهز له بجهازه ولم يأخذ له أهبته ندم ، فإذا أضحى لم يجد ظلاً ، وإذا ظمئ لم يجد ماء يرتوي به ، وإذا وجد البرد لم يجد لحافاً فلا أرى رجلاً أندم منه ، وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه ولا يقيم فيه ، فأكيَس الناس من قام بتجهيز لسفر لا ينقطع ، فأخذ في الدنيا لظمأ لا يروى ، فمن آواه الله في ظل عرشه لم يضح أبداً ، ومن أضحى يومئذ لم يستظل أبداً ، ومن قام فأخذ لري لم يعطش أبداً ، فإنَّ من عطش يومئذ لم يرو أبداً ، ومن قام فأخذ لكسوته لم يعرَ أبداً ، فإنه من عري يومئذ لم يُكس أبداً ، لم يأت أحد من الناس ببرائتين ؛ واحدة منهن بعد هول المطلع ، والثانية في القيام بين يدي الجبار تعالى يقضي في رقاب خلقه ما يشاء لا شريك له "[1].

(١) انظر : حلية الأولياء (٥/٢٢١) ، صفة الصفوة (٤/١٥١) .



- ومن مواعظه رحمه الله قوله : " إذا كان خمس كان خمس ؛ إذا أُكل الربا كان الخسف والزلزلة ، وإذا جار الحكام قحط المطر ، وإذا ظهر الزنا كثر الموت ، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية ، وإذا تعدى أهل الذمة كانت الدولة " (١).

ولعلَّه أخذ هذا من قوله ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُوله إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ » (٢).

- وكان كثير الوصايا لطلابه بالحرص على العبادة والخير ، ومن ذلك حثُّه على سنَّة الاعتكاف بعبارة جميلة حين قال : " إنَّ مثل المعتكف مثل المحرم ؛ ألقى نفسه بين يدي الرحمن تعالى فقال : والله لا أبرح حتى ترحمني " (٣).

ومن وصاياه التي أوصى بها أحد طلابه أنه قال له : " إن استطعت أن تخلوا بنفسك عشية عرفه فافعل " (٤)، وفيه حثٌّ له على الخلوة بالله ، والأنس به ، والحرص على البعد عن أعين الناس في مثل هذه المواطن التي يستجاب فيها الدعاء .

ومن مواعظه في الحج وتحفيزه على الخير قوله رحمه الله : " يُغفر للحاجِّ بكلِّ

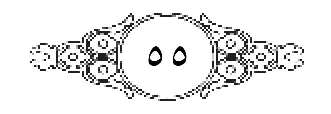
---

(١) انظر : حلية الأولياء (٥/٢٢٧) ، تهذيب الكمال (٢٠/١١٣).

(٢) **حسن** . أخرجه ابن ماجه في سننه برقم : (٤٠١٩) في كتاب الفتن ، باب العقوبات ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه . وقال عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٣٦٧) : غريب ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٣٢٠) : رجاله ثقات .

(٣) انظر : الكامل لابن عدي (٥/٣٥٩) ، بدائع الصنائع (٢/١٠٨) .

(٤) انظر : حلية الأولياء (٥/١٩٧) .



حصاة من حصى الجمار كبيرة من الكبائر " [(١)].

- وقد فهم من قول الله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ [الدخان : ٢٩] ، أنَّ السماء والأرض تبكيان لفقد عمل العبد الصالح إذا مات [(٢)]، فقال ﷺ : " ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت "[(٣)].

- ومن نصحه : أننا نجده ﷺ يخاطب أصحابه بعبارة تشبيهية جميلة تجمع بين اللطف والتحذير بهذه الكلمات التربوية فيقول : " لَلْعَيْب أسرع إلى من يتحرَّى الخير من الرَّسْم في الثوب الجديد"[(٤)].

ولعلَّه أراد أنَّ من يتحرَّى الخير يرمقه الناس بأبصارهم ، وينظرون إلى عمله ، وهو قدوة للناس في ذلك ، فليحذَر العيب الظاهر ، فهو كالثوب الجديد إذا رسم فيه ، أو إذا أصابه شيء من الدَّسم والوسخ ، فليكن صاحب الخير نزيهاً ، فإنه إنْ سقط في عيب التزق به وسرى بين الناس عيبه فعابوه ، فهو ظاهر بين الناس بائن محل نظر وتمعُّن ، وهو ليس كمن لا يُعرف ، فإنَّ ذاك لو تلطَّخ بالعيوب فلن يراه إلا مَن حوله .

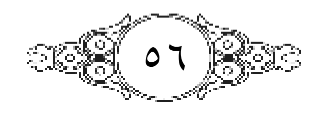
- ومن جميل وصاياه في الأخوة في الله ، قوله ﷺ : " تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا مشاغيل فأعينوهم، وإن كانوا نسُوا فذكروهم ، وكان يقال : امشِ ميلاً وعُدْ مريضاً ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثاً وزرْ أخاً في الله " [(٥)].

- وكان يقول : " الرفيق قبل الطريق ، والجار قبل الدار " [(٦)].

ولعلَّه أخذ ذلك من قول امرأة فرعون : ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم : ١١] ، فاختارت الجار قبل الدار .

---

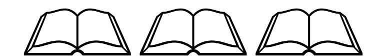
(١) انظر : أخبار مكة للفاكهي (٤/٢٩٥) .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤/١٨١) .
(٣) انظر : حلية الأولياء (٥/١٩٧) ، صفة الصفوة (٤/١٥٢) .
(٤) انظر : حلية الأولياء (٥/١٩٧) ، تهذيب الكمال (٢٠/١١٢) .
(٥) انظر : حلية الأولياء (٥/١٩٨)، تهذيب الكمال (٢٠/١١٣).
(٦) انظر : الكنى والأسماء للدولابي (٣/٩٥٣) .



- ومن وصاياه في التحذير من كيد الشيطان في إشغال المسلم عن ذكر الله عز وجل بعبارة جميلة ، قوله ﵀ : " لإبليس كحل يكحل به الناس ، النُّوم عند الذِّكر كُحل إبليس" [١].

ويبيِّن حقيقة الابتلاء في الدنيا ، وأنه لا يسلم أحد من البلاء فيها ، فمن فرح فيها اغتمَّ ، حتى إنه قد لا يتمّ اليوم على فرحه وسروره ، فيقول : "المؤمن لا يتمُّ له فرح يوم " [٢].

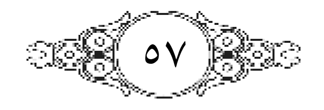
فمن خلال ما سبق يظهر وعظه ﵀ ونصحه لعباد الله .



---

(١) انظر : الكامل لابن عدي (٥/٣٦٠) ، حلية الأولياء (٥/١٩٩) ، تاريخ دمشق (٤٠/٤٣٢) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٤٠/٤٣٤) .



- **المطلب الثالث : حرصه على العلم والعلماء .**

- كان عطاء الخراساني حريصاً على العلم وأهله ، كثير الوصية به ، ومن وصاياه لطلبة العلم في التأدب بأدب الطلب ، قوله ﵀ : " لا ينبغي للعالِم أن يعدو صوته مجلسه ، وقال : مجالس العلم ربض بعضهم خلف بعض " [(١)].

وقوله : " لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس ، حتى يكون عالماً باختلاف الناس ؛ فإن لم يكن كذلك ردَّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يده " [(٢)].

ومن جميل توجيهه ﵀ قوله : " لقد وُلِدَ لي ؛ وما أسمع عالماً يقول : أرى ، ولا أسمع متعلِّماً يقول لعالم : كيف ترى ؟ ، أمَّا العالم فيقول : سمعت كذا وكذا ، والمتعلِّم يقول : كيف سمعت أصلحك الله في كذا وكذا"[(٣)].

وهو يحكي بذلك أدب العلماء وتواضعهم ، وأنَّهم لم يكونوا محكِّمين لآرائهم ، وإنما مستدلِّين مطبِّقين للعلم دون عجب وغرور .

- ويتحدَّث بلغة الرَّجاء عن نفسه فيقول ﵀ : " إنَّ أوثق عمَلي في نفسي نشري العلم "[(٤)].

- وكان حريصاً على الأخذ من أهل العلم ، والنَّهل من معينهم ، وما كان لمثل عطاء الخراساني أن يصل إلى ما وصل إليه بدون أدبٍ جمٍّ ، وتواضع مع العلم وأهله ، فالذلُّ للعلماء مفتاح كنوزهم الثمينة ، والترفع عنهم حرمان من الخير كله .

- يروي ابنه عثمان بن عطاء الخراساني قصة أبيه مع شيخه عطاء بن أبي رباح ﵀ فيقول : " انطلقت مع أبي وهو يريد هشام ابن عبد الملك فلما قربنا

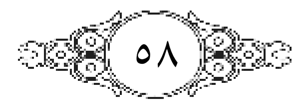
---

(١) انظر : حلية الأولياء (١٩٩/٥) ، الجامع لأخلاق الراوي (٤١٢/١) ، أدب الإملاء والاستملاء (٤٩) ، تهذيب الكمال (١١٣/٢٠) .

(٢) انظر : جامع بيان العلم وفضله (٤٦/٢) ، إيقاظ الهمم (٣٢) .

(٣) انظر : ذم الكلام وأهله (٢/٣) .

(٤) انظر : حلية الأولياء (١٩٩/٥) ، تاريخ مدينة دمشق (٤٣١/٤٠) ، صفة الصفوة (١٥٢/٤) ، تهذيب الكمال (١١٣/٢٠) ، تاريخ الإسلام (٤٩١/٨) ، والعبر في خبر من غبر (١٨٢/١) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٩٤/٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤٢/٦) .



إذا شيخ أسود على حمار عليه قميص دريس [(١)]، وجبة دنسة ، وقلنسوة لاطية[(٢)] دنسة ، وركاباه من خشب ، فضحكت ، وقلت لأبي : من هذا الأعرابي ؟ قال : اسكت هذا سيد فقهاء أهل الحجاز ، هذا عطاء بن أبي رباح، فلما قرُبت نزل أبي عن بغلته ، ونزل هو عن حماره ؛ فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا ، فانطلقا حتى وقفا بباب هشام ، فلما رجع أبي سألته فقلت : حدثني ما كان منكما ؟ ، قال: لما قيل لهشام : عطاء بن أبي رباح ؟ أذن له ، فوالله ما دخلت إلا بسببه ، فلما رآه هشام قال : مرحباً مرحباً ها هنا ها هنا ، فرفعه حتى مسَّت ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا ، فقال هشام : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله ﷺ يُقسم فيهم أُعطياتهم وأرزاقهم ، قال : نعم ، يا غلام اكتب لأهل المدينة ولأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة ، ثمَّ قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام تُردُّ فيهم فضول صدقاتهم . قال : نعم . اكتب يا غلام بأن تُرد فيهم صدقاتهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم. يا أمير المؤمنين أهل الثغور ، يرمون من وراء بيضتكم ، ويقاتلون عدوكم ، قد أجريتم لهم أرزاقاً تدرها عليهم فإنهم إن هلكوا غُزيتم قال : نعم. اكتب تُحمل أرزاقهم إليهم يا غلام ، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم . يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم ؛ لا تُجبى صغارهم ، ولا تتعتع كبارهم ، ولا يكلفون ما لا يطيقون ، فإنَّ ما تجبونه معونة لكم على عدوكم . قال : نعم . اكتب يا غلام بأن لا يُحمَّلوا ما لا يطيقون . هل من حاجة غيرها؟، قال : نعم . يا أمير المؤمنين اتق الله في نفسك ؛ فإنك خلقت وحدك، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتُحاسب لا والله ما معك ممن نرى أحد .

قال وأكبَّ هشام ، وقام عطاء فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري ما فيه أدراهم أم دنانير وقال : إنَّ أمير المؤمنين أمرَ لك بهذا ، قال :

---

(١) **دَّريس** : الدريس هو الثوب الخَلِق . انظر : لسان العرب (٥/٢٤٤) مادة : درس .

(٢) **لاطية** : اللط هو الإلصاق ، والقلنسوة اللاطية : هي اللازقة . انظر : لسان العرب (١٣/٢٠٠) مادة : لطأ .

لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على رب العالمين ، قال : ثم خرج عطاء ولا والله ما شرب عندهم حسوة من ماء فما فوقه "[1] .

- وكان عطاء الخراساني يحسِن استغلال الفرص إذا رأى عالماً أو شيخاً استنصحه ، وهذا دليل على حبِّه للعلم والتزوُّد منه ، ومما يشهد لهذا ما جاء عن واصل مولى أبي عيينة[2] قال : " كنت مع محمد بن واسع[3] بمرو[4] ، فأتاه عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان ، فقال عطاء لمحمد : أي عمل في الدنيا أفضل ؟ قال : صحبة الأصحاب ، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى "[5].

- ومن ذلك أيضاً ما حدَّث به عن نفسه حيث قال : " لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت ، فقلت : حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال : نعم ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داوود : يا داوود ، أما وعزتي وعظمتي ، لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي ، أعرف ذلك من نيته ، فتكيده السماوات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن : إلا جعلت له من بينهن مخرجاً ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني ، أعرف ذلك من نيته : إلا قطعت أسباب السماء من يده ، وأسخت الأرض من تحت قدميه ، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك "[6].

---

(١) انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٠/٣٦٨) .

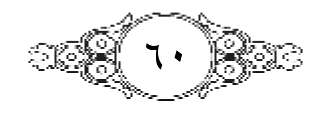
(٢) **واصل** = مولى أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة ، صدوق عابد من السادسة ، روى عن : الحسن ، وابن بريدة ، وروى عنه : شعبة ، وعبد الوارث ، ثقة حجة . انظر : الكاشف (٢/٣٤٦) ، تقريب التهذيب (٥٧٩) .

(٣) **محمد بن واسع** = ابن جابر بن الأخنس الأزدي ، أبو بكر أو أبو عبد الله البصري ، ثقة عابد زاهد كثير المناقب ، عظيم الشأن ، روى عن أنس ، ومطرف بن الشخير ، والحسن ، وروى عنه الحمادان ، وهمام ، من الخامسة ، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة . انظر : الكاشف (٢/٢٢٨) ، تقريب التهذيب (٥١١) .

(٤) **مرو** = أشهر مدن خراسان وقصبتها ، والنسبة إليها : مروزي على غير قياس ، والثوب مروي على القياس ، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً ، وقد أخرجت مرو عن الأعيان والعلماء العظام أمثال الإمام أحمد بن حنبل ، وسفيان الثوري ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، وغيرهم . انظر : معجم البلدان (٥/١١٢-١١٧) .

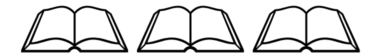
(٥) ذكره عنه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء (٢٣) ، وفي كتاب الإخوان (١٠٠) .

(٦) ذكره عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٣٤) معزواً للإمام أحمد – ولم أقف عليه في المسند – ، وذكره صاحب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (١٣٢) .



- ومن صدقه ﷺ أنَّه كان يستمع لنصيحة الناصحين ويعمل بها ، لأنه يرى أنه محتاج لها ، فلا يترفَّع عنها ؛ سواء كانت ممن يكبره بالعلم والمعرفة، أو كانت ممن يصغره ، وها هو موقف يرويه عن نفسه مع مكحول[1] رَحِمَهُمَاالله فيقول : " أقبلت أنا ومكحول نريد هشام بن عبد الملك وهو بالرصافة[2] يومئذ فانتهينا إلى واسط الرقة[3] فإذا نحن بخصيف بن عبد الرحمن[4]يحدِّث فوقفنا عليه فقلنا : حدثنا - يرحمك الله – فتأملنا فقال : العلماء إذا ما عُرفوا غابوا ، وإذا ما غابوا طُلبوا ، وإذا ما طُلبوا هربوا ، قال : فالتفت أحدنا إلى صاحبه فقال موعظة ، فأكفينا رؤوس رواحلنا فرجعنا إلى منازلنا ولم نأتِ هشاماً " [5].

- ومن تواضعه ﷺ أنه لا يهمُّه حال المدعوِّين أهم من علية القوم أو من أصاغرهم ، فالأمر عنده سواء ، ومن ذلك أنه إذا لم يجد أحداً يحدثه ممن يحضر له أتى المساكين فحدثهم ، وكان يريد بذلك أيضاً أن يثبِّت الحفظ عنده [6] .



(١) **مكحول** = مكحول الشامي ، أبو عبد الله ، ثقة فقيه كثير الإرسال ، مشهور ، من الخامسة ، روى عن عائشة، وأبي هريرة ، مرسلا ، وعن واثلة ، وأبي أمامة ، وكثير بن مرة ، وجبير بن نفير . وروى عنه : الزبيدي ، والأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، مات سنة بضع عشرة ومائة . انظر : الكاشف (٢/٢٩١) ، تقريب التهذيب (٥٤٥) .

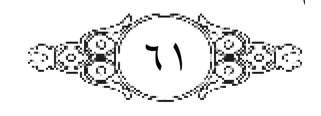
(٢) **الرصافة** : رصافة هشام بن عبدالملك في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف . انظر : معجم البلدان (٣/٤٧) .

(٣) **واسط الرقة** : استحدثها كذلك هشام بن عبد الملك ، وواسط هذه قرية غرب الفرات مقابل الرقة . انظر: معجم البلدان (٥/٣٥٢).

(٤) **خصيف بن عبدالرحمن** : الإمام الفقيه أبو عون الحضرمي الأموي ، مولاهم الجزري الحراني . وثقة ابن معين وقال أحمد : ليس بحجة ، صدوق سيء الحفظ ، خلط بآخره ، ورمي بالإرجاء ، من الخامسة ، مات سنة ست أو سبع وثلاثين ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء (٦/١٤٥) ، تقريب التهذيب (١٩٣) .

(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/٣٢٦٦) .

(٦) انظر : حلية الأولياء (٥/١٩٥) ، تاريخ دمشق (٤٠/٤٣١) ، تاريخ الإسلام (٨/٤٩١) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٤٢) .



- **المطلب الرابع : عقيدته ومذهبه .**

- عُرِف عطاء الخراساني بسلامة عقيدته ، ونقاء توحيده لله ، ومن ذلك حبُّه للسنة ، وتحذيره من البدع وأصحابها ، وإنَّ من أشهر أقواله في ذلك قوله ﷺ : " أبى الله أن يأذن لصاحب البدعة بتوبة "[1].

ولعله أراد المصرَّ على بدعته ، المقيم عليها – أعاذنا الله من ذلك – [2].

- وكان لا يحبُّ أهل البدع وربما أخرجهم من المسجد ، ومن ذلك ما قاله سويد بن عبد العزيز [3] : رأيت عطاء الخراساني آخذ برِجل ثور بن يزيد[4] في مسجد بيت المقدس يجرُّه ، يخرجه من المسجد ، فقام إليه إسماعيل بن عياش وطلبه إليه حتى تركه ، لكلامه في القدر [5].

- ومن رفقه وتثبُّته في عدم رمي الناس بالبدع ، وعدم الحكم عليهم بكلام الناس ؛ ما روي من أنه اجتمع ﷺ مع وهب بن منبه بمكة فقال له عطاء: يا أبا عبد الله .. ما كتب بلغني أنها كُتِبَت عنك في القدر ؟ ، فقال وهب: ما كتبت كتباً ولا تكلَّمت في القدر بشيء ، ثم قال وهب : قرأت نيِّفاً[6]وسبعين كتاباً من كتب الله عز وجل ، منها نيف وأربعون ظاهرة في الكنائس ، ومنها نيف وعشرون لا يعلمها إلا قليل من الناس ، فوجدت فيها

---

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي(١/١٤١) ، حلية الأولياء (٥/١٩٨) ، تهذيب الكمال (٢٠/١١٢) .

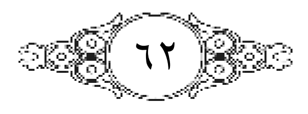
(٢) **فائدة** : البدعة بِدْعَتَان : بدعة هُدًى ، وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمَرَ اللّه به ورسوله ﷺ فهو في حَيِّز الذّم والإنكار ، وما كان واقعاً تحت عُموم ما نَدب اللّه إليه وحَضَّ عليه اللّه أو رسوله فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنَوْع من الجُود والسخاء وفعْل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورَدَ الشرع به . انظر : النهاية في غريب الأثر (١/١٠٦) .

(٣) **سويد بن عبد العزيز** = ابن نمير السلمي ، مولاهم ، أبو محمد الدمشقي ، قاضي بعلبك ، ثم نائب الحكم بدمشق ، روى عن أبي الزبير ، وعاصم الأحول ، وتلا على يحيى الذماري ، وروى عنه : دحيم ، ومحمد بن مصفى ، ضعيف ، قال عنه البخاري : في حديثه نظر لا يحتمل ، من كبار التاسعة مات سنة أربع وتسعين ومائة . انظر : الكاشف (١/٤٧٢) ، تقريب التهذيب (٢٦٠) .

(٤) **ثور بن يزيد** = أبو خالد الحمصي ، ثقة ثبت ، إلا أنه يرى القدر ، روى عن خالد بن معدان ، وعطاء ، وروى عنه : يحيى القطان ، وأبو عاصم ، وخلق ، أخرجوه من حمص وأحرقوا داره ، من السابعة ، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة . انظر : الكاشف (١/٢٨٥) ، تقريب التهذيب (١٣٥) .

(٥) أخرجه الفريابي في القدر (٢٢١) .

(٦) **النيف** : ما زاد على العَقْدِ من واحد إلى ثلاثة .



كلها : أنَّ من وكل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر [(١)].

- وكان حريصاً على جماعة المسلمين ، ولمِّ شتاتهم ، من ذلك ما أخرجه اللالكائي عن ثابت بن العجلان [(٢)]، قال : أدركت أنس بن مالك ، وابن المسيب ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ، والشعبي [(٣)]، وإبراهيم النخعي[(٤)]، وعطاء بن أبي رباح ، وطاوساً [(٥)]، ومجاهداً ، وعبد الله بن أبي مليكة، والزهري ، ومكحولاً ، والقاسم أبا عبد الرحمن [(٦)]، وعطاء الخراساني، وثابتاً البناني [(٧)]، والحكم بن عتبة [(٨)]، وأيوب السختياني [(٩)]،

(١) أخرجه الفريابي في القدر (٢٥٩) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٨٣/٤) .

(٢) **ثابت بن العجلان** = الأنصاري ، أبو عبد الله الحمصي ، نزل إرمينية ، صدوق صالح الحديث ، من الخامسة، روى عن أنس ، وابن المسيب ، وروى عنه : بقية ، ومحمد بن حمير . انظر : الكاشف (٢٨٢/١) ، تقريب التهذيب (١٣٢) .

(٣) **الشعبي** = عامر بن شراحيل الشعبي ، أبو عمرو ، ثقة مشهور فقيه فاضل ، من الثالثة ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه ، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢٨٧) .

(٤) **إبراهيم النخعي** = إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، أبو عمران الكوفي الفقيه ، ثقة ، إلا أنه يرسل كثيراً ، كان عجباً في الورع والخير ، متوقياً للشهرة ، رأساً في العلم ، من الخامسة ، مات سنة ست وتسعين وهو ابن خمسين أو نحوها . انظر : الكاشف (٢٢٧/١) ، تقريب التهذيب (٩٥) .

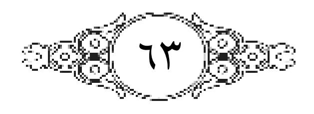
(٥) **طاووس** = ابن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري ، مولاهم الفارسي ، يقال : اسمه ذكوان وطاوس لقب ؛ قال بن معين لأنه كان طاوس القراء ، ثقة فقيه فاضل ، من الثالثة ، روى عن : أبي هريرة ، وابن عباس ، وعائشة ، وروى عنه : الزهري ، وسليمان التيمي ، وعبد الله ابنه ، قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً مثله قط ، مات سنة ست ومائة . انظر : الكاشف (٥١٢/١) ، تقريب التهذيب (٢٨١) .

(٦) **القاسم** = ابن عبد الرحمن ، أبو عبد الرحمن الدمشقي ، مولى بني أمية ، روى عن : علي وسلمان مرسلاً ، وعن معاوية ، وعمرو بن عبسة ، وقيل : لم يسمع من صحابي سوى أبي أمامة ، وروى عنه : ثابت بن عجلان ، وثور ، ومعاوية بن صالح ، قال يحيى الذماري عنه : لقيت مائة صحابي صدوق مات سنة اثنتي عشرة بعد المائة . انظر : الكاشف (١٢٩/٢) ، تقريب التهذيب (٤٥٠) .

(٧) **ثابت البناني** = ثابت بن أسلم البُناني ، أبو محمد البصري ، ثقة عابد ، من الرابعة ، روى عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وخلق ، وروى عنه : الحمادان ، وأمم ، وكان رأساً في العلم والعمل ، مات سنة بضع وعشرين ومائة ، وله ست وثمانون . انظر : الكاشف (٢٨١/١) ، تقريب التهذيب (١٣٢) .

(٨) **الحكم بن عتبة** = أو ابن عُتَيبة ، أبو محمد الكندي الكوفي ، مولي عدي بن عدي الكندي ، ثقة ثبت فقيه ، إلا أنه ربما دلس ، من الخامسة ، مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها وله نيف وستون . انظر : تهذيب الكمال (١١٤/٧) ، تقريب التهذيب (١٧٥) .

(٩) **أيوب السختياني** = أيوب بن أبي تميمة ، كيسان السختياني ، أبو بكر البصري ، الإمام ، ثقة ثبت حجة ، من كبار الفقهاء العباد ، من الخامسة ، قال شعبة : ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون . انظر : الكاشف (٢٦٠/١) ، تقريب التهذيب (١١٧) .



وحماداً [١]، ومحمد بن سيرين [٢]، وأبا عامر [٣]، - وكان قد أدرك أبا بكر الصديق - ، ويزيد الرقاشي [٤]، وسليمان بن موسى [٥]، كلهم يأمرونني في الجماعة ، وينهونني عن أصحاب الأهواء [٦].

- ومما يدلُّ على سلامة توحيده وإيمانه ، ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ عن القاسم بن سلاَّم [٧] أنه ذكر عطاء الخراساني من ضمن من يعتقد أنَّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، عطاء بن مسلم ، ممن سكن العواصم وغيرها من الجزيرة [٨].

- ومن أقواله ﷺ في الإيمان : " ثلاث لا تنفع اثنتان دون الثالثة : الإيمان، والصلاة ، والجماعة " [٩].

---

(١) **حمَّاد** = حماد بن سلمة بن دينار ، الإمام ، أبو سلمة ، أحد الأعلام ، ولاؤه لقريش ، روى عن سلمة بن كهيل ، وابن أبي مليكة ، وروى عنه : شعبة ، ومالك ، وأبو نصر التمار ، قال ابن معين : إذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الإسلام ، ثقة صدوق يغلط وليس في قوة مالك ، تغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة، مات سنة سبع وستين ومائة . انظر : الكاشف (١/٣٤٩) ، تقريب التهذيب (١٧٨) .

(٢) **محمد بن سيرين** = الأنصاري ، أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، ثقة ثبت عابد كبير القدر ، كان لا يرى الرواية بالمعنى ، من الثالثة ، روى عن أبي هريرة ، وعمران بن حصين ، وروى عنه : ابن عون ، وهشام بن حسان ، وقرة ، وجرير ، ثقة حجة كبير العلم ، ورع بعيد الصيت ، له سبعة أوراد بالليل ، مات في تاسع شوال عشر ومائة . انظر : الكاشف (٢/١٧٨) ، تقريب التهذيب (٤٨٣) .

(٣) **أبو عامر** = أبو عامر الأشعري صحابي اسمه عبد الله ، وقيل عبيد بن هانئ ، أو ابن وهب ، روى عنه ابنه عامر مات زمن عبد الملك . انظر : تقريب التهذيب (٦٥٣) .

(٤) **يزيد الرقاشي** = يزيد بن أبان الرقاشي ، أبو عمرو البصري القاص ، الزاهد القاص ، روى عن أنس والحسن، وروى عنه : صالح المري ، وحماد بن سلمة ضعيف ، من الخامسة ، مات قبل العشرين . انظر : الكاشف (٢/٣٨٠) ، تقريب التهذيب (٥٩٩) .

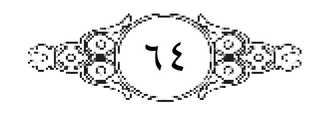
(٥) **سليمان بن موسى** = الأموي ، مولاهم الدمشقي ، الأشدق ، أحد الأئمة ، روى عن : واثلة ، وكثير بن مرة، ومكحول ، وروى عنه : الأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين ، وخولط قبل موته بقليل ، من الخامسة ، توفي سنة تسع عشرة بعد المائة . انظر : الكاشف (١/٤٦٤)، تقريب التهذيب (٢٥٥) .

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٣٢-١٣٣) .

(٧) **القاسم بن سلاَّم** = البغدادي ، أبو عبيد ، الإمام المشهور ، فاضل مصنف ، من العاشرة ، عاش ثمان وستين سنة ، وكان ثقة علامة ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين . انظر : الكاشف (٢/١٢٨) ، تقريب التهذيب (٤٥٠) .

(٨) مجموع الفتاوى (٧/٣١٠) .

(٩) الإبانة الكبرى لابن بطة – الكتاب الأول – الإيمان (١/٣٢٣) .



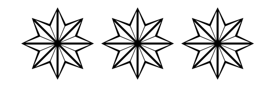
- وقال أيضاً : " ثلاثة لم تكن منهن واحدة في أصحاب رسول الله ﷺ : لم يحلِف أحد منهم على قسامة ، ولم يكن فيهم حروري ، ولم يكن فيهم مكذِّب بالقدر " (1).

- وكان عطاء الخراساني رحمه الله حريصاً على السنَّة متَّبعاً لها في حياته ، ومن ذلك : ما رواه عمر بن المثنى الأشجعي(2)قال : رأيت عطاء الخراساني ببيت المقدس توضَّأ فمسح على خفيه ، فقلت : تفعل هذا ؟ ، قال : وما يمنعني أن أفعله ، وقد حدثني أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ كان يفعله (3).

- وكان ناصحاً بالسنَّة حريصاً على نشرها ، فقد جاء أنَّ عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يصلي العتمة لساعتين يمضيان من الليل ، فجاءه عطاء الخراساني فحدَّثه حديثاً ؛ فأخَّرها ساعة (4).

- ومن حرصه أيضاً على السنَّة قوله رحمه الله : " لما رأيت الصحاف الصغار قد ظهرت ، عرفت أنَّ البركة قد رفعت " (5).

ولعله أراد بذلك سنَّة اجتماع الناس على الأكل بدلاً من تفرُّقهم على صحاف صغيرة ، أخذاً من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَى اللَّهِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الأَيْدِي » (6).



(1) حلية الأولياء (5/199) .

(2) **عمر بن المثنى الأشجعي الرقي** = سمع عطاء بن ميسرة الخراساني ببيت المقدس ، واجتاز بدمشق أو بأعمالها في طريقه ، روى عن عطاء الخراساني ، وروى عنه : عمر بن عبيد الطنافسي ، والعلاء بن هلال ، وهو مستور من الثامنة . انظر : الكاشف (2/68) ، تقريب التهذيب (1/416) .

(3) تاريخ مدينة دمشق (45/335) .

(4) مسند الشاميين (3/295) .

(5) حلية الأولياء (5/199) ، تهذيب الكمال (20/112) .

(6) **حسن** . أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (2045) ، والبيهقي في شعب الإيمان (9622) ، والطبراني في المعجم الأوسط (7317) ، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (2401) ، وحسَّنه العراقي في تخريج الأحياء (2/453) ، والألباني في السلسلة الصحيحة (895) لشواهده ، وفي صحيح الجامع (171) .

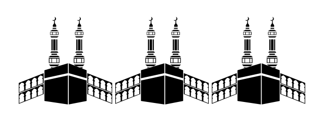
❖ **المبحث الخامس : وفاته** [١].

ذكر ابن عساكر – بسنده – إلى حاتم بن بشر[٢] قال : "مرض جدي عطاء الخراساني فدخل عليه محمد بن واسع يعوده ، قال : سمعت الحسن يقول: " إنَّ العبد ليبتلى في ماله فيصبر ، ولا يبلغ ذلك الدرجات العلى ، ويبتلى في ولده فيصبر ، ولا يبلغ بذلك الدرجات العلى ويبتلى في بدنه فيصبر، فيبلغ بذلك الدرجات العلى " ، قال : وكان عطاء مرض ثمانية مرضات" [٣].

ثم توفي عطاء الخراساني ؒ بأريحا فحمل إلى بيت المقدس ، ودفن به[٤]، وكانت وفاته سنة ١٣٥هـ وقيل ١٣٣هـ ، والأول أشهر وأصح [٥].

فقُبِض هذا العَلَمُ المِفضَال ، وبقي عِلْمه الجمّ ، وطويت خمسة وثمانون سنة عُمرت بالعلم والعبادة والدعوة إلى الله .

فرحم الله هذا الحبْر ، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء ، وجمعنا به مع النبي الكريم محمد ﷺ في دار البقاء .. آمين ..



---

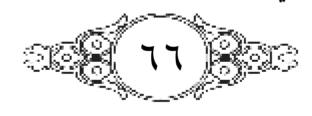
(١) من اللطائف أنَّ ولادة عطاء الخراساني كانت في عصر أول خليفة أموي ، ووفاته كانت في عصر أول خليفة عباسي ، انظر : تاريخ الخلفاء (١٨١) ، (٢٣٨) .

(٢) لم أجد له ترجمه . ولم أعرف إلا أنه حفيد عطاء الخراساني من خلال هذه القصة .

(٣) انظر : المرض والكفارات لابن أبي الدنيا (٧٩) ، شعب الإيمان (٢٠١/٧) ، تاريخ دمشق (٤٠/ ٤٣٥-٤٣٦) .

(٤) انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٣٦/٤٠-٤٣٧) ، تهذيب الأسماء (٣٠٧/١) ، تهذيب الكمال (١١٤/٢٠) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٩٥/٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤٣/٦) .

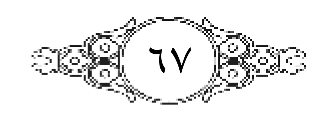
(٥) انظر : المراجع السابقة ، التاريخ الكبير (٤٧٤/٦) ، الكامل لابن عدي (٣٥٨/٥) ، مولد العلماء ووفياتهم (٣١٩/١) ، حلية الأولياء (٢٠٠/٥) ، التمهيد (٢/٢١) ، الأنساب (٣٣٧/٢) ، صفة الصفوة (١٥٢/٤)، الكامل في التاريخ (٩٧/٥) ، تاريخ الإسلام (٤٩١/٨) ، مرآة الجنان (٢٨١/١) ، تهذيب التهذيب (١٩٠/٧) ، طبقات المفسرين للداودي (٢٦٤) ، شذرات الذهب (١٩٢/١) .



الفصل الثاني :
السيرة العلمية للإمام عطاء الخراساني

وفيه مباحث :

- **المبحث الأول** : رحلاته العلمية .
- **المبحث الثاني** : سماعه من ابن عباس رضي الله عنهما .
- **المبحث الثالث** : شيوخه .
- **المبحث الرابع** : تلاميذه .
- **المبحث الخامس** : فقهه .
- **المبحث السادس** : مؤلفاته .
- **المبحث السابع** : مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .



❖ المبحث الأول : رحلاته العلمية :

لقد كان ديدن أهل العلم من عصر الصحابة بل من لدن الأنبياء والرسل السابقين التنقل والرحلة في طلب العلم ، وقطع المفاوز الصعبة ، والفيافي الوعرة من أجل تحصيل مسألة أو فهم معنى آية أو حديث ، وهم مع ذلك يلتمسون فوق الفهم والتعلم ثواب الله في الآخرة ، فلم يتركوا رحلات العلم تعلُّماً وتعليماً .

يقول الإمام الذهبي ﷺ عن عطاء الخراساني : " عطاء الخراساني عالم رحل وطوَّف ، وسكن الشام "[(١)].

وقد حفظ لنا التاريخ شيئاً من أسفار عطاء الخراساني ، ورحلاته ، فمن ذلك : رحلته للعراق والبصرة[(٢)].

ومنها : رحلته التي استقر بعدها في الشام ، وقد سبق معنا قوله : " لما هممت بالنقلة عن خراسان شاورت من بها من أهل العلم أين يرون أن أنزل بعيالي وكلهم يقولون لي : عليك بالشام "[(٣)] .

وكان له رحلات داخل الشام نفسه ؛ فرحل إلى دمشق[(٤)]، واستقرَّ في بيت المقدس في بعض قراها[(٥)].

ومنها : رحلته للرصافة هو ومكحول رَحِمَهُمَا اللهُ[(٦)].

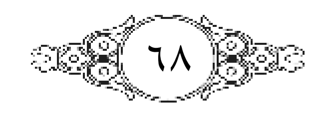
ومن رحلاته : رحلته للحج في خلافة عمر بن عبدالعزيز ﷺ ، وفيها روى التكبير عند يوم النحر .

وقد سُئل الأوزاعي عن هذه الرواية فقال : " إنَّ عطاء لثقة "[(٧)].

ومنها : رحلته لمدينة رسول الله ﷺ في عهد الوليد بن عبد الملك ،

---

(١) ميزان الاعتدال (٥/٩٢) .
(٢) انظر : المرجع السابق ، الأنساب (٢/٣٣٧) .
(٣) تاريخ دمشق (١/٩٩) .
(٤) انظر : المرجع السابق (٤٠/٤١٦) ، وتاريخ الإسلام (٨/٤٩٠) .
(٥) انظر : الكامل لابن عدي (٥/٣٥٨) ، وتاريخ دمشق (٤٠/٤٢٣) ، مرآة الجنان (١/٢٨١) ، شذرات الذهب (١/١٩٢) .
(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/٣٢٦٦).
(٧) تاريخ دمشق (٤٠/ ٤١٩) .



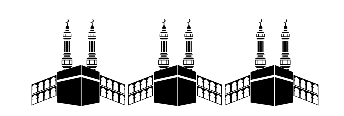
وطلبه التفسير على يد زيد بن أسلم رحمه الله [(١)].

ومما يؤكِّد ذلك ما جاء في حديثه عن حجرات أزواج النبي ﷺ ، ووصفه لها ، وإخباره أنه رآها ، وأنه قدم المدينة ، فحضر كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ [(٢)].

وقال أيضاً رحمه الله في حديثه عن رحلته إلى المدينة : " قَدِمت المدينة وقد فاتني عامة صحابة رسول الله ﷺ " [(٣)].

ومما يبيِّن رحلته للمدينة وحرصه على العلم فيها قوله رحمه الله : " قَدِمت المدينة فسألت عمَّن يحدثني بحديث ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه فأرشدوني إلى ابنته فسألتها فقالت:سمعت أبي يقول:لما أنزل الله تعالى على رسوله عليه السلام : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨] اشتدت على ثابت ، وغلق بابه ، وطفق يبكي ، فأُخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه فسأله فأخبره بما كبر عليه منها ، فقال : أنا رجل أحب الجمال وأحب أن أسود قومي ، قال : إنك لست منهم ؛ بل تعيش بخير ، وتموت بخير ، ويدخلك الله عزَّ وجل الجنة " [(٤)].

ورحل إلى أريحا [(٥)] التي توفي بها [(٦)].



(١) انظر : كشف الظنون (١/٤٣٠) .

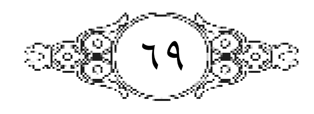
(٢) يأتي دراسة هذا تفصيلاً عند الموضع الثالث في سورة الحجرات .

(٣) انظر : مسند الشاميين (٣/٢٩٤) ، ميزان الاعتدال (٥/٩٣) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٤١) .

(٤) انظر : الآحاد والمثاني (٣/٤٦١) ، الجهاد لابن أبي عاصم (٢/٥٦٠) ، المعجم الكبير للطبراني (٢/٧٠) ، البداية والنهاية (٦/٣٣٥) .

(٥) **أريحا** : هي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام ، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسالك . معجم المؤلفين (٦/٢٨٣) ، معجم البلدان (١/١٦٥) .

(٦) انظر : المجروحين (٢/١٣٠) ، مسند الشاميين (٣/٢٩٦) ، الأنساب (٢/٣٣٧) .



❖ **المبحث الثاني : سماعه من ابن عباس رضي الله عنهما :**

روى عطاء الخراساني عن معاذ بن جبل ، وابن عباس رضي الله عنهما إرسالاً .

ومن المناسب في هذا المقام دراسة إرسال عطاء الخراساني رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك لكثرة مروياته عنه رضي الله عنهما ، وكذلك موافقة عطاء الخراساني رحمه الله في أقواله التفسيرية لأقوال ابن عباس رضي الله عنهما .

قال البيهقي رحمه الله : (عطاء الخراساني ولد سنة خمسين ، ولم يدرك عمرو، ولا عثمان ، ولا علياً ، ولا زيداً ، وكان في زمن معاوية صبياً ، ولم يثبت له سماع من ابن عباس ، وإن كان يحتمل أن يكون سمع منه ، فإنَّ ابن عباس توفى سنة ثمان وستين) [١].

قال الإمام المزي رحمه الله : (وقال الحافظ أبو بكر الخطيب كل حديثه يرويه ابن جريج عن منسوب عن ابن عباس ، ويذكر فيه سماع عطاء من ابن عباس فهو عطاء بن أبي رباح ، لأنَّ عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس ، ولا لقيه ، وإنما كان يرسل الرواية عنه) [٢].

ولا يعني هذا أنَّ ابن جريج لم يرو عن عطاء الخراساني فقد أشار ابن حجر رحمه الله إلى روايته عنه دون إثبات السماع لاحتمال كون الرواية مناولة أو مكاتبة حيث قال : (وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه) [٣].

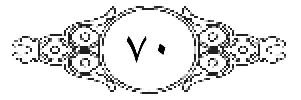
ثم قال : (وكان ابن جريج يستجيز إطلاق أخبرنا في المناولة والمكاتبة)[٤].

وقال أبو داود : (عطاء الخراساني لم يدرك ابن عباس ولم يره) [٥].

وقال ابن أبي حاتم : (قال أحمد بن حنبل : عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس شيئاً ، وقد رأى عطاء ابن عمر ولم يسمع منه شيئاً) [٦].

---

(١) معرفة السنن والآثار (١٨١/٤) .
(٢) تهذيب الكمال (١١٦/٢٠).
(٣) فتح الباري (٨٥١/٨) عند شرح الحديث رقم : (٤٩٢٠) .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المراسيل لأبي داوود (٢٥٧/١) .
(٦) المراسيل لابن أبي حاتم (١٥٦/١) .

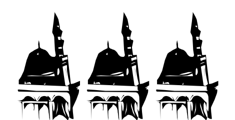


وذُكر عن يحيى بن معين أنه سئل عن عطاء الخراساني لقي أحداً من أصحاب النبي ﷺ قال : (لا أعلمه) [1].

وقد عمل العلماء على اغتفار مثل هذه الرواية لأنه مكثر لها عن ابن عباس ، وربما كانت النكارة في رواياته قليلة .

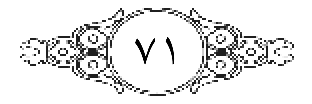
ويمكن أن يقال : إنَّ رواية التابعي عن رجل من الصحابة مع سلامة ذلك التابعي من التدليس يجعلها متصلة ، وهذا ما اختاره الحافظ ابن حجر بقوله : (سلامته من التدليس كافية في ذلك ؛ إذ مدار هذا على قوة الظن به وهي حاصلة في هذا المقام) [2].

وعطاء الخراساني لا ينزل عن مرتبة صدوق ، وأكثر العلماء على توثيقه .



(١) المرجع السابق (١/١٥٧) .

(٢) النكت على ابن الصلاح (٢/٥٦٣) .



❖ **المبحث الثالث : شيوخه**(١)(٢):

لقد تلقَّى عطاء الخراساني على الكثير من أهل العلم ، ولقي الكثير منهم في رحلاته وأسفاره العلمية ، وأدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ، غير ابن عباس الذي أرسل عنه - كما سبق -.

أولاً : من الصحابة :

١- **أنس بن مالك** رضي الله عنه .

٢- **عبد الله بن السعدي** رضي الله عنه .

٣- **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما .

٤- **عمرو بن شعيب** رضي الله عنه .

٥- **كعب بن عجرة** رضي الله عنه .

٦- **المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه .

٧- **معاذ بن جبل – إرسالاً –** .

ثانياً : ومن غيرهم :

٨- **أبو الغوث بن حصين الخثعمي** : تفرَّد عنه عطاء الخراساني ، ولم يسمع منه (٣).

٩- **ثميل بن عبد الله الأشعري** : من أهل دمشق ، روى عن أبي الدرداء ، وروى عنه : عمر بن يزيد النصري ، وعطاء الخراساني ، وكان فقيهاً مفتياً (٤).

١٠- **الحسن البصري** : هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السَّلَمي ، ولد

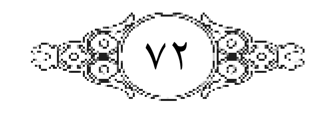
---

(١) انظر : التاريخ الكبير (٦/٤٧٤) ، الجرح والتعديل (٦/٣٣٤) ، حلية الأولياء (٥/١٩٣) ، موضح أوهام الجمع والتفريق (١/١٥١) ، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/٢) ، تاريخ دمشق (٤٠/٤١٦-٤١٧) ، معجم البلدان (٢/٣٥٤) ، تهذيب الأسماء (١/٣٠٧) ، تهذيب الكمال (٢٠/١٠٧-١٠٩) ، تاريخ الإسلام (٨/٤٩٠) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٣) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٤٠) ، تهذيب التهذيب (٧/١٩٠) .

(٢) مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم .

(٣) تقريب التهذيب (٦٦٤) .

(٤) تاريخ مدينة دمشق (١١/١٦١) .



لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ ، وكان الحسن سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، روى عن الصحابة ، وكان رجلاً تام الشكل ، مليح الصورة ، من الشجعان الموصوفين ، قال فيه أنس بن مالك ﷺ : "سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا " ، قال قتادة : "ما كان أحد أكمل مروءة من الحسن" ، مات سنة ١١٠هـ رحمه الله [١].

١١- **حمران مولى عثمان** ﷺ : وهو حمران بن أبان الفارسي ، الفقيه ، مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، حدَّث عن عثمان ومعاوية ، وهو قليل الحديث ، قال قتادة :" كان حمران يصلي خلف عثمان فإذا أخطأ فتح عليه" ، وقيل : كان كاتب عثمان ، وكان وافر الحُرمة عند عبد الملك ، طال عمره ، توفي سنة نيف وثمانين [٢].

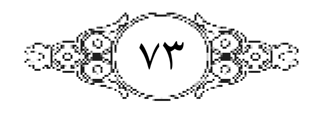
١٢- **خليد** : مولى أبي الدرداء ، شامي ، روى عن أبي الدرداء ، وروى عنه: طلحة بن نافع ، وعثمان بن أبي سودة ، وعطاء الخراساني [٣].

١٣- **سعيد بن جبير** رحمه الله : وهو أبو محمد ، سعيد بن جبير بن هاشم الأسدي ، كان حبشي الأصل ، أدرك كثيراً من الصحابة وأخذ من أغلبهم ، وفي مقدمتهم : ابن عباس ، وابن مسعود رضي الله عنهم ، كان من كبار التابعين ، ونبغ في التفسير والفقه والحديث ، لازم ابن عباس وأخذ عنه القرآن والتفسير، وثقة علماء الجرح والتعديل ، قال ابن أبي حاتم عنه : كان عبداً فاضلاً ورعاً ، وقد أجمع عليه أصحاب الكتب الستة ، قتله الحجاج صبراً عام ٩٥هـ ، وكان رحمه الله دون الخمسين [٤].

١٤- **سعيد بن المسيب** رحمه الله : وهو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، اتفقوا على أنَّ مرسلاته أصح المراسيل ، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، مات بعد سنة

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣-٥٦٥) .
(٢) المرجع السابق (٤/١٨٢) .
(٣) الجرح والتعديل (٣/٣٨٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٤/٣٢١) ، البداية والنهاية (٩/٩٨) .



تسعين ومائة ، وقد ناهز الثمانين سنة [1].

١٥- **سعيد المقبري** : الإمام المحدِّث الثقة ؛ أبو سعد ، سعيد ابن أبي كيسان الليثي ، مولاهم المدني المقبري ، كان يسكن بمقبرة البقيع ، حدث عن : عائشة وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وأم سلمة وابن عمر وغيرهم ، وحدَّث عنه : أبناؤه : عبد الله وسعد ومالك بن أنس والليث بن سعد وغيرهم، قال أبو حاتم : " صدوق ، توفي سنة خمس وعشرين ومائة على الأشهر رحمه الله " [2].

١٦- **شعيب بن محمد السهمي** : شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، روى عن : جده عبد الله ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، روى عنه : ابناه عمرو ، وعمر ، وثابت البناني ، وعطاء الخراساني ، وغيرهم . وذكره ابن حبان في الثقات [3].

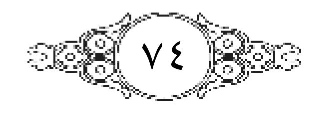
١٧- **طلحة بن نافع** : أبو سفيان الإسكاف الواسطي ، عراقي صدوق ، روى عن جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وغيرهم ، وروى عن : الأعمش ومحمد بن إسحاق وغيرهم ، قال أحمد بن حنبل : "ليس به بأس" [4].

١٨- **عبد الرحمن بن أبي ليلى** : الإمام العلامة الحافظ ، أبو عيسى الأنصاري ، الكوفي ، الفقيه ، ويقال : أبو محمد ، من أبناء الأنصار ، ولد في خلافة الصديق أو قبل ذلك ، حدَّث عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وغيرهم من الصحابة ، وقيل أنه قرأ القرآن على علي رضي الله عنه ، وكان إذا صلى الصبح نشر المصحف وقرأ حتى تطلع الشمس ، توفي سنة ٨٢هـ ، وقيل: ٨٣هـ رحمه الله [5].

١٩- **عبدالله بن بريدة بن الحصيب** : الحافظ الإمام ، شيخ مرو وقاضيها ؛

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/٧٤-٧٥) .
(٢) تاريخ الإسلام (٨/١١٦) .
(٣) الجرح والتعديل (٤/٣٥١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٥/٢٩٣) .
(٥) المرجع السابق (٤/٢٦٢) .



أبـو سـهل الأسـلمي المـروزي ، ولـد سـنة ١٥هـــ ، حـدَّث عـن أبيـه فـأكثر ، وعمـران بـن الحـصين وعائـشة وغيرهـم ﭫ ، وحـدَّث عنـه الـشعبي وقتـادة وعطاء الخراساني وغيرهم ، مات سنة ١١٥هـ وعمره مائة عام ﭬ [(١)].

٢٠- **عبد الله بن محيريز الجمحي** : الإمـام الفقيـه القـدوة الربـاني ، أبـو محيريـز القرشـي المكـي ، حـدَّث عـن عبـادة ابـن الـصامت ، وأبي محـذورة المـؤذن زوج أمـه ، ومعاويـة ، وأبي سـعيد وغيرهـم ، وحـدَّث عنـه : مكحـول والزهـري وآخـرون ، كـان مـن العلمـاء العـاملين ، ومـن سـادة التـابعين ، قـال رجـاء بـن حيوة: " إنْ يفخـر علينـا أهـل المدينـة بعابـدهم ابـن عمـر فإنـا نفخـر علـيهم بعابـدنا ابـن محيريـز" ، قـال : "وكـان صـموتاً منعـزلاً في بيتـه" ، وقـال رجـاء : "بقـاء ابـن محيريز أمان للناس" ، مات في دولة الوليد [(٢)].

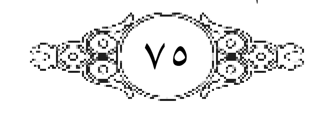
٢١- **عـدي بـن عـدي** : ابـن عمـيرة ، أبـو فـروة الجـزري ، ثقـة فقيـه ، عمـل لعمر بـن عبـدالعزيز علـى الموصـل ، مـن الرابعـة ، مـات سـنة عـشرين ومائـة [(٣)]، روى عنـه جماعـة منـهم : عطـاء الخراسـاني ، قـال البخـاري : "عـدي بـن عـدي سـيد أهـل الجزيـرة" ، وقـال ابـن سـعد : " كـان ناسـكاً فقيهـاً " ، ووثّقـة يحيى بـن معين ، وأبو حاتم ، والعجلي [(٤)].

٢٢- **عـروة بـن الـزبير** : ابـن الـزبير بـن العـوام الأسـدي ، ولـد سـنة ٢٢هــ ، أحـد الفقهـاء الـسبعة بالمدينـة ، وأخـو عبـد الله بـن الـزبير ، كـان عالمـاً صـالحاً كريماً لم يدخل شيئاً من الفتن ، مات سنة ٩٣هـ ﭬ [(٥)].

٢٣- **عطاء بن أبي رباح** : أبـو محمـد المكـي ، أحـد مـوالي قـريش ، ولـد سـنة ٢٧هـــ وهـو مـن كبـار التـابعين ، روى عـن كـثير مـن أصـحاب الـنبي ﷺ وفي مقدمتهم : ابن عباس ، وابـن عمـر ، وابـن عمـرو بـن العـاص ، ثقـة فقيـه فاضـل، انتهت إليـه الفتـوى في مكـة ، عـاش مـا يقـارب مـن مائـة سـنة ، قـال الأوزاعـي :

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٥٠) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤٩٤) .
(٣) تقريب التهذيب (٣٢٢) .
(٤) تهذيب الكمال (١٦/١٠٦) .
(٥) وفيات الأعيان (٣/٢٥٥-٢٥٨) ، الأعلام (٤/٢٢٦) .



"مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس" ، مات سنة ١١٤هـ على المشهور[(١)].

٢٤- **عكرمة مولى ابن عباس** رضي الله عنهما : هو أبو عبد الله ، عكرمة البربري المدني ، مولى ابن عباس ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير كان من خيار التابعين ، وكبار المفسِّرين ، والعلماء العاملين ، روى عن : ابن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي هريرة رضي الله عنهم ، كما طاف كثيراً من البلدان فوصل أفريقية ، وزار اليمن والشام والعراق وخراسان يبث علمه وينشره بين الناس ، قال الشافعي: " ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة "، مات سنة ١٠٤هـ[(٢)].

٢٥- **علي بن أبي طلحة** : أبو الحسن ، واسم أبي طلحة : سالم مولى آل عباس بن عبد المطلب ، قدم على أبي العباس أمير المؤمنين ، كان بالشام ، روى عن ابن عباس مرسلاً ، روى عنه : الحكم بن عتيبة ، وعطاء الخراساني، وداود بن أبي هند ، ومعمر ، وصفوان بن عمرو ، وثور بن يزيد، وحريز بن عثمان ، وأبو بكر بن أبي مريم ، لم يسمع علي بن أبي طلحة من ابن عباس التفسير[(٣)].

٢٦- **أبو مسلم الخولاني** رحمه الله : سيد التابعين ، وزاهد العصر ، اسمه على الأصح : عبدالله بن ثوب ، قدم من اليمن ، وأسلم في أيام النبي ﷺ فدخل المدينة في خلافة الصديق ، حدَّث عن : عمر ومعاذ بن جبل وأبي عبيدة وأبي ذر وعبادة بن الصامت ، وحدث عنه : أبو إدريس الخولاني ، وأبو العالية ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم ، مات سنة ٦٢هـ[(٤)].

٢٧- **محمد الزهري** : هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من بني زهرة ، أول من دوَّن الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ ، تابعي من أهل المدينة ، سمع من سهل بن سعد وأنس بن مالك ، روى عنه البخاري ومسلم

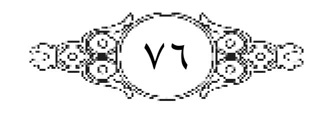
---

(١) تهذيب التهذيب (١٧٩/٧) .

(٢) البداية والنهاية (٢٤٤/٩) ، تهذيب التهذيب (٢٣٤/٧-٢٣٥) .

(٣) الجرح والتعديل (١٨٨/٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/٤-٨) .



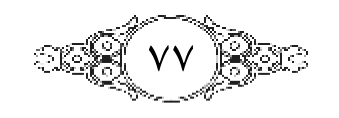
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، توفي سنة ١٢٤هـ ، في حدود الحجاز وفلسطين [١].

٢٨- **مكحول** : عالم أهل الشام ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أيوب ، وقيل: أبو مسلم ، الدمشقي الفقيه ، أرسل عن عدَّة من الصحابة لم يدركهم كأبيِّ بن كعب ، وثوبان ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وجماعة . وحدَّث عن : واثلة بن الأسقع ، وأبي أمامة الباهلي ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب، وطاووس ، وغيرهم ، وحدَّث عن : الزهري ، ومحمد بن إسحاق، وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر ، وخلق سواهم ، عداده في أوساط التابعين من أقران الزهري ، وقد قال فيه : "العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام" ، واختلف في تاريخ وفاته فقيل ١١٢هـ وقيل ١١٣هـ وقيل ١١٤هـ [٢].

٢٩- **المنذر بن مالك** : بن قطعة ، أبو نضرة ، الإمام المحدث الثقة العيدي ثم العوقي البصري ، والعوقة بطن من عبد القيس ، حدّث عن : علي وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم . وحدَّث عنه : قتادة ويحيى ابن كثير وعدّه ، وهو من كبار العلماء بالبصرة ، قال بن سعد : " ثقة كثير الحديث" ، وقال أحمد بن حنبل : "ما علمت إلا خيراً " ، مات سنة ١٠٨هـ رحمه الله [٣].

٣٠- **نافع مولى بن عمر** رضي الله عنهما : أبو عبد الله المدني ، أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل غير ذلك ، روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل : رافع بن خديج وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم ، وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم ، وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وثقوه ، ومات سنة ١١٧هـ

(١) التاريخ الكبير (١/٢٢٠) ، الكاشف (٢/٢١٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/١٦٠-١٦١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٥٢٩) .



على المشهور [(١)].

٣١- **نعيم بن أبي هند** : اسمه : النعمان بن أشيم الأشجعي الكوفي . قال فيه أبو حاتم : "صالح الحديث صدوق" ، وقال النسائي: " ثقة" ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[(٢)]، وقال ابن حجر : " ثقة رمي بالنصب ، من الرابعة، مات سنة عشرين ومائة رحمه الله"[(٣)].

٣٢- **نعيم بن سلامة السبائي الفلسطيني** : شامي ، كان على خاتم عمر بن عبدالعزيز ، روى عنه : عطاء الخراساني ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، والأوزاعي ، ورجاء بن حيوة ، وهو ثقة ، قال فيه عطاء الخراساني : " ما رأيت بفلسطين أكمَل من نعيم بن سلامة " [(٤)].

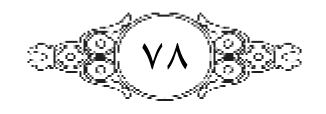
٣٣- **الوليد بن حسَّان البكري** : روى عنه عطاء الخراساني ، ويروى عن ابن عمر [(٥)].

٣٤- **يعلى بن شداد بن أوس** : بن ثابت ، أبو ثابت النجاري الأنصاري ، كان بالشام ، روى عن أبيه ، وروى عنه : عيسى بن سنان ، وعطاء الخراساني. ذكره بن حبان في الثقات وقال : إنه مدني سكن الشام ، وقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله تعالى [(٦)].

٣٥- **يحيى بن أبي المطاع الأردني** : ابن أخت بلال بن رباح ، روى عن : العرباض بن سارية ، ومعاوية ، وروى عنه : عطاء الخراساني ، والوليد بن سليمان ، وعبيد الله بن العلاء ، ذكره ابن حيان في الثقات ، وهو صدوق من الرابعة [(٧)].

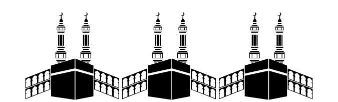
---

(١) البداية والنهاية (٩/٣١٩) .
(٢) تهذيب الكمال (٢٩/٤٩٨) .
(٣) تقريب التهذيب (٥٦٥) .
(٤) انظر : الجرح والتعديل (٨/٤٦٢) ، الثقات (٥/٤٧٨) ، معجم البلدان (١/١٤٩) ، تعجيل المنفعة (١/٤٢٣) .
(٥) انظر : التاريخ الكبير (٨/١٤٢) ، الثقات (٥/٤٩١) .
(٦) انظر : التاريخ الكبير (٨/٤١٥) ، طبقات ابن سعد (٧/٤٤٩) ، تهذيب التهذيب (١١/٣٥٣) .
(٧) انظر : تهذيب الكمال (٣١/٥٣٨) ، تهذيب التهذيب (١١/٢٤٥) ، تقريب التهذيب (٥٩٧) .

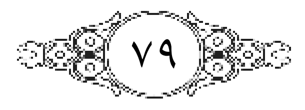


٣٦- **يحيى بن يعمر** : الفقيه العلامة المقرئ ، أبو سليمان العدواني البصري ، قاضي مرو ، ويكنى أبا عدي ، حدَّث عن : أبي ذر ، وعمار بن ياسر ، وعائشة ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وابن عمر رضي الله عنهم ، وعدَّة .

وقرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي ، وحدَّث عنه : عبد الله بن بريدة وهو من طبقته ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، وآخرون ، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة ؛ تولى قضاء خراسان ، وقيل إنه كان أول من نقط المصاحف وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة ، وكان ذا لسان وقصاحة أخذ ذلك عن أبي الأسود الدؤلي ، توفي قبل التسعين [١].



(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/٤٤١) ، تقريب التهذيب (٥٩٨) .



❖ **المبحث الرابع : تلاميذه** (١):

كان لعطاء الخراساني تلاميذ تلاميذ أخذوا عنه العلم في كلِّ مكان ، ولا غرو ؛ فلقد كان راحلاً في طلب العلم ، حريصاً على نشره وتعليمه ، ومرَّ معنا قوله ﷺ : " إنَّ أوثق عملي في نفسي نشري العلم " .

وسأذكر جملة ممن وقفت عليهم من تلاميذ عطاء الخراساني ، وليسوا جميعاً ، إذ هم خلائق كثر يصعب حصرهم وعدُّهم . فمن أولئك :

١- **إبراهيم بن طهمان** : الإمام عالم خراسان ، أبو سعيد الهروي ، ولد في آخر زمن الصحابة الصغار ، حمل عن عطاء الخراساني ومطر الوراق وغيرهم ، وثَّقة ابن المبارك وأحمد وأبو حاتم وغيرهم ، قال ابن راهويه : " كان صحيح الحديث كثير السماع ، ما كان بخراسان أكثر حديثاً منه ، وهو ثقة" ، وقال أحمد : " كان مرجئاً شديداً على الجهمية ". وقيل إنَّ إرجاءه لم يكن هذا المذهب الخبيث : أنَّ الإيمان قول بلا عمل ، وأنَّ ترك العمل لا يضر بالإيمان ؛ بل كان إرجاؤه أنه يرجوا لأهل الكبائر الغفران رداً على الخوارج وغيرهم الذين يكفرون الناس بالذنوب ، مات سنة ١٦٣هـ ﷺ (٢).

٢- **أسامة بن زيد بن أسلم** : روى عن أبيه ، وسالم ونافع مولى ابن عمر وعطاء الخراساني ، وروى عنه : ابن المبارك وابن وهب وغيرهم . قال فيه أحمد بن حنبل : "منكر الحديث ضعيف" ، وكذا قال ابن معين . وقال أبو حاتم : " يكتب حديثه ولا يحتج به ، وهو ضعيف من قبل حفظه" ، من السابعة ، مات في خلافة المنصور (٣).

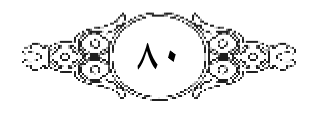
٣- **إسحاق بن أسيد الخراساني** : الأنصاري ، أبو عبدالرحمن ، نزيل مصر، روى عن : رجاء بن حيوة ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني . قال أبو

---

(١) انظر : التاريخ الكبير (٦/٤٧٤) ، كتاب الجرح والتعديل (٦/٣٣٤) ، تاريخ دمشق (٤٠/ ٤١٧) ، معجم البلدان (٢/٣٥٤) ، تهذيب الأسماء (١/٣٠٧) ، تهذيب الكمال (٢٠/١٠٨-١٠٩) ، تاريخ الإسلام (٨/٤٩٠) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٣) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٤٠) ، تهذيب التهذيب (٧/١٩٠) .

(٢) انظر : الجرح والتعديل (٢/١٠٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/٣٧٨-٣٧٩) ، تهذيب التهذيب (١/ ١١٢) .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب (١/١٨١) ، تقريب التهذيب (٩٨) .



حاتم : " شيخ ليس بمشهور ولا يشتغل به " ، وقال ابن حجر : " فيه ضعف ، من الثامنة " [(١)].

٤- **إسحاق بن نجيح الملطي** : روى عن عطاء الخراساني ، وعباد بن راشد روى عنه : عيسى بن أبي فاطمة ، وعلي بن هاشم بن مرزوق ، قال عنه الإمام أحمد : إسحاق بن نجيح الملطي من أكذب الناس يحدِّث عن النبي ﷺ برأي أبي حنيفة ، وقال يحيى بن معين : إسحاق بن نجيح الملطي ليس بشيء [(٢)].

٥- **إسماعيل بن عياش** : ابن سليم العنسي ، أبو عتبة الحمصي ، صدوق في روايته عن أهل بلده ، مخلط في غيرهم من الثامنة ، مات سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ، وله بضع وسبعون سنة [(٣)].

٦- **أشرس بن ربيعة** : أبو شيبان الهذلي ، روى عن : الحسن وثابت ومالك بن دينار روى عنه : يزيد بن هارون ، وموسى بن إسماعيل ، روى عن عطاء الخراساني ، وروى عنه مسلم بن إبراهيم [(٤)].

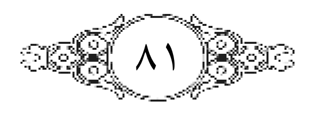
٧- **أيوب بن حسان الجرشي** : أبو حسان ، روى عن إبراهيم الحضرمي ، وعن عطاء الخراساني ، وروى عن محمد بن مهاجر ، روى عنه : دحيم ، وهشام بن عمار ، قال عنه ابن أبي حاتم : " شيخ قديم صالح الحديث " [(٥)].

٨- **بشير بن طلحة الخشني** : شامي ، روى عن : خالد بن دريك ، وعطاء الخراساني ، وجماعة . وروى عنه : سعيد بن عبد الجبار ، وأبو توبة الحلبي، وآخرون ، قال أحمد بن حنبل : ليس به بأس [(٦)].

٩- **جعشم بن سعد** : يروي عن عطاء الخراساني ، روى عنه : محمد بن إسحاق بن يسار [(٧)].

---

(١) انظر : تهذيب الكمال (٢/٤١٢) ، تهذيب التهذيب (١/١٩٨) ، تقريب التهذيب (١٠٠) .
(٢) انظر : الجرح والتعديل (٢/٢٣٥) .
(٣) انظر : تقريب التهذيب (١٠٩) .
(٤) انظر : الجرح والتعديل (٢/٣٢٢) .
(٥) انظر : الجرح والتعديل (٢/٢٤٤) .
(٦) انظر : التاريخ الكبير (٢/٩٩) ، الجرح والتعديل (٢/٣٧٥) ، تاريخ الإسلام (١١/٥٥) .
(٧) انظر : الجرح والتعديل (٢/٥٢٢) ، الثقات (٨/١٦٦) .



١٠- **جميل بن مهاجر الشامي** : قاضي الأردن ، روى عن عطاء الخراساني، روى احمد بن أبي الحواري ، عن أبى حفص الماعوني عنه ، قال أحمد بن أبي الحواري : كان قاضي الأردن [(١)].

١١- **حبيب بن أبي مرزوق الرّقي** : روى عن عطاء وعروة ونافع وابن جريج وعطاء الخراساني ، وقال أحمد بن حنبل : " لا أرى به بأساً " ، وقال يحيى ابن معين : "مشهور" ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الدارقطني : "ثقة يحتج به" ، توفي سنة ١٣٨هـ [(٢)].

١٢- **حكيم بن نافع الرقي :** ليس به بأس ، يروي عنه : النفيلي ، وأبو سلمة التبوذكي ، قال عنه يحيى بن معين : حكيم بن نافع ثقة ، وقال البخاري: حكيم بن نافع الجزري ، قال موسى بن إسماعيل : لقيته ببغداد سمع الأفطس وخصيفاً وعطاء الخراساني [(٣)].

١٣- **حماد بن رستم :** المزني ، أبو يحيى ، روى عن : الحسن ، وابن سيرين، وعطاء الخراساني . روى عنه : موسى بن إسماعيل [(٤)].

١٤- **حماد بن سلمة** : البصري مولى آل ربيعة بن مالك . ولد في حياة أنس بن مالك ولم يلقه . شيخ الإسلام ، الإمام القدوة . كان مع إمامته في الحديث، إماماً كبيراً في العربية ، فقيهاً فصيحاً ، رأساً في السنَّة، صاحب تصانيف ". قال أحمد بن حنبل : " إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة ، فاتهمه على الإسلام ، فإنه كان شديداً على المبتدعة "[(٥)].

١٥- **خالد بن سلام الختعمي** : خادم عطاء الخراساني وروى عنه [(٦)].

١٦- **خالد بن ميسرة البصري** : العطار ، روى عن عطاء الخراساني ، ومعاوية بن قرة ، وروى عنه : عبد الصمد بن حسان ، ويونس المؤدب ،

---

(١) انظر : الجرح والتعديل (٥١٩/٢) .

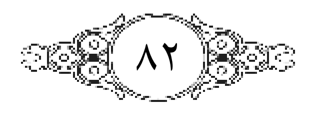
(٢) انظر : الجرح والتعديل (١٠٩/٣) ، تهذيب الكمال (٣٩٦/٥) ، تهذيب التهذيب (١٦٦/٢) .

(٣) انظر : الكامل في ضعفاء الرجال (٢٢١/٢) ، تاريخ الإسلام (٩٤/١١) .

(٤) انظر : الجرح والتعديل (١٣٧/٣) .

(٥) انظر : التاريخ الكبير (٢٢/٣) ، حلية الأولياء (٢٤٩/٦) ، سير أعلام النبلاء (٤٤٤/٧) .

(٦) انظر : الجرح والتعديل (٣٣٦/٣) .



وأبو أحمد الفرات الرازي ، قال ابن عدي : هو عندي صدوق [(١)].

١٧- **داود بن أبي هند** : الإمام الحافظ الثقة ، أبو محمد الخراساني ثم البصري ، حدَّث عن : سعيد بن المسيب والشعبي ومكحول وعِدّة ، ورأى أنس بن مالك ، وحدَّث عنه : سفيان وشعبة وحماد بن سلمة وآخرون . وثقه النسائي وابن معين وغيرهما ، قال عبدالله بن أحمد : "سألت أبي عن داود بن أبي هند فقال : مثل داود يُسأل عنه ؟ ثقة ثقة " ، وقال يزيد بن زريع : " كان مفتي أهل البصرة" ، مات سنة ١٣٩هـ وقيل ١٤٠هـ رحمه الله [(٢)].

١٨- **زيد بن واقد** : أبو عمر القرشي ، مولاهم الدمشقي الفقيه . وثَّقة يحيى بن معين وغيره ، وقال أبو حاتم : "لا بأس به"، مات سنة ١٣٨هـ [(٣)].

١٩- **سالم بن عبد الله** : أبو المهاجر الرقي ، لا بأس به ، روى عن : مكحول ، وعطاء الخراساني ، وميمون بن مهران . روى عنه : جعفر بن برقان، وعلي بن ثابت ، ومعمر بن سليمان ، وخالد بن حيان ، روى عنه : إسماعيل بن عياش [(٤)].

٢٠- **سعيد بن عبد العزيز** : التنوخي الدمشقي ، ثقة إمام ، سوَّاه أحمد بالأوزاعي ، وقدمه أبو مسهر ، لكنه اختلط في آخر عمره ، من السابعة ، مات سنة سبع وستين ، وقيل بعدها وله بضع و سبعون [(٥)].

٢١- **سفيان الثوري** : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ؛ شيخ الإسلام ، إمام حافظ ، سيِّد العلماء العاملين في زمانه ، أبو عبدالله الثوري ، الكوفي المجتهد ، مصنف كتاب "الجامع" ولد سنة ٩٧هـ ، وطلب العلم وهو حَدَث باعتناء والده المحدِّث : سعيد بن مسروق الثوري ، وكان والده من أصحاب الشعبي ، ومن ثقات الكوفيين ، وعداده في صغار التابعين ، يقال : إنَّ عدد شيوخه ستمائة شيخ ، وأما الرواة عنه فخلق كثير يصعب حصرهم ،

---

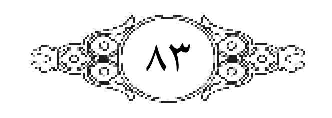
(١) انظر : الجرح والتعديل (٣/٣٥٢) ، تاريخ الإسلام (١١/١٠٦) .

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ (١/١٤٦) ، سير أعلام النبلاء (٦/٣٧٦) ، تهذيب التهذيب (٣/١٧٧) .

(٣) انظر : معرفة الثقات (١/٣٧٨) ، الجرح والتعديل (٣/٥٧٤) ، مشاهير الأمصار (١/١٧٩) .

(٤) انظر : الجرح والتعديل (٤/١٨٥) ، الكاشف (١/٤٢٣) .

(٥) تقريب التهذيب (٢٣٨) .



قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم: " سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث" . وقال ابن المبارك : "كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان ". وعن ابن معين قال : "ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان " ، مات في شعبان سنة ١٦١هـ ﷺ [(١)].

٢٢- **سهيل بن ميسرة الفلسطيني** : يروي عن عطاء الخراساني ، روى عنه : الهيثم بن خارجة [(٢)].

٢٣- **شعبة بن الحجاج** : الإمام الحافظ ، أمير المؤمنين في الحديث ، أبو بسطام الأزدي العتكي ، مولاهم الواسطي ، عالم أهل البصرة وشيخها ، سكن البصرة من الصغر ، ورأى الحسن وأخذ عنه مسائل ، حدَّث عن قتادة وغيره . كان من أوعية العلم لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه ، وهو من نظراء الأوزاعي ومعمر والثوري في الكثرة ، روى عنه عالم عظيم ، وانتشر حديثه في الآفاق ، وكان إماماً ثبتاً حجَّة ناقداً جهبذاً صالحاً زاهداً قانعاً بالقوت رأساً في العلم والعمل ، منقطع القرين ، وهو أول من جرّح وعدّل ، وأخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان وابن مهدي وطائفة . وكان سفيان الثوري يخضع له ويُجلّه ، ويقول : " شعبة أمير المؤمنين في الحديث" ، وقال الشافعي: "لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق" ، وقال الحاكم : "شعبة إمام الأئمة بالبصرة في معرفة الحديث" ، توفي سنة ١٦٠هـ بالبصرة [(٣)].

٢٤- **شعيب بن رزيق** : أبو شيبة ، صدوق يخطئ ، من السابعة ، روى عن عطاء الخراساني [(٤)].

٢٥- **الضحاك بن عبدالرحمن بن أبي حوشب** : أبو زرعة ، ويقال أبو بشر الدمشقي ، رأى واثلة ، وروى عن : مكحول وعطاء الخراساني وغيرهم . وعنه : محمد بن شعيب بن شابور ، قال دحيم : "ثقة" ، وقال أبو حاتم : "هو

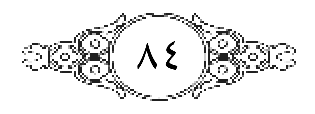
---

(١) انظر : الجرح والتعديل (٢٢٢/٤) ، الكاشف (٤٤٩/١) ، تقريب التهذيب (٢٤٤) .

(٢) انظر : الثقات (٣٠٣/٨) .

(٣) انظر : حلية الأولياء (١٤٤/٧) ، تهذيب الكمال (٤٧٩/١٢) ، تهذيب التهذيب (٢٩٧/٤) .

(٤) انظر : التاريخ الكبير (٢١٧/٤) ، الكاشف (٤٨٧/١) ، تقريب التهذيب (٢٦٧) .



أجلة أهل الشام" ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر : " ثقة ، من السادسة" [(١)] .

٢٦- **الضحاك بن مزاحم الهلالي** : أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، ولد ببلخ ، هو أحد أئمة التفسير العظام ، قال فيه أحمد بن حنبل : " ثقة مأمون" ، وكذا قال أبو زرعة ويحيى بن معين ، وقال سفيان الثوري : " خذوا التفسير من أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك " ، كان معلماً مؤدباً للصبيان ، فقد كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي ، توفي سنة ١٠٢هـ ، وقيل ١٠٥هـ ، وقيل ١٠٦هـ رحمه الله [(٢)] .

٢٧- **ضرار بن عمرو الملطي** : روى عن عطاء الخراساني ، قال فيه يحيى بن معين : "ليس بشيء ولا يكتب حديثه"، يروي عن المشاهير الأشياء المناكير فبطل الاحتجاج بآثاره [(٣)] .

٢٨- **عبد الجبار بن عمر الأيلي** : أبو عمر ، سمع الزهري وربيعة وعطاء الخراساني وأبا الزناد ويزيد بن أبي سمية ، روى عنه : ابن وهب وسعيد بن أبي مريم والمقري ، سئل يحيى بن معين عنه فقال : ضعيف ليس بشيء [(٤)] .

٢٩- **عبد الرحمن الأوزاعي** : وهو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي ، كان يسكن بدمشق ثم تحوَّل إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات ، حدَّث عن عطاء بن أبي باح ، ومكحول، وقتادة ، والزهري ، وعطاء الخراساني ، وخلق كثير من التابعين وغيرهم ، وكان مولده في حياة الصحابة ، وروى عنه : الزهري ويحيى بن أبي كثير – وهما من شيوخه – ، والثوري ، وابن المبارك ، وغيرهم . قال ابن سعد: "كان ثقة" ، وولد سنة ٨٨هـ ، وكان خيِّراً فاضلاً مأموناً كثير العلم

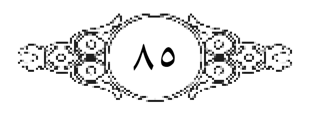
---

(١) انظر : التاريخ الكبير (٣٣٣/٤) ، تهذيب الكمال (٢٦٩/١٣) ، الكاشف (٥٠٨/١) ، تهذيب التهذيب (٣٩١/٤) .

(٢) انظر : صفة الصفوة (١٥٠/٤) ، تهذيب الكمال (٢٩١/١٣) ، المنتظم (١٠٠/٧) ، الأعلام (٢١٥/٣) .

(٣) انظر : الجرح والتعديل (٤٦٥/٤) ، المجروحين (٣٨٠/١) ، الكامل في الضعفاء (١٠٠/٤) .

(٤) انظر : الجرح والتعديل (٣١/٦) .



والفقه والحديث والحجة ، توفي سنة ١٥٧هـ رحمه الله [١].

٣٠- **عبد الرحمن بن حسان الكناني** : شامي ثقة ، فلسطيني صدوق ، أبو سعيد ، لا بأس به ، من السابعة ، قال الدارقطني : " لابأس به" ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال العجلي وابن معين : " ثقة " [٢].

٣١- **عبد الرحمن بن يزيد بن جابر** [٣].

٣٢- **عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد** [٤] : أبو إسماعيل الأزدي الشامي ، روى عن أبيه في الفتن ، وهو ثقة من الثامنة [٥].

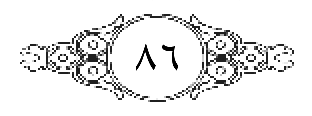
٣٣- **عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي** : أبو الوليد ، وأبو خالد القرشي ، مولاهم المكي الفقيه ، ثقة فاضل ، أحد الأعلام ، روى عن مجاهد وعطاء وابن أبي مليكة ، وروى عنه القطان ، وروح ، وحجاج ، قال بن عيينة : سمعته يقول ما دون العلم تدويني أحد ، وكان يدلس ويرسل ، من السادسة، مات سنة خمسين أو بعدها [٦].

٣٤- **عتبة بن أبي حكيم الهمداني** : مختلف في توثيقه ، قال ابن أبي حاتم : "كان أحمد يوهنه قليلاً ، وسئل أبي عنه فقال : صالح" ، وقال النسائي : "ضعيف"، وقال الطبراني : "من ثقات المسلمين" ، روى عن ابن جريج وعطاء الخراساني وغيرهم ، وروى عنه : إسماعيل بن عياش ، وعبد الله بن المبارك . مات بصور ، سنة ١٤٧هـ [٧].

٣٥- **عثمان بن عطاء الخراساني** : أبو مسعود ، يروي عن أبيه ، ضعَّفه مسلم ويحيى بن معين والدارقطني ، أحاديثه عن أبيه منكرة ، قال البخاري :

---

(١) انظر : رجال صحيح البخاري (٤٥٠/١) ، رجال مسلم (٤١٢/١) ، تهذيب التهذيب (٢١٦/٦) .
(٢) انظر : معرفة الثقات (٧٥/٢) ، تهذيب الكمال (٦٦/١٧) ، الكاشف (٦٢٥/١) ، تهذيب التهذيب (١٤٨/٦) .
(٣) سبقت ترجمته ص(٥٠) .
(٤) ابن صاحب الترجمة السابقة .
(٥) انظر : الثقات (٣٣٥/٨) ، رجال مسلم (٣٧٢/١) ، الكاشف (٥٦٨/١) ، تقريب التهذيب (٣١١) .
(٦) انظر : الكاشف (٦٦٦/١) ، تقريب التهذيب (٣٦٣) .
(٧) انظر : تهذيب الكمال (٣٠٠/١٩) ، تهذيب التهذيب (٨٧/٧) .



"ليس بذاك" ، وقال النسائي : " ليس بثقة " ، ولد سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٥هـ[(١)].

٣٦- **عروة بن رويم اللخمي** : الأردني ، الفقيه المحدِّث ، أبو القاسم ، حدَّث عن أنس بن مالك ، وأبي إدريس الخولاني ، وأرسل عن أبي ذر وغيره، وثَّقه ابن معين ، وقال الدارقطني وغيره : "لابأس به" ، مات سنة ١٤٠هـ وقيل ١٣٥هـ[(٢)].

٣٧- **عمر بن المثنى الأشجعي الرقي**[(٣)].

٣٨- **عمرو بن الحارث المصري** : العلامة الحافظ الثبت ، أبو أمية الأنصاري السعدي ، مولاهم المدني الأصل ، المصري عالم الديار المصرية ومفتيها ، ولد بعد التسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك ، روى عن عمرو بن شعيب وابن شهاب وقتادة ، وحدَّث عن قتادة وهو شيخه ، ومالك . وثقه ابن سعد، والعجلي ، والنسائي وطائفة : "ثقة" ، وكان خطيباً بليغاً راوياً للشعر ، مات سنة ١٤٨هـ رحمه الله[(٤)].

٣٩- **عمرو بن عبد الرحمن بن قيس العسقلاني** : روى عن عطاء الخراساني ، عن أبي هريرة في الرباط ، وروى عنه : داود بن قيس ، وهو مجهول ، قاله أبو حاتم الرازي[(٥)].

٤٠- **قدامة بن الهيثم** : من أهل البصرة ، يروي عن عطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني ، روى عنه : معلَّى بن أسد ، وقتيبة بن سعيد[(٦)].

٤١- **كلثوم بن محمد بن أبي سدرة الحلبي** : يحدِّث عن عطاء بمراسيل ،

---

(١) انظر ترجمته : التاريخ الكبير (٦/٢٤٤) ، ضعفاء العقيلي (٣/٢١٠) ، الجرح والتعديل (٦/١٦٢) ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/١٧٠) ،تهذيب الكمال (١٩/٤٤١-٤٤٤) ، تقريب التهذيب (٣٨٥).

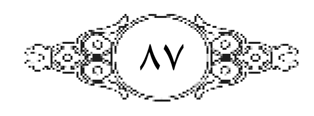
(٢) انظر : الجرح والتعديل (٦/٣٩٦) ، الكاشف (٢/١٨) ، تهذيب التهذيب (٧/١٦٢) .

(٣) سبقت ترجمته ص(٦٥) .

(٤) انظر : التاريخ الكبير (٦/٣٢٠) ، الكنى والأسماء (١/٨٣) ، الجرح والتعديل (٦/٢٢٥) ، سير أعلام النبلاء (٦/٣٤٩) ، الكاشف (٢/٧٤) .

(٥) الجرح والتعديل (٦/٢٤٥) .

(٦) انظر : التاريخ الكبير (٧/١٧٩) ، الثقات (٧/٣٤٠) .



وغيره بما لا يتابع عليه ، روى عن إسحاق بن راهويه . وقال أبو حاتم : "كان جندياً بخراسان لا يصح حديثه"(١).

٤٢- **المثنى بن الصّباح** : اليماني ، أبو عبدالله ، ويقال أبو يحيى المكي ، أصله من فارس ، روى عن : طاووس ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وغيرهم ، وعنه : ابن المبارك وآخرون . وقال أحمد : "لا يساوي حديثه شيئاً ؛ مضطرب الحديث" ، وضعفه ابن معين والترمذي والنسائي ، مات سنة ١٤٩هـ ، وكان ممن اختلط في آخر عمره ، وكان عابداً رحمه الله (٢).

٤٣- **محمد بن سيف الأزدي** : أبو رجاء البصري ، أدرك أنساً ، وروى عن: الحسن وابن سيرين ومطر الوراق وعطاء الخراساني ، روى عنه شعبة ويزيد بن زريع وآخرون ، قال ابن معين وابن سعد والنسائي : "ثقة" ، وقال أبو حاتم: "صالح الحديث" ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن حجر في التقريب : " ثقة من السادسة"(٣).

٤٤- **مطر الورّاق** : الإمام الزاهد الصادق ، أبو رجاء بن طهمان الخراساني نزيل البصرة ، كان من العلماء العاملين ، وكان يكتب المصاحف ويتقن ذلك ، قال يحيى بن معين : "صالح" ، وقال أحمد بن حنبل : "هو في عطاء ضعيف" ، فقيه زاهد ، قال مالك بن دينار : "رحم الله مطراً الوراق ، إني لأرجو له الجنة " ، مات سنة ١٢٩هـ رحمه الله (٤).

٤٥- **معمر بن راشد** : أبو عروة البصري ، سكن اليمن ، وهو معمر بن أبي عمرو ، ثقة ثبت فاضل إمام ، طلب العلم سنة مات الحسن ، توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وله ثمان وخمسون سنة (٥).

---

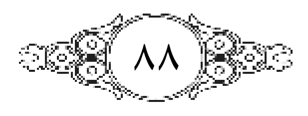
(١) انظر : الجرح والتعديل (١٦٤/٧) ، الكامل في الضعفاء (٧٢/٦) .

(٢) انظر : تهذيب الكمال (٢٠٣/٢٧) ، تهذيب التهذيب (٣٢/١٠) .

(٣) انظر : طبقات ابن سعد (٢٥٨/٧) ، الثقات (٤٠٣/٧) ، تهذيب الكمال (٣٥٥/٢٥) ، تقريب التهذيب (٤٨٣) .

(٤) انظر : معرفة الثقات (٢٨١/٢) ، الكاشف (٢٦٨/٢) ، تهذيب التهذيب (١٥٢/١٠) ، تاريخ الإسلام (٢٦٨/٨) .

(٥) انظر : التاريخ الكبير (٣٧٨/٧) ، تقريب التهذيب (٥٤١) .



٤٦- **موسى بن عيسى بن موسى القرشي** : أبو محمد الدمشقي ، أخو سليمان بن موسى الفقيه ، صدوق من السابعة ، روى عن عطاء الخراساني [١].

٤٧- **نجم بن فرقد** : أبو عامر العطار البصري ، سمع عطاء الخراساني ، وهو مرسل ، روى عن : حنظلة السدوسي ، وروى عنه : الصلت بن محمد الخاركى ، وقتيبة بن سعيد أبو رجاء ، قال عنه أبو زرعة : بصرى لا بأس به [٢].

٤٨- **هشام بن يحيى الغساني** : روى عن أبيه وعن عطاء الخراساني وآخرين ، قال أبو حاتم : "صالح الحديث"، وعدَّه ابن حبان في الثقات من أهل دمشق [٣].

٤٩- **الوضين بن عطاء بن كنانة الخزاعي** : أبو كنانة ويقال : أبو عبدالله الدمشقي ، قال أحمد وابن معين : "ثقة" ، وقال أحمد في رواية : "ليس به بأس كان يرى القدر" ، وقال ابن معين في رواية : "لابأس به" ، وقال ابن سعد : "كان ضعيفاً في الحديث" ، وقال أبو حاتم: "يعرف وينكر" ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : "من أثبات أهل الشام وقدماء شيوخهم"، مات سنة ١٤٧هـ وقيل ١٤٩هـ رحمه الله [٤].

٥٠- **يحيى بن حمزة القاضي** : أبو عبد الرحمن الدمشقي ، روى عن سفيان الثوري والأوزاعي وعطاء الخراساني ، قال فيه أحمد بن حنبل : "ليس به بأس" ، وثَّقه ابن معين وقال : " كان قدرياً " ، ووثقه النسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وكان قاضي دمشق ، أعلم أصحاب مكحول بحديثه ، وقال العجلي: "ثقة" ، مات سنة ١٨٠هـ وقيل غيرها [٥].

---

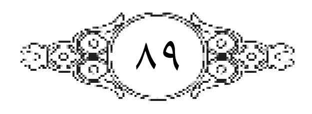
(١) انظر : تقريب التهذيب (٤٤١) .

(٢) انظر : التاريخ الكبير (١٢٥/٨) ، الجرح والتعديل (٥٠٠/٨) ، الثقات (٥٤٦/٧) ، لسان الميزان (١٤٨/٦) .

(٣) انظر : الجرح والتعديل (٧٠/٩) ، الثقات (٢٣٢/٩) .

(٤) انظر : التاريخ الكبير (١٨٩/٨) ، الثقات (٥٦٤/٧) ، مشاهير علماء الأمصار (١٨٤/١) ، تاريخ بغداد (٥١٢/١٣) ، تهذيب التهذيب (١٠٦/١١) .

(٥) انظر : الثقات (٦١٤/٧) ، تهذيب الكمال (٢٧٨/٣١) ، تقريب التهذيب (٥٨٩) .



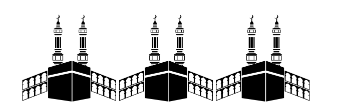
٥١- **يزيد بن أبي مريم الأنصاري** : شامي ثقة ، كنيته أبو عبدالله الدمشقي ، إمام الجامع بدمشق ، وثقة يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : "من ثقات أهل دمشق" ، وذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة ١٤٤هـ[(١)].

٥٢- **يزيد بن بزيع** : شيخ رملي ، لا يكاد يعرف ، يروي عن عطاء الخراساني ، وروى عنه : أدهم بن أبي إياس، وأبو الوليد الطيالسي ، والسحن بن سوَّار البغوي ، وغيرهم ، ضعَّفه يحيى بن معين والدارقطني [(٢)].

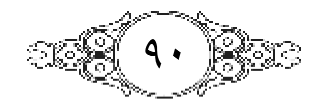
٥٣- **يزيد بن سمرة** : أبو هران الدهان ، يروى عن عطاء الخراساني ، روى عنه : هشام بن عمار ، ربما أخطأ [(٣)].

٥٤- **يونس بن راشد الجزري** : أبو إسحاق الحرَّاني ، قاضي حرَّان ، روى عن عطاء الخراساني ، قال أبو حاتم : "يكتب حديثه" ، وقال أبو زرعة : " لا بأس به ، وهو صدوق رُمي بالإرجاء" ، وعدَّه ابن حبان في الثقات [(٤)].

٥٥- **يونس بن يزيد الأيلي** : أبو يزيد ، مولى معاوية بن أبي سفيان الأموي، الإمام الثقة المحدِّث ؛ حدّث عن الزهري ، وصَحِبَه ثنتي عشرة سنة، وكان ابن المبارك يقول : " كتابه صحيح " . قال أحمد بن حنبل : "ما أحد أعلم بحديث الزهري من معمر ، إلا ما كان من يونس الأيلي ؛ فإنه كتب كل شيء هناك" ، وقال العجلي والنسائي : "ثقة" ، مات سنة ١٦٠هـ رحمه الله [(٥)].



(١) انظر : معرفة الثقات (٢/٣٦٦) ، تهذيب التهذيب (١١/٣١٥) .
(٢) انظر : الكامل في الضعفاء (٧/٢٨٣) ، والضعفاء الكبير (٤/٣٧٥) ، تاريخ الإسلام (١٠/٥١٧) ، لسان الميزان (٦/٢٨٤) .
(٣) انظر : الثقات (٩/٢٧٢) ، لسان الميزان (٦/٢٨٨) .
(٤) انظر : الجرح والتعديل (٩/٢٣٩) ، الثقات (٩/٢٨٩) ، تهذيب الكمال (٣٢/٥٠٧) ، الكاشف (٢/٤٠٣)، لسان الميزان (٧/٤٤٩) ، تهذيب التهذيب (١١/٣٨٦) .
(٥) انظر : معرفة الثقات (٢/٣٧٩) ، تذكرة الحفاظ (١/١٦٢) ، سير أعلام النبلاء (٦/٢٩٧) ، تهذيب التهذيب (١١/٣٩٥) .



❖ **المبحث الخامس : فقهه :**

كان عطاء الخراساني مشهوراً بالفقه مثلما اشتهر بالتفسير ، وأقواله في ذلك معلومة مبثوثة في كتب أهل العلم .

وسأورد هنا نماذج وأمثلة لفقه عطاء الخراساني ﵀ ، تبيِّن عمق فهمه ، وغزارة علمه ، وقوة استنباطه ، ومن ذلك :

- أخرج عبد الرزاق عن معمر قال : سألت عطاء الخراساني وأيوب عن الرجل يقعي [(١)] إذا رفع رأسه من المسجد حتى يسجد الأخرى ؟ ، فقال أيوب : كان الحسن وابن سيرين لا يقعيان . قال عطاء : كذلك كنا نسمع ، حتى جاءنا أهل مكة بغير ذلك [(٢)].

- وروي عنه أنه كان يحتبي في صلاة التطوع [(٣)].

- وسئل ﵀ عن زكاة الجواميس ، فقال : هي بمنزلة البقر[(٤)].

- وعن عبد العزيز بن عبد الملك ، قال : سألت عطاء الخراساني عن صيد الفخ ، قال : لا يصلح [(٥)].

- وعن عطاء الخراساني قال : إذا كانت الموضحة [(٦)] في جسد الإنسان ففيها خمسة وعشرون ديناراً ، وإذا كانت في اليد فمثل ذلك [(٧)].

- وعن عطاء الخراساني قال : في الأنف إذا خُرم مئة دينار ، قال معمر : وسمعت غيره يقول : ثلث الدية ، يقول : هي جائفة [(٨)] [(٩)].

- وروي عنه أيضاً : أنَّ الدَّين إذا قبض يزكيه إذا قبضه لسنة واحدة [(١٠)].

- وروي عنه في المرأة إذا طلَّقها زوجها أو مات عنها وهو ناء عنها ،

---

(١) **الإقعاء** = أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يده على الأرض كما يقعي الكلب . انظر : لسان العرب (١٢/١٥٧) مادة : قعا .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢/١٩٠) برقم : (٣٠٢٤) .

(٣) المغني (١/٣١٦) .

(٤) كتاب الأموال ، لابن زنجويه (٢/٨٥١) برقم : (١٤٩٤) .

(٥) غريب الحديث للحربي (٢/٨٥٦) .

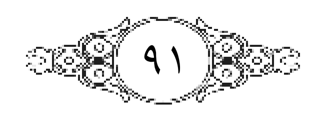
(٦) **الموضَّحة** = من الشِّجاج : التي بلغت العظم فأوضَحت عنه ، انظر : لسان العرب (١٥/٢٢٩) مادة: وضح .

(٧) مصنف عبد الرزاق (٩/٣١١) برقم : (١٧٣٣٤) .

(٨) **الجائفة** = الطعنة التي تبلغ الجوف . انظر : لسان العرب (٣/٢٤١) مادة : جوف .

(٩) مصنف عبد الرزاق (٩/٣٤٠) برقم : (١٧٤٦٩) .

(١٠) المغني (١/٥٧٤) .



وتأخر الخبر لها ، فعدَّتها من يوم يأتيها الخبر ، لأنَّ العدة اجتناب أشياء وما اجتنبتها [(١)].

- ذهب عطاء الخراساني إلى أنَّ السَّعوط لا يثبت به التحريم الذي يثبت بالرضاع ، - ومعنى السعوط أن يصب اللبن في أنفه من إناء أو غيره - ، قال: لأنَّ هذا ليس برضاع ، وإنما حرَّم الله تعالى ورسوله بالرضاع ، ولأنه حصل من غير ارتضاع فأشبه ما لو دخل من جرح في بدنه [(٢)].

- حكي عن عطاء الخراساني أنه قال في الموضحة في سائر الجسد : خمسة وعشرون ديناراً [(٣)].

- اختلفت أقوال الفقهاء في أكل ذبائح أهل الكتاب من تغلب العرب ، ونكاح نسائهم ، وقد ذهب عطاء الخراساني إلى أنه تحل ذبائحهم ونساؤهم ، لدخولهم في عموم قوله تعالى : ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة : ٥] [(٤)].

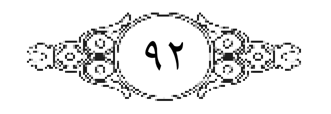
- معلوم أنَّ كفارة اليمين مخيَّرة ابتداءً ؛ مرتبة انتهاءً ، فالتخيير بين الخصال الثلاث التي ذكرها الله : ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ﴾ ، فإن لم يجدها انتقل إلى صيام ثلاثة أيام ، واعتبر الفقهاء لذلك اعتبارات في ضابط كونه لا يقدر على أحد هذه الثلاث ، منها : أن لا يجد فاضلاً عن قوته وقوت عياله يومه وليلته قدراً يكفر به .

قال عطاء الخراساني لا يصوم من ملك عشرين درهماً ، ولمن يملك دونها الصيام .

وهو الأقرب للدليل ، لأنَّ الله تعالى اشترط للصيام أن لا يجد ، حيث قال سبحانه : ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ﴾ [المائدة : ٨٩] [(٥)]. والله أعلم ، ،

---

(١) المغني (١٩٧٠/٢) .
(٢) المصدر السابق (١٩٧٢/٢) .
(٣) المصدر السابق (٢١٣١/٢) .
(٤) المصدر السابق (٢٣٤٩/٢) .
(٥) المصدر السابق (٢٤٥٩/٢) .



❖ **المبحث السادس : مؤلفاته :**

نظـراً لتقـدُّم عـصر عطـاء الخراسـاني ﷺ ، ولكـون عـصره سـابقاً عـصر التدوين فلم يكن له كثير مؤلفات ، ومع هـذا فلـم تخـلُ كتـب المصادر مـن ذكـر ما وُجِدَ من آثاره ﷺ ، ومن هذه الآثار :

١- **التفسير**(١) :

وهـو مفقـود ، ويوجـد منـه أوراق مخطوطـة في دار الكتـب الظاهريـة (سـز ١/ ٣٣) [مجموع/٩٥] – (١٢٦ أ- ١٣٢ أ)- ق ٥ هـ ، دمشق .

وتوجـد نـسخة مـن هـذه الأوراق كـذلك في متحـف طوبقوسـراي (سـز ١/ ٣٣) [مجموع٣١٠]- ٦و . سراي ، أحمد الثالث (٦أوراق) ، تركيا (٢).

وقـد قـام الـدكتور/ حكمـت بـشير ياسـين بتحقيـق هـذه الأوراق لعطـاء الخراسـاني مع أوراق أخـرى لثلاثـة مفسَّرين آخـرين وهـم : يحـيى بـن اليمـان ، ونـافع القـارئ ، ومـسلم بـن خالـد الزنجـي – رحمهـم الله جميعـاً – كلـها برواية محمد بن نصر الرملي ، وأسمـى هـذا الكتـاب : " الجـزء فيـه تفـسير القـرآن لـيحيى بن يمان ، وتفـسير القـرآن لنـافع بـن أبي نعـيم القـارئ ، وتفـسير لمـسلم بـن خالـد الزنجي ، وتفسير لعطاء الخراساني" (٣).

* ومن خلال دراستي لهذا الكتاب خلصت إلى النتائج التالية :

- أنَّ أوراق المخطـوط الـتي حُققـت ونُـسبت إلى عطـاء الخراسـاني ﷺ لم يكتبها ولم يُملها ؛ إنما هي أقـوال مُتفرقـة ، رواهـا محمـد بـن نـصر الرملـي بـسنده إلى عطـاء الخراسـاني ﷺ ، وجمَعهـا في أوراق مـستقلة ثم نُـسبت إليـه ، فكـان هذا التفسير .

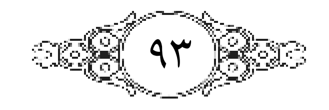
- بلغـت أقـوال عطـاء الخراسـاني ﷺ في هـذا الكتـاب ١٧٧ قـولاً فقـط ، بينمـا بلـغ مـا جمـع في الرسـالتين العلميـتين لأقـوال عطـاء الخراسـاني مـن كتـب

---

(١) انظر : طبقات المفسرين للداودي (٢٦٤) ، كشف الظنون (١/ ٤٥٣) ، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (١/ ٧٩) ، الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط (١/ ١٨) ، الأعلام (٤/ ٢٣٥) ، الموسوعة الميسرة (٢/ ١٥٣١) .

(٢) انظر : تاريخ التراث العربي (١/ ٧٩) ، الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط (١/ ١٨) .

(٣) طبعته مكتبة الدار بالمدينة المنورة . ط١ ، ١٤٠٨هـ في كتاب واحد من القطع المتوسط ، وعدد صفحاته ١٤٣ صفحة .



التفسير والسنة والتراجم حوالي : (٤٩٥) أربعمائة وخمسة وتسعين قولاً ، من بداية سورة الفاتحة حتى نهاية سورة الناس ، مرتبةً حسب السور والآيات .

- كان هذا الكتاب مرجعاً رجعت إليه في مصادر الأقوال وعزوها كما هي كتب التفسير والسنة التي استقيت منها أكثر الأقوال .

- اقتصر عمل المحقِّق وَفَّقَهُ اللهُ على تحرير النصِّ فقط دون الدراسة أو العزو إلا ما قلَّ لبعض المراجع ، ومعلوم أنَّ ما قام به وَفَّقَهُ اللهُ من إخراج النص هو خلاصة التحقيق وعماده .

- وأخيراً : أرجو من الله الكريم أن يكون ما وفقني لجمعه من أقوال عطاء الخراساني ودراستها ؛ - مضافاً إلى ما بدأه أخي وزميلي الشيخ / سلطان العتيبي ، من أوَّل سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الإسراء - أن يكون ذلك مؤلَّفاً متكاملاً في التفسير يُعزى إلى عطاء الخراساني رحمه الله .

٢- **الناسخ والمنسوخ**[١] :

وهو مخطوط يوجد جزء منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق : (سز ٣٣/١) [مجموع١٨] - ٢٨ أ - عن رواية الخطيب البغدادي ، قال فؤاد سزكين : " حصل الخطيب البغدادي على إجازة بروايته ، انظر : مشيخة الظاهرية مجموع ١٨ (ص١٢٨ أ) ، ويبدو أنَّ نقولاً من هذا الكتاب قد بقيت في التفاسير المتأخرة والمؤلفة بنفس العنوان"[٢].

وقال الداودي رحمه الله في عَدِّ مؤلفات عطاء الخراساني رحمه الله : " وناسخه ومنسوخه ، رواية يونس بن راشد الحراني عنه"[٣].

٣- **كتاب تنزيل القرآن** : وهو مفقود [٤].

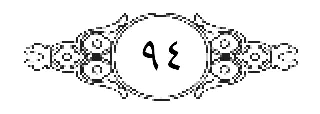
---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢٦٤) ، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (٧٩/١) ، الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط (١٨/١) ، والأعلام (٢٣٥/٤) ، الموسوعة الميسرة (١٥٣١/٢).

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (٧٩/١) .

(٣) طبقات المفسرين للداودي (٢٦٤) .

(٤) ذكر هذه المصنفات الثلاث عنه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٣٢٩/٣-٣٣٠) في ترجمة علي بن أحمد بن الصياح – المعروف بابن طاهر - ، قال في ترجمته : (ومما سمع منه أبو الحسن القطان : كتاب تنزيل القرآن ، وتفسيره ، وناسخه ومنسوخه لعطاء الخراساني) ، كما ذكره الداودي في طبقات المفسرين (٢٦٤) .



❖ **المبحث السابع : مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه :**

أما مكانته العلمية فهو عالم حبْر مشهود له بالعلم والفضل ، وأقوال العلماء فيه مصدِّقة لذلك وشاهدة له ، ومما قيل عنه :

قال ابن سعد رحمه الله في عطاء الخراساني : " وكان ثقة " [(١)].

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم :" لما مات العبادلة عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالى : فصار فقيه أهل مكة : عطاء بن أبي رباح ، وفقيه أهل اليمن : طاووس ، وفقيه أهل اليمامة : يحيى بن أبي كثير ، وفقيه أهل البصرة: الحسن البصري ، وفقيه الكوفة : النخعي ، وفقيه أهل الشام : مكحول ، وفقيه أهل خراسان : عطاء الخراساني ، إلا المدينة فإنَّ الله تعالى خصَّها بقرشي فكان فقيه أهل مدافع : سعيد بن المسيب" [(٢)].

وقال يحيى بن معين رحمه الله : " عطاء الخراساني ثقة " [(٣)].

وعدَّه ابن حبان في الثقات [(٤)].

وقال أبو نُعيم رحمه الله : " ومنهم المُحدِّثُ على التزود للآجلة ، المنفِّر عن الاغترار بالعاجلة ، أبو عثمان الخراساني عطاء بن ميسرة . كان فقيهاً كاملاً ، وواعظاً عاملاً ، تزود للارتحال ، تيقناً للانتقال " [(٥)].

وقال ابن عبدالبر رحمه الله : " عطاء الخراساني أحد العلماء الفضلاء .. وله أخبار طيبة عجيبة في فضائله" [(٦)] .

وقيل للأوزاعي : حُدثنا عن عطاء الخراساني أنه صلى خلف عمر بن

---

(١) الطبقات الكبرى (٣٦٩/٧) .

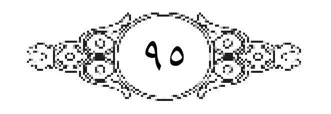
(٢) انظر : أخبار مكة للفاكهي (٣٤٣/٢) ، طبقات الفقهاء (٤٠/١) ، تاريخ دمشق (٤٢٦/٤٠) ، معجم البلدان (٣٥٤/٢) ، شذرات الذهب (١٠٣/١) .

(٣) انظر : تاريخ ابن معين (١٧٨/٣) ، الجرح والتعديل (٣٣٤/٣) ، الكامل لابن عدي (٣٥٩/٥) ، التمهيد (٣/٢١) ، تاريخ دمشق (٤٢٨/٤٠) ، تاريخ الإسلام (٤٩٠/٨) ، سير أعلام النبلاء (١٤٠/٦) ، شرح الزرقاني (٤٢٦/١) .

(٤) الثقات (٢٠٦/٥) .

(٥) حلية الأولياء (١٩٣/٥) .

(٦) التمهيد (٣/٢١) .



عبدالعزيز وأنه كبر يوم النحر ، فقال : " إنَّ عطاء لثقة " [(١)].

قال عيسى بن يونس[(٢)] : " كتب إليَّ إسماعيل بن عياش : لا يفوتنَّك عطاء الخراساني تسمع منه . فكتبت إليه : معيشتي أوجب عليَّ أن أحكمها . قال : ثم أردفني بكتاب آخر . قال : ثمَّ قدمت من الكوفة فقال لي سفيان الثوري : سمعتَ من عطاء الخراساني ؟ قلت : لا . فخرجت بابنه وأنا أريد ، فمات قبل أن أصل إلى الثغر " [(٣)].

وقال الإمام أحمد : " عطاء الخراساني ثقة " [(٤)].

وقال يعقوب بن شيبة [(٥)] : " عطاء الخراساني مشهور له فضل وعلم معروف بالفتوى والجهاد ، روى عن مالك بن أنس ، وكان مالك ممن ينتقي الرجال وابن جريج وحماد بن سلمه والمشيخة ، وله أخبار قد ذكرناها فيما تقدم ، وهو ثقة ثبت"[(٦)].

وقال ابن الجوزي ﷺ : " كان من أهل العلم والصلاح " [(٧)].

وقال النووي ﷺ : "هو من العبَّاد متَّفق على توثيقه"[(٨)].

وقال الذهبي ﷺ : " المحدِّث الواعظ عطاء الخراساني[(٩)] ، أحد

---

(١) انظر : مسند الشاميين (٣/٢٩٣) ، تاريخ مدينة دمشق (٤٠/ ٤١٩) .

(٢) **عيسى بن يونس** = ابن أبي إسحاق السَبِيعي ، أخو إسرائيل ، أحد الأعلام ، كوفي نزل الشام مرابطاً ، ثقة مأمون ، من الثامنة ، روى عن أبيه وهشام بن عروة والأعمش ، وروى عنه حماد بن سلمة مع تقدمه وابن المديني وإسحاق وابن عرفة وأمم ، كان يحج سنة ويغزو سنة ، مات سنة سبع وثمانين ومائة انظر : الكاشف (٢/١١٤) ، تقريب التهذيب (٤٤١) .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٤٠/ ٤٢٧) .

(٤) انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٠/ ٤٢٨) ، معجم البلدان (٢/٣٥٤) ، ميزان الاعتدال (٥/٩٣) .

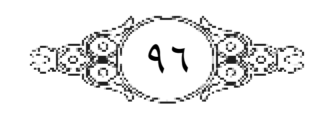
(٥) **يعقوب بن شيبة** = ابن الصَّلت بن عصفور ، الحافظ الكبير ، أبو يوسف السَّدوسي البصري نزيل بغداد ، سمع علي بن عاصم ويزيد بن هارون وخلقاً من طبقتهم ، روى عنه حفيده محمد بن أحمد بن يعقوب ويوسف بن يعقوب الأزرق وجماعة ، وثَّقه الخطيب وغيره ، وصنَّف مسنداً كبيراً إلى الغاية القصوى لم يتمه ولو تمَّ في مائتي مجلَّد ، توفي في ربيع الأوّل سنة اثنتين وستّين للهجرة . انظر : تاريخ الإسلام (٢/٢٠١) .

(٦) المراجع السابقة .

(٧) صفة الصفوة (٤/١٥٠) .

(٨) تهذيب الأسماء (١/٣٠٧) .

(٩) سير أعلام النبلاء (٦/١٤٠) .



الكبار[١]، ثقة ناسك فقيه [٢]، من كبار العلماء " [٣].

وقال الدارقطني رحمه الله : " هو في نفسه ثقة لكنه لم يلق ابن عباس"[٤].

وقال العجلي رحمه الله: " عطاء الخراساني ثقة"[٥].

وقال أبو حاتم رحمه الله: " ثقة محتج به" [٦].

وقال الترمذي رحمه الله: " ثقة ، لم أرَ أحداً تكلَّم فيه بشيء " [٧].

وقال : " عطاء ثقة ، روى عنه مثل مالك ومعمر ، ولم أسمع أنَّ أحداً من المتقدمين تكلم فيه " [٨].

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " عطاء الخراساني ثقة مشهور"[٩].

وحسبه فضلاً أن يخرج له الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه [١٠].

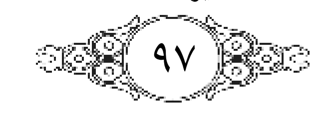
وربما أشكل على البعض في دراسة سيرة عطاء الخراساني أن يجد بين ما تقدم من ثناء العلماء عليه ، قول سعيد بن المسيب رحمه الله : " كذب عليَّ عطاء ما حدثته هكذا "[١١].

فلعل قصد سعيد بن المسيب رحمه الله : أخطأ عطاء ، وليس المقصود الكذب نفسه، وذلك لسببين :

- **السبب الأول** : أنَّ العرب تستعمل كلمة الكذب في موضع الخطأ ،

---

(١) تاريخ الإسلام (٨/٤٩٠) .
(٢) الكاشف (٢/١٦) .
(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٢) .
(٤) انظر : تاريخ الإسلام (٨/٤٩٠) ، ميزان الاعتدال (٥/٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٤٠) ، تهذيب التهذيب (٧/١٩٠) .
(٥) انظر : معرفة الثقات (٢/١٣٧) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٣) .
(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٤) .
(٧) انظر : فيض القدير (٤/٣٦٩) .
(٨) انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٥/٩٤) .
(٩) الفتاوى الكبرى (٣/١٣٣) .
(١٠) انظر : الحديث رقم : (٩٧٧) من صحيح مسلم ، في كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه .
(١١) انظر : العلل لأحمد بن حنبل (٣/٣٢٧) ، المراسيل لأبي داود (١٢٧) ، ضعفاء العقيلي (٣/٤٠٧) ، العلل للدارقطني (١٠/٢٤٦) ، التمهيد (٢١/٨) ، ميزان الاعتدال (٥/٩٤) ، تهذيب التهذيب (٧/١٩١) .



كما قال ذلك ابن منظور في اللسان [(١)]، وأنشد بيت الأخطل [(٢)]:

كَــذَبَتْكَ عَيْنُــكَ أَمْ رَأَيْــتَ بِوَاسِــطٍ غَلَسَ الظَّلاَمِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاَ

وقول ذي الرمَّة [(٣)]:

وَقَــدْ تَــوَجَّسَ رِكْــزاً مُقْفِــرٌ نَــدُسٌ بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ مَا فِيْ سَمْعِهِ كَذِبُ

- **السبب الثاني** : أنه لم يُكذِّب أحدٌ من العلماء عطاءً الخراساني ، غير هذا ، ولعل ما سبق توجيهه وقصده [(٤)].

وقد أجاب ابن عبد البرِّ عن هذه الرواية ببيان ضعفها ، وانتصر لعطاء الخراساني ، فقال ﷺ : (فروى القاسم بن عاصم هذا عن سعيد بن المسيب أنه كذَّب عطاء الخراساني في حديثه هذا ، **وعطاء الخراساني عندي فوق القاسم بن عاصم في الشهرة ، يحمل العلم والفضل ، وليس مثله عند أهل الفهم والنظر ممن يجرح به عطاء ، ويدفع ما رواه** .

وقد اختلف على القاسم في حكايته تلك ؛ فروى سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن علية ، عن خالد الحذاء ، عن القاسم بن عاصم ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : ما حديث حدثناه عنك عطاء الخراساني ؟ قال : ما هو ؟ قلت : في الذي وقع على امرأته في رمضان ، فذكر الحديث هكذا قال فيه حدثنا عنك عطاء الخراساني . وروى أبو صالح ، عن الليث بن سعد ، عن عمرو بن الحرث ، عن أيوب السختياني ، عن القاسم ، أنه قال لسعيد بن المسيب : إنَّ عطاء بن أبي رباح حدثني أنَّ عطاء الخراساني حدَّث عنك في الرجل الذي أتى رسول الله ﷺ وقد أفطر في رمضان أنه أمره بعتق رقبة ، فقال: لا أجدها ، فقال : « فَاْهِدْ جَزُوْرَاً » ، قال : لا أجدها ، قال :

---

(١) انظر : لسان العرب (١٣/٣٩) مادة : كذب .

(٢) انظر : شرح ديوان الأخطل التغلبي ص(٣٨٥) ، وواسط : قرية غربي الفرات مقابل الرقة . رباب : اسم صاحبته ، الغلس : ظلمة آخر الليل ، يقول إنه تلامح له خيال ، ولم يدر هل هو حقيقة أم طيف الحبيبة زاره في واسط قبيل انبثاق الفجر .

(٣) انظر : ديوان ذي الرمة ص(١٩) ، ومعنى التوجس : الاستماع ، الركز : الصوت الخفي ، ندس : فطن ، وذو الرمة هنا يريد وصف الثور بالفطنة .

(٤) انظر : رواية محمد بن نصر الرملي لتفسير عطاء الخراساني ص٢٠ بتحقيق الدكتور/ حكمت بشير ياسين.

« فَتَصَدَّقْ بِعِشْرِيْنَ صَاعَاً مِنْ تَمْرٍ »، قال سعيد : " كذب الخراساني ؛ إنما قلت : تصدَّق .. تصدَّق " .

ففي هذه الرواية أنَّ القاسم هذا قال لسعيد : إنَّ عطاء بن أبي رباح حدثني أنَّ عطاء الخراساني حدثه عنك ، وفي الرواية الأولى أنَّ القاسم هذا قال لسعيد ما حديث حدثناه عنك عطاء الخراساني ، وهذا اضطراب وباطل .

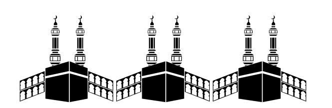
وروى حماد بن زيد هذا الخبر عن أيوب ، قال : حدثني القاسم بن عاصم ، قال : " قلت لسعيد بن المسيب : إنَّ عطاء الخراساني حدثني عنك أن النبي ﷺ أمر الذي واقع امرأته في رمضان بكفارة الظهار ، فقال : كذب ما حدثته ، إنما بلغني أنَّ النبي ﷺ قال له : تصدق .. تصدق " .

فهذه مثل رواية خالد الحذاء .

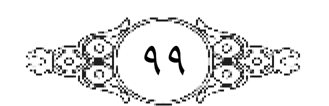
وأما قول حماد بن زيد في حديثه هذا إنَّ النبي ﷺ أمر الذي واقع امرأته في رمضان بكفارة الظهار ؛ فإنَّ الرواية الثابتة عن أبي هريرة من رواية ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أنَّ النبي ﷺ أمر الذي وقع على امرأته في رمضان بالكفارة على ترتيب كفارة الظهار ، هكذا رواه ابن عيينة ، ومعمر ، والأوزاعي ، والليث بن سعد، ومنصور بن المعتمر ، وغيرهم ، عن ابن شهاب بإسناده على ترتيب كفارة الظهار) [1].

وفي كلامه هنا تضعيف للرواية التي وردت بذلك .

والحمد لله ..



(١) التمهيد (٢١/٨-٩) .



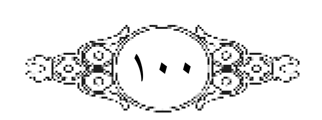
الباب الثاني
عطاء الخراساني مفسِّراً

وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المدارس التفسيرية في عصر النبي ﷺ ، وعصر الصحابة ، وعصر التابعين .

الفصل الثاني : مصادر عطاء الخراساني في التفسير .

الفصل الثالث : منهج عطاء الخراساني في التفسير .



الفصل الأول :

المدارس التفسيرية في عصر النبي ﷺ وعصر الصحابة والتابعين .

وفيه أربعة مباحث :

❖ **المبحث الأول : التفسير في اللغة والاصطلاح .**

❖ **المبحث الثاني : مدرسة التفسير في عصر النبي ﷺ .**

❖ **المبحث الثالث : مدرسة التفسير في عصر الصحابة .**

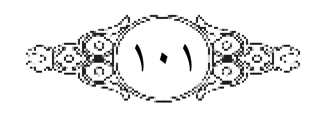
وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : أهمية التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم .
- **المطلب الثاني** : مصادر التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم .
- **المطلب الثالث** : خصائص التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم .
- **المطلب الرابع** : قيمة تفسير الصحابة رضي الله عنهم .

❖ **المبحث الرابع : مدرسة التفسير في عصر التابعين .**

وفيه مطالب :

- **المطلب الأول** : التفسير في عصر التابعين رحمهم الله .
- **المطلب الثاني** : مصادر التفسير في عصر التابعين رحمهم الله .
- **المطلب الثالث** : مميزات تفسير التابعين رحمهم الله .
- **المطلب الرابع** : حجية تفسير التابعين رحمهم الله .



المبحث الأول : التفسير في اللغة والاصطلاح :

التفسير لغةً : تفعيل من الفَسْر وأصل مادته اللغوية تدل على بيان شيء وإيضاحه [(١)]، مأخوذ من قولهم : فَسَرتُ الحديث ، أفسُرُهُ فَسْراً ؛ إذا بيَّنته وأوضحته ، وفسَّرتُه تفسيراً : كذلك [(٢)].

قال ابن منظور : " الفَسْرُ : البيان فَسرَ الشيء يفسِرُه بالكسر ، ويفسُرُه، بالضم فَسْراً ، وفسَّرَه : أبانه ، والتفسير مثله ، قال ابن الأعرابي[(٣)]: التفسير والتأويل والمعنى واحد ، وقوله عز وجل : ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ؛ الفَسْر : كشف المغطى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل " [(٤)] .

قال الدكتور/ محمد حسين الذهبي رحمه الله بعد أن ذكر المعنى اللغوي للتفسير : " ومن هنا يتبيَّن لنا أنَّ التفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي ، وفي الكشف عن المعاني المعقولة ، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول"[(٥)] .

التفسير اصطلاحاً : اختلفت تعبيرات مَن عرَّفه بين متوسع ومختصر ومتوسط بينها ، وذلك لأنَّ بعض العلماء يرى أنَّ التفسير ليس من العلوم التي يُتكلَّف لها حدّ ؛ لأنه ليس قواعد أو ملَكَات ناشئة من مزاولة القواعد ؛ كغيره من العلوم التي أمكَن لها أن تشبه العلوم العقلية ، ويكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها .

ويرى بعض آخر منهم : أنَّ التفسير من قبيل المسائل الجزئية ، أو القواعد الكلية ، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد ؛ فيتكلَّف له التعريف ، فيذكر

---

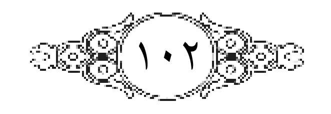
(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٨٤٧) .

(٢) انظر : جمهرة اللغة لابن دريد (٧١٨/٢) .

(٣) **ابن الأعرابي** = محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله ، كان مولى لبني هاشم لأنه من موالي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان أبوه زياد عبداً سندياً ، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها نحوياً ، لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه ، راوية لأشعار القبائل ناسباً ، وكان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب ، توفي سنة ثلاثين ومائتين وقيل سنة إحدى وثلاثين ، وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة . انظر : معجم الأدباء (٣٣٦/٥) .

(٤) لسان العرب (١٨٠/١١) مادة : فسر .

(٥) التفسير والمفسرون (١٢/١) .



في ذلك علوماً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن ، كاللغة والصرف ، والنحو والقراءات ، وغير ذلك .

وإذا تتبَّعنا أقوال العلماء الذين تكلَّفوا الحد للتفسير ، وجدناهم قد عرَّفوه بتعريفات كثيرة ، يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها ، فهي إن كانت مختلفة من جهة اللفظ ، إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه [1].

وممن عرَّف التفسير : ابن جُزي ﷺ [2] حيث قال : " معنى التفسير : شرح القرآن ، وبيان معناه ، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه"[3].

وعرَّفه أبو حيان ﷺ [4] بقوله : " التفسير : علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات ذلك .

فقولنا : " عِلم " : هو جنس يشمل سائر العلوم .

وقولنا : " يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" : هذا علم القراءات .

وقولنا : " ومدلولاتها " أي مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم .

وقولنا : وأحكامها الإفرادية والتركيبية" : هذا يشمل علم التصريف ، وعلم الإعراب ، وعلم البيان ، وعلم البديع .

" ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب " : شمل بقوله : " التي تحمل عليها ": ما لا دلالة عليه بالحقيقة ، وما دلالته عليه بالمجاز ، فإنَّ التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صادٌّ ، فيحتاج لأجل ذلك

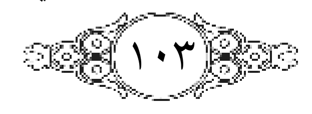
---

(١) انظر التفسير والمفسرون (١٢/١).

(٢) **محمد بن أحمد بن جزي الكلبي**، أبو القاسم، فقيه مالكي، مشارك في عدة علوم : الأصول والحديث والتفسير ، وله فيه كتاب : " التسهيل في علوم التنزيل"، توفي سنة ٧٤١هـ. انظر: الديباج المذهب (٢٩٥) ، معجم المفسرين (٤٨١/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١٥/١) .

(٤) **محمد بن يوسف بن علي بن حيان** = أثير الدين أبو حيان ، النحوي اللغوي، المفسر، له مشاركة في عدة علوم ، ومن كتبه : " البحر المحيط " في التفسير، و " تحفة الأديب بما في القرآن، من الغريب " ، توفي بالقاهرة بعد أن كُفّ سنة ٧٤٥هـ . انظر : نكت الهميان للصفدي (٢٨٠) ، معجم المفسرين (٦٥٥/٢) .



أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز .

وقولنا : " وتتمات ذلك" : هو معرفة النسخ ، وسبب النزول ، وقصة توضح ما انبهم في القرآن ، ونحو ذلك " [١].

وعرَّفه الزركشي[٢] في موضعين من كتابه البرهان في علوم القرآن ، فقال في الموضع الأول : " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحِكَمه"[٣].

وعرَّفه في الموضع الثاني ، فقال : " هو علم نزول الآية ، وسورتها وأقاصيصها ، والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسِّرها .

وزاد فيه قوم ، فقالوا : علْم حلالها وحرامها ، ووعْدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها "[٤] .

وقال ابن عرفة المالكي[٥] : " ... هو العلم بمدلول القرآن ، وخاصية كيفية دلالته ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ .

فقولنا : خاصية كيفية دلالته : هي إعجازه ، ومعانيه البيانية ، وما فيه من علم البديع الذي يذكره الزمخشري[٦] ومن نحا نحوه " [٧].

---

(١) البحر المحيط (١/٢٣-٢٤) .

(٢) **محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي** = بدر الدين ، كان فقيهاً أصولياً أديباً ، له مشاركة في الحديث والتفسير، قال ابن حجر في الدرر الكامنة (٥/١٣٤) : " ورأيت أنا بخطه من تصنيفه البرهان في علوم القرآن، من أعجب الكتب وأبدعها " ، توفي سنة ٧٩٤هـ ، انظر : شذرات الذهب (٦/٣٣٥) .

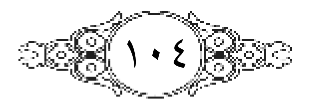
(٣) البرهان في علوم القرآن (١/١٣) .

(٤) المرجع السابق (٢/١٤٨) .

(٥) **محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي** ، المالكي ، أبو عبدالله ، تمهَّر في الفنون ، وأتقن المعقول ، إلى أن صار إليه المرجع في بلاد المغرب ، وعلَّق عنه بعض أصحابه كلاماً في التفسير ، كثير الفوائد في مجلدين ، وكان يلتقطه في حال قراءتهم عليه ، ويدونه أولاً فأولاً ، وكلامه فيه دال على توسع في الفنون وإتقان وتحقيق ، وقد طُبع جزء من تفسيره برواية تلميذه أبي عبدالله محمد بن خلفة الأُبي ، توفي ابن عرفة سنة ٨٠٣هـ . انظر : شذرات الذهب (٧/٣٨) .

(٦) **محمود بن عمر الزمخشري** ، أبو القاسم ، جار الله إمام في اللغة والنحو والأدب ، وكان معتزلياً مجاهراً بذلك ، وله في التفسير كتابه الشهير المعروف بالكشاف ، توفي بقصبة خوارزم سنة ٥٣٨هـ . انظر : معجم الأدباء (٥/٤٨٩) .

(٧) تفسير ابن عرفة ، برواية الأبي (١/٥٩) .



وقال الكافيجي(١) : " وأما التفسير في العرف ، فهو كشف معاني القرآن وبيان المراد .

والمراد من معاني القرآن أعمّ سواء كانت معاني القرآن لغوية أو شرعية وسواء كانت بالوضع أو بمعونة المقام وسوق الكلام وبقرائن الأحوال ، ونحو: السماء والأرض والجنة والنار ، وغير ذلك . ونحو : الأحكام الخمسة. نحو : خواص التركيب اللازمة له بوجه من الوجوه"(٢).

وقال محمد الطاهر بن عاشور(٣) : " التفسير : اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن ، وما يستفاد منها ، باختصار أو توسع"(٤).

وقال الشيخ سليمان الجمل(٥): " علمٌ يُبحَث فيه عن أحوال القرآن المَجيد من حيث دَلاَلَتُه على مراد الله بحسَبِ الطاقة البشرية " (٦).

وقال شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين ﵀ : " بيان معاني القرآن " (٧) .

ومما تقدم من تعريفات نلحظ توسع بعضها لتدخل فيها علوم تتعلق بالقرآن غير علم التفسير ؛ مثل : علم القراءات ، ورسم المصحف ، وغير ذلك – كما سبق – في تعريفي أبي حيان الأندلسي والزركشي رحمهما الله .

ونلحظ جلياً أنَّ معظم تلك التعريفات انطلقت من المعنى اللغوي للتفسير

(١) **محمد بن سليمان الرومي الحنفي** ، أبو عبدالله الكافيجي [لقب بذلك لكثرة اشتغاله بالكفاية في النحو] ، كان إماماً في عدة علوم : الكلام والنحو واللغة والجدل وغيرها ، وله اليد الحسنة في الفقه والحديث والتفسير ، وله فيه : " التيسير في قواعد التفسير" و " كشف النقاب للأصحاب والأحباب في إعجاز القرآن" توفي سنة ٨٧٩هـ. انظر : بغية الوعاة (١/١١٧- ١١٨) ، شذرات الذهب (٧/٣٢٦- ٣٢٨) .

(٢) التيسير في قواعد التفسير ، للكافيجي (١٢٤-١٢٥) .

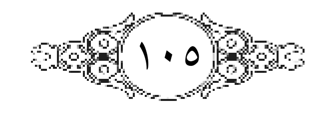
(٣) **محمد الطاهر بن عاشور** = رئيس المفتين المالكيين في تونس ، مفسر ، لغوي ، نحوي ، أديب ، له أبحاث ومشاركات أدبية ، وتحقيقات علمية ، نشرها في مجلات وكتب ، وله في التفسير : التحرير والتنوير ، توفي سنة ١٣٩٣هـ . انظر : معجم المفسرين (٢/٥٤١) .

(٤) التحرير والتنوير (١/١٠) .

(٥) **سليمان الجمل** = سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل : فاضل من أهل منية عجيل - إحدى قرى الغربية بمصر - ، وانتقل إلى القاهرة ، له مؤلفات منها : الفتوحات الالهية - حاشية على تفسير الجلالين ، والمواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية ، وفتوحات الوهاب - حاشية على شرح المنهج ، في فقه الشافعية ، توفي سنة ١٢٠٤هـ . انظر : الأعلام (٣/١٣١) .

(٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين (١/٢) .

(٧) أصول في التفسير ص(٢٥) .



وهـذا هـو الـصواب ، وقـد اسـتعملت في هـذه التعريفـات عبـارات : بيـان ، وشـرح، وكـشف للتعـبير عـن معـنى " التفـسير " ويمكـن مـن هـذا المنطلـق القـول بأنَّ عملية التفسير إنما هي بيان وشـرح القـرآن ، فمـا كـان خـارج نطـاق البيـان فإنـه غير داخل في مصطلح التفسير .

والخلاصة : أنَّ ما يقع به بيـان عـن معـنى الآيـة ، فإنـه تفـسير للقـرآن لـذا فإنـا لو أردنا تعريف التفسير بأنـه : " بيـان معـاني القـرآن " لكـان كافيـاً بـإذن الله ، معبِّـراً عن المراد [١].

والله أعلم ..



(١) انظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم (٢٥-٣٢) .



المبحث الثاني : مدرسة التفسير في عصر النبي ﷺ :

محمد رسول الله ﷺ هو المفسِّر الأول لكلام ربه ومولاه ، فإنَّ الله – عز وجل – بعثه بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة وأنزل عليه الكتاب وجعله موضحاً ومبيناً له ، فقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل :٤٤] ، فجعله الله مأموراً بالتفسير والبيان ؛ فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة كما أمره الله سبحانه .

ومن المعلوم أنَّ السنة تفسِّر القرآن وتبيِّنه كما قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء:١٠٥] .

وقال جلَّ ثناؤه : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل:٦٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لأولى الطُّرق وأصحِّها في البيان من تفسير القرآن بالقرآن : (فإن أعياك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن)[(١)].

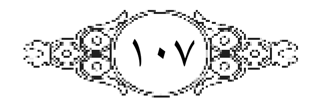
وقال ابن تيمية أيضاً : (ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو سنة الرسول ﷺ تفسرها ، فإنَّ سنة رسول الله ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه)[(٢)].

وقال كذلك رحمه الله : (والغرض : أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة)[(٣)].

وكانت المرحلة الأولى للتفسير أنْ يفسِّر النبي ﷺ للصحابة بعض الآيات من دون سبق سؤال عن معناها ، كتفسيره القوة بالرمي ؛ كما جاء في حديث عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : « ﴿وَأَعِدُّوا۟

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٣) ، مقدمة في أصول التفسير ص(١٠٣) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٩) .
(٣) مقدمة في أصول التفسير ص(١٠٣) .



لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ؛ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ » [1].

وكان ﷺ يبين للناس ما احتاج إلى بيان مما أشكل عليهم فهم معناه ، ومن ذلك ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال : " لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام :٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالُوا أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ : ﴿ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣] » [2].

ولم تكن عادته ﷺ في التفسير الإطناب في الآية أو الخروج إلى مالا فائدة فيه بل كان جُلُّ تفسيره ﷺ بياناً لمجمل ؛ أو توضيحاً لمشكل ، أو تقييداً لمطلق ، أو تخصيصاً لعام ، أو بياناً لمعنى لفظ غريب [3].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في المقدار الذي فسَّرَه رسول الله ﷺ من القرآن .

- فقالت طائفة – منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – : " يجب أنْ يعلم أنَّ الرسول ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن ، كما بيَّن لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ، يتناول هذا وهذا " [4].

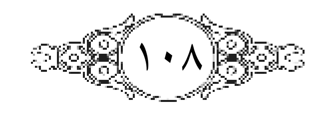
---

(١) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم (١٩١٧) في كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه وذمّ من علمه ثمّ نسيه .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم (٣٢) في كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم ، وبرقم : (٣٣٦٠) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، وبرقم : (٣٤٢٨) (٣٤٢٩) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ ، وبرقم : (٤٦٢٩) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ ، وبرقم : (٤٧٧٦) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وبرقم : (٦٩١٨) في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة ، وبرقم : (٦٩٣٧) في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب ما جاء في المتأولين . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٢٤) في كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه ، واللفظ له .

(٣) انظر : بحوث في أصول التفسير (١٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٣٣١) .



وقال أيضاً : " ومن المعلوم أنَّ كلَّ كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرَّد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك .

وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتاباً في فن من العلم ، كالطب والحساب، ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ..." [(١)].

- وطائفة أخرى –على العكس من الأولى – تقول : لم يبين الرسول ﷺ للصحابة إلا آيات قلائل ، قالوا : لأنَّ تفسير القرآن كله متعذِّر إلا في آيات قلائل ، والعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل ، والحكمة فيه أنَّ الله أراد أن يتفكَّر العباد في كتابه [(٢)].

والراجح : أنَّ الرسول ﷺ بين لأصحابه الكرام رضي الله عنهم ما دعت الحاجة إلى بيانه ، وفسَّر لهم ما أشكل عليهم ، وأجابهم على أسئلتهم ، وهذا الذي بينه لهم ليس كل القرآن كما قال ابن تيمية ، وليس آيات قليلة ، كما نقل السيوطي [(٣)].

وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله : " والرأي الذي تميل إليه النفس – بعد أن اتَّضح لنا مغالاة كل فريق في دعواه وعدم صلاحية الأدلة لإثبات المدعى – هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول : إنَّ الرسول ﷺ بيَّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه ؛ كما تشهد بذلك كتب الصحاح ، ولم يبيِّن كل معاني القرآن ، لأنَّ من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه ما يعلمه العلماء ، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته ؛ كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير : قال : " التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله " [(٤)].

وبدهيٌّ أنَّ رسول الله ﷺ لم يفسِّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام

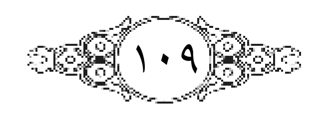
---

(١) المرجع السابق (١٣/٣٣٢) .

(٢) انظر : الإتقان للسيوطي (٨٥١) ، اختلاف المفسِّرين (٢٠-٢٢) .

(٣) انظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (١٩٢) ، ومناهج المفسرين للدكتور مصطفى مسلم (٣١) .

(٤) جامع البيان (١/٢٥) .



العرب لأنَّ القرآن نزل بلغتهم ، ولم يفسِّر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذي لا يعذر أحد بجهله لأنه لا يخفى على أحد ، ولم يفسِّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة ، وحقيقة الروح ، وكذا الآيات المتعلقة بالكون؛ إذ العقول لا تحتمل تفسيرها في عصره ﷺ ، ونحو ذلك من كل ما يجري مجرى الغيوب التي لم يُطلِع الله عليها نبيه ، وكذا الآيات المتعلِّقة بالكون ؛ إذ العقول لا تحتمل تفسيرها في عصره ﷺ ، وإنما فسَّر لهم ﷺ بعض هذه المغيبات التي أخفاها الله عنهم ، وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم ، وفسَّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث ، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم ، كبيان المجمل وتخصيص العام ، وتوضيح المشكل ، وما إلى ذلك من كل ما خفي معناه والتبس المراد به .

ومما يؤيد أنَّ النبي ﷺ لم يفسر كلَّ معاني القرآن : أنَّ الصحابة رضي الله عنهم وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات ، ولو كان عندهم فيها نصٌّ عن رسول الله ﷺ لم يقع هذا الاختلاف ، أو لارتفع بعد وقوفهم على النص .

وهنا .. ينبغي أن نعلم : على أي وجه كان بيان رسول الله ﷺ للقرآن ؟ .

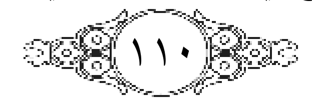
إنَّ الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، يجد فيهما ما يدل على أنَّ رسول الله ﷺ وظيفته البيان لكتاب الله ، أو يقال بعبارة أخرى : إنَّ مركز السنة النبوية من القرآن ؛ مركز المبيِّن من المبيَّن .

فمن القرآن قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ .

ومن السنة ، ما رواه أبو داود عن المقدام بن معد يكرب، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، ألاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ... » (١) .

فقوله : « أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » ، معناه أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي أذن له أن يبيِّن ما في الكتاب ، فيعم ويخص ويزيد

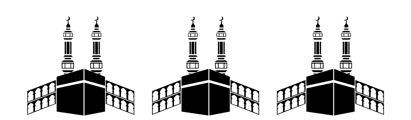
(١) **صحيح** . أخرجه أبو داود في سننه برقم : (٤٦٠٤) ، في كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، وإسناده صحيح ، صححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٠٤) ، وفي صحيح الجامع (٢٦٤٣) .



عليه ويشرع ما في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن .

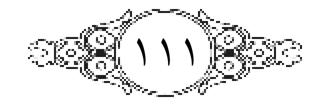
ويحتمل وجهاً آخر : وهو أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ؛ مثلما أعطي من الظاهر المتلو ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[النجم :٣-٤] [(١)].

ويناسب هنا ذكر قول عطاء الخراساني رحمه الله : " السنة قضية على القرآن"[(٢)].



(١) انظر : التفسير والمفسرون (١/٣٦-٤٣) .

(٢) حلية الأولياء (٥/١٩٨) .



المبحث الثالث : مدرسة التفسير في عصر الصحابة ﭫ . وفيه مطالب :

- **المطلب الأول : أهمية التفسير في عصر الصحابة ﭫ :**

تعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الثانية للتفسير ، وتبدأ بوفاة النبي المصطفى ﷺ ، وتنتهي بوفاة آخر صحابي تكلَّم في التفسير .

واشتهر بالتفسير في هذه المرحلة عشرة من الصحابة ، وهم : الخلفاء الراشدون الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبيِّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ﭫ [(١)]، وهناك من الصحابة من لهم روايات في التفسير لكنهم لم يشتهروا بها ، ولذا لم يكن عدادهم من المكثرين ، منهم أنس بن مالك ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ﭫ [(٢)].

وقد اتَّسعت دائرة الحاجة إلى التفسير في عصر الصحابة ﭫ ، وذلك للأسباب التالية [(٣)]:

١- دخل الإسلام أقوام من غير العرب وكانوا حريصين على معرفة أمور دينهم وشرائع ربهم ، وتدبر كتاب الله ، وبما أنهم لم يكونوا على المستوى اللغوي الذي يمكِّنهم من إدراك معاني القرآن ومراميه كان لا بد من الرجوع إلى صحابة رسول الله ﷺ الذين نزل القرآن بلغتهم ، وهم أدرى الناس بهداياته.

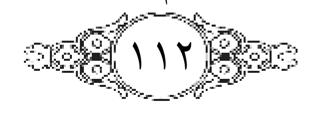
٢- نشأ في الإسلام جيل من أبناء الصحابة وغيرهم من العرب لم يحضروا نزول الوحي ، ولم يعايشوا الأحداث والوقائع التي نزل قرآن بشأنها، وإنَّ معرفة سبب النزول ، وحضور الأحداث والوقائع يعين على الإحاطة بمضمون الآيات التي نزلت بشأنها ، ويلقي الضوء على الهدايات والتوجيهات التي اشتملت عليها ، لذا كان الرجوع إلى الصحابة ﭫ وهم الذين عايشوا نزول الوحي ، وكان كثير منهم طرفاً في الوقائع والأحداث التي نزل فيها قرآن كريم ؛ الحل الأمثل لاستفساراتهم عن آيات القرآن .

---

(١) انظر : الإتقان (٨٧٧) ، مناهل العرفان (٢/ ١٤) .

(٢) الإتقان (٨٨٢) .

(٣) انظر : مناهج المفسرين ، للدكتور مصطفى المسلم (٤١-٤٤) .



٣- بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية حيث بلغت حدود الهند والسند شرقاً ، وأرمينيا وأذربيجان شمالاً ، والمحيط الأطلسي وبحر الروم غرباً ، وبحر العرب جنوباً اختلط العرب بغيرهم ، واختلطت الثقافات الوافدة مع المسلمين الجدد بالثقافة الإسلامية وخاصة ثقافة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وفلسفة الشرق المتمثلة بالمجوس وغيرها ، وصار الناس بحاجة لتمييز الصحيح من السقيم ، والدخيل الوافد من الأصيل المعتمد ، وخاصة ما يتعلق بقصص الأمم السابقة وأنبيائهم ، وما تحمله الفلسفات في أصل الكون وتكون المخلوقات .

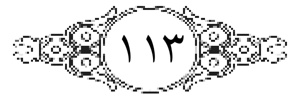
فكانت الحاجة ماسة للرجوع إلى أعلام الصحابة ﭫ لمعرفة رأي الإسلام في كل ذلك ، لذا نجد أنَّ الذين امتدت بهم الحياة من صحابة رسول الله ﷺ كثر النقل عنهم في تفسير القرآن الكريم ، إلى جانب الفتاوى والروايات الأخرى ؛ بخلاف من كانت وفاته قريبة من وفاة الرسول ﷺ ، كل ذلك استدعى انتشار الصحابة ﭫ في الأقطار ليعلِّموا الناس أمور دينهم ، ويفسِّروا لهم كتاب ربهم .

وعلى الرغم من أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﭬ كان حريصاً على إبقاء كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار بجواره في عاصمة الدولة لاستشارتهم في تسيير شئون الدولة والرجوع إليهم عند تجدد القضايا ؛ إلا أنه اضطر إلى إرسال عبد الله بن مسعود إلى العراق ، وقد كتب إليهم في ذلك :

"... إنني قد بعثت إليكم عمَّار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلِّماً ووزيراً ، وإنهما من النجباء من أصحاب رسول الله من أصحاب بدر ، وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم ، فتعلموا منهما ، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي" [(١)].

وكذلك أرسل غيرهم إلى أقطار أخرى كعمرو بن العاص إلى مصر ، وسعد بن أبي وقاص على العراق وبلاد الشام ، ومعاذ بن جبل إلى الشام ، وقد حمل كل صحابي معه علماً وفقهاً لكتاب الله ، فبالإضافة إلى ما تلقوه من رسول الله ﷺ وما

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٧) .



أطلعوا عليه من أسباب النزول ؛ كان لهم إدراكهم الخاص لمعاني القرآن الكريم ومراميه فيما لم يتلقَّوا بشأنه قولاً مرفوعاً .

ففرض الواقع الذي عاشوه أن يتتلمذ على يد كل واحد منهم في القطر الذي استقر فيه طلاب علم صبغوا بصبغة أستاذهم ، وساروا على منهجه في الفهم والاستنباط ، والتلميذ امتداد لأستاذه .

ولا غرابه في ذلك فهم الجيل الذي تلقوا العلم والتربية على يد رسول الله ﷺ ؛ معلِّم الإنسانية ، ومرشد البشرية ، ومبلغ الرسالة .

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :" من كان منكم متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، فاعرِفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم " [(١)].

ويقول الإمام الشافعي عن الصحابة رضي الله عنهم : " وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورعٍ وعقل ، وأمرٍ استُدرك به علم ، واستُنبط به حكم ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من أرائنا عندنا لأنفسنا " [(٢)].

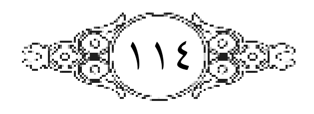
والمحققون من العلماء يرون أنَّ قول الصحابي في التفسير إذا تعلَّق بأسباب النزول ، ومما لا مجال للرأي فيه كأحوال يوم القيامة ونحوه ؛ فهو من قبيل الحديث المرفوع [(٣)].



(١) انظر : إعلام الموقعين (٤/١٣٩) ، الموافقات (٤/٧٨) .

(٢) انظر : مقدمة ابن الصلاح (٢٩٧) .

(٣) قال ابن حجر العسقلاني : (ومثال المرفوع من القول حكماً لا تصريحاً : أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات مالا مجال للاجتهاد فيه ، وليس له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب ؛ كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق ، وأخبار الأنبياء ، أو الآتية كالملاحم والفتن ، وأحوال يوم القيامة ، كذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص ، أو عقاب مخصوص) . انظر : نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٥٣) .



- **المطلب الثاني : مصادر التفسير في عصر الصحابة ﷺ .**

من أهم المصادر للتفسير عند الصحابة ؛ أربعة مصادر رئيسة أخذوا منها ﷺ تفسيرهم ، وهي :

١ -القرآن الكريم :

ويراد به تفسير القرآن بالقرآن ، وهو أهم مصادر التفسير بل يعد أصح طرق التفسير ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ :" فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إنَّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر " [(١)] .

وفي تفسير القرآن بالقرآن دلالة على ما حظي به الكتاب العزيز من علو مكانة ورفعة منزلة ؛ إذ بلغ شأواً عظيماً في جمعه ألواناً شتى من ضروب البلاغة والبيان والمعاني ، والذي عجز بلغاء العرب وفصحائهم عن معارضته ، وهم أرباب البلاغة والبيان .

فمن أسلوبه البليغ : أنَّ ما جاء مجملاً في موضع جاء مبيناً مسهباً في موضع آخر ، فتفسير القرآن بالقرآن أنْ يُحمل المجمل على المفصَّل ، والمطلق على المقيد ، والعام على الخاص ... وهكذا .

وقد كان للحافظ ابن كثير ﷺ في تفسيره عناية بهذه الطريقة ، كما برز جهد بعض المتأخرين في استنباط كثير من المعاني بهذه الطريقة ، وخير شاهد على ذلك : كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ﷺ ، وقد قدَّم له بمقدمة مهمة في أنواع بيان القرآن بالقرآن .

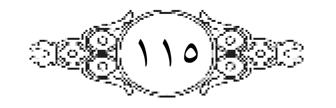
قال الشنقيطي ﷺ : (واعلم أنَّ من أهم المقصود بتأليفه – يعني كتابه – أمرين : **أحدهما** : بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن اشرف أنواع التفسير ، وأجلها تفسير كتاب الله ، بكتاب الله إذ لا أحد اعلم بمعنى كلام الله - جل وعلا - ، من الله جل وعلا . **الآخر** : بيان الأحكام الفقهية) [(٢)] .

وقال الدكتور / محمد حسين الذهبي ﷺ : (الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب ، وعلى الإجمال والتبيين ، وعلى الإطلاق

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٣) .

(٢) أضواء البيان (١/ ٧) .



والتقييد، وعلى العموم والخصوص .

وما أوجز في مكان قد بُسِط في مكان آخر ، وما أُجمِل في موضع قد بُيِّنَ في موضع آخر ، وما جاء مطلقاً في ناحيته قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى ، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى .

لهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ؛ ليستعين بما جاء مُسهباً على معرفة ما جاء موجزاً ، وبما جاء مُبيناً على فهم ما جاء مجملاً ، وليحمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص ، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن ، وفهم مراد الله بما جاء عن الله ، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها ويتخطاها على مرحلة أخرى ، لأنَّ صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه ، وأعرف به من غيره) [(١)].

٢- السنة النبوية الشريفة :

إذا لم يجد الصحابة الكرام تفسير الآية من القرآن رجعوا إلى المصطفى ﷺ ، ليبين لهم ما سألوا عنه .

ومن ذلك ما ثبت عن علي ﷺ أنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَوْمِ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ؟ فَقَالَ : « يَوْمُ النَّحْرِ » [(٢)].

وقد يكون تفسيره ﷺ ابتداءً من غير سؤال كتفسيره الكوثر بأنه نهر في الجنة [(٣)].

وعند النقل عن النبي ﷺ يجب الحذر من الضعيف والموضوع لكثرته ، حيث إنَّ المرفوع عنه ﷺ في التفسير في غاية القلة [(٤)].

٣- الاجتهاد وقوة الفهم والاستنباط :

كان كثير من الصحابة يُفسِّر بطريق الرأي والاجتهاد إذا توفرت شروطه ، ومنها :

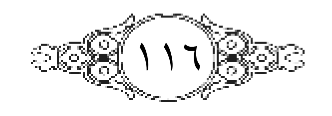
---

(١) التفسير والمفسرون (١/٣١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (٩٥٧) في كتاب الحج ، باب ما جاء في يوم الحج الأكبر . وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٩٥٧) ، (٣٠٨٨) .

(٣) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٤٠٠) كتاب الصلاة ، باب حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة . وسيأتي تخريجه تفصيلاً في دراسة سورة الكوثر .

(٤) انظر : الإتقان (٨٦٠) .



أ- معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها ومكنوناتها ؛ لأنَّ ذلك يعين على فهم الآيات التي يتوقف فهمها على اللغة العربية ، والقرآن أنزل بلسان عربي مبين .

ب- معرفة عادات العرب وأحوالهم وأخلاقهم ؛ حتى يتم إصلاح العادات وتهذيب السلوك ، وفق ما دعت إليه الشريعة ، والفطرة المستقيمة .

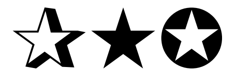
ج- معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن ؛ لمعرفة الآيات التي تحدثت عنهم ، وعما يدبرونه من كيد للإسلام وأهله .

د- قوة الفهم وسعة الإدراك ؛ وذلك لما حباهم الله تعالى من عقل نيِّرٍ وذهنٍ حاضرٍ ، ومما يعين على إدراك كثير من المشكلات الموغلة والمعضلات الغامضة (١) .

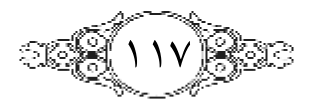
٤- أهل الكتاب :

والمراد: روايات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد سمعها بعض الصحابة ﷺ ورووها في التفسير ، ولا يلزم من ذكرهم لها التأييد أو القبول ، بل رووها لما لم يصح عندهم شيء عن رسول الله ﷺ ؛ إذ لو ثبت شيء في ذلك عن المعصوم ﷺ لما عدلوا عنه إلى قول غيره مهما كان المأخوذ عنه (٢) .

وينبغي الإشارة إلى أنَّ التفسير في هذه المرحلة كان جزءاً تابعاً للحديث النبوي الشريف ، وداخلاً في مصنفاته ، ولم يتخذ شكلاً منظماً أو ترتيباً معيناً بل كان تفسيراً منثوراً لآيات متفرقة من غير ترتيب وتسلسل لآيات القرآن وسوره ، كما لم يشمل القرآن كله (٣) .



(١) انظر : التفسير والمفسرون (١/٤٥) ، بحوث في أصول التفسير (٢٥) .
(٢) انظر : التفسير والمفسرون (١/٤٧) .
(٣) انظر : مباحث في علوم القرآن (٣٣٧) .



- **المطلب الثالث: خصائص التفسير في عصر الصحابة** رضي الله عنهم .

١- أنهم لم يفسِّروا القرآن كاملاً ، بل كانوا يفسِّرون بعضه دون بعض ؛ فقد عاصروا التنزيل ، وكانوا حديثي عهد بالنبوة وتنزل الوحي ؛ فما احتاجوا إلى الكلام في التفسير كاملاً ، بل كانوا يفسِّرون ما احتاجوا إلى بيانه وتوضيحه .

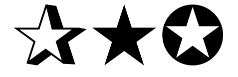
٢- قلَّة أخذهم من الإسرائيليات وتناولها في تفسيرهم ، واعتمادهم على الوحي في التلقي ، ووقوفهم عند حدوده ، فما تكلَّم فيه الوحي تكلموا فيه ، وما سكت عنه الوحي سكتوا عنه ، ووكَلوا علمه إلى عالمه تعالى ، فلم يتكلَّفوا في تفسيرهم ، ولم يتعمَّقوا فيه تعمُّقاً مذموماً ، وكانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام ، وهذا من كمال دينهم ، وتمام صدقهم رضي الله عنهم .

٣- معرفتهم بالأحكام الشرعية، وعلمهم بها من خلال التطبيق العملي الذي يتكرر بين أيديهم من النبي ﷺ لم يجعلهم في حاجة إلى الاستنباط الفقهي من النصوص، ومن ثَمَّ لم يتوسَّعوا في تفسير القرآن الكريم .

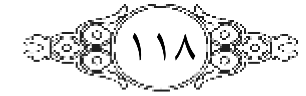
٤- قلة تدوينهم للتفسير ، فغالب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين ، وليس بالكتابة والتدوين ، وكان التفسير في هذه المرحلة جزءاً من الآثار الموقوفة على الصحابة رضي الله عنهم ، تابعاً للأحاديث المرفوعة ، وداخلاً في مصنفات السنة ؛ من الجوامع والسنن والمسانيد والمصنفات ، فلم يكن فناً مستقلاً ، ولا شاملاً لجميع القرآن .

٥- أنَّ التفسير في هذه المرحلة يعتبر من أعلى درجات التفسير قدراً ، وأدقِّها علماً ، وأعمقها فهماً ، وأوسعها إدراكاً لمآخذ الشريعة ، واعتباراً لمقاصدها ، وتنزيلاً لها في منازلها المعتبرة ، بما أوتي الصحابة رضي الله عنهم من العلم ، والإيمان ، والصدق ، والإخلاص ، والنصرة ، والصحبة .

وبهذه الخصائص العظيمة تتبين قيمة التفسير بالمأثور عموماً ، وتفسير الصحابة رضي الله عنهم خصوصاً ثم تفسير تلاميذهم الذين سمعوا منهم ، وأخذوا عنهم من الأئمة التابعين [١].



(١) انظر : التفسير والمفسرون (١/٧٣) ، بحوث في أصول التفسير (٢١) .



- **المطلب الرابع : قيمة تفسير الصحابة رضي الله عنهم .**

قال الحاكم رحمه الله : " ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل - عند الشيخين - حديث مسند "[1].

وهذا الإطلاق قيده ابن الصلاح ، والنووي ، وغيرهما ، بما يرجع إلى أسباب النزول ، ومالا مجال للرأي فيه .

قال ابن الصلاح في مقدمته :" ما قيل من أنَّ تفسير الصحابي حديث مسند ، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي ، أو نحو ذلك مما لا يمكن أن يؤخذ إلا عن النبي ﷺ ولا مدخل للرأي فيه ، كقول جابر رضي الله عنه : " كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله عز وجل : ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة :٢٢٣]. فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى الرسول ﷺ فمعدودة في الموقوفات " [2] .

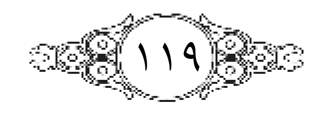
ونجد أنَّ الحاكم نفسه قد صرح في (معرفة علوم الحديث) بما ذهب إليه ابن الصلاح وغيره حيث قال : " ومن الموقوف الذي يستدل به على أحاديث كثيرة ما حدثناه أحمد بن كامل القاضي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه في قول الله عزَّ وجل : ﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩﴾[المدثر:٢٩] قال : تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة فلا تترك لحماً على عظم إلا وضعت على العراقيب ، قال : وأشباه هذا من الموقوفات تعد في تفسير الصحابة ، فأما ما نقول في تفسير الصحابي مسند فإنما نقوله في غير هذا النوع ... " ، ثم أورد حديث جابر في قصة اليهود ، وقال : " هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة ، فإنَّ الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند " [3].

فالحاكم قيَّد في معرفة علوم الحديث ما أطلق في المستدرك ، فاعتمد الناس ما قيد ، وتركوا ما أطلق ! ، وعلَّل السيوطي في التدريب إطلاق الحاكم بأنه كان حريصاً على جمع الصحيح في المستدرك حتى أورد فيه ما ليس من شرط المرفوع ، ثمَّ

(١) المستدرك على الصحيحين (٢/٢٨٣) .

(٢) مقدمة ابن الصلاح (٥٠) .

(٣) معرفة علوم الحديث (١٩-٢٠) .



اعترض بعد ذلك على الحاكم ، حيث عدَّ الحديث المذكور عن أبي هريرة من الموقوف ، وليس كذلك ، لأنه يتعلق بذكر الآخرة ، وما لا مدخل للرأي فيه من قبيل المرفوع [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (إذا لم نجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمة الأربعة ، والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، مثل : عبدالله بن مسعود ... ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ ، وترجمان القرآن) [2] .

وقال العلامة ابن القيم ﷺ عن تفسير الصحابة : (لا ريب أنَّ أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ تفسيرهم في حكم المرفوع ، أو مراده أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج ، لأنه إذا قال الصحابي في الآية قولاً فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله ﷺ أو قال رسول الله ﷺ ، وله وجه آخر : وهو أن يكون له حكم المرفوع بمعنى أن رسول الله ﷺ بيّن لهم معاني القرآن وفسره لهم كما وصفه الله تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]) [3].

وبعد هذا كله نخلص إلى نتائج :

أولاً : تفسير الصحابي له حكم المرفوع ، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال ؛ أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه مادام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ .

ثانياً: ما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقاً ، بل يأخذه المفسِّر ولا يعدل عنه إلى غيره بحال .

ثالثاً : ما حكم عليه بالوقف ، تختلف فيه أنظار العلماء :

فذهب فريق : إلى أنَّ الموقوف على الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به لأنه

(١) انظر : تدريب الراوي (١/١٩٣) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٤- ٣٦٥) .
(٣) إعلام الموقعين (٤/١٥٣) .

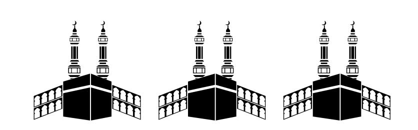


لمَّا لم يرفعه ، علم أنه اجتهد فيه ، والمجتهد يخطئ ويصيب ، والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين .

وذهب فريق آخر : إلى أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه ، لظنِّ سماعهم له من رسول الله ﷺ ، ولأنهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب ، لأنهم أدرى الناس بكتاب الله إذ هم أهل اللسان ، ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق النبوة .

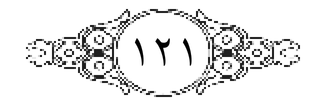
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره :" إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك ، لما شهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، والعلم الصالح ، ولا سيما علماؤهم وكبرائهم ، كالأئمة الأربعة ، والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه "[(١)] .

وهذا الرأي الأخير هو الذي تميل إلية النفس ، ويطمئن إليه القلب لما ذكر[(٢)].



(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤) .

(٢) انظر : التفسير والمفسرون (١/ ٧١-٧٢) .



❖ **المبحث الرابع : مدرسة التفسير في عصر التابعين** رحمهم الله **. وفيه مطالب :**

- **المطلب الأول : التفسير في عصر التابعين** رحمهم الله .

تبدأ مرحلة تفسير التابعين بانتهاء عهد الصحابة الكرام ، وتنتهي بانصرام عهد التابعين – رضوان الله عليهم أجمعين – .

ولم يكن ثمَّة فرق كبير بين المنهجين لتلقي التابعين تفسيرهم عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فبعدما امتدت الفتوحات الإسلامية في أقطار الأرض ، وتفرق الصحابة الكرام في الأمصار لنشر الدين ، والدعوة إليه ، بدأت النواة الأولى لقيام مدارس الصحابة التي تتلمذ فيها التابعون ، فنشأت ثلاث مدارس كبرى في مكة والمدينة والعراق :

١- مدرسة التفسير بمكة المكرمة :

كانت هذه المدرسة برئاسة حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وتتلمذ في هذه المدرسة أعلام التابعين : كمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس بن كيسان اليماني ، وعطاء بن أبي رباح [(١)].

٢- مدرسة التفسير بالمدينة النبوية :

وكان يرأسها الصحابي الجليل أبيُّ بن كعب رضي الله عنه ، وأشهر رجال هذه المدرسة : أبو العالية ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن أسلم [(٢)].

٣- مدرسة التفسير بالعراق :

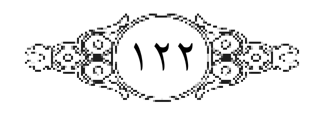
وكان يتولى التدريس فيها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وتتلمذ في هذه المدرسة : علقمة بن قيس ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، ومرة الهمداني ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري ، وقتادة بن دعامة السدوسي [(٣)].

وقال الزرقاني رحمه الله في حديثه عن طبقة أهل العراق وذكر منهم عطاء بن أبي مسلم الخراساني وقال : " أصله من البصرة لكنه أقام بخراسان بعد أن دخلها ، لذلك نُسب إليها وكان من أجلِّ العلماء..." [(٤)].

وتعتبر هذه المدارس الثلاث أشهر المدارس في عهد التابعين ، وقد بلغ

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون (١/٧٧) ، تفسير التابعين (١/٣٧١) .
(٢) انظر : التفسير والمفسرون (١/٨٦) ، تفسير التابعين (١/٥٠٥) .
(٣) انظر : التفسير والمفسرون (١/٨٨) ، تفسير التابعين (١/٤٥٧) .
(٤) مناهل العرفان (٢/١٧) .



أصحابها الذروة في العلم بالتفسير ، وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية مقارنة بين هذه المدارس فقال :

" وأما التفسير فإنَّ أعلم الناس به أهل مكة ؛ لأنهم أصحاب ابن عباس : كمجاهد وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمه مولى ابن عباس ، وغيرهم من أصحاب ابن عباس : كطاووس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم .

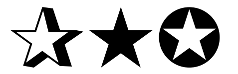
وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم ، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذه عنه أيضاً ابنه عبدالرحمن ، وأخذه عن عبدالرحمن : عبدالله بن وهب " [1].

وحين تتلمذ التابعون على أيدي صحابة رسول الله ﷺ حصل لهم بذلك علم غزير، ونظر ثاقب ، ومكارم نبيلة ، وأخلاق كريمة ؛ رفعت منزلتهم ، وأعلت شأنهم، حتى صار لهم قصب السبق في ميادين العلم ، ميَّزهم في ذلك مالهم من الفهم التام والعمل الصالح إضافة لما انطوت عليه نفوسهم من حسن النية ونبل المقصد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والمقصود أنَّ التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة كما تلقَّوا عنهم علم السنة ؛ وإن كانوا يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال) [2].

وقال أيضاً : (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين : كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير ...) [3].

وفي هذا دلالة على اعتناء سلف الأمة وعلمائها بأقوال التابعين وتقديمها واعتمادها .



(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٤٧) .
(٢) المصدر السابق (١٣/ ٣٣٢) .
(٣) المصدر السابق (١٣/ ٣٦٨- ٣٦٩) .



- **المطلب الثاني: مصادر التفسير في عصر التابعين** رحمهم الله .

المقصود هنا بيان مصادر التابعين التي اعتمدوا عليها في التفسير ، ومنها استقوا مادة تفسيرهم .

وهناك اشتراك وثيق بين مصادر التابعين رحمهم الله ، ومصادر الصحابة رضي الله عنهم ، بل لم يكن ثمة فرق في الأسس والركائز ، إلا أنَّ التابعين يزيدون بمصدر الصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين- .

وعلى هذا فمنهج التابعين رحمهم الله يقوم على خمسة مصادر :

١) **القرآن الكريم** : والمراد : تفسير القرآن بالقرآن ، كما تقدم في منهج الصحابة رضي الله عنهم . وقد سلك التابعون مسالك شتى في تفسير القرآن بالقرآن ، وتنوعت طرقهم في ذلك ، ففسَّروا بنظائر القرآن وأشباهه ، ومراعاة السياق ، وبيان المجمل وحمل المجمل على المبين ، وتفسير العام بالخاص ، وتوضيح المبهم ، والتفسير باللازم ، ونحو ذلك [١].

٢) **السنة النبوية** : والمراد : تفسير القرآن بالسنة المطهرة ، بتعيين المحتمل ، أو بيان الخصوص في العام ، ونحو ذلك ، وقد تقدم بيانه أيضاً [٢].

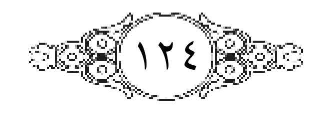
٣) **تفسير القرآن بأقوال الصحابة** : وهذا المصدر هو المصدر الواضح التأثير الذي تلقَّى منه التابعون التفسير ، نظراً لتتلمذهم على الصحابة رضي الله عنهم ، فقد كانت أقوالهم في التفسير مقدَّمة على أقوال غيرهم لمشاهدتهم التنزيل ومعاصرتهم الوحي ، وقد صحَّ عن مجاهد أنه قال : "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات ، أوقفه عند كل آية أسأله : فيم نزلت ، وكيف نزلت ؟" [٣] ، وهذا يدلُّ على حرصه في استفادته من حبر الأمة ابن عباس ؛ لفقهه بالدين وعلمه التأويل ، كما أنَّ هذا التكرار في عرض القرآن يعطي دلالة على كمال التحري والتثبت في تفسير كلام الله تعالى . وقد أدَّت الرواية عن الصحابة والاعتماد عليها في التفسير إلى ظهور نتائج جيدة، مثل:

---

(١) انظر : تفسير التابعين (٦٠٧/٢-٦٢٧) .

(٢) للتفصيل في المسألة ، انظر : فصول في أصول التفسير (٣٦) ، تفسير التابعين (٦٢٨/٢-٦٥٠) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥٤/٦) ، والدارمي في سننه (٢٧٣/١) ، والحاكم في المستدرك (٣٠٧/٢) ، وانظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦٩/١٣) ، معرفة القراء الكبار للذهبي (٦٦/١) ، مناهل العرفان (١٦/٢) .



حفظ أخبار الصحابة ، ومعرفة دقيق أحوالهم وأقوالهم ، والالتزام بمنهجهم ، وتبني أقوالهم ، إلى غير ذلك من الأمور التي كانت أثراً للأخذ عن الصحابة [1].

٤) **اللغة العربية** : حيث استمدُّوا من اللغة في تفسيرهم الكثير ، بل كانت اللغة أحد المصادر الرئيسة لذلك ، ومعلوم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من كتاب الله ، إذ فهم اللغة مطلب رئيس لذلك .

وفي أهمية هذا المصدر يقول الشاطبي ﵀: (فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة) [2] .

وقد ساعدهم في ذلك العصر معرفتهم بلسان العرب ، ومعرفة عادات العرب وأخبارهم ، والإلمام بشعر العرب ، وفقه اللغة ، إلى غير ذلك [3].

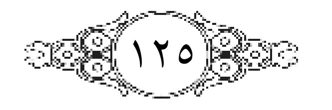
٥) **الاجتهاد المستوفي لشروطه** : فقد أعمل التابعون عقولهم في فهم آيات الكتاب ؛ لأنهم أهل للنظر والاجتهاد ؛ وقد ظهرت اجتهاداتهم في التفسير في مواطن كثيرة منها : بيان المراد من النص خفي الدلالة ، ورفع التعارض بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض ، واستنباط بعض الأحكام من النصوص القرآنية ، وبيان الفروقات بين المتشابه من الكلمات والمعاني ، وغير ذلك ، مما كان له أثر مبارك على علم التفسير [4].

٦) **أهل الكتاب** : فقد توسَّع التابعون في رجوعهم إلى أقوال أهل الكتاب أكثر من رجوع الصحابة لذلك ، وما ذكروه من أخبار إسرائيلية يبقى في حكم الإسرائيليات، ولعلهم كانوا يذكرونه من باب العلم والرواية لا من باب التفسير [5] .

والله أعلم ، ،



(١) انظر : تفسير التابعين (٢/٦٥١-٦٧٦) .
(٢) الموافقات (٢/٦٤) .
(٣) انظر : تفسير التابعين (٢/٦٨١-٧٠٧) .
(٤) انظر : تفسير التابعين (٢/٧١٠-٧١١) .
(٥) انظر : فصول في أصول التفسير (٣٧) .



- **المطلب الثالث : مميزات تفسير التابعين** رحمهم الله .

تميَّز التفسير في عصر التابعين بمميزات موضوعية ، اختصَّ بها تفسيرهم .

ودراسة هذه المميزات تستلزم عقد مقارنة بين بعض الجوانب التفسيرية بين التابعين والمفسِّرين من الصحابة من جهة ، وبين التابعين وأتباعهم من جهة أخرى . ومن أبرز المميزات التي تميَّز بها تفسيرهم :

١) ظهور الاجتهاد في التفسير ، ونشأة المدارس التفسيرية :

لقد ازدادت الحاجة للتفسير في عصر التابعين ؛ لأنَّ ما نقل عن النبي ﷺ في التفسير كان موجزاً يقصد إلى بيان موطن الهداية في الآية ، وكذلك ما نقل عن بعض خواص أصحابه وعلمائهم من مأثور التفسير ؛ فإنه ذهب هذا المذهب ، مع ورع الكثيرين من الدخول في التفسير خشية الخطأ ، فاحتاج الناس إلى إيضاح دلالات القرآن ، وخاصة بعد دخول العجمة على اللسان ، واختلاط الثقافات ، وانشغال الناس بعلم الفقه ، فخشي الصالحون أن يعزل القرآن عن أن يأخذ مكانته في الحياة بوضعه كتاب هداية وحكمة ، فصدر التابعون إلى تفسير القرآن ، والاجتهاد في فهم الآيات ، كي يسدوا هذه الخلة ، وقد تميَّز بعض المفسِّرين من التابعين بالنبوغ في علم التفسير رواية ودراية من ذلك .

٢) كثرة اعتمادهم على المأثور من التفسير :

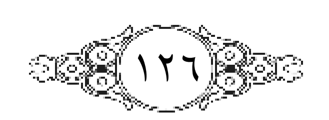
تميز تفسيرهم بكثرة ووفرة مادته ، وكان الغالب على مكثريهم العناية والاهتمام بالمنقول عن الصحابة ، فهذا المصدر يعدُّ من أهمِّ المصادر التي اعتمد عليها مفسِّرو التابعين .

٣) الاستقلالية :

فمع أنهم كانوا مجتهدين إلا أنهم كانوا أيضاً وسطاء نقلوا إلينا الكثير من تفسير الصحابة مسنداً مع دقة النقل ، وكانوا في اجتهادهم لديهم مخالفة للصحابة في أحيان كثيرة ، واستقلالية في الأقوال والاجتهادات .

فنجد أنَّ مجاهد بن جبر مع كونه تلميذاً لابن عباس رضي الله عنهما ، بل من أكثر تلاميذه أخذاً عنه ، إلا أننا نجد شخصيته المتميزة ، وتفرده المستقل في تفسيره ، ونجد له العديد من الأمثلة التي أورد فيها معانٍ مخالفة لما قاله شيخه ، ومن أمثلة ذلك :

في قوله تعالى : ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ⁦٦⁩﴾ [الطور : ٦] نجد أنه فسَّر المسجور : الموقد ،



بينما فسَّرها شيخه ابن عباس رضي الله عنهما بالممتلئ .

ومثله أيضاً تفسيره الفوم بأنه الخبز ، في حين فسَّرها ابن عباس رضي الله عنهما بالحنطة .

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

٤) بدء عصر التدوين للتفسير وعلومه :

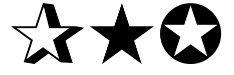
يعدُّ عصر التابعين بداية عصر التدوين ، إذ لم يدوَّن التفسير في عصر الصحابة ، وبدأ في عصر التابعين .

ولم يقتصر الأمر على تدوين التفسير ، بل دونت كثير من العلوم التي لها تعلّق بالتفسير ، واعتمد هذا التدوين على أقوال التابعين ، وآرائهم في التفسير .

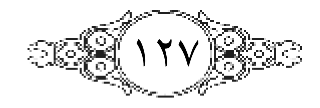
٥) منهج التلقي والرواية :

ظلَّ التفسير قائماً على الرواية حتى نهاية عصر التابعين ، وبالتالي فإنَّ المحدِّثين كانوا هم أصحاب الشأن فيه ، وظلَّ منهج التلقي هو المنهج السائد في هذا العصر ، إلا أنه قد تجرَّد ما ورد في الحديث المرفوع والموقوف من التفسير ، وعني بذلك جماعة من التابعين اختصَّ كلّ جماعة منهم بجمع تفسير عالم مصرهم .

وأدى هذا المنهج الحديثي في سبر مرويات التفسير إلى تحرير أقوال المفسِّرين من التابعين أكثر من تحرير أقوال الصحابة ، وصارت الروايات عنهم متفقة رغم تعدد طرقها ، في حين كانت الروايات عن الصحابة متناقضة ، ويصعب في كثير من الأحيان ترجيح بعضها على بعض ، أو التمييز بين ما صحَّ منها وما لم يصح (١) .



(١) انظر : التفسير والمفسِّرون (١/٩٧) ، تفسير التابعين (٢/٩٥٣-٩٦٢) .



- **المطلب الرابع : حجّيّة تفسير التابعين** رحمهم الله .

وقد اختلف الأئمة في قبول قول التابعين على قولين :

القول الأول : الأخذ بقول التابعي في التفسير :

حجتهم في ذلك : أنَّ التابعين قد أخذوا أغلب تفسيرهم عن الصحابة الكرام ، ونهلوا من علمهم ، وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم [(١)]. وهذا قول أكثر المفسرين ورواية عن الإمام أحمد رحمهم الله .

وقد تقدم معنا ما قاله مجاهد في عرضه المصحف ثلاث مرات على ابن عباس .

وقال قتادة :" ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً " [(٢)].

ولهذا حكى أكثر المفسرين أقوال التابعين في كتبهم ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها [(٣)]؛ كعبدالرزاق بن همام الصنعاني ، وأبو جعفر الطبري ، وأبو الفداء إسماعيل بن كثير ، وغيرهم .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يأخذ بقول التابعي إذا لم يجد قولاً لغيره في المسألة .

قال ابن القيم رحمه الله : (وقد صرَّح الشافعي في موضع بأنه قاله تقليداً لعطاء ، وهذا من كمال علمه وفقهه رضي الله عنه ، فإنه لم يجد في المسألة غير قول عطاء ، فكان قوله عنده أقوى ما وجد في المسألة ، وقال في موضع آخر : وهذا يخرج على معنى قول عطاء)[(٤)] .

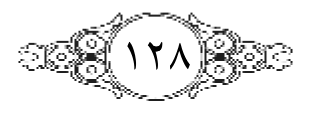
أمَّا إمام دار الهجرة مالك بن أنس فلم يصرح باتباع قول التابعي على أنه حجة ؛ لكنه كان كثيراً ما يروي عن التابعين أقوالاً ويأخذ بها كما هو ظاهر من صنعه في الموطأ[(٥)].

وأما الإمام أحمد فإنه يأخذ بقول التابعي كما يأخذ بقول الصحابي إذا لم يوجد قول الصحابي وهذا كثير في كلامه ونقول الرواية عنه .

وإذا اختلف التابعون لم يوازن بين أقوالهم ويتخير بينهم بل يكون قول كل تابعي

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون (٩٦/١) ، بحوث في أصول التفسير (٣٤) .
(٢) انظر : شرح السنة (٢٥٩/١) ، مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٣) ، تذكرة الحفاظ (١٢٣/١) .
(٣) التفسير والمفسرون (٩٦/١) .
(٤) أعلام الموقعين (١٥٦/٤) .
(٥) انظر : تاريخ المذاهب الفقهية (٤٠٠-٤٠١) .



عنده حجة ويكون الاختلاف بينهم اختلافاً في مذهبه [١].

القول الثاني : عدم الأخذ بقول التابعي في التفسير ، وهو رواية أخرى عن الإمام أحمد ﵀ ، والمختار عند ابن عقيل [٢].

قال شعبة بن الحجاج وغيره : " أقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟ " ، يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم ، وهذا صحيح [٣].

وقد صرح أبو حنيفة النعمان بعدم الأخذ بقول التابعي ؛ حيث قال : ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه فلا أتركه ، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ، ونحن رجال نجتهد [٤].

واستدل أصحاب هذا الرأي على ما ذهبوا إليه بأدلة منها [٥]:

١- أن التابعين ليس لهم سماع من رسول الله ﷺ فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في تفسير الصحابي .

٢- أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً .

٣- أن عدالة التابعين ليس منصوصاً عليها كما نص على عدالة الصحابة ﵃ .

والراجح في المسألة : التفصيل فيها على النحو التالي :

- ما كان له حكم الرفع ؛ كأسباب النزول والمغيبات يقبل منهم إذا أجمعوا عليه، وما لا فلا .

- ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب فهذا له حكم الإسرائيليات .

- ما اختلفوا فيه ؛ لم يكن قول بعضهم حجة على بعض ، وحينئذ يعمل بالمرجحات على ضوء قواعد الترجيح عند المفسرين [٦].

- أن يأتي عند أحد التابعين قول في مسألة ، ولا يُعلم له مخالف في ذلك ،

---

(١) تاريخ المذاهب الفقهيَّة (٤٩٢) .
(٢) البرهان في علوم القرآن (١٥٨/٢) .
(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٠/١٣) .
(٤) فواتح الرحموت بشرح مُسلَّم الثبوت (١٨٨/٢) .
(٥) انظر : التفسير والمفسرون (٩٦/١) ، بحوث في أصول التفسير (٣٣-٣٤) .
(٦) بحث هذه القواعد بشكل مستوفى حسين الحربي في كتابه (قواعد الترجيح عند المفسرين) .

فحينئذ يكون قوله أقل في الرتبة من قول الصحابي [(١)].

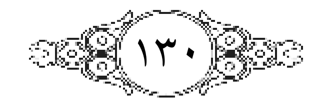
- ما أجمعوا عليه فهو حجة ، وما لا مجال للرأي فيه فيجب قبوله وأخذه عنهم عند عدم الريبة ، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ عن أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه [(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ، ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك) [(٣)].

وهذا مما لا خلاف فيه ، وإنما الخلاف فيما إذا ورد التفسير عن تابعي ، ولم يعرف له مخالف من التابعين ، فهذا مما ينبغي الأخذ به وتقديمه على غيره ، لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم [(٤)].



(١) انظر : فصول في أصول التفسير (٣٩) .
(٢) انظر : التفسير والمفسرون (٩٦) .
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٠) .
(٤) انظر : بحوث في أصول التفسير (٣٥) ، تفسير التابعين (٥٠-٥١) .

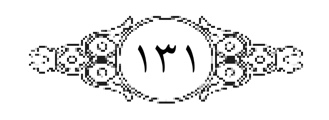


الفصل الثاني :

مصادر عطاء الخراساني في التفسير

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : القرآن الكريم .
- المبحث الثاني : السنة النبوية .
- المبحث الثالث : أقوال الصحابة .
- المبحث الرابع : لغة العرب .
- المبحث الخامس : الاجتهاد .
- المبحث السادس : الإسرائيليات في تفسير عطاء الخراساني .



❖ **المبحث الأول : القرآن الكريم .**

وهو المصدر الأول من مصادر التفسير عند عطاء الخراساني ، وكما سبق معنا ؛ فتفسير القرآن بالقرآن هو أعلى درجات التفسير وأكملها ، ومن تدبَّر القرآن وجد أنه يفسِّر بعضه بعضاً [(١)].

ويتجلَّى كون القرآن الكريم هو المصدر الأول لتفسير عطاء الخراساني رحمه الله من خلال الأمثلة التالية :

المثال الأول : في قول الله تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ﴾ [النور : ٢٦] ، قال عطاء الخراساني : الأعمال الخبيثة والكلام الخبيث للخبيثين من الناس ، والطيبات للطيبين : فالأعمال الصالحة والكلام الطيِّب للطيبين : ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج : ٢٤] [(٢)].

فهنا فسَّر آية سورة النور ، بآية سورة الحجِّ .

المثال الثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ [الفرقان : ٥٠]. قال عطاء الخراساني : القرآن ، ألا ترى إلى قوله فيها : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ . [الفرقان: ٥١-٥٢].

وهنا فسِّر الآية بما بعدها ، وهو ظاهر الدلالة على تفسير القرآن بالقرآن [(٣)].

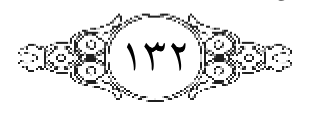
المثال الثالث : في قول الله تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل : ٨٢] ، قال عطاء الخراساني :وأما دابة الأرض تكلمهم ، فكلامها يعني إياهم : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وهنا يظهر أيضاً كيف فسِّر الجزء الأوَّل من الآية ببقيتها ، وهو من تفسير القرآن بالقرآن [(٤)].

المثال الرابع : في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر:١١] قال عطاء

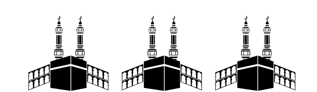
---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٢٢) .
(٢) انظر الموضع رقم : (٣١) ودراسته ص(٢٦٤) .
(٣) انظر الموضع رقم : (٤٦) ودراسته ص(٣٢١) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٦٣) ودراسته ص(٣٧٤) .



الخراساني ﷺ : كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ، ثم أحياكم فخلقكم هذه حياة ، ثم يميتكم ترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى، فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٨] .

فنلاحظ كيف فسَّر القرآن بالقرآن [١].



(١) انظر الموضع رقم : (١١٢) ودراسته ص(٥٢٨) .



❖ **المبحث الثاني : السنة النبوية .**

وهي المصدر الثاني لدى عطاء الخراساني رحمه الله في التفسير ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

المثال الأول: في قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

قال عطاء الخراساني : كان ناس يُمطَرون ؛ فيقولون : مُطرنا بنوء كذا ، مُطرنا بنوء كذا [(١)] .

وهذا تفسير منه رحمه الله بالسنة الصحيحة ، مأخوذ من حديث ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَصْبَحَ مِنْ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ؛ قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ » [(٢)] .

المثال الثاني: في قول الله تعالى : ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ [المجادلة : ٤]

قال عطاء الخراساني : أعان النبي ﷺ زوجَ خولة بنت ثعلبة بخمسة عشر صاعاً[(٣)].

يعني أنَّ لكلِّ مسكين ربع صاع ، وهذا تفسير لمقدار الإطعام بشيء من السنَّة ، وهو بيان المقدار الذي أعطاه النبي ﷺ لزوج خولة حتى يتصدَّق به ، وهو تفسير بالسنة.

المثال الثالث: وفي قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة : ٨] ، قال عطاء الخراساني : كانوا يقولون إذا جاءوا إلى النبي ﷺ : سام عليك[(٤)].

وقد ثبت في السنة الصحيحة من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ ، فَلَعَنْتُهُمْ فَقَالَ : « مَا لَكِ ؟! » ، قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا

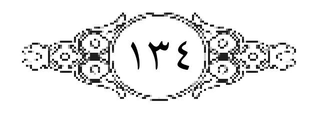
---

(١) انظر الموضع رقم : (١٨٢) ودراسته ص(٧٥٢) .

(٢) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٧٣) ، في كتاب الإيمان ، باب كفر من قال : مطرنا بالنَّوء .

(٣) انظر الموضع رقم : (١٨٥) ودراسته ص(٧٦٣) .

(٤) انظر الموضع رقم : (١٨٦) ودراسته ص(٧٦٧) .



قَالُوا ؟! قَالَ : « فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟! : وَعَلَيْكُمْ » [(١)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق : ١] .

قال عطاء الخراساني : طاهراً من غير جماع [(٢)] .

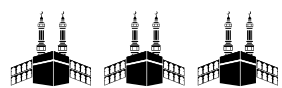
وأخذه لهذا الحكم من السنَّة من قصَّة عبد اللَّه بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما حِيْنَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ » [(٣)].

المثال الخامس: في قول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر : ١] .

قال عطاء الخراساني : حوض محمد ﷺ الذي في الجنة [(٤)].

وقد أخذه من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ » [(٥)].

فالأمثلة السابقة تبيِّن أنَّ السنَّة النبوية كانت من مصادر تفسيره رحمه الله .



---

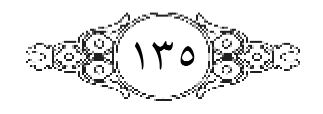
(١) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٩٣٥) في كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، وبرقم : (٦٠٢٤) في كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، وبرقم : (٦٠٣٠) في كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ، وبرقم : (٦٣٩٥) في كتاب الدعوات ، باب الدعاء على المشركين ، وبرقم : (٦٤٠١) في كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ يستجاب ، وبرقم : (٦٩٢٧) في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب إذا عرَّض الذمي وغيره بسبِّ النبي ﷺ ولم يصرِّح .

(٢) انظر الموضع رقم : (١٩٢) ودراسته ص(٧٨٤) .

(٣) **صحيح** أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٥٢٥٢) في كتاب الطلاق ، باب قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٤٧١) في كتاب الطلاق ، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها .

(٤) انظر الموضع رقم : (٢٥٦) ودراسته ص(٩٧٤) .

(٥) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٤٠٠) في كتاب الصلاة ، باب حجَّة من قال : البسملة آية من أول كل سورة .



❖ **المبحث الثالث : أقوال الصحابة** ﭫ .

يعدُّ الرجوع إلى قول الصحابي المصدر الثالث من مصادر التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة .

ومن تأمَّل في تفسير عطاء الخراساني ، يجد أنه قد أخذ بتفسير الصحابة ، وذلك بيِّن عند تتبع أقواله التفسيرية التي نجدها – في الغالب – موافقة لأقوال بعضهم رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن أمثلة أقوال عطاء الخراساني في تفسير القرآن بأقوال الصحابة ما يلي :

المثال الأول : في قول الله تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ ﴾ [الحج : ٣٦] .

قال عطاء الخراساني : البدن تصف وتشعر وهي قيام .

وقول عطاء الخراساني هنا هو وافق قول ابن عباس ﭭ في رواية عنه [(١)].

المثال الثاني : في قول الله عزَّ وجل : ﴿ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ ﴾[الصافات : ١٤٦].

قال عطاء الخراساني : اليقطين هو القرع .

وهذا القول موافق لقول ابن مسعود ، وأبي هريرة ، وابن عباس ﭫ [(٢)].

المثال الثالث : في قوله عزَّ وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] ، قال عطاء الخراساني : الغناء والباطل ونحو ذلك .

وهنا نجد أنه يفسِّر لهو الحديث بالغناء والباطل ، وهو موافق لتفسير ابن عباس ، وابن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ﭫ .

وقد قال عبد الله بن مسعود ﭬ حينما سئل عن هذه الآية : الغناء ، والذي لا إله إلا هو ، يردّدها ثلاث مرّات [(٣)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ [المدثر : ٥] .

قال عطاء الخراساني : الأوثان .

وقد وافق في ذلك جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأبا مالك ﭫ [(٤)].

---

(١) انظر الموضع رقم : (٢٢) ودراسته ص(٢٣٨) .
(٢) انظر الموضع رقم : (١٠٢) ودراسته ص(٤٨٨) .
(٣) انظر الموضع رقم : (٧٧) ودراسته ص(٤٢١) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٢١٤) ودراسته ص(٨٥٤) .



المثال الخامس : في قوله تعالى : ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين : ٧] .

قال عطاء الخراساني : سجِّين : هي الأرض السُّفْلى ، وفيها إبليس وذرِّيته .

وقوله هذا بنحو قول عبد الله بن عمرو ، وابن عباس ، وكعب الأحبار رضي الله عنهم [(١)].

المثال السادس : في قول الله تعالى : ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ [البروج : ٢] .

قال عطاء الخراساني : يقال : هو يوم القيامة .

وهو قول علي بن أبي طالب ، وأبو هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهم [(٢)].

المثال السابع : في قول الله تعالى : ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر : ٢] .

قال عطاء الخراساني : عشر الأضحى .

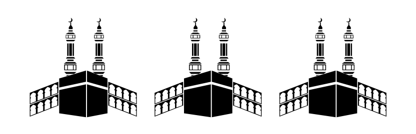
وهو بنحو قول ابن عباس ، وابن الزبير رضي الله عنهم [(٣)].

المثال الثامن : في قول الله تعالى : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد : ١٠] .

قال عطاء الخراساني : سبيل الخير والشر .

وهذا القول موافق لقول علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وروي عن أنس بن مالك ، وأبو أمامة ، وأبو هريرة رضي الله عنهم [(٤)].

وأمثلة كون أقوال الصحابة مصدراً مهماً من مصادر أقوال عطاء الخراساني كثير جداً – ويتَّضح ذلك في ثنايا البحث - إن شاء الله .

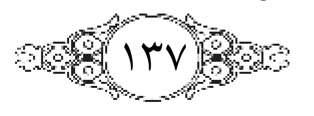


(١) انظر الموضع رقم : (٢٣١) ودراسته ص(٨٩٧) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٢٣٥) ودراسته ص(٩١٤) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٢٤٣) ودراسته ص(٩٣٢) .

(٤) انظر الموضع رقم : (٢٤٨) ودراسته ص(٩٥٢) .



❖ **المبحث الرابع : لغة العرب .**

وهي المصدر الرابع من مصادر التفسير عند عطاء الخراساني .

ولقد نزل القرآن بلسان عربي مبين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف :٢] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥] .

وقال جلَّ ثناؤه : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر:٢٨] .

وقد ظلَّت لغة القرآن ، طَوداً شامخاً ، تذلُّ أمامه الأعناق خاضعة ، وعن معارضته عاجزة لما تضمنته من الإعجاز البياني ، والأسلوب البلاغي ، وسيظل الأمر كذلك إلى قيام الساعة ، بعد أنْ عجز بيان البشر المعارضين له ، وتحطمت أقلامهم ، وكبكبت أفكارهم بتفاوتها ، واختلالها في الوقوف أمام بلاغته وأسراره : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢] .

وقد ذكر أهل العلم من شروط المفسِّر أن يكون عالماً بلغات العرب وأسرارها وأفانين كلامها وأساليب مخاطباتها ، ولذا اشتد نكير العلماء على من فسَّر بغير علم بالعربية ، وفي ذلك يقول مجاهد : " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب "(١).

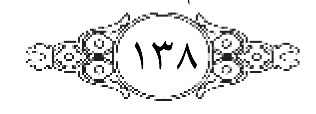
وقال الإمام مالك :" لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسِّر كتاب الله إلا جعلته نكالاً "(٢).

وقد كان للتابعين قصب السبق في تلقيهم التفسير عن الصحابة الكرام ﷺ فلم تدبَّ العجمة إلى ألسنتهم ؛ لكون لغتهم العربية سجية وسليقة وليست بالتعلم والاكتساب كما هو حال أهل الصنعة اللغوية ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إنَّ تفسير عطاء الخراساني تفسير لغوي من الدرجة الأولى ؛ إذ كان كثير الاعتماد على لغة العرب أكثر من أي مصدر آخر ، ولو استشهدت بكل

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٢٩٢) .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٢٥) برقم : (٢٢٨٧) .



الأمثلة لكتبت أكثر ما في الرسالة . ولكني سأذكر شواهد لذلك فقط ، والبقية تأتي في صلب الرسالة . ومن هذه الأمثلة ما يلي :

المثال الأول : في قول الله تعالى : ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ [النور : ٤٣] .

قال عطاء الخراساني : فيقال : يكاد ضوء برقه يذهب بالأبصار .

وهو بهذا القول فسَّر السنا بالضوء ، وهو قول أهل اللغة ، ومنه قول الشاعر :

وما كادت إذا رفعت سناها ليبصر ضوءها إلاّ البصير[1]

المثال الثاني : في قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت : ٣] .

قال عطاء الخراساني : بَلونْا الذين من قبلهم .

وهو هنا فسَّر الفتنة بالابتلاء ، وهو تفسير بالمعنى اللغوي ، كما قال الزجَّاج رحمه الله في معناها : (أي اختبرنا وابتلينا) .

وقال الراغب رحمه الله : (وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ، وهما في الشِّدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً)[2].

المثال الثالث : في قوله عزَّ وجل : ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان : ١٤] .

قال عطاء الخراساني : ضَعْفاً على ضَعْف .

وهنا يفسِّر رحمه الله الوهن بالضَّعف ، وهذا موافق للغة ؛ قال الزجَّاج : (ضَعفاً على ضَعف ، أي لزمها لحملها إياه أن ضَعُفَت مرَّة بعد مرَّة) [3].

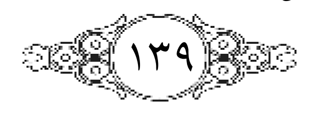
المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] .

قال عطاء الخراساني : هذا وعيد .

في هذا الموضع يبين عطاء الخراساني أسلوباً من الأساليب البيانية في القرآن الكريم ، وهو بيان أمرٍ خرج مخرج التهديد والوعيد ، ولفظه لفظ التخيير والإباحة ، والمراد به التوبيخ ، أي اعملوا ما شئتم من خير أو شر ،

---

(١) انظر الموضع رقم : (٣٦) ودراسته ص(٢٨٨) .
(٢) انظر الموضع رقم : (٧٠) ودراسته ص(٣٩٧) .
(٣) انظر الموضع رقم : (٧٨) ودراسته ص(٤٢٧) .



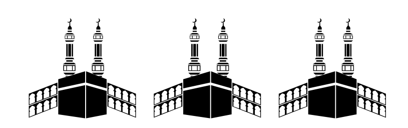
فتضمَّنت الآية وعيداً وتهديداً [(١)].

المثال الخامس : في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ [ق : ١٠] .

قال عطاء الخراساني : طوال .

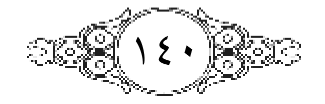
ففسَّر الباسقات بالطوال ، والباسق عند أهل اللغة هو الذاهب طولاً من جهة الارتفاع ؛ ومنه بسق فلان على أصحابه علاهم ، وهذا قول الفراء ، والزجاج ، والراغب [(٢)].

والأمثلة كثيرة جداً بين طيّات الرسالة يطول حصرها وعدّها .



(١) انظر الموضع رقم : (١١٤) ودراسته ص(٥٣٤) .

(٢) انظر الموضع رقم : (١٤٧) ودراسته ص(٦٣٨) .



❖ المبحث الخامس : الاجتهاد .

وهو المصدر الخامس من مصادر عطاء الخراساني في التفسير .

وعطاء عالم مجتهد مفسِّر حوَى شروط المفسر وأدواته فكان له حق الاجتهاد .

وهو وإن كانت بعض أقواله قد سبقه إليها بعض الصحابة الكرام ﷺ ، وهو موافق لهم في كثير من أقوالهم ، بل ربما لو ضعف السند عن عطاء الخراساني في أحد الأقوال جاء ما يقوي قوله من جهة الصحابة ﷺ . وخصوصاً حبر الزمان وترجمان القرآن ؛ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فإنَّ عطاء الخراساني لا يكاد يخطئه ؛ لكن كلُّ ذلك لم يمنعه من اجتهاد رأيه ، وذلك لسعة علمه ، وقوة إدراكه لمعنى آيات القرآن الكريم .

ومن أمثلة اجتهاد عطاء الخراساني ما يلي :

المثال الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ [النور : ٨].

قال عطاء الخراساني : إذا لاعنها ، وامتنعت هي عن الملاعنة فلا حدَّ عليها .

هذه المسألة من اجتهادات عطاء الخراساني ، وهي مسألة خلافية بين العلماء ، وقد وافق عطاء هنا أبو حنيفة ، وأحمد في رواية عنه ، وهو قول الحسن ، والأوزاعي ، وأصحاب الرأي . وروي ذلك عن الحارث العكلي ، وهو قول : زفر ، وأبو يوسف ، ومحمد ، وغيرهم من العلماء ، وهو يدلّ على اجتهاد عطاء الخراساني ، وإن وافق غيره في ذلك [(١)].

المثال الثاني : في قوله : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣١] .

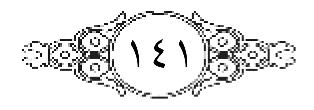
قال عطاء الخراساني : الكحل ، وطرف الخضاب .

وهو هنا قد اجتهد رأيه في المسألة ، وفسَّر ما ظهر من الزينة في الآية بأنه الكحل ، وطرف الخضاب ، وهذا اجتهاد منه لم أقف على أحد قال به بهذا اللفظ [(٢)] .

---

(١) انظر الموضع رقم : (٣٠) ودراسته ص(٢٥٩) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٣٣) ودراسته ص(٢٧٤) .



المثال الثالث : في قول الله تعالى : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ [الفرقان : ٣٨] .

قال عطاء الخراساني : بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً .

فنلحظ هنا أنه اجتهد في معنى القرون الكثير ، وعدَّ بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً ، وهذا اجتهاد واضح منه رحمه الله (١) .

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص : ٧٦] .

قال عطاء الخراساني : زاد في طول ثيابه شبراً .

وهنا نجد أنَّ عطاء الخراساني اجتهد في معنى بغي قارون على قومه بأنه زاد في طول ثيابه شبراً ، وهذا علامة كبر وترفّع (٢) .

المثال الخامس : في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر : ١١] .

قال عطاء الخراساني : لا يذهب من عمر إنسان يوم ، ولا شهر ولا ساعة ؛ إلا ذلك مكتوب محفوظ معلوم .

وهذا اجتهاد منه رحمه الله في معنى الآية (٣) .

المثال السادس : في قول الله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾ [الزمر : ٧٢]

قال عطاء الخراساني : إنَّ لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحراً وأنتنها ريحاً للزناة ؛ الذين ركبوا بعد العلم .

وهذا أيضاً من أمثلة اجتهاده رحمه الله ، حيث إنه اجتهد في أنَّ أشدَّ أبواب جهنَّم هو الباب الذي يدخل منه الزناة الذين وقعوا في هذه الفاحشة بعد العلم بحرمتها ، ولعلَّ هذا من اجتهاداته رحمه الله ، ولم أجد دليلاً على قوله هذا (٤).

المثال السابع : في قول الله عزَّ وجل : ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ [غافر : ١] .

قال عطاء الخراساني : الحاء افتتاح أسمائه : حكيم ، حميد ، حي ،

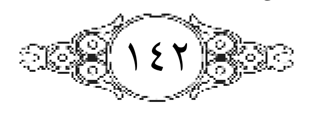
---

(١) انظر الموضع رقم : (٤٣) ودراسته ص(٣١٠) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٦٧) ودراسته ص(٣٨٦) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٩٠) ودراسته ص(٤٥٦) .

(٤) انظر الموضع رقم : (١١٠) ودراسته ص(٥١٩) .



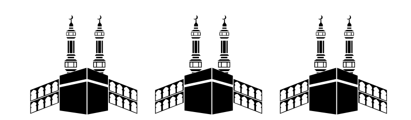
حليم ، حنان ؛ والميم افتتاح أسمائه : مالك ، مجيد ، منان .

وهـذا اجتـهاد منـه ﷺ في أنَّ هـذه الحـروف كنايـات ورمـوز علـى أسمـاء الله تعالى التي تبتدئ بها [1] .

المثـــال الثـــامن : في قـــول الله تعـــالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] ، **قـال عطـاء الخراسـاني** : مـا تقـدَّم مـن ذنبـك : يعـني ذنـب أبويـك آدم وحواء ببركتك ، وما تأخَّر : ذنوب أمتك بدعوتك .

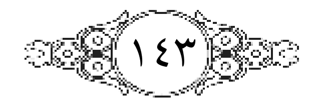
وهذا أيضاً اجتهاد منه ﷺ ، ولا دليل عليه [2] .

وأمثلة اجتهاد عطاء الخراساني كثيرة مشاهدة في بطن هذه الرسالة .



(١) انظر الموضع رقم : (١١١) ودراسته ص(٥٢٣) .

(٢) انظر الموضع رقم : (١٣٢) ودراسته ص(٥٨١) .



❖ **المبحث السادس : الإسرائيليات في تفسير عطاء الخراساني .**

الإسرائيليات هي الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل ، من اليهود – وهو الأكثر ، أو من النصارى ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب عليه السلام ، وإليه ينسب اليهود .

ولفظ الإسرائيليات – وإن كان يدلُّ في ظاهره على القَصَص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية – يستعمله علماء التفسير والحديث ، ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي ، فهو في اصطلاحهم يدلُّ على ما تطرَّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة ، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما .

وتوسَّع بعضهم فجعلوا من الإسرائيليات ما دسَّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها ، وإنما هي أخبار صنعوها بخبث نيَّة وسوء طوية ، ثمَّ دسّوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين .

وقد أطلق العلماء لفظ الإسرائيليات على كلِّ ذلك من باب التغليب للون اليهودي على غيره ، لأنَّ غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي ، واليهود هم أشدُّ الناس عداوة للمؤمنين ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة : ٨٢] [(١)] .

وتنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أنواع [(٢)] :

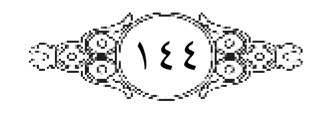
الأول : ما أقرَّه الإسلام وشهد بصدقه ؛ فهو حق مقبول .

الثاني : ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه ، فهذا باطل مردود .

الثالث : ما لم يقرُّه الإسلام ، ولم ينكره ، فهذا يجب التوقف فيه ، عملاً بحديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأهْلِ الإسْلامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ

(١) انظر : الإسرائيليات في التفسير والحديث (١٣-١٥) ، تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (١/٦١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٣٢٢) ، تفسير ابن كثير (١/٥) ، تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (١/٦١) .



الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ الآيَةَ [البقرة : ١٣٦] »[١].

ولا تحلُّ الرواية المطلقة لأخبار بني إسرائيل ، بل ما وافق منها الحقَّ الصحيح أخذناه ، وما خالف ديننا وعقيدتنا ، وعصمة الأنبياء ونزاهتهم تركناه. عمدتنا في ذلك قول المصطفى ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[٢].

قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله : (إنَّ إباحة التحدُّث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيءٌ ؛ وذِكْرُ ذلك في تفسير القرآن ، وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات ، أو في تعيين ما لم يعيَّن فيها ، أو في تفصيل ما أُجملَ فيها شيءٌ آخر ! ، لأنَّ في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أنَّ هذا الذي لا نعرفُ صدقه ولا كَذبه مبيِّن لمعنى قول الله سبحانه ، ومفصِّلٌ لما أُجملَ فيه ! وحاشا لله ولكتابه من ذلك .

وإنَّ رسول الله ﷺ إذا أَذِنَ بالتحدُّث عنهم أمرنا أن لا نصدِّقهم ولا نكذِّبهم. فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان ؟! اللهم غفراً)[٣].

ومن تأمَّل تفسير عطاء الخراساني وجد أنَّه لا يخلو من بعض النقولات عن أخبار بني إسرائيل ، في مسائل معدودة ، كانت من جملة ما انزلق فيه جماعة من المفسِّرين رحمهم الله دون قصد منهم .

ومن أمثلة الإسرائيليات في تفسير عطاء الخراساني ما يلي :

المثال الأول : في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٥٤] .

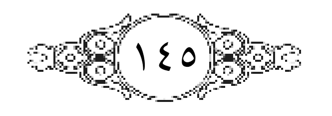
قال عطاء الخراساني : كانوا سِتَّمائةِ ألف ليس فيهم أكثر من ابن الستين ، ولا

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٤٨٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وبرقم : (٧٣٦٢) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » ، وبرقم : (٧٥٤٢) في كتاب التوحيد ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب أهل الله بالعربية وغيرها .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٤٦١) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) عمدة التفسير (١/١٤) .



أصغر من عشرين ، فهلكوا في التيه إلا رجلين : يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا .

وهنا نجد أن عطاء الخراساني ﷺ اعتمد على أخبار أهل الكتاب في تفسير الآية ، وتحديد العدد الذين هلكوا في التيه ، وهو أمر لا دليل عليه في الكتاب ولا السنة ، ولم يثبت بنقل صحيح [(١)] .

المثال الثاني : في قوله تعالى : ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤)﴾ [ص : ٢٤]

قال عطاء الخراساني : إنَّ كتاب صاحب البعث جاء ينعي من قُتل ، فلما قرأ داود نعي رجل منهم رجَّع ، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال : كتب الله على كل نفس الموت ، قال : فلما انقضت عِدّتها خطبها .

وقال أيضاً : نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها ، قال : فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت .

فنجد هنا كيف أنه قال في نبي الله داود ﷺ أموراً هي من أخبار بني إسرائيل ، وفيها تعدٍّ وتطاولٍ على مقام النبوة ، وقد فصَّلت وقارنت في موضع الدراسة بين هذا القول وما جاء في كتبهم المقدَّسة [(٢)].

المثال الثالث : وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ﴾ [ص : ٢٥] .

قال عطاء الخراساني : إنَّ داود بقي ساجداً أربعين يوماً حتى نبت الرعي حول وجهه ، وغمر رأسه .

وقال : قيل لداود ﷺ : يا داود ، ارفع رأسك ، فذهب ليرفع فإذا هو قد نشب بالأرض ، فأتاه جبريل ﷺ فاقتلعه عن وجه الأرض كما يقتلع عن الشجرة صمغها .

وهذه الأقوال كسابقتها في المثال الثاني ، فيها تعدٍّ على نبي الله داود ﷺ، وتنقيص لجناب النبوة [(٣)].

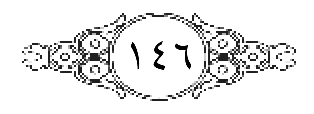
وسيأتي بيان أمثال هذه المواضع ومناقشتها في ثنايا البحث – بإذن الله – .



(١) انظر الموضع رقم : (٤٩) ودراسته ص(٣٢٨) .

(٢) انظر الموضع رقم : (١٠٤-١٠٥) ودراسته ص(٤٩٦) .

(٣) انظر الموضع رقم : (١٠٤-١٠٥) ودراسته ص(٤٩٦) .

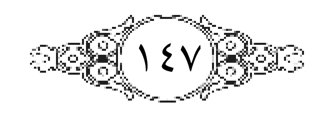


الفصل الثالث :

منهج عطاء الخراساني في التفسير .

وفيه مباحث :

- المبحث الأول : عنايته بأسباب النزول .
- المبحث الثاني : عنايته بعلوم القرآن .
- المبحث الثالث : تفسير آيات الأحكام .
- المبحث الرابع : بيانه لغريب القرآن .
- المبحث الخامس : عنايته بالقراءات القرآنية .
- المبحث السادس : التفسير بالمثال .
- المبحث السابع : التفسير بالقصة .
- المبحث الثامن : التعرض لأمثال القرآن الكريم .
- المبحث التاسع : تعدّد أقواله في الآية .
- المبحث العاشر : انفراده ببعض الأقوال .
- المبحث الحادي عشر : التفسير وفق القواعد التفسيرية .



تمهيد

من المعلوم أنَّ لكل عالم منهجه وطريقته في التفسير ، وأسلوبه الذي يتميَّز به تفسيره للقرآن الكريم .

فمن العلماء من يميل إلى التفسير بالأثر ، ومنهم من يميل إلى الرأي ، ومنهم من يجمع بين ذا وذاك ، وبعضهم يميل إلى التركيز على آي الأحكام ، وبعضهم إلى اللغة ، وبعضهم إلى البلاغة ، وغير ذلك من الاتجاهات .

والحق أنَّ عطاء الخراساني جمع بين كثير من ذلك ، ولاغرو .. فهو المفسِّر المحدث الفقيه اللغوي ، وإن كان الجانب اللغوي قد صبغ أكثر تفسيره – فيما درست من أقواله- .

وسأذكر هنا أهمَّ سِمات منهجه وطريقته ، واضعاً في الاعتبار أنَّه لم يصنع منهجاً ويسير عليه ، وإنما هو النفَس العام الذي يستنبطه الدارس لأقوال عطاء الخراساني ، وطريقته في التفسير . وذلك من خلال المباحث التالية :

❖ المبحث الأول : عنايته بأسباب النزول .

يعرِّف العلماء سبب النزول بقولهم : "هو ما نزلت الآية أيام وقوعه " ، أو يقال : " هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال " ، وهو من الأمور المعينة على فهم تفسير القرآن [1] .

ولمَّا كان عطاء الخراساني مفسِّراً له باعه وعنايته بالتفسير ؛ كان لزاماً أن يعتني بأسباب النزول ، ومن أمثلة عنايته بأسباب النزول ما يلي :

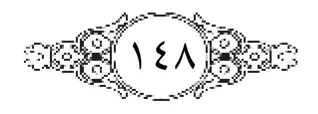
المثال الأول : في قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور : ٦١] .

قال عطاء الخراساني : أو ما ذكر من ذوي القرابة ، فكان الرجل الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه يدعوه إلى الطعام ليأكل منه ، فيقول : والله إني لأجنح، والجنح : أن يحرَّج أن نأكل منك وأنا غني وأنت فقير ، فأمروا أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً[2].

المثال الثاني : في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٩٠) ، مباحث في علوم القرآن (٧٨-٨٠) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٣٩) ودراسته ص(٢٩٧) .



[الحجرات : ١]. **قال عطاء الخراساني** : نزلت في قصَّة بئر معونة [(١)].

المثال الثالث : في قول الله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦].

قال عطاء الخراساني : إنَّ أبا بكر ﷺ ذكَر ذات يوم ، وفكَّر في يوم القيامة ، والموازين ، والجنة حيث أزلفت ، وفي النار حين أبرزت ، وصفوف الملائكة وطيِّ السماوات والأرض ، ونسف الجبال ، وتكوير الشمس ، وانتثار الكواكب، فقال : وددت أني كنت خضرا من هذه الخضراء تأتي عليَّ بهيمة فتأكلني ، وأني لم أخلق ، فنزلت هذه الآية [(٢)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

قال عطاء الخراساني : كان ناس يُمطَرون ؛ فيقولون : مُطرنا بنوء كذا ، مُطرنا بنوء كذا [(٣)] .

المثال الخامس : في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة : ٨]. **قال عطاء الخراساني** : كانوا يقولون إذا جاءوا إلى النبي ﷺ : سام عليك[(٤)].

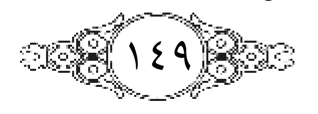
المثال السادس : في قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [التغابن : ١٤] .

قال عطاء الخراساني : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزّو بكوا إليه ورقّقوه وقالوا : إلى من تكلنا وتدعنا ؛ فيرقّ ويقيم ؛ فأنزل اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾ [(٥)].

وهذه هي المواضع التي ذكر عطاء الخراساني فيها سبب النزول .

---

(١) انظر الموضع رقم : (١٤٠) ودراسته ص(٦١٤) .
(٢) انظر الموضع رقم : (١٦٩) ودراسته ص(٧١٢) .
(٣) انظر الموضع رقم : (١٨٢) ودراسته ص(٧٥٢) .
(٤) انظر الموضع رقم : (١٨٦) ودراسته ص(٧٦٧) .
(٥) انظر الموضع رقم : (١٩١) ودراسته ص(٧٨٠) .



❖ **المبحث الثاني : عنايته بعلوم القرآن .**

إنَّ العناية بعلوم القرآن أمر لا يهمله مفسِّرٌ ، فمعرفتها مفتاح من مفاتيح علم التفسير ، وأساس من أسسه .

ولقد كانت عناية عطاء الخراساني بعلوم القرآن عناية عامة ظاهرة ، حتى إنه ألَّف كتاباً في الناسخ والمنسوخ ، وكتاباً في تنزيل القرآن [(١)] .

ومما وقفت عليه في عنايته بعلوم القرآن ؛ عنايته بالمكي والمدني ، ومن تأمَّل وجد أنَّ العلماء قد اعتنوا عناية فائقة بتحقيق المكي والمدني ، فتتبعوا القرآن آية آية ، وسورة سورة ، لترتيبها وفق نزولها ، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب .

ومن فوائد معرفة المكي والمدني : العلم بالمتأخر ؛ فيكون ناسخاً أو مخصصاً على رأي من يرى تأخير المخصص .

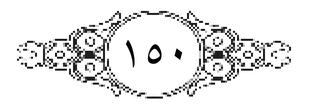
وممن بيَّن أهمية ذلك أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري [(٢)] في كتاب : التنبيه على فضل علوم القرآن ، حيث قال : (من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة ، وما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكي ، وما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، وما نزل ليلاً ، وما نزل نهاراً ، وما نزل مشيَّعاً ، وما نزل مفرداً ، والآيات المدنيات في السور المكية ، والآيات المكيات في السور المدنية ، وما حمل من مكة إلى المدينة ، وما حمل من المدينة إلى مكة ، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، وما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً ، وما اختلفوا فيه فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي ، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلَّم في كتاب الله تعالى) [(٣)] .

---

(١) سبقت الإشارة إليهما في مؤلفاته في الباب الأول ، ص(٩٤) .

(٢) **الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابوري** = الواعظ المفسر ، إمام عصره في معاني القرآن وعلومه ، مصنف التفسير المشهور غرائب القرآن ، كان أديباً نحوياً عالماً بالمغازي والقصص والسير ، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير ، وسارت تصانيفه الحسان في الآفاق ، وكان أستاذ الجماعة . سمع أبا حاتم بن حبان وجماعة ، وروى عنه أبو بكر محمد ابن عبد الواحد الحيري الواعظ ، وأبو الفتح محمد بن إسماعيل الفرغاني وآخرون. وصنف في القراءات والتفسير والآداب وعقلاء المجانين ، مات في ذي الحجة سنة ست وأربعمائة. انظر : طبقات المفسِّرين للسيوطي (٤٥) .

(٣) التنبيه على فضل علوم القرآن (٣٠٧) .



ومما يدلُّ على عناية عطاء الخراساني ﷺ بترتيب السور ونزولها : ما ورد عنه في أثر طويل أنه قال : " بلغنا أنَّ هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول ، فكان أول ما نزل فيما بلغنا : اقرأ باسم ربك ، ثم ن والقلم ، المزمل ، المدثر ، تبّت، إذا الشمس كورت ، سبِّح اسم ربك ، الليل ، الفجر ، الضحى ، ألم نشرح ، العصر، العاديات ، الكوثر ، ألهاكم ، أرأيت ، الكافرون ، الفيل ، الفلق ، الإخلاص ، النجم ، عبس ، القدر ، والشمس ، البروج ، التين ، لإيلاف ، القارعة، القيامة ، الهُمزة ، المرسلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الأعراف ، قل أوحى ، يس ، الفرقان ، الملائكة ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، بنو إسرائيل ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، الأنعام ، الصافات ، لقمان ، سبأ ، الزمر ، المؤمن ، حم السجدة ، عسق ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الذاريات ، الغاشية ، الكهف ، النحل ، نوح ، إبراهيم ، الأنبياء ، قد أفلح ، السجدة ، الطور ، الملك ، الحاقة ، سأل سائل ، النبأ، النازعات ، الانفطار ، الانشقاق ، الروم ، العنكبوت ، المطففين .

فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة : البقرة ، ثم الأنفال ، آل عمران ، الأحزاب ، الممتحنة، النساء ، الزلزلة ، الحديد ، سورة محمد ، الرعد ، الرحمن ، هل أتى ، الطلاق ، لم يكن ، الحشر ، النصر ، النور ، الحج ، المنافقون ، المجادلة ، الحجرات ، التحريم ، الجمعة ، الصف ، الفتح ، المائدة ، براءة .

فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة " [(١)].

قال الماوردي بعد ذكر هذا الأثر عنه ﷺ : (ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره ، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً ، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته) [(٢)] [(٣)].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/٣٠٩-٣١٠) قال : رواه آدم ابن أبي أناس ، عن أبي شيبة شعيب بن زريق ، عن عطاء الخراساني .. وذكر الأثر .

(٢) النكت والعيون (٦/٣١٠) .

(٣) ومثل هذه الآثار عن التابعين لا يمكن الاعتماد عليها في معرفة ترتيب سور القرآن من حيث النزول ، وقد بحث هذا الموضوع بالتفصيل أ.د/ إبراهيم خليفة ، في كتاب بعنوان : مسألتان في علوم القرآن ، وبيَّن أنَّ الآثار الواردة في ذلك ضعيفة سنداً ومتناً ، وبينها اضطراب واختلاف ، والاضطراب في المتن علامة

ومما ورد أيضاً في هذا الشأن ، ما ذكره ابن حجر ﷺ عنه في قول الله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل : ١] .

قال عطاء الخراساني : المزَّمل نزلت قبل المدَّثر .

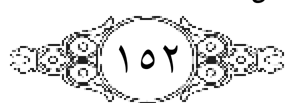
وهو بيان لترتيب نزول السورة ، خالف فيه رأي الجمهور ، وهو يدلّ على اعتنائه بعلوم القرآن ، وعنايته بترتيب نزول السور [(١)] .

والله أعلم ، ،



الضعف ، ويردُّ بذلك على بعض الدعوات التي تنادي بإعادة كتابة القرآن على ترتيب النزول ، ونقَد ذلك المشروع المقترح الأستاذ الدكتور / محمد عبد الله دراز على صفحات مجلة نور الإسلام (الأزهر حالياً) ، ومجلة الفرقان ، وجمعت تلك المقالات في كتاب : وميض من أرض الكنانة .

(١) انظر الموضع رقم : (٢٠٩) ودراسته ص(٨٣٣) .



❖ **المبحث الثالث : عنايته بآيات الأحكام .**

إنَّ عناية علماء التفسير بآيات الأحكام أمر يدلُّ على درايتهم بالفقه ، فما آيات الأحكام إلا أصل الفقه التي منها يصدُر وإليها يئرِز .

والناظر في الآيات التي تعرَّض لها عطاء الخراساني رحمه الله من هذا النوع مدركٌ لا محالة فقه هذا الفقيه ، وما عود الفقهاء لآراء عطاء الخراساني في الفقه إلا دليل ذلك .

وفقه عطاء الخراساني مشهورٌ معلوم [(١)] ، غير أنَّ آيات الأحكام التي تعرَّض لها في النصف الثاني من القرآن قليلة ، نظراً لأنَّ غالب آيات الأحكام في السور المدنية الطوال في نصف القرآن الأول .

وسأورد هنا بإذن الله أمثلة لأبرز الآيات التي تعرَّض لها في الأحكام كما يلي :

المثال الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ ﴾ [النور : ٨]

قال عطاء الخراساني : إذا لاعنها ، وامتنعت هي عن الملاعنة فلا حدَّ عليها [(٢)] .

المثال الثاني : في قوله تعالى : ﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] .

قال عطاء الخراساني : لمَّا قدِم أصحاب النبي ﷺ بيت المَقدِس كان قوابل نسائهم اليهوديات والنصرانيات [(٣)] .

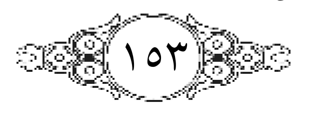
المثال الثالث : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ ﴾ [النور : ٥٩] .

قال عطاء الخراساني : واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتلموا على من كان من الناس [(٤)] .

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور : ٦١] .

قال عطاء الخراساني : فيقال[(٥)] : هذا في الجهاد [(٦)] .

(١) سبقت دراسة فقه عطاء الخراساني في الباب الأول ص(٩١) .
(٢) انظر الموضع رقم : (٣٠) ودراسته ص(٢٥٩) .
(٣) انظر الموضع رقم : (٣٤) ودراسته ص(٢٨٠) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٣٧) ودراسته ص(٢٩٠) .
(٥) هذه صيغة تضعيف يستعملها عطاء الخراساني كثيراً ، وكما سيأتي أنَّ الراجح أنَّ رفع الحرج هنا في الأكل ، وأما آية سورة الفتح فهي للجهاد ، والسياق هو الذي يحدد .
(٦) انظر الموضع رقم : (٣٨) ودراسته ص(٢٩٤) .



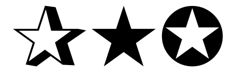
المثـــال الخـــامس : في قولــه تعـــالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة : ٤] .

قال عطاء الخراساني : إذا أفطر من مرض فإنه يستقبل (١) .

المثـــال الســـادس : في قـــول الله تعـــالى : ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ [المزمل : ٣-٤] .

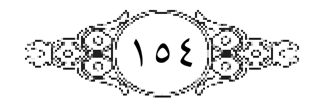
قال عطاء الخراساني : في الآية تخيير بين قيام النِّصف بتمامه ، أو قيام أنقص منـه أو أزيَد (٢) .

ومن خلال هذه الأمثلة تظهر عناية عطاء الخراساني بآيات الأحكام ، وتنبئ كذلك عن فقهه ، وحسن فهمه رحمه الله .



(١) انظر الموضع رقم : (١٨٤) ودراسته ص(٧٥٩) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٢١٠) ودراسته ص(٨٣٨) .



❖ **المبحث الرابع : بيانه لغريب القرآن .**

ومعنى غريب القرآن : تفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم .

قال الخطابي ﷺ : (الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم) [(١)].

فيحتاج الكاشف عن ذلك المبيِّن له إلى معرفة علم اللغة .

ومعرفة فنِّ الغريب للمفسِّر ضرورة ، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله .

وقد سبق معنا قول مجاهد ، ومالك بن أنس في ذلك ، وقد روى عكرمة عن ابن عباس قال : " إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر ؛ فإنَّ الشعر ديوان العرب " [(٢)].

وعناية عطاء الخراساني ببيان غريب القرآن تظهر واضحة لكلِّ من قرأ تفسيره ، إذ أنَّ أكثر تفسيره احتوى بيان الغريب .

وسأورد هنا بعض الأمثلة الموجزة على ذلك :

المثال الأول : في قوله عز وجل : ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف : ٦٠] .

قال عطاء الخراساني : الحقب : الزمان .

قال النَّحاس ﷺ : (الذي يعرفه أهل اللغة أنَّ الحُقْب زمان من الدَّهر مبهم غير محدود) [(٣)].

المثال الثاني : في قوله تعالى : ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٨٨] .

قال عطاء الخراساني : أحكم كل شيء [(٤)].

المثال الثالث : في قول الله عزَّ وجل : ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب : ٢٦] .

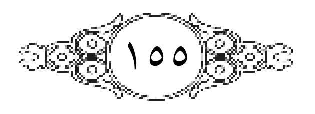
قال عطاء الخراساني : هي الحصون .

وفي اللغة يقال لكلِّ ما يتحصَّن به : صيصة [(٥)].

المثال الرابع : في قول الله عزَّ وجل : ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سبأ : ١٤] .

---

(١) غريب الحديث للخطابي (٧٠) .
(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن (١/٣٦٥-٣٦٨) .
(٣) انظر الموضع رقم : (٦) ودراسته ص(١٨٨) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٦٤) ودراسته ص(٣٧٧) .
(٥) انظر الموضع رقم : (٨٠) ودراسته ص(٤٣٤) .



قال عطاء الخراساني : عصاه .

وهنا فسَّر المنسأة بالعصا ، وهو ما عليه جمهور المفسِّرين [(١)].

المثال الخامس : في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [فاطر : ٢٧] .

قال عطاء الخراساني : الغرابيب : الجبال الطوال السود .

والغرابيب في اللغة : جمع غِرْبيب ، وهو شديد السواد المشبه للغراب في السواد[(٢)].

المثال السادس : في قول الله تعالى : ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان : ٢٤].

قال عطاء الخراساني : يابساً منفرجاً .

قال الراغب رحمه الله : (رهواً : أي ساكناً ، وقيل : سعة من الطريق وهو الصحيح ، ومنه الرهاء للمفازة المستوية) [(٣)].

المثال السابع : في قول الله عزَّ وجل : ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد : ١٥] .

قال عطاء الخراساني : غير منتن .

قال الراغب رحمه الله : (أسن : يقال أسَن الماء يأسَن ، وأسِن يأسِن ، إذا تغيَّر ريحه تغيُّراً منكراً) [(٤)].

المثال الثامن : في قول الله تعالى : ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق : ١٠] .

قال عطاء الخراساني : طوال .

قال ابن عاشور رحمه الله : (الباسقات : الطويلات في ارتفاع ، أي عاليات ، فلا يقال : باسق للطويل الممتدِّ على الأرض) [(٥)].

وأمثلة عناية عطاء الخراساني بغريب القرآن كثير جداً ، وهي من أكثر ما جاء في الرسالة من أقواله .



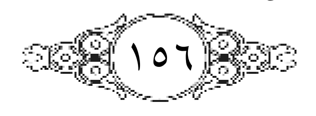
(١) انظر الموضع رقم : (٨٦) ودراسته ص(٤٤٧) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٩٢) ودراسته ص(٤٦٢) .

(٣) انظر الموضع رقم : (١٢٦) ودراسته ص(٥٦٤) .

(٤) انظر الموضع رقم : (١٣١) ودراسته ص(٥٧٩) .

(٥) انظر الموضع رقم : (١٤٧) ودراسته ص(٦٣٨) .



❖ المبحث الخامس : عنايته بالقراءات القرآنية .

القراءات القرآنية : هي مذاهب الناقلين لكتاب الله عزَّ وجلَّ في كيفية أداء الكلمات القرآنية [١].

ولعطاء الخراساني عناية بالقراءات - وإن كانت ليست بالكثيرة فيما بين يديَّ من أقوال - لكنها ظاهرة .

ففي بعض الآيات ينصُّ على القراءة التي يفسِّرها ، وأحياناً أخرى يُعرَف ذلك من خلال تفسيره لقراءة معينة دون أن ينصَّ عليها .

وربما يُلحَظ أنه رحمه الله من المعتمدين في تفسيره على القراءات ، وإن كان بعضها شاذاً ، وهذا أمرٌ لا حرج فيه عند أهل التفسير ؛ إذ القراءة الشاذة يُستفاد منها في التفسير [٢].

ومن أمثلة عناية عطاء الخراساني بالقراءات ما يلي :

المثال الأول : في قول الله عز وجل : ﴿ عَيْنٍ حَامِيَة ﴾ [الكهف : ٨٦] .

قال عطاء الخراساني : الحمأة السوداء .

فهو هنا قرأ : ﴿ عَيْنٍ حَامِيَة ﴾ ، بألف بعد الحاء ، وياء مفتوحة بعد الميم، وهي قراءة عامة القراء عدا نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب [٣] .

المثال الثاني : في قوله عز وجل : ﴿ خَرَاجاً ﴾ [الكهف : ٩٤] .

قال عطاء الخراساني : الخراج : الرَّيع .

فنلحظ أنه قرأها ﴿ خَرَاجاً ﴾ ، وهي قراءة الحسن والأعمش وطلحة وخلف ، وابن سعدان ، وابن عيسى الأصبهاني ، وابن جبير الأنطاكي ، وحمزة والكسائي ، وعامة قرَّاء الكوفيين ؛ نَحوْ به نحوَ الاسم [٤].

المثال الثالث : في قول الله تعالى : ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ

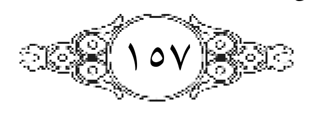
---

(١) انظر : القراءات القرآنية تاريخها وثبوتها (٢٦) .

(٢) انظر : صفحات في علوم القراءات (٧٣) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٧) ودراسته ص(١٩٠) .

(٤) انظر الموضع رقم : (٨) ودراسته ص(١٩٥) .



بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل : ٨٢] .

قال عطاء الخراساني : وأما دابة الأرض تكلِّمهم ، فكلامها يعني إياهم : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

فتفسيره هنا ببقية الآية يعني قراءته بالقراءة على فتح الهمزة فيها ، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (١) .

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص : ٤٨].

قرأ عطاء الخراساني : ﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ (٢) .

المثال الخامس : في قوله عزَّ وجل : ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان : ٢٠] .

قال عطاء الخراساني : الظاهرة : تخفيف الشرائع ، والباطنة : الشفاعة .

فقوله هذا يدلُّ على أنه قرأها على قراءة : ﴿ نِعْمَةً ظاهِرةً ﴾ منونة في الوصل على واحدة ، وهي قراءة العامة عدا أبو جعفر ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم (٣) .

المثال السادس : في قوله تعالى : ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا﴾ [الزخرف : ٥٦] .

قال عطاء الخراساني : جعلوا سلفاً في الناس ، ومثلاً لمن بعدهم من القرون .

وقوله هذا يدلُّ على أنه يقرؤها : على فتح السين واللام ، وهي قراءة عامة القراء عدا : حمزة والكسائي : فقد قرآها : ﴿ سُلُفاً ﴾ بضم السين واللام، واحدها سُلُفة ، والمراد : قطعة من الناس (٤).

وهذه أبرز المواطن التي تظهر فيها عناية عطاء الخراساني بالقراءات ، وتوضّح ما يقرأ به . والله أعلم ..

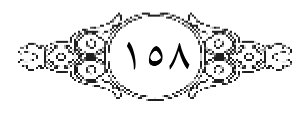
---

(١) انظر الموضع رقم : (٦٣) ودراسته ص(٣٧٤) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٦٦) ودراسته ص(٣٨٢) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٧٩) ودراسته ص(٤٣٠) .

(٤) انظر الموضع رقم : (١٢١) ودراسته ص(٥٤٩) .



❖ **المبحث السادس : التفسير بالمثال .**

كثيراً ما يستعمل المفسِّرون هذا النوع من التفسير ، وهو أحد أفرع اختلاف التنوع لا التضاد .

يبينه شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ بقوله : (وهو أنْ يذكر كل منهم من تفسير الاسم العام بعض أنواعه أو أعيانه ، على سبيل التمثيل للمخاطب لا على سبيل الحصر والإحاطة ، كما لو سأل أعجمي عن معنى لفظ : الخبز ، فأري رغيفاً ، وقيل هذا هو ، فذاك مثال للخبز ، وإشارة إلى جنسه لا إلى ذلك الرغيف خاصة) [١].

ومن أمثلة استعمال عطاء الخراساني للتفسير بالمثال ما يلي :

المثال الأول : في قول الله عزَّ وجل : ﴿ٱلْقَانِعَ﴾ [الحج : ٣٦] .

قال عطاء الخراساني : القانع : من يقنع برزق الله ويقعد في بيته .

وهذا تفسير للقانع بالمثال ، مثَّل له بالذي يقنع برزق الله ويقعد في بيته ، والمعنى يشمله ويشمل غيره [٢] .

المثال الثاني : في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج : ٣٦] .

قال عطاء الخراساني : يعتر بِرَّكَ يرجو فضل ما عندك .

وهذا تفسير أيضاً بالمثال لتوضيح المعنى ، والمعنى يشمله ويشمل غيره [٣].

المثال الثالث : في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ [الحج : ٤٥] .

قال عطاء الخراساني : الشديد البناء ، وشهق .

فهو هنا أراد أن يبيِّن ارتفاع هذا البناء ، فشهق ممثلاً بطوله وارتفاعه [٤] .

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾ [الفرقان : ٣٨] .

قال عطاء الخراساني : بين النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً .

وأراد بقوله هذا المثال لمعنى القرن ، فمثَّل بالأجيال من الآباء بين النبي ﷺ وبين

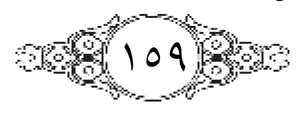
---

(١) مجموع الفتاوى (١٦١/٥) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٢٤) ودراسته ص(٢٤٢) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٢٥) ودراسته ص(٢٤٦) .

(٤) انظر الموضع رقم : (٢٦) ودراسته ص(٢٤٩) .



آدم ﷺ [1] وهذا تفسير بالمثال .

المثال الخامس : في قول الله تعالى : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل : ١٢] .

قال عطاء الخراساني : من غير سوء يعني البَرَصْ .

فقد مثَّل هنا لأمراض اليد وآفاتها بالبرص ، حتى يتَّضح المعنى لدى المتلقِّي ، وإلا فالسوء هنا يشمل جميع الآفات التي يمكن أن تكون في الجلد من برص وبهاق وغير ذلك [2].

المثال السادس : في قوله تعالى : ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن : ٣٧]

قال عطاء الخراساني : كلون دُهْن الوَرْد في الصفرة .

وهنا مثَّل للصفرة بلون دهن الورد ، وهو تفسير بالمثال [3] .

المثال السابع : في قول الله تعالى : ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان : ١٦] .

قال عطاء الخراساني : يقال : بياض تلك القوارير مثل بياض الفضة ، وصفاؤها صفاء القوارير .

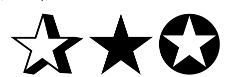
وهنا تمثيل للقوارير في بياضها ببياض الفضة ، وهو من التفسير بالمثال [4].

المثال الثامن : في قول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [عبس : ٣٨] .

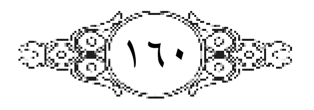
قال عطاء الخراساني : من طول ما اغبرَّت في سبيل الله .

فهذه الوجوه هي وجوه أهل الإيمان ، تكون يوم القيامة مسفرة من طاعتها لله في الحياة الدنيا ، وهو هنا مثَّل لها بكون الجزاء من جنس العمل ، فهي لما اغبرَّت في سبيل الله جاءت يوم القيامة مسفرة [5].

والأمثلة كثيرة على هذا النوع من التفسير ، تأتي في ثنايا البحث .



(١) انظر الموضع رقم : (٤٣) ودراسته ص(٣١٠) .
(٢) انظر الموضع رقم : (٥٧) ودراسته ص(٣٥٣) .
(٣) انظر الموضع رقم : (١٦٨) ودراسته ص(٧٠٨) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٢١١) ودراسته ص(٨٤٣) .
(٥) انظر الموضع رقم : (٢٢٩) ودراسته ص(٨٩٢) .



❖ المبحث السابع : التفسير بالقصة .

وهو أن يذكر عند ذكر الآية قصَّة تتعلَّق بها ، أو تقرِّب المعنى للسامع ، أو تكون شاهداً لها .

ومن شواهد استخدام القصة لدى عطاء الخراساني في التفسير ما يلي :

المثال الأول : عند قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت : ٤١] .

قال عطاء الخراساني : نسَجت العنكبوت مرَّتين : مرَّة على داود عليه السلام [حين كان جالوت يطلبه] ، والثانية على النبي محمد ﷺ (١) .

فنجد أنَّ عطاء الخراساني هنا أشار إلى قصة نسج العنكبوت خيوطها على الغار في رحلة الهجرة ، وقد أدركه الطلب هو وصاحبه الصديق رضي الله عنه ، وكذا ذكر أنَّ ذلك ورد عن داود عليه السلام .

المثال الثاني : في قول الله تعالى : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ [الروم : ٢] .

قال عطاء الخراساني لمحدّثه : أما رأيتَ بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لو رأيتها لرأيت المدائن التي خربت ، والزيتون الذي قُطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته (٢) .

المثال الثالث : في قول الله عزَّ وجل : ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الصافات : ٥١] .

قال عطاء الخراساني : كان رجلان شريكان ، وكان لهما ثمانية آلاف دينار ، فاقتسماها ، فعمد أحدهما فاشترى بألف دينار أرضاً .

فهنا ذكر عطاء الخراساني قصَّة رجلين شريكين في مال ، وأنَّ هذه الآية حكاية عنهما ، وهذا من تفسيره بالقصة (٣) .

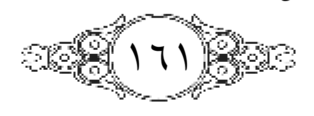
المثال الرابع : في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات : ٤] .

---

(١) انظر الموضع رقم : (٧٣) ودراسته ص(٤٠٥) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٧٥) ودراسته ص(٤١٢) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٩٨) ودراسته ص(٤٨٠) .

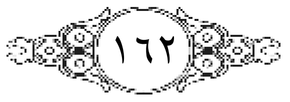


قال عطاء الخراساني : أدركتُ حُجَرَ أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرْت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَرَ أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ ، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم .

فنجده ﵀ يحكي قصَّة إدخال الحجرات في المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك ، وما شاهده من ذلك [1] .



(١) انظر الموضع رقم : (١٤١) ودراسته ص(٦٢٠) .



❖ **المبحث الثامن : التعرُّض لأمثال القرآن الكريم .**

المثل في القرآن : هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة ، لها وقع في النفس ، سواءً كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً [(١)].

وضرْب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور ؛ كالتذكير والوعظ ، والحثِّ والزجر، والاعتبار والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس .

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر [(٢)].

وقد كان عطاء الخراساني يتعرَّض لأمثلة القرآن بتعليقات تناسبها .

ومن أمثلة ذلك ما يلي :

المثال الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف : ٣٢] .

قال عطاء الخراساني : كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل : كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فعمد أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار ... وذكر القصة مطوَّلة في ذلك [(٣)].

المثال الثاني : في قول الله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات : ٤٩] .

قال عطاء الخراساني : هو السِّحاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيضة [(٤)] .

المثال الثالث : في قوله تعالى : ﴿ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٦].

قال عطاء الخراساني : جعلوا سلفاً في الناس ، ومثلاً لمن بعدهم من القرون [(٥)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٧] .

قال عطاء الخراساني : كلون دُهْن الوَرْد في الصفرة [(٦)].

---

(١) مباحث في علوم القرآن (٢٨٣) .

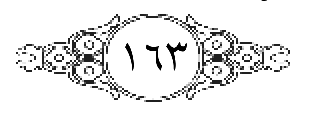
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٣٤) .

(٣) انظر الموضع رقم : (٥) ودراسته ص(١٨٣) .

(٤) انظر الموضع رقم : (٩٧) ودراسته ص(٤٧٦) .

(٥) انظر الموضع رقم : (١٢١) ودراسته ص(٥٤٩) .

(٦) انظر الموضع رقم : (١٦٨) ودراسته ص(٧٠٨) .



❖ **المبحث التاسع : تعدد أقواله في الآية .**

تتعدد أقوال عطاء الخراساني في بعض الآيات ، وقد تكون هذه الأقوال من باب أنه يحتملها جميعاً ، أو أنها روايات صحَّ بعضها عنه ، وبعضها لم يصح ، وربما كانت يبيِّن بعضها بعضاً .

والشواهد على ذلك كثيرة من أقواله ، ومن أبرزها ما يلي :

المثال الأول : في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج : ٢٨] . **قال عطاء الخراساني** : الأيام المعلومات أيام العشر .

وقال أيضاً : هي أيام التشريق [(١)].

المثال الثاني : في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ [سبأ : ١٣] .

قال عطاء الخراساني : الجفان العظام .

وقال : لما رأيت الصِّحاف الصغار قد ظهرت ، عرفت أنَّ البركة رُفعت [(٢)].

المثال الثالث : في قول الله تعالى : ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن : ٤٨] .

قال عطاء الخراساني : ألوان .

وقال : الأفنان أغصان الشجر يمسُّ بعضها بعضاً [(٣)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ [البروج : ٣] .

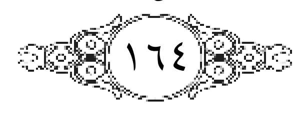
قال عطاء الخراساني : الشاهد يوم الجمعة ، ويقال : إنها الملائكة ، وأما المشهود فيقال : الإنسان شهد سمعه وبصره وجسده .

وقال : الشاهد هو الملَك ، والمشهود عليه هو الإنسان الذي تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، قال : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور : ٢٤] ، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت : ٢١] .

وقال : الشاهد : الجوارح ، والمشهود عليه : الإنسان [(٤)].

---

(١) انظر الموضعين رقم : (١٨-١٩) ودراستهما ص(٢٢٨) .
(٢) انظر الموضعين رقم : (٨٤-٨٥) ودراستهما ص(٤٤٤) .
(٣) انظر الموضعين رقم : (١٧٠-١٧١) ودراستهما ص(٧١٧) .
(٤) انظر الموضعين رقم : (٢٣٦-٢٣٧) ودراستهما ص(٩١٦) .



المثال الخامس : في قول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] .

قال عطاء الخراساني : ابدأ فصلِّ ثمَّ انحر .

وقال : يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها .

وقـــال : ﴿وَٱنْحَرْ﴾ أي : ارفـــع صـــلبك بعـــد الركـــوع واعتـــدل ، وأبـــرز نحرك، يعني به الاعتدال [(١)].

والأمثلة السابقة تـدلُّ علـى تنـوع الأقـوال الـواردة عنـه ، وهنـاك أقـوال أخـرى قد تروى عنه بألفاظ مختلفة ، وهي كثيرة ، وأكتفي في ذلك بذكر مثالين فقط.

المثال الأول : في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص : ١٦] .

قال عطاء الخراساني : أي قضاءنا .

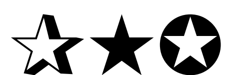
وفي لفظ : أي قضاءنا ، أي حسابنا [(٢)].

المثال الثاني : في قول الله تعالى : ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص : ٤٥] .

قال عطاء الخراساني : القوة في العبادة ، والبصر في الدين .

وفي لفظ : القوة في العبادة ، والبصر في أمر الله عزَّ وجلّ .

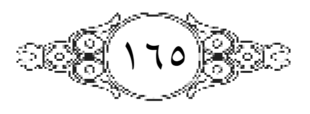
وفي لفظ : أولوا القوة في العبادة ، والبصر والعلم بأمر الله [(٣)].



(١) انظر الموضعين رقم : (٢٥٧-٢٥٨) ودراستهما ص(٩٨٠) .

(٢) انظر الموضع رقم : (١٠٣) ودراسته ص(٤٩٢) .

(٣) انظر الموضع رقم : (١٠٧) ودراسته ص(٥٠٧) .



❖ **المبحث العاشر : انفراده ببعض الأقوال .**

يدلُّ انفراد المفسِّر المجتهد ببعض الأقوال غالباً على اجتهاده ، واستقلالية تفكيره ، بما يحفظ له شخصيته العلمية ، ويميز منهجه التفسيري المنفرد .

وقد يكون هذا الإنفراد صواباً ، فيكون المفسِّر مأجوراً باجتهاده وصوابه .

وقد يكون اجتهاداً مخالفاً أو شاذاً فيُحفظ له أجر الاجتهاد .

ومن أمثلة انفراد عطاء الخراساني ببعض الأقوال ما يلي :

المثال الأول : في قول الله عزَّ وجل : ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] .

قال عطاء الخراساني : لمَّا قدِم أصحاب النبي ﷺ بيت المَقدِس كان قوابل نسائهم اليهوديات والنصرانيات [(١)].

المثال الثاني : في قول الله تعالى : ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء : ٦٣].

قال عطاء الخراساني : الفسح العظيم بين الجبلين .

وفي لفظ : هو الفجُّ بين جبلين [(٢)].

المثال الثالث : في قول الله تعالى : ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر : ٧٢] .

قال عطاء الخراساني : إنَّ لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحراً وأنتنها ريحاً للزناة ؛ الذين ركبوا بعد العلم [(٣)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن : ٢٠].

قال عطاء الخراساني : مدة ما بين الدنيا والآخرة [(٤)] .

فنجده في الأمثلة السابقة انفرد بهذه الأقوال ، ولم أجد من قال بها غيره، وهذا يدلُّ على اجتهاده واستقلالية منهجه رحمه الله .

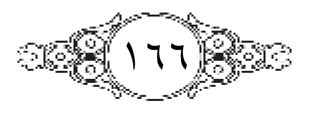


(١) انظر الموضع رقم : (٣٤) ودراسته ص(٢٨٠) .

(٢) انظر الموضع رقم : (٥٠) ودراسته ص(٣٣٣) .

(٣) انظر الموضع رقم : (١١٠) ودراسته ص(٥١٩) .

(٤) انظر الموضع رقم : (١٦٥) ودراسته ص(٦٩٩) .



❖ **المبحث الحادي عشر : التفسير وفق القواعد التفسيرية .**

قواعد التفسير : هي الأحكام الكلية التي يُتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها (١).

والقواعد التفسيرية استعملها السلف في تفسيرهم دون أن تصنَّف كفنٍّ مستقل ، وإنما بنوا استنباطهم عليها في تفسيرهم للقرآن الكريم .

وإنَّ بواكر علم قواعد التفسير قد ظهرت في العهد النبوي ، على يد أفضل الخلق نبينا محمد ﷺ ، ثمَّ على يد أئمة التفسير من بعده من الصحابة والتابعين ، فكانت نشأة قواعد التفسير مواكِبة لنشأة علم التفسير ، إلا أنها كانت متفرِّقة ومنثورة ضمن كتب التفسير ، ثمَّ ازدادت بازدياد كتب التفسير (٢).

وتفسير القرآن بناءً على قواعد ؛ أمر ينمُّ عن سعة علم المفسِّر ، وقوة إدراكه لمراد الله من آياته .

وهذا ما يلحظ في عطاء الخراساني ؒ ، وهو في الغالب لا يصرح باستعمالها بل يكتفي بالتطبيق المباشر لها مثله مثل معاصريه من المفسرين ، وقد يكون سبْقُهم لعصر التدوين سبباً في ذلك .

وتطبيق عطاء الخراساني لقواعد التفسير ليس من استنباطها وأخذها فنًّا مستقلاً ، وإنما من تطبيقه المباشر لها ، كما كان منهج من قبله .

والتصنيف في علم القواعد التفسيرية علم متأخر عن زمن عطاء ، بل إنَّ من ألَّف في هذا العلم ربما رجع إلى تفاسير السَّلف والرعيل الأول ، والعلماء المتقدِّمين أمثال عطاء الخراساني وغيره ليرى ويفهم ويستنبط من تفاسيرهم قواعد في التفسير .

وسأورد هنا نماذج وأمثلة لاستعمال عطاء الخراساني بعض هذه القواعد ، مكتفياً بمثال واحد لكل قاعدة ، ومن تأمل وجد الكثير من الأمثلة .

المثال الأول : في قول الله تعالى : ﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف : ١٨].

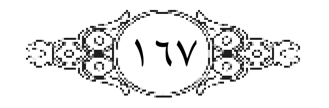
قال عطاء الخراساني : بالفناء .

والوصيد في اللغة : فناء الدار والبيت .

فهنا أعمل القاعدة التفسيرية : أنه في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى

(١) انظر : قواعد التفسير(١/ ٣٠) .

(٢) انظر : المصدر السابق (١/ ٤٢) .



المعنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح دون الشاذ والقليل [(١)].

المثال الثاني : في قوله عز وجل : ﴿أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ [الكهف : ٦٠] .

قال عطاء الخراساني : الحقب : الزمان .

ففسَّر الحقب بالزمان دون تحديده بزمان معيَّن ، وهو هنا عمل بالقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه [(٢)].

المثال الثالث : في قوله تعالى : ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ [الحج : ٢٠] .

قال عطاء الخراساني : يذاب له ما في بطونهم كما يذاب الشَّحم .

ولعله أخذه من حديث أبي هريرة ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ؛ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَهُوَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » .

فهنا نجد أنَّه طبَّق القاعدة التي تقول : إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال ؛ فهو مرجِّح له على ما خالفه [(٣)].

المثال الرابع : في قول الله تعالى : ﴿لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ [الحج : ٢٩] .

قال عطاء الخراساني : التَّفث : تفث الحج ؛ حلق الرأس ، ورمي الجمار ، ونحو ذلك .

فنلحظ أنَّ قوله عام ، جمع كثيراً من عبارات المفسِّرين في معنى التفث ، وهو هنا عمل بالقاعدة التفسيرية : أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [(٤)].

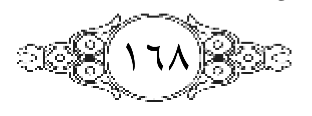
المثال الخامس : في قوله عزَّ وجل : ﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ [المؤمنون : ٢٠] .

قال عطاء الخراساني : الجبل الذي نودي فيه موسى .

والجبل علَم على المكان الذي نودي فيه موسى ﷺ ، وقد عرف بذلك .

---

(١) انظر الموضع رقم : (٣) ودراسته ص(١٧٧) .
(٢) انظر الموضع رقم : (٦) ودراسته ص(١٨٨) .
(٣) انظر الموضع رقم : (١٦) ودراسته ص(٢٢٣) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٢٠) ودراسته ص(٢٣٢) .



ونجد أنَّ القاعدة في مثل ذلك : أنه إذا قامت الصفة بمحل ، عاد حكمها إليه لا إلى غيره ، واشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم ، ولا يشتق الاسم لمحل لم يقم به ذلك الوصف [(١)].

المثال السادس : في قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٨] .

قال عطاء الخراساني : في الصلاة يراك وحدك ، ويراك في الجمع .

وهنا نلحظ أنه وافق الجمهور في ذلك ، والقاعدة التي يمكن أن يبنى عليها مثل ذلك : أنَّ اللفظ قد يحتمل معانٍ عدَّة ، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن؛ فيقدَّم [(٢)].

المثال السابع : في قول الله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ [الحاقة : ١١] .

قال عطاء الخراساني : طغا الماء : كثرة الماء وارتفاعه .

ومن تأمَّل أقوال المفسِّرين في الآية ، وجد أنَّه أعمل القاعدة التي تقول : تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب [(٣)].

المثال الثامن : في قوله : ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ [المزمل : ٣-٤] .

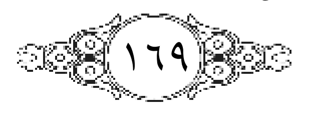
قال عطاء الخراساني : في الآية تخيير بين قيام النِّصف بتمامه ، أو قيام أنقص منه أو أزيَد .

وقد عمل هنا بالقاعدة التفسيرية : أنَّ التخيير لا يقتضي التسوية [(٤)] .

وهكذا نرى كيف كان عطاء الخراساني ؒ مفسِّراً قديراً ، وعالماً متنوع المعارف والعلوم .

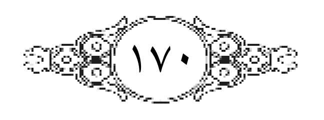


(١) انظر الموضع رقم : (٢٩) ودراسته ص(٢٥٦) .
(٢) انظر الموضع رقم : (٥٥) ودراسته ص(٣٤٨) .
(٣) انظر الموضع رقم : (٢٠٧) ودراسته ص(٨٢٧) .
(٤) انظر الموضع رقم : (٢١٠) ودراسته ص(٨٣٨) .



الباب الثالث

جمع أقوال عطاء الخراساني في التفسير ومقارنتها بأقوال المفسِّرين من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس



سورة الكهف

الموضع الأول :

* في قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ [الكهف : ٦] [١].

١- **قال عطاء الخراساني** : يقال : لعلَّك محرج نفسك[٢] وقاتلها [٣].

الدراسة :

* في هذه الآية يخاطب الله جلَّ وعلا نبيه ﷺ ألاَّ يوقع نفسه في الحرج والمشقة والإهلاك - من بعد تولِّي قومه عن الإيمان ، وإعراضهم عنه - ، أسفاً وحسرة عليهم ، فيقول له : إنك قد اشتدَّ وجدك عليهم ، وبلغت حالاً

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ .

(٢) **محرج نفسك** : أي موقعها في الحرج والمشقة ، وهذا يتناسب مع : (باخع نفسك) أي مجهدها ومكلِّفها فوق طاقتها .

(٣) أخرجه محمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢٣) ص١١١ بسنده قال : حدثنا يوسف بن عدي أبو يعقوب أخو زكريا بن عدي بمصر قال : ثنا رشدين بن سعد ، عن يونس بن يزيد ، عن عطاء الخراساني ، وذكر الأثر ..

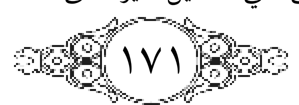
يوسف بن عدي : هو أبو يعقوب أخو زكريا بن عدي بن الصلت ، وهو معروف بالرواية عن رشدين بن سعد، ونص المزي أيضاً على أنه أخو زكريا بن عدي ، وترجم له ابن حجر فقال : يوسف بن عدي بن رزيق التميمي مولاه الكوفي نزيل مصر ثقة ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وقيل غير ذلك روى له البخاري في صحيحه والنسائي ، انظر : تهذيب الكمال (٤٣٨/٣٢) ، وتقريب التهذيب (٦١١) . انظر : الجزء فيه تفسير لعطاء الخراساني برواية محمد الرملي تحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين ص١٩.

رِشْدِيْن بن سعد : ابن مَفلح المَهري ، أبو الحجاج المصري ، ضعفه جمع من الأئمة النقاد وهو معروف بالرواية عن يونس بن يزيد ، ومعروف برواية يوسف ابن عدي كما تقدم ، انظر : المجروحين (٣٠٣/١) ، التقريب (٢٠٩) ، ميزان الاعتدال (٧٥/٣) . انظر : الجزء فيه تفسير عطاء الخراساني برواية محمد الرملي تحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين ص٢٠ .

يونس بن يزيد : بن أبي النجاد الأَيْلي ، معروف بالرواية عن عطاء الخراساني ، وبرواية رشدين بن سعد عنه كما تقدم ، وهو ثقة إلا أنَّ في روايته عن الزهري وهماً قليلاً وفي غير الزهري خطأ مات سنة تسع وخمسين ومائة على الصحيح ، وروى له جماعة . انظر : الكاشف (٤٠٤/٢) ، التقريب (٦١٤) ، والجزء فيه تفسير لعطاء الخراساني برواية محمد الرملي تحقيق الدكتور/حكمت بشير ياسين ، ص٢٠.

الحكم على هذا الإسناد :

في إسناده رِشدين ضعيف ؛ فيكون الإسناد ضعيفاً ، ولكثير من الروايات شواهد ومتابعات تتقوى بها ، كما سيأتي في دراسة الأقوال وتخريجها إن شاء الله ، وانظر تحقيق جزء محمد الرملي ص٢٠ للدكتور حكمت بشير ياسين ، وتجدر الإشارة هنا إلى أنني سأحيل كثيراً على هذا الإسناد في دراسة الأقوال القادمة بإذن الله.



من الأسى والحسرة صرت فيها أشبه بحال من يحدِّث نفسه أن يبخعها ويزهقها أسى وحسرة عليهم ، وما يستحق هؤلاء أن تحزن عليهم وتأسف ، وما كان من حقِّك أن تفعل ذلك ، إن عليك إلا البلاغ ، وليس عليك الهداية .

فدعهم فقد جعلنا ما على الأرض من زخرف ومتاع ، وأموال وأولاد ؛ جعلناه اختباراً وامتحاناً لأهلها ، ليتبين من يحسن منهم العمل في الدنيا ، ويستحق نعمتها ، كما يستحق نعيم الآخرة : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف : ٧] [(١)].

الأقوال في الآية [(٢)] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قال به عطاء الخراساني ، وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، وسعيد بن جبير [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وقتادة [(٦)]، والسدي [(٧)]، واختاره الطبري في تفسيره [(٨)]، وهو قول جمهور المفسرين [(٩)].

القول الثاني : أنّ الباخع هو المتحسِّر الأسِف ، قاله ابن بحر [(١٠)(١١)].

ومنه تفسير بعضهم : مُهْلك نفسك غماً وحزناً على فراقهم ، لما كان

---

(١) انظر : تفسير المراغي (٥/٢٥٥) ، في ظلال القرآن (٤/٢٢٦٠) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٥/٢٨٤) .

(٣) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٦٠) لابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه : ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٣٤٤) ، برقم (١٢٦٩٨) .

(٥) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٦٠) لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٢٤) ، والطبري في تفسيره (١٥/١٤٩) .

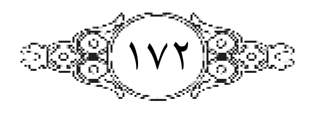
(٧) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٦٠) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٨) جامع البيان (١٥/١٤٩) .

(٩) انظر : جامع البيان (١٥/١٤٩) ، بحر العلوم (٢/٣٥٢) ، الكشاف (٦١٢) ، ابن كثير (٣/٣٦٥) ، الدر المنثور (٥/٣٦٠) ، روح المعاني (١٥/٢٩٥) .

(١٠) **ابن بحر** : القطان الحافظ الإمام القدوة ، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة ابن بحر القزويني . محدِّث قزوين وعالمها ، ولد سنة أربع وخمسين ومائتين ، ورحل وسمع ابن ماجه ، وأبا حاتم ، وكان شيخاً عالماً بجميع العلوم التفسير والفقه والنحو واللغة ، زاهداً . قال ابن فارس : سمعته يقول : كنت حين رحلت أحفظ مائة ألف حديث ، مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . انظر : طبقات الحفَّاظ (٣/٨٥٦) ، الوافي بالوفيات (٢٠/٥) .

(١١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٣/٢٨٤) .



يرجوه منهم ، أو ناهكُها وجاهدُها حتى تهلكَها [١].

الجمع أو الترجيح :

القولان متقاربان ، وبالرجوع إلى معنى البخْع في اللغة نجد أنه : الإجهاد في قتْل الشيء وغيره ، ومنه بَخَعْتُ الذبيحة ؛ إذا قطعت عظم رقبتها ، وبَخَعْتُ له نفسي ونصحي : جَهَدْت ، وأرض مَبْخُوعَة : إذا بلغ مجهودها بالزَّرع ، والبخْع : قتل النَّفس غمًّا ، أو القهر وما داناه من إذلال [٢].

وعليه فلا تعارض بين القولين .

وقد نقل القرطبي في تفسيره عن نصر بن علي[٣] قال : سألت الأصمعي[٤] عن قول النبي ﷺ في أهل اليمن : « هُمْ أَرَقُّ قُلُوْبَاً ، وَأَبْخَعُ طَاْعَةً»[٥] ما معنى أبخع ؟ فقال : أنصح ، فقلت له : إنَّ أهل التفسير مجاهداً وغيره يقولون في قول الله عزَّ وجل : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ ﴾ معناه : قاتل نفسك ، فقال : هو من ذاك بعينه كأنه من شدة النصح لهم قاتل نفسه [٦].

وعليه فيقال جمعاً بين القولين أنَّ المعنى : لا تحسِّر نفسك وتأسف عليهم، حتى لا تخرج نفسك وتقتلها .

---

(١) انظر : تفسير السمعاني (٣٨/٤) ، المحرر الوجيز (١١٧٥) ، التفسير الكبير (٧٢/٢١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٨٧٨/٢) ، إرشاد العقل السليم (١٦٨/٤) .

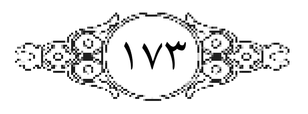
(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (١١٢/٢) ، معجم مقاييس اللغة (١١٦) ، المفردات في غريب القرآن (٤٨) بتصرف .

(٣) **نصر بن علي** = ابن نصر بن علي بن أصبهان الأزدي الجهضمي ، أبو عمرو البصري الصغير ، حفيد نصر بن علي بن أصبهان الأزدي الجهضمي ، وهو ثقة ، طلبه المستعين ليوليه القضاء فقال لأمير البصرة : ارجع فاستخير الله تعالى ؛ فرجع إلى بيته فصلى ركعتين ثم قال : اللهم أن كان لي عندك خير فاقبضني إليك فنام فنبهوه فإذا هو ميت ، مات في ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين . انظر : تهذيب التهذيب (٣٨٤/١٠) .

(٤) **الأصمعي** = عبد الملك بن كريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع ، أبو سعيد الباهلي الأصمعي البصري ، صدوق سني ، من التاسعة ، مات سنة ست عشرة ، وقيل غير ذلك ، وقد قارب التسعين . انظر : تقريب التهذيب (٣٦٤/١) .

(٥) **حسن** . لم أجده بهذا اللفظ ، ووجدته في مسند الإمام أحمد (١٩٦٥٣) بلفظ : « أَهْلُ الْيَمَنِ أَرَقُّ قُلُوبًا وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً وَأَنْجَعُ طَاعَةً » من حديث عقبة بن عامر . وهو حديث حسن ، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨/١٠): إسناده حسن فيه ضعفاء وثقوا . وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٧٥) : إسناده حسن ، رجاله ثقات .

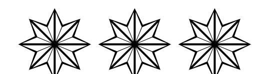
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤٣/٢) .



والقاعـــدة التفـــسيرية : أنَّ القـــرآن عـــربي ، فيـــسلك بـــه في الاســـتنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [1].

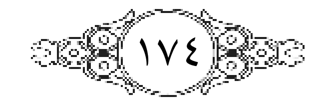
والقاعـدة الأخـرى : أنـه إذا احتمـل اللفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حمل عليها [2].

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .

(٢) المصدر السابق (٢/٨٠٧) .



الموضع الثاني :

* في قوله : ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف : ١٦] (١) .

٢- **قال عطاء الخراساني** : كان قوم الفتية يعبدون الله ويعبدون معه آلهة شتَّى ، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله (٢) .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾.

(٢) أخرجه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٠/٥) بسنده قال : حدثنا عبدالله بن محمد ، ثنا أحمد بن عبدالجبار، ثنا نعيم بن الهيصم ، ثنا نجم العطار ، عن عطاء بن ميسرة الخراساني .. وذكر الأثر عنه .

دراسة الإسناد :

عبد الله بن محمد = أبو الشيخ ، حافظ أصبهان ومسند زمانه ؛ الإمام أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري صاحب المصنفات السائرة ، ويعرف بأبي الشيخ ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين، وسمع في سنة أربع وثمانين وهلم جرا ، وكتب العالي والنازل ، ولقي الكبار ، سمع من جده لأمه الزاهد محمود بن الفرج ، قال بن مردويه ثقة مأمون صنف التفسير والكتب الكثير في الأحكام . قال عنه أبو نعيم : كان أحد الأعلام ، صنف الأحكام والتفسير ، وكان يفيد عن الشيوخ ويصنف لهم ستين سنة ، وكان ثقة ، توفي في سلخ المحرم سنة تسع وستين وثلاث مائة . انظر : تذكرة الحفاظ (٩٤٥/٣) .

أحمد بن عبدالجبار = هو أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، مشهور وثقه الدارقطني وقال بن المنادى : كتبت عنه على الخماص . مات في رجب سنة ست وثلاث مائة . انظر : لسان الميزان (٩٨٣/٣) .

نعيم بن الهيصم هو = نعيم بن الهيصم الهروي البوشنجي ، أبو محمد ، سكن بغداد ، مستقيم الحديث ، وقد قال فيه يحيى بن معين صدوق ، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين . انظر : الثقات (٢١٩/٩) ، تاريخ الإسلام (١٧١/١٦) ، لسان الميزان (١٧١/٦) .

نجم العطار هو = نجم بن فرقد أبو عامر العطار البصري سمع عطاء الخراساني ، مرسل ، روى عنه : الصلت بن محمد ، وقتيبة بن سعيد أبو رجاء ، قال عنه أبو زرعة : بصرى لا بأس به . انظر : التاريخ الكبير (١٢٥/٨)، الجرح والتعديل (٥٠٠/٨) ، الثقات (٥٤٦/٧) . وقد سبقت ترجمته في الباب الأول بالتفصيل.

وهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني رجاله ثقات .

وقد أخرج هذا القول عنه أيضاً : الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١٥٣/١) قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبدالواحد بن محمد بن جعفر ، أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن علي الناقد ، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي ، قال حدثنا نعيم بن الهيصم ، قال أخبرنا محمد العطار ، عن عطاء بن ميسرة الخراساني ، وذكر الأثر ... **دراسة الإسناد :**

أبو الحسن محمد بن عبدالواحد بن محمد بن جعفر = بن احمد بن جعفر بن الحسن بن وهب ، المعروف بابن زوج الحرة ، وكان صدوقاً ، ولد في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومات في ليلة الأحد للنصف من جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة . انظر : تاريخ بغداد (٣٦١/٢) .

أبو حفص عمر بن محمد بن علي الناقد = أبو حفص بن الزيات الحافظ الثقة المسند عمر بن محمد بن علي بن يحيى البغدادي الناقد ، قال عنه البرقاني : كان والله ثقة قديم السماع مصنفاً ، وقال ابن أبي الفوارس : كان ثقة متقنا أميناً وقد جمع أبواباً وشيوخاً ، مات في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاث مائة مولده

الدراسة :

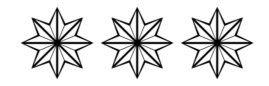
* يبيِّن عطاء الخراساني أنَّ المقصود في الآية بيان حال الفتية الذين أخبر الله عنهم من كونهم اعتزلوا عبادة غير الله ، ولم يعتزلوا عبادة الله ، وهذا هو الظاهر من معنى الآية ، وهو الذي عليه جمهور المفسِّرين (١).

والمعنى : أي لأجل اعتزالكم قومكم الكفّار وما يعبدونه من دون الله ، فاتخذوا الكهف مأوى ومكان اعتصام ، ينشر لكم ربكم من رحمته (٢).

قال قتادة : (هي في مصحف عبد الله : ﴿ وما يَعْبدونَ مِنْ دوْنِ الَّله ﴾ وهذا تفسيرها) (٣).

قال ابن عاشور : (الاعتزال : التباعد والانفراد عن مخالطة الشيء ، فمعنى اعتزال القوم ترك مخالطتهم ، ومعنى اعتزال ما يعبدون : التباعد عن عبادة الأصنام) (٤).

والله أعلم ،،



سنة ست وثمانين ومائتين ، وكان ثقة صاحب حديث يحفظ . انظر : تذكرة الحفاظ (٣/٩٨٣) .

أحمد بن الحسن بن عبدالجبار الصوفي = سبقت دراسته .

نعيم بن الهيصم هو = سبقت دراسته .

محمد العطار هو = لم أعرف من هو ولم أجده من طلاب عطاء الخراساني ، ولعلَّه نجم العطار ، الذي أخرج عنه أبو نعيم في الحلية – كما سبق – .

والأثر بهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني .

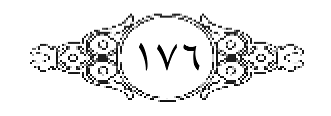
وذكره أيضاً : ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٣٥١) برقم : (١٢٧٢٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٧١) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦/١٣٣) ، والألوسي في روح المعاني (١٥/٣١٨) عن أبي نعيم ، والخطيب البغدادي .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٢/١١٤) ، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٥١) ، زاد المسير (٨٤٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٨٨٧) ، البحر المحيط (٦/١٣٣) ، الدر المنثور (٥/٣٧١) ، روح المعاني (١٥/٣١٨) ، فتح القدير (٣/٣٣٩) .

(٢) انظر : أضواء البيان (٤/٢٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٨٢) ، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٥١) برقم : (١٢٧٣٠) .

(٤) التحرير والتنوير (١٥/٢٧٧) .



الموضع الثالث :

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف : ١٨] [(١)].

٣- **قال عطاء الخراساني** : بالفِناء [(٢)] .

الدراسة :

* الوصيد في اللغة : من وَصَد ، والواو والصاد والدال ، أصل يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء ، وأوصدت الباب أغلقته ، والوصيد : المتقارب الأصول، وهو فناء الدار والبيت [(٣)].

والوصيد والأصيد لغتان ، فأهل الحجاز يقولون : الوصيد ، وأهل نجد يقولون : الأصيد ، وهو : الحظيرة والفناء [(٤)] ، وهو أيضاً : موضع الباب ومحل العبور من الكهف [(٥)].

والفِناء : هو سعة أمام البيوت ، وقيل : ما امتد من جوانبها [(٦)].

الأقوال في الآية [(٧)] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قال به عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية علي بن أبي طلحة [(٨)]، وعطية [(٩)(١٠)]، وسعيد بن

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ ﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٢) ص٩٥ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٤٤/٣) ، معجم المقاييس في اللغة (١٠٩٤) ، المفردات في غريب القرآن (٥٤٠) ، لسان العرب (٢٢٢/١٥) .

(٤) انظر : معاني القرآن (١١٥/٢) ، زاد المسير (٨٤٣) ، التفسير الكبير (٩٣/٢١) ، لسان العرب (٢٢٢/١٥).

(٥) روح المعاني (٣٢٧/١٥) .

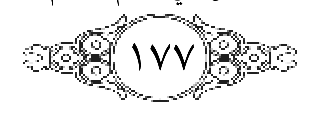
(٦) عمدة القاري (٣٧/١٩) .

(٧) انظر : النكت والعيون (٢٩٢/٣) ، الكشف والبيان (١٦٠/٦) ، البحر المحيط (١٣٧/٦) ، ابن كثير (٨٥/٣) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩٢/١٥) ، وابن أبي حاتم (٢٣٥٣/٧) ، برقم : (١٢٧٤٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٥) عزوه لابن المنذر .

(٩) **عطية = القُرَظي** ، صحابي صغير له حديث ، يقال سكن الكوفة ، انظر : تقريب التهذيب (٣٩٣) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٥) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .



جبير[(١)]، ومجاهد[(٢)]، وقتادة[(٣)]، والضحاك[(٤)]، والفرَّاء[(٥)].

القول الثاني : أنه الباب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[(٦)]، والسدي[(٧)]، وابن جريج[(٨)].

القول الثالث : أنه العتبة ، قال ابن قتيبة[(٩)]: (وهذا أعجب إليَّ ، لأنهم يقولون أوصد بابك ، أي أغلقه ، ومنه قوله : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[الهمزة : ٨] ، أي مطبقة مغلقة ، وأصله أن تلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته)[(١٠)].

القول الرابع : أنَّ الوصيد والصعيد التراب . وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١١)]، وسعيد بن جبير[(١٢)]، وضعَّفه الألوسي[(١٣)].

القول الخامس : البناء ، قاله ابن قتيبة[(١٤)].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - قول من قال : الباب أو فناء الباب حيث يغلق

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٩٢) .

(٢) تفسير مجاهد (١٤٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٩٢) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٢٨) ، والطبري (١٥/١٩٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٩٣) .

(٥) معاني القرآن للفراء (٢/١١٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٩٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٧٤) عزوه لابن المنذر .

(٧) **السدي** : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال ، أبو محمد الكوفي ، صدوق يهم ، ورمي بالتشيع من الرابعة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة . انظر : تقريب التهذيب (١٠٨) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٧٤) لابن المنذر .

(٩) **ابن قتيبة** = الحافظ الثقة أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني ، محدث فلسطين ، سمع هشام بن عمار وابن رمح ، ومنه ابن عدي وأبو علي النيسابوري مات سنة عشر وثلاثمائة . انظر : طبقات الحفاظ (١/٣٢٣) .

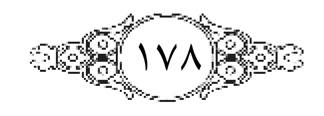
(١٠) لم أقف عليه في تأويل مشكل القرآن ، وغريب الحديث ، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٨٤٣) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٩٣) .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/١٩٣) ، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٥٣) برقم : (١٢٧٤٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٧٤) عزوه لابن المنذر .

(١٣) انظر : روح المعاني (١٥/٣٢٧) .

(١٤) لم أقف عليه في تأويل مشكل القرآن ، وكتاب غريب الحديث ، وذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٦/١٦٠) .



الباب ، وهو الذي رجَّحه الطبري [١]، ووافقه ابن كثير [٢] ، والشنقيطي [٣].

والـذي يـشهد لـه القـرآن أنَّ الوصـيد هـو البـاب . ويقـال لـه « أصـيد » أيـضاً .

لأنَّ الله يقـول : ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهمزة : ٨] ، أي مغلقة مطبقة ، وذلك بإغلاق كل وصيد أو أصيد ، وهو الباب من أبوابها .

ونظير الآية من كلام العرب ، قول ابن قيس الرقيات [٤]:

إنَّ فِـيْ الْقَـصْرِ لَـوْ دَخَلْنَـا غَـزَالاً ... مُـصْفَقَاً مُؤْصَـداً عَلَيْـهِ الحِجَـابُ

فـالمراد بالإيـصاد في جميـع ذلـك : الإطبـاق والإغـلاق . لأنَّ العـادة فيـه أن يكون بالوصيد وهو الباب . ويقال فيه أصيد .

ومن إطلاق العرب الوصيد على الباب ، قول الشاعر [٥]:

بِـأَرْضٍ فَـضَاءٍ لاَ يُـسَدُّ وَصِـيْدُهَا ... عَلَـيَّ وَمَعْرُوْفِـيْ بِهَـا غَيْـرُ مُنْكَـرِ

أي لا يسد بابها علي ، وليست فيها أبواب حتى تسد علي .

فإن قيل : كيـف يكـون الوصـيد هـو البـاب في الآيـة ، والكهـف غـار في جبـل لا باب له ؟ .

فـالجواب : أنَّ البـاب يطلـق علـى المـدخل الـذي يـدخل للـشيء منـه . فـلا مانع مـن تـسمية المـدخل إلى الكهـف بابـاً . ومـن قـال : الوصـيد الفنـاء لا يخـالف ما ذكرنا . لأن فنـاء الكهـف هـو بابـه ، والمقـصود مـدخل الكهـف ، شـبهه بالبـاب الذي هو الوصيد لأنه يوصد ويغلق [٦][٧].

---

(١) جامع البيان (١٥/١٩٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٨٥) .

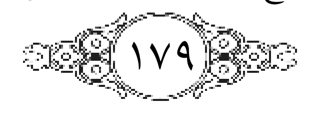
(٣) أضواء البيان (٤/٣٣-٣٤) .

(٤) **البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات** . انظر ديوانه ص(٨٤) ، وهو من شواهد : الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٧٥) ، فتح القدير (٥/٦٢٤) ، أضواء البيان (٤/٣٣) .

(٥) **البيت لعبيد بن وهب العبسي** ، ولم أقف على ديوان له ، ومنسوب في جمهرة أشعار العرب ص١٤ لزهير ، ولم أقف عليه في ديوانه ، وهو من شواهد : الكشف والبيان (٦/١٦٠) ، الكشاف (٦١٤) ، زاد المسير (٨٤٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٨٨٩) ، البحر المحيط (٦/١١٨) ، روح المعاني (١٥/٣٢٧) ، أضواء البيان (٤/٣٣) .

(٦) انظر : التحرير والتنوير (١٥/٢٨١) .

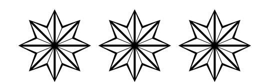
(٧) انظر صورة مدخل الكهف الذي يعتقد أنه هو الذي كان فيه الفتية في منطقة الرقيم بالأردن ، وقد نقلتها في ملحق الصور آخر هذا البحث ، النموذج الأول ، صورة (١) ص(٩٩٥) .



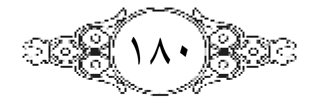
ومما سبق يتَّضح لنا أنَّ قول عطاء الخراساني صحيح في المسألة .

والقاعـدة التفـسيرية : أنـه في تفـسير القـرآن بمقتـضى اللغـة يراعـى المعـنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح دون الشاذ والقليل [1].

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (١/٢١٣) .



الموضع الرابع :

* وفي قوله عزَّ وجل : ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف : ٢٢] [(١)].

٤- **قال عطاء الخراساني** : لا يعلم عدَّة أصحاب الكهف إلا قليل من الناس[(٢)] .

الدراسة :

* يخبر الله تعالى عن خوض أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف ، هل هم ثلاثة أم أربعة أم خمسة وزائدهم كلبهم ؟ ، ثم يقطع سبحانه الأمر بنسبة العلم في ذلك إليه ، وأنه لا يعلم عددهم إلا قليل من الناس ، وعليه فلا فائدة من كثرة الخوض في عدد أصحاب الكهف ،لأنَّ المهم ليس هو معرفة العدد ، بقدر ما هو الاعتبار من القصة ، فهو النافع للعقول ، وسببٌ للرقي في الدنيا والآخرة .

الأقوال في الآية :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، أنه لا يعلم عدَّتهم إلاَّ قليل من الناس ، وهو قول قتادة[(٣)].

القول الثاني : القليل من العلماء[(٤)]، وكان ابن عباس[(٥)]، وابن مسعود[(٦)] رضي الله عنهما يقول أحدهم : أنا من القليل ، وكانوا سبعة .

القول الثالث : أنّ القليلَ هم أهل الكتاب ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما من

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

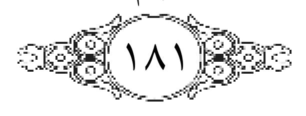
(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٣) ص٩٥ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٢١٩) .

(٤) ذكر هذان القولان أبو حيان في البحر المحيط (٦/١٤٤) .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٢٩) ، والطبري (١٥/٢١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٧٥) عزوه للفريابي ، وابن سعد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – ، وعزاه أيضاً : للطبراني في الأوسط بسند صحيح .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٣٥٤) برقم : (١٢٧٥٤) .



رواية عطاء الخراساني [(١)].

القول الرابع : أنَّ القليل من الملائكة ، وهو قول ضعيف لا يقبله أحدٌ من البشر ؛ كما قال الألوسي [(٢)].

الجمع أو الترجيح :

من تأمَّل في الآية وجد أنَّ الله جلَّ وعلا قطع الإشكال والخلاف في المسألة ، فقال : لا يعلمهم إلا قليل ، والظاهر أنَّ قليل جاءت نكرة حتى لا يبحث أحد عنهم .

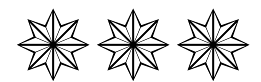
وإذا كان الله أخفى هذا الأمر الذي لا ينفع علمه ، ولا يضرُّ الجهل به ، فلا ينبغي لنا أن نخوض في هؤلاء القليل من هم ، لأنَّ ذلك من التكلّف المنهي عنه .

وفي الآية أمر للنبي ﷺ ألاَّ يخوض فيهم ، وألاَّ يسأل عنهم ، فقال في نفس الآية : ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

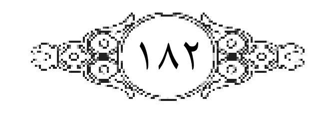
والقاعدة التفسيرية : أنَّه لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه ، وأنَّ الأصل أنَّ ما أبهم في القرآن فلا طائل في معرفته [(٣)] .

وقول عطاء الخراساني هنا صحيح ، لأنَّه لم يخض في المبهمات ، وإنما اكتفى بما قال الله فيها : ﴿قَلِيلٌ﴾ ، وأوّلها أنَّهم ناس قليل ، وهذا هو الصحيح .

والله أعلم ..



(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٢١٩) .
(٢) انظر : روح المعاني (١٥/٣٤٩) .
(٣) قواعد التفسير (٢/٧١٨-٧١٩) .



الموضع الخامس :

* في قوله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ [الكهف : ٣٢] (١) .

٥- **قال عطاء الخراساني** : كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل : كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها ؛ فعمد أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار ، فقال صاحبه : اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار فإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار ، فتصدق بألف دينار ، ثم إنَّ صاحبه بنى داراً بألف دينار ، فقال هذا : اللهم إنَّ فلاناً بنى داراً بألف دينار فإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار ، فتصدق بذلك ، ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار ، فقال هذا المؤمن : اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار ، فتصدق بألف دينار ، ثم اشترى صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار ، فقال هذا : اللهم إني أشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار ؛ فتصدق بألف دينار ، ثم أصابته حاجة شديدة فقال : لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف ، فجلس على طريقه حتى مرَّ به في حشمه ، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه فقال : فلان ؟ قال : نعم ، فقال : ما شأنك ؟ قال : أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني بخير ، فقال : ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره ؟ فقصَّ عليه قصته ، فقال : وإنك لمن المصدقين بهذا ؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً ، فطرده فقضي لهما أن توفيا ، فنزل فيهما : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) ﴾ [الصافات : ٥٠-٥١] ، وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ (٢) .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) ﴾ .

(٢) أخرجه عنه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (١٦٩/٦) بسنده في نسخة أصفهان قال : أخبرنا أبو عمرو الفراتي ، حدثنا محمد بن عمران ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حيَّان بن موسى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني .... **ودراسة الإسناد** :

أبو عمرو الفراتي = هو أحمد بن أبي أحمد ، أبو عمرو الفراتي الأستوائي الزاهد الواعظ ، حدث عن أبي الهيثم بن كليب الشاشي ومحمد بن يعقوب الأصم وجماعة . روى عنه حفيده رئيس نيسابور أبو الفضل أحمد بن محمد الفراتي وغيره ، وتوفي في المحرم سنة تسع وتسعين وثلاثمائة . انظر : تاريخ الإسلام

الدراسة :

* اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية على أقوال .

الأقوال في الآية :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس ، وابن مسعود رضي الله عنهما (1).

القول الثاني : نزلت في أخوين من أهل مكة مخزوميين ، أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم،

(٢٧/٣٦٣) .

محمد بن عمران = لم أجده ، ولعله محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن أبيه وشريك ، وروى عنه أحمد بن أبي خيثمة ، وابن أبي الدنيا ، ومطين . قال أبو حاتم : (صدوق أملى علينا كتاب الفرائض من حفظه عن أبيه عن جده عن الشعبي) ، روى له الترمذي ، انظر : الكاشف (٢/٢٠٨) .

الحسن بن سفيان = ابن عامر بن عبدالعزيز بن النعمان بن عطاء ، الإمام الحافظ الثبت أبو العباس الشيباني الخراساني النسوي صاحب المسند ، ولد سنة بضع وثمانين ومائتين وهو أسن من بلديه الإمام أبي عبد الرحمن النسائي وماتا معا في عام ، ارتحل إلى الآفاق وروى عن أحمد بن حنبل ، وهو من أقران أبي يعلى ولكن أبو يعلى أعلى إسناداً منه وأقدم . لقي إسحاق وابن معين وتفقه بأبي ثور وكان يفتي بمذهبه . قال عنه الحاكم : كان محدِّث خراسان في عصره مقدماً في التثبت والكثرة والفهم والفقه والأدب ليس له في الدنيا نظير ، مات في رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة . انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/١٥٧) ، طبقات الحفاظ (١/٣٠٨) .

حيَّان بن موسى = الصواب : حبَّان بن موسى بن سوار السلمي أبو محمد المروزي الكشميهني ، روى عن ابن المبارك وأبي حمزة السكري وداود بن عبد الرحمن العطاردي وغيرهم ، وروى عنه البخاري ومسلم ، قال إبراهيم بن الجنيد : ليس صاحب حديث ولا بأس به ، وذكره بن حبان في الثقات ، مات سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين . انظر : تهذيب التهذيب (٢/١٥٢) .

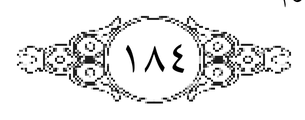
عبد الله بن المبارك = المروزي ، مولى بني حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير ، من الثامنة ، ولد سنة مائة وثمانية عشر ، ومات سنة إحدى وثمانين ومائة ، وله ثلاث وستون سنة . انظر : تقريب التهذيب (١/٣٢٠) .

معمر = معمر بن راشد الآزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، نزيل اليمن ، ثقة ثبت فاضل من كبار السابعة مات سنة أربع وخمسين ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة . انظر : تقريب التهذيب (١/٥٤١) ، وسبقت ترجمته في الباب الأول .

وهذا الإسناد عن عطاء الخراساني صحيح ، ورجاله ثقات .

وقد ذكره عن عطاء الخراساني أيضاً : البغوي في معالم التنزيل (٣/١٩١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩٠١) ، والخازن في لباب التأويل (٤/٢١١-٢١٢) .

(١) ذكره عنهما السمرقندي في بحر العلوم (٢/٣٦٤) .



زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ ، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ، وهما الأخوان المذكوران في سورة " الصافات " في قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الصافات : ٥١] ، ورث كل واحد منهما أربعة آلاف دينار ، فأنفق أحدهما ماله في سبيل الله وطلب من أخيه شيئاً فقال ما قال ...قاله الكلبي [(١)].

القول الثالث : أنها نزلت في النبي ﷺ وأهل مكة ، وهو مثل لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وصهيب وأصحابه ، شبههم الله برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن والآخر كافر [(٢)].

القول الرابع : أنه مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر به ، قاله السمرقندي [(٣)].

القول الخامس : أنَّ هذا مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة ، وليس بخبر عن حال متقدمة ، لتزهد في الدنيا وترغب في الآخرة ، وجعله زجراً وإنذاراً [(٤)]. وسياق الآية يدل على خلاف هذا القول [(٥)].

القول السادس : هما ابنا ملك من بني إسرائيل أنفق أحدهما ماله في سبيل الله وكفر الآخر واشتغل بزينة الدنيا وتنمية ماله ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٦)].

القول السابع : أن بحيرة تنيس [(٧)] كانت هاتين الجنتين ، وكانت لأخوين ،

---

(١) انظر : الكشف والبيان (٦/١٦٩) ، والكشاف (٦١٩) ، والبحر المحيط (٦/١٥٥) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩٠١) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (٦/١٦٩) ، وزاد المسير (٨٥١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩٠١) .

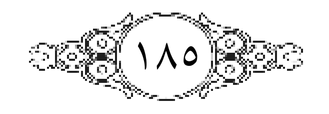
(٣) بحر العلوم (٢/٣٦٤) .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/٣٠٦) .

(٥) انظر : المحرر الوجيز (١١٩١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٩٠١) .

(٦) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦/١٥٥) ، والألوسي في روح المعاني (١٥/٣٩٤) .

(٧) **بحيرة تِنِّيس** = تنيس هي جزيرة في بحر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط والفرما في شرقيها ، طولها أربع وخمسون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلث في الأقليم الثالث ، قال الحسين بن محمد المهلبي : أما تنيس فالحال فيها كالحال في دمياط إلا أنها أجل وأوسط ، وبحيرتها التي هي عليها مقدار إقلاع يوم في عرض نصف يوم ، ويكون ماؤها أكثر السنة ملحاً لدخول ماء بحر الروم إليه عند هبوب ريح الشمال ، فإذا انصرف نيل مصر في دخول الشتاء وكثر هبوب الريح الغربية حلت البحيرة ، وحلا سيف البحر الملح مقدار بريدين . انظر : معجم البلدان (٢/٥١) .



فباع أحدهما نصيبه من الآخر فأنفق في طاعة الله حتى غيره الآخر ، وجرت بينهما المحاورة فغرقها الله تعالى في ليلة ، وإياها عنى بهذه الآية ، وهذا القول حكاه جماعة من المفسِّرين عن إبراهيم بن القاسم الكاتب[١] في كتابه في عجائب البلاد [٢].

القول الثامن : أنهما كانا حدادين كسبا مالاً [٣].

الجمع أو الترجيح :

الذي ذكره أكثر المفسرين هي الرواية التي اختارها عطاء الخراساني في تفسير الآية ، وهي قول ابن عباس وغيره ، وهم جميعاً لم ينسبوها لرسول الله ﷺ ، ولم أقف على سند صحيح لهذه الرواية وغيرها ، وربما دخلها ما دخل غيرها من أخبار بني إسرائيل التي أمرنا بعدم تصديقها ولا تكذيبها - كما مرَّ معنا -[٤].

وعلى كلِّ حال : فالرواية الواردة في هذه القصة سواء صحَّت أو لم تصحّ، فإنَّ ضرب المثل لا يتوقّف على صحتها ، فهو مثل ضربه الله لرجلين مبهمين ، ولم يثبت لنا حديث في تعيينهما ، ويدخل هذا في علم المبهمات التي لا فائدة من البحث فيها ولا طائل ، ولو كان في معرفتهم فائدة لذكرها لنا رسول الله ﷺ .

وقد سبقت القاعدة التفسيرية : أنَّه لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه ، وإنَّ الأصل أنَّ ما أبهم في القرآن فلا طائل في معرفته [٥] .

فالمقصود ضرب المثل ، وأخذ العبرة من القصة ، وهو من جملة أمثال

---

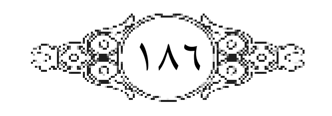
(١) **إبراهيم بن القاسم الكاتب** = يعرف بالرقيق القيرواني والرقيق لقب له ، رجل فاضل له تصانيف كثيرة في علم الأخبار ، ومنها : كتاب تاريخ إفريقية والمغرب عدة مجلدات ، وكتاب النساء ، وكتاب الراح والارتياح ، كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك أربع مجلدات ، وذكره ابن رشيق فقال : (هو شاعر سهل الكلام محكمه لطيف الطبع قويه تلوح الكتابة على ألفاظه قليل صنعة الشعر غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار ، وهو بذلك أحذق الناس وكاتب الحضرة) ، قدم مصر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من ابن باديس إلى الحاكم . انظر : معجم الأدباء (١٣٧) ، فوات الوفيات (١/٩٧) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١١٩١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٠١) ، روح المعاني (١٥/٣٩٤) .

(٣) انظر : البحر المحيط (٦/١٥٥) ، روح المعاني (١٥/٣٩٤) .

(٤) انظر : ص (١٤٤-١٤٥) في الباب الثاني .

(٥) قواعد التفسير (٢/٧١٨-٧١٩) .



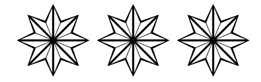
القـــرآن الـــتي قـــال الله عنـــها : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٣].

قـال المراغـي ﷺ : (والمقـصود مـن ضـرب المثـل ليـبين حـال الفـريقين المؤمنين والكـافرين ؛ وأنَّ الكـافرين مـع تقلّبـهم في النعـيم قـد عـصوا ربهـم ، وأنَّ المؤمنين مع مكابدتهم للشدائد والبأساء قد أطاعوه) [(١)].

وقـال الـسعدي ﷺ : (فالمقـصود : بيـان مثـل هـذين الـرجلين ، الـشاكر لنعمـة الله ، والكـافر لهـا ، ومـا صـدر مـن كـل منـهما ، مـن الأقـوال والأفعـال ، ومـا حـصل بـسبب ذلـك مـن العقـاب العاجـل والآجـل ، والثـواب ، ليعتـبروا بحالهمـا ، ويتعظـوا بمـا حـصل عليهمـا ، ولـيس معرفـة أعيـان الـرجلين ، وفي أي : زمان أو مكان هما فيـه فائـدة أو نتيجـة ، فالنتيجـة تحـصل مـن قـصتهما فقـط ، والتعرُّض لما سوى ذلك من التكلف) [(٢)].

وقـال ابـن عاشـور ﷺ : (ضـرب الله مـثلاً للفـريقين للمـشركين وللمـؤمنين بمَثل رجلـين كـان حـالُ أحـدهما معجبـاً مؤنِقـاً [(٣)]، وحـال الآخـر بخـلاف ذلـك ؛ فكانـت عاقبـة صـاحب الحـال المونقـة تَبَابـاً وخـسارة ، وكانـت عاقبـة الآخـر نجاحاً ، ليظهـر للفـريقين مـا يجـره الغـرور والإعجـاب والجـبروت إلى صـاحبه مـن الأرزاء ، ومـا يلقـاه المـؤمن المتواضـع العـارف بـسُنن الله في العـالم مـن التـذكير والتدبر في العواقب فيكون معرَّضاً للصلاح والنجاح) [(٤)].

والله أعلم ، ،



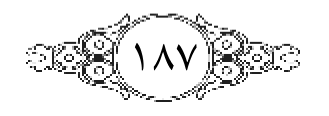
---

(١) تفسير المراغي (٥/٢٧٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤٧٦) .

(٣) **المونق** : من أَنَقَ ، آنق : وهو المعجب بالشيء . انظر : لسان العرب (١/١٧٥-١٧٦) .

(٤) التحرير والتنوير (٧/٣١٥) .



الموضع السادس :

* في قوله عز وجل : ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف : ٦٠] [(١)].

٦- **قال عطاء الخراساني** : الحقب : الزمان [(٢)].

الدراسة :

* أعلم الله موسى عليه السلام أنَّ عبداً من عبادي بمَجْمع البحرين عنده من العلم ما لم تحط به ، فأحبَّ أن يرحل إليه مسافراً ، مهما كلَّفه ذلك من طول المسافة ، وما يلحقه من التعب والمشقة ، حتى يصل إليه عند مجمع البحرين [(٣)].

الأقوال في الآية [(٤)] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، أنَّ الحقب هو الزمان ، وهو قول قتادة ، وابن زيد [(٥)]، وقاله أبو عبيدة [(٦)]، وأهل اللغة .

القول الثاني : أنه الدهر ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، ومنه قول امرئ القيس [(٨)]:

نَحْنُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَنَا مِلْكٌ بِهِ عَاشَ هَذَا النَّاسُ أَحْقَابَا

القول الثالث : أنَّ الحقب : سنة بلغة قيس ، ذكره الفرَّاء [(٩)].

القول الرابع : أنَّه سبعون سنة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه [(١٠)]، ومجاهد [(١١)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٤) ص٩٥ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تفسير المراغي (٥/٢٨٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٤١٨) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٣/٣٢٢) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٥/٣١١) .

(٦) مجاز القرآن (١/٤٠٩) .

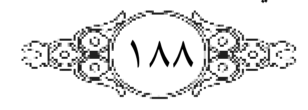
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٣١١) .

(٨) **البيت لامرئ القيس** ، انظر ديوانه ص(٢٩٠) ، وهو من شواهد : النكت والعيون (٣/٣٢٢) .

(٩) معاني القرآن (٢/١٢٩) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٠٩) لابن عساكر من طريق بن سمعان .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٣١٠) ، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٧٦) برقم : (١٢٨٨٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٢٣) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر .



القول الخامس : ثمانون سنة ، قاله عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما [1]، وهو قول الزجاج [2].

الجمع أو الترجيح :

من تأمل في الأقوال السابقة ، وجد أنها تدور حول معنى واحد وهو: الزمن ، أو المدَّة من الزمان المحددة .

والأقرب أن يحمل المعنى على إطلاقه ، وهو الزمان الطويل غير المحدود ، دون الحاجة إلى تقييده بسبعين أو ثمانين سنة ونحو ذلك .

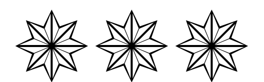
والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه [3].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح في المعنى .

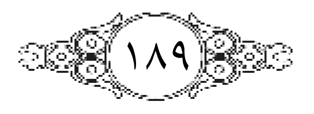
قال النَّحاس رحمه الله : (الذي يعرفه أهل اللغة أنَّ الحُقْب زمان من الدَّهر مبهم غير محدود ، كما أنَّ قوماً ورهطاً مبهم غير محدود) [4].

فالحِقْبة مدَّة من الزَّمان مبهمة ، دليله قوله تعالى : ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ : ٢٣] ، أي مدَّة طويلة لا يعلمها إلا الله [5].

والله أعلم ..



(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٣١٠) .
(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/٢٤٤) .
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .
(٤) معاني القرآن (٢/٧٠٠) .
(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٣٣) .



الموضع السابع :

* وفي قول الله عز وجل : ﴿ عَيۡنٍ حَامِيَة ﴾ [الكهف : ٨٦] [(١)].

٧- **قال عطاء الخراساني** : الحمأة السوداء[(٢)].

الدراسة :

* يخبر الله عن ذي القرنين ، وأنه بلغ بلاداً لا تغرب الشمس على بلد بعدها ، حتى رأى الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة أي سوداء ، وهذا المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء ، رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع [(٣)] .

وقد فسَّر عطاء الخراساني قراءة : ﴿ حَامِيَة ﴾ بالسوداء ، وهو تفسير أكثر المفسِّرين لقراءة : ﴿ حَمِئَةٍ ﴾ .

❖ القراءات في الآية [(٤)] :

- قرأ نافع[(٥)]، وابن كثير[(٦)]، وأبو عمرو ، وحفص[(٧)]

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ ﴾

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٦) ص٩٦ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تفسير المراغي (١١/٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٤٨٥) .

(٤) انظر : المبسوط (٢٣٨) ، البدور الزاهرة (٥٥/٢) .

(٥) **نافع بن عبد الرحمن** = ابن أبي نعيم الليثي ، مولاهم ، أبو رويم المقريء المدني ، أحد الأعلام ، هو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أو حليف أخيه العباس ، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة ، وكان أسود اللون حالكاً ، وأصله من أصبهان ، قرأ على سبعين من التابعين ، وأقرأ الناس دهراً طويلاً ؛ فقرأ عليه من القدماء : مالك ، وإسماعيل بن جعفر ، وعيسى بن وردان الحذاء ، وسليمان بن مسلم بن جماز ، وممن بعدهم : يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، وقالون ، وورش ، وإسماعيل بن أبي أويس، وهو آخر من قرأ عليه موتاً ، وكان نافع صاحب دعابة وطيب أخلاق ، ولما حضرته الوفاة قال له أبناؤه : أوصنا ، قال : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ، ومات سنة تسع وستين ومائة . انظر : معرفة القراء الكبار (١١١-١٠٧/١) .

(٦) **ابن كثير** = هو عكرمة بن سليمان ابن كثير بن عامر ، أبو القاسم المكي المقرئ ، مولى آل شيبة الحجبي ، قرأ القرآن على شبل بن عباد ، وإسماعيل القسط ، قرأ عليه : أحمد بن محمد البزي ، وغيره ، وقد تفرد عنه البزي بحديث التكبير من والضحى ، وعكرمة شيخ مستور ما عُرِفَ أحد تكلم فيه . انظر : معرفة القراء الكبار (١٤٦/١) .

(٧) **حفص بن سليمان** = أبو عمر الأسدي ، مولاهم الغاضري الكوفي المقرىء الإمام ، صاحب عاصم ، وابن

عن عاصم[1]، ويعقوب[2] : ﴿حَمِئَةٍ﴾ .

- وقرأ الباقون : ﴿ حَامِيَة ﴾ ، بألف بعد الحاء ، وياء مفتوحة بعد الميم .

فمن قرأ : ﴿حَمِئَةٍ﴾ أراد في عَيْنٍ ذاتِ حَمْأة . يقال : حَمَأْتُ البئر : إذا أخرجتَ حَمْأتَها ؛ وأَحْمَأْتُها : إذا ألقيتَ فيها الحَمْأة . وحمئت فهي حمئة : إذا صارت فيها الحَمْأة .

و (الحمْأة) الطين الأسود المنتن ، وعين حمئة : فيها حمأة .

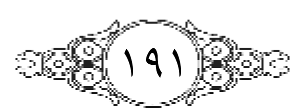
ومن قرأ : ﴿ حَامِيَة ﴾ بغير همز ، أراد : حارّة . وقد تكون حارَّة ذاتَ حَمْأة[3].

زوجة عاصم ، ولد سنة تسعين ، ومات سنة ثمانين ومئة . روى الحديث عن علقمة بن مرثد ، وثابت البناني، وأبي إسحاق السبيعي ، وكثير بن زاذان وإسماعيل السدي ، وعاصم ، وخلْق . وقرأ عليه عرضاً وسماعاً : عمرو بن الصباح ، وأخوه عبيد بن الصباح ، وأبو شعيب القواس ، وحمزة بن القاسم ، وحسين بن محمد المروذي ، وخلف الحداد . وروى عنه : بكر بن بكار ، وآدم بن أبي إياس ، وأحمد بن عبدة ، وهشام بن عمار ، وعلي بن حجر ، وعمرو الناقد ، وهبيرة التمار ، وآخرون . وكان من أعلم الناس بقراءة عاصم ، وهو في القراءة ثقة ثبت ضابط لها ، بخلاف حاله في الحديث ، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي ﷺ . انظر : معرفة القراء الكبار (١/١٤٠) .

(١) **عاصم بن أبي النجود الأسدي** = مولاهم الكوفي ، القارئ الإمام ، أبو بكر ، أحد القرَّاء السبعة ، قرأ القرآن على أبي عبدالرحمن السلمي ، وزر بن حبيش الأسدي ، وحدث عنهما ، وعن أبي وائل ، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص ، وجماعة ، وهو معدود في التابعين ، روى عنه عطاء بن أبي رباح ، وأبو صالح السمان ، وهما من شيوخه ومن كبار التابعين ، وقرأ عليه خلق كثير منهم : الأعمش ، والمفضل بن محمد الضبي ، وحماد بن شعيب ، وأبو بكر بن عياش ، وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبدالرحمن السلمي ، وكان ذا نسك وأدب وفصاحة وصوت حسن ، توفي آخر سنة سبع وعشرين ومئة . انظر : معرفة القراء الكبار (١/٨٨-٩٣) .

(٢) **يعقوب بن إسحاق الحضرمي** = قارئ أهل البصرة في عصره ، الإمام أبو محمد ، يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق ، مولى الحضرميين ، قرأ القرآن على أبي المنذر سلام بن سليم ، وعلى أبي الأشهب العطاردي ، وسمع من حمزة الزيات ، وشعبة ، وهارون بن موسى النحوي ، وسليم ابن حيان ، ومحمد بن المتوكل رويس ، وأبو عمر الدوري ، وخلق سواهم . وحدث عنه : أبو حفص الفلاس، وأبو قلابة الرقاشي ، وإسحاق بن إبراهيم شاذان ، ومحمد بن يونس الكديمي ، وكان يعقوب أقرأ أهل زمانه ، وكان لا يلحن في كلامه ، وكان عالماً بالعربية ووجوهها ، والقرآن واختلافه ، فاضلاً تقياً نقياً ورعاً زاهداً . توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين . انظر : معرفة القرَّاء الكبار (١/١٥٧) .

(٣) انظر : جامع البيان (١٥/٣٧٤) ، معاني القرآن للزجاج (٣/٢٥٢) ، المفردات في غريب القرآن (١٤٠) ، لسان العرب (٤/٢١٥) .



ويشهد لهذا حديث أبي ذرّ رضي الله عنه قال : كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ ، وَالشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَقَالَ : « هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ ؟ » ، قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : « فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ » [1].

الأقوال في الآية [2] :

وكما اختلفت القراءة اختلفت الأقوال في معناها .

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني أنَّ الحمأة : السوداء ، وهو قول قتادة [3] .

القول الثاني : يعني طينة سوداء ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وكعب الأحبار[4]، ومجاهد [5]، والكلبي [6].

القول الثالث : يعني حارة ، وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما[7]، والحسن[8]، ولعله على قراءة : ﴿ حَامِيَةٍ ﴾ .

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها محتملة ، ويمكن أن يجمع بينها بأن يقال : أنَّ صفة العين أنها حمئة سوداء حارَّة .

ويشهد له ما جاء عن أبي حاضر رضي الله عنه [9]، أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما ذكر له أن

---

(١) **صحيح** . أخرجه أبو داوود في سننه برقم (٤٠٠٢) . قال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٠٣) ، (٥٢٨/٥) : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وصححه أيضاً في صحيح أبي داود (٤٠٠٢) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٣٣٩/٣) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٧/١٥) .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٣٧٥/١٥-٣٧٦) .

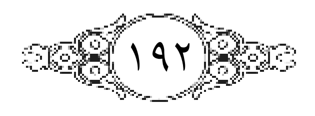
(٥) تفسير مجاهد (١٤٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٦/١٥) ، ولفظه : طينة سوداء ثأطٍ ، والثأط الطين . انظر : لسان العرب (٥/٣) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٤٤/٢) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٧/١٥) ، وابن أبي حاتم (٢٣٨٤/٧) برقم : (١٢٩٥١) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٤٤/٢) ، والطبري (٣٧٧/١٥) .

(٩) **أبو حاضر** = عثمان بن حاضر الحميري ، ويقال الأزدي ، أبو حاضر القاص ، روى عن بن عباس وابن الزبير وابن عمر وجابر وأنس وميمون بن مهران ، وروى عنه : عمرو بن ميمون بن مهران ، وابن إسحاق . وهو ثقة ، وذكره بن حبان في الثقات ، وقال الحاكم : شيخ من أهل اليمن مقبول صدوق . انظر : تهذيب التهذيب (١٠١/٧) .



معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية في سورة الكهف : ﴿ تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقلت لمعاوية رضي الله عنه : ما نقرؤها إلا : ﴿حَمِئَةٍ﴾ ؟ .

فسأل معاوية عبدالله بن عمرو : كيف تقرؤها ؟ فقال عبدالله : كما قرأتَها . قال ابن عباس رضي الله عنهما : فقلت لمعاوية : في بيتي نزل القرآن ، فأرسل إلى كعب، فقال له : أين تجد الشمس تغرب في التوراة ؟ فقال له كعب رضي الله عنه : سل أهل العربية فإنهم أعلم بها ، وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين - وأشار بيده إلى المغرب - .

قال ابن أبي حاضر رضي الله عنه : لو أني عندكما أيدتك بكلام وتزداد به بصيرة في ﴿حَمِئَةٍ﴾ ، قال ابن عباس : وما هو ؟ قلت : فيما نأثر قول تبَّع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم وإتباعه إياه :

قَدْ كَانَ ذُوْ القَرْنَيْنِ عَمْرُو مُسْلِمَاً ... مَلِكَاً تَدِيْنُ لَهُ المُلُوْكُ وَتَحْسدُ
فَأَتَى الْمَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ يَبْتَغِيْ ... أَسْبَابَ مُلْكٍ مِنْ حَكِيْمٍ مُرْشِدِ
فَرَأَى مَغِيْبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوْبِهَا ... فِيْ عَيْنِ ذِيْ خَلَبٍ وَثَاطٍ حَرْمَدِ

فقال ابن عباس : ما الخلب ؟ قلت : الطين بكلامهم . قال : فما الثاط ؟ قلت : الحمأة . قال : فما الحرمد ؟ قلت : الأسود . فدعا ابن عباس رضي الله عنهما غلاماً فقال له : اكتب ما يقول هذا الرجل [(١)].

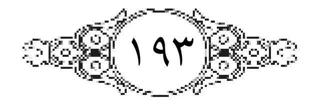
وحينما قرأ ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال كعب رضي الله عنه : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكنِّي أجدها في الكتاب – يعني في التوراة - : تغيب في طينة سوداء [(٢)].

ولا شك أنَّ البحار الغربية قوية السُّخونة فهي حامية ، وأيضاً حمئة لكثرة

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٤٤) ، والطبري (١٥/٣٧٤) ، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٨٣-٢٣٨٤) برقم : (١٢٩٤٧) و (١٢٩٤٨) و (١٢٩٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٥١) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٣٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٣٨٤) برقم : (١٢٩٤٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٥٠) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر .



ما فيها من الطين الأسود [١] .

وإنما وجدها تغرب في العين كما يرى راكب البحر الذي لا يرى طَرَفه أن الشمس تغيب في الماء ، وذلك لأنَّ ذا القرنين انتهى إلى آخر البنيان فوجد عيناً حَمِئة ليس بعدها أحد [٢].

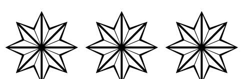
ومن تأمَّل كلام أهل اللغة ، وعرف القراءتين ، وجد أنه لا تنافي بين الحمئة والحامية ، فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعاً [٣].

وهذا هو قول عامة المفسرين [٤]، وأهل القراءات .

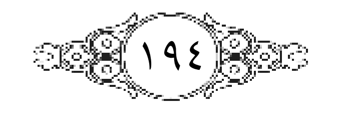
قال ابن زنجلة رحمه الله عن قراءة ﴿حَمِئَةٍ﴾ : (وهذا القول ليس ينفي قول من قرأها : ﴿ حَامِيَة ﴾ إذا كان جائزاً أن تكون العين التي تغرب الشمس فيها حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة وطينة سوداء ، فتكون موصوفة بالحرارة وهي ذات حمأة) [٥].

وتفسير عطاء الخراساني للآية ، يرجح الجمع بين الوصفين ، فنجده قد فسَّر : ﴿ حَامِيَة ﴾ بالسوداء ، وهو تفسير أكثر المفسرين لقراءة :﴿حَمِئَةٍ﴾ ، ولعل هذا يبيِّن أنّه لا تعارض بين المعنيين عنده رحمه الله .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القراءتين إذا اختلف معناهما ، ولم يظهر تعارضهما ، وعادتا إلى ذات واحدة ، كان ذلك من الزيادة في الحكم لهذه الذات [٦]. والله أعلم ، ،



(١) انظر : غرائب القرآن (٤/٤٥٩) .
(٢) انظر : زاد المسير (٨٦٨) .
(٣) النكت والعيون (٣/٣٣٩) .
(٤) انظر : الكشاف (٦٢٨-٦٢٩) ، المحرر الوجيز (١٢١١) ، التفسير الكبير (٢١/١٥٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٩٣٥) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣٧٤) ، البحر المحيط (٦/١٩٩) ، تفسير ابن كثير (٣/١١٤) ، روح المعاني (١٦/٤٦) ، أضواء البيان (٤/١٣٩) .
(٥) حجة القراءات (٤٢٩) .
(٦) قواعد التفسير (١/٨٩) .



الموضع الثامن :

* وفي قول الله عز وجل : ﴿ خَرَاجًا ﴾ [الكهف : ٩٤] [(١)].

٨- **قال عطاء الخراساني** : الخراج : الرَّيع [(٢)(٣)] .

الدراسة :

* يخبر الله تعالى في قصَّة ذي القرنين عمَّا عرضه القوم الذين شَكَوا لذي القرنين فساد يأجوج ومأجوج ، من أن يعطوه مالاً وأجراً عظيماً يخرجوه من أموالهم حتى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم ، وذلك لعدم قدرتهم بأنفسهم على بنيان السد ، والتماسهم في ذي القرنين القدرة على ذلك .

❖ القراءات في الآية [(٤)] :

- قرأ الحسن ، والأعمش [(٥)]، وطلحة [(٦)]، وخلف [(٧)]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

(٢) **الرَّيْع** في اللغة : النماء والزيادة . انظر : لسان العرب (٦/٢٧٧) .

(٣) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٧) ص٩٦، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٤) انظر : المبسوط (٢٣٨) ، البدور الزاهرة (٢/٥٥) .

(٥) الأعمش = سليمان بن مهران الأعمش ، الإمام العلم ، أبو محمد الأسدي الكاهلي ، مولاهم الكوفي ، أصله من أعمال الري ، روى عن عبدالله بن أبي أوفى ، وأبي وائل ، وزيد بن وهب ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وأبي عمرو الشيباني ، وخلق . وقرأ القرآن على يحيى بن وثاب ، وزيد بن وهب ، وزر بن حبيش ، وعرض القرآن على أبي العالية الرياحي ، ومجاهد ، وعاصم بن بهدلة ، وأقرأ الناس ، ونشر العلم دهراً طويلاً ، ولم يختم عليه إلا ثلاثة : طلحة بن مصرف - وكان أسن منه - ، وأبان بن تغلب ، وأبو عبيدة بن معن . وقرأ عليه : حمزة الزيات وغيره ، وروى عنه خلق لا يحصون ، وكان مولده سنة إحدى وستين ، وكان من أقرأ الناس لكتاب الله ، وأحفظهم للحديث ، وأعلمهم بالفرائض ، بقي قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى ، وكان صاحب سنة ، توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة . انظر : معرفة القراء الكبار (١/٩٤) .

(٦) **طلحة** = **ابن مصرف** بن عمرو بن كعب اليامي ، أحد علماء الكوفة وقرائها ، روى عن ابن أبي أوفى ، وأنس، ومرة الطيب ، وروى عنه : ابنه محمد ، ومسعر ، وشعبة ، قال ابن إدريس : كانوا يسمونه سيد القراء مات سنة اثنتي عشرة بعد المائة . انظر : الكاشف (١/٥١٤) ، تقريب التهذيب (٢٨٣) .

(٧) **خلف** = خلف بن هشام بن ثعلب ، وقيل : ابن طالب بن غراب ، أبو محمد البغدادي المقرئ البزار ، أحد الأعلام ، وله اختيار أقرأ به وخالف فيه حمزة . قرأ على سليم عن حمزة ، وسمع مالكاً وأبا عوانة ، وحماد بن زيد ، وأبا شهاب عبد ربه الحناط ، وأبا الأحوص ، وشريكاً ، وحماد بن يحيى الأربح وطائفة ، وقرأ

وابن سعدان[1]، وابن عيسى الأصبهاني[2]، وابن جبير الأنطاكي[3]، وحمزة[4]، والكسائي[5]، وعامة الكوفيين : ﴿ خَرَاجًا ﴾ نَحوْ به نحو الاسم ،

أيضاً على أبي يوسف الأعمش لعاصم ، وأخذ حرف نافع عن إسحاق المسيبي ، وقراءة أبي بكر عن يحيى بن آدم . قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني ، وأحمد بن إبراهيم وراقة ، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير ، وسلمة بن عاصم ، وخلق سواهم . وحدث عنه مسلم في صحيحه ، وأبو داود في سننه ، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازي ، وأحمد بن أبي خيثمة ، وعدد كثير ، وكان عابداً فاضلاً . توفي في جمادى الآخر سنة تسع وعشرين ومائتين ، وكان مولده سنة خمسين ومائة . انظر : معرفة القراء الكبار (١/٢٠٨) .

(١) **ابن سعدان** = محمد بن سعدان الكوفي النحوي المقرئ الضرير ، أبو جعفر ، قرأ على سليم ، ويحيى اليزيدي ، وإسحاق المسيبي ، وحدث عن أبي معاوية ، وابن إدريس الأودي ، وجماعة ، قرأ عليه محمد بن أحمد بن واصل – وهو أنبل أصحابه –، وجعفر بن محمد الأدمي ، وسليمان بن يحيى الضبي ، ومحمد بن يحيى المروزي ، وحدث عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل وجماعة ، وصنف في العربية والقرآن وثقة الخطيب وغيره ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . انظر : معرفة القراء الكبار (١/٢١٧) .

(٢) **ابن عيسى الأصبهاني** = محمد بن عيسى بن أبي رزين التيمي الرازي ثم الأصباني ، المقرئ ، أحد الحذاق ، قرأ القرآن على نصير ، وخلاد – صاحبي الكسائي – ، وسمع الحروف منه عبيد الله بن موسى ، وإسحاق بن سليمان ، وصنف كتاب الجامع في القراءات ، وكتاباً في العدد ، وفي الرسم ، وكان رأساً في النحو ، أخذ عنه الفضل بن شاذان ، والحسين بن العباس ، وأبو سهل حمدان ، وجماعة . وممن قرأ عليه من الأصبهانيين : جعفر بن عبد الله بن الصباح مقرىء أصبهان ، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين . انظر : معرفة القراء الكبار (١/٢٢٣) .

(٣) **ابن جبير الأنطاكي** = أحمد بن جبير بن محمد بن جبير ، أبو جعفر الكوفي ، نزيل أنطاكية ، كان من كبار القراء وحذاقهم ومعمِّريهم ، عني بلقي القراء من الصغر بإفادة والده ، فقرأ على والده ، وأخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي ، وعن سليم ، وعبيد الله بن موسى ، واليزيدي ، وإسحاق المسيبي ، وغير هؤلاء ، وسمع بعض قراءة عاصم من أبي بكر بن عياش . وهو إمام جليل ثقة ضابط أقرأ الناس بأنطاكية إلى أن مات . روى القراءة عنه عرضاً خلق كثير ، منهم : عبد الله بن صدقة ، ومحمد بن العباس بن شعبة إمام أنطاكية ، وكان فصيحاً عالماً . توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين . انظر : معرفة القراء الكبار (١/٢٠٧) .

(٤) **حمزة** = حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام ، أبو عمارة الكوفي ، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات ، أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن ، فلعله رأى بعضهم ، وقرأ القرآن عرضاً على الأعمش ، وحمران بن أعين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومنصور ، وأبي إسحاق ، وغيرهم ، وتصدَّر للإقراء مدة ، وقرأ عليه عدد كثير منهم : الكسائي ، وسليم بن عيسى – وهما أجل أصحابه – ، وعبد الرحمن بن أبي حماد ، وعابد بن أبي عابد ، وإسحاق الأزرق ، وعبيد الله بن موسى ، وحجاج بن محمد ، ويحيى بن علي الجزار ، وخلق . وحدث عنه الثوري ، وأبو الأحوص ، والعجلي ، وأمم سواهم ، وكان إماماً حجة ، قيماً بكتاب الله تعالى ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ، عابداً خاشعاً قانتاً لله ، ثخين الورع ، عديم النظير ، أحكم القراءة وهو ابن خمس عشرة سنة ، مات سنة ست وخمسين ومائة . انظر : معرفة القراء الكبار (١/١١١) .

(٥) **الكسائي** = علي بن حمزة الكسائي ، الإمام أبو الحسن الأسدي ، مولاهم الكوفي المقريء النحوي أحد

وعنوا به أجرة على بنائك لنا سداً بيننا وبين هؤلاء القوم .

- وقرأ الباقون من السبعة ، وعامة قرَّاء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة : ﴿خَرْجًا﴾ نَحَو به نحو المصدر من خرْج الرأس ، وذلك جعله [1] .

الأقوال في الآية [2] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، أنَّ الخراج هو الرِّيع ، وهو بنحو تفسير من فسَّر الخرج بالأجر العظيم كابن عباس رضي الله عنهما [3] ، وقتادة[4] .

القول الثاني : الخراج هو الاسم الأصلي ، والخرج كالمصدر . وهو قول الفراء [5] . فالخرج المصدر أطلق على الخراج ، والخراج الاسم لما يخرج من الفرائض في الأموال .

القول الثالث : الخراج : على الأرض ، والخرْج : على الرقاب ، يقال: أدِّ خرْج رأسك ، وخراج مدينتك ، قاله أبو عمرو بن العلاء [6] [7] .

الأعلام ، ولد في حدود سنة عشرين ومائة ، وسمع من جعفر الصادق ، والأعمش ، وزائدة وسليمان بن أرقم ، وجماعة يسيرة ، وقرأ القرآن وجوَّده على حمزة الزيات ، وعيسى بن عمر الهمداني ، واختار لنفسه قراءة ، ورحل إلى البصرة ، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد . قرأ عليه أبو عمر الدوري ، وأحمد بن جبير الأنطاكي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وخلق سواهم . وإليه انتهت الإمامة في القراءة والعربية ، وقرأ على حمزة القرآن أربع مرات . وكان أعلم الناس بالنحو ، وواحدهم في الغريب ، وكان أوحد الناس في القرآن ، نال من الرياسة بإقراء محمد الأمين ولد الرشيد وتأديبه ، وحصلت له رياسة العلم والدنيا . توفي بالري بقرية أرنبوية سنة تسع وثمانين ومائة . انظر : معرفة القراء الكبار (١/١٢٠-١٢٨) .

(١) انظر : جامع البيان (٨/٢٨٤) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٣/٣٤٢) ، معالم التنزيل (٣/٢١٦) ، المحرر الوجيز (١٢١٣) ، زاد المسير (٨٧٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٩٤٠) ، البحر المحيط (٦/٢٠٤) ، روح المعاني (١٦/٥٧) .

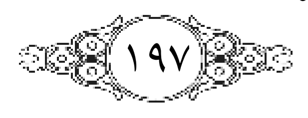
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٤٠٢) ، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٨٨) برقم : (١٢٩٧٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٥٩) عزوه لابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٤٠٢) .

(٥) معاني القرآن (٢/١٣٤) .

(٦) **أبو عمرو بن العلاء المازني** = المقريء النحوي البصري الإمام ، مقرئ أهل البصرة ، اسمه زبان على الأصح، التميمي ثم المازني ، أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة ، فعرض بمكة على مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعكرمة بن خالد ، وابن كثير ، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم ، والحسن وغيرهم . قرأ عليه خلق كثير منهم عبدالله بن المبارك . ولد بمكة سنة ثمان وستين ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة ، وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالبصرة ، توفي سنة أربع وخمسين ومئة . وهو ابن ست وثمانين سنة . انظر : معرفة القراء الكبار (١/١٠٠-١٠٥) ، تقريب التهذيب (٦٦٠) .

(٧) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٣/٣٤٢) .



القول الرابع : الخرْج أخص من الخراج ؛ فالخرج ما يؤخذ دفعة ، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة ، قاله ثعلب [(١)].

القول الخامس : الخرج الأجرة ، والخراج الغلَّة ، حكاه الماوردي [(٢)] .

القول السادس : الخرْج الضريبة والجزية ، والخراج الفيء ، قاله الزجاج[(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والذي يظهر لمن تأمَّل ما ورد في تفسير الآية على اختلاف القراءة فيها ، أنَّ الاختلاف مبني على المعنى اللغوي .

وقد قال بعض أهل اللغة : الخرْج والخراج بمعنى واحد ، وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم ، وهي الإتاوة تؤخذ من أموال الناس ، لأنه مال يخرجه المعطي [(٤)].

قال الراغب ﵀ : (والخرْج أعمُّ من الخراج ، وجُعِلَ الخَرْجُ بإزاءِ الدَّخل، والخراج مختصٌ في الغالب بالضريبة على الأرض) [(٥)].

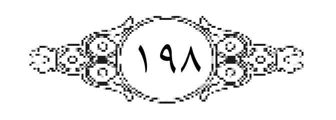
ومعلومُ أنَّ زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى ، فالخراج هو العطاء الكثير ، والخرْج هو العطاء القليل ، ويدلُّ لذلك قوله تعالى : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون : ٧٢] .

قال الزمخشري ﵀ : (يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق ؛ فالكثير من عطاء الخالق خير) [(٦)].

وعليه فالقراءتان بينهما تكامل دلالي ، فقراءة : ﴿خَرْجًا﴾ أشارت إلى أنهم عرضوا عليه مالاً قليلاً ، والأخرى : ﴿ خَرَاجًا ﴾ أشارت إلى أنهم عرضوا

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) معاني القرآن (٣/٢٥٣) .
(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣١٣) ، لسان العرب (٥/٤٠) .
(٥) المفردات في غريب القرآن (١٥١) .
(٦) الكشاف (٧١٢) .



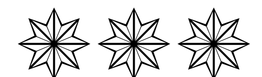
عليه عرضاً كبيراً ، وتعدُّد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات .

والقاعدة التفسيرية في مثل هذا : أنَّ القراءات يبيِّن بعضها بعضاً [(١)] .

وكذلك قاعدة : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٢)] .

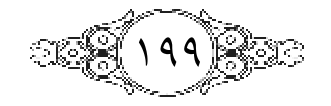
وقول عطاء الخراساني في الآية قول صحيح ، ولم أجد من عبَّر عنه بهذا اللفظ الذي قاله عطاء ، والرِّيع والأجر بمعنى واحد ، وربما كان الرِّيع أعمَّ من الأجر ، ولعله عناه هنا .

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (١/٩٠) .

(٢) المصدر السابق (١/٢٣٢) .



الموضع التاسع :

* وفي قوله تعالى : ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف : ٩٦] [(١)].

٩- **قال عطاء الخراساني** : قطع الحديد [(٢)].

الدراسة :

* يخبر الله عمَّا قاله ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً : جيئوني بِزُبَرِ الحديد ، وهي قطع الحديد [(٣)].

والزبر : جمع زُبْرَةٌ ، وهي القِطْعَةُ من الحَدِيدِ الضَّخْمَةُ [(٤)] .

والحديد : معدن معروف وجوهر من معادن الأرض يكون قِطعاً كالحَصَى ودون ذلك فيها صلابة ، والقطعة منه حديدة [(٥)].

وقول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، هو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٦)]، ومجاهد [(٧)]، وأبو صالح [(٨)(٩)]، وقتادة [(١٠)]، وعليه جمهور

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٥) ص٩٥ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) ورد أنَّ ذا القرنين قاس ما بين الصدفين من حفر الأساس حتى بلغ الماء ، ثم جعل حشوه الصخر وطينه النحاس مذاب ، ثم صبَّ عليه والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ، ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صبَّ النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً . انظر : البحر المحيط (٦/٢٠٤) .

(٤) المفردات في غريب القرآن (٢١٦) ، لسان العرب (٧/٩) .

(٥) انظر : لسان العرب (٤/٥٦) ، التحرير والتنوير (١٦/٣٦) .

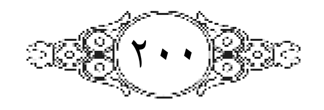
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٤٠٥) ، وابن أبي حاتم (٧/٢٣٨٨) برقم : (١٢٩٧٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٥٩) عزوه لابن المنذر ، وعزاه للطستي عن نافع بن الأزرق .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٤٠٥) .

(٨) **أبو صالح** = باذام ، تابعي ثقة ، هو مولى أم هانيء بنت أبي طالب ، ترجمه البخاري في الكبير ، وروى عن محمد بن بشَّار ، قال عنه ابن معين : (أبو صالح مولى أم هانئ ليس به بأس ، فإذا روى الكلبي عنه فليس بشيء ، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس ، لأنَّ الكلبي يحدِّث به مرة من رأيه ، ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس) . انظر : رجال تفسير الطبري (٢٧٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٤٠٥) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٤٦) ، والطبري (١٥/٤٠٦) ، وفي لفظ له قال : فلق الحديد ، وهما بمعنى واحد .



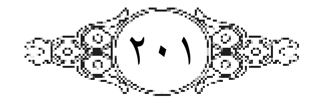
المفسِّرين [1].

ومما سبق يتَّضح أن قول عطاء الخراساني موافق لقول الجمهور ، وأنَّ زبر الحديد هي قطعه مجتمعة أو متفرِّقة .

والله أعلم ..



(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٣٠١/٢) ، جامع البيان (٤٠٥/١٥) ، بحر العلوم (٣٨١/٢) ، الكشف والبيان (١٩٩/٦) ، معالم التنزيل (٢١٧/٣) ، المحرر الوجيز (١٢١٤) ، زاد المسير (٨٧١) ، التفسير الكبير (١٥٦/٢١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩٤١/٢) ، مدارك التنزيل (٢٩/٢) ، تفسير ابن كثير (١١٦/٣) ، الجواهر الحسان (٣١٣/٢) ، روح المعاني (٥٨/١٦) .



سورة طه

الموضع الأول :

* في قوله تعالى : ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾ [طه : ٥٥] [(١)].

١٠- **قال عطاء الخراساني** : إنَّ المَلَك ينطلق فيأخذ من تراب القبر الذي يدفن فيه العبد ، فيذرُّه على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [(٢)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه ابن عدي في الكامل (٢٩٦/٥) بسنده قال : حدثنا ابن قتيبة ، قال كتب إليَّ أحمد بن عيسى اللخمي ، ثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا ابن لهيعة ، عن عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، عن داود بن أبي هند، حدثني عطاء الخراساني ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

ابن قتيبة = تقدمت ترجمته في الموضع الثالث من سورة الكهف .

أحمد بن عيسى اللخمي = أحمد بن عيسى بن زيد اللخمي التنيسي الخشاب المصري ، روى عن عمرو بن أبي سلمة ، وعبد الله بن يوسف التنيسي ، وغيرهما ، وعن ابن خزيمة ، وجماعة ، ليس بالقوي ، ضعّفه ابن عديّ وغيره ، وكذبه بن طاهر ، مات سنة ثلاثة وسبعين ومائتين . انظر : تاريخ الإسلام (٢٦٨/٢٠) ، تهذيب التهذيب (٥٧/١) .

عبد الله بن يوسف = التِّنِّيسي ، أبو محمد الكلاعي ، الحافظ ، أصله من دمشق ، ثقة متقن ، روى عنه البخاري ، وسعيد بن عبد العزيز ، وبكر بن سهل ، وهو من أثبت الناس في الموطأ ، من كبار العاشرة مات سنة ثماني عشرة ومائتين . انظر : الكاشف (٦١٠/١) ، تقريب التهذيب (٣٣٠) .

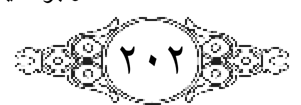
ابن لهيعة = عبد الله بن لَهِيعة بن عقبة الحضرمي ، أبو عبد الرحمن المصري القاضي ، صدوق من السابعة ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية بن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما ، وله في مسلم بعض شيء مقرون ، روى عن : عطاء ، والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعمرو بن شعيب ، وروى عنه : يحيى بن بكير ، وقتيبة ، والعمل عند أهل العلم على تضعيف حديثه ، مات سنة أربع وسبعين ومائة ، وقد ناف على الثمانين. انظر : الكاشف (٥٩٠/١) ، تقريب التهذيب (٣١٩) .

عبد الوهاب بن عطاء الخفاف = أبو نصر العجلي ، مولاهم ، البصري نزيل بغداد ، صدوق ربما أخطأ ، أنكروا عليه حديثاً في العباس يقال دلسه عن ثور ، من التاسعة ، روى عن سليمان التيمي ، وحميد ، وروى عنه : أحمد وإسحاق الكوسج ، قال البخاري والنسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن معين : ثقة ، مات سنة أربع ويقال سنة ست ومائتين . انظر : الكاشف (٦٧٥/١) ، تقريب التهذيب (٣٦٨) .

داود بن أبي هند = الإمام الحافظ الثقة ، أبو محمد الخراساني ثم البصري ، مات سنة ١٣٩هـ وقيل ١٤٠هـ، وقد تقدَّمت ترجمته في تلاميذ عطاء الخراساني . وانظر : حلية الأولياء (٩٢/٣) .

والأثر بهذا الإسناد ضعيف عن عطاء الخراساني ، لضعف ابن لهيعة .

والأثر ذكره أيضاً : الثعلبي في الكشف والبيان (٢٤٨/٦) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٦٥/٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٠١٢/٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣١١/٦) ، وعزاه



وفي لفظ قال : بلغني أنه يذرُّ على النطفة من التربة التي يدفن فيها [(١)].

الدراسة :

* يقول تعالى ذكره : من الأرض خلقناكم أيها الناس ، ومنها مبدؤكم، فإنَّ أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض .

وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم ، فنصيِّركم تراباً ، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشراً سوياً ، ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء ،

السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٨٤) لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وذكره الألوسي في روح المعاني (١٦/٣٠٣) ، والشوكاني في فتح القدير (٣/٤٦٠) .

(١) أخرجه عنه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٢٧٢) برقم : (١٨٩١) بسنده قال : حدثنا المتوثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عطاء الخراساني قال .. وذكره . **دراسة الإسناد** :

المتوثي = أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثى البصري ، وهو راوي كتاب الرد على أهل القدر لأبي داود . ولم أقف في ترجمته على غير هذا . انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/٢٠٦) ، تهذيب التهذيب (٤/١٥٠) .

والمتوثي : نسبة إلى مَتُّوْث : وهي قلعة حصينة بين الأهواز وواسط قد نسب إليها جماعة من أهل العلم ، قال أبو الفرج الأصبهاني متوث مدينة بين سوق الأهواز وبين قرقوب ، ونسب المحدثون إليها جماعة . انظر: معجم البلدان (٥/٥٣) .

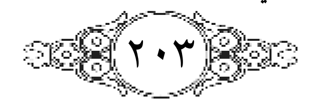
أبو داود = أبو داود السجستاني ، واسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، كان من أكبر أئمة المحدثين وعلمائهم بالنقل وعلله ، ولم يسبقه أحد إلى مثل تصنيفه كتاب السنن ، وعرضه على أحمد بن حنبل فاستحسنه ، وكان أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً ، ممن جمع وصنف وذبَّ عن السنن ، وقمع من خالفها ، وانتحل ضدها . انظر : الثقات (٨/٢٨٢) ، صفة الصفوة (٤/٦٩) ، وتهذيب التهذيب (١٢/٣٩٠) .

ابن المثنى = محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار الإمام الحافظ الثبت أبو موسى العنزي البصري الزمن، ولد مع بندار في عام وفاة حماد بن سلمة ، وحدث عن سفيان بن عيينة ، ومحمد بن أبي عدي ، وآخرين . جمع وصنف وكتب الكثير ، روى عنه الجماعة وخلق كثير . كان ثقة صدوقاً ورعاً ، مات في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين ومائتين . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/١٢٣-١٢٥) .

ابن أبي عدي = محمد بن إبراهيم بن أبي عدي وقد ينسب لجده ، وقيل هو إبراهيم ، أبو عمرو البصري ، مولى لبني سليم ، سمع بن عون ، وشعبة ، وابن إسحاق ، بصري ثقة جليل روى عن حميد وابن عون وعنه أحمد وبندار وخلق ، ويقال : القسملي لأنه نزل القساملة ، ثقة من التاسعة ، مات سنة أربع وتسعين ومائة على الصحيح . انظر : التاريخ الكبير (١/٢٣) ، ميزان الاعتدال (٦/٢٥٨) ، تهذيب التهذيب (٩/١٢) .

داود = داود بن أبي هند ، تقدم في الإسناد السابق .

وهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني ، رجاله ثقات .



فننشئكم منها ، كما أنشأناكم أول مرة .

الأقوال في الآية :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو مبنيّ والله أعلم على حديث لا يصح ورد بعدَّة طرق ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ مَوْلُوْدٍ إلاَّ وقدْ ذُرَّ عَلَيْه مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهْ » [(١)].

القول الثاني : أنَّ معنى خلقهم من تراب أي أنهم خلقوا من الأغذية التي تتولَّد من الأرض ، فيكون ذلك تنبيهاً على ما تولدت منها الأخلاط المتولد منها الإنسان ، ذكره الفخر الرازي [(٢)]، وأبو حيان [(٣)].

القول الثالث : المقصود بخلْقهم من تراب أنه خلق أباهم آدم من تراب في أصل خلقته ، ثم خلقت ذريته من سلالة من ماء مهين ، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الصحيح هو القول الثالث ، لأنَّه هو الذي دلَّ الدليل عليه .

والتحقيق : أنَّ معنى خلْق الناس من تراب أنه خلق أباهم آدم منه . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٣].

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة : ٧-٨] .

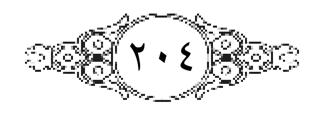
---

(١) موضوع . أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/٢٨٠) ، في باب ابن سيرين ، وقال : هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل ، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة ، وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٧/٢٦١) : (ومثل هذا لا يجزم به ولا يحتج به ، ولا يثبت ، وما روي فيه كله ضعيف) . وحكم عليه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٣٢٠) ، (٥٢٤٠) بأنه موضوع وباطل .

(٢) التفسير الكبير (٢٢/٦٧) .

(٣) البحر المحيط (٦/٣١١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/٢٦١) .



فدلَّ على أنَّ أول بدء الخلق كان من طين ، ثمَّ صار النسل والسلالة لهذا الإنسان من ماء مهين الذي هو المني .

وبناءً على ما سبق فيتَّضح بطلان القول الأول من وجوه :

الأول : بطلان الحديث الذي اعتمد عليه ، وقد سبق بيانه .

الثاني : أنه لو ثبت أنَّ الميت خلق من ذلك التراب ، فمعلوم أنَّ خلق الإنسان من مني أبويه أقرب من خلقه من التراب ، ومع هذا فاللّه يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ؛ يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] .

الثالث : مخالفة ذلك لفهم الآيات الواردة في الخلق ، والتي ذكرتُ شيئاً منها .

قال الشنقيطي رحمه الله : (وما يزعمه بعض أهل العلم من أن معنى خلقهم من تراب أنَّ النطفة إذا وقعت في الرحم انطلق الملك الموكل بالرَّحم فأخذ من تراب المكان الذي يُدفن فيه فيذرُّه على النطفة ، فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب معاً ، فهو خلاف التحقيق . لأنَّ القرآن يدل على أنَّ مرحلة النطفة بعد مرحلة التراب بمهلة ، فهي غير مقارنة لها بدليل الترتيب بينهما ب « ثُم » في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج : ٥] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [غافر : ٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ [السجدة: ٦-٨])[2] .

والقول الثاني ضعيف أيضاً من وجهين :

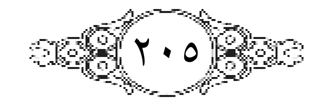
الأول : أنه خلاف ظاهر الآيات السابقة الواردة في الخلق .

قال الشنقيطي أيضاً : (وكذلك ما يزعمه بعض المفسِّرين من أن معنى

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٢٦١) .

(٢) أضواء البيان (٤/٣٢٢-٣٢٣) .



خلقهم من تراب أنَّ المراد أنهم خلقوا من الأغذية التي تتولد من الأرض ؛ فهو ظاهر السقوط كما ترى) [١].

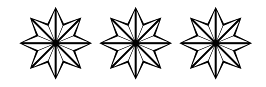
الثاني : أنَّ هذا القول يترتب على قول من يقول : يرجع بعد التولد والاستحالات الكثيرة نطفة ، وذلك مردود عند الأصوليين [٢].

والخلاصة : أنَّ الصحيح هو القول الثالث ، لأنَّه هو ظاهر نصوص القرآن.

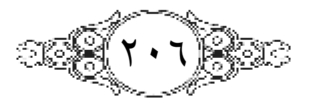
والقاعدة التفسيرية : أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه [٣].

وعليه فما ورد عن عطاء الخراساني في هذه الآية لا يصح معنى لعدم صحة الدليل عليه ، وكما هو معلوم أنَّ المقبول عند العلماء في مثل هذه المسائل: ما كان صحيحاً صريحاً للدلالة على الحكم أو بيانه .

والله أعلم .



(١) المرجع السابق .
(٢) انظر : المحرر الوجيز (٦٠١) .
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧) .



الموضع الثاني :

* في قوله تعالى : ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [طه : ١٠٣] [(١)] .

١١- **قال عطاء الخراساني** : الكلام الخفي [(٢)] .

الدراسة :

* المخافتة والخفت : إسرار النطق والمنطق ، وتخافت القوم إذا تشاوروا سراً [(٣)] ، ومنه قول الشاعر [(٤)] :

أُخَاطِبُ جَهْرَاً إِذْ لَهُنَّ تَخَافُتٌ ... وَشَتَّانَ بَيْنَ الجَهْرِ وَالمَنْطِقِ الْخَفْتِ

وفي هذه الآية يذكر الله شيئاً من أحوال أهل النار يوم القيامة ؛ أنهم يتخافتون أي يتسارون ويتشاورون خفية ، لِمَا امتلأت به صدورهم من الرعب والهول ، أو لأنهم صاروا بسبب الخوف في نهاية الضعف فلا يطيقون الجهر ، وهم لشدَّة ذهاب أذهانهم قد عزب عنهم قدر المدة التي لبثوا فيها [(٥)] .

وتفسير عطاء الخراساني رحمه الله هنا للتخافت بالكلام الخفي ؛ هو تفسير ابن عباس [(٦)] ، وقتادة [(٧)] ، وهو المعنى الصحيح الذي عليه جمهور المفسِّرين [(٨)] ، وأهل اللغة [(٩)] ، والله أعلم .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٧٤) ص١٢١ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣٢٤) ، المفردات في غريب القرآن (١٥٨) ، لسان العرب (١٠٩/٥) .

(٤) **البيت لم ينسب لقائل** . وهو من شواهد المفردات في غريب القرآن (١٥٨) ، ومعجم المقاييس في اللغة (٢٢٧) مادة : جهر ، ولسان العرب (١٠٩/٥) مادة: خفت ، وخزانة الأدب (٢٦١/٦) .

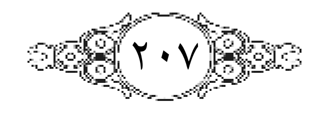
(٥) انظر : التفسير الكبير (١٠٨/٢٢) ، البحر المحيط (٣٤٣/٦) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦١/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٣٤/٧) برقم : (١٣٥٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٩٨/٥) عزوه لابن المنذر ، جميعهم بلفظ : يتسارون .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦١/١٦) .

(٨) انظر : جامع البيان (١٦١/١٦) ، الكشف والبيان (٢٦٠/٦) ، النكت والعيون (٤٢٥/٣) ، معالم التنزيل (٢٧٤/٣) ، الكشاف (٦٦٦) ، زاد المسير (٩١٨) ، التفسير الكبير (١٠٨/٢٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٢٨/٢) ، مدارك التنزيل (٧٣/٢) ، غرائب القرآن (٥٧٠/٤) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٣٧/٣) ، البحر المحيط (٣٤٣/٦) ، تفسير ابن كثير (١٨٣/٣) ، الجواهر الحسان (٣٥٩/٢) ، روح المعاني (٣٨١/١٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٥١٣) ، التحرير والتنوير (٣٠٤/١٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٥١٣).

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (١٦٣/٢) ، معاني القرآن للزجاج (٣٠٦/٣) ، المفردات في غريب القرآن (١٥٨) .



سورة الأنبياء

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء : ٧٨] [(١)].

١٢- **قال عطاء الخراساني** : سَرَحت فيه غنم القوم [(٢)].

الدراسة :

* يخبر الله تعالى عن نبيِّيه : داوود وسليمان عليهما السلام ، حين تحاكم إليهما صاحب حرث سرحت ورعت فيه غنم لآخرين فأكلَت ما في أشجاره ، فقضى فيه داود عليه السلام ، بأنَّ الغنم لصاحب الحرث ، نظراً إلى تفريط أصحابها ، فعاقبهم بهذه العقوبة ، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب ، وهو أنَّ أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرِّها وصوفها ، ويقومون على بستان صاحب الحرث ، حتى يعود إلى حاله الأولى ، فإذا عاد إلى حاله ، رجع كل منهما بماله ، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته [(٣)].

وفي القصة دليل على أنَّ القاضي المجتهد لا يؤاخذ إن أخطأ ، ويصدِّقه قوله ﷺ : « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وإذا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » [(٤)].

وهذه القضية التي تضمنتها الآية مظهر من مظاهر العدل ، ومبالغ تدقيق فقه القضاء ، والجمع بين المصالح والتفاضل بين مراتب الاجتهاد ، واختلاف طرق القضاء بالحق مع كون الحق حاصلاً للمحِق ، فمضمونها أنها الفقه في الدين الذي جاء به المرسلون من قبل [(٥)].

ونَفشَت ، أي : أرسلت بالليل فصارت ترعى بلا راع ، ومن غير علم [(٦)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ۝٧٨﴾ .

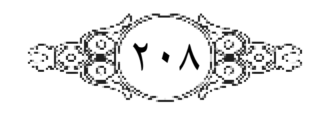
(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٥٤) ص٩٧ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تفسير الصنعاني (٢/٣٩٠) ، جامع البيان (١٦/٣٢٢) ، الدر المنثور (٥/٦٤٥) .

(٤) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٦٨٠٥) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٣٢٤٠) في كتاب الأقضية ، باب بيان الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ . كلاهما من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٥) انظر : التحرير والتنوير (١٧/١١٥-١١٦) .

(٦) انظر : لسان العرب (١٤/٣٢٣) .



الأقوال في الآية :

تنوعت عبارات المفسِّرين في معنى النفش هنا على أقوال :

القول الأول : سرحت فيه غنم القوم ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس : رعت[1]، وقول عطاء الخراساني ، وابن عباس لم يحدد وقت الرعي ، فهو عام يجوز أن يكون نهاراً أو ليلاً .

القول الثاني : النفش : الرعية تحت الليل ، قاله مسروق [2]، ومرَّة بن شراحيل [3][4]، وشريح [5]، وقتادة ، والزهري [6]، ومحمد ابن إسحاق[7][8]، وهو قول جمهور المفسِّرين [9] .

الجمع أو الترجيح :

القول الأول أعمُّ ، لأنه لم يحدد وقت سرح الغنم ، وإنما حمل المعنى على العموم ، إلاَّ أنَّ موافقة الجمهور في ذلك أولى ، خاصة إذا رجعنا إلى المعنى اللغوي نجد أنَّ أهل اللغة يخصصونها بالرعي ليلاً ، وهذا يرجِّح ما

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٧/١٦) من طريق عطاء الخراساني ، وابن أبي حاتم (٢٤٥٧/٨) برقم : (١٣٦٨٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٧/٥) عزوه لابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد (١٦٣) .

(٣) **مرة ابن شراحيل** = الهمداني السكسكي أبو إسماعيل الكوفي المعروف بمرة الطيب ، ومرة الخير ، لقب بذلك لعبادته ، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وأبي ذر وحذيفة وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وزيد بن أرقم وعلقمة بن قيس وغيرهم ، وعنه روى السدي ، والشعبي ، وعطاء بن السائب ، وغيرهم ، وهو تابعي ثقة ، كان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة ، توفي زمان الحجاج بعد الجماجم ، سنة ست وسبعين . انظر : تهذيب التهذيب (٨٠/١٠) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٤/١٦) .

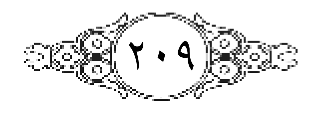
(٥) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٣٩٠/٢) ، والطبري (٣٢٤/١٦) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٣٢٥/١٦-٣٢٦) .

(٧) **محمد بن إسحاق = ابن جعفر ويقال محمد أبو بكر الصاغاني** ، خراساني الأصل ، نزل بغداد ، وكان أحد الحفاظ الرحالين ، ثبت صدوق ، كان أحد الأثبات المتقنين مع صلابة في الدين ، واشتهار بالسنة ، واتساع في الرواية ، مات سنة سبعين ومائتين . انظر : تهذيب التهذيب (٣٢/٩) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٧/١٦) .

(٩) انظر : الكشف والبيان (٢٨٥/٦) ، النكت والعيون (٤٥٦/٣) ، معالم التنزيل (٢٩٨/٣) ، الكشاف (٦٨٢)، المحرر الوجيز (١٢٨٩) ، زاد المسير (٩٣٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٥٧/٢) ، مدارك التنزيل (٩٦/٢) ، غرائب القرآن (٤٩/٥) ، التسهيل (٥٦/٣) ، تفسير ابن كثير (٢٠٦/٣) ، الجواهر الحسان (٣٨٢/٢) ، روح المعاني (١١٠/١٧) ، التحرير والتنوير (١١٦/١٧) .



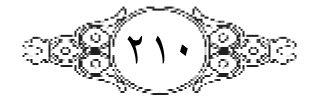
عليه جمهور المفسِّرين ، وقول عطاء الخراساني لا يمنع من حمله على هذا المحمل .

والقاعدة التفسيرية : أنه في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح دون الشاذّ والقليل [1].

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (٢١٣/١) .



سورة الحج

الموضع الأول :

* في قوله تعالى : ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج : ٥] (١) .

١٣- **قال عطاء الخراساني** : إمَّا مخلَّقة : فما قد فرغ من خلق الإنسان، وإما غير مخلَّقة : فما لم يخلَّق (٢) .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن عطاء الخراساني بقوله هذا مرحلة تخليق المضغة من مراحل خلق الإنسان ، بأنَّ المضغة المخلقة ما صار خلقاً سوياً ، وغير مخلقة ما لم يخلَّق .

الأقوال في الآية (٣) :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول من قال : أن المخلَّقة : المصوَّرة ، وغير المخلَّقة : غير مصوَّرة ، قاله الحسن(٤)، وقال ابن زيد : المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين ، وغير مخلقة : التي لم يخلق فيها شيء (٥) ، وهو قول جماعة من المفسِّرين (٦).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ .

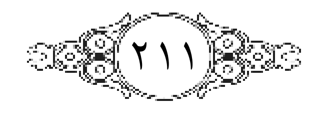
(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٧) ص١١٦، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٨/٧) ، النكت والعيون (٧/٤) ، معالم التنزيل (٣/٣٢٤-٣٢٥) ، زاد المسير (٩٤٩) .

(٤) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٢/٤٦٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩٤٩) .

(٥) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٨٣) .

(٦) انظر : التفسير الكبير (٩/٢٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٨٣) ، تفسير ابن كثير (٣/٢٢٨) ، إرشاد العقل السليم (٤/٣٦٧) ، روح المعاني (١٧/١٧٣) ، فتح القدير (٣/٥٤١) ، أضواء البيان (٥/١٦) ، المراغي (٦/١٦٨) .



القول الثاني : المخلَّقة : تامة الخلق ، وهو الذي يولَد حيّاً لتمامٍ ، وغير مخلَّقة أي غير تامة الخلق ، وهذا قول قتادة[(١)]، وجماعة من المفسِّرين [(٢)]، والجوهري من أهل اللغة [(٣)].

القول الثالث : المخلَّقة التي تمَّ خلقها ، وغير المخلَّقة هي السِّقط ، وهذا قول ابن مسعود [(٤)]، وابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، وعامر الشعبي[(٦)]، وعكرمة[(٧)]، ورجَّحه ابن جرير الطبري[(٨)].

القول الرابع : السِّقط مخلوق وغير مخلوق ، وهذا قول أبي العالية[(٩)(١٠)]، ومجاهد [(١١)].

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني (٢/٣٩٨) ، والطبري في تفسيره (١٦/٤٦٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١١) عزوه لعبد بن حميد .

(٢) انظر : بحر العلوم (٢/٤٦٨) ، الوسيط (٣/٢٥٩) ، معالم التنزيل (٣/٣٢٤) ، المحرر الوجيز (١٣٠٠) ، التسهيل (٣/٦٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٤) .

(٣) قال : المخلقة : التامة الخلق . مختار الصحاح (٧٨) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٦١) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٥) برقم : (١٣٧٨٢) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٦٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١١) عزوه لعبد بن حميد .

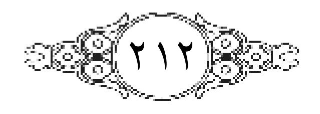
(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٥) برقم : (١٣٧٨٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٠) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) انظر : جامع البيان (١٦/٤٦٣) . وناقش الشنقيطي ترجيح الطبري فقال : (هذا القول الذي اختاره الإمام الجليل الطبري رحمه الله تعالى ، لا يظهر صوابه ، وفي نفس الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهي قوله جل وعلا في أول الآية : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنه على القول المذكور الذي اختاره الطبري يصير المعنى : ثم خلقناكم من مضغة مخلقة ، وخلقناكم من مضغة غير مخلقة . وخطاب الناس بأن الله خلق بعضهم من مضغة غير مصورة ، فيه من التناقض ، كما ترى) . انظر : أضواء البيان (٥/١٥) .

(٩) **أبو العالية** = الرياحي ، مولاهم البصري ، اسمه : رفيع بن مهران ، رأى الصديق ، وروى عن : عمر ، وروى عنه : عاصم الأحول ، وداود بن أبي هند ، قالت : حفصة بنت سيرين ، كان يقول : قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات ، ثقة كثير الإرسال ، من الثانية مات سنة تسعين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وقيل بعد ذلك . انظر : الكاشف (١/٣٩٧) ، تقريب التهذيب (٢١٠) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٦٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١١) عزوه لعبد بن حميد .

(١١) تفسير مجاهد (١٦٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٦٣) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٥) برقم : (١٣٧٨٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١١) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .



القول الخامس : يعني التام في شهوره ، وغير التام ، قاله الضحاك [1]، والفراء [2].

الجمع أو الترجيح :

الصحيح – والله أعلم – في هذه المسألة الذي دلَّ عليه القرآن ، وشهد له العلم الحديث أنَّ وصف المضغة بالمخلَّقة وغير المخلَّقة وصفان ملازمان لها، في مرحلة الخلق .

وقد فهم جمع من المفسرين هذا المعنى ، وتنوعت عباراتهم في ذلك .

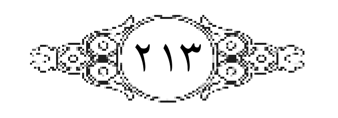
قال ابن كثير ﷺ : (مضغة قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثمَّ يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط ، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط . ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي كما تشاهدونها) [3].

وقال الألوسي ﷺ : (والمشهور المتبادر أنَّ المخلقة المستبينة الخلق ، أي مضغة مستبينة الخلق مصوَّرة ، ومضغة لم يستبن خلقها وصورتها بعد ، والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئاً) [4].

ويلاحظ من كلام المفسرين أنَّ الوصفين ملازمين للمضغة على التتابع ؛ أي أنها تكون في أول مراحلها غير مخلقة ، ثم تكون مخلقة بعد ذلك بالتدريج ، حتى يأتي عليها زمن توصف فيه بهذين الوصفين معاً ، وهي بهذا طور من أطوار الخلق .

قال الرازي ﷺ بعد ذكره أقوال المفسرين ، ومنها قولهم : من تمت فيه أحوال الخلق ومن لم تتم ، قال : (وهذا القول أقرب لأنه تعالى قال في أول الآية : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ وأشار إلى الناس ، فيجب أن تحمل مخلَّقة وغير

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٧) .
(٢) معاني القرآن للفراء (٢/١٨٥) .
(٣) تفسير ابن كثير (٣/٢٢٨) .
(٤) روح المعاني (١٧/١٧٣) .



مخلَّقة على من سيصير إنساناً ، وذلك يبعد في السِّقط ؛ لأنه قد يكون سِقطاً ولم يتكامل فيه الخلقة)[1].

وقال ابن عاشور ﵀ : (﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ، صفة (مضغة) وذلك تطور من تطورات المضغة . أشار إلى أطوار تشكل تلك المضغة ؛ فإنها في أول أمرها تكون غير مخلّقة ، أي غير ظاهر فيها شَكل الخِلقة ، ثم تكون مخلَّقة ، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف ، ولذلك لم يُذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلقة ، إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة ، وإذْ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق تعيّن أن كلا الوصفين لازِمان للمضغة ، فلا يستقيم تفسير من فسّر غير المخلقة بأنها التي لم يكمل خلقها فسقطت . والتخليق : صيغة تدل على تكرير الفعل ، أي خلقاً بعد خلق، أي شكلاً بعد شكل)[2].

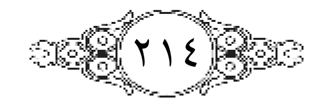
ويفهم من كلام المفسرين السابق أنَّ طور المضغة هو طور التخليق ؛ حيث تخلَّق فيه معظم الأعضاء والأجهزة بالتدريج .

والوصف بأنها مخلقة وغير مخلقة ، هما وصفان لازمان لها ، فلا يكاد يمرُّ زمن عليها ، إلا وفيها أجزاء قد خلِّقت ، وأجزاء لم تخلَّق ، حتى ينتهي طورها بإتمام اليوم الأربعين ، وذلك للبراهين التالية :

١- ذكر القرآن الكريم أنَّ المضغة ليست هي نهاية التخلُّق الكامل للجنين ، ولكن هي طور من أطوار خلقه ، تتلوها أطوار أخرى ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾

٢- حدد النبي ﷺ أنه بعد انتهاء العمر الزمني لطور الجنين في شكل المضغة ؛ بعد اليوم الثاني والأربعين ، تخلَّق أجزاء أخرى من الجنين لم تكن قد خلِّقت في فترة المضغة ، وهي العظام ، وكساؤه باللحم ، وخلق الجلد والسمع والبصر ، وخلق ما يتمايز به جنس الجنين ، وهذا يؤكد أن كل مضغة لا بد أن تكون مخلقة وغير مخلقة .

(١) التفسير الكبير (٩/٢٣) .
(٢) التحرير والتنوير (١٧/١٩٨) .



٣- يؤكـد الوصـف التـشريحي أنَّ طـور المـضغة هـو طـور تمـايز الخلايـا وتخليق الأعضاء والأجهزة ، وأنـه في نهايـة هـذا الطـور يوصـف الجـنين بـأنَّ عـدداً كبيراً من أعضاءه قد خلِّق ، ولم تخلق أعضاء وتراكيب أخرى .

وقد حددت مراجـع علـم الأجنـة مرحلـة التخليـق : مـن بدايـة الأسـبوع الرابـع وحـتى انتـهاء الأسـبوع الثـامن مـن عمـر الجـنين ، ويكـون الجـنين في نهايـة هـذه المرحلـة قـد فقـد شـكل المـضغة منـذ زمـن ، حـتى قبـل نهايـة الأربعـين يومـاً الأولى، مما يؤكد أنَّ التخليـق يمتـد إلى مـا بعـد مرحلـة المـضغة ، ويثبـت يقينـاً أنَّ طـور المـضغة هـو طـور التخليـق ، وأنَّ كـل مـضغة لا بـد أن تكـون مخلَّقـة وغـير مخلقـة ، وهــذا متوافـق ومـا ذكـره المفـسِّرون في هـذا الموضـع ، ومــن تأمَّـل الصور الحقيقية لهذا الخلق في هذه المرحلة عرف ذلك وفهمه [(١)].

وأيضاً : فهذا القول هو الذي شهد له العلـم الحـديث ، ولا تعـارض بـين العلـم والقرآن ، وقد استقرت في السنين الأخيرة حقائق جلية في علم الأجنة تؤيـد أوصـاف القرآن بدقة ، وأي فهم لهذه النصوص يتعارض مـع هـذه الحقـائق الدامغـة فهـو فهـم مردود غير مقبول ؛ اعتماداً على القاعدة الأصولية التي تحتِّم تأويل أو ردِّ أي نـص ذو دلالة ظنية في متنه ، إذا تعارض مع الدلالة القطعية لحقيقية علمية .

والمعلومات الطبية الحديثة أمر لا يجوز تجاهله في هذا المجال ، لمالها من أهمية حاسمة في التوفيق بين الأحاديث المعترضة ، وهـي معلومـات لم يعتمـدها كـثير مـن علمائنا السابقين لأنها كانت مجرد ظنون ونظريات ، ولم يـصل كـثير منـها إلى درجـة الحقائق العلمية إلا في النصف الثاني من القرن العشرين . ومن المعلوم أنَّ هنـاك فرقـا واضحا بين الحقائق العلمية ، وبين الفرضيات والنظريات ، كما أنَّ الفرق واضـح بـين النصوص الشرعية القطعية ، والنصوص الظنية .

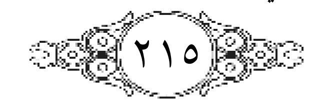
ومما لا شكَّ فيه أنَّ النصوص الشرعية القطعية من حيث الثبوت والدلالة لا يمكن أنْ تخالف الحقائق العلمية ، وهذا وجه من وجوه الإعجاز العلمي في الإسلام [(٢)].

ومما سبق يتَّضح ضعف قـول عطـاء الخراسـاني : أنَّ المخلَّقـة مـا قـد فـرغ مـن

---

(١) انظر : ملحق الصور في آخر هذا البحث ، النموذج الثاني ، الصور : (٢-٤) ص(٩٩٦) .

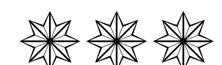
(٢) انظر : بحث علمي للوالد د/ عبد الجواد الصاوي – حفظه الله – بعنوان : أطوار الجنين ونفخ الروح . نشر في العدد الثامن من مجلة الإعجاز العلمي ، الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .



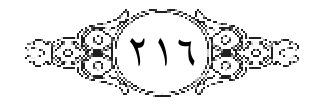
خلق الإنسان ، وغير المخلَّقة ما لم يخلَّق ، لأنه جعلهما وصفين منفكِّين عن بعضهما ، بينما الصحيح ما رُجِّح .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى ، تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات [1].

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (١/٤٣٢) .



الموضع الثاني :

* وفي قوله تعالى : ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج : ١١] [(١)].

١٤- قال عطاء الخراساني : يعبد الله على وجلٍ وشكّ [(٢)].

الدراسة :

* يخبر الله جلَّ علا أنَّ من الناس من هو ضعيف الإيمان ، لم يدخل الإيمان قلبه ، ولم تخالطه بشاشته ، فهو على طرَفه ، لا في وسطه وقلْبه ، بل دخل فيه ؛ إما خوفاً ، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن [(٣)].

الأقوال في الآية [(٤)] :

<u>القول الأول</u> : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول مجاهد [(٥)]، وقتادة [(٦)] ، والبخاري في صحيحه [(٧)]، وأكثر المفسِّرين عليه[(٨)]، وأصله من حرف الشيء وهو طرفه ، نحو : حرْف الجبل ، والحائط الذي يكون القائم عليه غير مستقر . وذلك أنَّ الذي يعبد الله على حرف يكون على طرف ووجه واحد ، وجانب في الدين ، لا في وسطه وقلبه ، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة .

والعرب تقول : أنت على حرف ، أي على شك ، وكل شاكٍّ في شيء

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٨) ص١١٦، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تفسير المراغي (١٧٢/٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٤) .

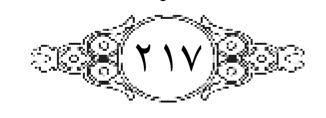
(٤) انظر : النكت والعيون (١٠/٤) ، التفسير الكبير (١٣/٢٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٨٧/٢) .

(٥) تفسير مجاهد (١٦٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٧٣/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٤/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وسعيد ابن منصور ، وابن أبي شيبة .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٩٩/٢) ، والطبري (٤٧٤/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٧٧/٨) برقم : (١٣٨٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٤/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) صحيح البخاري (١٢٣/٦) ، في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٣٦/٣) ، الكشف والبيان (٩/٧) ، تفسير السمعاني (٤٢٣/٣) ، الكشاف (٦٩١) ، التفسير الكبير (١٣/٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٨٧/٢) ، مدارك التنزيل (١٠٧/٢) ، غرائب القرآن (٦٧/٥) ، التسهيل (٦٩/٣) ، البحر المحيط (٤٣٢/٦) ، ابن كثير (٢٣١/٣) .



فهو على حرف لا يثبت ولا يدوم ، وقيل للشاك في الدين : أنه يعبد الله على حرف ، لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكُّن[1].

القول الثاني : على شرط . وذلك أنَّ شيبة ابن ربيعة قال للنبي ﷺ قبل أن يظهر أمره : أدع لي ربك أن يرزقني مالاً وإبلاً وخيلاً وولداً حتى أؤمن بك وأعدل إلى دينك ، فدعا له فرزقه الله عزَّ وجل ما تمنى ، ثمَّ أراد الله عز وجل فتنته واختباره وهو أعلم به ، فأخذ منه ما كان رزقه بعد أن أسلم فارتد عن الإسلام فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ ﴾ يريد شرط ، ذكره القرطبي[2].

القول الثالث : أنه المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه وتغيَّرت انقلب ، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر . فكأنه يعبد الله بلسانه ويعصيه بقلبه ، أو على إيمان ظاهر وكفر باطن ، وهذا قول الحسن [3]، وابن زيد[4].

قال النحَّاس ﵀ : (وحقيقته في اللغة : على حرف طريقة الدّين ، أي ليس داخلاً فيه بكلِّيته)[5].

القول الرابع : على ضعف في العبادة ، كالقائم على حرف الشيء يكون قدمه ضعيفاً غير مستقر ، وهو قول علي بن عيسى[6] [7] .

---

(١) انظر : بحر العلوم (٢/٤٧٠) ، معالم التنزيل (٣/٣٢٦) ، زاد المسير (٩٥٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٨٧) ، ولم أقف على سند لهذه القصة في سبب النزول .

(٣) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٢/٤٧٠) ، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣/٣٢٦) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٣/١٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٧٥) .

(٥) معاني القرآن (٢/٧٥٠) .

(٦) **علي بن عيسى** = المخرمي ، مولى روح بن حاتم المهلبي ، بغدادي ، روى عن حفص بن غياث ، وعبد الله بن إدريس ، ومحمد بن زياد بن الأعرابي اللغوي ، وروى عنه : عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأبو زرعة الرازي ، والبغوي ، وهو ثقة ، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . انظر : تهذيب التهذيب (٧/٣٢٣) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/٩) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٣/٤٢٣) .



الجمع أو الترجيح :

الأقوال في مجملها متقاربة ، تدلُّ على معنى واحد ، وهو أنَّ من الناس من يعبد الله على عدم يقين ، بل بشك واضطراب ، لم يستقرَّ قدمه في الدين، فهو ضعيف في العبادة ، بل ربما لا يعبد الله إلا لمصلحة يريدها في حياته من رزق أو توفيق ، وهو حال قريب من حال المنافقين .

وقد جاءت بقية الآية مفسِّرة حيث قال الله تعالى فيها : ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾.

ويؤيِّد هذا المعنى أيضاً ويوضِّحه حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ الْمَدِينَةَ فَإِنْ وَلَدَتْ امْرَأَتُهُ غُلاماً وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ قَالَ : هَذَا دِينٌ صَالِحٌ ، وَإِنْ لَمْ تَلِدْ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ قَالَ : هَذَا دِينُ سُوءٍ [(١)].

واختلاف المفسِّرين وإن كان اختلاف تنوع ، إلاَّ أنَّ عبارة عطاء الخراساني في تفسير الحرف أنه على وجل وشك ، هي الأقرب للغة .

قال ابن عاشور رحمه الله : (وقوله تعالى : ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ تمثيل لحال المتردد في عمله ، يريد تجربة عاقبته بحال من يمشي على حرف جَبَل أو حرف وادٍ فهو متهيِّئ لأن يزِلَّ عنه إلى أسفله فينقلب ، أي ينكَبّ) [(٢)].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [(٣)].

وأيضاً : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٤)]. والله أعلم ..

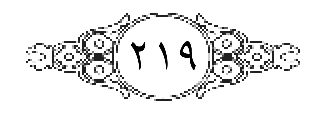
---

(١) **صحيح** . أخرجه عنه البخاري في صحيحه برقم : (٤٧٤٢) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ .

(٢) التحرير والتنوير (١٧/٢١٢) .

(٣) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٤) المصدر السابق (١/٢٣٢) .



الموضع الثالث :

* وفي قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج : ١٥] [١].

١٥- قال عطاء الخراساني : فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ [٢].

الدراسة :

* في هذه الآية يقول تعالى للحاقدين على النبي ﷺ ودعوته ، والساعين في إطفاء دينه المحاربين له : من كان منكم يظنُّ أنَّ الله لن ينصر محمَّداً بالغلَبة حتى يُظهِر دين الله ؛ فليجعل في سماء بيته حبلاً ثمَّ ليختنق به ؛ فذلك قوله : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ اختناقاً ، وفي قراءة عبد الله : ﴿ ثمَّ لِيَقْطَعْه ﴾ يعني السبب ، وهو الحبل . يقول : ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ إذا فعل ذلك غيظه .

وفي هذه الآية استهزاء بهم وبعقولهم ، وبيان أنَّ النصر من الله ، فلن يستطيع أحد مهما كان أن يمنعه عن نبيه ﷺ [٣].

الأقوال في الآية [٤] :

<u>**القول الأول**</u> : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، وقتادة [٦].

<u>**القول الثاني**</u> : المعنى : هل يذهب الكيد منه ما يغيظه من نزول الوحي ، ومن شأن محمد ﷺ ، وهذا قول ابن زيد [٧]، والسدي [٨]، والزمخشري [٩].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير (٣/٢٣٢) في تفسيره .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢/١٨٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٥) .

(٤) النكت والعيون (٤/١٢) .

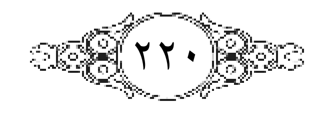
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٨١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٥) عزوه لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٩٩) ، والطبري (١٦/٤٧٩) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٧٩) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٧٨) برقم : (١٣٨٠٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٨) ذكره عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٢٣٢) .

(٩) الكشاف (٦٩١) .



القـول الثالـث : فلينظـر هـل يـذهب ذلـك بغيظـه مـن ألا يرزقـه الله تعـالى ، وهـذا قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهما في روايـة عنـه [(١)]، ومجاهـد [(٢)]، وهـو مـبني علـى تفسير النَّصر بالرِّزق ، وقد ضعَّفه بعض أهل العلم لمخالفته السياق [(٣)].

القـول الرابـع : فلينظـر هـل يـذهب ذلـك بغيظـه مـن ألا ينـصره الله ، وهـو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)].

قـال الـشنقيطي رحمه الله : (وحاصـل هـذا القـول : أنَّ الله يقـول لحاسـديه ﷺ الـذين يتربـصون بـه الـدوائر ، ويظنـون أنَّ ربـه لـن ينـصره : موتـوا بغـيظكم ، فهـو ناصره لا محالة علـى رغـم أنـوفكم ، وممـن قـال بهـذا القـول : مجاهـد ، وقتـادة، وعكرمة ، وعطـاء ، وأبـو الجـوزاء ، وغيرهـم . كمـا نقلـه عنـهم ابـن كـثير ، وهـو أظهرهـا عنـدي . وممـا يـشهد لهـذا المعـنى مـن القـرآن : قولـه تعـالى : ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران : ١١٩]) [(٥)].

القول الخامس : فلينظر هل يغيظ ذلك إلا نفسه ، وهو قول الضَّحاك [(٦)].

وقـد اختلفـوا في معـنى (مـا) فقيـل : (مـا) بمعـنى الـذي ، أي : هـل يـذهبن كيـده الـذي يغيظـه ، فحـذف الهـاء ليكـون أخـف ، وقيـل : (مـا) بمعـنى المـصدر أي هل يذهبن كيده غيظه [(٧)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها متقاربة ، والاختلاف فيها اختلاف تنوّع لا تضادّ .

وخلاصـة القـول : أنَّ قـول عطـاء الخراسـاني هنـا هـو قـول عـام ، يـدخل فيـه جميـع مـا ذكـره المفسِّرون مـن معـاني ، وسـواء كـان المقـصود مـن الغـيظ هـو

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٤٨٢) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٩/١٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٥) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

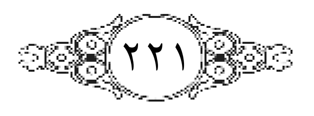
(٣) ممن ضعَّف ذلك محمود بن أبي الحسن النيسابوري في كتابه : باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (٣/٩٤٦) .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٧٨) برقم : (١٣٨٠٤) .

(٥) أضواء البيان (٥/٣٢) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٦) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٨٩) .



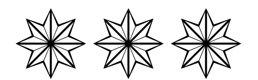
بسبب نزول الوحي على النبي ﷺ ، أو بسبب الرزق أو النصر ، والأولى حمله على العموم ليدخل فيه كلُّ غيظ .

وحاصل المعنى : أنَّ الله سبحانه يتحدَّى أولئك الطاعنين في النبي ﷺ ، والحاقدين على دعوته ، الراغبين في إطفاء دينه ، والمحاربين له ، بهذا المثل العجيب .

قال الرازي رحمه الله : (واعلم أنَّ المقصد على كل هذه الوجوه معلوم ، فإنه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه ، وهو في معنى قوله : ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام : ٣٥] مبيِّناً بذلك أنه لا حيلة له في الآيات التي اقترحوها)[١].

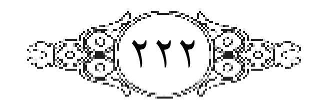
والقاعدة التفسيرية : أنَّ الخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه [٢].

والله أعلم ..



(١) التفسير الكبير (١٦/٢٣) .

(٢) قواعد التفسير (٥٩٩/٢) .



الموضع الرابع :

* في قوله تعالى : ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحج : ٢٠].

١٦- **قال عطاء الخراساني** : يذاب له ما في بطونهم كما يذاب الشَّحم[١].

الدراسة :

* في هذه الآية يخبر الله تعالى عن شيء من عذاب أهل النار ، أنهم قطِّعت لهم ثياب من نار ، ويصبُّ على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار المغلي، حتى يكون تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر ، فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم ، كما يذيب جلودهم [٢].

الأقوال في الآية [٣] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وسعيد بن جبير [٥]، ومجاهد [٦]، وقتادة [٧]، والفراء[٨]، والنحاس [٩]، وهو قول الطبري [١٠]، وجمهور المفسرين[١١].

---

(١) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٩) ص١١٦ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) . وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٨٢/٨) برقم : (١٣٨٢٧)، وابن رجب في التخويف من النار (١٤٤) .

(٢) انظر : التفسير الكبير (٢١/٢٣) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٤/٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٩٧/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١/٦) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٤٨١/٨) برقم : (١٣٨٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وأبو نعيم في الحلية .

(٦) تفسير مجاهد (١٦٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٩٦/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٨٢/٨) برقم : (١٣٨٢٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٢/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٠/٢) ، والطبري في تفسيره (٤٩٧/١٦) .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء (١٨٩/٢) .

(٩) معاني القرآن للنحاس (٧٥٣/٢) .

(١٠) جامع البيان (٤٩٦/١٦) .

(١١) انظر : بحر العلوم (٤٧٤/٢) ، الكشف والبيان (١٤/٧) ، معالم التنزيل (٣٣٠/٣) ، الكشاف (٦٩٢) ، المحرر الوجيز (١٣٠٥) ، التفسير الكبير (٢١/٢٣) ، القرطبي (٢٠٩١/٢) ، أنوار التنزيل (٦٨/٤) ، مدارك التنزيل (١١٠/٢) ، غرائب القرآن (٧١/٥) ، التسهيل (٧٣/٣) ، البحر المحيط (٤٣٧/٦) ، تفسير



القول الثاني : يحرق به ، وهو قول يحيى بن سلام [1][2].

القول الثالث : يقطع به ، وهو قول الحسن [3].

القول الرابع : ينضج به ، وهو قول الكلبي [4].

القول الخامس : يعصر به ، وهذا القول حكاه ابن عطية [5].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والقول الأول هو ما عليه عامة المفسِّرين ، وهو الذي تشهد له السنة أيضاً .

فعن أبي هريرة ﷺ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ؛ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَهُوَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » [6] .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال ؛ فهو مرجِّح له على ما خالفه [7].

وهو أيضاً ما تشهد له لغة العرب .

قال الراغب ﵀ : (فالصَّهر إذابة الشَّحم ، والصهارة ما ذاب منه ، وقال أعرابي : لأصهرنك بيميني مرة ، أي لأذيبنك) [8].

ابن كثير (٣/٢٣٤)، الجواهر الحسان (٢/٣٩٨) ، إرشاد العقل السليم (٤/٣٧٥) ، روح المعاني (١٧/١٩٩) .

(١) **يحيى بن سلام البصري** = نزل مصر ، روى عن : شعبة وسفيان والمسعودي وفطر وأبى الأشهب وسعيد بن عبد العزيز وابن لهيعة ، وروى عنه : حمد بن عبد الله بن عبد الحكم وبحر بن نصر ، كان شيخا بصريا وقع إلى مصر وهو صدوق . انظر : الجرح والتعديل (٩/١٥٥) .

(٢) ذكره عنه أبو حيان في البحر المحيط (٦/٤٣٨) ، والألوسي في روح المعاني (١٧/٢٠٠) .

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/١٤) .

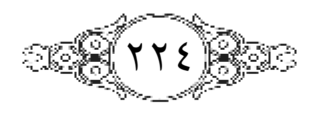
(٤) ذكره ابن عطية في المحرر (١٣٠٥) ، وابن جزي في التسهيل (٣/٧٣) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢/٣٩٨) ، والألوسي في روح المعاني (١٧/٢٠٠) .

(٥) المحرر الوجيز (١٣٠٥) .

(٦) **صحيح** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (٢٥٨٢) في كتاب صفة جهنَّم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٧٠) .

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦) .

(٨) المفردات في غريب القرآن (٢٩١) .



ومنه قول ابن أحمر [(١)]:

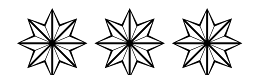
تَـــرَوَّيْ لَقِـــي أَلْقَـــى فِـــيْ صَفْـــصَفٍ   تَـــصْهَرُهُ الْـــشَّمْسُ فَمَـــا يَنْـــصَهِرْ

أي تذيبه الشمس ، فيصبر على ذلك ، ولا يذوب .

والقاعـدة الأخـرى : أنـه في تفـسير القـرآن بمقتـضى اللغـة يراعـى المعـنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح دون الشاذ والقليل [(٢)].

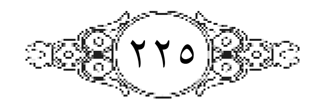
وبهذا يتضح المقصود .

والله أعلم ..



(١) **البيت لعمرو بن أحمر الباهلي** ، انظر ديوانه ص(٦٨) ، وهو هنا يصف فرخ قطاة ، وهو من شواهد : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٩١) ، لسان العرب (٨/٢٩٧) مادة : صهر .

(٢) قواعد التفسير (١/٢١٣) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله عز وجل : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج : ٢٧] [(١)].

١٧- **قال عطاء الخراساني** : الإبل والدواب [(٢)].

الدراسة :

* في هذه الآية يأمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، أي: أعلِمْهم به ، وادعهم إليه ، وبلغ دانيهم وقاصيهم فرْض الحج وفضيلته ، فإنك إذا دعوتهم أتوك مشاة على أرجلهم من الشوق ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي : ناقة ضامر ، تقطع المهامه والمفاوز ، وتواصل السير ، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن [(٣)(٤)].

الأقوال في الآية [(٥)] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، فيشمل الدواب كلها ، وهو بنحو قول قتادة [(٦)]، واختاره السمرقندي [(٧)]، وابن جزيّ من المفسرين [(٨)]، ورجَّحه ابن عطية [(٩)].

القول الثاني : أنها الإبل ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(١٠)]، أنَّ الضامر هو كل بعير مهزول أتعبه بُعد الشقة فهزَلَه أو زاد هزاله ، وبنحوه قال جمهور المفسِّرين [(١١)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٠) ص١١٧ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٥٣٧) .

(٤) **فائدة** : قال مجاهد: في الآية رخصة بالركوب والمتجر . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٩/١٦) .

(٥) المحرر الوجيز (١٣٠٨-١٣٠٩) ، الجواهر الحسان (٤٠٠/٢) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٤٨٨/٨) برقم : (١٣٨٨٦) ولفظه : ما تبلغه المطي حتى تضمر .

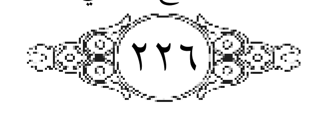
(٧) بحر العلوم (٤٧٦/٢) .

(٨) التسهيل (٧٥/٣) .

(٩) المحرر الوجيز (١٣٠٩) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٩/١٦) .

(١١) انظر : جامع البيان (٥١٤/١٦) ، الكشف والبيان (١٨/٧) ، النكت والعيون (١٨/٤) ، معالم التنزيل (٣٣٥/٣)، زاد المسير (٩٥٥) ، التفسير الكبير (٢٦/٢٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٩٧/٢) ، مدارك التنزيل (١١١/٢) ، غرائب القرآن (٧٧/٥) ، روح المعاني (٢١٣/١٧) .



الجمع أو الترجيح :

من المعلوم أنَّ الرُّكوب للحج كان في الأزمان السالفة على الإبل والخيل وغيرها من الدواب ، ومن فسَّر الضامر بالإبل فقط عبَّر بالذي يغلب استعماله في الأسفار في ذلك الوقت ، وهي الإبل ، ولا يراد من ذلك منع دخول غيره فيه ، وقول عطاء الخراساني هنا يدخل فيه قول غيره ، وهو من قبيل التفسير بالمثال .

وعليه فليس في المعنى خلاف يرجَّح فيه بين قولين ، وإنما هو معنى واحد ، اختلفت عبارة المفسِّرين في التعبير عنه .

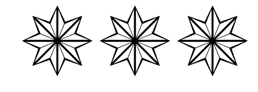
قال الراغب رحمه الله : (الضَّامر : من الفرس الخفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال) [1].

فذكره للفرس ، يدلّ على عدم حصر الضامر بالإبل فقط .

وقال ابن عاشور رحمه الله : (والضامر : قليل لحم البطن . يقال : ضمر ضمُوراً فهو ضامر ، وناقة ضامر أيضاً . والضمور من محاسن الرواحل والخيلِ لأنه يعينها على السير والحركة . فالضامر هنا بمنزلة الاسم كأنه قال : وعلى كلّ راحلة . وكلمة (كُلّ) من قوله : ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ مستعملة في الكثرة ، أي وعلى رواحل كثيرة . وكلمة (كلّ) أصلها الدلالة على استغراق جنس ما تضاف إليه ويكثر استعمالها في معنى كثير مما تضاف إليه كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٢٣] ، أي من أكثر الأشياء التي يؤتاها أهل الملك) [2].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه [3].

والله أعلم ،،

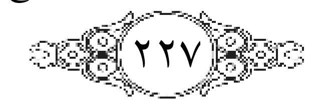


---

(١) المفردات في غريب القرآن (٣٠٢) .

(٢) التحرير والتنوير (١٧/٢٤٤) .

(٣) قواعد التفسير (٢/٥٩٩) ، وذكر القاعدة هنا ليس من باب الترجيح ، وإنما هو منهج التفسير .



الموضع السادس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[الحج : ٢٨][1] .

١٨- **قال عطاء الخراساني** : الأيام المعلومات أيام العشر[2] .

١٩- **وقال أيضاً** : هي أيام التشريق[3] .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله لعباده أنَّ من الأعمال الفاضلة في الحجِّ أن يذكروا اسم الله في أيام معلومات ، على الخير الذي رزقهم ، وعلى أن يسَّر لهم من بهيمة الأنعام ما يتقرَّبون به إليه سبحانه وتعالى في هذه الأيام بالهدي والأضاحي ، وفائدة قوله : ﴿مَّعْلُومَٰتٍ﴾التحريض على هذه الأيام ، وعلى اغتنام فضلها ، وأنها ليست كغيرها ، فكأنه قال : هي مخصوصات فلتغتنم[4].

الأقوال في الآية [5] :

وقد اختلف العلماء بالمقصود بالأيام المعلومات على أقوال ، أشهرها :

القول الأول : قول المسألة الأول ، المروي عن عطاء الخراساني ، أنها أيام العشر من ذي الحجة ، وهو قول رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[6]، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والحسن [7]، وقتادة [8]، وعكرمة ، وإبراهيم ، والضحاك ، وهو قول أهل الكوفة ، ومذهب الشافعي[9]، وأبو حنيفة [10]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٢٣٩) .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٩٥٦) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز (١٣٠٩) .

(٥) انظر : النكت والعيون (٤/١٩) ، زاد المسير (٩٥٥-٩٥٦) ، التفسير الكبير (٢٣/٢٧) ، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤/٢٢٥) ، أضواء البيان (٥/٣٤٠-٣٤٤) .

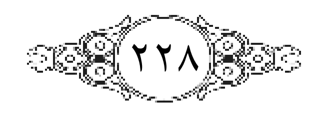
(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٨٩) برقم : (١٣٨٩٢) .

(٧) عزاه عنهم السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٠٥) ، والطبري (١٦/٥٢٣) .

(٩) انظر : المجموع (٨/٢٧٤) ، إعانة الطالبين (١/٢٦٢) ، مغني المحتاج (١/٥٠٦) ، نهاية المحتاج (٣/٣١٠) .

(١٠) بدائع الصنائع (١/١٩٦) .



والمشهور عن الإمام أحمد [١]، وهو قول النووي [٢]، وابن قدامة [٣]، واختيار شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله [٤]، والذي عليه جمهور المفسِّرين [٥].

القول الثاني : أنها أيام التشريق الثلاثة ، وهو أحد القولين عن عطاء الخراساني ، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو قول الضحاك [٦].

القول الثالث : يوم النحر ويومان بعده ، وهو قول عمر ، وعلي ، وابن عمر [٧]، وابن عباس ، وأنس ، وأبو هريرة رضي الله عنهم [٨]، ومقاتل بن سليمان [٩]، وبه قال الإمام مالك ، وعليه عمل أهل المدينة [١٠]، وهو اختيار ابن عبد البر [١١].

القول الرابع : يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، وهو قول علي [١٢]، ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [١٣]، ورواه نافع عن ابن عمر ، وهو قول أبي يوسف [١٤]، ومحمد بن الحسن ، واختيار أبي مسلم ، وإبراهيم النخعي ، والإمام أحمد في رواية عنه [١٥]، ورجَّحه القرطبي [١٦]،

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٢٥/٢٤) .

(٢) المجموع (٢٧٣/٨) .

(٣) المغني (٤٢٠/١) .

(٤) انظر : أحكام من القرآن الكريم (٤٦/٢) .

(٥) انظر : الكشف والبيان (١٩/٧) ، معالم التنزيل (٣٣٥/٣) ، الكشاف (٦٩٤) ، التفسير الكبير (٢٧/٢٣) ، مدارك التنزيل (١١٢/٢) ، غرائب القرآن (٧٦/٥) ، البحر المحيط (٤٤٣/٦) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٢٢/١٦-٥٢٣) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٨٩/٨) برقم : (١٣٨٩٤) .

(٨) انظر : معاني القرآن للنحاس (٧٥٧/٢) ، بحر العلوم (٤٧٧/٢) ، التسهيل (٧٥/٣) ، الجواهر الحسان (٤٠١/٢).

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان (١٠٧/١) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للنحاس (٧٥٧/٢) ، بحر العلوم (٤٧٧/٢) ، التسهيل (٧٥/٣) ، الجواهر الحسان (٤٠١/٢) ، الفواكه الدواني (٢٧٤/١) .

(١١) الاستذكار (٢٤٤/٥) .

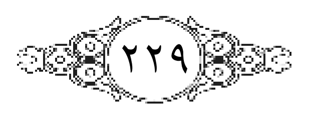
(١٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٦) لابن المنذر .

(١٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٨٩/٨) برقم : (١٣٨٩٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٤) ذكره عنهما الجصاص في أحكام القرآن (٣٤٥/٣) .

(١٥) انظر : التفسير الكبير (٢٧/٢٣) ، تفسير ابن كثير (٢٤٠/٣) .

(١٦) الجامع لأحكام القرآن (٤٣١/١) .



والشنقيطي [(١)]، واستدلوا بقول النبي ﷺ : «كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ » [(٢)].

قال ابن قدامة رحمه الله : (وهذا القول نصَّ عليه أحمد وقال : وهو عن غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورواه الأثرم عن ابن عمر وابن عباس، وبه قال مالك والثوري ، ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : أيام النحر : يوم الأضحى ، وثلاثة أيام بعده . وبه قال الحسن ، وعطاء ، والأوزاعي ، والشافعي ، وابن المنذر[(٣)]) [(٤)].

وقد ذهب جماعة من العلماء منهم ابن حزم رحمه الله إلى أنه لا فرق بين الأيام المعدودات ، والأيام المعلومات [(٥)].

الجمع أو الترجيح :

الظاهر - والله أعلم - ؛ أنَّ القول الراجح في المسألة يدور بين القولين ؛ الثالث والرابع ، أنها يوم النحر وما بعده ، سواء كانت يومين أو ثلاثة ، وأنَّ المعوَّل على هذين القولين دون غيرهما ، لأنهما مرويان عن الصحابة .

والقاعدة التفسيرية : قول الصحابي مقدَّم على غيره في التفسير ، وإن كان ظاهر السياق يدلُّ عليه [(٦)].

قال القرطبي رحمه الله : (وهذان القولان مرويان عن الصحابة ، فلا معنى للاشتغال بما خالفهما ، لأنَّ ما خالفهما لا أصل له في السنة ، ولا في قول

---

(١) أضواء البيان (٥/٤٤٣) .

(٢) **صحيح** . أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣٠٩) ، وقال عنه ابن عبد البر في التمهيد (١٢/١٣١) : في إسناده اضطراب . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٣٧) ، وقال عنه في السلسلة الصحيحة (٢٤٧٦) : لا ينزل عن درجة الحسن .

(٣) **ابن المنذر** = الحافظ العلامة الفقيه الأوحد ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، شيخ الحرم وصاحب الكتب التي لم يصنف مثلها ككتاب المبسوط في الفقه وكتاب الأشراف في اختلاف العلماء وكتاب الإجماع ، وغير ذلك ، وكان غاية في معرفة الاختلاف والدليل ، وكان مجتهداً لا يقلد أحداً ، سمع خلقاً كثيراً ، مات بمكة سنة تسع أو عشر وثلاث مائة ، وصنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف أحد مثلها ، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف . انظر : تذكرة الحفاظ (٣/٧٨٢) .

(٤) المغني (١/٧٤١) .

(٥) المحلى (٧/٢٧٥) .

(٦) قواعد التفسير (١/١٨٦) .



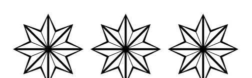
الصحابة ، وما خرج عن هذين فمتروك لهما) [(١)].

وتابعه الشنقيطي رحمه الله على ذلك فقال : (تفسير الأيام المعلومات في آية الحج هذه : بأنها العشر الأول من ذي الحجة إلى آخر يوم النحر ، لا شك في عدم صحته ، وإن قال به من أجلاء العلماء ، وبعض أجلاء الصحابة من ذكرنا) ، ثمَّ فصَّل القول في مناقشة الأقوال الأخرى إلى أن قال : (والتحقيق إن شاء الله في هذه المسألة : أنَّ الأيام المعلومات : هي : أيام النحر ، فيدخل فيها يوم النحر واليومان بعده ، والخلاف في الثالث عشر ، هل هو منها كما مر تفصيله ، وقد رجح بعض أهل العلم أن الثالث عشر منها . ورجح بعضهم: أنه ليس منها .

ومما يوضح أنَّ الأيام المعلومات ، هي : أيام النحر ، سواء قلنا إنها ثلاثة، أو أربعة : أنَّ الله نص على أنها هي التي يذكر فيها اسم الله : أي عند التذكية ، على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) [(٢)].

وقولا عطاء الخراساني مرجوحان في المسألة .

والله أعلم ..



(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٩٩) .

(٢) أضواء البيان (٥/٣٤٠-٣٤٤) بتصرف .



الموضع السابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿لِيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ [الحج : ٢٩] [١] .

٢٠- **قال عطاء الخراساني** : التَّفث : تفث الحج ؛ حلق الرأس ، ورمي الجمار ، ونحو ذلك [٢] .

الدراسة :

* التفث في المناسك – عند أهل اللغة – : ما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق الرأس والعانة ورمي الجمار ونحر البدن ، ونحو ذلك مما شأنه أن يزال عن البدن [٣] . تقول العرب للرجل تستقذره : ما أتفثك ، أي : ما أوسخك ! وأقذرك ! ، ومنه قول أمية بن أبي الصّلت :

حَفَّوْا رُؤُسَهُمُ لَمْ يَحْلِقُوا تَفَثاً ... وَيَنْزِعُوا عَنْهُمُ قَمْلاً وَصِئْبَانَا [٤]

وكذلك هو عند جميع أهل التفسير ، أي الخروج من الإحرام إلى الحل ، ولا يعرفه أهل اللغة إلا من التفسير ، كما قاله النحاس [٥] ، والزجاج [٦] .

الأقوال في الآية [٧] :

القول الأول : قول المسألة ، الذي اختاره عطاء الخراساني ، وهو بنحو

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥١) ص١١٧، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٨٢) ، لسان العرب (٢/٢٢٧) .

(٤) **البيت لأمية بن الصلت** ، انظر ديوانه ص١٣٦ ، وفي بعض الروايات للبيت :

شاحين آباطهم لم ينزعوا تفثاً ... وينزعوا عنهم قملاً وصئباناً

والتفث هو الشعث ، والبيت من شواهد : الكشف والبيان (٧/٢٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٢)، التحرير والتنوير (١٧/٢٤٩) ، أضواء البيان (٥/٢٧٨) ، قال في أضواء البيان : والظاهر أن قوله : ساخين آباطهم .. البيت، من قولهم سخا يسخو سخواً إذا سكن من حركته ، يعني: أنهم ساكنون عن الحركة إلى آباطهم بالحلق ، بدليل قوله بعده :

..............لم يقذفوا تفثاً ... وينزعوا عنهم قملاً وصئباناً

وقال ابن عاشور : (ويحتمل أنَّ البيت مصنوع ، لأنَّ أئمة اللغة قالوا: لم يجيء في معنى التفث شِعر يحتج به) . انظر : التحرير والتنوير (١٧/٢٤٩) .

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/٣٤٤) .

(٦) معاني القرآن للنحاس (٢/٧٥٨) .

(٧) النكت والعيون (٤/٢٠) .



قول ابن عباس رضي الله عنهما [1]، ومجاهد [2]، وعكرمة [3]، ومحمد بن كعب [4]، وعطاء بن السائب ، وابن جريج [5]، والفراء [6].

القول الثاني : حلْق الرأس ، وهو قول قتادة [7]، والضحاك ، والحسن [8].

القول الثالث : مناسك الحج كلها ، وهو قول ابن عباس [9]، وابن عمر رضي الله عنهما [10].

القول الرابع : تفثهم : حرْمهم [11]، وهو قول ابن زيد [12].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، وإذا تأملنا أقوال العلماء في المسألة نجد أنها تدور حول التحلل من الإحرام ؛ فمنهم من خصص التَّفث بالحلق فقط ، ومنهم من اختار أنّ المقصود القضاء من مناسك الحج كلها ، وفي الجملة كلها أقوال تدور حول معنى التحلل من الإحرام .

قال القرطبي رحمه الله : (وأما حقيقته الشرعية : فإذا نحر الحاج أو المعتمر هديه، وحلق رأسه ، وأزال وسخه ، وتطهَّر وتنقَّى ولبس ؛ فقد أزال تفثه

(١) أخرجه عنه الطبري (٥٢٦/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٨٩/٨) برقم : (١٣٩٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠/٦) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد (١٦٨) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٥/٢) ، والطبري (٥٢٧/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٩٠/٨) برقم : (١٣٩٠٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٢٦/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٢٦/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠/٦) عزوه لابن أبي شيبة .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٢٧/١٦) .

(٦) معاني القرآن للفراء (١٩٢/٢) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٥/٢) .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٢٧/١٦) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٢٨/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٨٩/٨) برقم : (١٣٨٩٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٩/٦-٤٠) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٢٦/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٩/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١١) **الحرْم** : هو الإحرام . انظر القاموس المحيط ح ر م .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٢٨/١٦) .



ووفَّى نذره) [1].

وقال السعدي ﷺ : (ثمَّ يقضوا نُسُكهم ، ويزيلوا الوسخ والأذى ، الذي لحقهم في حال الإحرام) [2].

وعليه فقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح ، الذي عليه جمهور المفسِّرين [3]، وحكى بعضهم الإجماع عليه [4]، والأقوال الأخرى داخلة فيه . والقاعدة التفسيرية : أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [5].

قال ابن الجوزي ﷺ : (والقول الأول أصح ، لأنَّ التفث : الوسخ ، والقذارة : من طول الشعر والأظفار والشعث . وقضاؤه : نقضه ، وإِذهابه ، والحاج مغبَّر شعث لم يدَّهن ، ولم يستحدَّ ، فإذا قضى نسكه ، وخرج من إِحرامه بالحلق ، والقلْم ، وقصِّ الأظفار ، ولبس الثياب ، ونحو ذلك ، فهذا قضاء تفثه) [6].

ويمكن أن يقال : إنَّ التفث أوسع وأعمّ من كونه إزالة وسخ أو ظفر أو شعر ، بل هو عمل من أعمال الحج ، يتمثَّل في التحلل من الإحرام [7].

قال ابن عاشور ﷺ : (وعندي أنَّ فعل ﴿لْيَقْضُواْ﴾ ينادي على أنَّ التفث عمل من أعمال الحج ، وليس وسخاً ولا ظفراً ولا شعراً) [8]. والله أعلم ..

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٢) .

(٢) تيسير الكريم المنان (٥٣٧) .

(٣) انظر : معالم التنزيل (٣/٣٣٦) ، الكشاف (٦٩٤) ، المحرر الوجيز (١٣١٠) ، التفسير الكبير (٢٣/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٢) ، مدارك التنزيل (٢/١١٣) ، التسهيل (٣/٧٦) ، البحر المحيط (٦/٤٤٣) ، تفسير ابن كثير (٣/٢٤٠) ، الجواهر الحسان (٢/٤٠١) ، روح المعاني (١٧/٢١٧) ، فتح القدير (٣/٥٥٧) ، تفسير المراغي (٦/١٨٠) .

(٤) انظر : غرائب القرآن (٥/٧٨) .

(٥) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٦) زاد المسير (٩٥٦) .

(٧) واختار هذا القول : السمرقندي في بحر العلوم (٢/٤٧٧) ، والثعلبي في الكشف والبيان (٧/٢١) .

(٨) التحرير والتنوير (١٧/٢٤٩) .



الموضع الثامن :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج : ٣٣] (١) .

٢١- **قال عطاء الخراساني** : الأجل المسمى إذا قلِّدت البُدْن (٢) .

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني في هذا القول : أنَّ الأجل المسمَّى الذي حدده الله لنهاية الانتفاع بالبدْن إذا قلِّدت فصارت هدياً ، يعني حددت وخصصت بذلك ، فإنه تُمنَع الاستفادة منها بعد ذلك ، سواءً بالركوب أو اللَّبن .

الأقوال في الآية(٣) :

الخلاف هنا مبني على الخلاف في المقصود بالشعائر في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [الحج : ٣٢] وقد اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنَّ المقصود بالشعائر البُدْن ، وسمِّيت بذلك لأنها تُشْعَر ، أي : تدمى بشعيرة ، أي حديدة يشعر بها (٤)، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما (٥).

القول الثاني : أنَّ الشعائر هي مناسك الحج .

القول الثالث : أنَّ الشعائر هي الدين .

- وعليه فاختلفوا في تحديد الأجل المسمى على أقوال :

القول الأول : أنَّ المنافع : الركوب والدرُّ والنسل ، وهذا قول من تأوَّلها بأنها الهَدْي ، وعلى هذا في معنى الأجل المسمى قولان :

أحدهما : أن لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم إلى أن تسموها ضحية وهدياً ،

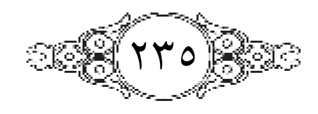
(١) الآية بتمامها : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٢) ص١١٧ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٢٤٣) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٤/٢٤) ، المحرر الوجيز (١٣١١) ، زاد المسير (٩٥٧) ، التفسير الكبير (٢٣/٣١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٥) ، البحر المحيط (٦/٤٤٨) ، ابن كثير (٣/٢٤٣-٢٤٤) .

(٤) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٦٥) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٩٢) برقم : (١٣٩٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر .



فإذا فعلتم ذلك فليس لكم أن تنتفعوا بها ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [1] ، ومجاهد[2] ، وعطاء ، والضحاك ، وابن أبي نجيح [3]، وقتادة[4]، وهو قول المسألة عن عطاء الخراساني ، وبه قال جماعة من المفسِّرين [5].

الثاني : أنَّ لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم مع تسميتها هدياً ؛ إلى أن تنحروها . وهذه هي الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما[6] ، وقول عطاء بن أبي رباح [7]، وهو اختيار الشافعي [8]، وقول جمهور المفسِّرين [9].

القول الثاني : أن المنافع التجارة ، والأجل المسمى الرجوع من الحج ، وهذا قول من تأول الشعائر بأنها مناسك الحج ، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[10]، وقاله محمد بن أبي موسى [11][12].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٤٢) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٢) برقم : (١٣٩٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد (١٦٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٤٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

(٣) **ابن أبي نجيح** = هو عبد الله بن أبي نجيح ، يسار المكي ، أبو يسار الثقفي ، مولاهم ثقة رمي بالقدر وربما دلس ، روى عن : أبيه ، وطاوس ، ومجاهد ، وروى عنه : شعبة ، وابن علية ، من السادسة ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر : الكاشف (١/٦٠٣) ، تقريب التهذيب (٣٢٦) .

(٤) أخرجه عنهم جميعاً الطبري في تفسيره (١٦/٥٤٤) ، وأخرج ابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٢) برقم : (١٣٩٢٣) عن الضحاك وعطاء .

(٥) انظر : بحر العلوم (٢/٤٧٩) ، الكشف والبيان (٧/٢٢) ، معالم التنزيل (٣/٣٣٩) ، الجواهر الحسان (٢/٤٠٣) ، روح المعاني (١٧/٢٢٦) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٩٢) برقم : (١٣٩٢٢) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٤٥) .

(٨) المجموع (٨/٢٥٦) .

(٩) انظر : نكت القرآن الدالة على البيان (٢/٣١٦) ، الكشاف (٦٩٥) ، أنوار التنزيل (٤/٧١) ، مدارك التنزيل (٢/١١٥) ، غرائب القرآن (٥/٨٠) ، التسهيل (٣/٧٧) ، فتح القدير (٣/٥٦٠) ، التحرير والتنوير (١٧/٢٥٨) ، تفسير المراغي (٦/١٨٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٤٦) .

(١١) **محمد بن أبي موسى** = روى عن زياد عن أبي قاله بن إدريس عن داود بن أبي هند ، وقال الحميدي : ثنا سفيان عن أبي سعد عن محمد بن أبي موسى عن ابن عباس . انظر : التاريخ الكبير (١/٢٣٦) ، رجال تفسير الطبري (٥١١) .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٤٦) .



القول الثالث : أن المنافع الأجر ، والأجل المسمى القيامة ، وهذا تأويل من تأولها بأنها الدين .

الجمع أو الترجيح :

الراجح – والله أعلم – في معنى الشعائر : القول الأول ؛ أنها البُدْن والهدي ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ أي في الشعائر ، ولا تسمَّى شعائر قبل أن تسمى هدياً .

قال الرازي ﵀ : (لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدي الذي فيه منافع إلى وقت النحر ، وهو قول جمهور المفسرين [1]، ولا شك أنه أقرب[2]).

والرَّاجح في الأجل المسمَّى على ذلك هو القول الثاني : جواز الانتفاع بها لحين نحرها ، حتى وإن سمِّيت هدياً . وهذا القول هو الموافق للسنَّة الصحيحة.

ومن ذلك : حديث أبي هريرة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ رَأَى رَجُلاً يَسُوقُ بَدَنَةً ، فَقَالَ: « ارْكَبْهَا » ، فَقَالَ : إِنَّهَا بَدَنَةٌ ! ، فَقَالَ : « ارْكَبْهَا » ، قَالَ : إِنَّهَا بَدَنَةٌ ، قَالَ : « ارْكَبْهَا وَيْلَكَ » فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الثَّانِيَةِ [3]. وفي ذلك مخالفة لأهل الجاهلية.

وعن مَعْقِلٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ جَابراً ﵁ عَنْ رُكُوبِ الْهَدْيِ ؟ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « ارْكَبْهَا بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى تَجِدَ ظَهْراً » [4].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال ؛ فهو مرجِّح له على ما خالفه [5]. وبهذا يتَّضح رجحان هذا القول ، وضعف قول عطاء ، لثبوت الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك . والله أعلم ، ،

---

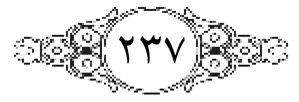
(١) انظر : الكشاف (٦٥٩) ، روح المعاني (١٧/٢٢٣) .

(٢) التفسير الكبير (٢٣/٣١) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (١٦٨٩) في كتاب الحج ، باب ركوب البدن ، وبرقم : (١٧٠٦) في كتاب الحج ، باب تقليد النَّعل ، وبرقم : (٢٧٥٥) في كتاب الوصايا ، باب هل ينتفع الواقف بوقفه ، وبرقم : (٦١٦٠) في كتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرّجل : ويلك . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٣٢٢) في كتاب الحج ، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها . وأخرجاه أيضاً من طريق أنس بن مالك ﵁ .

(٤) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه (١٣٢٤) ، في كتاب الحج ، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦) .



الموضع التاسع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج : ٣٦] (١).

٢٢- **قال عطاء الخراساني** : البدن تُصفُّ وتُشعر وهي قيام (٢).

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله تعالى لعباده وجوب ذكره سبحانه عند نحر البُدن التي هي من شعائر الله في الحجِّ ، ويبيِّن كيفية وقوفها عند الذبح : ﴿صَوَافَّ﴾ والصف اسم للأشياء الكائنة في مكان يجانبُ بعضُها بعضاً كالخط ، وصفَّ البُدْن قبل ذبحها أمر يزيد هيئتها جلالاً (٣).

الأقوال في الآية (٤) :

القول الأول : قول المسألة ، الذي اختاره عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه (٥).

القول الثاني : قائمة معقولة قد صفِّدت يديها بالقيود ، وهو قول ابن عمر(٦) ، وابن عباس رضي الله عنهما (٧) ، ومجاهد (٨) ، والحسن (٩).

القول الثالث : مطيعة في قيامها ، قاله ابن عطية (١٠).

القول الرابع : مصطفَّة ، ذكره ابن عيسى (١١).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٣) ص١١٧.

(٣) انظر : التحرير والتنوير (١٧/٢٦٤) ، (٣٠/٥٢) .

(٤) النكت والعيون (٤/٢٦) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٥٦) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٤) برقم : (١٣٩٤٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢) عزوه لابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٥٧) .

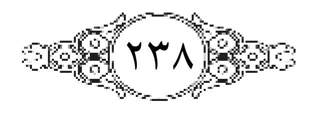
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٥٦) . وابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٤) برقم : (١٣٩٤٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢) عزوه لعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في الأضاحي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في سننه .

(٨) تفسير مجاهد (١٦٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٥٧) .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٣) لابن أبي شيبة .

(١٠) المحرر الوجيز (١٣١٢) .

(١١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٦) .



قال ابن عاشور رحمه الله : (وصوافّ : جمع صافَّة . يقال : صف إذا كان مع غيره صفّاً بأن اتّصل به ، ولعلّهم كانوا يصفُّونها في المنحر يوم النّحر بمِنى ، لأنه كان بمِنى موضع أُعدّ للنحر وهو المنحَر) (١).

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والخلاف للتنوع ، وهي أقوال يؤيد بعضها بعضاً .

فالإبل عند النحر تكون قائمة معقولة مطيعة في قيامها ، مصطفَّة ، قد صففن أيدين وأرجلهن .

وعبارة القول الثاني جمعت المعنى كله ، ويدلّ لذلك حديث جابر رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَدَنَةَ مَعْقُولَةَ الْيُسْرَى ، قَائِمَةً عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ قَوَائِمِهَا (٢).

وعَنْ زِيَادِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَنَاخَ بَدَنَتَهُ يَنْحَرُهَا قَالَ : ابْعَثْهَا قِيَامًا مُقَيَّدَةً سُنَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ (٣).

قال الرازي رحمه الله : (﴿صَوَآفَّ﴾ أي : قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن) (٤)، وبنحوه قال عامة المفسرين (٥).

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال ؛ فهو مرجِّح له على ما خالفه (٦). والله أعلم ، ،

---

(١) التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٤) .

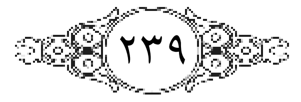
(٢) **صحيح** . أخرجه أبو داوود في سننه (١٧٦٧) في كتاب المناسك ، باب كيف تنحر البدن . قال عنه النووي في شرح صحيح مسلم (٩/ ٧٤) : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج (٢/ ٥٢٥) : إسناده جيد . وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١٧٦٧) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب نحر الإبل مقيدة (١٧١٣) ، ومسلم في كتاب الحج ، باب نحر الإبل قياماً مقيدة (١٣٢٠) .

(٤) التفسير الكبير (٢٣/ ٣٣) .

(٥) انظر : بحر العلوم (٢/ ٤٨٠) ، الكشف والبيان (٧/ ٢٣) ، معالم التنزيل (٣/ ٣٤١) ، الكشاف (٦٩٦) ، زاد المسير (٩٥٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢١٠٧) ، أنوار التنزيل (٤/ ٧٢) ، مدارك التنزيل (٢/ ١١٥) ، غرائب القرآن (٥/ ٨٢) ، التسهيل (٣/ ٧٨) ، روح المعاني (١٧/ ٢٣١) ، فتح القدير (٣/ ٥٦٣) ، تفسير المراغي (٦/ ١٨٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨) .

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٠٦) .



الموضع العاشر:

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج : ٣٦] [١].

٢٣- **قال عطاء الخراساني** : إذا جرّت وسقطت جنوبها إلى الأرض [٢] .

الدراسة :

* ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي سقطت جنوبها على الأرض إذا نحرت فماتت، ومنه : وجب الحائط إذا سقط ، ووجبت الشمس إذا سقطت للغروب ، وقال أوس بن حجر [٣]:

أَلَـمْ تَكْسِفِ الشَّمْسُ ضَوْءَ النَّهَارْ ... وَالْبَدْرُ لِلْجَبَلِ الْوَاجِبِ [٤]

وقول عطاء الخراساني موافق لقول ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، ومجاهد [٦]، وابن زيد [٧]، وعليه جمهور المفسِّرين [٨].

وليس لهؤلاء ، ولا لأحد من أصحاب كتب التفسير مخالف لذلك .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٤) ص١١٨، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) **البيت لأوس بن حجر** ، وانظر ديوانه ص(١٠) ، والرواية فيه:

ألم تكسف الشمس والبدر والـ ❊ ـكواكب للجبل الواجب

وهو من شواهد : الثعالبي في الجواهر الحسان (٢/٤٠٤) .

(٤) هذه رواية البيت كما في ديوانه ، ويريد بالجبل : فضالة بن كلدة ، وهو من قصيدة يرثيه بها ، وفيها:

لهلك فضالة لا تستوي الـ ... فقود ولا خلة الذاهب

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٤٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٣) عزوه لابن المنذر .

(٦) تفسير مجاهد (١٦٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٤) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦١) .

(٨) انظر : بحر العلوم (٢/٤٨٠) ، النكت والعيون (٤/٢٧) ، معالم التنزيل (٣/٣٤٢) ، الكشاف (٦٩٦) ، المحرر الوجيز (١٣١٣) ، زاد المسير (٩٥٨) ، التفسير الكبير (٢٣/٣٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٨) ، أنوار التنزيل (٤/٧٢) مدارك التنزيل (٢/١١٥) ، غرائب القرآن (٥/٨٢) ، التسهيل (٣/٧٨) ، البحر المحيط (٦/٤٥٠) ، روح المعاني (١٧/٢٣٢) ، فتح القدير (٣/٥٦٣) ، تفسير المراغي (٦/١٨٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨) .



ومن ذكر من العلماء خلافاً بأنَّ المقصود النحر[(١)] ، أو الموت[(٢)] فالمعنى واحد بين هذه جميعاً ، وقول المسألة هو كناية عن الموت ، ولأنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتى تموت وتبرد حركتها [(٣)].

وقد جاء في حديث مرفوع أنَّ النبي ﷺ قال : « ولا تُعجِلُوا النفوسَ أن تَزْهَق » [(٤)].

وفي حديث شَدّاد بن أوس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ » [(٥)].

والوجوب للجنب بعد النَّحر علامة نزف الدم وخروج الروح منها ، وهو وقت الأكل ، أي وقت قرْب الأكل ، لأنها إنما تبتدأ بالسَّلخ وقطع شيء من الذبيحة ثم تطبخ [(٦)].

قال ابن عاشور ﷺ : (وهو كناية عن زوال الروح التي بها الاستقلال ، والقصد من هذا التوقيت المبادرة بالانتفاع بها إسراعاً إلى الخير الحاصل من ذلك في الدنيا بإطعام الفقراء ، وأكل أصحابها منها ، فإنه يستحب أن يكون فطور الحاج يوم النحر مِن هديه ، وكذلك الخير الحاصل من ثواب الآخرة)[(٧)]. والله أعلم ..

---

(١) وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وابن إسحاق ، أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٦/٥٦١) ، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس : ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٤٩) .

(٢) وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦١) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٨) ، تفسير ابن كثير (٣/٢٤٦) ، روح المعاني (١٧/٢٣٢) .

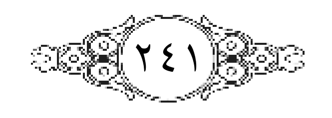
(٤) **ضعيف** . أخرجه الدارقطني في سننه (٤/٢٨٣) قال : بعث رسول الله ﷺ بديل بن ورقاء الخزاعي على جمل أورق يصيح في فجاج منى : " ألا إنَّ الذكاة في الحلق واللبة ، ألا ولا تعجلوا الأنفس أن تزهق " . وضعَّفه ابن الملقن في البدر المنير (٥/٦٨٦) ، والشوكاني في نيل الأوطار (٩/١٨) ، وقال عنه الألباني في إرواء الغليل (٨/١٧٦) : إسناده هالك .

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٩٠٥) موقوفاً على عمر بن الخطاب ، قال عنه الألباني في إرواء الغليل (٨/١٧٦) : إسناده يحتمل التحسين .

(٥) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه (١٩٥٥) في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٨) .

(٧) التحرير والتنوير (١٧/٢٦٤) .



الموضع الحادي عشر :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ٱلْقَانِعَ﴾ [الحج : ٣٦] .

٢٤- **قال عطاء الخراساني** : القانع : من يقنع برزق الله ويقعد في بيته [١] .

الدراسة :

* اختلف المفسِّرون في معنى القانع على أقوال كثيرة ، أبرزها :

الأقوال في تفسير القانع [٢] :

القول الأول : من يقنع برزق الله ويقعد في بيته ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣] ، وإبراهيم النخعي [٤] ، ومجاهد [٥] ، وعكرمة ، وقتادة [٦] .

القول الثاني : السائل ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٧] ، وسعيد بن جبير [٨] ، وإبراهيم [٩] ، ومجاهد [١٠] ، والحسن [١١] ، وزيد بن أسلم ،

---

(١) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٥) ص١١٨ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٥٦٢/١٦) ، بحر العلوم (٤٨٠/٢) ، الكشف والبيان (٢٣/٧-٢٤) ، النكت والعيون (٢٧/٤) ، معالم التنزيل (٣٤٢/٣) ، الكشاف (٦٩٦) ، المحرر الوجيز (١٣١٣) ، زاد المسير (٩٥٨) ، التفسير الكبير (٣٣/٢٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢١٠٩/٢) ، مدارك التنزيل (١١٥/٢) ، غرائب القرآن (٨٢/٥) ، التسهيل (٧٨/٣) ، البحر المحيط (٤٥٠/٦) ، تفسير ابن كثير (٢٤٦/٣) ، الجواهر الحسان (٤٠٥/٢) ، روح المعاني (٢٣٢/١٧-٢٣٣) ، فتح القدير (٥٦٣/٣) ، التحرير والتنوير (٢٦٥/١٧-٢٦٦).

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٢/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٥٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في سننه .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٤/١٦) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٤/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦) عزوه لابن أبي شيبة .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٦٤/١٦) .

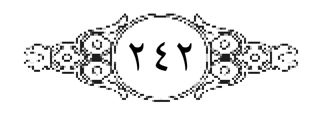
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦) لابن المنذر .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني (٤٠٧/٢) ، والطبري في تفسيره (٥٦٥/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٧/١٦) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦) للبيهقي في سننه .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٥/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .



والكلبي[١]، واختاره الفراء[٢]، ومنه قول الشماخ[٣]:

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُه فَيُغْنِي مَفَاقِرَه أعَفُّ مِنَ القُنُوعِ

أي : من السؤال .

القول الثالث : الذي يقنع ولا يسأل ، فهو متعفف ، وهذا القول رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤]، وهو قول مجاهد ، وقتادة[٥].

القول الرابع : المسْكين الطوّاف ، وهذا قول زيد بن أسلم[٦].

القول الخامس : الطامع بما قِبلك ولا يسألك ، وهذا قول مجاهد[٧]، وعكرمة[٨]، وابن أبي نجيح[٩]، واختاره الشنقيطي[١٠].

القول السادس : أهل مكة ، وهو قول سعيد بن جبير[١١]، ومروي عن مجاهد[١٢].

القول السابع : الجار وإن كان غنيّاً ، رواه ليث عن مجاهد[١٣].

القول الثامن : جارك الذي يقنع بما أعطيته ، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق العوفي ، ومجاهد ، والقرظي[١٤].

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٥-٥٦٦) .

(٢) معاني القرآن (٢/١٩٤) .

(٣) **البيت للشماخ بن ضرار** . انظر ديوانه صـ(٥٦) . والمفاقر : وجوه الفقر لا واحد لها ، والقنوع السؤال ، ومعنى البيت : أنَّ إصلاح المرء مالاً يستغني به أعفُّ له من مسألة الناس .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٣) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٥٣) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٧) .

(٧) تفسير مجاهد (١٦٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) للصنعاني – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد ، والبيهقي في سننه .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٨) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني (٢/٤٠٧) .

(١٠) أضواء البيان (٥/٤٧٦) .

(١١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٥٤) .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٤) .

(١٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٧) .

(١٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٢-٥٦٣) .



القول التاسع : المسكين ، قاله ابن زيد [١].

القول العاشر : من كان حولك ، وهو قول القاسم بن أبي بزة [٢][٣].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، وإذا تأملناها نجد أنَّها في الغالب ترجع إلى المعنى اللغوي .

قال الشوكاني ﷺ : (وقد روي عن التابعين في تفسير هذه الآية أقوال مختلفة، والمرجع المعنى اللغوي لا سيما مع الاختلاف بين الصحابة ومن بعدهم في تفسير ذلك) [٤].

فمن فسَّر القانع من القُنوع وهو السؤال والتذلل للمسألة ، رجَّح أنَّ المقصود في الآية هو السائل .

ومن فسَّر القُنوع بالقنَاعة رجَّح أنه المتعفف عن المسألة ، أو القانع بما أعطي من غير مسألة .

ومن الأول ما قاله الراغب : (القانع هو السائل الذي لا يلحُّ في السؤال، ويرضى بما يأتيه عفواً) [٥].

ومن الثاني ما اختاره الرازي بقوله : (والأقرب أنَّ القانع : هو الراضي بما يُدفع إليه من غير سؤال وإلحاح) [٦].

والأقرب عندي – والله أعلم – القول الثاني ؛ أنَّ القانع من القُنوع ، وهو التذلل . يقال : قنع قُنُوعاً إذا سأل بتذلل [٧].

قال الطبري ﷺ : (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : عني

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٨) .

(٢) **القاسم بن أبي بزة** = القاسم بن نافع بن أبي بزة واسمه يسار ، أبو عبد الله ، وقيل : أبو عاصم المكي ، أخرج البخاري في تفسير سورة الفرقان عن ابن جريج عنه عن سعيد بن جبير ، قال البخاري : مات القاسم بن نافع بن أبي بزة أبو عبد الله سنة خمس عشرة ومائة . انظر : التاريخ الأوسط (١/٢٧٨) ، التعديل والتجريح (٣/١٠٦٢) .

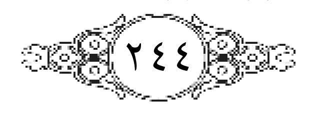
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) لعبد بن حميد .

(٤) فتح القدير (٣/٥٦٥) .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٤١٤) .

(٦) التفسير الكبير (٢٣/٣٣) .

(٧) انظر : لسان العرب (١٢/٢٠٢) ، التحرير والتنوير (١٧/٢٦٥) .



بالقانع : السائل ؛ لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع ، المكتفي بما عنده والمستغني به لقيل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل : وأطعموا القانع والمعترّ . وفي إتباع ذلك قوله : والمعترّ ، الدليل الواضح على أن القانع معنيّ به السائل ، من قولهم : قنع فلان إلى فلان ، بمعنى سأله وخضع إليه ، فهو يقنع قنوعاً ؛ ومنه قول لبيد [1]:

وأعْطانِي المَوْلى عَلى حِينَ فَقْرِهِ إذَا قالَ أبْصِرْ خَلَّتِي وَقُنُوعي [2]

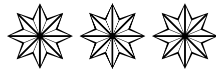
وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي ، فإنه من قِنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعاً وقنعاناً) [3].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها ؛ أولى بتفسير الآية [4].

وقول عطاء الخراساني هنا مأخوذ من القناعة والاكتفاء ، من قَنِعت - بكسر النون- أقنع قناعة وقنعاً وقنعاناً ، كما ذكر الطبري ، وهو مقبول من حيث اللغة ؛ ولفظ القانع في اللغة كما استعمل للسائل فهو مستعمل أيضاً بمعنى الراضي ، وقيل للسائل قانع لأنه يرضى بما يُعطى قلَّ أو كثر ، فيكون معنى الكلمتين راجع إلى الرضا .

وكذلك فإنَّ المعترّ هو الذي يتعرَّض للمسألة ولا يسأل ، فناسبت مقابلة القانع للمعتر ، وكأنه يقول : أطعموا الراضي والمتعرِّض للمسألة .

وأيضاً : فتقديم الإطعام للقانع بمعنى الراضي متوافق مع قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] . والله أعلم ..



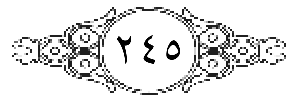
---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري ، انظر ديوانه ص(٥٥) ، والرواية فيه :
وأعْطاني المَوْلى عَلى حينَ فَقْرِهِ *** إذَا قالَ أبْصِرْ خَلَّتي وَخشُوعي

(٢) الخَلَّة = الحاجة والفقر . وقال اللحياني : خلة به شديدة : أي خصاصة . والقنوع : السؤال ، كما مر معنا .

(٣) جامع البيان (٥٦٩/١٦) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥١١/٢) .



الموضع الثاني عشر:

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج : ٣٦] .

٢٥- **قال عطاء الخراساني** : يعتر بِرَّكَ يرجو فضل ما عندك [١] .

الدراسة :

* اختلف المفسِّرون في معنى المعترِّ على أقوال ، أشهرها :

الأقوال في تفسير المعترّ [٢] :

القول الأول : الذي يتعرَّض ولا يسأل ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وسعيد بن جبير [٤]، ومجاهد [٥]، والحسن [٦]، والقرظي ، والكلبي [٧]، واختاره الفراء [٨]، وهو قول المعنى قول المسألة الذي قاله عطاء الخراساني : يعتر بِرَّكَ يرجو فضل ما عندك .

القول الثاني : الذي يسأل ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [٩]، وهو قول النخعي [١٠]، ومجاهد ، وعكرمة [١١]، ....

---

(١) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٦) ص١١٨، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٢/٤٨٠) ، الكشف والبيان (٧/٢٣-٢٤) ، النكت والعيون (٤/٢٧) ، معالم التنزيل (٣/٣٤٢) ، الكشاف (٦٩٦) ، المحرر الوجيز (١٣١٣) ، زاد المسير (٩٥٨) ، التفسير الكبير (٢٣/٣٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٩) ، مدارك التنزيل (٢/١١٥) ، غرائب القرآن (٥/٨٢) ، التسهيل (٣/٧٨) ، البحر المحيط (٦/٤٥٠) ، ابن كثير (٣/٢٤٦) ، الجواهر الحسان (٢/٤٠٥) ، روح المعاني (١٧/٢٣٢-٢٣٣) ، فتح القدير (٣/٥٦٣) ، التحرير والتنوير (١٧/٢٦٥-٢٦٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٢) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٥٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) لابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني (٢/٤٠٧) ، والطبري في تفسيره (١٦/٥٦٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) عزوه لعبد بن حميد .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه - ، وعبد بن حميد ، والبيهقي في سننه .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

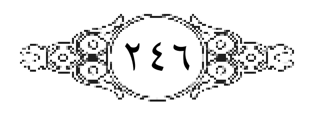
(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٣-٥٦٥) .

(٨) معاني القرآن (٢/١٩٤).

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٣) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٥) برقم : (١٣٩٥١) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٤) .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٤) .



والقاسم بن أبي بزَّة [(١)]، وقتادة [(٢)]، وابن أبي نجيح [(٣)].

ومنه قول زهير [(٤)]:

عَلَى مُكْثِرِيْهِمْ رِزْقَ مَنْ يَعْتَرِيْهِمُ ... وَعِنْدَ المُقِلِّيْنَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ

قال الرازي رحمه الله : (**والأقرب** أنَّ المعترَّ هو الذي يتعرض ويطلب ويعتريهم حالاً بعد حال ، فيفعل ما يدل على أنه لا يقنع بما يُدفع إليه أبداً) [(٥)].

وقال السعدي رحمه الله : (هو الفقير الذي يَسْأل) [(٦)].

القول الثالث : الصديق والضعيف الزائر ، وهذا قول زيد بن أسلم [(٧)].

القول الرابع : الذي يعترُّ بك من الناس ، قاله سعيد بن جبير ، وروي عن مجاهد[(٨)].

القول الخامس : الذي يعترُّ من غير أهل مكة ، روي عن سعيد بن جبير[(٩)].

القول السادس : الذي يعتري البُدْنَ ويتعرَّض للحم لأنه ليس عنده لحم ، وليس بمسكين ، وهو مروي عن مجاهد [(١٠)]، وابن زيد [(١١)]، ومنه قول الشاعر[(١٢)]:

على الطَّارق المعْتَرِّ يَا أمَّ مَالِكٍ ... إذَا مَا اعْتَرَانِيْ بَيْنَ قِدْرِيْ وَصَخْرَتِي

القول السابع : يطيف بك يطلب ما عندك سائلاً كان أو ساكتاً ، ذكره

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٥) لعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٤) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٠٧) .

(٤) **البيت لزهير بن أبي سلمى** . انظر ديوانه ص(٥٠) . مكثروهم : أي الأغنياء منهم ، والمقلّون : ذوي المال القليل منهم .

(٥) التفسير الكبير (٢٣/٣٣) .

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٧) .

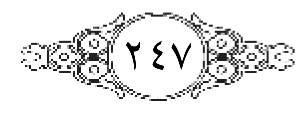
(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٧-٥٦٨) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٤٩٥) .

(١٠) تفسير مجاهد (١٦٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٨) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٦٨) .

(١٢) **لم ينسب لقائل** . وهو من شواهد النكت والعيون (٤/٢٨) .



القرطبي [(١)].

الجمع أو الترجيح :

عند تأمل الأقوال نجد أنَّ مرجعها إلى تفسير اللغة أيضاً ، كما سبق معنا من كلام الشوكاني في : ﴿ٱلْقَانِعَ﴾ [(٢)].

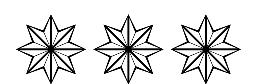
والذي يترجَّح عندي – والله أعلم – القول الأول ؛ قول المسألة ؛ أنَّ المعترِّ هو الذي يتعرَّض دون سؤال وتذلل .

قال الطبري ﵀: (وأما المعترُّ : فإنه الذي يأتيك معترًّا بك لتعطيه وتطعمه) [(٣)].

وقال الشنقيطي ﵀: (للعلماء في تفسير المعترِّ أقوال متعددة متقاربة أظهرها عندي : أنَّ المعتر هو الذي يعتري متعرضاً للإعطاء من غير سؤال وطلب) [(٤)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها؛ أولى بتفسير الآية [(٥)].

والله أعلم ..



---

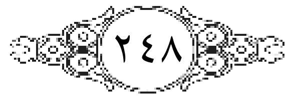
(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٠٩) ولم يعزه لقائل .

(٢) سبق بيانه في الموضع السابق .

(٣) جامع البيان (١٦/٥٦٩) .

(٤) أضواء البيان (٥/٤٧٦) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥١١) .



الموضع الثالث عشر :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج : ٤٥] [(١)].

٢٦- **قال عطاء الخراساني** : البئر التي قد تركت [(٢)] .

الدراسة :

* يبيِّن تعالى حال قرية كانت ظالمة ، فأهلكها الله من بعد قوَّة وعزَّة ، فصارت بسبب كفر أهلها بالوصف الذي وصف الله ، حتى البئر التي كلفوها وكانت شِربهم ؛ صارت معطلة بلا شارب ولا وارد ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وتدبر .

الأقوال في الآية [(٣)] :

القول الأول : قول المسألة الذي قال به عطاء الخراساني ، البئر التي قد تُرِكت ؛ يعني خالية من أهلها لهلاكهم ، لا يستقى منها ، ولا يردها أحد بعد كثرة ورديها والازدحام عليها [(٤)] ، وهذا المعنى هو قول ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عطاء الخراساني[(٥)]، وقاله الضحاك [(٦)]، وقتادة [(٧)]، وعليه عامة المفسِّرين[(٨)].

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٧) ص١١٨ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٤/٣١) ، زاد المسير (٩٦٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١١٣) ، مدارك التنزيل (٢/١١٨) ، فتح القدير (٣/٥٦٩) .

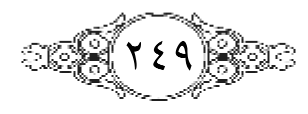
(٤) **فائدة** : أكثر المفسرين حددوا القرية أنها الرس بحضرموت ، وأنه في سفحة لا تقرُّ الريح شيئاً سقط فيه إلا أخرجته ، وغير ذلك من أخبار ، والصحيح أنه لا يصح هذا التعيين لعدم ورود ما يدل عليه ، ولقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ ، وهذا اللفظ يراد به التكثير . انظر : التسهيل (٣/٨١) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦١) عزوه لابن المنذر .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩٢) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٠٩) ، والطبري (١٦/٥٩١) .

(٨) انظر : بحر العلوم (٢/٤٨٣) ، الكشف والبيان (٧/٢٦) ، معالم التنزيل (٣/٣٤٤) ، الكشاف (٦٩٨) ، زاد المسير (٩٦٠) ، التفسير الكبير (٢٣/٤٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١١٣) ، أنوار التنزيل (٤/٧٤)، غرائب القرآن (٥/٨٨) ، التسهيل (٣/٨١) ، البحر المحيط (٦/٤٥٧) ، روح المعاني (١٧/٢٤٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٤١) ، التحرير والتنوير (١٧/٢٨٦) ، أضواء البيان (٥/٤٨٥) .



القول الثاني : غائرة الماء .

القول الثالث : معطلة من دلائها وأرشيتها .

الجمع أو الترجيح :

الخلاف لفظي ، وهو يدلّ على معنى واحد .

قال القرطبي بعد ذكر هذه الأقوال : (والمعنى متقارب) [1].

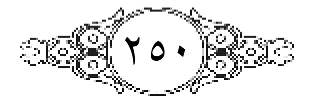
فيمكن أن تجمع هذه الأوصاف الثلاثة كلها ، ولا تعارض ، فيقال : لمَّا أهلك الله القرية هُجِرَت البئر ، وخَلَت من أهلها لهلاكهم ، وغارَ ماؤها ، وعطِّلت من دلائها وأرشيتها .

وهذا كله معنى واحد لا إشكال فيه .

والحمد لله ..



(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١١٣) .



الموضع الرابع عشر :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾ [الحج : ٤٥] .

٢٧- **قال عطاء الخراساني** : الشديد البناء ، وشهق [١] .

الدراسة :

* من إهلاك الله لهذه القرية – السَّالفة الذّكر - أنَّ قصورها المشيدة العظيمة هجرت وتركت من بعد قوة ، وفي ذلك عبرة وآية من آيات الله سبحانه وتعالى .

الأقوال في الآية [٢] :

القول الأول : قول المسألة الذي قاله عطاء الخراساني ، أنَّ المشيَّد شديد البناء ، وشهق عطاء وهو يقول ذلك ؛ إشارة إلى ارتفاعه وشدة بنائه ، وهذا القول بنحو قول الكلبي [٣] .

القول الثاني : أنَّ المشيَّد الرفيع الطويل ، وهو قول قتادة [٤] ، والضحاك [٥] ، والسمرقندي [٦] .

القول الثالث : أنَّ المشيد الُمجَصَّص ، والشيد الجص ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٧] ، وسعيد بن جبير [٨] ، ومجاهد [٩] ،

---

(١) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٥٨) ص١١٨ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (٧/٢٦-٢٧) ، النكت والعيون (٤/٣١) ، معالم التنزيل (٣/٣٤٤) ، الكشاف (٦٩٨) ، المحرر الوجيز (١٣١٦) ، زاد المسير (٩٦٠) ، التفسير الكبير (٢٣/٤٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١١٣) ، أنوار التنزيل (٤/٧٤) ، مدارك التنزيل (٢/١١٨) ، التسهيل (٣/٨١)، البحر المحيط (٦/٤٥٧) ، تفسير ابن كثير (٣/٢٥١) ، فتح القدير (٣/٥٦٩) ، روح المعاني (١٧/٢٤٧) ، أضواء البيان (٥/٤٨٥) .

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٣١) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٠٩) ، والطبري (١٦/٥٩٣) . وقال قتادة : (شيَّدوه وحصَّنوه ، فهلَكوا وتركوه) .

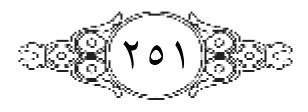
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩٤) .

(٦) بحر العلوم (٢/٤٨٣) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٧/٢٤٩٨) برقم : (١٣٩٨٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦١) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩٣) .

(٩) تفسير مجاهد (١٧٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٥٩٣) ، ولفظه : بالقصة أو بالفضة . والقصة يعني بالجص .



وعكرمة [1]، وعطاء [2].

ومما روى الطستي عن نافع بن الأزرق أنَّه سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال : أخبرني عن قوله : ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾ ؟ قال : شيِّد بالجص والآجر [3].

قال ابن عاشور رحمه الله : (وإنما يبنى به – يعني بالجصّ – البناء من الحجر ؛ لأنَّ الجصَّ أشدّ من التراب ، فبشدة مسكه يطول بقاء الحجر الذي رصَّ به) [4].

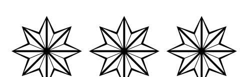
الجمع أو الترجيح :

الأقوال في جملتها متقاربة من حيث المعنى ، ويمكن أن يقال : المشيد هو الحصين شديد البناء ، الرفيع الطويل المجصص ، وهو لم ينفعهم – على قوته وطوله – من بأس الله تعالى إذ جاءهم .

قال ابن كثير رحمه الله : (وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها ، فإنه لم يَحْمِ أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ، عن حلول بأس الله بهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾ [النساء: ٧٨]) [5].

والقاعدة التفسيرية التي سبقت معنا : أنَّه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [6].

والله أعلم ..



(١) أخرجه عنه الصنعاني (٢/٤٠٩) ، والطبري (١٦/٥٩٢) . وفي لفظ له قال : والجص بالمدينة يسمَّى الشيد. انظر : جامع البيان (١٦/٥٩٣) .

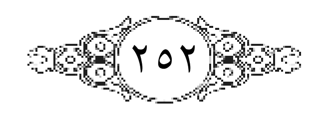
(٢) أخرجه عنه الصنعاني (٢/٤٠٩) ، والطبري (١٦/٥٩٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦١) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦١) إلى الطستي .

(٤) التحرير والتنوير (١٧/٢٨٦) .

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٢٥١) .

(٦) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



سورة المؤمنون

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون : ٢] [١].

٢٨- **قال عطاء الخراساني** : الخشوع : خشوع القلْب والطَّرْف [٢] .

الدراسة :

* يذكر عطاء الخراساني في هذه الآية أنَّ محلَّ الخشوع في الصلاة هو القلب والطَّرْف ، أي البَصَر . فلابدَّ للمصلي أن يخشع قلبه وبصره حتى تخشع جوارحه .

الأقوال في الآية [٣] :

القول الأول : قول المسألة أنَّ الخشوع في الصلاة خشوع القلب والبصر ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول إبراهيم النخعي[٤]، والحسن [٥]، وعطاء بن أبي رباح [٦]، وقتادة [٧]، وجماعة من المفسِّرين [٨].

القول الثاني : سكون الأطراف في الصلاة ، وترك الالتفات فيها ، وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ [٩]، وسعيد بن جبير [١٠]،ومجاهد [١١]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٧٩) ص١٠٢ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٩/١٩٧-١٩٨) ، بحر العلوم (٢/٤٩٤) ، الكشف والبيان (٧/٣٨) ، النكت والعيون (٤/٤٥-٤٦) ، معالم التنزيل (٣/٣٥٧) ، زاد المسير (٩٦٩) ، الدر المنثور (٦/٨٣-٨٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٩) قال : الخشوع في القلب ، وقال : ساكنون .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٨) ، وعبارته : كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك البصر ، وخفضوا به الجناح .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٩) ، وعبارته : التخشّع في الصلاة .

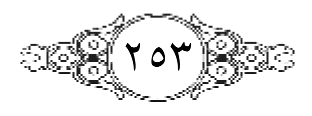
(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤١٢) ، والطبري (١٦/١٠) . وعبارته : الخشوع في القلب ، وفي رواية عزاها السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٤) لعبد بن حميد وابن المنذر ، أنه قال : الخشوع في القلب هو الخوف ، وغض البصر في الصلاة .

(٨) مدارك التنزيل (٢/١٢٨) ، روح المعاني (١٨/٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٤٧) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤١٣) والطبري (١٦/٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٤) عزوه لابن المبارك في الزهد ، والفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم ، والبيهقي .

(١٠) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٣/٣٥٧) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٨) .



والزهري[1].

وقد ورد أنَّ النبي ﷺ كان يرفع بصره إلى السماء فنزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢] ، فصار ينكِّس رأسه [2]، وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار [3] [4]، وابن سيرين [5].

القول الثالث : خائفون ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[6]، والحسن [7].

الجمع أو الترجيح :

الاختلاف في مجمله اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، والمعاني متقاربة ، ويمكن الجمع بينها بأن يقال : لا بدَّ أن يخاف الإنسان من الله تعالى، فإذا خافه خشع قلبه ، وإذا خشع القلب سكنت الجوارح ، ولم ينشغل بغير الإقبال على الله تعالى . فالخشوع لا بدَّ في تحقيقه من الخوف وحضور القلب ، وسكون الأطراف . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (هو إعظام المقام ، وإخلاص المقال ، واليقين التام ، وجمع الاهتمام) [8].

قال ابن عطية رحمه الله : (والخشوع سكون الأعضاء والوقار ، وهذا إنما يظهر

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤١٢) ، والطبري (١٦/٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٥) عزوه لعبد بن حميد .

(٢) **مرسل** . أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٤٨) برقم : (٦٣٢٢) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٢/٢٥٤) برقم: (٣٢٦١-٣٢٦٢) ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٤٢٦) وقال : هذا حديث صحيح لولا خلاف فيه على محمد (يعني محمد بن سيرين) فقد قيل عنه مرسلاً ، ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي فقال : الصحيح أنه مرسل ، قال عنه الألباني في إرواء الغليل (٢/٧٣) : وقد تبيَّن لي أخيراً أنَّ هذا القول هو الصواب ، وقد رواه أيضاً ابن جرير الطبري (١٧/٧) عن محمد بن سيرين ، وعطاء بن أبي رباح مرسلاً ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٣) عزوه لسعيد بن منصور ، والبيهقي في سننه . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٢/٥٣٤) .

(٣) **مسلم بن يسار** = مسلم بن يسار البصري نزيل مكة أبو عبد الله الفقيه ويقال له مسلم سكرة ومسلم المصبح ثقة عابد من الرابعة مات سنة مائة أو بعدها بقليل . انظر : تقريب التهذيب (١/٥٣١) .

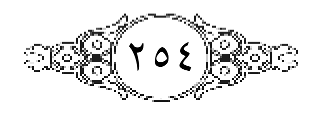
(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٥) لابن سعد .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٤) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وابن أبي شيبة .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/١٠) ، ولفظه : خائفون ساكنون ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٨٤) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤١٢) ، والطبري (١٦/١٠) . وعبارته : خائفون .

(٨) ذكره عنه أبو حيان في البحر المحيط (٦/٤٨٠) .



في الأعضاء ممَّن في قلبه خوف واستكانة ، لأنه إذا خشع قلبه خشعت جوارحه) [(١)] .

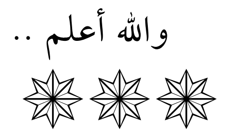
ويمكن أن يستشهد لذلك بقصة الرجل الذي كان يعبث بلحيته في صلاته فقال النبي ﷺ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذا لخَشَعْت جَوَارحُه » [(٢)]، وهو صحيح من حيث المعنى ؛ غير أنَّه موضوع وباطل من حيث الإسناد .

ومما سبق يتّضح أنَّ الجمع بين الأقوال أولى لعدم تضادها .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [(٣)].

قال الرازي ﵀ : (واختلفوا في الخُشوع ؛ فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ، ومنهم من جمَع بين الأمرين وهو الأَولى . فالخاشع في صلاته لا بدَّ وأن يحصل له مما يتعلق بالقلب من الأفعال نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ، ومن التُّروك أن لا يكون ملتفت الخاطر إلى شيء سوى التعظيم ، ومما يتعلق بالجوارح أن يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده ، ومن التُّروك أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، ولكن الخشُوع الذي يُرى على الإنسان ليس إلا ما يتعلَّق بالجوارح فإنَّ ما يتعلَّق بالقلب لا يرى)[(٤)].

والله أعلم ..



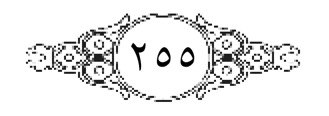
---

(١) المحرر الوجيز (١٣٢٤) .

(٢) موضوع . أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٢٨٥) برقم : (٣٣٦٥) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٨٦) برقم : (٦٧٨٧) من حديث سعيد بن المسيب ، وأبو هريرة ، قال عنه ابن رجب في رسائله (١/٢٩١) : إسناده لا يصحّ ، وقال عنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/٢٠٥) : إسناده ضعيف ، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه بن أبي شيبة في المصنف ، وفيه رجل لم يسم ا.هـ . وقال عنه الألباني في إرواء الغليل (٣٧٣) ، وفي ضعيف الجامع (٤٨٢١) : موضوع . وقال عنه في كتاب الإيمان لابن تيمية (١٧٧) : فيه رجل وضَّاع .

(٣) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٤) التفسير الكبير (٢٣/٦٩) .



الموضع الثاني :

* في قوله عزَّ وجل : ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [1] [المؤمنون : ٢٠] [2].

٢٩- **قال عطاء الخراساني** : الجبل الذي نودي فيه موسى [3] .

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني بقوله : الجبل الذي نودي فيه موسى ؛ مكاناً خاصاً، وهو الجبل الواقع في صحراء سيناء ، بين عقبة أيلة ، وبين مصر ، وهي من بلاد فلسطين في القديم ، وفيه ناجى موسى عليه السلام ربه ، وهي البقعة المباركة [4].

الأقوال في الآية[5] :

القول الأول : قول المسألة الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [6]، وقاله الضحاك[7]، وابن زيد [8] ، وجمهور المفسِّرين[9].

---

(١) **سيناء** = بكسر أوله ويفتح اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال : طور سيناء ، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه ، وهو كثير الشجر ، وقد جاء في اسم هذا الموضع سينين قال الله تعالى : ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وليس في الكلام العربي اسم مركب من س ي ن إلا في قولك في الحرف سين. انظر : معجم البلدان (٣/٣٠٠) .

(٢) الآية بتمامها : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ۝٢٠﴾ .

(٣) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٥٥) ص٩٧ ، وتقدّمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٤) انظر : أنوار التنزيل (٤/٥٤) ، التحرير والتنوير (١٨/٣٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٤٩) .

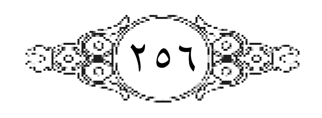
(٥) انظر : بحر العلوم (٢/٤٩٨) ، الكشف والبيان (٧/٤٤) ، النكت والعيون (٤/٥٠) ، الوسيط (٢/٢٨٧) ، معالم التنزيل (٣/٣٦٣) ، المحرر الوجيز (١٣٢٧) ، زاد المسير (٩٧٢) ، البحر المحيط (٦/٤٨٨) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٣٠) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٩٥) ، لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، - ولم أقف عليه عندهما - .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٣٠) .

(٩) انظر : بحر العلوم (٢/٤٩٨) ، الكشف والبيان (٧/٤٤) ، الوسيط (٢/٢٨٧)، معالم التنزيل (٣/٣٦٣) ، الكشاف (٧٠٥) ، المحرر الوجيز (١٣٢٧) ، زاد المسير (٩٧٢) ، التفسير الكبير (٢٣/٨١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٣١) ، التسهيل (٣/ ٩٢) ، البحر المحيط (٦/٤٨٨) ، الجواهر الحسان (٢/٤٢٠)، مدارك التنزيل (٢/١٣١) ، غرائب القرآن (٥/١١٤) ، ابن كثير (٣/٢٦٨) ، روح المعاني (١٨/٣٢) ، فتح القدير (٣/٥٩٣) .



القول الثاني : أنَّ سيناء البركة فكأنه قال جبل البركة ، أو جبل مبارك، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(١)]، ومجاهد [(٢)].

القول الثالث : أنه الحسن المنظر ، رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، وبه قال قتادة [(٤)]، والضحاك [(٥)].

القول الرابع : أنه الكثير الشجر ، قاله الكلبي [(٦)].

القول الخامس: أنه اسم حجارة بعينها ، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده ، قاله مجاهد [(٧)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال في مجملها تدور حول اسم هذا الجبل ، أو وصفه بأنه مبارك ، أو كثيف الشَّجر ، أو حسن المنظر ، ويمكن أن تكون هذه الأوصاف المتنوعة كلّها لهذا الجبل الذي نودي فيه موسى عليه السلام .

قال الطبري رحمه الله : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنَّ سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به ، كما قيل : جبلا طيئ ، فأضيفا إلى طيئ ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ، أو كما قال من قال: معناه حسن ، لكان الطور منوَّناً ، وكان قوله سيناء من نعته ، على أن سيناء بمعنى : مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل ، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، من أنه جبل عرف بذلك ، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام ، وهو مع

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩/١٦) .

(٢) تفسير مجاهد (١٧١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩/١٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٩٥/٦) لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

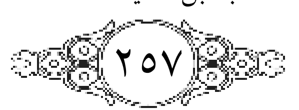
(٣) زاد المسير (٩٧٢) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٥/٢) ، والطبري في تفسيره (٢٩/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٥/٦) عزوه لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٠/١٦) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني عن معمر (٤١٥/٢) ، والطبري (٣١/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٦/٦) عزوه لابن المنذر .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٩٦/٦) لعبد بن حميد .

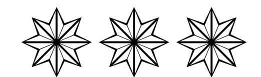


ذلك مبارك ، لا أنَّ معنى سيناء : معنى مبارك) [1].

والقاعدة التفسيرية تقول : إذا قامت الصفة بمحل ، عاد حكمها إليه لا إلى غيره ، واشتقَّ لذلك المحل من تلك الصفة اسم ، ولا يُشتقُّ الاسم لمحل لم يقم به ذلك الوصف [2].

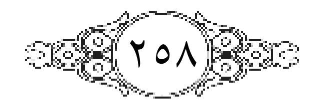
وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح ، وهو الذي عليه الجمهور .

والحمد لله ،،



(١) جامع البيان (٣١/١٦) .

(٢) قواعد التفسير (٤٤٨/١) .



سورة النور

الموضع الأول :

* في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ [النور : ٨] [(١)].

٣٠- **قال عطاء الخراساني** : إذا لاعنها ، وامتنعت هي عن الملاعنة فلا حدَّ عليها [(٢)] .

الدراسة :

* معنى قول عطاء الخراساني أنَّ المرأة التي قذفها زوجها بالزنا ، ولاعنها، ثمَّ امتنعت هي عن الملاعنة - بأن لم تشهد أربع شهادات بالله إنه كاذب - ، فإنّه لا يقام عليها الحد ، ولكنها تحبس حتى تلاعِن ، أو تقرَّ بالزنا فيقام عليها الحد .

الأقوال في المسألة [(٣)] :

القول الأول : قول المسألة الذي اختاره عطاء الخراساني ، وهو قول أبي حنيفة ، وأحمد في رواية عنه ، وبه قال الحسن ، والأوزاعي ، وأصحاب الرأي . وروي ذلك عن الحارث العكلي [(٤)] [(٥)]، وهو قول : زفر [(٦)]، وأبو يوسف [(٧)] ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

(٢) ذكره ابن قدامة في المغني (١٩٢٩/٢) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٩٠/٦) نقلاً عنه .

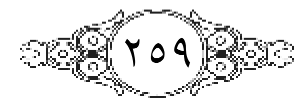
(٣) انظر : زاد المسير (٩٨٨) ، البحر المحيط (٥٣٣/٦) ، المغني (١٩٢٩/٢) ، أحكام القرآن للجصاص (٤٣٣/٣) ، أضواء البيان (٨٩-٩٠) ، روائع البيان (٦٥/٢-٦٦) .

(٤) **الحارث العكلي** = الحارث بن يزيد العكلي ، أبو علي التيمي الكوفي الفقيه ، تلميذ إبراهيم النخعي ثقة ، كان من فقهاء أصحاب إبراهيم ، ومن عليتهم ، ثقة ، قديم الموت ، قليل الحديث جداً لم يرو عنه إلا الشيوخ ، روى عنه منصور بن زاذان ، ووثقه يحيى بن معين . انظر : معرفة الثقات (٢٧٩/١) ، تاريخ الإسلام (٧٠/٨) .

(٥) ذكرهم جميعاً ابن قدامة في المغني (١٩٢٩/٢) .

(٦) **زفر** = أبو الهذيل زفر بن الهذيل العنبري ، ولد سنة عشر ومائة ، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة ، وله ثمان وأربعون . وهو من فقهاء الحنفية . انظر : طبقات الفقهاء (١٤١) .

(٧) **أبو يوسف** = يعقوب ابن إبراهيم بن حبيب ابن سعد بن حميد الأنصاري ، من أولاد أبي دجانة الأنصاري الصحابي ، ولد أبو يوسف يعقوب المذكور سنة ثلاثة عشرة ومائة ، ومات ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ، ثم عن أبي حنيفة وولي القضاء لهارون الرشيد . انظر : طبقات الفقهاء (١٤١) .



ومحمد [(١)(٢)]، وهو قول ابن قدامة [(٣)]، واختاره ابن عطية [(٤)]، والألوسي من المفسرين[(٥)].

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها :

الأول : قوله تعالى : ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ﴾ [النساء : ١٥] ، وقال : ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور : ٤] .

الثاني : قول النبي ﷺ لهلال بن أمية حين قذف امرأته بِشَرِيكِ ابن سَحْمَاءَ: « أَرْبَعَةَ شُهَدَاءَ وَإِلاَّ فَحَدٌّ فِي ظَهْرِكَ »[(٦)].

الثالث : وردَّ النبي ﷺ ماعزاً والغامدية كل واحد منهما حتى أقرَّا أربع مرات بالزنا ثم رجمهما [(٧)].

الرابع : وقال النبي ﷺ : « لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » [(٨)]، فنفى وجوب القتل إلا بما ذُكر ، والنُّكول عن

---

(١) **محمد بن الحنفية** = أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ﷺ المعروف بابن الحنفية ، أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة ، وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفي في أول المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة وقيل سنة ثلاث وثمانين . انظر : حلية الأولياء (١٧٤/٣) ، وفيات الأعيان (١٦٩/٤).

(٢) ذكره عنهم الجصاص في أحكام القرآن (٤٣٣/٣) .

(٣) المغني (١٩٢٩/٢) .

(٤) المحرر الوجيز (١٣٤٨) .

(٥) روح المعاني (١٦١/١٨) .

(٦) **صحيح** . أخرجه النسائي في سننه برقم : (٣٤٦٩) في كتاب الطلاق ، باب كيف اللعان ، من حديث أنس بن مالك ﷺ ، والحديث صححه الشوكاني في نيل الأوطار (٦٩/٧) ، والألباني في صحيح النسائي (٣٤٦٩) . وأصل الحديث في البخاري برقم : (٢٦٧١) بلفظ : « البينة أو حد في ظهرك » وسيأتي .

(٧) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه تعليقاً في كتاب الأحكام ، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٦٩٥) في كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا ، من حديث بريدة ﷺ .

(٨) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٦٨٧٨) في كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٦٧٦) واللفظ له في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب ما يباح به دم المسلم ، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .

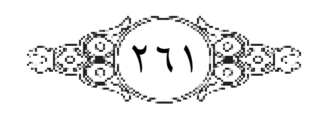
اللعان خارج عن ذلك ، فلا يجب رجمها ، لأنه ليس ببينة ولا إقرار ، وإذا لم يجب الرجم إذا كانت محصنة لم يجب الجلد في غير المحصن لأنَّ أحداً لم يفرِّق بينهما [1].

قال الشنقيطي ﷺ : (واحتج أهل هذا القول بحجج يرجع جميعها إلى أنَّ المانع من حدِّها أنَّ زناها لم يتحقق ثبوته ، لأنَّ شهادات الزوج ونكولها هي ؛ لا يتحقق بواحد منهما ، ولا بهما مجتمعين بثبوت الزنا عليها) [2].

القول الثاني : أنها لو نكلت عن شهاداتها ، لزمها الحدُّ بسبب نكولها مع شهادات الزوج عليها . وهذا قول مالك ، والشافعي ، والشعبي ، ومكحول، وأبو عبيد ، وأبو ثور [3]، وأبو إسحاق الجوزجاني [4]، وابن المنذر [5]، والحسن بن صالح ، والليث [6]، وهو مذهب الجمهور ، واختاره الرازي [7]، والشنقيطي[8]. واستدلوا بأدلة منها :

الأول : أنَّ الله تعالى قال في أول السورة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ [النور : ٤] يعني غير الزوجات ، ثمَّ عطف عليه حكم الأزواج فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [النور : ٦] . فكما أنَّ مقتضى قذف الأجنبيات الإتيان بالشهود أو الجلد ، فكذا موجب قذف

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٣٣) ، روائع البيان (٢/٦٥-٦٦) .
(٢) أضواء البيان (٦/٩٠) .
(٣) **أبو ثور** = إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي ، أبو ثور ، الفقيه البغدادي ، أحد المجتهدين صاحب الشافعي ، ثقة مأمون ، قال أحمد أعرفه بالسنَّة منذ خمسين سنة وهو عندي في مسلاخ الثوري . روى عن ابن عيينة ، وابن علية ، ووكيع . وروى عنه أبو داود وابن ماجة والبغوي والسراج وخلق ، مات في صفر ، سنة مائتين وأربعين . انظر : الكاشف (١/٢١١) ، تقريب التهذيب (٨٩) .
(٤) **أبو إسحاق الجوزجاني** = الحافظ الإمام ، أبو إسحاق ؛ إبراهيم بن يعقوب السعدي ، نزيل دمشق ومحدثها، سمع الحسين بن علي الجعفي ، ويزيد بن هارون وجعفر بن عون وطبقتهم ، فأكثر وتفقه بأحمد بن حنبل ، حدث عنه : أبو داود والترمذي والنسائي وأبو زرعة ومحمد بن جرير وابن جوصاء وأبو بشر الدولابي وآخرون ، وكان من الحفاظ الثقات المصنفين ، وفيه انحراف عن علي ، مات في ذي القعدة سنة تسع وخمسين ومائتين وله كتاب في الضعفاء . انظر : تذكرة الحفاظ (٢/٥٤٩) .
(٥) ذكره عنهم ابن قدامة في المغني (٢/١٩٢٩) .
(٦) ذكره عنهم أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٣٣) .
(٧) التفسير الكبير (٢٣/١٥٠) .
(٨) أضواء البيان (٦/٩٠) .



الزوجات الإتيان باللعان أو الحد .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ [النور : ٨] ، لا يصحّ أن يراد منه عذاب الآخرة ، لأنَّ الزوجة إن كانت كاذبة في لعانها لم يزدها اللعان إلا عذاباً في الآخرة ، وإن كانت صادقة فلا عذاب عليها في الآخرة ، فتعيَّن أن يراد به عذاب الدنيا ، وهو حد الزنا .

الثالث : يؤيد هذا قول النبي ﷺ لخولة زوج هلال : « اَلْرَّجْمُ أَهْوَنُ عَلَيْكِ مِنْ غَضَبِ الله »[(١)]، وهو نصٌّ في الباب ، وقوله ﷺ : « الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ »[(٢)].

قال الطبري ؒ : (وإنما قلنا : الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحدّ الذي وصفنا ، قياساً على إجماع الجميع على أنَّ الحدَّ إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به ، أن الحدَّ عليها واجب ، فجعل الله أيمانه الأربع ، والتعانه في الخامسة مخرجاً له من الحدِّ الذي يجب لها برميه إياها ، كما جعل الشهداء الأربعة مخرجاً له منه في ذلك وزائلاً به عنه الحدّ ، فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحدِّ عنه بذلك واجباً عليها حدُّها ، كما كان بزواله عنه بالشهود واجباً عليها ، لا فرق بين ذلك)[(٣)].

الجمع أو الترجيح :

وأولى الأقوال بالصواب – والله أعلم – هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء ، ودلَّ عليه ظاهر القرآن ، القول الثاني ، أنَّ لعان الزوجة يدرأ عنها حدَّ الزنا ونكولها يوجب الحد ، وآيات اللعان لم تتعرَّض لأكثر من هذه النتائج[(٤)].

---

(١) **ضعيف** . لم أقف عليه في كتب السنة ، وأورده الزمخشري في الكشاف (٧٢١) ، قال عنه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٤٢٠) : غريب بهذا السياق وفيه تخليط .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٦٧١) في كتاب الشهادات ، باب إذا ادَّعى أو قذف فله أن يلتمس البينة ، وبرقم : (٤٧٤٧) في كتاب تفسير القرآن ، باب ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله . من حديث ابن عباس ؓ .

(٣) جامع البيان (١٦/١٨٧-١٨٨) .

(٤) انظر : تفسير آيات الأحكام – للسايس وآخرون- (٢/٢٥١) .

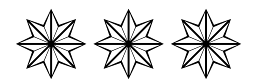


والقول الأول رأي أبي حنيفة وإن كان وجيهاً ، غير أنه ليس بقوة رأي الجمهور ، لوضوح الأدلة التي استدلوا بها وظهورها ، وهذا الذي اختاره الطبري ، ورجَّحه غير واحد من العلماء المحققين .

قال الشنقيطي ﷺ : (وهذا القول أصوب عندنا ، لأنه ظاهر قوله : ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ [النور : ٨]. ولا ينبغي العدول عن ظاهر القرآن إلا لدليل يجب الرجوع إليه من كتاب أو سنة) ثم قال : (وقول الشافعي ومالك ومن وافقهما في هذه المسألة أظهر عندنا ؛ لأنَّ مسألة اللعان أصل مستقل لا يدخله القياس على غيره ، فلا يعدل فيه عن ظاهر النص إلى القياس على مسألة أخرى)[1].

وعليه فقول عطاء الخراساني في المسألة مرجوح .

والله أعلم ..



(١) أضواء البيان (٦/ ٩٠) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾ [النور : ٢٦] (١).

٣١- **قال عطاء الخراساني** : الأعمال الخبيثة والكلام الخبيث للخبيثين من الناس(٢)، والطيبات للطيبين : فالأعمال الصالحة والكلام الطيِّب للطيبين : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ [الحج : ٢٤] (٣).

الدراسة :

* اختلف العلماء في المقصود بالخبيثات والخبيثين ، والطيبات والطيبين على أقوال متقاربة .

الأقوال في الآية(٤) :

القول الأول : قول المسألة الذي قال به عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٦١/٨) ، برقم : (١٤٣١١) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شأبور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء الخراساني .... وذكر الأثر ...

العباس بن الوليد : بن مزيد البيروتي ، صدوق عابد من الحادية عشر مات سنة تسع وتسعين وله مائة سنة ، التقريب (٢٩٤) .

محمد بن شعيب : بن شأبور ، هو عمر بن شعيب بن شابور الأموي نزيل بيروت صدوق صحيح الكتاب من كبار التاسعة مات سنة مائتين وله أربع وثمانون ، التقريب (٤٨٣) .

عثمان بن عطاء : وهو ابن عطاء الخراساني ، أبو مسعود المقدسي ، ضعيف جداً ، وأحاديثه عن أبيه منكرة، ولد سنة ثمان وثمانين ، وتوفي سنة خمسة وخمسون ومائة ، انظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٧٠/٢) ، المغني في الضعفاء (٤٢٧/٢) ، الكامل في ضعفاء الرجال (١٧٠/٥) ، الضعفاء الكبير (٢١٠/٣) ، تقريب التهذيب (٣٨٥) ، الكاشف (١١/٢) ، أحوال الرجال (٥٩/١) .

وبهذا يكون هذا الأثر ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني لضعف ابنه عثمان ولنكارة رواياته عن أبيه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٦٣/٨) ، برقم : (١٤٣٢٣) ، بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد ابن شعيب بن شأبور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال .... وذكر الأثر ... وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه في الحاشية السابقة .

(٤) انظر : النكت والعيون (٨٤/٤-٨٥) ، زاد المسير (٩٩٢) ، التسهيل (١١٨/٣) ، البحر المحيط (٥٤١/٦) .



رضي الله عنهما[1]، وقتادة[2]، وحبيب بن أبي ثابت[3] [4].

القول الثاني : الكلمات الخبيثات للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام ؛ والطيبات من الكلام للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[5]، وسعيد بن جبير[6]، ومجاهد[7]، والضحاك[8]، والحسن[9]، وعطاء بن أبي رباح[10]، ومقاتل بن حيان[11]، وقتادة[12]،

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٦) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٦/١٦) ، وذكره ابن أبي حاتم (٢٥٦١/٨) بعد الأثر رقم : (١٤٣١١) ، وأخرجه عنه أيضاً : (٢٥٦٣/٨) برقم : (١٤٣٢٤) ، ورقم : (١٤٣٣٠) .

(٣) **حبيب بن أبي ثابت** = قيس ، ويقال : هند بن دينار الأسدي ، مولاهم ، أبو يحيى الكوفي ، ثقة فقيه جليل، كان كثير الإرسال والتدليس ، من الثالثة ، أسند عن ابن عمر ، وابن عباس ، وجابر ، وحكيم ابن حزام ، وأنس بن مالك ، وابن أبي أوفى في آخرين ، مات سنة تسع عشرة ومائة . انظر : صفة الصفوة (١٠٧/٣) ، تقريب التهذيب (١٥٠) .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٥٦٢/٨) ، برقم : (١٤٣٢٠) ، وذكره بعد الأثر رقم : (١٤٣٢٤) ورقم: (١٤٣٣٠) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٦٢/٨-٢٥٦٣) ، برقم : (١٤٣١٦) ورقم : (١٤٣٢١) ورقم : (١٤٣٢٦) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٦/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٥٦١/٨-٢٥٦٣) ، بالأرقام : (١٤٣١٠) ، (١٤٣١٥) ، (١٤٣٢٢) ، (١٤٣٢٥) ، (١٤٣٢٨) ، (١٤٣٢٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦٨/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) تفسير مجاهد (١٧٦) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٣٣/٢) ، والطبري (٢٣٣/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٥٦١/٨) برقم (١٤٣١٢) . وذكره بعد الأثر رقم: (١٤٣٢١) ، ورقم : (١٤٣٢٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني .

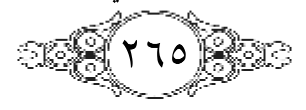
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٥/١٦) ، وذكره ابن أبي حاتم (٢٥٦٣/٨) بعد الأثر رقم: (١٤٣٢١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد (١٦٨/٦) .

(٩) ذكره ابن أبي حاتم (٢٥٦٢/٨-٢٥٦٣) بعد الأثر رقم : (١٤٣١٦) ، ورقم : (١٤٣٢١) ، وأخرجه برقم : (١٤٣٢٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد (١٦٧/٦) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٦/١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦٨/٦) عزوه لعبد بن حميد.

(١١) **مقاتل بن حيَّان** = النبطي ، أبو بسطام البلخي الخراز ، مولى بكر بن وائل ، روى عن سعيد بن المسيب ، وعكرمة ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، والضحاك بن مزاحم ، وعمر بن عبد العزيز ، وجماعة . وروى عنه: عبد الله بن المبارك ، وإبراهيم بن أدهم وآخرون . وثقه يحيى بن معين ، والنسائي ، والدارقطني ، وابن حبان . وكان ناسكاً فاضلاً ، مات قبل الخمسين ومائة تقريباً . انظر : تهذيب التهذيب (٢٤٨/١٠) .

(١٢) ذكره عنهما ابن أبي حاتم (٢٥٦٢/٨) ، بعد الأثر رقم (١٤٣١٨) ورقم : (١٤٣٢٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٦) عزوه لعبد بن حميد ، والطبراني .



وحبيب بن أبي ثابت [١]، وهو قول أكثر المفسرين [٢].

قال النحاس : (وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية ... ودلَّ على صحَّة هذا القول قوله في الآية :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ ﴾[النور : ٢٦] ، يعني عائشة وصفوان ، مما يقول الخبيثون والخبيثات) [٣].

ورجَّحه الطبري وقال : (وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ؛ لأنَّ الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك ، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإخبارهم ما خصَّهم به على إفكهم ، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به ، أشبه من الخبر عن غيرهم) [٤].

القول الثالث : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء . والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد [٥]، والشعبي ، والضحاك ، والحسن ، وحبيب بن أبي ثابت [٦]، وابن زيد [٧]، ورجَّحه البيضاوي [٨]، وشيخ الإسلام ابن تيمية [٩]، وابن جزيّ [١٠]، وأبو حيَّان [١١]، والألوسي [١٢].

---

(١) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٥٦٤) ، بعد الأثر رقم (١٤٣٢٨) .

(٢) انظر : جامع البيان (١٦/٢٣٨) ، بحر العلوم (٢/٥٢٨) ، الكشف والبيان (٧/٨٢) ، الوسيط (٣/٣١٤) ، معالم التنزيل (٣/٣٩٧) ، الكشَّاف (٧٢٤) ، التفسير الكبير (٢٣/١٧٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٧٥) ، مدارك التنزيل (٢/١٥٧) ، تفسير ابن كثير (٣/٣٠٦) .

(٣) معاني القرآن (٢/٨٠١) .

(٤) جامع البيان (١٦/٢٣٨) .

(٥) أخرجه عنهم ابن أبي حاتم (٨/٢٥٦٠-٢٥٦٢) برقم : (١٤٣٠٩) ، (١٤٣١٧) .

(٦) ذكره عنهم جميعاً : ابن أبي حاتم (٨/٢٥٦١) ، بعد الأثر رقم (١٤٣٠٩) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٣٧) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٥٦٢-٢٥٦٤) برقم : (١٤٣١٤) ورقم : (١٤٣٣١) .

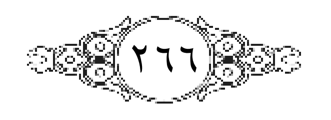
(٨) أنوار التنزيل (٤/١٠٣) .

(٩) مجموع الفتاوى (٣٢/١٤٥) .

(١٠) التسهيل (٣/١١٨) .

(١١) البحر المحيط (٦/٥٤١) .

(١٢) روح المعاني (١٨/١٩٣) .



وهــذا المعــنى مــبني علــى قولــه : ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[النــور : ٣] فالخبيثات الزواني ، والطيبات العفائف ، وكذا الطيبون والطيبات[1] .

الجمع أو الترجيح :

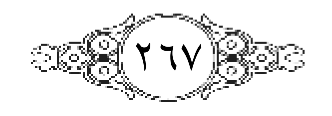
أولى الأقـوال بالـصواب - والله أعلـم - الجمـع بـين الأقـوال الـواردة كلـها ، وهذا هو اختيار جمع من المحققين .

قـال ابـن القـيم رحمه الله : (وقـد فـسِّرت الآيـة بـأنَّ الكلمـات الخبيثـات للخبيـثين ، والكلمـات الطيبـات للطيـبين ، وفـسِّرت بـأنَّ النـساء الطيبـات للرجـال الطيـبين ، والنــساء الخبيثــات للرجــال الخبيــثين ، وهــي تعــمُّ ذلــك وغــيره ، فالكلمــات والأعمال والنـساء الطيبـات لمناسـبها مـن الطيـبين ، والكلمـات والأعمـال والنـساء الخبيثـة لمناسـبها مـن الخبيـثين ، فـالله سـبحانه وتعـالى جعـل الطيـب بحـذافيره في الجنة ، وجعل الخبيث بحذافيره في النار)[2] .

وقــال الــسعدي رحمه الله : (أي : كــل خبيــث مــن الرجــال والنــساء ، والكلمــات والأفعــال ، مناســب للخبيــث ، وموافــق لــه ، ومقتــرن بــه ، ومــشاكل لــه . وكــل طيــب مــن الرجــال والنــساء ، والكلمــات والأفعــال ، مناســب للطيــب ، وموافــق لــه، ومقتــرن بــه ، ومــشاكل لــه ، فهــذه كلمــة عامــة وحــصر ، لا يخــرج منــه شيء)[3] .

وقــال ابــن عاشــور رحمه الله : (والمــراد بالخبــث : خبــث الــصفات الإنــسانية كــالفواحش . وكــذلك المــراد بالطيــب : زكــاء الــصفات الإنــسانية مــن الفــضائل المعروفــة في البــشر ، فلــيس الكفــر مــن الخبــث ولكنــه مــن متمماتــه . وكــذلك الإيمان من مكملات الطيب ، فلـذلك لم يكـن كفـر امـرأة نـوح وامـرأة لـوط ناقـضاً لعمــوم قولــه : ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النــور : ٢٦] ، فــإن المــراد بقولــه تعــالى : ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحــــريم : ١٠] أنهمـــــا خانتـــــا زوجيهمـا بإبطـان الكفـر . ويـدلُّ لـذلك مقابلـة حالهمـا بحـال امـرأة فرعـون : ﴿إِذْ

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٧٥) .
(٢) زاد المعاد (١/٦٦) .
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٥) .

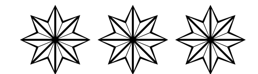


﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ إلى قولـــــه تعـــــالى : ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم : ١١]) [١].

والقول بشمول المعنى أولى من تخصيصه بمعنى واحد ، لأنه يمكن حمله هنا عليها جميعاً .

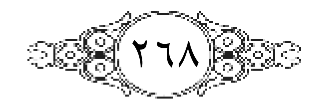
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [٢].

والله أعلم ..



(١) التحرير والتنوير (١٨/١٩٥) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الثالث :

* وفي قولـــه ســـبحانه وتعـــالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾ [النور : ٢٩] [١] .

٣٢- قال عطاء الخراساني : الخلاء والبول [٢] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥١/١٧) بسنده قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج قال : سمعت عطاء يقول .. وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

القاسم هو : القاسم بن الحسن ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة . ولكن في تاريخ بغداد (٤٣٢/١٢) ترجمة للقاسم بن الحسن بن يزيد ، أبو محمد الهمذاني الصائغ ، سمع يزيد بن هارون ، وعبد الله بن بكر السهمي، وأبا أسامة التبوذكي ، وقبيصة بن عقبة ، وروى عنه : أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي ، وأحمد بن علي الأبار ، ويحيى بن محمد بن صاعد ، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ ، وعلي بن إسحاق المادرانى ، وكان ثقة ، مات في سنة اثنتين وسبعين ومائتين . فهذا يصلح أن يكون هو المراد ، ولكن لا أطمئن إلى ذلك ، ولا أستطيع الجزم به ، بل لا أستطيع ترجيحه . انظر : رجال تفسير الطبري (٤٥٢) .

الحسين هو : الحسين بن داود المصيصي المحتسب ، لقبه سنيد بنون ثم دال مصغراً ، ضعف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلقِّن حجاج بن محمد شيخه ، من العاشرة ، مات سنة ست وعشرين ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (٢٥٧) .

حجاج هو : حجاج بن محمد المصيصي الأعور ، أبو محمد ترمذي الأصل ، نزل بغداد ثم المصيصة ، ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته ، من التاسعة مات ببغداد سنة ست ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (١٥٣) .

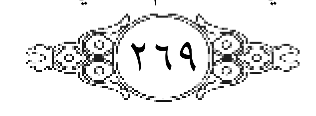
ابن جريج هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد وأبو خالد القرشي ، مولاهم المكي الفقيه ، ثقة فاضل ، أحد الأعلام ، روى عن مجاهد وعطاء وابن أبي مليكة ، وروى عنه القطان ، وروح ، وحجاج، قال ابن عيينة : سمعته يقول ما دون العلم تدويني أحد ، وكان يدلس ويرسل ، من السادسة ، مات سنة خمسين أو بعدها ، وقد جاز السبعين وقيل جاز المائة ولم يثبت ، وكان يبيح المتعة ويفعلها . انظر: الكاشف (٦٦٦/١) ، تقريب التهذيب (٣٦٣) .

وبهذا يعتبر الأثر ضعيف الإسناد من هذا الطريق عن عطاء الخراساني .

والطبري لم يصرِّح هو ولا غيره ممن ذكر القول أنَّ عطاء هنا هو الخراساني ، لكني من استقراء هذا السند عند الطبري ، وجدته لم يروِ به إلا عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ، ولم يتكرر عنده سوى ثلاث مرات عن عطاء - دون نسبة – في أقوال لعطاء وليست لابن عباس .

وذكره النحاس في معاني القرآن (٨٠٣/٢) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٧٠/٨) برقم : (١٤٣٧١) بسنده قال : حدثنا الحسين بن الحسن ، أنبأ إبراهيم بن عبد الله الهروي ، أنبأ حجاج قال : قال ابن جريج : سمعت عطاء يقول : ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

الحسين بن الحسن : المروزي ، أبو عبد الله ، روى بمكة عن بن المبارك وهشيم ، وروى عنه: الترمذي وابن ماجة وابن صاعد وإبراهيم الهاشمي ، ثقة عالم ، توفي ٢٤٦هـ . انظر : الكاشف (٣٣٢/١) .



الدراسة :

* يقول تعالى ذكره : ليس عليكم أيها الناس إثم ولا حرَج أن تدخلوا بيوتاً لا ساكن بها بغير استئذان على أهلها ، واختلف المفسِّرون في المقصود من البيوت والمتاع فيها هنا ، على أقوال .

الأقوال في الآية[1] :

القول الأول : أنَّ المقصود البيوت الخربة والمهجورة ، والمتاع هنا هو الخلاء والبول ، وسمي متاعاً لأنَّ فيه إمتاعاً للناس ، وهذا معنى قول عطاء الخراساني ، وعيسى بن زيد [2][3].

القول الثاني : أنها الخانات والبيوت التي تكون في الطرق لأهل الأسفار، خربة لا يسكنها أحد ، فيها منفعة للمسافر في الشتاء والصيف يأوي إليها ، قاله محمد بن الحنفية [4]، وسعيد بن جبير [5]، وإبراهيم النخعي [6]، ومجاهد [7]، ....

إبراهيم بن عبد الله الهروي هو : إبراهيم بن عبد الله ، الحافظ الكبير : أبو إسحاق الهروي ، نزيل بغداد ، سمع : إسماعيل بن جعفر ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد وطبقتهم ، وروى عنه : الترمذي ، وابن ماجة ، وابن أبي الدنيا ، والفريابي ، وأبو يعلى ، وخلق كثير ، وكان صدوقاً عالماً زاهداً عابداً صواماً كبير القدر من أعلم الناس بحديث هشيم ، مات في رمضان سنة أربع وأربعين ومائة ، وهو في عشر المائة . انظر : تذكرة الحفَّاظ (٢/٤٨٤) .

والأثر ذكره أيضاً : الثعلبي في الكشف والبيان (٨٦/٧) ، والماوردي في النكت والعيون (٨٨/٤) ، والبغوي في معالم التنزيل (٤٠١/٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢١٨٠/٢) .

وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

وبهذا يكون الأثر ضعيفاً عن عطاء الخراساني لضعف ابنه عثمان ، ولنكارة رواياته عن أبيه .

(١) انظر : الكشف والبيان (٨٦/٧) ، النكت والعيون (٨٨/٤) ، معالم التنزيل (٤٠١/٣) ، زاد المسير (٩٩٣)، التسهيل (١٢٠/٣) .

(٢) **عيسى بن زيد** = ابن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، روى عنه ابنه الحسين . لم أقف على ترجمة مطولة له . انظر : الجرح والتعديل (٦٠/٣) .

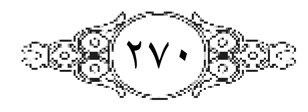
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥١/١٧) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٩/١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٦٩/٨-٢٥٧٠) برقم : (١٤٣٦٥) ، (١٤٣٦٨) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٣٣/٢) ، والطبري (٢٤٩/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٥٦٩/٨) برقم : (١٤٣٦٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .



والـضحاك [(١)]، وعكرمـة [(٢)]، وقتـادة [(٣)]، وبنحـو هـذا المعـنى قـال جمهـور المفسِّرين [(٤)].

القـول الثالـث : كـانوا يـضعون في بيـوت في طـرق المدينـة متاعـاً وأقتابـاً فـرخِّص لهـم أن يـدخلوها . روي عـن مجاهـد [(٥)]، وقالـه ابـن الحنفيـة [(٦)]، واختاره النحَّاس [(٧)].

وقد قال قتادة والسدي : فيها منفعة لكم وبلاغاً إلى حاجتكم [(٨)].

القول الرابع : أنها بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس ، قاله ابن زيد [(٩)].

القول الخامس : أنها بيوت مكة ، قاله ابن الحنفية [(١٠)].

قـال ابـن عطيـة ﷺ : (وهـذا هـو في هـذه المـسألة القـول الـضعيف ، يـرده قولـه ﷺ : « وَهَـلْ تَـرَكَ لَنَـا عَقِيـلٌ مَنْـزِلاً » [(١١)]، وقولـه : « مَـنْ دَخَـلَ دَارَ أَبِـي

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٠/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٥٦٩/٨) برقم : (١٤٣٦٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) لعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٠/٨) بعد الأثر رقم : (١٤٣٦٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) لعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٩/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٥٧٠/٨) برقم : (١٤٣٦٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) لعبد بن حميد .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٢١٤/٢) ، الوسيط (٣١٥/٣) ، الكشاف (٧٢٦) ، المحرر الوجيز (١٣٥٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢١٨٠/٢) ، أنوار التنزيل (١٠٤/٤) ، مدارك التنزيل (١٥٨/٢) ، البحر المحيط (٥٤٦/٦) ، تفسير ابن كثير (٣١٠/٣) ، إرشاد العقل السليم (٤٥٢/٤) ، روح المعاني (٢٠٢/١٨) ، فتح القدير (٢٤/٤)

(٥) تفسير مجاهد (١٧٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٩/١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٦) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٦٩/٨) برقم : (١٤٣٦٣) .

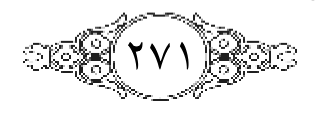
(٧) معاني القرآن (٨٠٣/٢) .

(٨) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٠/٨) برقم : (١٤٣٦٩) ، (١٤٣٧٠) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥١/١٧) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥١/١٧) .

(١١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (١٥٨٨) في كتاب الحج ، باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها ، وأنَّ الناس في المسجد الحرام سواء ، وبرقم : (٣٠٥٨) في كتاب الجهاد والسير ، باب إذا أسلم قوم في دار حرب ولهم مال وأرضون فهي لهم ، وبرقم : (٤٢٨٣) في كتاب المغازي ، باب أين ركز النبي ﷺ الراية . وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٥١) في كتاب الحج ، باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورها . كلاهما أخرجاه من حديث أسامة بن زيد ﷺ .



سُفْيَانَ» ، « وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ » [(١)]، وغير ذلك من وجوه النظر) [(٢)].

وقال الرازي بعد ذكر الخلاف : (والأولى أن يقال إنه لا يمتنع دخول الجميع تحت الآية فيحمل على الكل ، والعلة في ذلك أنها إذا كانت كذلك فهي مأذون بدخولها من جهة العرف ، فكذلك نقول إنها لو كانت غير مسكونة ولكنها كانت مغصوبة ، فإنه لا يجوز للداخل أن يدخل فيها لكن الظاهر من حال الخانات أنها موضوعة لدخول الداخل) [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر – والله أعلم – أنَّ الآية عامة ، تشمل كل البيوت التي ليس لها مالك ، وليس بها ساكن ، إذ ينتفي بعدم ملكيتها أو سكناها داعي الاستئذان الذي أمر الله به ، وعليه فالمتاع كذلك عام ، يشمل الاستراحة في السفر ، أو قضاء الحاجة في البيوت الخربة ، أو وضع متاع أو أخذه ، فهي على عمومها، ولا دليل على التخصيص .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الخبر على عمومه ، حتى يرد ما يخصصه[(٤)].

وعليه فقول عطاء الخراساني في المسألة قول مرجوح ، إذ خصص ما لا دليل على تخصيصه .

قال الطبري ﷺ : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنَّ الله عمّ بقوله : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ﴾ كلّ بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن ؛ لأنَّ الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول ، أو ليأذن للداخل إن كان له مالكاً ، أو كان فيه ساكناً . فأما إن كان لا مالك له فيحتاج إلى إذنه لدخوله ، ولا ساكن فيه ، فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه ، لئلا يهجم على ما لا يحبّ رؤيته منه ، فلا معنى للاستئذان فيه . فإذا كان ذلك ، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون

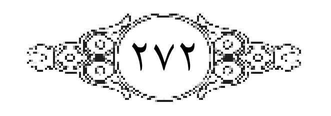
---

(١) **صحيح** . الجملتان ؛ جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٧٨٠) في كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة .

(٢) المحرر الوجيز (١٣٥٧) .

(٣) التفسير الكبير (٢٣/١٨١) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٥٩٩) .

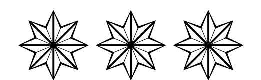


بعض ، فكلّ بيت لا مالك له ، ولا ساكن ، من بيت مبنيّ ببعض الطرق للمارّة والسابلة ؛ ليأووا إليه، أو بيت خراب ، قد باد أهله ولا ساكن فيه ، حيث كان ذلك ، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان ، لمتاع له يؤويه إليه ، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك) [١].

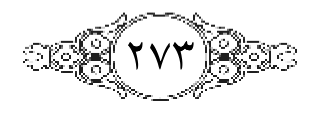
وقال ابن العربي ﷺ : (وأما من فسَّر المتاع بأنه جميع الانتفاع فقد طبق المفصل وجاء بالفيصل وبين أن دخول الداخل فيها إنما هو لماله من الانتفاع فالطالب يدخل في الخانكات للعلم والساكن يدخل في الخان للمنزل فيه أو لطلب من نزل لحاجته إليه والزبون يدخل لدكان الابتياع والحاقن يدخل الخلاء للحاجة وكل يؤتى على وجهه من بابه) [٢] .

ومثله قال النحاس [٣]، والقرطبي [٤]، والشوكاني [٥]، والسعدي [٦]، وابن عاشور [٧]، وغيرهم .

والله أعلم ..



(١) جامع البيان (١٧/٢٥٢) .
(٢) أحكام القرآن (٣/٣٧٦) .
(٣) معاني القرآن (٢/٨٠٣) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٨٠) .
(٥) فتح القدير (٤/٢٤) .
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦) .
(٧) التحرير والتنوير (١٨/٢٠٢) .



الموضع الرابع :

* وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور : ٣١] (١) .

٣٣- قال عطاء الخراساني : الكحل ، وطرف الخضاب (٢) .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله ما يحلُّ للمرأة إبداؤه وإظهاره من الزينة ،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٩٩/٥) بسنده ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن اليقطيني ، ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ، ثنا عيسى بن محمد الرملي ، ثنا ضمرة ، عن ابن عطاء ، وذكر الأثر ...

محمد بن أحمد بن الحسن اليقطيني : - لعلَّه وقع وهم في اسمه في هذا الموضع ، أو أنه من زيادة النسَّاخ ، وربما حصل خلط بين النسَّاخ بينه وبين محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق ، المعروف بابن الصواف ، وهو من شيوخ أبي نعيم أيضاً . انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٢٨٩/١) . ولم أجد من شيوخ أبي نعيم : محمد بن أحمد بن الحسن اليقطيني ، بل إنَّ الذي روى عنه في الحلية نحواً من ثلاثين مرة - هو = **محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن يقطين** ، أبو جعفر البزاز اليقطيني ، وكان قد سافر وكتب بالجزيرة والشام وغيرهما من البلدان فأكثر ، وكان صدوقاً فهماً ، توفي يوم الأربعاء ودفن يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأخر سنة سبع وستين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد (٢١١/٢) .

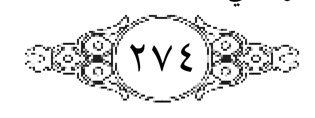
محمد بن الحسن بن قتيبة هو : الحافظ الثقة أبو العباس ، محمد بن الحسن بن قتيبة بن زيادة بن الطفيل أبو العباس اللخمي العسقلاني ، شيخ عسقلان ، ومحدث فلسطين ، قدم دمشق قديما فسمع بها ، توفى سنة عشر وثلاثمائة . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٣١٧/٥٢) ، تذكرة الحفاظ (٧٦٤/٢) .

عيسى بن محمد الرملي هو : أبو عمير الرملي ، المعروف بابن النحاس ، ويقال اسم جده عيسى ثقة فاضل، كان من عبَّاد المسلمين ، وكان يطلب العلم وعلى ظهره خريقة قدر ذراع ، حافظ عابد فقير ، من صغار العاشرة مات سنة ست وخمسين ومائتين ، وقيل بعدها . انظر : الجرح والتعديل (٢٨٦/٦) ، الكاشف (٧٤٨) ، تقريب التهذيب (٤٤٠) .

ضمرة هو : ابن ربيعه الفلسطيني أو عبدالله ، أصله دمشقي ، صدوق يهم قليلاً ، من التاسعة مات سنة اثنتين ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (٢٨٠) .

عثمان بن عطاء : وهو ابن عطاء الخراساني ، ضعيف جداً ، كما تقدَّم في ترجمته ص(٢٦٤) .

وبهذا يكون الأثر ضعيفاً عن عطاء الخراساني لضعف ابنه عثمان ، ولنكارة رواياته عن أبيه .



واختلف العلماء في المراد بما ظهر منها على أقوال .

الأقوال في الآية[1] :

القول الأول : قول المسألة : الكحل ، وطرف الخضاب ، قاله عطاء الخراساني .

القول الثاني : الكحل والخاتم ، قاله أنس بن مالك [2]، وابن عباس رضي الله عنهما[3]، وسعيد بن جبير ، وزاد قتادة : والسواران [4] .

القول الثالث : الكحل والخضاب والخاتم ، وهذا قول مجاهد ، وابن زيد [5].

القول الرابع : الكحل والخضاب والثياب ، وهذا قول الشعبي [6]، وزاد مجاهد : والخاتم [7].

القول الخامس : الكحل والخدَّان ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [8].

القول الخامس : الكفّ والخضاب والخاتم ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [9].

القول السادس : المَسْكة والخاتم ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [10]، وزاد الكحل : قتادة ، والمسور بن مخرمة [11][12]. وقال قتادة : وبلغنا أنَّ النبي ﷺ قال: « لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرْ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ يَدِهَا إلاَّ هَا هُنَا »

(١) النكت والعيون (٤/٩١) ، زاد المسير (٩٩٤) ، التفسير الكبير (٢٣/١٨٦) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧٩) لابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٥٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧٩) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي بزيادة والقرط والقلادة .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٢٥٨-٢٥٩) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٦/٢٦٠-٢٦١) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٦٠) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٧٤) برقم : (١٤٤٠١) .

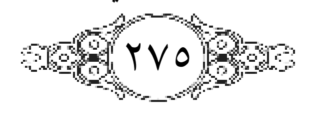
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٥٨) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٣٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٨٠) عزوه لعبد بن حميد.

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٦٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٨٠) عزوه لسنيد .

(١١) **المسور بن مخرمة** = ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري ، أبو عبد الرحمن ، له ولأبيه صحبة، روى عن عمر ، وخاله عبد الرحمن بن عوف ، وروى عنه عروة ، وابن أبي مليكة ، مات سنة أربع وستين . انظر : الكاشف (٢/٢٦٤) ، تقريب التهذيب (٥٣٢).

(١٢) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٢/٤٣٤) ، والطبري (١٦/٢٥٩-٢٦٠) .



وقبض على نصف الذراع [(١)].

القول السابع : الوجه والكفّان ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها [(٢)]، وسعيد بن جبير[(٣)]، والضحاك ، وعطاء ، والأوزاعي [(٤)]، وقال ابن عباس : رقعة الوجه وباطن الكفّ ، وزاد الخاتم في رواية [(٥)]، وروي مثله عن : ابن عمر رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، وعكرمة ، والضحاك ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو صالح ، وزياد بن أبي مريم [(٦)] [(٧)]، وقال به جمهور المفسِّرين [(٨)].

القول الثامن : الوجه وكحل العين وخضاب الكفِّ والخاتم ، فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٩)].

القول التاسع : الثياب ، أو الرداء ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف : ٣١] ، قاله ابن مسعود رضي الله عنه [(١٠)]، وإبراهيم النخعي ، والحسن [(١١)]، وابن سيرين ، وأبو صالح ، وأبو الجوزاء [(١٢)].

---

(١) لم أقف على الحديث بهذا اللفظ .

(٢) تفسير مجاهد (١٧٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٨/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٥٧٥/٨) برقم : (١٤٤٠٣) قال : فزينة الوجه الكحل ، وزينة الكفِّين الخضاب ، ولا يحلّ أن يرى منها غريب غير ذلك .

(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٥٨/١٦-٢٦١) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٤/٨) برقم : (١٤٣٩٦) و (١٤٣٩٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٠/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

(٦) **زياد بن أبي مريم** = الجزري ، وثقه العجلي ، من السادسة ، ولم يثبت سماعه من أبي موسى ، وجزم أهل بلده بأنه غير بن الجراح ، روى عن عبد الله بن معقل ، وروى عنه عبد الكريم بن مالك. تابعي ثقة . انظر : معرفة الثقات (٣٧٤/١) ، الكاشف (٤١٢/١) ، تقريب التهذيب (٢٢١) .

(٧) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٤/٨) بعد الأثر رقم : (١٤٣٩٨) .

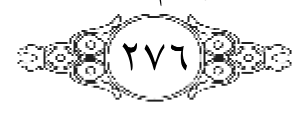
(٨) انظر : جامع البيان (٢٦١/١٧) ، بحر العلوم (٥٣١/٢) ، الوسيط (٣١٦/٣) ، معالم التنزيل (٤٠٣/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢١٨٣/٢) ، مدارك التنزيل (١٥٩/٢) ، تفسير ابن كثير (٣١٢/٣) ، إرشاد العقل السليم (٤٥٣/٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٩/١٦) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٣٥/٢) ، والطبري (٢٥٦/١٦) ، وابن أبي حاتم (٢٥٧٤/٨) برقم : (١٤٤٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧٩/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٥٧/١٦) ، وذكره ابن أبي حاتم (٢٥٧٤/٨) بعد الأثر رقم : (١٤٤٠٠).

(١٢) ذكره عنهم ابن أبي حاتم (٢٥٧٤/٨) بعد الأثر رقم : (١٤٤٠٠) .



القول العاشر : الوجه والثياب ، قاله الحسن [1].

القول الحادي عشر : القُلْب[2] والفَتْخَة ، وهو قول عائشة رضي الله عنها[3] وقالت: الفتخ : حلق من فضَّة يكون في أصابع القدمين [4].

القول الثاني عشر : الزِّينة : السوار والقرط والدبلوج [5] والخلخال والقلادة ، وهو رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه [6].

القول الثالث عشر : الخواتم ، وهو قول ابن شهاب [7].

القول الرابع عشر : الوجه وثغرة النحر ، وهذا قول عكرمة [8].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي - والله أعلم – أنَّ الزينة التي تظهر من المرأة غالباً هي : ما ظهر عادة دون قصد من زينة الوجه والكفين ، وهي في الغالب : الكحل والخاتم والسوار والخضاب ونحو ذلك ، دون تعمّد من المرأة لإظهاره ، وربما يدخل في الزينة جمال المرأة نفسه دون كحل أو نحوه، فتكون مأمورة بستر وجهها عن الرجال الأجانب خشية الفتنة بها .

وقد أمر الله تعالى النساء في الآية نفسها بأن يضربن بخمُرِهن على جيوبهن، والخُمُر جَمعٌ ، ومفرده (خِمَار) [9]، وهو - كما قال شيخ الإسلام

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٦١) .

(٢) **القُلْب** = قُلْبُ الفضَّة : سِوارٌ غير ملويٍّ ، مستعار من : (قُلْبِ) النَّخلة لبياضه . انظر : المصباح المنير ، مادة : (قلب) ص٢٦٥ .

(٣) أخرجه عنها الطبري في تفسيره (١٦/٢٦٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٨٠) عزوه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) ذكره عنها ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٧٥) برقم : (١٤٤٠٢) .

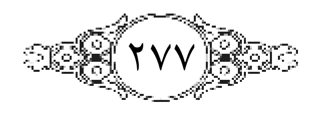
(٥) لم أقف على معنى الدبلوج في اللغة ، والظاهر أنه نوع من الحلي والزينة كانت النساء تستعمله قديماً تلبس في العضد . ولم أجد من ذكره غير ابن أبي حاتم في تفسيره في هذا الأثر .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٧٤) برقم : (١٤٣٩٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧٩) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه - ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن جرير – ولم أقف عليه - ، وابن المنذر ، والطبراني ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٥٧٤) برقم : (١٤٣٩٧) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٨٠) لابن أبي شيبة .

(٩) **الخمار** = ثوب تغطي به المرأة رأسها ، انظر : المصباح المنير مادة (خمر) ص٩٦.
وقال الفرَّاء في تفسير الآية : (لتخمِّر نحرها وصدرها بخمار ، وذلك أنَّ نساء الجاهلية كنَّ يسدلن خمرهنَّ



ابن تيمية - ما تغطي به المرأة الرأس والوجه والعنق [١].

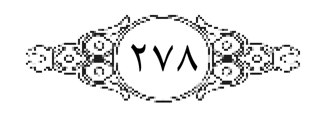
ويظهر لي – والله أعلم – أنه ليس في هذه الآية حجَّة لمن أجاز كشف وجه المرأة ، لأنَّ لفظ الآية : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ، أي من الزينة ، أي ظهر بالرغم من محاولة إخفاءه ، ولم يقل : إلا ما أظهرن منها .

ومن هنا يمكن أن يقال : إنَّ كلَّ زينة يمكن للمرأة إخفاؤها فهي مأمورة بإخفائها ، سواء كان الوجه والكفان ، أو الكحل والخاتم ، أو غيرها ، وأنها لو قصَّرت في إخفاء مثل هذه الزينة ، وكشفتها عمداً تؤاخذ على ذلك ، وأن كل زينة لا يمكن إخفاؤها – مثل الثياب الظاهرة – أو يمكن إخفاؤها – كالوجه - ، ولكنها انكشفت من غير قصد لكشفها ، أو شعور بذلك ، فإنها لا تؤاخذ عليه ، ولا تعاتب على ذلك ، كما أنها لا تؤاخذ ولا تعاتب إذا كشفتها عمداً لأجل حاجة أو مصلحة ملجئة ، وهذا من تيسير الله تعالى ، وهو كقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦].

قال الزمخشري رحمه الله : (الزينة : ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب ، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب ، فلا بأس بإبدائه للأجانب ، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط ، فلا تبديه إلاّ لهؤلاء المذكورين . وذكر الزينة دون مواقعها : للمبالغة في الأمر بالتصوّن والتستر ، لأنّ هذه الزِّيَن واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء ، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن ، فنهى عن إبداء الزِّيَن نفسها ؛ ليعلم أنّ النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع - بدليل أنَّ النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حلِّه - كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكِّناً في الحظر ، ثابت القدم في الحرمة ، شاهداً على أنَّ النساء حقهنّ أن يحتطن في سترها ،

من ورائهنَّ فينكشف ما قدَّامها ؛ فأمرن بالاستتار) انظر : معاني القرآن (٢/٢١٥) .
وقال الراغب : (الخمار في اللغة : ما يستتر به ، لكنَّ الخمار صار في التعارف اسماً لما تغطِّي به رأسها) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٦٥) .

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/١٤٧) .



ويتَّقين الله في الكشف عنها)[1].

وهذا كلام نفيس في بابه ، هو من فقه الزمخشري رحمه الله بمعاني النصوص، وتمكّنه في فهم لغة العرب .

وقد تعرَّض بعض من فسَّر هذه الآية لأمر تغطية الوجه مؤكداً على ضرورته ، ومن ذلك :

قال ابن عطية رحمه الله : (ويظهر لي في محكم ألفاظ الآية أنَّ المرأة مأمورة بألا تبدي وجهها ، وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك ، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفوّ عنه ، فغالب الأمر أنَّ الوجه بما فيه والكفين يكثر فيهما الظهور ، وهو الظاهر في الصلاة ، ويحسن بالحسنة الوجه أن تستره إلا من ذي حرمة « محرمة » ، ويحتمل لفظ الآية : أنَّ الظاهر من الزينة لها أن تبديه ، ولكن يقوِّي ما قلناه الاحتياط ومراعاة فساد الناس فلا يظن أن يباح للنساء من إبداء الزينة إلا ما كان بذلك الوجه)[2].

وهذا من فقه ابن عطية رحمه الله في ذلك ، حيث راعى أحوال الناس وفسادهم في زمانه ، فكيف بهم في زماننا ؟! .

وبنحوٍ من هذا القول قال جماعة من المفسِّرين ، أنَّ المقصود في الآية أنه لا يحلّ لغير محرم أن ينظر إلى المرأة في شيء منها بدون ضرورة [3].

وخلاصة الكلام أن يقال : الزينة في اصطلاح العرب ما يتزيَّن به ويتجمَّل، من الثياب أو الكحل أو الخضاب أو كلّ ما يزيّن . وهذا هو مفهوم الزينة التي أباح الله الظاهر منها بسبب العمل أو العادة ، دون تكلّف وقصد .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [4].

ومما سبق يتَّضح أنَّ قول عطاء الخراساني داخل في المعنى الراجح .

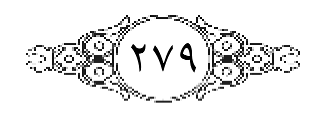
---

(١) الكشاف (٧٢٦) .

(٢) المحرر الوجيز (١٣٥٧) .

(٣) انظر : أنوار التنزيل (٤/١٠٤) ، التسهيل (٣/١٢١) ، فتح القدير (٤/٢٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦)، التحرير والتنوير (١٨/٢٠٦) .

(٤) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] .

٣٤- قال عطاء الخراساني : لمَّا قدِم أصحاب النبي ﷺ بيت المَقدِس كان قوابل[١]نسائهم اليهوديات والنصرانيات [٢] .

الدراسة :

* ذكر عطاء الخراساني في هذه الآية أنَّه لمَّا قدِم أصحاب النبي ﷺ بيت المَقدِس كان قوابل نسائهم اليهوديات والنصرانيات ، ولعله يريد بذلك أن ممن يدخل في قوله تعالى : ﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ نساء أهل الكتاب ، وهذه مسألة اختلف فيها أهل العلم رحمهم الله على أقوال .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أنه عام في جميع النساء ، فيدخل فيه نساء أهل الكتاب ، فيجوز للمرأة أن تبدي زينتها أمامهنَّ ، وهذا مفهوم قول عطاء الخراساني هنا، واختاره البغوي [٤]، ....

(١) **القابلة** = هي المرأة التي تقْبَل الولد وتتلقاه عند الولادة ، وجمعها : قوابل . انظر : معجم مقاييس اللغة (٨٧٢) ، المعجم الوسيط (٧١٢) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٧/٨) برقم : (١٤٤١٧) بسنده ، قال : حدثنا علي بن الحسين ، ثنا أبو عمير ، ثنا ضمرة ، قال : قال ابن عطاء ، عن أبيه ، وذكر الأثر ...

علي بن الحسين هو : الإمام الحافظ الحجة ، علي بن الحسين بن الجنيد ، أبو الحسن النخعي الرازي ، المعروف في بلده بالمالكي لكونه جمع حديث مالك الإمام وكان من أئمة هذا الشأن ، حدث عنه ابن أبي حاتم وقال : ثقة صدوق ، توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين بالري . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/١٤) ، طبقات الحفاظ (٢٩٧/١) .

أبو عمير هو : عيسى الرملي ، المعروف بابن النَّحاس ، وقد تقدَّمت دراسته في القول السابق .

ضمرة هو : ابن ربيعه الفلسطيني ، وتقدَّمت دراسته في القول السابق .

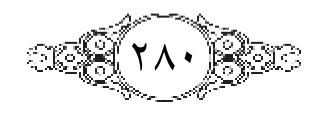
عثمان بن عطاء : وهو ابن عطاء الخراساني ، ضعيف جداً ، كما تقدَّم في ترجمته ص(٢٦٤) .

وبهذا يكون الأثر ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني لضعف ابنه عثمان ، ولنكارة رواياته عن أبيه .

وقد ذكره ابن كثير في تفسيره (٣١٣/٣) عن ابن أبي حاتم أيضاً .

(٣) انظر : النكت والعيون (٩٤/٤) ، معالم التنزيل (٤٠٣/٣) ، أنوار التنزيل (١٠٥/٤) ، التحرير والتنوير (٢١٠/٩).

(٤) معالم التنزيل (٤٠٣/٣) .



والرازي [١]، والنسفي [٢]، وأبو حيان [٣]، والمراغي [٤].

قال ابن كثير ﷺ معلِّقاً على قول عطاء الخراساني : (فهذا إن صحَّ فمحمول على حال الضرورة ، أو أنَّ ذلك من باب الامتهان ، ثمَّ أنه ليس فيه كشف عورة ولا بدَّ) [٥].

القول الثاني : أنهنَّ المسلمات ، فلا يجوز لمسلمة أن تكشف جسدها عند كافرة ، وهذا قول عمر بن الخطاب [٦]، وابن عباس رضي الله عنهما [٧] ، وسعيد بن جبير [٨]، ومجاهد [٩]، وعبادة بن نسي [١٠][١١]، وابن جريج [١٢]، وهو قول جمهور المفسِّرين [١٣].

وذلك لأنَّ الكوافر لا يتحرَّجن عن وصفهنَّ للرجال ، ولا يؤتمنَّ عليهنَّ .

---

(١) التفسير الكبير (١٨٨/٢٣) .

(٢) مدارك التنزيل (١٦٠/٢) .

(٣) البحر المحيط (٥٤٨/٦) .

(٤) تفسير المراغي (٦٧٢/٦) .

(٥) تفسير ابن كثير (٣١٣/٣) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦) لسعيد بن منصور ، والبيهقي في سننه ، وابن المنذر .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦) لعبد بن حميد ، وابن المنذر من طرق الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٧/٨) برقم : (١٤٤١٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٦) لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقي في سننه . بلفظ آخر .

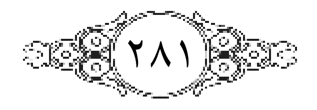
(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٧٧/٨) برقم : (١٤٤١٦) .

(١٠) **عبادة بن نسي** = الكندي ، الشامي الأردني ، قاضي طبرية ، روى عن أوس بن أوس الثقفي ، وشداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم . وروى عنه رجاء بن ابي سلمة وغيره ، وثقه ابن سعد في تابعي أهل الشام ، وقال البخاري : سيدهم ، وقال مسلمة بن عبد الملك : (إنَّ في كندة لثلاثة نفر، إنَّ الله لينزل بهم الغيث ، وينصر بهم على الأعداء : عبادة بن نسي ، ورجاء بن حيوة ، وعدي بن عدي) ، توفي سنة ١١٨هـ . انظر ترجمته : رجال تفسير الطبري (٢٩٩) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٥/١٧) .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٥/١٧) .

(١٣) انظر : جامع البيان (٢٦٥/١٧) ، بحر العلوم (٥٣١/٢) ، الكشف والبيان (٨٨/٧) ، الوسيط (٣١٦/٣) ، الكشاف (٧٢٧) ، المحرر الوجيز (١٣٥٨) ، زاد المسير (٩٩٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢١٨٥/٢) ، التسهيل (١٢١/٣) ، تفسير ابن كثير (٣١٣/٣) ، إرشاد العقل السليم (٤٥٤/٤) ، روح المعاني (٢١٠/١٨) ، فتح القدير (٢٩/٤) .



الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي - والله أعلم – رجحان القول الأول ، أنَّ المرأة تكشف أمام المرأة سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة ، وتغطي عنها ما بين السرة للركبة ، وهذه عورة المرأة أمام المرأة ، إلاَّ إن احتاجت لكشف العورة للعلاج أو نحوه فيجوز لها ذلك ، ويجوز أن تقوم بولادتها مسلمة أو غير مسلمة ، والأفضل أن تتولى ذلك مسلمة لأنها آمن عليها ، وأحرص على حياتها وسلامتها من غيرها ، وربما يحمل كلام الجمهور على الاستحباب والأولى [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (وقوله : ﴿أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ احتراز عن النساء المشركات فلا تكون المشركة قابلة للمسلمة ولا تدخل معهن الحمام ، لكن قد كن النسوة اليهوديات يدخلن على عائشة وغيرها فيرين وجهها ويديها بخلاف الرجال فيكون هذا في الزينة الظاهرة في حق النساء الذميات ، وليس للذميات أن يطَّلعن على الزينة الباطنة ويكون الظهور والبطون بحسب ما يجوز لها إظهاره ، ولهذا كان أقاربها تبدى لهن الباطنة وللزوج خاصة ليست للأقارب) [2].

وقال أبو حيان ﷺ : (والإضافة في ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾ إلى المؤمنات تقتضي تعميم ما أضيف إليهن من النساء من مسلمة وكافرة كتابية ومشركة ؛ من اللواتي يكنَّ في صحبة المؤمنات وخدمتهن) [3].

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص [4].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ : (الصَّحيح أنَّ المرأة تكشف للمرأة سواء كانت مسلمة أو كافرة ما فوق السرَّة وتحت الركبة ، أما ما بين السرة والركبة فهو عورة في حق الجميع لا تراه المرأة من المرأة ؛ سواء كانت مسلمة

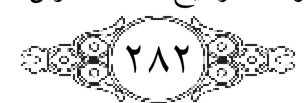
---

(١) انظر : التفسير الكبير (١٨٨/٢٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١٢/٢٢) .

(٣) البحر المحيط (٥٤٨/٦) .

(٤) انظر : قواعد التفسير (٥٩٩/٢) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٥٢٧/٢) .



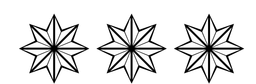
أو غير مسلمة ، قريبة أو بعيدة ، كالعورة للرجل مع الرجل فللمرأة أن ترى من المرأة : صدرها ورأسها وساقها ونحو ذلك ؛ كالرجل يرى من الرجل صدره وساقه ورأسه ، وأما قول بعض أهل العلم أنَّ المرأة الكافرة لا تكشف لها المؤمنة فهو قول مرجوح في أصحِّ قولي العلماء ، لأنَّ اليهوديات كنَّ في عهد النبي ﷺ وهكذا الوثنيات يدخلن على أزواج النبي ﷺ لحاجتهن ولم يُحفظ أنهن كن يتحجَّبن منهن ، وهنَّ أتقى النساء وأفضلهن) [(١)].

ومما سبق يتَّضح رجحان معنى قول عطاء الخراساني في هذه المسألة .

ويستثنى من ذلك - والله أعلم - إذا كانت هناك مفسدة وفتنة مترتّبة على هذا كشف غير العورة من الزينة الظاهرة ، أو النحر والصدر ، وإبداء الزينة ولو أمام المسلمة فإنه لا يجوز ، لأنَّ الحكم يدور مع علَّته وجوداً وعدماً ، والمرأة مطالبة بحفظ نفسها عن أي فتنة ، سواء كانت من غير المسلمات ، أو من المسلمات ، وقد ورد أَنَّ نِسَاءً مِنْ أَهْلِ حِمْصَ أَوْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ دَخَلْنَ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : أَنْتُنَّ اللاتِي يَدْخُلْنَ نِسَاؤُكُنَّ الْحَمَّامَاتِ ؟! سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلاَّ هَتَكَتْ السِّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا » [(٢)].

فهذا الحديث يبيِّن أنَّه لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتكشَّف وتظهر عورتها في غير بيت زوجها دون حاجة .

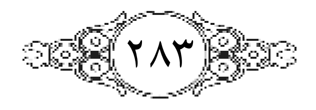
والله أعلم ..



---

(١) الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة (٣/٨٣٠) .

(٢) **صحيح** . أخرجه الترمذي في سننه وحسنه برقم : (٢٨٠٣) في كتاب الأدب ، باب ما جاء في دخول الحمام. وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم : (٣٧٥٠) في كتاب الأدب ، وأحمد في مسنده (٢٤٨٧٩) ، (٢٥٧٧٢)، والدارمي في سننه برقم : (٢٦٥١) في كتاب الاستئذان ، وقال عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/٣٢٥): إسناده جيد . وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٠٣) ، وفي صحيح الترغيب (١٧٠) ، وفي غاية المرام (١٩٤) .



الموضع السادس :

* في قول الله تعالى : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾﴾ [النور : ٣٣] [(١)].

٣٥- **قال عطاء الخراساني** : وعدَ الله المُكرَهات المغفرة إن تُبْن وأصلحن [(٢)].

وفي لفظ : فإن فعلتم فإنَّ الله لهن غفور رحيم ، وإثمهن على من أكرههن [(٣)].

الدراسة :

* في هذه الآية نهي من الله لعباده أن يكره أحد أمته على البغاء وهو فاحشة الزنا ، لحرمة ذلك الفعل وشناعته ، ووعد المُكرَهات بأنه سيغفر لهنَّ، والإثم على من أكرههن .

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : قول المسألة الذي قال به عطاء الخراساني ، وهو قول جابر رضي الله عنه [(٥)]، وابن عباس رضي الله عنهما [(٦)]، ومجاهد [(٧)]، والضحاك [(٨)]، وقتادة [(٩)]، والزهري [(١٠)]، وزيد بن أسلم [(١١)]، والأعمش [(١٢)]، وابن زيد [(١٣)]، وكان

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٩١/٨) ، برقم : (١٤٥٣٩) ، قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، حدثني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء الخراساني .... وذكر الأثر ، وسبقت دراسة هذا الإسناد ، والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٣١٨/٣) .

(٤) التفسير الكبير (٢٠١/١٨) ، فتح القدير (٣٧/٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩١/١٧) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩٢/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٥٩١/٨) برقم : (١٤٥٣٧) .

(٧) تفسير مجاهد (١٧٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩١/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٥٩١/٨) برقم : (١٤٥٣٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٥/٦) لابن أبي شيبة ، وابن المنذر.

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩٣/١٧) .

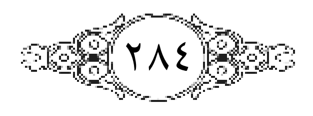
(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٥٩٢/٨) برقم : (١٤٥٤١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٥/٦) لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٤١/٢) ، والطبري (٢٩٢/١٧) .

(١١) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣١٨/٣) وعزاه لابن المنذر .

(١٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣١٨/٣) .

(١٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩٤/١٧) .



الحسن إذا قرأ هذه الآية قال : لهنَّ والله لهنَّ [1] ، وهو قول جمهور المفسِّرين [2] .

وتؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ، وأبو عمران الجوني [3] ، وجعفر بن محمد [4][5] ، وابن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وسعيد بن جبير [6] : ﴿ من بعد إكراههن لهنَّ غفور رحيم ﴾ [7] .

وهي قراءة شاذَّة ؛ استُشهد بها لبيان قراءة غير شاذة ، وذلك أنَّ الموعود بالمغفرة والرحمة ، هو المعذور بالإكراه دون المكرِه ، لأنه غير معذور في فعله القبيح [8] .

وكذلك يؤيده ما صحَّ في سبب نزول الآية : عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ : اذْهَبِي فَابْغِينَا شَيْئاً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) ﴾ [9] .

---

(١) انظر : الكشف والبيان (٧/٩٩) ، معالم التنزيل (٣/٤١٤) ، مدارك التنزيل (٢/١٦٣) .

(٢) انظر : تفسير الصنعاني (٢/٤٤٠) ، جامع البيان (١٧/٢٩٠) ، بحر العلوم (٢/٥٣٤) ، الكشف والبيان (٧/٩٩) ، الوسيط (٣/٣١٨) ، معالم التنزيل (٣/٤١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٩٦) ، أنوار التنزيل (٤/١٠٦) ، مدارك التنزيل (٢/١٦٣) ، التسهيل (٣/١٢٤) ، أضواء البيان (٦/١٤٩) .

(٣) **أبو عمران الجوني** = عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكندي ، أبو عمران الجوني ، مشهور بكنيته ، ثقة من كبار الرابعة ، من علماء البصرة ، روى عن جندب وأنس ، وروى عنه : شعبة والحمادان ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة . انظر : الكاشف (١/٦٦٤) ، تقريب التهذيب (٣٦٢) .

(٤) **جعفر بن محمد** = ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو عبد الله ، المعروف بالصادق ، صدوق فقيه إمام ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، فكان يقول : ولدني الصديق مرتين ، سمع أباه والقاسم وعطاء ، وروى عنه شعبة والقطان ، وثَّقه ابن معين ، وقال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه منه ، وقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور ، مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، وله ثمان وستون سنة . انظر : الكاشف (١/٢٩٥) ، تقريب التهذيب (١٤١).

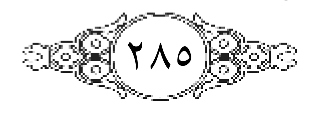
(٥) انفرد بذكرها عنهم من المفسِّرين : ابن الجوزي في زاد المسير (٩٩٧) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٢٩٢) .

(٧) ذكرها عنهم : ابن عطية في المحرر (١٣٦١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٩٦) .

(٨) انظر : أضواء البيان (٦/١٤٩) .

(٩) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٣٠٢٩) ، في كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .



قال ابن عاشور ﵀ : (وأمَّا الإماء المُكرَهات فإنَّ الله غفور رحيم لهن) .

وذكر القراءة ، وقول الحسن ثمَّ قال : (وجعلوا فائدة هذا الخبر أنَّ الله عذر المُكرَهات لأجل الإكراه ، وأنه من قبيل قوله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة : ١٧٣] وعلى هذا فهو تعريض بالوعيد للذين يُكرِهون الإماء على البغاء)[1].

القول الثاني : أنَّ المقصود بالمغفرة أيضاً المكرِهين لهنَّ على البغاء ، وهم سادتهنَّ ، إن تابوا وأصلحوا ، فتشمل الآية المكرَهات ، أو المكرِهين لهنَّ[2].

الجمع أو الترجيح :

من تأمَّل مقاصد الشريعة ، وسَبَر نصوص الوعد والوعيد ؛ وعلِم ما اشتمله اسمه سبحانه الغفور من إثبات صفة المغفرة لكل من تاب وأناب ورجع إليه وأمَّله ، وأنه لا يردّ تائباً صادقاً في توبته مهما كان ذنبه ، وأنه دعا أهل الكتاب إلى التوبة فقال : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾ [المائدة : ٧٤] ، حمَل الآية على عمومها ، وعرف أنه يدخل فيها المُكْرَهات على الزنا ، ومن أكرهَهن عليه ، وهو القول الثاني في المسألة .

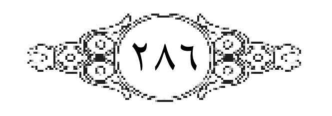
وقد ذكر الرازي القول الثاني وضعَّفه[3]، ورجَّحه ابن حيَّان ، وقال مناقشاً كلام الرازي : (وكلاهم كلام من لم يمعن في لسان العرب . فإن قلت: قوله : ﴿إِكۡرَٰهِهِنَّ﴾ مصدر أضيف إلى المفعول والفاعل مع المصدر محذوف ، والمحذوف كالملفوظ والتقدير من بعد إكراههم إياهنّ والربط يحصل بهذا المحذوف المقدر فلتجز المسألة ؟ ، قلت : لم يعدوا في الروابط الفاعل المحذوف ، تقول : هند عجبت من ضربها زيداً فتجوز المسألة ، ولو

---

(١) التحرير والتنوير (١٨/٢٢٧-٢٢٨) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٧٣٠) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٦١) ، وابن جزيّ في التسهيل (٣/١٢٤) ، ورجحه ابن حيَّان في البحر المحيط (٦/٥٥٣) .

(٣) التفسير الكبير (١٨/٢٠١) .



قلت هند عجبت من ضرب زيداً لم تجز) [1].

وقال السعدي ﵀ مرجِّحاً له : (ثم دعا من جرى منه الإكراه إلى التوبة ، فقال : ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٣﴾ فليتُب إلى الله ، وليقلع عما صدر منه مما يغضبه ، فإذا فعل ذلك ، غفر الله ذنوبه ، ورحمه كما رحم نفسه بفكاكها من العذاب ، وكما رحم أمته بعدم إكراهها على ما يضرها) [2].

وأما الاستشهاد بالقراءة الشاذَّة التي فسَّر بها من قال بالقول الأول فيجاب عنه بأنَّ القاعدة التفسيرية : أنَّ معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة [3][4].

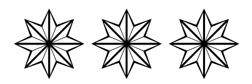
وأما استدلالهم بسبب النزول فيجاب عنه بقاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [5].

وعليه فيترجَّح القول الثاني ، عملاً بالقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص [6].

وللقواعد التي أشرت إليها .

وقول عطاء الخراساني موافق لما عليه الجمهور ، غير أنَّ المعنى أعمُّ وأشمل مما خصص في قولهم ، فيكون خلاف الراجح .

والله أعلم ،،



(١) البحر المحيط (٦/٥٥٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٨) .

(٣) انظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٠٤) .

(٤) اعترض على هذه القاعدة بأنه ليس هناك تعارض بين القراءة الشاذة والمتواترة ؛ بل القراءة المتواترة مبهمة ، والشاذة مبينة ، وهو كما في قراءة : ﴿وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أم ﴾ فإنها مبينة للقراءة المتواترة . والله أعلم بالصواب .

(٥) انظر : قواعد التفسير (٢/٥٩٣) ، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٤٥) .

(٦) انظر : قواعد التفسير (٢/٥٩٩) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٢٧) .



الموضع السابع :

* في قول الله تعالى : ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ [النور : ٤٣] [(١)].

٣٦- **قال عطاء الخراساني** : فيقال : يكاد ضوء برقه يذهب بالأبصار [(٢)] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني السنا بالضوء في هذه الآية ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، والسدي[(٤)] ، وابن زيد [(٥)]، وهو قول عامة المفسِّرين [(٦)]، وأهل اللغة [(٧)]، ومنه قول الشماخ [(٨)]:

وَمَا كَادَتْ وَلَوْ رَفَعُوْا سَنَاهَا لَيُبْصِرُ ضَوْءَهَا إلاَّ الْبَصِيْرُ

وقد فسَّر بعضهم السَّنا باللمعان ، وهو تفسير قتادة [(٩)]، وقال : والصوت حادث عن اللمعان ، كما قال امرؤ القيس [(١٠)]:

---

(١) الآية بتمامها : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦١٩/٨) ، برقم : (١٤٧١٩) قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة عليه ، أخبرني محمد بن شعيب ، حدثني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر ، وسبقت دراسة هذا الإسناد ، والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٣٨/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦١٩/٨) برقم : (١٤٧١٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٢/٦) للطستي عن نافع بن الأزرق .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦١٩/٨) برقم : (١٤٧٢٢) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٣٨/١٧) .

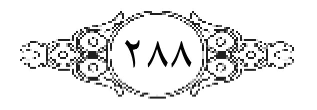
(٦) انظر : جامع البيان (٣٣٨/١٧) ، بحر العلوم (٥٤٠/٢) ، الكشف والبيان (١١٢/٧) ، الوسيط (٣٢٤/٣)، معالم التنزيل (٤٤٢/٣) ، الكشاف (٧٣٢) ، المحرر الوجيز (١٣٦٧) ، زاد المسير (١٠٠٢) ، التفسير الكبير (١٥/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢١٣/٢) ، أنوار التنزيل (١١٠/٤) ، مدارك التنزيل (١٦٨/٢) ، التسهيل (١٣٠/٣) ، ابن كثير (٣٢٧/٣) ، الجواهر الحسان (٤٥٣/٢) ، روح المعاني (٢٨٠/١٨) ، فتح القدير (٥٢/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٧١) ، التحرير والتنوير (٢٦٢/١٨) .

(٧) انظر : معاني القرآن للنحاس (٨١٢/٢) ، معجم مقاييس اللغة (٤٩٢) ، المفردات في غريب القرآن (٢٥٠).

(٨) **البيت للشماخ بن ضرار** . انظر ديوانه ص٣٤ ، والمعنى : ما قربت أن يبصرها ولو رفعوها إلا حديد النظر لبعد مسافتها .

(٩) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٤٤٤/٢) ، والطبري (٣٣٨/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٦١٩/٨) برقم : (١٤٧٢٠) .

(١٠) **البيت لامرئ القيس** . انظر ديوانه ص(٣٨) .



يضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيْط بِالذَّبَالِ المُفَتَّلِ

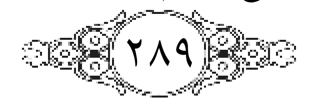
فيكون البرق دليلاً على تكاثف السحاب ، ونذيراً بقوة المطر ، ومحذراً من نزول الصواعق [1].

وليس في تفسير السَّنا بالضوء خلاف بين المفسِّرين ، بل جميعهم على قول واحد في المسألة ، وقد وافق قول عطاء الخراساني قول الجمهور .

والحمد لله ..



(١) انظر : النكت والعيون (١١٣/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢١٣/٢) .



الموضع الثامن :

* في قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور : ٥٩] (١) .

٣٧- **قال عطاء الخراساني** : واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتلموا على من كان من الناس (٢) .

الدراسة :

* في هذه الآية يقول تعالى ذكره : وإذا بلغ الصغار من أولادكم وأقاربكم الاحتلام ، فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن ، لا في أوقات العورات الثلاث ، ولا في غيرها ، وهو أمر واجب على كلِّ محتلم بالغ ، لكل أحد حتى الوالدان والمحارم (٣) .

وقول عطاء الخراساني هو معنى قول جابر (٤) ، ابن مسعود (٥) ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيَّب (٦) ، ويحيى بن أبي كثير (٧) ، وسعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان (٨) ، وجميع المفسِّرين عليه دون مخالف (٩) .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٩/١٧) بسنده قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج قال : سمعت عطاء يقول .. وذكر الأثر . **وقد تقدَّمت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٩)** . وذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٢٢١/٢) .

(٣) انظر : جامع البيان (٣٥٩/١٧) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٠/٦) لابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب .

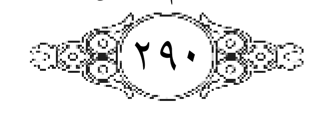
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٠/٦) لابن أبي شيبة ، وابن جرير – ولم أقف عليه – ، والبيهقي في السنن .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٣٥٨/١٧-٣٥٩) ، وابن أبي حاتم (٢٦٣٧/٨-٢٦٣٨) برقم : (١٤٨١٩)، (١٤٨٢٠) .

(٧) **يحيى بن أبي كثير** = الطائي ، مولاهم ، الإمام أبو نصر اليمامي ، ثقة ثبت ، أحد الأعلام، روى عن : جابر، وأنس مرسلاً ، وأبي سلمة ، وروى عنه : هشام الدستوائي ، وهمام ، قال أيوب : ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى بن أبي كثير ، كان من العباد العلماء الأثبات ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقيل قبل ذلك . انظر : الكاشف (٣٧٣/٢) ، تقريب التهذيب (٥٩٦) .

(٨) أخرجه عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٣٨/٨) برقم : (١٤٨٢١-١٤٨٢٣) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٢٣/٢) ، جامع البيان (٣٥٨/١٧) ، الكشف والبيان (١١٧/٧) ، النكت والعيون (١٢١/٤) ، الوسيط (٣٢٨/٣) ، معالم التنزيل (٤٢٩/٣) ، الكشاف (٧٣٥) ، المحرر الوجيز



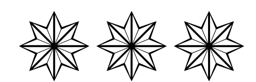
والبلوغ هو الفاصل بين مرحلتين من مراحل حياة الإنسان ، وناقل له إلى درجة المسؤولية ، وهو وصول الصغير والجارية وقت التكليف بعلامة من علامات البلوغ .

وعلامات البلوغ خمسة هي : الاحتلام ، وإنبات شعر العانة ، وبلوغ خمس عشرة سنة ، والحيض ، والحمل .

فالثلاثة الأولى يشترك فيها النساء والرجال ، والاثنان منها وهما الحيض والحَبَل يخصَّان النساء فقط ، على خلاف بين أهل العلم في بعضها [1].

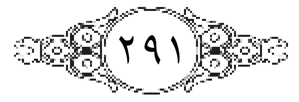
وبالبلوغ يكون الإنسان قد وصل مرحلة التكليف الشرعي ، ويترتب على أفعاله الثواب والعقاب .

والله أعلم ،،



(١٣٧١) ، زاد المسير (١٠٠٦) ، التفسير الكبير (٣٠/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٢١/٢) ، أنوار التنزيل (١١٤/٤) ، مدارك التنزيل (١٧٤/٢) ، التسهيل (١٣٣/٣) ، البحر المحيط (٥٧٣/٦) ، تفسير ابن كثير (٣٣٤/٣) ، إرشاد العقل السليم (٤٨٤/٤) ، روح المعاني (٣١٥/١٨) ، فتح القدير (٦٤/٤) ، تفسير المراغي (٢٩٢/٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٧٤) ، التحرير والتنوير (٢٩٦/١٨) .

(١) انظر في هذه المسألة : نيل الأوطار (٣٧٠/٥) ، تحفة الأحوذي (٤٩٦/٤) .



الموضع التاسع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور : ٦١] [١] .

٣٨- **قال عطاء الخراساني** : فيقال : هذا في الجهاد [٢] .

الدراسة :

* من رحمة الله بعباده أن رفع عنهم المشقة في التكليف ، وأنَّه كلَّف كلَّ واحد ما يطيق ، ومن هؤلاء الذين رفع الله عنهم الحرَج : الأعمى والأعرج والمريض ، كما في هذه الآية ، وحدد عطاء الخراساني هنا رفع الحرج بأنه مخصوص في الجهاد فقط دون غيره .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : قول المسألة ، أنها نزلت في إسقاط الجهاد عمن ذكروا من أهل الزمانة المذكورين في الآية ، وأنه لا إثم عليهم لعجزهم وضعفهم ، وهو اختيار عطاء الخراساني ، وممن قال به: الحسن [٤] ، وعبد الرحمن بن زيد[٥] .

---

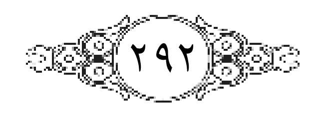
(١) الآية بتمامها : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٥/٨، ٢٦٤٤) ، برقم : (١٤٨٦٤ ، ١٤٨٦٧) قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة ، أنبأنا محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر ، وسبقت دراسة هذا الإسناد ، والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) . وذكر هذا الأثر عنه أيضاً ابن كثير في تفسيره (٣٣٥/٣) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٢٢/٤-١٢٣) ، الكشف والبيان (١١٨/٧) ، معالم التنزيل (٤٣٠/٣) ، المحرر الوجيز (١٣٧١) ، زاد المسير (١٠٠٦-١٠٠٧) ، التفسير الكبير (٣٢/٢٤) ، أنوار التنزيل (١١٥/٤) ، التسهيل (١٣٤/٣) ، البحر المحيط (٥٧٤/٦) ، روح المعاني (٣١٨/١٨) ، ابن كثير (٣٣٥/٣) ، فتح القدير (٦٥/٤) .

(٤) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٦٤٤/٨) ، بعد الأثر رقم : (١٤٨٦٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٩/١٧) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٦٤٤/٨) ، بعد الأثر رقم : (١٤٨٦٤) .



قال الرازي رحمه الله : (وهذا القول ضعيف لأنه تعالى عطف عليه قوله : ﴿أَن تَأْكُلُوا﴾ فنبه بذلك على أنه إنما رفع الحرج في ذلك)[(١)].

وقال البيضاوي رحمه الله : (وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده)[(٢)].

القول الثاني : أنه لمَّا نزل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء : ٢٩] قال المسلمون : إنَّ الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام من أفضل الأموال ، فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد ؛ فكفَّ الناس عن ذلك، فأنزل الله بعد ذلك : ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ إلى قوله : ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ . قاله ابن عباس رضي الله عنهما[(٣)]، والضحاك[(٤)]، وسعيد بن جبير[(٥)]، وسليمان بن موسى[(٦)(٧)].

القول الثالث : أنه كان المذكورون من أهل الزمانة يخلفون الأنصار في منازلهم إذا خرجوا بِجهاد ، وكانوا يتحرَّجون أنْ يأكلوا منها فرخَّص الله لهم في الأكل من بيوت من استخلفوهم فيها ، وهو مروي عن عائشة رضي الله عنها[(٨)]،

---

(١) التفسير الكبير (٣٢/٢٤) .

(٢) أنوار التنزيل (١١٥/٤) .

(٣) **حسن** . أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٣٦٦/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٨/٨) برقم : (١٤٨٨٦) من طريق عبد الله بن صالح ، ثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس به .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٤/٦) لابن المنذر ، والبيهقي .
وإسناد ابن أبي حاتم إسناد حسن ، أعلّ بالانقطاع بين علي وابن عباس ، وليس بشيء ؛ لأنَّ روايته عنه محمولة على الاتصال ، كما قال ابن حجر وغيره ، كما تقدّم مراراً ، وأما ما يخشى من ضعف عبد الله بن صالح ، فإنَّ الراوي عنه عند ابن أبي حاتم : أبو حاتم الرازي ، وهو من الجهابذة ، وقد نصَّ الحافظ في هدي الساري : أنَّ رواية أهل الحذق والمعرفة عنه من صحيح حديثه . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٥٩٢/٢) .

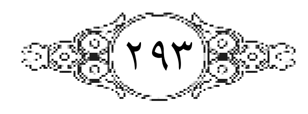
(٤) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٣٦٦/١٧) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٦٤٣/٨) برقم : (١٤٨٥٨) .

(٦) **سليمان بن موسى** : الأموي مولاهم الدمشقي الأشدق ، أحد الأئمة ، روى عن واثلة ، وكثير بن مرة ومكحول ، وروى عنه : الأوزاعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، قال النسائي : ليس بالقوي . وقال البخاري : عنده مناكير ، توفي سنة مائة وتسعة عشر . انظر : الكاشف (٤٦٤/١) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٦٤٤/٨) ، برقم : (١٤٨٦٢) .

(٨) أخرجه عنها ابن أبي حاتم (٢٦٤٦/٨) ، برقم : (١٤٨٧٥) ، وعزاه السيوطي للبزار ، وابن مردويه ، وابن النجار . انظر : الدر المنثور (٢٢٤/٦) .



وقاله الزهري [(١)]، وسعيد بن المسيب [(٢)].

قال النحاس ﷺ : (وهذا القول من أجلِّ ما روي في الآية لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف ؛ أنَّ الآية نزلت في شيء بعينه فيكون التقدير على هذا ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا عليكم أن تأكلوا ، فإنَّ تأكلوا خبر ليس ويكون هذا بعد الإذن) [(٣)].

القول الرابع : أنه ليس على هؤلاء من أهل الزمانة حرج أن يأكلوا من بيوت من سمى الله في هذه الآية ، وهذا قول مجاهد[(٤)] .

القول الخامس : ليس على من ذكر من أهل الزمانة حرج إذا دُعِي إلى وليمة أن يأخذ معه قائده ، وهذا قول عبد الكريم [(٥)(٦)].

القول السادس : أنَّ العُرجان والعُميان كانوا يمتنعون عن مؤاكلة الأصحاء، لأنَّ الناس يتقذَّرونهم ، فنزلت الآية ، قاله الضحاك [(٧)]، وضعَّفه ابن جزيّ [(٨)].

القول السابع : كان الناس لا يأكل بعضهم في بيت غيره تأثُّماً من ذلك ، فكان أول من رخِّص له الأعمى ، ثمَّ رخِّص بعد ذلك للناس عامة ، وهو قول قتادة [(٩)].

القول الثامن : كان الناس يتَّقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج ، فنزلت

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني (٢/٤٤٧) ، والطبري في تفسيره (١٧/٣٦٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٢٥) لعبد بن حميد ، وأبو داوود في المراسيل ، والبيهقي .

(٢) انظر : الوسيط (٣/٣٢٩) ، مدارك التنزيل (٢/١٧٤) ، زاد المسير (١٠٠٧) ، وعزاه في الدر المنثور (٦/٢٢٤) لعبد بن حميد .

(٣) الناسخ والمنسوخ (٦٠٢) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٣٦٧) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٥) ، برقم : (١٤٨٦٩) .

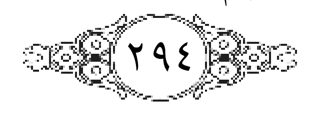
(٥) **عبد الكريم** = عبد الكريم بن الحارث الحضرمي المصري العابد ، روى عن : المستورد بن شداد ، وجماعة، وروى عنه : الليث ، وبكر بن مضر ، توفي ١٣٦هـ . انظر : الكاشف (١/٦٦٠) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٤) ، برقم : (١٤٨٦٣) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٣) ، برقم : (١٤٨٦٠) .

(٨) التسهيل (٣/١٣٤) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٤) ، برقم : (١٤٨٦١) .



الآية ، وهذا قول مِقْسَم [1] [2].

الجمع أو الترجيح :

مما سبق يظهر اختلاف المفسِّرين فيما أنزلت الآية من أجله ، غير أنَّ الذي يقطع النزاع هو الوقوف على ما صحَّ من سبب النزول في الآية .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية آثار كثيرة ، إلاَّ أنَّ الذي يصحُّ منها من حيث الإسناد خبران :

الأول : القول الثاني ، قول ابن عباس رضي الله عنهما ومن وافقه .

الثاني : القول الثالث ، قول عائشة رضي الله عنها المتقدِّم .

قال الزمخشري – بعد أن ذكر قول عائشة رضي الله عنها ، والزهري – : (وهذا كلام صحيح ، وكذلك إذا فسِّر بأنَّ هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ، ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أنَّ كل واحدة منهما منفي عنها الحرج) [3].

وعليه فيمكن أن يكون هذان القولان حجَّة في سبب النزول ، غير أنَّ المعنى في الآية يُحمل على رفع الحرج عن المذكورين في الجهاد والأكل وغير ذلك مما رخّص لهم فيه ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [4].

وهذا القول مبني على اعتبار أنَّ قوله : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ منفصل عن قوله : ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ وأنه في غرض غير غرض الأكل في البيوت ، أي فيكون من تمام آية الاستئذان ، أو هو متصل بما بعده في غرض واحد .

قال ابن عطية رحمه الله : (فظاهر الآية وأمر الشريعة أنَّ الحرج مرفوع عنهم في كل ما يضطرهم إليه العذر ، وتقتضي نيتهم الإتيان به بالأكمل ، ويقتضي

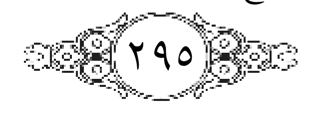
---

(١) مِقسَم = ابن بُجْرة ، ويقال : نَجدَة ، أبو القاسم مولى عبد الله بن الحارث ، ويقال له : مولى ابن عباس للزومه له ، صدوق وكان يرسل ، من الرابعة ، مات سنة إحدى ومائة ، وما له في البخاري سوى حديث واحد . انظر : تقريب التهذيب (٥٤٥) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٣/٨) ، برقم : (١٤٨٥٩) .

(٣) الكشاف (٧٣٦) .

(٤) قواعد التفسير (٥٩٣/٢) ، قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .



العذر أن يقع منهم الأنقص ، فالحرج مرفوع عنهم في هذا)[1].

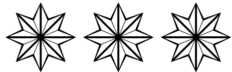
وقال السعدي رحمه الله : (ليس على هؤلاء جناح ، في ترك الأمور الواجبة ، التي تتوقف على واحد منها ، وذلك كالجهاد ونحوه ، مما يتوقف على بصر الأعمى ، أو سلامة الأعرج ، أو صحة للمريض ، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه ، أطلق الكلام في ذلك ، ولم يقيد ، كما قيد قوله : ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي : حرج)[2].

ومن هنا يتَّضح رجحان حمل المعنى على إطلاقه دون تقييد ، ويكون قول عطاء الخراساني فيه تقييد لمطلق في هذا الموضع ، وقد يكون متناسباً في تفسير موضع سورة الفتح[3]، إذ السياق هناك ناسب الجهاد ، والسياق هنا ناسب الأكل ، والحمل على الإطلاق في الجميع أولى .

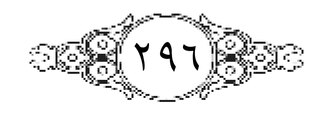
والقاعدة التفسيرية : أنَّ الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده[4].

قال ابن عاشور رحمه الله : (وهو الذي نختاره تفادياً من التكلُّف الذي ذكره مخالفوهم لبيان اتصاله بما بعده في بيان وجه الرخصة لهؤلاء الثلاثة الأصناف في الطعام في البيوت المذكورة ، ولأنَّ في قوله : ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ إلى آخر المعدودات ؛ لا يظهر اتصاله بالأعمى والأعرج والمريض ، فتكون هذه الآية نفياً للحرج عن هؤلاء الثلاثة فيما تجرُّه ضرارتهم إليهم من الحرج من الأعمال ، فالحرج مرفوع عنهم في كل ما تضطرهم إليه أعذارهم ، فتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالإكمال ، ويقتضي العذر أن يقع منهم)[5].

والله أعلم ، ،



(١) انظر : المحرر الوجيز (١٣٧١) ، وبنحوه قال الثعالبي في الجواهر الحسان (٢/٤٥٧) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٧٥) .
(٣) المقصود قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح : ١٧] .
(٤) قواعد التفسير (٢/٦٢١) .
(٥) التحرير والتنوير (١٨/٢٩٩) .



الموضع العاشر :

* في قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ [النور : ٦١] .

٣٩- **قال عطاء الخراساني** : أو ما ذكر من ذوي القرابة ، فكان الرجل الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه يدعوه إلى الطعام ليأكل منه ، فيقول : والله إني لأجنح ، والجنح : أن يحرَّج أن نأكل منك وأنا غني وأنت فقير ، فأمروا أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية نفي للحرج في أن يأكل أهل البيت الواحد جميعاً ، أو يأكل كل واحد منهم وحده ، فكلٌّ هذا جائز ، وفي الآية وهذا نفي للحرج لا نفي للفضيلة ، لأنَّ الأفضل الاجتماع على الطعام [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

<u>القول الأول</u> : قول المسألة الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤].

<u>القول الثاني</u> : أنها نزلت في حي من أحياء العرب[٥] ، كان الرجل منهم يرى أنه مُحرَّم عليه أن يأكل وحده حتى يجد من يؤاكله ويشاربه ، فرخَّص الله لهم ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، وقتادة [٧]، وابن جريج ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٤٧) ، برقم : (١٤٨٨١) قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر ، وسبقت دراسة هذا الإسناد ، والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٥٧٥) .

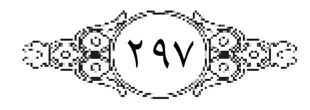
(٣) انظر : جامع البيان (١٧/٣٧٥-٣٧٧) ، النكت والعيون (٤/١٢٥) ، الكشف والبيان (٧/١١٩) ، معالم التنزيل (٣/٤٣١) الكشاف (٧٣٧) ، زاد المسير (١٠٠٧) ، التفسير الكبير (٢٤/٣٤) ، أنوار التنزيل (٤/١١٥) ، البحر المحيط (٦/٥٧٥) ، روح المعاني (٣٢٣-٣٢٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٣٧٥) من رواية عطاء الخراساني .

(٥) ذكر بعض المفسرين أنهم بنو ليث بن بكر من بني كنانة . ذكره الطبري في تفسيره (٩/٣٥٥) ، والماوردي في النكت والعيون (٤/١٢٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٢٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٣٧٥) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٤٨) ، والطبري (١٧/٣٧٦) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٦٤٩) برقم (١٤٨٨٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٢٥) لعبد بن حميد .



والضحاك [١]، وابن زيد [٢]، وأكثر المفسِّرين عليه [٣].

القول الثالث : أنها نزلت في قوم من العرب كان الرجل منهم إذا نزل به ضيف تحرَّج أن يتركه يأكل وحده حتى يأكل معه ، فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا ، قاله أبو صالح [٤]، وعكرمة [٥].

القول الرابع : كانوا إذا اجتمعوا ليأكلوا طعاماً عزلوا للأعمى طعاماً على حِدَة ، وكذلك للزَّمِن والمريض ، فبيَّن الله لهم أنَّ ذلك غير واجب ، وهو قول الكلبي [٦].

القول الخامس : كانوا يأكلون فرادى خوفاً من أن يحصل عند الجمعية ما ينفِّر أو يؤذي ، فبين الله تعالى أنه غير واجب ، حكاه الرازي [٧].

القول السادس : أن هذه الآية منسوخة بقوله ﷺ : « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » [٨]، ذكره ابن عطية [٩].

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٣٧٦/١٧) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٦/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٦٤٩/٨) برقم : (١٤٨٩٠) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٥٤٨) ، الوسيط (٣٣٠/٣) ، مدارك التنزيل (١٧٥/٢) ، المحرر الوجيز (١٣٧٢) ، التسهيل (١٣٥/٣) ، الجواهر الحسان (٤٥٧/٢) ، فتح القدير (٦٦/٤) ، المراغي (٢٩٥/٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٧/١٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٥/٦) لابن المنذر .

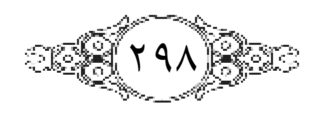
(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٤٨/٢) ، والطبري (٣٧٧/١٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٢٥/٦) لابن المنذر ..

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٠٧) ، والرازي في التفسير الكبير (٣٤/٢٤) .

(٧) انظر : التفسير الكبير (٣٥/٢٤) .

(٨) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٦٧) في كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ : « ربَّ مبلَّغ أوعى من سامع » ، وبرقم : (١٠٥) في كتاب العلم ، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ، وبرقم : (١٧٤١) في كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، وبرقم : (٤٤٠٦) في كتاب المغازي ، باب حجة الوداع ، وبرقم : (٥٥٥٠) في كتاب الأضاحي ، باب من قال يوم الأضحى يوم النَّحر ، وبرقم : (٧٠٧٨) في كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً ...» ، وبرقم : (٧٤٤٧) في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٦٧٩) في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب تغليظ تحريم الدِّماء والأعراض والأموال ، من حديث أبي بكرة ﷺ، وأخرجه البخاري من طرق أخرى عن ابن عباس ، وابن عمر .

(٩) المحرر الوجيز (١٣٧٢) .



الجمع أو الترجيح :

عامة ما ورد من أقوال في سبب النزول هي أقوال ضعيفة من حيث السند، ولم أقف على قول ثابت صحيح فيما ذكر ، وعليه فالسياق يحتملها جميعاً غير دعوى النسخ في القول السادس ، لأنه لا يُحكم بالنسخ إلا بدليل .

وكذلك فإنَّ العمل بعموم النصِّ أولى من تخصيصه أو تقييده ، وعليه فالمعنى أشملُ وأعمُّ مما قيده به بعض المفسرين ، في الأقوال السابقة الذِّكر .

قال الطبري ﷺ : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنَّ الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاءوا ، أو أشتاتاً متفرِّقين إذا أرادوا ، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوَّف من الأغنياء الأكل مع الفقير ، وجائز أن يكون نزَل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحداناً ، وبسبب غير ذلك ، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه ، والصواب التسليم لما دلَّ عليه ظاهر التنزيل ، والتوقُّف فيما لم يكن على صحته دليل) [(١)].

وعليه فهي رخصة للأكل فرادى أو مجتمعين ، وقول عطاء الخراساني محتمل ، والآية تحتمله وتحتمل غيره ، ولا إشكال .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص [(٢)].

قال ابن كثير ﷺ : (فهذه رُخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده، ومع الجماعة ، وإن كان الأكل مع الجماعة أبرك وأفضل) [(٣)].

وقول بعض السلف : نزلت الآية في كذا ... يراد به تارة أنها سبب النزول، ويراد به تارة أنَّ ذلك داخل في الآية ، وأنها تتضمن هذا الحكم وإن لم يكن السبب ، كما نقول عني بهذه الآية كذا ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل .

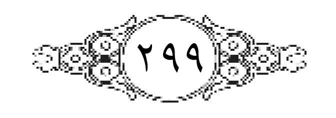
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (قولهم نزلت هذه الآية في كذا ... يراد

---

(١) جامع البيان (١٧/٣٧٧) .

(٢) انظر : قواعد التفسير (٢/٥٩٩) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٢٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٣٣٦) .



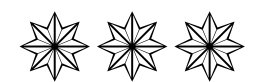
بـه تـارة أنـه سـبب الـنزول ، ويـراد بـه تـارة أن ذلـك داخـل في الآيـة وإن لم يكـن السبب ، كما تقول : عني بهذه الآية كذا) [1] .

قال القاسمي تعقيبا علـى كـلام شـيخ الإسـلام : (وبـه يجـاب عمـا يرويـه كـثير مـن تعـدد سـبب النـزول ، فاحفظـه فإنـه مـن المـضنون بـه علـى غـير أهلـه . والله أعلم) .

وقـال أيـضاً : (قـولهم : نـزلت الآيـة في كـذا ، قـد يكـون المـراد بـه الاستشهاد على أن مثله مما تتناوله الآية ، لا أنه سبب نـزولها) [2].

وقـال الزركـشي ﷺ : (قـد عـرف مـن عـادة الـصحابة والتـابعين أنَّ أحـدهم إذا قال : نزلت هـذه الآيـة في كـذا فإنـه يريـد بـذلك أنهـا تتـضمن هـذا الحكـم ، لا أن هذا كـان الـسبب في نزولهـا ... فهـو مـن جـنس الاسـتدلال علـى الحكـم بالآيـة لا من جنس النقل لما وقع) [3].

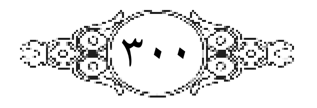
والله أعلم ،،



(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٩) .

(٢) تفسير القاسمي (١٥/ ١١٤) .

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣١-٣٢) .



الموضع الحادي عشر:

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾ [النور : ٦٢] (١).

٤٠- **قال عطاء الخراساني** : وأما أمر جامع فأمْرٌ عام (٢).

الدراسة :

* الأمر الجامع هو الأمر العام في تفسير عطاء الخراساني ، وكما قال الراغب رحمه الله : (أي أمر له خطر يجتمع لأجله الناس ، فكأنَّ الأمر نفسه جمعَهَم) (٣).

الأقوال في الآية(٤) :

القول الأول : أنَّ الأمر الجامع هو الأمر العامّ ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما (٥).

القول الثاني : أنَّ الأمر الجامع من طاعة الله كالجمعة والعيدين ، وكلّ أمر فيه جمع لهم ، وهذا قول سعيد بن جبير (٦)، وابن أبي مليكة(٧) (٨)،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) ﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٣/٨) برقم : (١٤٩١٤) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، حدثني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر ، وسبقت دراسة هذا الإسناد ، والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (١٠٤) .

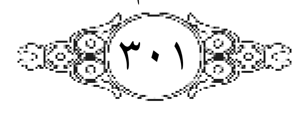
(٤) انظر : النكت والعيون (١٢٧/٤) ، التفسير الكبير (٣٦/٢٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٥/١٧) بلفظ : أمر من طاعة الله عام .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٢/٨) برقم : (١٤٩١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٣٠/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) **ابن أبي مليكة** = عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي ، حدث عن عائشة أم المؤمنين وأختها أسماء ، وابن عباس ، وابن عمر وطائفة ، وكان عالماً مفتياً صاحب حديث وإتقان ، معدود في طبقة عطاء ، حدَّث عنه رفيقه عطاء بن أبي رباح وذلك في صحيح مسلم ، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم ، مات سنة سبع عشرة ومئة ، وكان من أبناء الثمانين. انظر : سير أعلام النبلاء (٨٨/٥) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٢/٨) برقم : (١٤٩١٢) .



ومجاهد[1]، ومقاتل بن حيان[2]، ومكحول[3]، وابن زيد[4].

القول الثالث : أنه أمر طاعة الله ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[5]، وقتادة ، والضحاك[6].

القول الرابع : الجمعة ، قاله الزهري[7].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة في معنى الآية ، تدلّ على شيء واحد ، وهو أنَّهم إذا كانوا في أمر يجمعهم له الإمام جميعاً من حرب أو صلاة ، أو تشاور ، أو ترهيب عدو ، ونحو ذلك من الأمور العامة التي يجتمع لها المسلمون ؛ فإنهم لا يرجعوا ولا يذهبوا حتى يستأذنوا النبي ﷺ ، وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين[8].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا احتمل اللفظ معانٍ عدَّة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها[9].

وعليه فقول عطاء الخراساني شامل للأقوال الأخرى ، وهي داخلة فيه .

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٣/٨) برقم : (١٤٩١٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٢٩/٦) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه - ، والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٣/٨) برقم : (١٤٩١٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٦/١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٣٠/٦) عزوه لعبد بن حميد، وعزاه أيضاً للفريابي بلفظ : إذا جمعهم لأمر حزبهم من الحرب ونحوه .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٧/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٤/٨) برقم : (١٤٩٢٠) .

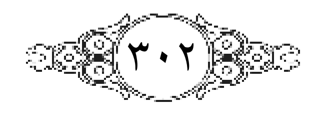
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٥/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٦٥٣/٨) برقم : (١٤٩١٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٣٠/٦) عزوه لابن المنذر .

(٦) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥٣/٨) بعد الأثر رقم : (١٤٩١٥) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٥٠/٢) ، والطبري (٣٨٦/١٧) .

(٨) انظر : جامع البيان (٣٨٥/١٧) ، معاني القرآن للزجاج (٤٤/٤) ، بحر العلوم (٥٥٠/٢) ، الكشف والبيان (١٢١/٧) ، الوسيط (٣٣١/٣) ، معالم التنزيل (٤٣٢/٣) ، الكشاف (٧٣٧) ، المحرر الوجيز (١٣٧٣) ، زاد المسير (١٠٠٨) ، التفسير الكبير (٣٦/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٢٧/٢) ، أنوار التنزيل (١١٥/٤) ، مدارك التنزيل (١٧٦/٢) ، التسهيل (١٣٥/٣) ، البحر المحيط (٥٧٦/٦) ، تفسير ابن كثير (٣٣٧/٣) ، إرشاد العقل السليم (٤٨٧/٤) ، روح المعاني (٣٢٧/١٨) ، فتح القدير (٧١/٤) ، تفسير المراغي (٢٩٧/٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٧٦) ، التحرير والتنوير (٣٠٧/٩) .

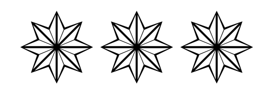
(٩) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



وفي الآية تربية على أدب فاضل ، وخلق رفيع .

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله : (**والجامع** : الذي من شأنه أن يجتمع الناس لأجله للتشاور أو التعلم . والمراد : ما يجتمع المسلمون لأجله حول الرسول عليه الصلاة والسلام في مجلسه أو في صلاة الجماعة ، وهذا ما يقتضيه (مع) و (على) من قوله : ﴿ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ ﴾ لإفادة (مع) معنى المشاركة ، وإفادة (على) معنى التمكُّن منه . ووصف الأمر بـ ﴿ جَامِعٖ ﴾ على سبيل المجاز العقلي لأنه سبب الجمع) [1] .

والله أعلم ..



(١) التحرير والتنوير (٩/٣٠٧) .

سورة الفرقان

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان : ٢٢] [١].

٤١- **قال عطاء الخراساني** : أي وتقول الملائكة للكافرين : حرام محرَّم عليكم الفلاح اليوم [٢] .

الدراسة :

* معنى قول عطاء الخراساني : أنَّ الملائكة تقول للمجرمين : حرامٌ محرَّمٌ أن تكون لكم البشرى يومئذ ، وأن نبشركم بما نبشِّر به المتقين من دخول الجنة ، وهذا كله يجمعه لفظ الفلاح في قول المسألة .

وقوله : حجراً محجوراً ، أصله من حجره بمعنى منعه ، والحِجر الحرام ، لأنه ممنوع ومنه قوله : ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي حرام ، ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام : ١٣٨] [٣].

ومنه قول الشاعر [٤] :

أَلاَ أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ حَجْرَاً مُحَرَّمَاً وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِهَا حَمُ

قال الزمخشري ﵀ : (جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر ، كما قالوا: ذيل ذائل . والذيل الهوان ، وموت مائت) [٥].

---

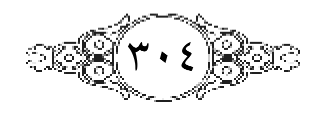
(١) الآية بتمامها : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) بعد الأثر رقم : (١٥٠٦١) ، وابن كثير في تفسيره (٣٤٥/٣) .

(٣) ويطلق الحِجر على موضع بين المدينة والشام ، وهي ديار ثمود قوم صالح ﵇ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر : ٨٠] ، ويطلق ويراد به المنع كما في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾[الفرقان : ٥٣] ، قال ابن عباس ﵄ : حجْر أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه ، وكذلك أطلق الحِجْر على العقل في قوله تعالى : ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر : ٥] ، وسمي العقل حجْراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال . انظر : الكشاف (٥٦٤) ، تفسير ابن كثير (٥٣٧/٤)، الدر المنثور (٢٦٦/٦) .

(٤) **البيت لهشام بن المغيرة** ، من قصيدة قالها في زوجته أسماء بنت مخربة بن جندل ، حينما طلّقها فتزوجها أخوه أبو ربيعة ، فندم هشام على فراقه إياها فقال هذه القصيدة ، ولم أقف له على ديوان . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٢٣٧/٤٧) .

(٥) الكشاف (٧٤٣) .



*** الأقوال في الآية [١] :**

القول الأول : قول المسألة ؛ أنَّ هذا من قول الملائكة للكافرين ، وقد وافق في ذلك : أبا سعيد الخدري رضي الله عنه [٢]، وابن عباس رضي الله عنهما [٣]، ومجاهد[٤]، والضحاك[٥]، والحسن [٦]، وعطية [٧]،وقتادة [٨]، وهو اختيار أكثر المفسِّرين[٩]، ومنه قول المتلمِّس[١٠]:

حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةِ القَصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حَجْرٌ حَرَامٌ أَلاَ تِلْكَ الدَّهَارِيْسِ !

ومعناه : أنهم يقولون للكفار : حراماً محرماً أن تكون لكم البشرى - كما قال الضحاك[١١]، والفراء [١٢]، والزجاج [١٣]- ، أو أن تدخلوا الجنة – كما

---

(١) انظر : النكت والعيون (١٤٠/٤-١٤١) ، المحرر الوجيز (١٣٨٠) ، زاد المسير (١٠١٤) ، التفسير الكبير (٦٥/٢٤) ، التسهيل (١٤٢/٣) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) برقم : (١٥٠٥٨) .

(٣) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٤٤١/٣) .

(٤) تفسير مجاهد (١٨١) ولفظه : عوذاً مُعاذاً ، الملائكة تقوله ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢٩/١٧) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) بعد الأثر رقم : (١٥٠٦١) ، وبرقم (١٥٠٦٣) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢٨/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) برقم : (١٥٠٦٠-١٥٠٦١) .

(٦) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) بعد الأثر رقم : (١٥٠٦١) ، وبرقم : (١٥٠٦٤) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) برقم : (١٥٠٥٩) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢٨/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٦٧٨/٨) برقم : (١٥٠٦٤) .

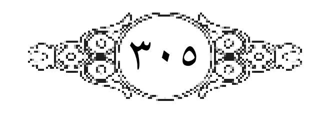
(٩) انظر : جامع البيان (٤٢٧/١٧) ، بحر العلوم (٥٥٨/٢) ، الكشف والبيان (١٢٩/٧) ، الوسيط (٣٣٨/٣)، معالم التنزيل (٤٤١/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٣٧/٢) ، مدارك التنزيل (١٨٤/٢) ، تفسير ابن كثير (٣٤٥/٣) ، الجواهر الحسان (٤٦٣/٢) ، فتح القدير (٨٨/٤) .

(١٠) **البيت للمتلمِّس** ، جرير بن عبد المسيح . انظر ديوانه ص(٩٦) ، وروي فيه : بسْلُ عليكِ ... وهو الحرام أيضاً . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٧٣/٢) ، والطبري في جامع البيان (٤٢٧/١٧) . وحنت : اشتاقت . النخلة القصوى : موضع على ليلة من مكة . وقيل: هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية ؛ فالشامية واد ينصب من الغمير . واليمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . ونصب النَّخلة القصوى لأنه واد ، وحجر : مثلث الحاء بمعنى حرام ، والدهاريس جمع دهرس ، وهي الدواهي المنكرات . وفي هذا البيت يسأل المتلمِّس ناقته معاتباً حين أظهرت حنينها إلى وطنها العراق ، إذ كيف تحنُّ إلى أرضٍ هلاكه فيها ! ، فيقول : حرام عليك العراق ففيها كل هول ، يعني بذلك غضبة عمرو بن هند .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢٨/١٧) .

(١٢) معاني القرآن للفراء (٢٢٩/٢) .

(١٣) معاني القرآن للزجاج (٥٠/٤) .



قال مجاهد -[1]، أو أن يكون لكم الفلاح اليوم ، - كما قاله عطاء الخراساني- وهو أعمُّ وأشمل .

القول الثاني : ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي أنَّ قول الكفار يوم القيامة إذا عاينوا الملائكة والعذاب أنَّهم يتعوَّذون منه ويقولون : إنا لا نصل إلى شيء من الخير ، وهذا قول عكرمة [2]، وابن جريج [3]، وقاله جماعة من المفسِّرين[4].

الجمع أو الترجيح :

لعل الرَّاجح - والله أعلم - القول الثاني لموافقته للغة ، من حيث إنَّ قول: حجراً محجوراً ، هو مما كانت تستعمله العرب عند الخوف من أحد .

وعليه فقول عطاء الخراساني مرجوح في المعنى هنا .

قال ابن فارس رحمه الله : (كان الرَّجل يلقى الرجل يخافه في الشهر الحرام ، فيقول: حِجْراً ، أي حراماً ، ومعناه : حرام عليكَ أن تنالني بمكروه ، فإذا كان يوم القيامة رأى المشركون ملائكة العذاب ، فيقولون : ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ فظنوا أنَّ ذلك ينفعهم في الآخرة كما كان ينفعهم في الدنيا) [5].

وقال الشنقيطي رحمه الله : (أظهر القولين فيه عندي أنه من كلام الكفار ، يوم يرون الملائكة ، لا من كلام الملائكة . وإيضاحه : أنَّ الكفار الذين اقترحوا إنزال الملائكة إذا رأوا الملائكة توقعوا العذاب من قبلهم ، فيقولون حينئذ للملائكة : حجراً محجوراً : أي حراماً محرَّماً عليكم أن تمسونا بسوء أي لأننا لم نرتكب ذنباً نستوجب به العذاب) [6].

وقد ذكر سيبويه هذه الكلمة أعني : (حجراً محجوراً) في باب المصادر

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١٠١٤) .

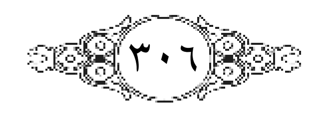
(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٦٧٧/٨) برقم : (١٥٠٦٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢٩/١٧) .

(٤) انظر : الكشاف (٧٤٣) ، أنوار التنزيل (١٢٢/٤) ، غرائب القرآن (٢٣٢/٥) ، البحر المحيط (٥٩٥/٦) ، إرشاد العقل السليم (٥/٥) .

(٥) معجم مقاييس اللغة (٢٩٧-٢٩٨) .

(٦) أضواء البيان (٢٠٦/٦) .



غير المتصرِّفة المنصوبة بإضمار الفعل المتروك إظهاره نحو : معاذ الله ، وعمرك الله ، ونحو ذلك [1].

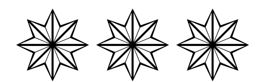
ومما يؤيد ترجيح القول الثاني أنه لو كان المقصود بالقائلين الملائكة لقال: ﴿ وتَقُوْل ﴾ لمناسبتها عليها .

وكذلك فإنَّ السياق متناسب من حيث التعبير القرآني من كون الضمائر كلها عائدة على المجرمين ، في قوله : ﴿يَرَوْنَ﴾ و ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ولعلَّ هذا أدعى لاختيار هذا القول ، إضافة إلى أنَّ الضمير في ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعود لأقرب مذكور : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ ﴾ .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة [2].

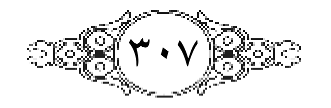
وعليه فلا يصرف الكلام عمَّا هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها ، من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول ﷺ تقوم به حجّة .

والله أعلم ، ،



(١) كتاب سيبويه (٣٢٦/١) .

(٢) قواعد التفسير (٦٥٣/٢) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان : ٣٣] [(١)].

٤٢- **قال عطاء الخراساني** : أحسن تفصيلاً [(٢)] .

الدراسة :

* يقول تعالى في هذه الآية : ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه؛ إلا أتيناك من الحقِّ بما يدفعه ، ويبطل ما جاءوا به ، وأحسن منه تفسيراً ، ومثله قول الله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وقول عطاء الخراساني ، وافق فيه : ابن عباس رضي الله عنهما ، والضحاك [(٣)] ، وقتادة [(٤)].

وقال مجاهد : ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ أي : بياناً [(٥)]، ولا منافاة بينهما ، وعلى هذا عامة المفسرين [(٦)]، ولم أجد لهم مخالفاً .

وأصل معنى كلمة الفَصْل في اللغة : إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فُرْجَة ، ومادة : (فَصَلَ) تدلُّ على الإبانة ، ومنه : ﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ يوم يبيِّن الحقَّ من الباطل [(٧)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٩١/٨) ، برقم : (١٥١٤٢) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرنا محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء عن أبيه ... وذكر الأثر ، وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه بالضَّعف ص(٢٦٤) .

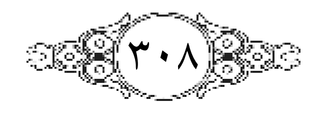
(٣) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٤٤٨/١٧) ، وذكره عنهما ابن أبي حاتم (٢٦٩١/٨) بعد الأثر رقم : (١٥١٤٢) .

(٤) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٦٩١/٨) بعد الأثر رقم : (١٥١٤٢) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٤٨/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٦٩٢/٨) برقم : (١٥١٤٣) .

(٦) انظر : الكشف والبيان (١٣٢/٧) ، الوسيط (٣٤٠/٣) ، معالم التنزيل (٤٤٥/٣) ، المحرر الوجيز (١٣٨٢) ، زاد المسير (١٠١٦) ، التفسير الكبير (٧٢/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٤٢/٢) ، أنوار التنزيل (١٢٤/٤)، مدارك التنزيل (١٨٧/٢) ، بحر العلوم (٥٦٢/٢) ، التسهيل (١٤٤/٣) ، البحر المحيط (٦٠٢/٦) ، ابن كثير (٣٥٠/٣) ، الجواهر الحسان (٤٦٦/٢) ، روح المعاني (٢٤/١٩) ، فتح القدير (٩١/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٨٢) .

(٧) انظر : لسان العرب (١٨٨/١١) .



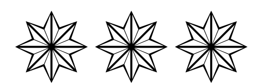
قال الراغب : (﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود :١] إشارة إلى ما قال : ﴿تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدًى وَرَحۡمَةً﴾ [النحل :٨٩])[١].

والفَسْر : البيان ، فاشتركت مادتا الفَصْل والفَسْر في معنى البيان والإيضاح .

وعليه فقول عطاء الخراساني موافق للغة ، كأنه قال : جئناك بالحقِّ وأحسن إبانةً واضحةً كالفَصْل بين الأشياء الذي لا يدع مجالاً للبس أو خفاء .

قال الزمخشري رحمه الله : (يعني : أنَّ تنزيله مفرَّقاً وتحدّيهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كما نزل شيء منها : أدخل في الإعجاز ، وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ، ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه)[٢].

والله أعلم ..



(١) المفردات في غريب القرآن (٣٨٣) .

(٢) الكشاف (٧٤٥-٧٤٦) .



الموضع الثالث :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الفرقان : ٣٨] (١).

٤٣- **قال عطاء الخراساني** : بيْن النبي ﷺ وبين آدم تسعة وأربعون أباً (٢) .

الدراسة :

* فسَّر عطاء الخراساني القرْن هنا بالجيل من الناس ، أو الأمة تأتي بعد الأمة ، وهذا الذي يفهم من ذكره لعدد آباء النبي ﷺ إلى آدم عليه السلام ، فكل جيل منهم يعتبر قرناً ، ولعلّه فهم ذلك من قول النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (٣).

ومن قوله ﷺ : « بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً ، حتى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذي كنتُ فِيْه » (٤).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٩٧) ، برقم : (١٥١٨٦) بسنده قال : حدثنا أبي ، ثنا موسى بن أيوب النصيبي ، ثنا ضمرة ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال ... ، وذكر الأثر ..

أبي هو : محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي الحافظ ، سمع الأنصاري وعبيد الله بن موسى ، وعنه أبو داود والنسائي وولده عبد الرحمن بن أبي حاتم والمحاملي ، قال موسى بن إسحاق الأنصاري : ما رأيت أحفظ منه ، مات في شعبان سنة ٢٧٧هـ . انظر : الكاشف (٢/١٥٥) ، تقريب التهذيب (٤٦٧) .

موسى بن أيوب النصيبي هو : موسى بن أيوب بن عيسى النصيبي ، أبو عمران الأنطاكي ، صدوق من العاشرة ، سكن أنطاكية ، وطرسوس ، يروي عن ابن المبارك ، وروى عنه ابنه عمران بن موسى ، وأهل الشام والثغر . انظر : الثقات (٩/١٦١) ، تقريب التهذيب (٥٥٠) .

ضمرة هو : ابن ربيعه الفلسطيني ، أصله دمشقي ، صدوق يهم قليلاً ، وتقدمت ترجمته .

عثمان بن عطاء : وهو ابن عطاء الخراساني ، ضعيف جداً ، كما تقدَّم في ترجمته ص(٢٦٤) .

وبهذا يكون الأثر ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني لضعف ابنه عثمان ، ولنكارة رواياته عن أبيه .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٦٥١) ، في كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أُشهِد ، وبرقم : (٣٦٥٠) في كتاب المناقب ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وبرقم : (٦٤٢٨) في كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وبرقم : (٦٦٩٥) في كتاب الأيمان والنذور ، باب إثم من لا يفي بالنَّذر . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٥٣٥) في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم . من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه . وقد أخرجه البخاري أيضاً من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٥٥٧) في كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .



الأقوال في الآية[١] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنه الجيل من الآباء ، أو الأمة بعد الأمة ، وبنحوه قال الأعمش [٢]، وعلى هذا القول فمدَّة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كلِّ زمان . وهذا الذي عمل به ابن حبّان في كتابه : "الثقات"، فبعد أن أنهى أتباع التابعين الراوين عن التابعين قال : (نملي بعد هذا القرن الرابع ...) [٣]، وكذا استظهره الحافظ في الفتح [٤].

ومن ذلك قول أبي العتاهية [٥]:

إذا مَاْ مَضَىْ الْقَرْنُ الذِيْ كُنْتَ فِيْهِمُ ... وَخُلِّفْتَ فِيْ قَوْمٍ فَأَنْتَ غَرِيْبُ

القول الثاني : القرن عشرون ومائة سنة ، وهو قول زرارة بن أوفى[٦] [٧].

القول الثالث : القرن مائة سنة ، وهو قول الجمهور [٨]، واستدلّوا بحديث عبد الله بن بسر المازني ﷺ قال : وضع النبي ﷺ يده على رأسي وقال: « سَيَعِيْشُ هَذَاْ الْغُلاَمُ قَرْنَاً » ، قلت يا رسول الله : كم القرن ؟ قال : « مَائَةُ سَنَة » ، قال محمد بن القاسم : ما زلنا نعدُّ له حتى تمَّت مائة سنة . ثم مات [٩].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٩٥/٨) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٩٧/٨) برقم : (١٥١٨٧) بلفظ: كان بين موسى وعيسى ألف نبي.

(٣) الثقات (٦٧١/٧) .

(٤) فتح الباري (٨/٧) شرح الحديث رقم : (٣٦٥٠) .

(٥) **البيت لأبي العتاهية** . انظر ديوانه ص(٣٤) . من القصيدة المشهورة التي أولها :

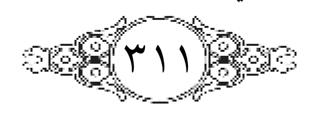
إذا مَاْ خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوماً فَلا تَقُل ... خَلَوْتُ ولَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

(٦) **زرارة بن أوفى** = أبو حاجب الحرشي ، قاضي البصرة ، روى عن المغيرة ، وعمران بن حصين ، وروى عنه: قتادة ، وعوف ، وكان يقص في داره وقد أمَّ فقرأ فإذا نقر في الناقور فشهق فمات سنة ٩٣هـ . انظر : الكاشف (٤٠٢/١) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٤/١٤) ، وابن أبي حاتم (٢٦٩٦/٨) ، برقم : (١٥١٧٨) .

(٨) حكاه أبو حيّان في البحر المحيط (٨٨/٤) .

(٩) **ضعيف** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٤/١٤) ، وابن أبي حاتم (٢٦٩٥/٨) برقم : (١٥١٧٧) . قال ابن كثير في البداية النهاية (٢٤٦/٦) : إسناده على شرط السنن ، وقال ابن حجر في إتحاف المهرة : (٥٣٥/٦) : ضعيف جداً ولكن رواه الحاكم بإسناد أمثل من هذا ، قال الألباني : (فيه محمد بن القاسم ترجمه ابن أبي حاتم ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وهو على شرط ابن حبان في ثقاته) انظر : السلسلة الصحيحة (٣٤٤/٦) ، وعزا هذا الحديث ابن حجر في الفتح لمسلم قال : (وقد وقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدلّ على أن القرن مائة وهو المشهور) ا..هـ . قال الألباني معلِّقاً : (وعزوه لمسلم وهم سببه أنَّ أصله فيه) . انظر : السلسلة الصحيحة (٣٤٣/٦).



وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن نحو ذلك [(١)(٢)].

ومن أشهر من انتصر لهذا القول - فيما أعلم - الحافظ ابن عساكر ﵀ الذي قال في تبيين كذب المفتري بعد أن ذكر حديث : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِيْ » قال بعده : (ومدَّة القرن من الزمان مائة سنة) وانتصر لهذا القول وذكر أدلته ولم يذكر غيره [(٣)].

القول الرابع : القرن ثمانون سنة ، رواه أبو صالح عن ابن عبّاس ﵄ [(٤)].

القول الخامس : القرن سبعون سنة ، وهو قول علي بن أبي طالب ﵁[(٥)]، وعبيد الله بن أبي رافع[(٦)] [(٧)]، وقتادة [(٨)].

القول السادس : القرن ستُّون سنة ، وهو قول الحسن البصري [(٩)]، واستدلَّ بحديث : « مُعْتَرَكُ الْمَنَايَا مَا بَيْنَ سِتِّينَ وَسَبْعِينَ » [(١٠)].

القول السابع : القرن أربعون سنة ، وهو قول إبراهيم النخعي [(١١)]،

---

(١) **أبو سلمة بن عبد الرحمن** = ابن عوف الزهري المدني ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر من الثالثة ، مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة وكان مولده سنة بضع وعشرين . انظر : تقريب التهذيب (٦٤٥) .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٨/٢٦٩٥) بعد الأثر رقم : (١٥١٧٧) .

(٣) تبيين كذب المفتري (١٤٢) .

(٤) حكاه أبو حيان في البحر المحيط (٤/٨٩) .

(٥) حكاه عنه القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/٥٧١) .

(٦) **عبيد الله بن أبي رافع** = المدني ، مولى النبي ﷺ ، وكان كاتب علي ﵁ ، وهو تابعي ثقة . انظر : معرفة الثقات (٢/١٠٩) ، تقريب التهذيب (٣٧٠) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٤٥٥) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٩٦) ، برقم : (١٥١٧٩) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٩٦) ، برقم : (١٥١٨٠) .

(١٠) **حسن** . أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/٤٢٢) برقم : (٦٥٤٣) ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/١٣٩) ، من حديث أبي هريرة ، قال عنه الحافظ في الفتح (١١/٢٨٨) أخرجه أبو يعلى من طريق إبراهيم بن الفضل عن سعيد عن أبي هريرة ، وإبراهيم ضعيف . ا.هـ . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم : (٥٨٨١) .

(١١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٩٦) ، برقم : (١٥١٨١) .



وابن سيرين، ورفعه إلى النبي ﷺ [(١)].

القول الثامن : القرن ثلاثون سنة ، قال أبو عبيدة : (يروون أنَّ ما بين القرنين ثلاثون سنة) [(٢)].

القول التاسع : القرن عشرون سنة ، وهو قول عن الحسن البصري[(٣)].

القول العاشر : ثمانية عشر عاماً ، ذكره أبو حيان [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي - والله أعلم – حمل المعنى على القول الأول الذي لم يحدَّد بزمن معيَّن لأنَّه يغلب استعماله في القرآن الكريم ، ولو صحَّ حديث عبد الله بن بسر ﷺ لكان القول الثاني أنَّ القرن مائة سنة هو الصحيح .

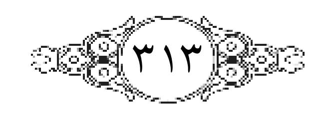
قال الراغب ﷺ في معنى القرن : (القوم المقترنون في زمن واحد) [(٥)].

وقال الحافظ ابن حجر ﷺ : (والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة) ، ثم قال : (وقال صاحب المطالع : القرن أمة هلكت فلم يبق منهم أحد) [(٦)].

وقال ابن عطية ﷺ بعد أن ذكر الأقوال الأخرى : (وهذا كله ضعيف ، وهذه طبقات وليست بقرون إنما القرن أن يكون وفاة الأشياخ ثمَّ ولادة الأطفال ، ويظهر ذلك من قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المؤمنون : ٣١]) [(٧)].

وقال أبو حيان في ذكر الخلاف : (أو المقدار الوسط في أعمار أهل ذلك الزمان وهذا حسن ، لأنَّ الأمم السالفة كان فيهم من يعيش أربعمائة عام وثلاثمائة ، وما بقي عام وما فوق ذلك وما دونه ، وهكذا الاختلاف الإسلامي والله أعلم ؛ كأنه نظر إلى الطرف الأقصى والطرف الأدنى ، فمن

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤/٥٣٥).
(٢) مجاز القرآن (١/١٨٥) .
(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٩٦) ، برقم : (١٥١٨٢) .
(٤) البحر المحيط (٤/٨٩) .
(٥) المفردات في غريب القرآن (٤٠٣) .
(٦) فتح الباري (٧/٨) شرح الحديث رقم : (٣٦٥٠) .
(٧) المحرر الوجيز (٦٠٣) .

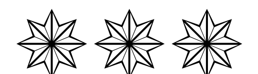


نظر إلى الغاية قال : من الستين فما فوقها إلى مائة وعشرين ، ومن نظر إلى الأدنى قال : عشرون وثلاثون وأربعون) [1].

والقاعدة التفسيرية أنه إذا احتمل اللفظ معانٍ عدَّة ، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن فيقدّم [2].

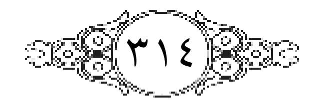
ومن خلال استعراض الخلاف والترجيح يظهر رجحان معنى قول عطاء الخراساني في هذه المسألة من حيث تفسير القرْن بالجيل أو الأمة ، ولا نسلِّم بالعدد الذي ذكره من الآباء بين النبي ﷺ ، وبين آدم عليه السلام ، لعدم وجود الدليل على ذلك .

والله أعلم ، ،



(١) البحر المحيط (٤/٨٩) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٧٩٨) .



الموضع الرابع :

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ [الفرقان : ٤٠] [١] .

٤٤- **قال عطاء الخراساني** : وأما القرية التي أمطرت مطر السَّوء فقرية لوط[٢] .

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني أنَّ القرية التي أمطرها الله مطر السوء ؛ هي سَدُوم ؛ قرية قوم لوط ، وهي واقعة بين الشَّام والمدينة [٣] .

ومطر السَّوء : هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها .

وعلى هذا القول جمهور المفسِّرين ، ولم أجد له مخالفاً [٤] .

وصيغة أمطر لم ترد في القرآن إلا في العذاب ، ومعظم ورود هذه اللفظة بتصرفاتها كان في حديث القرآن عما أصاب قوم لوط من العقوبة والعذاب ؛ إذ أمطرتهم السماء بحجارة من سجيل منضود [٥] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " هي خمس قريَّات ، أهلك الله أربعة وبقيت الخامسة " [٦] .

وأخذ به جمع من المفسرين ؛ كالبغوي[٧] ، وأبي السعود [٨] ،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٩٨/٨) ، برقم : (١٥١٩٢) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... ، وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٣) هذا من قول الحسن البصري ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٩٨/٨) ، برقم : (١٥١٩٣) .

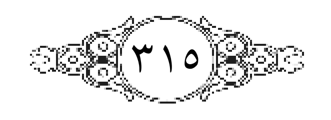
(٤) انظر : جامع البيان (٤٥٧/١٧) ، بحر العلوم (٥٦٤/٢) ، الكشف والبيان (١٣٩/٧) ، النكت والعيون (١٤٦/٤)، الوسيط (٣٤١/٣) ، معالم التنزيل (٤٤٦/٣) ، الكشاف (٧٤٦) ، المحرر الوجيز (١٣٨٤) ، زاد المسير (١٠١٧) ، التفسير الكبير (٧٦/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٤٤/٢) ، أنوار التنزيل (١٢٥/٤) ، مدارك التنزيل (١٨٩/٢) ، غرائب القرآن (٢٣٨/٥) ، التسهيل (١٤٥/٣) ، البحر المحيط (٦٠٤/٦) ، تفسير القرآن العظيم (٣٥١/٣) ، الجواهر الحسان (٤٦٧/٢) ، الدر المنثور (٢٥٩/٢) ، إرشاد العقل السليم (١٣/٥) ، روح المعاني (٣٢/١١) ، فتح القدير (٩٧/٤) ، المراغي (١٢/٧) .

(٥) انظر : كليات الألفاظ في التفسير (٥٦٠/٢) .

(٦) ذكره عنه الطبري في جامع البيان (٤٥٧/١٧) .

(٧) معالم التنزيل (٤٤٦/٣) .

(٨) إرشاد العقل السليم (١٣/٥) .



والألوسي[(1)]، وغيرهم .

واختلفوا في اسم القرية الناجية ، فقيل : اسمها صعوة [(2)]، وقيل : زعر[(3)]، وقيل غير ذلك ، وليس في معرفة اسمها فائدة تذكر .

وعلى أيٍّ حال فالمقصود بيان أنّ القرية التي أهلكها الله هي ديار قوم لوط، وعامّة أهل العلم على أنها سدوم ، وهي أعظم قرى قوم لوط .

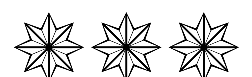
قال ابن عاشور ﷺ : (وقد وصف الله القرية بـ ﴿أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ لأنها اشتهرت بمضمون الصلة بين العرب وأهل الكتاب)[(4)] .

وفي القرآن شواهد وأدلّة أخرى تدلُّ على أنَّ القرية التي أمطرها الله مطر السَّوء -الذي هو حجارة السجيل - ؛ هي قرية قوم لوط ، ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود : ٨٢] .

وبيَّن في سورة الذاريات أنَّ السجِّيل المذكور من نوع من الطين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات : ٣٢-٣٣] .

وبهذا يتَّضح المراد .

والله أعلم ..



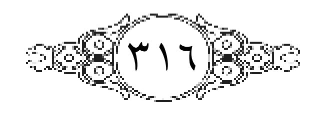
---

(١) روح المعاني (٣٢/١٩) .

(٢) ذكر ذلك الطبري في تفسيره عن ابن عباس ﷺ ، انظر : جامع البيان (٤٥٧/١٧) .

(٣) ذكره الألوسي في تفسيره عن ابن عبّاس أيضاً ، انظر : روح المعاني (٣٢/١٩) .

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/١٩) .



الموضع الخامس :

* في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان : ٤٥] [١].

٤٥- **قال عطاء الخراساني** : ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي : قبل طلوع الشمس غُدوة [٢] [٣].

الدراسة :

* يخبر الله في هذه الآية عن آية من آياته في الكون ، ويدعو نبيه ﷺ والمؤمنين إلى التأمُّل في عظيم صنع الله ، كيف مدَّ الظل في النهار ، لأنَّ الظلمة الخالصة تنفِّر عنها الطباع ، وتمنع النظر ، وشعاع الشمس يسخِّن الجو ويتعب البصر .

الأقوال في الآية [٤] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنه وقت الغداة ، ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وقد وافق فيه ابن عمر رضي الله عنهما [٥]، وابن عباس رضي الله عنهما [٦]، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك الغفاري ، وعكرمة ، ومجاهد ، والضحاك [٧]، والحسن ، وقتادة [٨]، وأبو العالية ، وإبراهيم النخعي ، ومسروق ، والسدّي ، وأبو سنان الشيباني [٩][١٠]، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

(٢) **الغُدوة** : البَكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس . انظر : لسان العرب (١١/١٩) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٠١) ، برقم : (١٥٢١٣) بسنده قال : أخبرنا العباس ابن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، ثنا محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء عن أبيه ... ، وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٤/١٤٧) .

(٥) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٠١) بعد الأثر رقم : (١٥٢١١) .

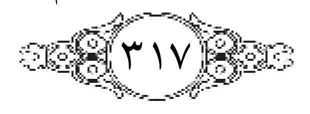
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٤٦٠) ، وابن أبي حاتم (٨/٢٧٠١) برقم : (١٥٢١٠-١٥٢١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٦١) عزوه لابن المنذر ، وسعيد بن منصور .

(٧) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٧/٤٦١) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٠١) بعد الأثر رقم: (١٥٢١١) .

(٨) أخرجه عنهما عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢/٤٥٥) ، وذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٠١) بعد الأثر رقم : (١٥٢١١) .

(٩) **أبو سنان الشيباني** = ضرار بن مرة الكوفي ، سمع عبد الله بن أبي الهذيل ، وسعيد بن جبير ، روى عنه شعبة وأهل العراق ، كان ثقة عابداً ، حفر في بيته قبراً يتعبد فيه ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . انظر : التاريخ الكبير (٤/٣٣٩) ، الثقات (٦/٤٨٤) .

(١٠) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٠١) بعد الأثر رقم : (١٥٢١١) .



وأيوب بن موسى [١][٢]، وجمهور المفسِّرين عليه [٣].

قالوا : لأنه ما من ساعة أطيب من تلك الساعة ، فإنَّ فيها يجد المريض راحة ، وكذا المسافر ، وكل ذي علَّة [٤].

واعترض ابن عطية على هذا القول بأنَّ الوقت من طلوع الفجر ليس من النهار ، بل في بقايا ليل ، فلا يقال له ظلّ [٥].

القول الثاني : المراد به ما يكون من مقابلة كثيف - كجبل أو بناء أو شجر- للشمس عند ابتداء طلوعها ، فالمعنى : ألم تنظر إلى صنع ربك كيف أنشأ ظلاً أي مظلاً كان عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً إلى ما شاء الله عزَّ وجل، جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ، وهو قول الزمخشري [٦]، واختيار أبي السعود [٧]، ولم يقيِّداه بزمن .

القول الثالث : ما بين أوَّل الإسفار إلى بزوغ الشمس ، ومن بعد مغيبها وقتاً يسيراً ، فإنَّ في هذين الوقتين على الأرض كلها ظلاً ممدوداً [٨].

وفي قولهم : على الأرض كلها ، كلام غير ممكن ، إذ الأرض كلُّها لا تكون على حال واحدة في نفس الوقت ، فالمطالع تختلف ، والليل والنهار يتعاقبان على الأرض .

القول الرابع : هو من غيوبة الشمس إلى طلوعها ، لأنَّ المقصود ظلّ

---

(١) **أيوب بن موسى** = ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، أبو موسى المكي الأموي ، ثقة من السادسة ، روى عن: عطاء ومكحول ، وروى عنه : شعبة وعبد الوارث وخلق ، كان أحد الفقهاء ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. انظر : الكاشف (١/٢٦٢) ، تقريب التهذيب (١١٩) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٢/٨) برقم : (١٥٢١٥) .

(٣) انظر : جامع البيان (٤٦٠/١٧) ، بحر العلوم (٥٦٥/٢) ، الكشف والبيان (١٣٩/٧) ، الوسيط (٣٤٢/٣)، معالم التنزيل (٤٤٧/٣) ، زاد المسير (١٠١٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٤٥/٢) ، أنوار التنزيل (١٢٦/٤) ، مدارك التنزيل (١٩٠/٢)، غرائب القرآن (٢٤٠/٥) ، تفسير القرآن العظيم (٣٥٢/٣) ، فتح القدير (٩٨/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٨٤) .

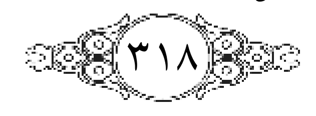
(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٢٤٥/٢) .

(٥) المحرر الوجيز (١٣٨٤) .

(٦) الكشاف (٧٤٧) .

(٧) إرشاد العقل السليم (١٦/٥-١٧) .

(٨) انظر : المحرر الوجيز (١٣٨٤) ، التسهيل (١٤٦/٣) ، الجواهر الحسان (٤٦٧/٢) .



الأرض يقبل بغروب الشمس ويدبِر بطلوعها ، حكاه الماوردي [١]، وذكره جماعة من المفسِّرين [٢].

القول الخامس : هو ما كان يوم خلق الله تعالى السماء وجعلها كالقبة ، وخلق الكواكب والشمس والقمر ، ودحا الأرض من تحتها وقع الظلّ على الأرض ، ذكره الرازي في تفسيره [٣].

وهذا القول أضعف الأقوال ، قال عنه الألوسي رحمه الله : (ليس بشيء) [٤].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي رجحانه من هذه الأقوال - والله أعلم – القول الثاني .

لأننا إذا تأملنا في سياق الآيات نجد أنها جاءت في مقام إظهار نعمة الظلّ، حينما يمتدُّ وينبسط فينتفع به الناس ، وذلك عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً إلى ما شاء الله عزَّ وجل ،وهذا المعنى هو الذي يناسب سياق الآية .

قال أبو السعود رحمه الله معقِّباً على القول الأول : (غيرُ سديد ، إذ لا ريب في أنَّ المرادَ تنبيهُ النَّاسِ على عظيم قُدرة الله عزَّ وجلَّ وبالغِ حكمتِه فيما يشاهدونَه ، فلا بدَّ أنْ يُرادُ بالظلِّ ما يتعارفونه من حالةٍ مخصوصةٍ يشاهدونها في موضعٍ يحول بينه وبين الشَّمسِ جسمٌ كثيفٌ مخالفةً لما في جوانبه من مواقعِ ضحِّ الشَّمسِ ، وما ذُكر وإن كانَ في الحقيقةِ ظلاً للأفق الشرقيِّ لكنَّهم لا يعدونه ظلاً ، ولا يصفونه بأوصافهِ المعهودة) [٥].

وقال الألوسي رحمه الله : (وجمهور المفسِّرين على الأول ، والقول الثاني أسلم من القال والقيل) [٦].

فحمل الآية على إطلاق الظلِّ دون تحديد لساعة معينة أولى [٧].

---

(١) النكت والعيون (٤/١٤٧) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٤٥) ، البحر المحيط (٦/٦٠٦) ، فتح القدير (٤/٩٨) .

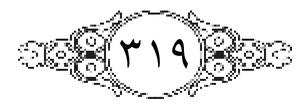
(٣) التفسير الكبير (٢٤/٨٠) .

(٤) روح المعاني (١١/٤٠) .

(٥) إرشاد العقل السليم (٥/١٧) .

(٦) روح المعاني (١١/٤٠) .

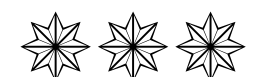
(٧) انظر شكل الظل اليومي ، وصورة الظل الممدود في بعض مناطق العالم في ملحق الصور آخر هذا البحث ، النموذج الثاني ، صورة (٥-٦) ص(٩٩٧) .



والقاعدة التفسيرية : أنَّ الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيِّده [1].

والقاعدة الأخرى : أنَّ القول الذي ترجِّحه قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه [2].

والله أعلم ، ،



(١) قواعد التفسير (٦٢١/٢) .

(٢) المصدر السابق (٢٩٩) .



الموضع السادس :

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ [الفرقان : ٥٠] (١).

٤٦- **قال عطاء الخراساني** : القرآن ، ألا ترى إلى قوله فيها : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ ﴾[الفرقان : ٥١-٥٢] (٢).

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني رحمه الله هنا أنَّ المقصود بالمصرَّف بين الناس هو القرآن ، ودلَّل على ذلك بما جاء في الآية بعدها : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢ ﴾ ومعلوم أنَّ الجهاد هنا بالقرآن الكريم ، لقوَّة حجته وبلاغته ، وفصاحته ، وإعجازه ، وهنا يأمر الله تعالى نبيه ألاَّ يبق مجهوداً في نصر الحقِّ وقمع الباطل إلاَّ بذَلَه ، ولو رأى من قومه التكذيب والإعراض ، وفيه أمر له ألاَّ ييأس من هدايتهم ، وألاَّ يترك إبلاغهم لأهوائهم (٣).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٧/٨) ، برقم : (١٥٢٥١) بسنده قال : حدثنا أبي ، ثنا محمود بن خالد ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ، قالا : ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر ، قال : سألت عطاء الخراساني عن قول الله .. وذكر الأثر .. **ودراسة الإسناد** :

أبي هو : محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي ، وتقدَّمت ترجمته .

محمود بن خالد هو : محمود بن خالد السلمي، أبو علي الدمشقي ، ثقة ، من صغار العاشرة ، مات سنة سبع وأربعين ، وله ثلاث وسبعون . انظر : تقريب التهذيب (٥٢٢) .

عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو العثماني ، مولاهم الدمشقي ، أبو سعيد ، لقبه دحيم ، ثقة حافظ متقن من العاشرة ، مات سنة خمس وأربعين وله خمس وسبعون . انظر : تقريب التهذيب (٣٣٥) .

الوليد هو : الوليد بن مسلم القرشي الحافظ ، عالم أهل الشام ، مولاهم ، أبو العباس الدمشقي ، ثقة ، لكنه كثير التدليس والتسوية ، قال ابن المديني : ما رأيت من الشاميين مثله ، من الثامنة مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين ومائة . انظر : الكاشف (٣٥٥/٢) ، تقريب التهذيب (٥٨٤) .

ابن جابر هو : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، الإمام الحافظ فقيه الشام ، وسبقت ترجمته في الباب الأول .

وبهذا يكون الأثر صحيحاً عن عطاء الخراساني ، قد رواه الثقات عن بعض .

وقد عزاه أيضاً السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر (٢٦٥/٦) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٥٨٥) .



الأقوال في الآية [1] :

القول الأول : قول المسألة عن عطاء الخراساني ، وهو أحد القولين عن ابن عباس رضي الله عنهما [2]، واختاره جماعة من المفسِّرين [3]، وعليه فمعنى الآية : ولقد كررنا هذا القرآن بإنزال آياته بين الناس ليذَّكروا به ، ويعتبروا بما فيه [4]، أو أننا عرضناه عليهم في صور شتَّى ، وأنزلناه مفرَّقاً منجّماً على مراحل وفترات مختلفة .

القول الثاني : أنَّ الضَّمير يرجع إلى أقرب مذكور ، وهو ماء المطر الذي أنزله الله طهوراً من السماء ، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه [5]، وابن عباس رضي الله عنهما [6]، ومجاهد [7]، وعكرمة [8]، وقتادة [9]، وابن زيد [10]، وقال به جمهور المفسِّرين [11].

وعلى هذا المعنى يكون المقصود بالتصريف أننا قسَّمناه فلا يدوم على مكان فيهلك ، أو ينقطع عن مكان فيهلك .

أو أنه يصرفه في كل عام من مكان إلى مكان ، فليس عام أمطَر من عام ،

---

(١) انظر : النكت والعيون (١٤٩/٤) ، المحرر الوجيز (١٣٨٥) ، البحر المحيط (٦١١/٦) ، فتح القدير (١٠٠/٤) .

(٢) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٨٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٦١١/٦) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٢٥٤/٢) ، التسهيل (١٤٦/٣) ، الجواهر الحسان (٤٦٨/٢) .

(٤) فتح القدير (١٠٠/٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٦٩/١٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور للخرائطي (٢٦٤/٦) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٦٨/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٧٠٦/٨) برقم : (١٥٢٤٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد ، وابن المنذر (٢٦٤/٦) .

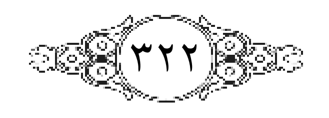
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٦٩/١٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لسنيد وابن المنذر (٢٦٤/٦) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٧٠٦/٨) ، برقم : (١٥٢٤٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد، وابن المنذر (٢٦٤/٦) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٧/٨) ، برقم : (١٥٢٥٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد (٢٦٤/٦) .

(١٠) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٣٩٧/٩-٣٩٨) .

(١١) انظر : جامع البيان (٤٦٨/١٧)، بحر العلوم (٥٦٦/٢) ، الكشف والبيان (١٤٠/٧) ، الوسيط (٣٤٢/٣)، معالم التنزيل (٤٥١/٣) ، زاد المسير (١٠١٩) ، التفسير الكبير (٨٣/٢٤) ، البحر المحيط (٦١١/٦) ، تفسير القرآن العظيم (٣٥٣/٣) تفسير المراغي (١٦/٧) ، التحرير والتنوير (٤٩/١٩) ، أضواء البيان (٢٢٦/٦) .



ولكنَّ الله يصرفه بين عباده .

القـول الثالـث : أي ولقـد صـرَّفنا هـذا القـول بـين النـاس في القـرآن وفي سـائر الكتـب والـصحف الـتي أنزلـت علـى الرسـل علـيهم الـسلام ، وهـو ذكـر إنـشاء السحاب ، وإنزال القطـر ؛ ليتفكّـروا ويعتـبروا ، ويعرفـوا حـقَّ النعمـة فيـه ، وهـذا قول الزمخشري [١]، وتبعه جماعة من المفسِّرين [٢].

القـــول الرابـــع : أنَّ الـــضمير راجـــع إلى الـــريح ، حكـــاه الـــثعلبي [٣]، والشوكاني [٤].

الجمع أو الترجيح :

الاخـتلاف هنـا اخـتلاف تنـوع لا اخـتلاف تـضاد ؛ فمـن أرجـع الـضمير علـى المطر نظر لما قبل الآية ، ومن قال إنه يعود على القرآن نظر لما بعدها .

والـذي يظهـر لي - والله أعلـم - قـوة القـولين الأولـين ، ومـتى مـا أمكـن الجمع جُمِع .

والقاعـدة التفـسيرية : أنـه إذا كـان في الآيـة ضـمير يحتمـل عـوده إلى أكثـر مـن مـذكور ، وأمكـن الحمـل علـى الجميـع حُمِـل عليـه ، خاصـة إن كانـت المعـاني المحتملة كلها صحيحة ولا مانع من الحمل عليها [٥].

وبنـاءً علـى ذلـك فلعـلَّ المـراد بعـد اسـتعراض المـشاهد الكونيـة في الآيـات الـسابقة مـن الـسورة ؛ مـن إنـزال المطـر ، وإحيـاء الأرض بـه ، حـصل هنـا الالتفـات في الـسياق بهـذه الآيـات إلى القـرآن الكـريم النـازل مـن الـسماء لـتطهير القلـوب والأرواح ، فكيـف يستبـشرون بالمـاء المحيـي للأبـدان ، ولا يستبـشرون بـالقرآن المحيـي لـلأرواح ! ، فـالمعنى : ولقـد صـرَّفنا المـاء الـذي بـه حيـاة أجسادهم ، والقرآن الـذي بـه حيـاة أرواحهـم ليـذَّكروا ويعتـبروا فيعبـدوا الله وحـده ويؤمنون به سبحانه وتعالى . والله أعلم .

---

(١) الكشَّاف (٧٤٩) .
(٢) انظر : أنوار التنزيل (١٢٧/٤) ، مدارك التنزيل (١٩٢/٢) ، إرشاد العقل السليم (٢٠/٥) .
(٣) الكشف والبيان (١٤٠/٧) .
(٤) فتح القدير (١٠٠/٤) .
(٥) قواعد التفسير (٤٠٠/١) .



الموضع السابع :

* في قوله تعالى : ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان : ٥٣] [(١)].

٤٧- **قال عطاء الخراساني** : أما الفرات : فالماء العذب ، وأما الأجاج : فالماء المالح[(٢)].

الدراسة :

* يبين الله نعمة من نعمه على خلقه أنه جعل ماء البحر العذب مجاوراً لماء البحر المالح ، وملاصقاً له ، ثمّ منع الماء المِلح من تغيير العذب عن عذوبته ، لئلا يضرَّ ذلك بالناس فلا يجدون ماءً يشربونه عند حاجتهم .

والمعنى الذي قاله عطاء الخراساني هو المعروف عند أهل اللغة أنَّ الأجاج : الشديد الملوحة ، والفرات هو العذب [(٣)].

الأقوال في الآية [(٤)] :

الفرات هو العذب شديد العذوبة ، في عامَّة كلام أهل اللغة والتفسير ، واختلفوا في معنى الأجاج على تأويلات ثلاثة :

القول الأول : أنه المالح ، أو شديد الملوحة ، وهو قول عطاء الخراساني، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما ، وعكرمة [(٥)]، وعليه جمهور المفسِّرين[(٦)].

قال الزّجاج : (والأجاج صفة للملح ، المعنى : وهذا ملح أشدُّ

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

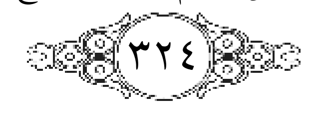
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٨/٨) ، برقم : (١٥٢٦٠) بسنده ، قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء عن أبيه ، عن عطاء ...، وذكر الأثر ، وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس (٨٣٤/٢) .

(٤) النكت والعيون (١٥٠/٤-١٥١) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٤٧٣/١٧- ٤٧٥) .

(٦) انظر : جامع البيان (٤٧٣/١٧) ، بحر العلوم (٥٦٧/٢) ، الكشف والبيان (١٤٢/٧) ، الوسيط (٣٤٣/٣)، معالم التنزيل (٤٥٢/٣) ، الكشاف (٧٤٩) ، المحرر الوجيز (١٣٨٦) ، التفسير الكبير (٩٢/٢٤) ، أنوار التنزيل (١٢٨/٤) ، مدارك التنزيل (١٩٣/٢) ، غريب القرآن (٢٥٠/٥) ، البحر المحيط (٦١٢/٦) ، الجواهر الحسان (٤٦٨/٢) ، إرشاد العقل السليم (٢١/٥) ، فتح القدير (١٠١/٤) .



الملوحة)[1].

القول الثاني : أنه المرَّ ، وهو قول قتادة [2].

القول الثالث : أنه الحار المؤجج ، وهو قول ابن بحر [3] .

الجمع أو الترجيح :

جميع معاني الأجاج متقاربة ومتساوية ، ولا مانع من إرادتها جميعاً ، وهو اختلاف لفظي لا أثر له ، لأنَّ الملوحة والمرارة والحرارة كلها أوصاف مشتركة لماء البحر المالح .

ومن خلال تأمل عبارات المفسِّرين وأهل اللغة يتَّضح المعنى .

قال القرطبي ﵀ : (﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي فيه ملوحة ومرارة) [4].

وقال ابن كثير ﵀ : (﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي مالح مرّ زعاق لا يستساغ ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب) [5].

فالمرارة تطلق على الشيء الشديد الملوحة ، والحرارة يقصد بها حرارة المزاج .

وقال الراغب ﵀ : (ملح أجاج أي شديد الملوحة والحرارة) [6].

وفي لسان العرب : (وماءٌ أُجاجٌ أي ملح ، وقيل : مرٌّ ، وقيل : شديد المرارة، وقيل : الأُجاجُ الشديد الحرارة ، وكذلك الجمع قال الله عز وجل : ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو الشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر ، وقد أَجَّ الماءُ يَؤُجُّ أُجوجاً ، وفي حديث علي ﵁ : " وَعَذْبُها أُجَاجٌ " [7]، الأُجاج بالضم

---

(١) معاني القرآن (٤/٥٧) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٥٦) ، والطبري (١٧/٤٧٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٧٠٨) برقم : (١٥٢٦١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٦٥) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/١٥١) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٥٥) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٥٤) .

(٦) المفردات في غريب القرآن (٢٠) .

(٧) الصحيح أنَّ هذا من كلام قطري بن الفجاءة في خطبة له طويلة مشهورة في ذمِّ الدنيا ، خطبها على منبر الأزارقة ، أولها : (أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغمرت بالآمال ، وتحلَّت بالأماني ، وزيِّنت بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن

الماءُ الملح الشديد الملوحة ، ومنه حديث الأَحنف : " نزلنا سَبِخَةً نَشَّاشَةً طَرَفٌ لها بالفلاة وطَرَفٌ لها بالبحر الأُجاج ") [(١)].

وجاء في المصباح المنير : (ماء أجاج : مر شديد الملوحة) [(٢)].

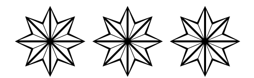
وفي المعجم الوسيط : (الأجاج ما يلذع الفم بمرارته أو ملوحته) [(٣)].

وجميع الأقوال تدور في فلك واحد .

والقاعدة التفسيرية أنه إذا احتمل اللفظ معانٍ عدَّة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [(٤)].

واختيار عطاء الخراساني في معنى الأجاج ، هو الموافق لذلك كلِّه .

والحمد لله ، ،



فجعتها ، غدَّارة ضرَّارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، لا تعدو إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ ...) . انظر : العقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٩/٤) ، البيان والتبيين (٢٧٧/١) .

(١) لسان العرب (٥٨/١) .
(٢) المصباح المنير (٩) .
(٣) المعجم الوسيط (٦) .
(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



سورة الشعراء

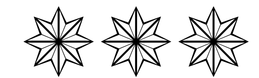
الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ ﴾ [الشعراء : ٣] [١].

٤٨- **قال عطاء الخراساني** : فيقال : لعلَّك مخرج نفسك وقاتلها [٢] .

الدراسة :

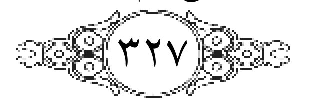
* سبقت دراسة هذه الآية والكلام عنها تفصيلاً عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ ﴾ في الموضع الأول من سورة الكهف [٣].



(١) الآية بتمامها : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٧) ص١٠٠، وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر الموضع الأول من سورة الكهف ، الموضع رقم (١) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٥٤].

٤٩- **قال عطاء الخراساني** : كانوا سِتَّمائةِ ألف ليس فيهم أكثر من ابن الستين ، ولا أصغر من عشرين ، فهلكوا في التيه إلا رجلين : يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا(١) .

الدراسة :

* جاءت هذه الآية في سياق قصّة موسى مع فرعون ، وأن فرعون قال محتقراً لشأن موسى ﷺ ومن معه : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ أي أنهم لقلّتهم لا يبالي بهم ، ولا يتوقّع لهم غلبة ، فيسهل عليه اقتفاؤهم وإرجاعهم وكبح جماحهم في زمن يسير . والشِّرذمة في اللغة : جماعة منقطعة ، أو طائفة ، وكلُّ بقيَّة قليلة فهي شرذمة ، وهي ها هنا في موضع الجماعات (٢).

---

(١) روي في تفسير مجاهد (١٨٦) وفيه : أنبأ عبد الرحمن ، ثنا إبراهيم ، نا ضمرة ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

عبد الرحمن هو : عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عبيد بن عبد الملك ، أبو القاسم الأسدي القاضي، من أهل همذان ، حدَّث عن : إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذاني ، ومحمد بن أيوب ، وغيرهم ، وقدم بغداد وحدث بها فكتب عن الشيوخ القدماء وروى عنه الدارقطني . ادَّعى الرواية عن إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ، فذهب علمه . وقال عنه القاسم بن أبي صالح : يكذب . مات في شعبان من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وكان قد خرج من بغداد قافلاً إلى همذان فأدركه أجله في الطريق . انظر : تاريخ بغداد (٢٩٢/١٠) ، ميزان الاعتدال (٢٧٢/٤) ، لسان الميزان (٤١١/٣) .

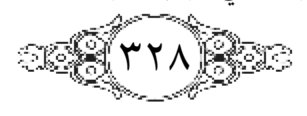
إبراهيم هو : إبراهيم بن الحسين بن علي بن مهران بن ديزيل الكسائي الهمداني ، المعروف بدابة عفان ، الحافظ الملقب سيفنة ، من كبار الحفاظ قال عنه أبو حاتم الرازي : (ما رأيت ولا بلغني عنه إلا الخير والصدق). وسيفنة هو طير يسقط على الشجرة فلا يبرح حتى يأتي على ما فيها ، قيل : شبهوا إبراهيم بالطير المذكور للزومه المشائخ ، واعتكافه عليهم ، وكثرة كتابته عنهم ، وقد تقدم انه يلقب دابة عفان وذلك لشدة لزومه ، وكان يصوم ويفطر يوماً ، وهو أحد الثقات الأثبات الرحالين في طلب الروايات ، مات في آخر يوم شعبان سنة إحدى وثمانين ومائتين . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٣٨٧/٦) ، لسان الميزان (٤٨/١) .

ضمرة هو : ابن ربيعه الفلسطيني ، وتقدَّمت ترجمته .

عثمان بن عطاء هو : ابن عطاء الخراساني ، وهو ضعيف سبقت ترجمته ص(٢٦٤) .

وبهذا يكون الأثر ضعيفاً لضعف عبد الرحمن بن الحسن ، ولضعف عثمان بن عطاء الخراساني .

(٢) انظر : مجاز القرآن (٨٦/٢) ، المفردات في غريب القرآن (٢٦١) .



الأقوال في الآية [(١)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنهم ستمائة ألف ، وقد وافق فيه قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [(٢)]، وعمرو بن ميمون الأودي[(٣)] [(٤)]، وعبد الله بن شدَّاد بن الهاد [(٥)]، وقيس بن عباد [(٦)(٧)]، ومجاهد [(٨)]، وابن جريج[(٩)]، وقاله جمع من المفسِّرين [(١٠)].

القول الثاني : ستمائة وعشرين ألفاً فصاعداً ، قاله قتادة [(١١)]، وقيل : لا يعد ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره .

القول الثالث : ستمائة وسبعين ألفاً ، وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[(١٢)]، رواه عنه أبو عبيدة [(١٣)] [(١٤)]، وذكره جمْع من المفسِّرين [(١٥)]، وحكاه

---

(١) انظر : النكت والعيون (٤/١٧١) .

(٢) حكاه عنه الرازي في التفسير الكبير (٢٤/١٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٩٥) لابن أبي حاتم، - ولم أقف عليه - .

(٣) **عمرو بن ميمون الأودي** = أبو عبد الله ويقال أبو يحيى ، مخضرم مشهور ، ثقة عابد كان كثير الحج والعبادة، روى عن عمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، نزل الكوفة ، مات سنة أربع وسبعين وقيل بعدها . انظر : الكاشف (٢/٨٩) ، تقريب التهذيب (٤٢٧) .

(٤) أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/١٦٤) .

(٥) **عبد الله بن شداد بن الهاد** = الليثي ، أبو الوليد المدني ، ولد علي عهد النبي ﷺ ، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات ، وكان معدوداً في الفقهاء ، مات بالكوفة مقتولاً سنة إحدى وثمانين وقيل بعدها . انظر : تقريب التهذيب (٣٠٧) .

(٦) **قيس بن عُبَاد** = الضُبَعي ، أبو عبد الله البصري ثقة من الثانية ، مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عدَّه في الصحابة . انظر : تقريب التهذيب (٤٥٧) .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٧/٥٧٣-٥٧٤) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٥٧٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٩٥) للفريابي ، وعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٥٧٥) .

(١٠) انظر : الوسيط (٣/٣٥٤) ، معالم التنزيل (٣/٤٦٧) ، زاد المسير (١٠٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٧٤) ، التسهيل (٣/١٥٨) .

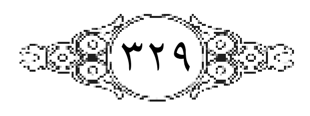
(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٩٥) لعبد بن حميد .

(١٢) تفسير مجاهد (١٨٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٥٧٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٩٥) لعبد بن حميد ، والفريابي وابن المنذر ، وابن أبي حاتم - ولم أقف عليه - .

(١٣) **أبو عبيدة** = يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبي عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود المسعودي ، روى عن أبيه وجده وأبي نعيم ، وروى عنه النسائي ، وموسى بن إسحاق الأنصاري ، ومطين، والقاسم بن جعفر بن أحمد بن عمران ، ومحمد بن جرير الطبري ، قال النسائي صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : تهذيب التهذيب (١١/١٥٤) .

(١٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٥٧٣) .

(١٥) انظر : الكشف والبيان (٧/١٦٤) ، أنوار التنزيل (٤/١٣٩) ، مدارك التنزيل (٢/٢٠٨) ، غرائب القرآن (٥/٢٦٩)، إرشاد العقل السليم (٥/٤٢) .



الزمخشري[1]، وابن عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما [2].

القول الرابع : ستمائة وتسعين ألفاً ، قاله ابن مسعود رضي الله عنه [3].

القول الخامس : كانوا خمسمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة ، حكاه الماوردي [4].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي – والله أعلم – مما سبق ، أنَّ قول عطاء الخراساني وغيره في الآية هو من الأقوال التي اعتمد أصحابها على أخبار بني إسرائيل ، التي أمرنا بعدم تصديقها أو تكذيبها ، فقد قال النبي ﷺ : « لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ولا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا » [5].

قال ابن عطية رحمه الله : (وإنما اللازم من الآية الذي يقطع به أن موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني إسرائيل وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك العدد) [6].

وقال الألوسي رحمه الله : (وأنا أقول إنهم كانوا أقلَّ من عساكر فرعون ، ولا أجزم بعدد في كلا الجمعين ، والأخبار في ذلك لا تكاد تصح ، وفيها مبالغات خارجة عن العادة ، والمشهور عند اليهود أنَّ بني إسرائيل كانوا حين خرجوا من مصر ستمائة ألف رجل خلا الأطفال ، وهو صريح ما في التوراة التي بأيديهم) [7].

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله : (فقد كان عدد بني إسرائيل الذين خرجوا ستمائة ألف ، هكذا قال المفسِّرون ، وهو موافق لما في سِفْر العدد من التوراة

---

(١) انظر : الكشاف (٧٦٠) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١٤٠٠) .

(٣) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٤/١٧١) .

(٤) المصدر السابق (٤/١٧١) .

(٥) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٤٨٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وبرقم : (٧٣٦٢) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » ، وبرقم : (٧٥٤٢) في كتاب التوحيد ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) المحرر الوجيز (١٤٠٠) .

(٧) روح المعاني (١١/١٢٢) .

في الإصحاح السادس والعشرين)[1].

وقال الشوكاني ﷺ بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في هذا الشأن[2]: (وأقول : هذه الروايات المضطربة قد روي عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب والاختلاف ، ولا يصحُّ منها شيء عن النبي ﷺ)[3].

وأما بقية كلام عطاء الخراساني أنَّهم هلكوا في التيه إلا رجلين : يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا ، فلم أجد أحداً قال به ، وهو من الإسرائيليات التي شابت أقوال عطاء الخراساني[4].

ولم يتعرَّض لذكر هذه التفاصيل والأعداد كثير من المحققين من أهل التفسير[5]، وما ذاك إلاَّ لأنَّ العلم بالعدد هنا من العلم بالمبهمات ، التي لا فائدة من معرفتها .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ علم المبهمات موقوف على النَّقل المحْض ، ولا مجال للرأي فيه[6].

وكذلك : أنَّ ما أُبهِم في القرآن فلا طائل في معرفته[7].

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/١٣٠) ، ومعلوم أنه لا ينبغي النّقل في التفسير من كتب أهل الكتاب لأنها كتب محرَّفة، وهو إنما أراد أن يخبر بالتوافق بين ما عندهم ، وما نقله المفسِّرون في هذه المسألة . والله أعلم .

(٢) هذه الأحاديث هي : **الأول** : ما عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٩٥) لابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " كان فرعون عدو الله حيث غرقه الله هو وأصحابه في سبعين قائد مع كل قائد سبعون ألفاً ، وكان موسى مع سبعين ألفاً حين عبروا البحر " . قال عنه السيوطي : (٦/٢٩٥) سنده واه .
والحديث الثاني : ما عزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٦/٢٩٥) لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " كان أصحاب موسى ﷺ الذين جاوزوا البحر اثني عشر سبط فكان في كل طريق اثنا عشر ألفاً كلهم ولد يعقوب " ولم أقف على من ذكرهما غير السيوطي ، ونقله عنه الشوكاني في فتح القدير ، وتكلّم على الحديثين بما نقلته في المتن .

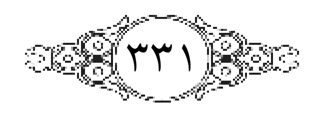
(٣) فتح القدير (٤/١٢٨) .

(٤) جاء في الكتاب المقدس - سفر العدد ، الإصحاح السادس والعشرين - ما نصه : (وفي هؤلاء لم يكن إنسان من الذين عدّهم موسى وهرون الكاهن حين عدّا بني إسرائيل في برية سيناء * لأنَّ الرب قال لهم : إنهم يموتون في البرية فلم يبق منهم إنسان إلا كالب بن يفنّة ، ويشوع بن نون) .

(٥) انظر : بحر العلوم (٢/٥٨٠) ، البحر المحيط (٧/٢٣) ، تفسير ابن كثير (٣/٣٧٠) ، الجواهر الحسان (٢/٤٨١)، تفسير المراغي (٧/٤٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٩٢) .

(٦) قواعد التفسير (٢/٧١٩) ، وهذه القاعدة ذكرها السيوطي رحمه الله بقوله : (اعلم أنَّ علم المبهمات مرجعه النَّقل المحض لا مجال للرأي فيه) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٧٦٦) .

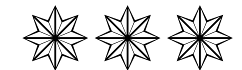
(٧) المصدر السابق (٢/٧١٩) .



وعليه فكلام ابن عطية السابق ومن تبعه من المفسِّرين هو من أحسن ما قيل هنا ، إذ فيه بيان المراد دون التكلُّف بأقوالٍ لم ترد في الكتاب ولا السنة الصحيحة .

وقول المسألة في الأصل ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني ، لضعف سنده ؛ وعليه : فيكون هذا القول ضعيف سنداً ومتناً .

والحمد لله ..





الموضع الثالث:

* في قول الله تعالى : ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء : ٦٣] (١).

٥٠- **قال عطاء الخراساني** : الفسح العظيم بين الجبلين (٢) .

وفي لفظ : هو الفجّ بين جبلين (٣).

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الطود بالطريق الفسيح الواسع أو الفج بين الجبلين ، وهو من مفرداته في التفسير . والطود في اللغة هو الجبل العظيم (٤).

الأقوال في الآية :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنَّ الطَّود هو الفسح العظيم ، أو الفجّ بين الجبلين ، ولم أجد من وافقه من المفسِّرين على هذا التفسير .

القول الثاني : أنّ الطَّود هو الجبل العظيم ، وهذا قول عبد الله بن مسعود(٥)، وابن عباس رضي الله عنهما (٦)، وابن عبّاد(٧)، والضحاك (٨)، وعبد الله بن عبيد (٩) ، وقتادة ، ومحمد بن كعب(١٠)، والسدي ، وابن إسحاق (١١)،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٤) ، برقم : (١٥٦٧٨) بسنده ، قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء قال : ... وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٣٧١) .

(٤) انظر : لسان العرب (٩/١٥٦) .

(٥) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٣) بعد الأثر رقم : (١٥٦٧٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٥٨٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٣) برقم : (١٥٦٧٤) .

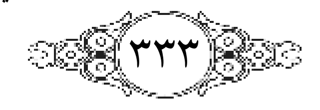
(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٣) برقم : (١٥٦٧٥) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٥٨٥) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٣) بعد الأثر رقم : (١٥٦٧٤) .

(٩) **عبد الله بن عبيد** = ابن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر الليثي ، أبو هاشم المكي ، تابعي مكي ثقة يحتج بحديثه ، كان مستجاب الدعوة ، وكان من أفصح أهل مكة . روى عن أبيه - وقيل لم يسمع منه - ، وعائشة، وابن عباس ، وابن عمر ، وثابت البناني -وهو من أقرانه - وغيرهم ، وروى عنه : جريج بن حازم ، وإسماعيل بن أمية ، مات سنة ثلاث عشر ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (٥/٢٦٩) .

(١٠) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٣) بعد الأثر رقم : (١٥٦٧٤) .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٧/٥٨٣-٥٨٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٧٧٣) برقم :



وجمهور المفسِّرين عليه [1]، ولم أجد له مخالفاً .

قال الراغب رحمه الله : (الطود هو الجبل العظيم ، ووصفه بالعظم لكونه فيما بين الأطواد عظيماً لا لكونه عظيماً فيما بين سائر الجبال) [2].

وزاد الزمخشري رحمه الله : (المنطاد في السماء) [3]. قال امرؤ القيس [4]:

فَبَيْنَا الْمَرْءُ فِيْ الأَحْيَاءِ طَوْدَاً رَمَاهُ النَّاسُ عَنْ كَثَبٍ فَمَالاَ

وقال البيضاوي رحمه الله : (كالجبل المنيف الثابت في مقره) [5].

الجمع أو الترجيح :

الذي يترجّح عندي القول الثاني ، وهو قول جمهور المفسِّرين من السَّلف والخلف ، وقول عطاء الخراساني هنا مخالف للّغة والإجماع .

ويشهد للقول الراجح قول عائشة عن أبيها رضي الله عنه حين بلَغها أنَّ قوماً يتكلَّمون فيه : " ذاكَ طَوْدٌ مُنِيْف ، وفرْع مديد ... " [6]. تعني أنه جبل عظيم في قدره وعظمته .

والقاعدة التفسيرية : تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [7]. والله أعلم .

(١٥٦٧٦) ، (١٥٦٧٧) .

(١) انظر : مجاز القرآن (٢/٨٦) ، جامع البيان (١٧/٥٨٣) ، بحر العلوم (٢/٥٨١) ، الكشف والبيان (٧/١٦٥) ، النكت والعيون (٤/١٧٤) ، الوسيط (٣/٣٥٤) ، معالم التنزيل (٣/٤٦٨) ، الكشاف (٦٧١)، المحرر الوجيز (١٤٠١) ، زاد المسير (١٠٣٠) ، التفسير الكبير (٢٤/١٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٧٧) ، أنوار التنزيل (٤/١٤٠) ، مدارك التنزيل (٢/٢٠٨) ، غرائب القرآن (٥/٢٦٩) ، التسهيل (٣/١٥٩) ، البحر المحيط (٧/٢٧) ، الدر المنثور (٦/٢٢٩) ، إرشاد العقل السليم (٥/٤٣) ، تفسير ابن كثير (٣/٣٧١) ، روح المعاني (١١/١٢٩)، فتح القدير (٤/١٢٧) ، تفسير المراغي (٧/٤٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٩٢) ، التحرير والتنوير (١٩/١٣٦) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٣١١) .

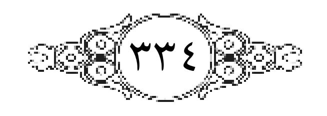
(٣) الكشاف (٦٧١) .

(٤) **البيت لامرئ القيس** ، انظر ديوانه ص(٣٢٧) ، وهو من شواهد : النكت والعيون (٤/١٧٤) .

(٥) أنوار التنزيل (٤/١٤٠) .

(٦) **ضعيف** . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/١٨٤) بسنده قال : حدثنا عبد اللَّه بن مُحَمَّد بن عِمْرَانَ الأَصْبَهَانِيُّ ، ثنا مُوسَى بن عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ ، ثنا عَلِيُّ بن أَحْمَدَ السَّدُوسِيُّ عن أبيه قال : بَلَغَ عَائِشَةَ أَنَّ ناساً يَنَالُونَ من أبي بَكْرٍ ... وذكر الأثر . قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٥٠) : (فيه أحمد السدوسي لم يدرك عائشة ، ولم أعرفه ولا ابنه) ، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٤/٤٠٩) ، وابن هبة الله في تاريخ دمشق (٣٠/٣٨٨-٣٨٩) .

(٧) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤)﴾ [الشعراء : ٦٤] .

٥١- **قال عطاء الخراساني** : فقدَّمنا إلى البحر آل فرعون [١] .

وفي **لفظ** : أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيناهم إليه [٢] .

الدراسة :

* يخبر الله سبحانه في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون أنّه تعالى قرَّب آل فرعون إلى البحر معجِّلاً بهلاكهم وغرقهم ، بعد أن دخلوا الطريق الذي فتح في البحر لموسى ومن معه .

الأقوال في الآية [٣] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنَّ الله قدّم فرعون وقومه إلى البحر ، ونحوه عبارة من قال : قرّبهم وأدناهم منه ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٤] ، والسدي [٥] ، وقتادة [٦] ، وابن جريج [٧] ، وهو قول جمهور المفسِّرين [٨] . ومنه قول الشاعر [٩] :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٧٤/٨) ، برقم : (١٥٦٨١) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، ثنا محمد بن شعيب بن شابور ، حدثني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء قال ، وذكر الأثر ، وقد سبقت دراسة إسناده والحكم عليه بالضَّعف ص(٢٦٤) .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣٧١/٣) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٧٥/٤) ، زاد المسير (١٠٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧٧/٢-٢٢٧٨) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٨٦/١٧) من طريق عطاء الخراساني .

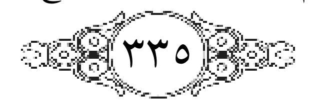
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٨٦/١٧) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٧٤/٨) بعد الأثر رقم : (١٥٦٨١) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٦٢) ، والطبري في تفسيره (٥٨٦/١٧) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٧٤/٨) بعد الأثر رقم : (١٥٦٨١) .

(٧) حكاه عنه الرازي في التفسير الكبير (١٢٦/٢٤) .

(٨) انظر : جامع البيان (٥٨٥/١٧) ، بحر العلوم (٥٨٠/٢) ، الكشف والبيان (١٦٦/٧) ، الوسيط (٣٥٤/٣)، معالم التنزيل (٤٦٩/٣) ، الكشاف (٧٦١) ، المحرر الوجيز (١٤٠١) ، أنوار التنزيل (١٤٠/٤) ، مدارك التنزيل (٢٠٨/٢) ، غرائب القرآن (٢٦٩/٥) ، التسهيل (١٥٩/٣) ، البحر المحيط (٢٧/٧) ، تفسير ابن كثير (٣٧١/٣) ، الجواهر الحسان (٤٨١/٢) ، إرشاد العقل السليم (٤٣/٥) ، تفسير المراغي (٤٦/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٥٩٢) ، التحرير والتنوير (١٣٦/١٩) .

(٩) **البيت لم ينسب لقائل** . وهو من شواهد : النكت والعيون (١٧٥/٤) ، تفسير السمعاني (٥١/٤) ، التفسير الكبير (١٢٧/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧٨/٢) ، فتح القدير (١٢٧/٤) .



وكُلَّ يَوْمٍ مَضَىْ أَوْ لَيْلَةٍ سَلَفَتْ فِيْـهِ النُّفُـوْسُ إِلَـى الآجَـالِ تَزْدَلِـفُ

وفي تقريبهم ثلاثة أوجه [1]:

أحـدها : قـدَّمناهم إلى البحـر ، وهـو الـذي اختـاره عطـاء الخراسـاني ، وعليـه جمهور المفسرين ، وهو أظهرها .

وثانيها : قرَّبناهم من بني إسرائيل .

وثالثها : قرَّبنا بعضهم من بعض ، وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد .

القـول الثـاني : جمَعنـا فرعـون وقومـه في البحـر ، ومنـه : يقـال لليلـة المزدلفة: جمع . وهو قول أبي عبيدة [2]، وأشار له الطبري في تفسيره [3].

القـول الثالـث : ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ أي حبسنا فرعـون وقومـه عنـد طلبـهم موسـى عليه السلام بأن أظلمنا علـيهم الـدنيا بـسحابة وقفـت علـيهم فوقفـوا حيـارى ، ذكـره الـرازي في تفسيره [4].

القـول الرابـع : وقـرأ الحـسن وأبـو حيـوة : ﴿ وزلَفنا ﴾ ثلاثيـاً ، وحكـي عـن أُبيّ بـن كعـب ، وابـن عبـاس رضي الله عنهما ، وعبـد الله بـن الحـارث[5] أنهـم قـرؤوا : ﴿ وَأَزْلَقْنَا ﴾ بالقاف من زلق الأقدام [6].

أو بمعـنى : أهلكنـا ، مـن قـولهم : أزلقـت الفـرس : إذا ألقـت ولـدها [7]، وهذا القول روي عن الحسن [8]، وذكره الطبري في تفسيره [9].

قـال ابـن جـني رحمه الله : (مـن قـرأ : ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ بالفـاء ، فـالآخرون : موسـى

(١) ذكرها الرازي في التفسير الكبير (١٢٦/٢٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٢٧/٧) .

(٢) مجاز القرآن (٨٧/٢) .

(٣) جامع البيان (٥٨٨/١٧) .

(٤) وانفرد بحكاية هذا القول الرازي في التفسير الكبير (١٢٦/٢٤-١٢٧) ، ولم يعزه لأحد .

(٥) **عبد الله بن الحارث** = ابن جزء بن عبد الله بن معدي كرب الزبيدي ، أبو الحارث ، نزيل مصر ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، توفي سنة ست وثمانين وكان قد عمي ، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة . انظر : تهذيب التهذيب (١٥٦/٥) .

(٦) انظر : المحتسب (١٢٩/٢) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧٨/٢) ، فتح القدير (١٢٧/٤) .

(٨) حكاه النحاس في معاني القرآن (٨٥٦/٢) ، والسمرقندي في بحر العلوم (٥٨٢/٢) .

(٩) جامع البيان (٥٨٨/١٧) .



عليه السلام وأصحابه ، ومن قرأها بالقاف ، فالآخرون : فرعون وأصحابه ، أي أهلكنا ثمَّ الآخرين أي فرعون وأصحابه) [(١)].

وقال الرازي رحمه الله : (والمعنى : أذهبنا عزهم ، ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبساً وأزلقهم) [(٢)].

وقال الألوسي رحمه الله : (ولا يخفى أنه يبعد إرادة موسى عليه السلام وأصحابه من الآخرين) [(٣)]، وبنحو هذا قال الشوكاني [(٤)].

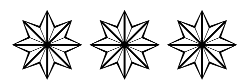
الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي - والله أعلم -؛ أنَّ الأقوال متقاربة ، والاختلاف في معنى الآية اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد ، ويمكن أن يقال جمعاً بين الأقوال : إنَّ الله قرّبهم إلى البحر وجمعهم فيه ليهلكهم ، أو أنه قرّب بعضهم إلى بعض وجمعهم لئلا ينجو منهم أحد ثمّ أغرقهم وأهلكهم في البحر .

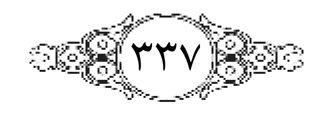
قال النحّاس بعد ذِكر الأقوال الثلاثة : (وهذه الأقوال متقاربة ، لأنه إنما جمعهم للهلاك ، وقول قَتادة أصحها) [(٥)].

وقال الزجَّاج بعد أنْ ذكر القولين الأولَين : (وكلا القولين حَسَن جميل ؛ لأنَّ جمعهم تقريب بعضهم من بعض ، وأصل الزلفى في كلام العرب القربى)[(٦)]. ومتى ما أمكن الجمع جمع .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [(٧)]. والله أعلم ،،



(١) المحتسب (٢/١٢٩) .
(٢) التفسير الكبير (٢٤/١٢٧) ، وتابعه الألوسي في روح المعاني (١١/١٣٣) .
(٣) روح المعاني (١١/١٣٣) .
(٤) فتح القدير (٤/١٢٧) .
(٥) معاني القرآن للنحاس (٢/٨٥٧) .
(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/٧٢) .
(٧) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الخامس :

* في قول الله تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] .

٥٢- **قال عطاء الخراساني** : فيقال : بكلِّ شرفٍ ومنظرٍ تبنونَ عبثاً [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية ينكر نبي الله هود ﵇ على قومه ما يبنونه في أماكن مشرفة بارزة دون فائدة مرجوَّة ، أو مقصد حميد لبنائه ، وإنما من قبيل العبث واللعب .

الأقوال في الآية[٢] :

أولاً : في الرِّيع هنا سبعة أقوال :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنه شرف ومنظر ، وقد وافق فيه ابن عباس ﵄ [٣]، ومجاهد في رواية عنه [٤].

القول الثاني : أنه المكان المرتفع من الأرض ، وهو قول أبي صخر [٥]، ورجَّحه الزمخشري[٦] وابن عطية [٧]، وجماعة من المفسّرين [٨].

القول الثالث : أنه الثنية الصغيرة ، روي عن مجاهد [٩]، أو ما استقبل الطريق بين الجبال والظِّراب [١٠]، وهو قول السدي [١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٤) ، برقم : (١٥٨٠٩) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد ، ثنا محمد بن شعيب بن شابور ، حدثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء ... وسبق تخريجه والحكم عليه ص(٢٦٤) .

(٢) الكشف والبيان (٧/١٧٤) ، النكت والعيون (٤/١٨٠-١٨١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٧٩٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣١٢) عزوه لابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٠٩) ولفظه : شرف ومنظر .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٧٩٩) .

(٦) الكشاف (٧٦٥) .

(٧) المحرر الوجيز (١٤٠٥) .

(٨) انظر : التفسير الكبير (٢٤/١٤١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٨٤) ، أنوار التنزيل (٤/١٤٥) ، مدارك التنزيل (٢/٢١٥) ، غرائب القرآن (٥/٢٨٠) ، التسهيل (٣/١٦٢) ، إرشاد العقل السليم (٥/٥٣) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٠٨) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٨٠٠) .

(١٠) **الظِّراب** : جمع ظِرب ، وهو الجبل المنبسط ليس بالعالي ، أو هو الجبل الصغير ، أو الروابي الصغار ، انظر : لسان العرب (٩/١٨١) .

(١١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٨٠٣) .



القول الرابع : أنَّ الرِّيع هو الطريق ، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [(١)]، وقال به : الضحاك [(٢)]، وقتادة [(٣)]، والسدي [(٤)].

ومنه قول الشاعر [(٥)]:

فِيْ الآلِ يَرْفَعُهَا وَيَخْفِضُهَا رِيعٌ كَأَنَّ مُتُوْنَهُ سَحْلُ

القول الخامس : أنه الفجُّ بين الجبلين أو الوادي ، قاله مجاهد في رواية عنه[(٦)]، وعكرمة[(٧)].

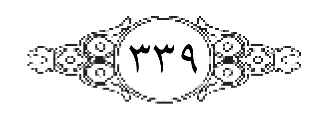
* والمقصود بالعبث في قوله : ﴿تَعْبَثُونَ﴾ اللهو واللعب ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما [(٨)]، وعطية [(٩)]، وقتادة [(١٠)]، والضحاك [(١١)]، وغيرهم .

قال السمرقندي رحمه الله : (قال أهل اللغة : كل لعب لا لذّة فيه فهو عبث ، واللعب ما كان فيه لذَّة ، فهم إذا بنوا بناء ولا منفعة لهم فيه فكأنهم يعبثون)[(١٢)].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (ولما صار أثر البناء شاغلاً عن المقصد

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٩/٤٦٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٨٠٦) .
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٠٩) .
(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٦٣) ، والطبري في تفسيره (٩/٤٦٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٧٩٣) برقم : (١٥٨٠٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣١٢) عزوه لعبد بن حميد .
(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٨٠٥) .
(٥) **البيت للمسيب بن علس** ، انظر : آخر ديوان الأعشى (مجموعة المسيب بن علس ، وهو خال الأعشى والأعشى راويته) ص(٣٥٧) . والبيت من شواهد : الكشاف (٧٦٥) ، المحرر الوجيز (١٤٠٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٨٤) ، البحر المحيط (٧/٣٨) ، وهو أيضاً من شواهد لسان العرب (٦/٢٧٨) مادة : ريع . والسحل : الثوب البيض، شبّه الطريق به .
(٦) تفسير مجاهد (١٨٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٠٨) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٧٩٣) ، برقم : (١٥٨٠١) ، (١٥٨٠٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣١٢) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٠٨) .
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦١٠) .
(٩) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/١٨١) .
(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٧٩٤) بعد الأثر رقم : (١٥٨١٠) .
(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦١٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٧٩٤) بعد الأثر رقم : (١٥٨١٠) .
(١٢) بحر العلوم (٢/٥٨٧) .



النافع للحياة في الآخرة نُزّل فعلهم المفضي إلى العبث منزلة الفعل الذي أريد منه العبث عند الشروع فيه) [(١)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهَر لي أنَّ الأقوال متقاربة ، ويمكن أن تكون قولاً واحداً ، فيقال: الريع هو المكان المشرف المرتفع من الأرض ، سواء كان ثنية صغيرة أو هضبة ، وكذلك فالرِّيع هو الطريق ، أو الفجّ أو الوادي بين جبلين .

قال الطبري رحمه الله في ذلك : (والرِّيع هو مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد) [(٢)].

وقال ابن عطية رحمه الله بعد ذكر الأقوال : (وجملة ذلك أنه المكان المشرف وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه) [(٣)].

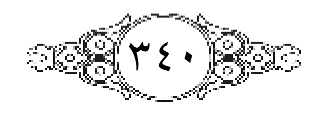
قال الراغب رحمه الله : (الريع المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد ، الواحدة ريعة ، قال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً ﴾ أي بكل مكان مرتفع ، وللارتفاع قيل ريع البئر للجثوة المرتفعة حواليها) [(٤)].

وعليه فيقال : الرِّيع هو المكان المرتفع المشرف ، وقول عطاء الخراساني قول صحيح ، موافق للمعنى اللغوي .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٥)].

قال ابن كثير رحمه الله : (اختلف المفسرون في الريع بما حاصله : أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة ، تبنون هناك بناء محكماً باهراً هائلاً ؛ ولهذا قال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً ﴾ أي: معلَماً بناء مشهوراً ، تعبثون ، وإنما تفعلون ذلك عبثاً لا للاحتياج إليه ؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك ؛ لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في

(١) التحرير والتنوير (١٩/١٦٧) .
(٢) جامع البيان (١٧/٦٠٧) .
(٣) المحرر الوجيز (١٤٠٥) .
(٤) المفردات في غريب القرآن (٢١٤) .
(٥) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



غير فائدة ، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة) [١].

ومما سبق يفهم من الآية أمور [٢]:

أحدها : أنهم كانوا يبنون بكل ريع علَماً يعبثون فيه بمن يمرُّ في الطريق إلى هود ﷺ .

والثاني : أنهم كانوا يبنون في الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخراً فنُهوا عنه ونسبوا إلى العبث .

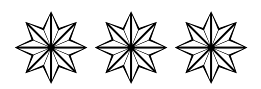
والثالث : أنهم كانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طريقهم أعلاماً طوالاً فكان ذلك عبثاً لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم .

الرابع : بنَوا بكل ريع بروج الحمام .

وخلاصة القول : أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفِعة ليشرِفوا على المارَّة والسَّابلة فيَسخرون منهم ويعبَثون بهم ، أو أنهم يبنون ما لا يسكنون تفاخراً وإظهاراً للغنى ، وهذا عبَث منهم [٣].

ويظهر هذا البنيان الذي أخبر الله عنه في الآية في صور ديار عاد المكتشفة حديثاً في صحراء الربع الخالي في عمان وحضرموت واضحاً جلياً ، وهو وإن لم أجزم به فإنه مما يُستأنس به في ذلك [٤].

والله أعلم ..



(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٧) .

(٢) ذكرها الرازي في التفسير الكبير (٢٤/١٤١) .

(٣) انظر : الوسيط (٣/٣٥٨) ، معالم التنزيل (٣/٤٧٤) ، فتح القدير (٤/١٣٦) .

(٤) انظر : ملحق الصور في آخر هذا البحث ، النموذج الرابع ، صورة (٧) ص(٩٩٨) .

الموضع السادس :

* في قول الله تعالى : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾ [الشعراء : ١٣٧] .

٥٣- **قال عطاء الخراساني** : ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فأمْر الأولين [١] .

وفي لفظ : دين الأولين [٢].

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني أنَّ المقصود بخلق الأولين أمرهم الذي كانوا عليه، ودينهم الذي كانوا يدينون به .

❖ القراءات في الآية [٣] :

- قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وأبو جعفر [٤]، ويعقوب : بفتح الخاء وإسكان اللام ﴿ خَلْق ﴾ .

- وقرأ الباقون : بضمِّ الخاء واللام : ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ .

الأقوال في الآية[٥] :

وكما اختلفت القراءات في الآية فقد اختلفت أقوال المفسِّرين في المعنى .

القول الأول : أمر الأولين ، وهو قول عطاء الخراساني الأول ، وروي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٧/٩) ، برقم : (١٥٨٣٠) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أنبأ محمد بن شعيب ، حدثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء ، وذكر الأثر ، وسبقت دراسته والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣٧٧/٣) .

(٣) انظر : المبسوط (٢٧٥) ، البدور الزاهرة (١٤٧/٢) .

(٤) **أبو جعفر** = يزيد بن القعقاع ، أبو جعفر القاريء ، أحد القراء العشرة ، مدني مشهور رفيع الذكر ، قرأ القرآن على مولاه عبدالله بن عياش المخزومي وفاقاً ، وقرأ على أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم عن قراءتهم على أبيٍّ بن كعب ، وحدَّث عنهما ، وصلى بابن عمر ، وهو قليل الحديث ، تصدى لإقراء القرآن دهراً ، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم ، وسليمان بن مسلم بن جماز ، وعيسى بن وردان الحذاء ، وآخرون . لما غسِّل بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك من حضره أنه نور القرآن . توفي سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل غير ذلك . عن نيف وتسعين سنة . انظر : معرفة القراء الكبار (٧٢/١-٧٦) .

(٥) انظر : بحر العلوم (٥٨٨/٢) ، الكشف والبيان (١٧٥/٧) ، النكت والعيون (١٨٢/٤) ، الوسيط (٣٥٩/٣) ، الكشاف (٧٦٦) ، المحرر الوجيز (١٤٠٥) ، التفسير الكبير (١٤٢/٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٨٦/٢) ، أنوار التنزيل (١٤٦/٤) ، مدارك التنزيل (٢١٥/٢) ، غرائب القرآن (٢٨٠/٥) ، إرشاد العقل السليم (٥٤/٥) ، فتح القدير (١٣٨/٤) ، التحرير والتنوير(١٧١/١٩-١٧٣) .



عن عكرمة[(١)]، وعبد الرحمن بن زيد [(٢)].

القول الثاني : دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم ، وهو الرواية الثانية عن عطاء الخراساني ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما[(٣)]، وعزاه ابن كثير لعكرمة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[(٤)]، وهذا القول مبني على القراءة الثانية التي قرأ بها عامّة القرَّاء ، واختارها الفرَّاء[(٥)]، ورجَّحها الطبري[(٦)]، وابن جزي [(٧)].

قال الطبري رحمه الله موجِّهاً ترجيحه : (لأنهم إنَّما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلَّة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيّهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك ، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم ، فقالوا : ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأوَّلين ، يعنون بالخلق : عادة الأوَّلين) [(٨)].

القول الثالث : كذب الأولين وأساطيرهم واختلاقهم ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[(٩)]،وابن مسعود رضي الله عنه [(١٠)]، ومجاهد[(١١)]، وعلقمة [(١)]، وهذا القول

---

(١) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٧٩٧/٩) بعد الأثر رقم : (١٥٨٣٠).

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦١٦/١٧) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٧/٩) بعد الأثر رقم : (١٥٨٣٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦١٤/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٧/٩) برقم : (١٥٨٢٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٣/٦) لابن المنذر .

(٤) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٣) ، ولعلَّه وهم منه رحمه الله في النّقل ، حيث أنه ذكر أنّ من قال معه هذا القول : عكرمة ، وابن زيد ، ولم أجد من روى عنهما ذلك ، بل إنَّ رواية الطبري لكلام ابن زيد موافقة لما عند ابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني وعكرمة وابن زيد . والله أعلم بالصواب .

(٥) معاني القرآن للفراء (٢٤٣/٢) .

(٦) جامع البيان (٦١٦/١٧) .

(٧) التسهيل (١٦٢/٣) .

(٨) جامع البيان (٦١٦/١٧-٦١٧) .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٦١٥/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٧/٩) برقم : (١٥٨٣٣) .

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره (٦١٦/١٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٣/٦) لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني .

(١١) تفسير مجاهد (١٨٨) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦١٥/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٧/٩) برقم: (١٥٨٢٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٣/٦) لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .



مبنيٌّ على القراءة الأولى : ﴿ خَلَق ﴾ .

قال الفرّاء ﷺ : (والعَرب تقول : حدَّثنا بأحاديث الخَلْق ، وهي الخرافات المفتعلة وأشباهها) [٢].

القول الثالث : هكذا خلْقة الأوَّلين ، وهكذا كانوا يحيون ويموتون ، قاله قتادة [٣]، وبنحوه قال ابن عطية [٤]، وابن جزيّ [٥].

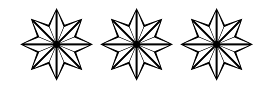
الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر والله أعلم أنَّ الاختلاف هنا اختلاف تنوع لا اختلاف تضادّ .

وقول عطاء الخراساني الأول في الآية هنا أعمّ وأشمل لجميع الأقوال ، حيث إنه جعل المعنى : أمر الأوَّلين ، فيدخل فيه كلّ شيء عنهم ، من دينهم وعادتهم وأخلاقهم وكذبهم وحالهم ، وهو أولى للعموم .

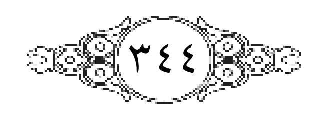
والقاعدة التفسيرية : إذا ثبتت القراءتان لم ترجّح إحداهما في – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ، كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى [٦].

والقاعدة الأخرى : أنَّ القراءتين إذا اختلف معناهما ، ولم يظهر تعارضهما ، وعادتا إلى ذات واحدة ، كان ذلك من الزيادة في الحكم لهذه الذات [٧].



---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦١٦/١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٩٧/٩) برقم : (١٥٨٢٨) .
(٢) معاني القرآن للفراء (٢٤٣/٢) .
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦١٥/١٧) .
(٤) المحرر الوجيز (١٤٠٥-١٤٠٦) .
(٥) التسهيل (١٦٢/٣) .
(٦) قواعد التفسير (٩٧/١) .
(٧) المصدر السابق (٨٩/١) .



الموضع السابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الشعراء : ١٥٨] [(١)].

٥٤- قال عطاء الخراساني : لما قتل قوم صالح الناقة ، قال لهم صالح : إنَّ العذاب آتيكم ، قالوا له : وما علامة ذلك ؟ قال: أن تصبح وجوهكم أول يوم محمرة، وفي اليوم الثاني مصفرة ، وفي اليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا أول يوم جعل بعضهم ينظر في وجوه بعض ، فيقول : يا فلان ، ما لوجهك أحمر ؟ فيقول الآخر : يا فلان ، ما لوجهك أحمر ؟ ، فلما كان اليوم الثاني : اصفرت وجوههم ، فجعل بعضهم يلقى بعضاً ، ويقول : يا فلان ، ما لوجهك أسود ؟ حتى أيقنوا بالعذاب ، تحنَّطوا ، وتكفَّنوا وأقاموا في بيتهم ، قال : فصاح بهم جبريل صيحة ، فذهبت أرواحهم [(٢)].

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله العذاب الذي أنزله على قوم صالح ، الذين عقروا الناقة ، وكذّبوا نبي الله صالح ﷺ ، والقصَّة التي ذكرها عطاء الخراساني قالها أبـو الطفيـل [(٣)(٤)]، ....

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٠٦/٩) ، برقم : (١٥٨٨٠) بسنده قال : حدَّثنا أبي ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا ضمرة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه قال ، وذكر الأثر .. **ودراسة الإسناد** :

أبي : هو أبو حاتم الرازي ، إمام حافظ ، سبقت ترجمته .

عيسى بن يونس هو : ابن أبان الفاخوري ، أبو موسى الرملي ، صدوق ربما أخطأ ، روى عن الوليد وضمرة، وروى عنه النسائي وابن ماجة وابن أبي داود وخلق ، وثقوه ، من الحادية عشرة ، مات ٢٦٤هـ . انظر : الكاشف (١١٤/٢) ، تقريب التهذيب (٤٤١/١) .

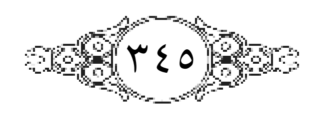
ضمرة : سبقت ترجمته .

ابن عطاء : هو عثمان بن عطاء الخراساني ، ضعيف . وعليه فهذا الإسناد ضعيف لوجود عثمان ابن عطاء فيه، وهو ضعيف في مروياته عن أبيه ، كما سبق ص(٢٦٤) .

وبناءً عليه فإنَّ هذا الأثر ضعيف عن عطاء الخراساني لضعف ابنه عثمان .

(٣) **أبو الطفيل** = عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثي ، أبو الطفيل ، وربما سمِّي عمراً ، ولد عام أحد ، ورأى النبي ﷺ ، وروى عن أبي بكر فمن بعده ، وعمِّر إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة . انظر : تقريب التهذيب (٢٨٨) .

(٤) تفسير مجاهد (١٨٨) .



وقتادة [1]، والسدي [2]، ومحمد بن إسحاق [3]، عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف : ٧٣] ، وعند قوله تعالى : ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ﴾ [هود : ٦٥] .

وذكره ابن عطية ﷺ وقال : (وفي هذا نظر) [4].

والصحيح في تفسير الآية أنَّ الله أخبرنا بعذاب قوم صالح مجملاً ومفصَّلاً، فمن الإجمال هذه الآية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل : ٥١] .

ومن التفصيل فيما عذَّبهم به قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف : ٧٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود : ٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت : ١٧] .

وقوله : ﴿فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات : ٤٤] .

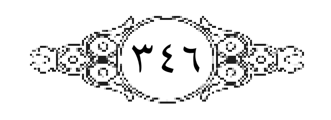
وقوله : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر : ٣١] .

وقوله : ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [الشمس : ١٤] .

فكلُّ هذه الآيات تدلُّ على العذاب الذي نزل بهم ، وأنهم أهلكوا بصيحة قوية عبَّر الله عنها بصاعقة العذاب الهون مرَّة ، وبالصيحة الواحدة ، وأنَّه دمَّرهم سبحانه تدميراً ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ، وظلَّت مهجورة على مرِّ الزمان ، عبرة لمن يعتبر .

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٠/٢٩٥) و (١٢/٤٥٦) ، وابن أبي حاتم (٦/٢٠٥١) برقم : (١٠٩٩٢).
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٠/٢٨٦) .
(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٥١) ، برقم : (١٠٩٩٣) .
(٤) المحرر الوجيز (٩٥٦) .



وعامَّـة المفسِّرين علـى ذكـر العـذاب الـذي ذكـره الله في كتابـه ؛ الـصيحة والـصاعقة ونحـو ذلـك ، دون الخـوض في التفاصـيل الـتي ذكرهـا عطـاء الخراساني وغيره [1].

قـال الطـاهر ابـن عاشـور رحمه الله : (والرَّجفـة : اضـطراب الأرض وارتجاجهـا ، فتكـون مـن حـوادث سماويـة كالرّيـاح العاصـفة والـصّواعق ، وتكـون مـن أسـباب أرضـيّة كـالزلازل ، فالرّجفـة اسـم للحالـة الحاصـلة ، وقـد سمّاهـا في سـورة هـود بالـصّيْحة فعلمنـا أنّ الـذي أصـاب ثمـود هـو صـاعقة أو صـواعق متواليـة رجفـت أرضَهم وأهلكتهم صَعِقين ، ويحتمل أن تقارنها زلازل أرضية) [2] .

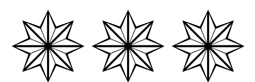
ولم يخبرنـا الله عـن شـيء أكثـر مـن ذلـك حـول عـذابهم ، وإنمـا ذكـر أنّهـم أمهلـوا ثلاثـة أيـام بعـد عقـر الناقـة ، وقبـل نـزول العـذاب بهـم ، والأقـرب في ذلـك: أنـه اسـتكمال آجـالهم كمـا قـال قتـادة [3]، وابـن جـريج [4]، أو أنهـا كانـت مهلة لهم ليتوبوا ويرجعوا إلى الله .

وكذلك فلم يصحَّ خبر موقوف صحيح عن رسول الله ﷺ يحكي ذلك .

وعليه فقـول عطـاء الخراسـاني ضـعيف الإسـناد والمعـنى ، لأنـه لا دليـل عليـه من القرآن والسنة ، والعلم في ذلك منسوب إلى الله وحده .

والقاعـدة التفـسيرية : أنـه لا يـصح حمـل الآيـة علـى تفـسيرات وتفـصيلات لأمور مغيّبة ، لا دليل عليها من القرآن أو السنة [5].

والله أعلم ..



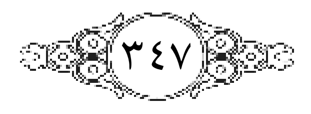
(١) انظر : بحر العلوم (٢/٥٨٩) ، الوسيط (٢/٣٨٤) ، معالم التنزيل (٢/٢٠٧) ، الكشاف (٣٧١) ، زاد المسير (١٠٣٥) ، التفسير الكبير (١٤٤/٢٤) ، أنوار التنزيل (١٤٧/٤) ، مدارك التنزيل (٢/٢١٦) ، التسهيل (١٦٣/٣) ، البحر المحيط (٤٦/٧) ، تفسير ابن كثير (٣٧٩/٣) ، إرشاد العقل السليم (٥٥/٥) ، فتح القدير (١٤٠/٤) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٧/٢/٨) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٨٨/٢) ، والطبري (٤٥٧/١٢) ، وابن أبي حاتم (٢٠٥٠/٦) برقم : (١٠٩٩١) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٤) لأبي الشيخ .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢٢٥/١) .



الموضع الثامن :

* في قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٨] .

٥٥- **قال عطاء الخراساني** : في الصلاة يراك وحدك ، ويراك في الجمع [(١)] .

الدراسة :

* معنى هذا القول : أنَّ الله هو الذي يراك في الصلاة إن صليتها بمفردك، أو إن صليتها جماعة مع الناس ، فهو سبحانه المطَّلع عليك فيها ، ويعلم ما تكنُّه النفس من أمرها .

الأقوال في الآية [(٢)] :

القول الأول : يراك حين تقوم في الصلاة وحدك وجماعة ،وهو معنى قول عطاء الخراساني ، وافق فيه : ابن عباس رضي الله عنهما ، وعكرمة ، والحسن البصري، وقتادة [(٣)]، وسعيد بن جبير [(٤)]، والطبري[(٥)]، وأكثر المفسِّرين [(٦)].

القول الثاني : يراك أينما كنت . وهو قول مجاهد [(٧)].

القول الثالث : يراك حين تقوم من فراشك ومجلسك ، قاله الضحاك [(٨)].

القول الرابع : يعني حين تخلو ، قاله الحسن [(٩)]، ويكون القيام عبارة عن الخلوة لوصوله إليها بالقيام عن ضدها [(١٠)].

---

(١) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٣٨٨) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٤/١٨٨-١٨٩) ، زاد المسير (١٠٣٨) ، التفسير الكبير (٢٤/١٥٥) ، تفسير ابن كثير (٣/٣٨٨) .

(٣) أخرجه عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٧-٢٨٢٩) برقم : (١٦٠٢٠) و (١٦٠٢١) و (١٦٠٢٢) و (١٦٠٣٧) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٣٠) لابن جرير وابن أبي حاتم -ولم أقف عليه عندهما -،وابن المنذر .

(٥) جامع البيان (١٧/٦٦٥) .

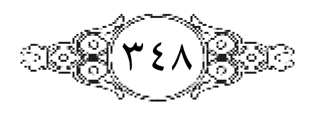
(٦) انظر : الكشف والبيان (٧/١٨٣) ، معالم التنزيل (٣/٤٨٣) ، الكشاف (٧٧٢) ، المحرر الوجيز (١٤١١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٢٩٤) ، التسهيل (٣/١٦٧) ، البحر المحيط (٧/٦١) ، روح المعاني (١١/٢٠٦) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٦٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٨) برقم : (١٦٠٢٦) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٨) برقم : (١٦٠٢٣) و (١٦٠٢٤) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٨) برقم : (١٦٠٢٧) .

(١٠) انظر : النكت والعيون (٤/١٨٩) .



القول الخامس : يعني قائماً وجالساً وعلى حالاتك كلها ، قاله قتادة [١].

القول السادس : يراك حين تقوم إلى دعائك ، ذكره البغوي [٢].

القول السابع : إنك ترى بقلبك في صلاتك من هو خلفك كما ترى بعينك من هو أمامك ، روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطية [٣]، وهذا بعيد لأنَّه نسب الرؤية للنبي ﷺ ، والآية صريحة في أنَّ الذي يراه هو الله جلَّ وتعالى .

الجمع أو الترجيح :

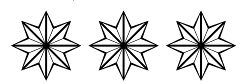
الذي يظهر لي من تأمل الآية ، أنَّ المقصود بالقيام هنا القيام إلى الصلاة، لأنه هو الذي غلب استعماله في القرآن في نحو قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن : ١٩] ، إضافة لذلك فهو تفسير جمهور المفسِّرين ، والقاعدة التفسيرية : أنَّ تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم [٤].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح في المسألة ، موافق لقول الجمهور .

وربما تختصُّ صلاة الليل بذلك ، قال ابن عاشور رحمه الله : (والقيام : الصلاة في جوف الليل ، غلب هذا الاسم عليه في اصطلاح القرآن) [٥].

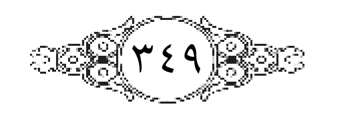
ولعلَّه أراد قوله تعالى : ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل : ٢] .

والقاعدة التفسيرية : قد يحتمل اللَّفظ معانٍ عدَّة ، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن ؛ فيقدَّم [٦]. والله أعلم ، ،



---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٨) برقم : (١٦٠٢٥) .
(٢) معالم التنزيل (٣/٤٨٣) ولم يعزه لقائل .
(٣) ذكره عنهم الثعلبي في الكشف والبيان (٧/١٨٣) .
(٤) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (١/٢٧١) .
(٥) التحرير والتنوير (١٩/٢٠٤) .
(٦) قواعد التفسير (٢/٧٩٨) .



الموضع التاسع :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] .

٥٦- **قال عطاء الخراساني** : تَقَلَّبُ وتقوم وتقعد معهم [١] .

الدراسة :

* بعدما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالتوكل عليه ، واعتماد قلبه عليه في كلِّ أموره ؛ نبَّهه على الاستعانة باستحضار قرب الله ، والنزول في منزل الإحسان بأنه يراه في صلاته وقت قيامه ، وتقلبه راكعاً وساجداً ، وخصَّها بالذكر لفضلها وشرفها ، ولأنَّ من استحضر فيها قرب ربه ؛ خشع وذلَّ وأكملها ، وبتكميلها يكمل سائر عمله ، ويستعين بها على جميع أموره [٢] .

الأقوال في الآية [٣] :

القول الأول : يراك وأنت مع الساجدين تَقَلَّبُ وتقوم وتقعد معهم ، وهو قول عطاء الخراساني ، ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وبنحوه قال قتادة ، وابن زيد [٤] ، واختاره ابن عطية [٥] ، والمقصود : صلاتك مع المصلين .

القول الثاني : يرى تقلُّبك في صلاتك وركوعك وسجودك ، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [٦] ، ومعمر [٧] ، وعكرمة [٨] .

القول الثالث : أنك ترى تقلُّبك في صلاتك مَن خلفك كما ترى بعينك مَن قدَّامك ، قاله مجاهد [٩] ، أخذاً من حديث أنس رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٢٩/٩) ، برقم : (١٦٠٣٣) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي ، أنبا محمد بن شعيب بن شأبور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... ، وقد سبقت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(٢٦٤) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٥٩٩) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٨٩/٤) ، الكشاف (٧٧٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٩٤/٢) ، التسهيل (١٦٨/٣) .

(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٦٦٨/١٧) .

(٥) المحرر الوجيز (١٤١١) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٦٦/١٧) وابن أبي حاتم (٢٨٢٩/٩) ، برقم : (١٦٠٣٢).

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٦٩/٢) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٧٠/٢) ، والطبري (٦٦٦/١٧) .

(٩) تفسير مجاهد (١٨٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٦٧/١٧) ، وابن أبي حاتم (٢٨٢٩/٩) ، برقم : (١٦٠٣١) .

ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلاَ تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ ولاَ بِالسُّجُودِ ، ولاَ بِالْقِيَامِ ، ولاَ بِالانْصِرَافِ ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي »[1].

القول الرابع : وتصرفك في الناس ، قاله الحسن[2] ، لتقلبه في أحواله وفي أفعاله . قال الراغب رحمه الله : (والتقلُّب : التصرف)[3].

القول الخامس : من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[4]، والمعنى : من أصلاب المتقين .

القول السادس : وتصرّفك في أحوالك كما كانت الأنبياء قبلك تفعله ، والساجدون على هذا القول هم الأنبياء ، قاله سعيد بن جبير[5].

الجمع أو الترجيح :

القول الذي يظْهر لي رجحانه هو القول الأول ، ومعناه : تقلبه في جماعة المصلين ، بالركوع والسجود وغيرهما . لأنَّ هذا هو الظاهر من سياق الآية ، على الترجيح الذي ذكرته في الموضع السابق ، فالمعنى هناك الصلاة مفرداً وخاصة في قيام الليل ، وهنا : الصلاة في جماعة المصلِّين .

وهذا ما رجَّحه الطبري رحمه الله وقال : (وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأنَّ ذلك هو الظاهر من معناه)[6].

وقال ابن عاشور رحمه الله : (والتقلُّب في الساجدين هو صلاته في جماعات المسلمين في مسجده ، وهذا يجمع معنى العناية بالمسلمين تبعاً للعناية برسولهم ، فهذا من بركته ﷺ وقد جمعها هذا التركيب العجيب الإيجاز)[7].

---

(١) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٤٢٦) في كتاب الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود أو نحوهما .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٦٩) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٨٢٩) ، برقم : (١٦٠٣٤) و (١٦٠٣٥) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٤١٢) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٨) ، برقم : (١٦٠٢٨) و (١٦٠٢٩) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧/٦٦٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٢٩) ، برقم : (١٦٠٣٦) .

(٦) جامع البيان (١٧/٦٦٩) .

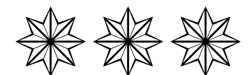
(٧) التحرير والتنوير (١٩/٢٠٤) ، وذكَر **فائدة** وهي أنَّ : (في هذه الآية ذِكر صلاة الجماعة ، قال مقاتل لأبي حنيفة : هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن ؟ فقال أبو حنيفة : لا يحضرني ، فتلا مقاتل هذه الآية) .

والقاعــدة التفــسيرية : أنَّ الــسياق يرشــد إلى بيــان المجمــل ، وتعــيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد [1].

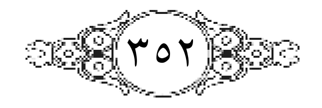
والخلاصــة : أنَّ المقــصود التقلّــب في المــصلين ، بــالركوع والــسجود ، وغيرهمـا ، إطلاقـاً علـى عمـوم الـصلاة ، وإطـلاق الـسجود في الآيـة مـن إطـلاق الجزء وإرادة الكل .

وبناءً على ذلك يترجَّح قول عطاء الخراساني في المسألة .

والله أعلم ، ،



(١) قواعد التفسير (٢/٦٥٣) .



سورة النمل

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[النمل : ١٢] [١].

٥٧- **قال عطاء الخراساني** : من غير سوء يعني البَرَص [٢].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني السوء في الآية بأنه البرص ، وفي هذه الآية يخاطب الله موسى عليه السلام ؛ أن أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء مختلف لونها عن لون جلدك ، وليس هذا البياض الشديد بسبب مرض البرص ، وإنما هو آية من آيات الله ، ومعجزة من المعجزات .

الأقوال في الآية :

القول الأول : يعني بالسُّوء البَرَص ، قاله عطاء الخراساني وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، والربيع بن أنس [٣]، وهو قول جماعة من المفسِّرين [٤].

القول الثاني : أنَّ التفسير بالبرص هنا هو من باب التمثيل على آفات اليد، وإلا فالسوء على إطلاقه يشمل كلّ سوء ، فيقال : من غير آفة أو أذى أو مرض من برص وبهاق ونحو ذلك ، وإنما البياض الذي فيها آية تبهر الناظرين، وبنحو هذا المعنى قال الثعلبي [٥]، وابن عطية [٦]، والبيضاوي [٧]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) ﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٥١/٩) ، بعد الأثر رقم : (١٦١٦٠) .

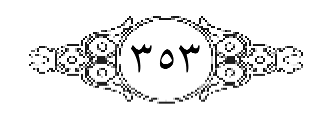
(٣) ذكره عنهم جميعاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٥١/٩) في الأثر رقم : (١٦١٦٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٦) عزوه عن قتادة لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (١٥١/٢) ، جامع البيان (٢١/١٨) ، معاني القرآن للزجاج (٨٤/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٨٧٠/٢) ، بحر العلوم (٦٠١/٢) ، الوسيط (٣٧٠/٣) ، معالم التنزيل (٤٩٢/٣) ، زاد المسير (١٠٤١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠٣/٢) ، مدارك التنزيل (٢٢٩/٢) .

(٥) الكشف والبيان (١٩٢/٧) .

(٦) المحرر الوجيز (١٤١٥) .

(٧) أنوار التنزيل (١٥٦/٤) .



وابن جزي [١]، وجماعة من المفسِّرين [٢].

الجمع أو الترجيح :

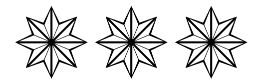
الأقرب – والله أعلم – هو القول الثاني ، لأنَّ لفظ السوء في الآية لفظ مطلق يشمل مرض البرص وغيره ، وبناءً على ذلك فقول عطاء الخراساني ومن معه هو من باب التمثيل ، وهو داخل في القول الثاني .

قال الراغب رحمه الله : (﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي من غير آفة بها وفسِّر بالبرص ، وذلك بعض الآفات التي تعرض لليد) [٣].

وقال ابن عاشور رحمه الله : (ومعنى ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ : من غير مَرض مثل البَرص والبَهق بأن تصير بيضاء ثم تعود إلى لونها المماثل لونَ بقية بشرته) [٤].

والقاعدة التفسيرية : إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً ؛ فإنه يُحمَل على إطلاقه [٥].

والله أعلم ..



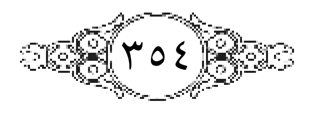
(١) التسهيل (٣/٢٦) .

(٢) انظر : البحر المحيط (٦/٢٩٥) ، تفسير ابن كثير (٣/١٦٢) ، إرشاد العقل السليم (٥/٧٠) ، روح المعاني (١٦/٢٦٣) ، فتح القدير (٤/١٥٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٠١) ، تفسير المراغي (٧/٨١) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٢٥٣) .

(٤) التحرير والتنوير (٨/٢٠٨) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/٥٥٥) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل : ١٤] [(١)].

٥٨- **قال عطاء الخراساني** : أمَّا ظلماً وعلواً : فظلماً وتعظّماً واستكباراً [(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الظلم والعلو في قوله تعالى : ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ بالتعظُّم والاستكبار .

قال النحَّاس رحمه الله : (أي تكبّراً أن يؤمنوا بموسى عليه السلام ، وقد جاءهم بالبراهين والآيات) [(٣)].

الأقوال في الآية :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، والسدي[(٥)]، وابن جريج [(٦)].

القول الثاني : أنَّ العلو هو التجبُّر ، وهو قول عكرمة [(٧)].

الجمع أو الترجيح :

المعنى واحد ، والمقصود بالظُّلم هنا هو ظلمهم لأنفسهم بمجاوزة الحدِّ بالشرك وغيره ، والعلو هو الارتفاع والتكبُّر عن الإيمان ، وهذا قول عامة المفسِّرين [(٨)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٥٣/٩) ، برقم : (١٦١٧٥) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، حدثني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء ... وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضَّعف ص(٢٦٤) .

(٣) معاني القرآن (٨٧١/٢) .

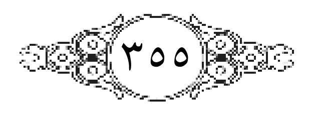
(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٦) لابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٥٣/٩) برقم : (١٦١٧٦) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/١٨) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٥٣/٩) برقم : (١٦١٧٤) .

(٨) انظر : بحر العلوم (٦٠١/٢) ، معالم التنزيل (٤٩٢/٣) ، الكشاف (٧٧٦) ، زاد المسير (١٠٤٢) ، التفسير الكبير (١٦٥/٢٤) ، أنوار التنزيل (١٥٦/٤) ، مدارك التنزيل (٢٢٩/٢) ، التسهيل (١٧٢/٣) ، البحر المحيط (٧٧/٧) ، تفسير ابن كثير (٣٩٤/٣) ، إرشاد العقل السليم (٧٢/٥) ، روح المعاني (٢٥٢/١٩) ، فتح القدير (١٥٩/٤) .



ومعناهما واحد ، فالتجبُّر هو تكبُّر وزيادة .

والعُلُوُّ : العَظَمة والتَّجَبُّر ، ويقال لكل مُتَجَبِّر : قد عَلا وتَعَظَّمَ [(١)] .

قال الراغب رحمه الله : (والجبار في صفة الإنسان يقال لمن يجبر نقيصته بادِّعاء منزلة من التعالي لا يستحقها ، وهذا لا يقال إلا على طريق الذم كقوله عزَّ وجل : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر : ٣٥] ، أي متعال عن قبول الحق والإيمان له) [(٢)] .

وقال ابن عاشور رحمه الله : (والظلم في تكذيبهم الرسول لأنهم ألصقوا به ما ليس بحق فظلموه حقه ، والعلو الكبر . فالظلم في الجحد بها والعلوّ في كونهم موقنين بها) [(٣)] .

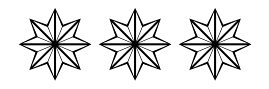
وقال السعدي رحمه الله : (ظلماً منهم لحقِّ ربهم ولأنفسهم ، وعلواً على الحق وعلى العباد ، وعلى الانقياد للرسل) [(٤)] .

وعليه فقول عطاء الخراساني موافق لِما فَهِمه عامة المفسّرين من المعنى .

ولعلَّ في أول الآية ما يدلُّ على المعنى ، ففي قوله : ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنها طلبت اليقين ، فلما وجدته جَحَدته ، وهذا الجحود هو ظلم ، فالظلم مكتسَب من اليقين .

والعلو : استعلوا بأنفسهم فجحدوا ، لأنَّ الاستعلاء يكون مع الجحود .

والله أعلم ..

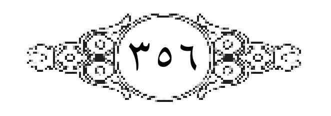


(١) انظر : لسان العرب (١٠/٢٦٨) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٩٣) .

(٣) التحرير والتنوير (١٩/٢٣٣) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٠٢) .



الموضع الثالث :

* في قول الله تعالى : ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل : ٢٣] [١] .

٥٩- قال عطاء الخراساني : العرش : السرير ، والعظيم : حَسَن الصَّنعة غالي الثمن [٢] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني العرش بالسرير ، وهو تفسير لغوي له ، وقد سمِّي مجلس السلطان عرْشاً اعتباراً بعلوه ، وكنِّي به عن العزِّ والسُّلطان والمملكة [٣] .

الأقوال في الآية [٤] :

المقصود في الآية معرفة معنيين :

الأول : معنى العرش ، والثاني : معنى العظيم .

❖ **ففي معنى العرش اختلف العلماء على أقوال :**

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنَّ العرش هو السرير ، وقد وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، والحسن [٦] ، وقتادة ، والسدي [٧] ، وهو قول عامة المفسِّرين [٨] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٦٧) ، برقم : (١٦٢٦٢) بسنده ، قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء ... وقد سبقت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(٢٦٤) ، وذكر معنى العرش عنه بعد الأثر رقم (١٦٢٥٨) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٣٢) .

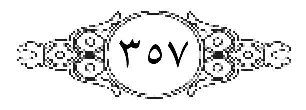
(٤) انظر : النكت والعيون (٤/٢٠٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٤٠) من طريق عطاء الخراساني ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٥٢) عزوه لابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٤٠) .

(٧) أخرجه عن قتادة ، وذكره عن السدي ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٦٦) ، برقم : (١٦٢٥٨) .

(٨) انظر : معاني القرآن للنحاس (٢/٨٧٣) ، بحر العلوم (٢/٦٠٥) ، الكشف والبيان (٧/٢٠٣) ، الوسيط (٣/٣٧٥) ، معالم التنزيل (٣/٥٠٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣١٢) ، مدارك التنزيل (٢/٢٣٣) ، التسهيل (٣/١٧٥) ، تفسير ابن كثير (٣/٣٩٧) ، روح المعاني (١٩/٢٨٣) ، فتح القدير (٤/١٦٤) ، تفسير المراغي (٧/٨٦) .



القول الثاني : أنه الكرسي ، قاله سفيان [١]، وهو قول السعدي [٢].

القول الثالث :المجلس ، قاله ابن زيد [٣].

القول الرابع : المُلْك ، قاله ابن بحر [٤].

❖ **وفي معنى العظيم** [٥]أقوال :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنَّ العظيم حسن الصَّنعة غالي الثمن، وقد وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، وزهير بن محمد [٧] [٨].

القول الثاني : الضَّخم ، ذكره الثعلبي في تفسيره [٩].

القول الثالث : عظيم في الهيئة ، ورتبة السلطان . وهو قول ابن عطية [١٠]، والقرطبي [١١].

القول الرابع : خَشَبُه الذَّهب ، وقوائمه الجَوهر [١٢]، قاله عطاء ، وابن

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٦٧/٩) ، برقم : (١٦٢٦٠) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦٠٤) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٦٦/٩) ، برقم : (١٦٢٥٩) .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٠٤/٤) .

(٥) **فائدة** : قال الزمخشري في الكشاف (٧٨٠) : (فإن قلت : كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان ؟ قلت : يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ، ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم) ، وانظر : التفسير الكبير (١٧١/٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٣١٢/٢) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٠/١٨) من طريق عطاء الخراساني ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٢/٦) عزوه لابن المنذر .

(٧) **زهير بن محمد** = التميمي ، أبو المنذر الخراساني ، المروزي الخرقي ، من أهل قرية من قرى مرو يسمى خرق ، سكن الشام ثم الحجاز ، رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعِّف بسببها ، قال البخاري عن أحمد: كأن زهيراً الذي يروي عنه الشاميون آخر ، وقال أبو حاتم : حدَّث بالشام من حفظه فكثر غلطه ، من السابعة، مات سنة اثنتين وستين ومائة . انظر : تقريب التهذيب (٢١٧) .

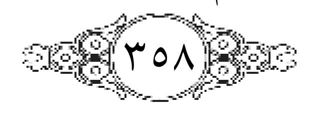
(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨٦٧/٩) ، برقم : (١٦٢٦٤) .

(٩) الكشف والبيان (٢٠٣/٧) ، معالم التنزيل (٥٠٠/٣) .

(١٠) المحرر الوجيز (١٤١٨) .

(١١) الجامع لأحكام القرآن (٢٣١٢/٢) .

(١٢) في محل الخشب منه الذهب ، ومكان القوائم الجوهر .



إسحاق[1]، وقتادة [2].

قال أبو حيَّان رحمه الله : (وذكروا من وصف عرشها أشياء الله هو العالم بحقيقة ذلك) [3].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي – والله أعلم – رجحان القول الأول قول عطاء الخراساني وجمهور المفسِّرين في معنى العرش ؛ أنه سرير المُلك ، وهذا هو الذي يوافق المَشهور من لغة العرب .

قال الأزهري رحمه الله : (والعرش في كلام العرب سرير المَلِك يدلُّك على ذلك سرير مَلِكة سبأ سمَّاه الله جلّ وعزَّ عرْشاً) [4].

وقال الألوسي رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال : (وبالجملة فالظاهر أنَّ المراد بالعرش السرير) [5].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [6].

أما معنى العظيم ، فالذي يظهر لي - والله أعلم – أنه لا مانع من إرادة الأوصاف جميعاً ، فهو حسن الصنعة غالي الثمن ؛ وربما كان خَشبه الذهب، وقوائمه الجوهر ، إضافة إلى أنه ضخم ، وعظيم في الهيئة ورتبة السلطان .

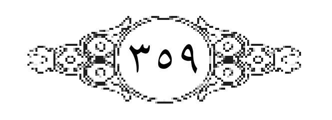
ولا تعارض ولا تنافِ بين هذه الأقوال ، فيُحمل الوصف بالعظيم عليها جميعاً .

قال ابن عاشور رحمه الله : (والعظيم : مستعمل في عظَمة القدْر ، والنَّفاسة في ضخامة الهيكل والذات) [7].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة

---

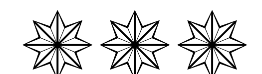
(١) حكاه عنهما الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٠٤) .
(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٦٧) ، برقم : (١٦٢٦٣) .
(٣) البحر المحيط (٧/٨٨) .
(٤) تهذيب اللغة (١/٢٦٣) ، وانظر : لسان العرب (١٠/٩٦) .
(٥) روح المعاني (١٩/٢٨٣) .
(٦) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .
(٧) التحرير والتنوير (١٩/٢٥٣) .



الجميع حُمل عليها ، وأنَّ عامَّة ألفاظ القرآن تدلُّ على معنيين فأكثر [1].

ولعلَّ الوصف بـالعِظَم هنـا وصـف نـسبي ؛ لأنـه مـن كـلام الهدهـد ، فهـو في نظـر الهدهـد عظـيم ، وربمـا كـان في نظـر غـيره لـيس كـذلك ، وهـذا ممـا فـات التنبيه عليه من المفسِّرين رحمهم الله ، فليُتَأمَّل ! .

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (٢/٧٤٩-٨٠٧) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل : ٣٨] [١] .

٦٠- **قال عطاء الخراساني** : فتحرُم عليَّ أموالهم بإسلامهم [٢] .

الدراسة :

* يبين عطاء الخراساني أنَّ السبب الذي من أجله سأل سليمان الملأ من جنده إحضار عرش ملكة سبأ من بين أملاكها قبل إسلامها حتى لا تأتيه مسلمة هي وقومها فتحرُم عليه أموالهم ، وعليه فيظهر من كلامه أنَّ معنى قوله : ﴿مُسْلِمِينَ﴾ : الإسلام الذي هو دين الله .

الأقوال في الآية[٣] :

اختلف في معنى قوله : ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على قولين :

القول الأول : أن يأتوني مسلمين أي بحرمة الإسلام ودين الحق ، وهو معنى قول عطاء الخراساني ، وقاله ابن جريج [٤] .

القول الثاني : مسلمين أي مستسلمين طائعين ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٥]، وسفيان بن عيينة [٦] .

* **واختلف** في مقصود سليمان عليه السلام من استدعائه عرشها على خمسة أقوال :

أحدها : أنه خَشِي أن تُسْلِم فيَحرُم عليه مالها ؛ فأراد أخذه قبل أن يحرُم عليه بإسلامها ، وهو قول عطاء الخراساني ، وافق فيه زهير بن محمد ،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ .

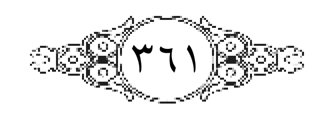
(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٨٤) ، بعد الأثر رقم : (١٦٣٦٣) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٤٠٠) .

(٣) انظر : جامع البيان (١٨/٦٣) ، النكت والعيون (٤/٢١١-٢١٢) ، معالم التنزيل (٣/٥٠٥) ، زاد المسير (١٠٤٧)، التفسير الكبير (٢٤/١٧٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٦٥) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٦٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٥٩) عزوه لابن المنذر .

(٦) تفسير سفيان بن عيينة (٣٠٢) .



والسدي [١]، وقتادة [٢]، وقاله جمع من المفسِّرين [٣].

قال السعدي ﷺ : (في قوله تعالى : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي لأجل أن نتصرَّف فيه قبل أن يسلموا ، فتكون أموالهم محترمة) [٤].

الثاني : أنه أراد أن يجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته ، لأنها خلَّفته في دارها ، وأوثقته في حرزها ، ثم جاءت إلى سليمان فوجدته قد تقدَّمها ، وهذا قول وهب بن منبِّه [٥]، اختاره الزمخشري [٦]، وتبِعه ابن عطية [٧]، والنَّسفي [٨].

الثالث : أنه أحبَّ أن يعاليها به ، وكانت الملوك يعالون بالملك والقدرة والعلم ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد [٩].

الرابع : أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها وفطنتها ، وهل تعرفه أو تنكره ، قاله ابن جبير [١٠].

الخامس : أنَّ العرش سرير المملكة ، فأراد أن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها إليه ، حكاه الرازي في تفسيره [١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨٨٤) ، عن زهير ، وذكره عن السدي : برقم : (١٦٣٦٣) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٧٦) ، والطبري في تفسيره (١٨/٦٤) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٨٨٢) برقم : (١٦٣٥٩) ، وذكره عنه (٩/٢٨٨٤) بعد الأثر رقم : (١٦٣٦٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٥٩) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) انظر : بحر العلوم (٢/٦٠٨) ، الكشف والبيان (٧/٢٠٩) ، الوسيط (٣/٣٧٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٢١) ، التسهيل (٣/١٧٧) ، أنوار التنزيل (٤/١٦٠) ، تفسير ابن كثير (٣/٤٠٠) ، فتح القدير (٤/١٧١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٠٥) .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/٢١٢) .

(٦) الكشاف (٧٨٣) .

(٧) المحرر الوجيز (١٤٢١) .

(٨) مدارك التنزيل (٢/٢٣٨) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٦٤) .

(١٠) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٤/٢١٢) .

(١١) التفسير الكبير (٢٤/١٧٦) .



السادس : أنه أراد أن يختبر صدق الهدهد ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [١].

ويجاب عنه : بأنه قد صدَّقه أصلاً حين قال : ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ ، فكيف يقال : بأنه أراد اختباره ؟! .

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح - والله أعلم - هو القول الثاني ، أنه إنما أراد أن يُري الملكة دليلاً على صدق نبوته ، ويقيم الحجة عليها فور وصولها إليه .

ويظهر من ذلك أنَّ قول عطاء الخراساني : فتحرُم عليَّ أموالهم بإسلامهم، قول مرجوح .

قال النسفي رحمه الله بعد ذكر القول الأول : (وهذا بعيد عند أهل التحقيق)[٢].

وهو وإن كان قول كثير من المفسرين إلا أنه ينزه عنه نبي الله سليمان عليه السلام.

قال الطبري رحمه الله مرجِّحاً القول الثاني : (وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خَصَّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ، ليجعل ذلك حجَّة عليها في نبوته ، ويعرِّفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه) [٣].

وقال أبو السعود رحمه الله : (لمَا أنَّ ذلكَ أبدعُ وأغربُ وأبعدُ من الوقوعِ عادةً وأدلُّ على عظمِ قُدرةِ الله تعالى وصحَّة نبُّوتِه عليه السلام ، وليكونَ اختبارُها وإطلاعُها على بدائعِ المعجزاتِ في أولِ مجيئِها) [٤].

وقال الألوسي رحمه الله : (ولعل الألصق بالقلب أن ذاك لينكره فيمتحنها اختباراً لعقلها ، مع إراءتها بعض خوارقه الدالة على صحة نبوته ، وعظيم قدرة الله عز وجل) [٥].

وبترجيح هذا السبب يكون الراجح في معنى : ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ هو القول

---

(١) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٤/٢١٢) .
(٢) مدارك التنزيل (٢/٢٣٨) .
(٣) جامع البيان (١٨/٦٥-٦٦) .
(٤) إرشاد العقل السليم (٥/٨٥) .
(٥) روح المعاني (١٩/٣٠١) .



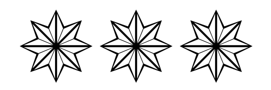
الثاني ؛ أي مستسلمين طائعين ، ويدلُّ عليه أنها لمَّا جاءت ونظرت إلى العرش قالت : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل : ٤٤] .

قال الطبري ﷺ : (فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله : ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ بتأويله ، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل ، من أنَّ معناه طائعين ، لأنَّ المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة ، وإنما أسلمت بعد مقدَمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة)[١].

وهذا هو المناسب للسِّياق في الترجيحين ، لأنه إنما أراد إظهار المعجزة والقدرة على ما لا تقدر عليه هي ، وبيان أنه نبي من عند الله ليكون ذلك أدعى في سرعة استجابتها له ، وانقيادها وقومها إلى دينه .

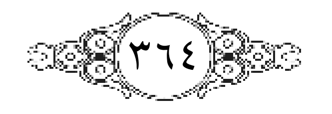
والقاعدة التفسيرية : أنَّ السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد[٢].

والله أعلم ..



(١) جامع البيان (١٨/٦٥-٦٦) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٦٥٣) .



الموضع الخامس :

* في قول الله تعالى : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [النمل : ٦٦] [(١)].

٦١- **قال عطاء الخراساني** : فادَّارك علمهم وبصرهم حين لم ينفع العلم والبصر[(٢)].

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله حال المشركين في الآخرة . فهو لما أثبت علم الغيب له وحده سبحانه ، وأكَّد ذلكَ بنفي شعورِهم بوقت ما هو مصيرُهم لا محالةَ ؛ بُولغَ في تأكيدِه وتقريرِه بأنْ أضرَبَ عنْهُ ، وبيَّن أنَّهم في جهلٍ أفحشَ من جهلِهِم بوقتِ بعثِهِم ، حيثُ لا يعلمونَ أحوالَ الآخرةِ مُطلَقاً معَ تعاضدِ أسبابِ معرفتِها ، فانتهى إلى حدود الآخرة علمهم ، وقصَروا عن الوصول إليها ، ووقفت عقولهم دون بلوغها [(٣)].

* **القراءات في الآية** [(٤)] :

في الآية قراءتان سبعيَّتان ، وقراءات أخرى شاذة تصل نحوَ عشر قراءات[(٥)]، أما السبعيتان فهما :

- قرأ عامة القراء : ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ بالألف . وحجَّتهم أنَّ الأصل عنده تدارك ثم أسكن التاء وأدغمها في الدال فصارتا دالاً شديدة ساكنة ، فأتى بألف الوصل ليقع بها الابتداء ، وكسر لام بل لذهاب ألف الوصل في درج الكلام

---

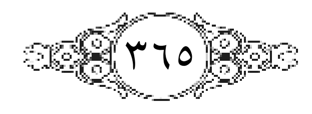
(١) الآية بتمامها : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٤/٩) ، برقم : (١٦٥٤٢) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب ابن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء بن أبي مسلم … وسبقت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(٢٦٤) ، وقد ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤١٠/٣) بلفظ : حين لم ينفع العلم .

(٣) انظر : إرشاد العقل السليم (٩٨/٥) ، في ظلال القرآن (٢٦٦٢/٥) .

(٤) انظر : المبسوط (٢٨٠) ، البدور الزاهرة (١٦٠/٢) .

(٥) فمنها : قراءة سليمان بن يسار ، وعطاء بن السائب : ﴿ بل ادَّرَكَ ﴾ ، وروي عنهما : ﴿ بل ادَّراك ﴾ ، وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن محيصن وقتادة : ﴿ بل آدْرَكَ ﴾ ، وقرأ ابن عباس : ﴿ بلى آدْرَكَ ﴾ ، وقرأ الحسن : ﴿ بل ادَّرَكَ ﴾ ، وقرأ أبي بن كعب : ﴿ بل تَدَارَكَ ﴾ ، انظر : المحتسب لابن جني (١٤٢/٢-١٤٣) ، وقد زاد الزمخشري في الكشاف (٧٨٨) قراءات أخرى شاذة للآية .



والتقائها مع سكون الدال [(١)]، والذي يظهر أنَّ عطاء الخراساني قرأ بهذه القراءة .

- وقرأ أبو جعفر ، وأبو عمرو ، وابن كثير ، ويعقوب : ﴿ أَدْرَكَ ﴾ ، وحجَّتهم أنهم جعلوه ماضٍ للرباعي ، بمعنى بلغ ولحق . ومنه قوله : ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء : ٦١] .

الأقوال في الآية [(٢)] :

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ في صفة علمهم قولان :

القول الأول : أنها صفة ذم ، فعلى هذا في معناها أوجه :

الأول : قول المسألة عن عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية عنه [(٣)] .

الثاني : بل غاب علمهم في الآخرة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وابن زيد [(٥)].

الثالث : لم يدرك علمهم في الآخرة ، وهو قول ابن محيصن [(٦)(٧)].

---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٥٤) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٢/٦١٦) ، الكشف والبيان (٧/٢٢٠) ، النكت والعيون (٤/٢٢٤) ، الوسيط (٣/٣٨٣)، معالم التنزيل (٣/٥١١-٥١٢) ، الكشاف (٧٨٨) ، المحرر الوجيز (١٤٢٧) ، زاد المسير (١٠٥٢) ، البحر المحيط (٧/١١٨) ، تفسير ابن كثير (٣/٤١٠-٤١١) ، روح المعاني (١٩/٢٠-٢٣) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٠٩) من طريق عطاء الخراساني بلفظ : أنه حين لم ينفع العلم ، فأيقنوها إذ عاينوها ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم (٩/٢٩١٤) برقم : (١٦٥٤١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٤) عزوه لابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٠٩) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٩١٤) برقم : (١٦٥٣٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٤) عزوه لابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٠٩) .

(٦) **ابن محيصن** = محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، مولاهم المكي ، قاريء أهل مكة مع ابن كثير وحميد الأعرج ، مختلف في اسمه ، له رواية شاذة في كتاب المبهج وغيره ، وهو في الحديث ثقة احتج به مسلم ، قرأ القرآن على سعيد بن جبير ، ومجاهد ، ودرباس مولى ابن عباس ، وحدث عن أبيه ، وعطاء ، قرأ عليه شبل بن عباد ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر القاريء ، وحدث عنه ابن جريج وهشيم وابن عيينة ، وعبدالله بن المؤمل المخزومي . توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة . انظر : معرفة القرَّاء الكبار (١/٩٨-٩٩) .

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٢٤) .



الرابـع : اضـمحلَّ علمهـم في الـدنيا حـين عـاينوا الآخـرة ، وهـذا قـول الحسن[١].

الخامس : ضلَّ علمهم ، وهو معنى قول قتادة [٢].

القول الثـاني : أنهـا صـفة حمـد لعِلْمهـم وإن كـانوا مـذمومين ، فعلـى هـذا في معناها ثلاثة أوجه :

الأول : أدْرك علمهم ، وهو قول مجاهد [٣].

فـالمعنى : بـل تـدارك ظنـهم وحدسـهم في الحكـم علـى الآخـرة ، فتـارة يقولـون : إنهـا كائنـة ، وتـارة يقولـون : لا تكـون . قـال الفـراء ﵀ : (معنـاه : لعلَّهم تدارك علمهم) [٤]، وبنحوه قال الراغب الأصفهاني [٥].

الثاني : اجتمع علمهم في يوم القيامة . وهو قول السدي [٦].

قـال الزجـاج ﵀ : (تكامـل علمهـم يـوم القيامـة لأنهـم مبعوثـون ، وكـل مـا وعدوا به حق) [٧].

الثالـث : تتـابع علمهـم في الآخـرة بـسفههم وجهلـهم ، روي عـن قتـادة [٨]، وقاله جمع من المفسرين [٩].

قـال بعـض أهـل العلـم : العلـم هنـا بمعنـى الحُكـم والقَـول ، أي تتـابع منـهم القول والحكـم في الآخـرة ، وكثُـرَ منـهم الخـوض فيهـا ، فنفاهـا بعـضهم ، وشـكَّ

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٤/٩) برقم : (١٦٥٤٠) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٠/١٨) بلفظ : لم يبلغ لهم فيها علم ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٥/٩) برقم : (١٦٥٤٣) وقد كرر الرقم بالخطأ بعد أثر السدي ، ولفظه : قال : يُجهِّلهم ربهم يقول : لم ينفد لهم إلى الآخرة علم ، ولم يصل إليه منهم رغبة .

(٣) تفسير مجاهد (١٩٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٠/١٨) ، وابن أبي حاتم (٢٩١٤/٩) برقم : (١٦٥٣٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٦) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) معاني القرآن للفراء (٢٥٨/٢) .

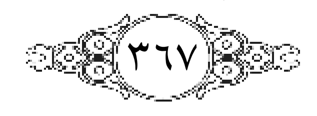
(٥) المفردات في غريب القرآن (١٧٥) بتصرف يسير .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٥/٩) برقم : (١٦٥٤٣) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٩٦/٤) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٦) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) انظر : معاني القرآن للنحاس (٨٨١/٢) ، الوسيط (٣٨٣/٣) ، إيجاز البيان (٩٦/٢) .



فيها بعضهم ، واستبْعدها بعضهم [1].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - في ترجيح المعنى على القراءة الثانية القول الأول؛ أنها صفة ذمٍّ لحالهم ، والأقوال تحت هذا المعنى متقاربة ، وهذا الترجيح هو المناسب للسياق ، حيث إنه نفى عنهم شعورهم بوقت البعث في الآية التي قبلها ، وختم الآية ببيان أنَّهم في شكٍّ من الآخرة ، وأنهم منها في عمى ، وهو الأقرب للفظ القراءة الثانية .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد [2].

والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه [3].

وقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح ، وموضِّح له .

قال الطبري ﵀ : (وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ ﴿ بَلْ أَدْرَكَ ﴾ القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شكّ ، بل هم منها عمون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذُكِرَت ؛ لأنَّ ذلك أظهر معانيه ، وإذ كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه ، وذلك أنَّ معنى الكلام : وما يشعرون أيان يُبْعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها) [4].

وأما على القراءة المشهورة فالراجح ما ذكره الطبري أيضاً بقوله : (وأما

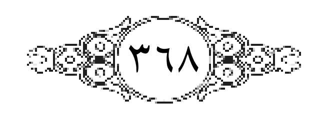
---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٥٤) ، والبحر المحيط (٧/١٢٠) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٦٥٣) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (١/٢٩٩) .

(٤) جامع البيان (١٨/١١٠) .



على قراءة من قرأه ﴿ بَلِ ٱدَّارَكَ ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل : أم ، إذا كان في أوّل الكلام استفهام ، كما قال الشاعر :

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ ... أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ [1]

يعني بذلك بل كلٌّ إليَّ حبيب ، فيكون تأويل الكلام : وما يشعرون أيان يبعثون ، بل تدارك علمهم في الآخرة : يعني تتابع علمهم في الآخرة : أي بعلم الآخرة : أي لم يتتابع بذلك ولم يعلموه ، بل غاب علمهم عنه ، وضلَّ فلم يبلغوه ولم يدركوه) [2].

وقال السعدي ﷺ : (﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ أي: بل ضعف ، وقلَّ ، ولم يكن يقيناً ، ولا علماً واصلاً إلى القلب ، وهذا أقلُّ وأدنى درجة للعلم ضعفه ووهاؤه ، بل ليس عندهم علم قوي ولا ضعيف وإنما ﴿هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ ﴾ أي : من الآخرة ، والشكُّ زال به العلم ، لأنَّ العلم بجميع مراتبه لا يجامع الشك [3]) [4].

وقال ابن عاشور ﷺ : (والذي أراه في تفسيرها أنَّ معنى التدارك هو أنَّ عِلم بعضهم لَحِق علم بعض آخر في أمرِ الآخرة لأنَّ العلم ، وهو جنسٌ ، لمَّا أضيف إلى ضمير الجماعة حصل من معناه علوم عديدة بعدد أصناف الجماعات التي هي مدلول الضمير ؛ فصار المعنى : تداركت علومهم بعضها

---

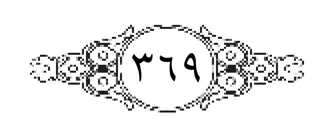
(١) **لم ينسب البيت لقائل** . وهو من شواهد : جامع البيان (١١١/١٨) ، الكشف والبيان (٢٢٠/٧) ، التفسير الكبير (١٢٥/١) ، لسان العرب (٢٤٩/٥) مادة : درك . وقوله : "تغولت" ، أي تصورت في صورة امرأة أحسها وأراها . من تغول الغول : وهي أن تتلون وتتخيل في صور شتى . يعنى أنها بعيدة لا شك في بعدها ، ولكنه يخال أنه يراها أمامه ماثلة قائمة .

(٢) جامع البيان (١١٠/١٨-١١١) .

(٣) فائدة : الشكُّ يدخل فيه العلم من جهة الإثبات ، لأنَّ الشك استواء الأمرين من جهة الإثبات والنفي ، فمن جزئه الأول عند حصول الإثبات يكون علماً ، ولا يخرج عن العلمية إلا بطريق ترجيح الوهم . قال الناظم :

والظن ترجيح ثبوت الحكم ... رجحان نفيه دُعي بالوهم
والشكُّ ما فيه استوى الأمران ... النفي والإثبات بالميزان

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٠٨) .



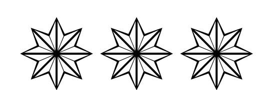
بعضاً)[1].

وقال الشنقيطي رحمه الله : (أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أنَّ المعنى : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ ﴾ : أي تكامل علمهم في الآخرة ، حين يعاينونها أي يعلمون في الآخرة علماً كاملاً ، ما كانوا يجهلونه في الدنيا .

وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية لأنَّ القرآن دلَّ عليه دلالة واضحة في آيات متعددة كقوله تعالى : ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [مريم : ٣٨] .

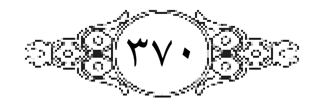
فقوله : ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا ﴾ بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم للحق الذي كانوا ينكرونه ، يوم يأتوننا : أي يوم القيامة ، وهذا يوضح معنى قوله : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ أي تكامل عِلمهم فيها لمبالغتهم في سماع الحق وإبصاره في ذلك الوقت)[2].

والله أعلم بالصواب ..



(١) التحرير والتنوير (٢٠/٢١) .

(٢) أضواء البيان (٦/٢٧٦) .



الموضع السادس :

* في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل : ٧٢] [١].

٦٢- **قال عطاء الخراساني** :أن يكون قرب أو اقترب لكم [٢].

الدراسة :

* يبيِّن الله لنبيه ﷺ أن يقول للذين كفروا ويستعجلون العذاب : عسى أن يلحقكم ويصل إليكم قريباً بعض الذي كنتم تستعجلون حلوله من العذاب ، فهو قد قرب منكم، وأوشك أن يقع بكم .

وهو بذلك يثير في قلوبهم الخوف والقلق من شبح العذاب ، فقد يكون وراءهم رديفاً لهم كما يكون الرديف وراء الراكب فوق الدابة وهم لا يشعرون ، وهم في غفلتهم يستعجلون به وهو رديف ! وهي مفاجأة ترتعش لها الأوصال ، وهم يستهزئون ويستهترون ! ، ولا يدري أحد ما وراءه ؛ فقد يكون على قيد خطوات منه ما يذهله وما يهوله ، فالعاقل من يحذر ، ومن يتهيأ ويستعد في كل لحظة [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : قَرُب لكم ودنا وأَزِف منكم ، وهو قول عطاء الخراساني ، ووافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد [٥]، والضحاك [٦]، وقتادة [٧]، والسدي[٨]، وجماعة من المفسِّرين [٩].

(١) تمام الآية : ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٧/٩) بعد الأثر رقم : (١٦٥٦١) ، وابن كثير في تفسيره (٤١١/٣).

(٣) انظر : الوسيط (٣٨٤/٣) ، تفسير المراغي (١٠٦/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٠٩) ، في ظلال القرآن (٢٦٦٤/٥) .

(٤) انظر : بحر العلوم (٦١٧/٢) ، النكت والعيون (٢٢٥/٤) ، زاد المسير (١٠٥٢) .

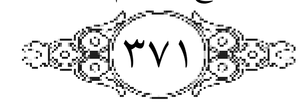
(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١١٣/١٨-١١٤) ، وابن أبي حاتم (٢٩١٧/٩) برقم : (١٦٥٦٠) ورقم : (١٦٥٦١)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٦) عزوه لابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٤/١٨) .

(٧) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤١١/٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٢٩١٧/٩) بعد الأثر رقم : (١٦٥٦١) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٥٨/٢) ، بحر العلوم (٦١٧/٢) ، الوسيط (٣٨٤/٣) ، معالم التنزيل (٥١٢/٣) ، المحرر الوجيز (١٤٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٣٤/٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٠٩).



القول الثاني : أعجِل لكم ، قاله مجاهد [١].

القول الثالث : تَبِعَكُم ، قاله ابن قتيبة [٢]، ومنه رِدْفُ المرأة لأنه تبع لها من خلفها ، وهذا القول بناءً على أنَّ الأصل في معنى رِدْف : تَبَع ، والمراد به هنا : لحقكم ودنا منكم ، وعلى هذا جماعة من المفسِّرين [٣].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي - والله أعلم – أنَّ الخلاف في معنى : ﴿رَدِفَ﴾ هو خلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد ، ويمكن حمل المعنى على الأقوال جميعاً .

وهذا هو الأقرب الذي تشهد له اللغة .

قال النحّاس ﷺ : (وهو من ردفه إذا تبعه وجاء في أثره ، وتكون اللام أدخلت لأنَّ المعنى : اقترب لكم ، ودنا منكم ، أو تكون متعلّقة بمصدر)[٤].

وقال الزمخشري ﷺ : (دنا لكم وأزف لكم ، ومعناه تبعكم ولحقكم)[٥].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [٦].

وقال أبو القاسم النيسابوري ﷺ : (واللام تقتضي زيادة تتابع واتصال مع الدنو، حتى فسِّر بـ : عجَّل لكم) [٧].

وقال ابن عاشور ﷺ : (و ﴿رَدِفَ﴾ تبع بقرب . وعدِّي باللام هنا مع أنه

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١١٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٧٥) عزوه للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم ، ولم أجده عند الأخير في المطبوع . ولعلَّ هذا القول داخل عند المفسِّرين في القول الأول ولا يعتبر قولاً مستقلاً ، ولم أر من أفرده قولاً غير الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٢٥) .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (٣٢٦) .

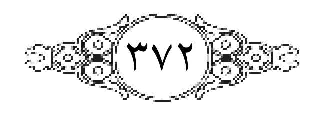
(٣) انظر : إيجاز البيان (٢/٩٦) ، التسهيل (٣/١٨٤) ، أنوار التنزيل (٤/١٦٦) ، إرشاد العقل السليم (٥/١٠٠) ، روح المعاني (٢٠/٢٥) .

(٤) معاني القرآن (٢/٨٨٢) .

(٥) الكشاف (٧٨٩) .

(٦) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٧) إيجاز البيان (٢/٩٦) .

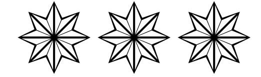


صالح للتعدية بنفسه لتضمينه [1] معنى : اقترب ؛ أو اللام للتوكيد مثل شكر له، والمعنى : رجاء أن يكون ذلك قريب الزمن . وهذا إشارة إلى ما سيحل بهم يوم بدر) [2].

ولعلَّ الأقرب هنا أن يقال : إنه عدّي باللام لأنه نزِّل منزلة الفعل : (عجل) فعدي تعديته ، وليس كما قال ابن عاشور : (اقترب) .

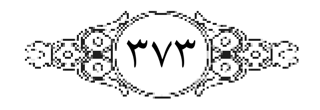
وقول عطاء الخراساني هنا قول صحيح ، داخل في المعنى الراجح .

والله أعلم ..



(١) **التضمين** = إشراب كلمة معنى كلمة أخرى لتتعدى تعديتها . انظر : مقدمة تفسير ابن النقيب (٥٩) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٠/٢٧) .



الموضع السابع :

* في قول الله تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [النمل : ٨٢] [(١)].

٦٣- **قال عطاء الخراساني** : وأما دابة الأرض تكلِّمهم ، فكلامها يعني إياهم : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٢)].

الدراسة :

* يخبر الله عن الدَّابة التي تَخرُج للناس في آخر الزَّمان [(٣)]، وهي الدابة المشهورة التي تكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ، ولم يأت دليل يدلُّ على كيفيتها ولا من أي نوع هي ، وإنما دلت الآية الكريمة على أنَّ الله يخرجها للناس ، وأنَّ هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة ، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه [(٤)].

القراءات في الآية [(٥)] :

* قرأ : عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف : ﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ بفتح الألف .

* وقرأ : أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر [(٦)]، وأبو عمرو :

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

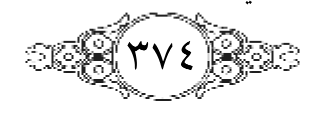
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٢٦) ، برقم : (١٦٦٠٨) بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرنا محمد ابن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء بن أبي مسلم الخراساني ... وذكر الأثر ، وقد تقدمت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(٢٦٤) ، وقد ذكره أيضاً عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٢٨) ، وابن كثير في تفسيره (٣/٤١٢) .

(٣) للتزود عن أخبار الدابة ، ومعرفة أقوال العلماء فيها ، انظر : أشراط الساعة – ليوسف الوابل – ص٤٠٣.

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٦١٠) .

(٥) انظر : المبسوط (٢٨١) ، البدور الزاهرة (٢/١٦١) .

(٦) **ابن عامر** = إمام أهل الشام في القراءة ، عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي ، أبو عمران على الأصح ، ثابت النسب إلى يحصب بن دهمان أحد حمير ، وحمير من قحطان ، كان له سنتين حين قبض رسول الله ﷺ ، وانتقل إلى دمشق وله تسع سنين . أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء ، وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان ، وقيل عرض على عثمان نفسه ﷺ ، وروى عنه القراءة عرضا يحيى الذماري ، ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني ، وحدَّث عن معاوية ، وفضالة بن عبيد ، والنعمان بن بشير ،



﴿ إنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بكسر الألف .

وبناءً على الخلاف في القراءات اختلفت أقوال المفسرين في تفسير الآية .

*** الأقوال في الآية**[1] :

اختلف المفسِّرون فيما تتكلم به الدابة التي تخرج ، على قولين :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنها تكلِّمهم بما قاله الله : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ، وروي عن علي بن أبي طالب [2]، وابن عباس[3]، وابن مسعود[4] رضي الله عنهم ، وقال به الحسن [5]، وقتادة [6] .

وهذا القول مبني على قراءة من قرأ بفتح همزة (أنَّ) ، فيكون حكايةً لقول الدابة ، وعليه يحسن الوصل في القراءة ، ولا يحسن الفصل .

القول الثاني : أنها تكلِّمهم بما يسوؤهم ، قاله السمرقندي [7].

القول الثالث : أنها تكلِّمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام ، وهذا قول السدي [8].

القول الرابع : أنها تكلِّمهم بأنَّ هذا مؤمن وهذا كافر [9]، أو تكلِّم المؤمن وتكلِّم الكافر ، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [10].

القول الخامس : أنها تقول لهم : ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[هود : ١٨]

وواثلة بن الأسقع . له حديث في صحيح مسلم ، وكان على نظر عمارة جامع دمشق ، شامي ثقة ، توفي سنة ثماني عشرة ومائة . انظر : معرفة القرَّاء الكبار (١/٨٢-٨٦) .

(١) انظر : بحر العلوم (٦١٩/٢) ، النكت والعيون (٢٢٨/٤) ، معالم التنزيل (٥١٣/٣) ، زاد المسير (١٠٥٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٣٨/٢) ، مدارك التنزيل (٢٤٩/٢) ، البحر المحيط (١٢٥/٧) ، فتح القدير (١٨٨/٤) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٢٦/٩) برقم : (١٦٦٠٩) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٢٨/١٨) من طريق عطاء الخراساني .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٢٨/٤) .

(٥) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤١٢/٣) .

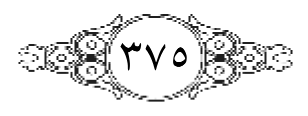
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٢٧/١٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٧/٦) عزوه لعبد بن حميد.

(٧) بحر العلوم (٦١٩/٢) .

(٨) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٢٢/٧) ، والبغوي في معالم التنزيل (٥١٣/٣) .

(٩) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٢٢٨/٤) .

(١٠) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٢٢/٧) .



ذكره النسفي [1].

وهذه الأقوال الأربعة مبنية على قراءة من قرأ بكسر همزة (إنَّ) ، فيكون على قراءة الكسر بمعنى الابتداء، ويتمُّ الكلام عند قوله : ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ [2]، وهنا يجب الفصل ، ولا يحسن الوصل .

الجمع أو الترجيح :

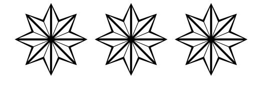
يمكن الجمع بين الأقوال جميعاً لأنها بنيت على قراءتين سبعيتين صحيحتين ، ولا يقال بتفضيل قراءة على قراءة .

قال الطبري رحمه الله : (والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مستفيضتان في قراءة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب) [3].

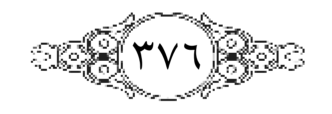
والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجَّح إحداهما – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ... كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى [4].

فعلى القراءة الأولى يكون القول الأول قول عطاء الخراساني ، والجمهور، هو الصحيح الذي دلّ عليه ظاهر النصّ ، وهو أنَّ كلامها إياهم ما قاله الله : ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ، ويفهم منه أنَّ عطاء الخراساني رحمه الله قرأ بفتح الألف .

وعلى القراءة الثانية يكون الأقرب في المعنى : أنَّها تكلِّمهم بكلام يفهمونه، تكون فيه آية من آيات الله تعالى ، ولم يثبت لنا من طريق صحيح ما هو الكلام الذي تكلِّمهم به ، فيُحمل على إطلاقه ، ولم يرد ذكر الدابة التي تخرج في آخر الزمان في كتاب الله سوى في هذا الموضع . والله أعلم ، ،



(١) مدارك التنزيل (٢/٢٤٩) ، وذكره أيضاً ابن جزي في التسهيل (٣/١٨٥) .
(٢) بحر العلوم (٢/٦١٩) .
(٣) جامع البيان (١٨/١٢٨) .
(٤) قواعد التفسير (١/٨٩ ، ٩٧) .



الموضع الثامن :

* في قول الله تعالى : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] [(١)].

٦٤- **قال عطاء الخراساني** : أحكم كل شيء [(٢)].

الدراسة :

* فسَّر عطاء الخراساني معنى إتقان الله تعالى هنا بإحكام كلِّ شيء .

وهو موافق للمعنى اللغوي ، فالإتقان من أتقن الشيء ، أي : أحكمه ، وإتقانه إحكامه ، يقال : أتقن فلان أمره إذا أحكمه ، والإتقان : الإحكام للأشياء [(٣)].

الأقوال في الآية [(٤)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أحكم كلَّ شيء ، وقد وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، والحسن [(٦)]، والثوري [(٧)]، وجمع من المفسِّرين [(٨)].

ومنه قول النبي ﷺ : « إنَّ الله يُحِبُّ إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أنْ يُتْقِنَه » [(٩)] [(١٠)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٣) ، بعد الأثر رقم : (١٦٦٣٧) .

(٣) تهذيب اللغة (٩/٦٦) ، معجم مقاييس اللغة (١٧٢) ، لسان العرب (٢/٢٢٩) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٤/٢٣١) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٣٨) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٣) برقم : (١٦٦٣٧) .

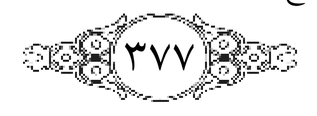
(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٨٥) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٩/٢٩٢٦) بعد الأثر رقم : (١٦٦٣٧)

(٧) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٢٦) ، بعد الأثر رقم : (١٦٦٣٧) .

(٨) انظر : الكشف والبيان (٧/٢٣٠) ، الوسيط (٣/٣٨٧) ، معالم التنزيل (٣/٥٢٠) ، زاد المسير (١٠٥٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٤١) ، أنوار التنزيل (٤/١٦٩) ، مدارك التنزيل (٢/٢٥١) ، فتح القدير (٤/١٩٢) .

(٩) **فائدة** : قال المناوي : (أي يحكمه كما جاء مصرحاً به في رواية ، وذلك لأنّ الإمداد الإلهي ينزل على العامل بحسب عمله ؛ فكل من كان عمله أتقن وأكمل فالحسنات تضاعف أكثر ، وإذا أكثر العبد أحبه الله تعالى) انظر : التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٢٦٩) .

(١٠) **حسَّن** . أخرجه الطبراني في الأوسط (١/٢٧٥) قال : (حدثنا أحمد ، قال حدثنا مصعب ، قال حدثنا بشر بن السري ، عن مصعب بن ثابت ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ...) وذكره وقال : (لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا مصعب تفرد به بشر) ا.هـ . ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/٣٤٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٣٤) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٩٨) : (رواه أبو يعلي ، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة) . وحسَّنه الألباني وذكر له شواهد ، انظر : السلسلة الصحيحة (١١١٣) ، وصحيح الجامع (١٨٨٠) .



القول الثاني : أحصى ، قاله مجاهد [1].

القول الثالث : أتْرَص[2] كلَّ شيء ، أي أحسن وأبرم ، وهو قول مجاهد[3].

القول الرابع : أحسن كلَّ شيء خلقه وأوثقه ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[4]، وبنحوه قال قتادة [5]، والسدي ، وابن زيد [6].

قال ابن عطية رحمه الله : (والإتقان : الإحسان في المعمولات ، وأن تكون حِساناً وثيقة القوَّة) [7].

القول الخامس : هدى كلَّ شيء لمنفعته ، وهو قول الحسن [8]، وقال : ألم تر إلى كل دابة كيف تُبقي على نفسها [9].

القول السادس : أوثق ، روي عن مجاهد [10].

القول السابع : أتقن خلقه وسوَّاه على ما تقتضيه الحكمة ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع ، قاله ابن كثير [11]، وأبو السعود [12].

الجمع أو الترجيح :

مما سبق يتَّضح أنَّ الخلاف في المعنى خلافُ تنوع لا تضاد ، والمعنى

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٣) برقم : (١٦٦٣٨) .

(٢) **التَّريصُ** : المحكمُ تَرُصَ الشيءُ تَراصةً فهو مُتْرَصٌ وتَرِيص مثل ماء مُسْخَن وسَخِين وحبْل مُبْرم وبَرِيم أي مُحْكَم شديد ، وأتْرَصَه هو وترَصه وترَّصَه : أحْكَمه وقوَّمَه ، ويقال أتْرِصْ ميزانَك فإنه شائل أي سَوِّه وأحكِمْه . انظر : تهذيب اللغة (١٢/١٠٨) ، معجم مقاييس اللغة (١٦٩) ، لسان العرب (٢/٢٢١) .

(٣) تفسير مجاهد (١٩٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٣٨) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٣-٢٩٣٤) برقم : (١٦٦٣٩) ، (١٦٦٤٠) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٣٨) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٤) برقم : (١٦٦٤١) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٣٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٤) بعد الأثر رقم : (١٦٦٤١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٥) عزوه لعبد بن حميد .

(٦) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٤) بعد الأثر رقم : (١٦٦٤١) .

(٧) المحرر الوجيز (١٤٣١) .

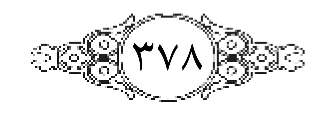
(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٤) برقم : (١٦٦٤٢) .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٥) لعبد بن حميد .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٥) للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير (ولم أجده عنده) .

(١١) تفسير ابن كثير (٣/٤١٦) .

(١٢) إرشاد العقل السليم (٥/١٠٧) .



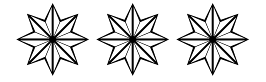
واحد ، فالإحصاء والإحسان والإبرام ، وهداية كلّ شيء لمنفعته ، وتوثيق الأشياء ؛ كلُّها من معاني الإحكام ، ويصحّ أن تكون منه ، وأن يكون كلّ ذلك من إحكام الخلق راجع لما تقتضيه حكمته جلّ وعلا .

قال السمرقندي ﷺ : (يعني : أحكم خلق كل شيء ، ويقال : الشيء المتقن أن يكون وثيقاً ثابتاً ، فما كان من صنع غيره يكون واهياً ، ولا يكون متقناً) [(١)].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا احتمل اللفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها [(٢)].

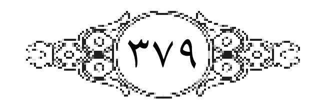
وعليه .. فقول عطاء الخراساني في الآية صحيح ؛ داخلٌ فيما عليه جمهور المفسِّرين ، وأهل اللغة ، وعبارته جامعة للأقوال الأخرى ، ومتضمِّنة لها .

والحمد لله ..



(١) بحر العلوم (٦٢١/٢) .

(٢) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



الموضع التاسع :

* في قول الله تعالى : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [النمل : ٩٠] [(١)].

٦٥- **قال عطاء الخراساني** : الشرك [(٢)] .

الدراسة :

* تفسير عطاء الخراساني السيئة بالشرك في هذه الآية هو قول أبي هريرة[(٣)]، وابن مسعود [(٤)]، وأنس بن مالك [(٥)]، وابن عباس [(٦)]، وأبو وائل[(٧)(٨)]، وأبو صالح ، وسعيد بن جبير [(٩)]، وإبراهيم النخعي [(١٠)]، ومجاهد [(١١)]، وعكرمة ، والضحاك [(١٢)]، والحسن ، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾ .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٤١) بسنده قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج قال : سمعت عطاء يقول فيها : .. وذكر الأثر .

وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه عند تفسير الآية (٢٩) من سورة النور ص(٢٦٩).

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٤٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٥) برقم : (١٦٦٤٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٥) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٥) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٦) عزوه لعبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، والخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٥) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٥) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٤٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٥) برقم : (١٦٦٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٦) عزوه لابن المنذر ، والبيهقي .

(٧) **أبو وائل** = شقيق بن سلمة الأسدي ، أبو وائل الكوفي ، ثقة مخضرم ، من العلماء العاملين ، سمع عمر ، ومعاذاً ، وروى عنه : منصور ، والأعمش ، قال : أدركت سبع سنين من سني الجاهلية ، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة اثنتين وثمانين وله مائة سنة . انظر : الكاشف (١/٤٨٩) ، تقريب التهذيب (٢٦٨) .

(٨) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٥) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) .

(٩) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٩٣٥) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٧) لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٤١) ، وذكره ابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٥) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٧) لعبد بن حميد .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/١٤١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٨٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد .

(١٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٨/١٤٢-١٤٣) ، وذكره ابن أبي حاتم (٩/٢٩٣٥) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) .



وقتادة [١] ، ومحمد بن كعب القرظي [٢]، والسدي ، والزهري ، وزيد بن أسلم[٣]، وابن زيد[٤]، وعليه عامة المفسِّرين [٥].

قال عكرمة : " كلُّ شيء في القرآن السيئة فهو الشرك " [٦].

قال القرطبي : (وهو إجماع من أهل التأويل في أنَّ الحسنة لا إله إلا الله، وأنَّ السيئة الشرك في هذه الآية) [٧].

وقد ورد بهذا التفسير حديث عن رسول الله ﷺ أنه تلا قوله تعالى : ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ قال : « هِيَ الشِّرْكُ » [٨].

والسيئة هنا اسم جنس يُحمل على أكمل أفراده في المقام الخطابي ، فالمراد : مَن كانت حالته متمحِّضة للسيئات أو غالبة عليه . وهو محتمل ، وأكبر السيئات الشرك بالله [٩].

والله أعلم ،،

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٤٢/١٨) ، وذكره ابن أبي حاتم (٢٩٣٥/٩) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٧/٦) لعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤١/١٨) ، وذكره ابن أبي حاتم (٢٩٣٥/٩) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) .

(٣) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٣٥/٩) بعد الأثر رقم : (١٦٦٥٠) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤٢/١٨) .

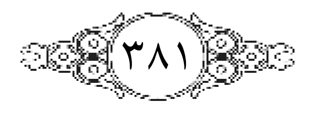
(٥) انظر : جامع البيان (١٣٩/١٨) ، معاني القرآن للنحاس (٨٨٣/٢) ، الكشف والبيان (٢٣١/٧) ، النكت والعيون (٢٣١/٤) ، الوسيط (٣٨٧/٣) ، معالم التنزيل (٥٢٠/٣) ، الكشاف (٧٩٢) ، المحرر الوجيز (١٤٣١) ، زاد المسير (٤٨١) ، التفسير الكبير (١٩٧/٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٤٢/٢) ، أنوار التنزيل (١٦٩/٤) ، مدارك التنزيل (٢٥١/٢) ، التسهيل (١٨٦/٣) ، البحر المحيط (١٣١/٧) ، تفسير ابن كثير (٤١٦/٣) ، إرشاد العقل السليم (١٠٨/٥) ، روح المعاني (٥٦/٢٠) ، فتح القدير (١٩٣/٤) ، تفسير المراغي (١١٢/٧) ، أضواء البيان (٢٩٨/٦) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٨) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٤٢/٢) .

(٨) **حسن** . أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤١/٢) برقم : (٣٥٢٨) عن عبد الله بن مسعود ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والحديث صححه الألباني موقوفاً عن ابن مسعود ، وله شاهد من طريق كعب بن عجرة ، قال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (١٩١/٨) : فيه مقاتل بن سليمان مع ضعفه يكتب حديثه . وله شاهد أيضاً من طريق أبي هريرة ﷺ . وهو بمجموع طرقه يرتقي لدرجة التحسين . والله أعلم .

(٩) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٦١١) ، التحرير والتنوير (٥٢/٢٠) .



سورة القصص

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿قَالُوا۟ سِحۡرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾ [القصص : ٤٨][١] .

٦٦- قرأ عطاء الخراساني : ﴿قَالُوا۟ سِحۡرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾ [٢] .

الدراسة :

* رُوي أنَّ كفَّار قريش سألوا اليهود عن النبي ﷺ ، فأخبروهم أنهم يجدون في كتبهم نعته وصفته ، فأمروهم بأن يسألوه عن أشياء فلمَّا أجابهم قالوا : ﴿ سَاحِرَانِ تَظاهَرا ﴾ أي تعاونَا على السِّحر [٣].

❖ **القراءات في الآية** [٤] :

- قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وهي قراءة عطاء الخراساني : ﴿قَالُوا۟ سِحۡرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾ .

- وقرأ ابن كثير ،ونافع،وأبو عمرو،وابن عامر : ﴿ قالوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ .

* **الأقوال في الآية**[٥] :

اختلفت الأقوال في المعنى كما اختلفت في القراءة .

القول الأول : المقصود بالسِّحرين كتابين ، وهذا قول عكرمة [٦]، والكلبي [٧]، وهو على قراءة ﴿سِحۡرَانِ﴾ ، والمعنى : كل سِحْر منهما يقوِّي

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُوا۟ سِحۡرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلّٖ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

(٢) ذكره عنه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٢/٨٩٨) .

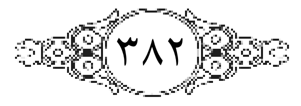
(٣) انظر : بحر العلوم (٢/٦٣٨) ، الكشف والبيان (٧/٢٥٣) ، معالم التنزيل (٣/٥٣٧) ، الكشّاف (٨٠٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٦٤) ، فتح القدير (٤/٢٢٠) .

(٤) انظر : المبسوط (٢٨٧) ، البدور الزاهرة (٢/١٧٠) .

(٥) انظر : جامع البيان (١٨/٢٦٦) ، تفسير ابن أبي حاتم (٩/٢٩٨٥-٢٩٨٦) ، النكت والعيون (٤/٢٥٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٦٤) ، البحر المحيط (٧/١٥٩) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٢٠) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٩٤) .



الآخر ، فنسب التظاهر إلى السِّحرين على الاتِّساع [1].

واستدلَّ أصحاب هذه القراءة بقوله تعالى بعدها : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ﴾ [القصص : ٤٩] .

وفي المراد بالكتابين ثلاثة أقوال :

الأول : أنهما التوراة والقرآن ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم [2] ، وعاصم الجحدري [3] ، والسدي [4] ، وعليه جمع من المفسِّرين [5] .

الثاني : التوراة والإنجيل ، قاله إسماعيل بن أبي خالد [6] ، وأبو مُجْلِز [7][8] ، وأبو رَزِين [9] [10] .

الثالث : الإنجيل والقرآن ، وهو قول قتادة [11] ، واختاره الزجَّاج [12] .

القول الثاني : المقصود بالسَّاحرين نبيين من الأنبياء ، وهذا القول مبني

---

(١) انظر : الوسيط (٤٠٢/٣) ، زاد المسير (١٠٦٧) .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٦٨/١٨) ، وابن أبي حاتم (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٩) ، وزاد السيوطي السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٦) عزوه عن ابن عباس ، لابن مردويه ، وابن المنذر .

(٣) **عاصم الجحدري** = عاصم بن العجاج الجحدري ، من عبَّاد أهل البصرة وقرائهم يروى عن أبي بكرة إن كان سمع منه ، وقد رأى أنساً ، روى عنه هارون النحوي ، ومات سنة تسع وعشرين ومائة وكنيته أبو المجشر . انظر : الثقات (٢٤٠/٥) .

(٤) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٩) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٢٦٥/٢) ، الكشف والبيان (٢٥٣/٧) ، الوسيط (٤٠٢/٣) ، معالم التنزيل (٥٣٧/٣)، إيجاز البيان (١٠٣/٢) ، زاد المسير (١٠٦٧) ، إرشاد العقل السليم (١٢٨/٥) ، روح المعاني (١٣٥/٢٠)، تيسير الكريم الرحمن (٦١٨) .

(٦) **إسماعيل بن أبي خالد** = الكوفي الحافظ ، روى عن ابن أبي أوفى وأبي جحيفة وقيس ، وروى عنه شعبة وعبيد الله وخلق ، وكان طحاناً ، توفي سنة مائة وستة وأربعين . انظر : الكاشف (٢٤٥/١) .

(٧) **أبو مِجْلَز** = لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري ، أبو مِجْلَز ، مشهور بكنيته ، ثقة من كبار الثالثة ، مات سنة ست وقيل تسع ومائة ، وقيل قبل ذلك . انظر : تقريب التهذيب (٥٨٦) .

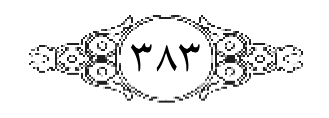
(٨) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (٢٥٦/٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٦٧) .

(٩) **أبو رزين** = مسعود بن مالك ، أبو رزين الأسدي الكوفي ، ثقة فاضل ، من الثانية ، مات سنة خمس وثمانين. انظر : تقريب التهذيب (٥٢٨) .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٦/٩) برقم : (١٦٩٦٠) .

(١١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢١/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(١٢) معاني القرآن وإعرابه (١١١/٤) .



على قراءة : ﴿ سَاحِرَان ﴾ وفي تحديد المقصودين بهما أربعة أقوال :

الأول : أنَّهما موسى ومحمد عليهما السلام ، وأنَّ هذا من كلام مشركي العرب ، واختار هذا القول : ابن عباس رضي الله عنهما [1]، والحسن البصري[2]، وجماعة من المفسِّرين [3].

الثاني : أنَّهما موسى وهارون عليهما السلام ، وأنَّ هذا قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة ، قاله ابن جبير ، وأبو رَزِين [4]، ومجاهد[5] ، ورجَّحه ابن عطية [6]، وابن كثير [7].

الثالث : أنَّ المقصود بهما : عيسى ومحمد عليهما السلام ، وهذا ما قالته يهود أخيراً ، واختار هذا المعنى قتادة [8] ، وقال ابن كثير رحمه الله : (وهذا فيه بُعد ، لأنَّ عيسى لم يَجْرِ له ذكر هنا [9])[10].

الرابع : أنَّ المقصود بهما : موسى وعيسى عليهما السلام ، وهذا قول الحسن [11].

الجمع أو الترجيح :

---

(1) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٦/١٨) ، وابن أبي حاتم (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٦) عزوه لعبد بن حميد ، والبخاري في التاريخ ، وابن المنذر .

(2) ذكره عنه أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٥/٩) بعد الأثر رقم : (١٦٩٥٥) .

(3) انظر : الكشف والبيان (٢٥٣/٧) ، الوسيط (٤٠٢/٣) ، معالم التنزيل (٥٣٧/٣) ، إيجاز البيان (١٠٣/٢)، فتح القدير (٢٢٠/٤) ، تفسير المراغي (١٤١/٧) .

(4) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٦٧/١٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد .

(5) تفسير مجاهد (٢٠٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٦/١٨) ، وابن أبي حاتم (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٦) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(6) المحرر الوجيز (١٤٤٤) .

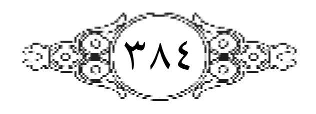
(7) تفسير ابن كثير (٤٣٢/٣) .

(8) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٩/١٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٨٥/٩) برقم : (١٦٩٥٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢١/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(9) وهذا الكلام ليس على إطلاقه ، فليس كل ما لم يرد له ذكر لا يجوز ذكره ، ففي قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص : ٣٢] ؛ حديث عن الشمس ولم يجر لها ذكر ، فقد يضمر الحديث عن الشيء ولم يجر له ذكر لدلالة السياق عليه ، وهو من أسباب الحذف عند العرب .

(10) تفسير ابن كثير (٤٣٢/٣) .

(11) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٤٣) .



الصواب أن يقال : كلا القراءتين صحيح ، وأقرب الأقوال في معنى قراءة: ﴿ ساحِرَان ﴾ أنَّ المقصود بهما : موسى ومحمد عليهما السلام .

وفي معنى قراءة : ﴿سِحْرَانِ﴾ المقصود بهما التوراة والقرآن .

قال ابن كثير رحمه الله : (والظاهر على قراءة : ﴿سِحْرَانِ﴾ أنهم يعنون : التوراة والقرآن ؛ لأنه قال بعده : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ﴾ ، وكثيرًا ما يقرن الله بين التوراة والقرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ إلى أن قال : ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام : ٩١-٩٢]) ا..هـ [(١)].

ورجَّح الطبري رحمه الله أنَّ أولى القراءتين بالصواب القراءة الأولى ، قراءة من قرأ : ﴿سِحْرَانِ ﴾ ، وقال هي بمعنى : كتاب موسى وهو التوراة ، وكتاب عيسى وهو الإنجيل . وعللَّ ذلك بأنَّ الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب ، وهو قوله : ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ ، والذي يليه من بعده ذكر الكتاب ، وهو قوله : ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ﴾ [(٢)].

وفي هذا نظر ؛ إذ القراءة الثانية لا تمنع القراءة الأخرى ، ولا تعارضها ، إذ المعنى هناك يصير : قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من كتابيهما [(٣)].

ولا يصحُّ أن ترجَّح إحدى القراءتين على الأخرى ، عملاً بالقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجَّح إحداهما – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ... كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى [(٤)].

وعليه فقراءة عطاء الخراساني هنا في هذه الآية ؛ قراءة سبعية صحيحة ، ثابتة عن النبي ﷺ ، والصحيح في معناها ما ذكرت . والله أعلم ، ،

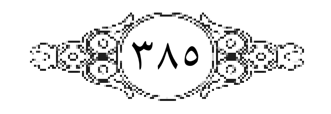
---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٢) .

(٢) جامع البيان (١٨/٢٦٩-٢٧٠) .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١١١) ، ومعاني القرآن للنحَّاس (٢/٨٩٨) .

(٤) قواعد التفسير (١/٨٩ ، ٩٧) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص : ٧٦][(١)].

٦٧- **قال عطاء الخراساني** : زاد في طول ثيابه شبراً [(٢)].

الدراسة :

* جاءت هذه الآية في سياق قصة قارون وكيف انتهى سلطانه بالبوار مع البغي والبطر والاستكبار على الخلق وجحود نعمة الخالق ، وتقرر حقيقة القيم، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح ؛ مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد[(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنه زاد في طول ثيابه شبراً ، وهو قول شهر بن حوشب [(٥)] [(٦)].

القول الثاني : تجاوَز الحدَّ في التكبُّر والتجبُّر والتطاول على بني إسرائيل، وهو مرويّ عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، وقال السمرقندي [(٨)]، وابن جزيّ [(٩)]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٠/٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٧١) ، والذهبي في الكبائر (٢٣٠) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٢٧١٠/٥) .

(٤) انظر : الكشف والبيان (٢٦٠/٧) ، النكت والعيون (٢٦٤/٤) ، معالم التنزيل (٥٤٣/٣) ، الكشاف (٨٠٩)، زاد المسير (١٠٧١) ، التفسير الكبير (١٣/٢٥) .

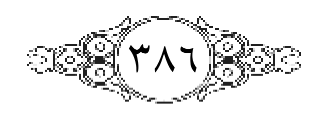
(٥) **شهر بن حوشب** = الأشعري الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، صدوق كثير الإرسال والأوهام ، من الثالثة ، مات سنة اثنتي عشرة ومائة . انظر : تقريب التهذيب (٢٦٩) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١١/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠٠٦/٩) برقم : (١٧٠٧٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٣٧/٦) عزوه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) حكاه عنه الرازي في التفسير الكبير (١٣/٢٥) .

(٨) بحر العلوم (٦٤٥/٢) .

(٩) التسهيل (٢٠٢/٣) .



وجمع من المفسِّرين [1] .

القول الثالث : طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده ، قاله القفَّال[2][3]، واختاره البيضاوي [4]، وأبو السعود [5]، والألوسي [6].

القول الرابع : طغى واستطال عليهم فلم يوافقهم في أمر ، ذكره الرازي في تفسيره [7].

القول الخامس : أنه علا عليهم بكثرة ماله وولده ، قاله قتادة [8]، واختاره الواحدي [9].

القول السادس : بَغيه عليهم بالكفر بالله ، قاله الضحاك [10].

القول السابع : أنه نسب ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته ، قاله ابن بحر .

القول الثامن : أنه كان غلاماً لفرعون فتعدى على بني إسرائيل وظلمهم، قاله يحيى بن سلام [11].

القول التاسع : أنه حسد هارون على الحبورة ، قال : إذا كانت النبوَّة لموسى ، وكان المذبح والقُربان الذي يقرَّب في يد هارون ، فما لي ؟ قاله

(١) انظر : فتح القدير (٤/٢٣١) ، تفسير المراغي (٧/١٥٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢٣) .

(٢) **القفال** = أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي ، أحد أئمة الدهر ، درس على أبي العباس ابن سريج ، ومات سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وكان إماماً ، وله مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها ، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء ، وله كتاب في أصول الفقه وله شرح الرسالة ، وعنه انتشر فقه الشافعي فيما وراء النهر ، كان إماماً في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع ، إماماً في الزهد والورع ، واللغة والشعر ، وكان من أعلم علماء عصره . سمع من ابن خزيمة ، وابن جرير ، والبغوي ، وطبقتهم . روى عنه الحاكم وغيره . انظر : طبقات الفقهاء (١٢٠) ، طبقات الشافعية الكبرى (٣/٢٠٠) .

(٣) حكاه عنه الرازي في التفسير الكبير (٢٥/١٣) .

(٤) أنوار التنزيل (٤/١٨٥) .

(٥) إرشاد العقل السليم (٥/١٣٥) .

(٦) روح المعاني (٢٠/١٦٤) .

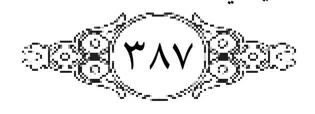
(٧) حكاه عنه الرازي في التفسير الكبير (٢٥/١٣) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣١٢) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٠٦) برقم : (١٧٠٧٩) ، (١٧٠٨٠) .

(٩) الوسيط (٣/٤٠٧) .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٩/٣٠٠٦) برقم : (١٧٠٧٧) .

(١١) القولان السابع والثامن حكاهما الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٦٤) .



الكلبي [١]، والفرَّاء [٢].

القول العاشر : أنه صنع بغيًّا ، حين أمر الله موسى برجم الزاني فعمَد قارون إلى امرأة بغيٍّ فأعطاها مالاً ، وحمَلها على أن ادَّعت عليه أنه زنى بها وقال : فأنت قد زنيت ، وحضرت البغيّ فادّعت ذلك عليه ؛ فعظم على موسى عليه السلام ما قالت ، وأحلفها بالله الذي فلق البحر لبني إسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى إلاّ صدقت فقالت : أشهد أنك بريء وأنَّ قارون أعطاني مالاً وحملني على أن قلت وأنت الصادق وقارون الكاذب فكان هذا بغيه ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وذكره الزجاج [٤]، وابن عطية [٥]، والقرطبي [٦].

ولعلَّ مما يوهن هذا القول أنه جاء فيه : وأحلفها بالله الذي فلق البحر لبني إسرائيل ، والظاهر أنَّ الله فلق البحر لبني إسرائيل بعد ذلك .

الجمع أو الترجيح :

الأقوال السَّبعة الأولى ربما يقال فيها : إنها تفسير بأمور فهمها المفسِّرون من حال قارون ، وربما دخلها ما دخل غيرها من أخبار بني إسرائيل .

والأولى أن يقال في المعنى : أنَّ قارون قد جاوز الحدَّ في العلوّ والاستكبار ، والتكبُّر والتجبُّر على قومه ، ومعاندة موسى عليه السلام ، ومحاربته والتكذيب به .

وهذا هو الأقرب للغة ، وبقية الأقوال في الآية تحتاج إلى دليل قطعي عليها ، ولا دليل .

قال النحَّاس رحمه الله : (﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي تجاوز الحدَّ في معاندة موسى عليه السلام

---

(١) ذكره عنه الرازي في التفسير الكبير (١٣/٢٥) .

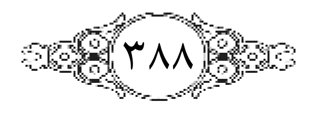
(٢) معاني القرآن للفراء (٢٦٨/٢) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٠٠٥/٩) برقم : (١٧٠٧٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٣٦/٦) عزوه لابن أبي شيبة ، والحاكم ، وابن مردويه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١١٥/٤) .

(٥) المحرر الوجيز (١٤٤٩) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧١/٢).



والتكذيب به) [١].

وقال الراغب رحمه الله : (وبغى : تكبَّر ، وذلك لتجاوزِهِ منزلته إلى ما ليس له، ويستعمل ذلك في أيّ أمر كان) [٢].

وفي لسان العرب : (يقال : فلان يَبْغي على الناس إذا ظلمهم وطلب أذاهم، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء بَغْيٌ) [٣].

والقاعدة التفسيرية تقول : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٤].

وقول عطاء الخراساني هنا مرجوح ، إذ فيه تخصيص لعام دون دليل ، وأولى منه الحمل على عموم المعنى .

ويمكن أن يقال : إنَّ قوله هنا هو من قبيل التفسير بالمثال .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الخبر على عمومه ، حتى يرد ما يخصصه [٥].

قال سيِّد قطب رحمه الله : (ولا يحدِّد القرآن زمان القصة ولا مكانها ؛ إنما يكتفي بأنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) وأورد بعض الروايات ثمَّ قال : (ولسنا في حاجة إلى كلِّ هذه الروايات ، ولا إلى تحديد الزمان والمكان ، فالقصة كما وردت في القرآن كافية لأداء الغرض منها في سياق السورة ، ولتقرير القيم والقواعد التي جاءت لتقريرها ، ولو كان تحديد زمانها ومكانها وملابساتها يزيد في دلالتها شيئاً ما ترك تحديدها ، فلنستعرضها إذن في صورتها القرآنية ، بعيدة عن تلك الروايات التي لا طائل وراءها) [٦].

والله أعلم ..

❋❋❋

(١) معاني القرآن للنحاس (٢/٦٠٢) .
(٢) المفردات في غريب القرآن (٦٦) .
(٣) لسان العرب (٢/١٢٢) .
(٤) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .
(٥) المصدر السابق (٢/٥٩٩) .
(٦) في ظلال القرآن (٥/٢٧١٠) .



الموضع الثالث :

* في قول الله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ [القصص : ٧٦] .

٦٨- **قال عطاء الخراساني** : أصاب كنزاً من كنوز يوسف [(١)] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني أنَّ من الكنوز التي كان يملكها قارون ؛ كنز من كنوز يوسف ﷺ ، سواء كان ورثه عنه ، أو كان مدفوناً فاكتشفه [(٢)]، والكنوز : جمع كنز ، وهو المال العظيم [(٣)]، ولفظ الكنز من الكليات الأغلبية، فكلُّ كنز جاء في القرآن مفرداً أو مجموعاً فالمراد به المال [(٤)].

الأقوال في الآية [(٥)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنه أصاب كنزاً من كنوز يوسف ﷺ، وحكاه الألوسي [(٦)].

القول الثاني : وآتيناه من كنوز الأموال ، ذكره الطبري [(٧)]، وابن كثير [(٨)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٠٧) ، برقم : (١٧٠٨١) بسنده قال : حدثنا أبي ، ثنا راشد بن سعيد المقدسي وأيوب من محمد الوزان قالا : ثنا ضمرة ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر .
ودراسة الإسناد : **أبي** : أبو حاتم الرازي ، وسبقت ترجمته .
راشد بن سعيد المقدسي : هو أبو بكر ، روى عن الوليد بن مسلم ، وضمرة بن ربيعة ، ومحمد بن شعيب بن شابور ، كتب عنه أبو حاتم ببيت المقدس سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، وروى عنه ، وسئل عنه فقال : صدوق . انظر : الجرح والتعديل (٣/٤٨٨) ، الكاشف (١/٣٨٨) .
أيوب بن محمد الوزَّان هو : أيوب بن محمد بن زياد الوزان أبو محمد الرقي ، مولى بن عباس ، ثقة من العاشرة ، وذكر الشيرازي أنه هو الذي يلقب بالقلب ، روى عنه : أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، مات سنة تسع وأربعين ومائتين . انظر : الكاشف (١/٢٦٢) ، تقريب التهذيب (١١٨) .
ضمرة : سبقت ترجمته .
عثمان بن عطاء هو ابن عطاء الخراساني ، وقد سبق في ترجمته أنه ضعيف جداً ، انظر : ص(٢٦٤) .
وبناءً على ذلك **فهذا الأثر ضعيف عن عطاء الخراساني** .
وقد ذكره عنه أيضاً الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٦٥) ، والواحدي في الوسيط (٣/٤٠٧) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢٠/١٦٤) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٢/٦٤٦) ، المفردات في غريب القرآن (٤٤٤) .

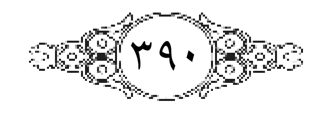
(٤) انظر : كليات الألفاظ في التفسير (٢/٧٤٣) .

(٥) انظر : النكت والعيون (٤/٢٦٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٧٢) ، البحر المحيط (٧/١٦٨) .

(٦) روح المعاني (٢٠/١٦٤) .

(٧) جامع البيان (١٨/٣١٢) .

(٨) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٩) .



القول الثالث : من الأموال المدَّخرة ، قاله جماعة من المفسِّرين [(١)].

القول الرابع : سمِّيت أمواله كنوزاً إذ كان ممتنعاً من أداء الزكاة ، وبسبب ذلك عادى موسى أوَّل عداوته ، وهذا قول ابن عطية [(٢)].

القول الخامس : أنه كان يعمل الكيمياء ، قاله الوليد ابن زروان [(٣)] [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الكنز هو المال العظيم – كما سبق – فيحمل المعنى على إطلاقه ، ولا ينبغي الخوض في تفاصيله ، من معرفة مصدره ، وكيف حصل قارون عليه ، لأنَّ العبرة والمقصود في الآيات حكاية حال قارون مع هذا الكنز ، وما أصابه بسببه من الكبر والعلو والخيلاء .

ويجوز أنَّ مَن تقدَّمه من الملوك جمعوا وكنزوا ؛ فظفر قارون بذلك وتملَّكه، أو وصل إليه بالإرث من جهات ، أو بالتكسُّب من جهة المضاربات وغيرها ، وكان الكلُّ محتملاً [(٥)] .

وهذا من علم المبهمات[(٦)]، التي لا يستفاد من معرفتها ، والخوض فيها .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ علم المبهمات موقوف على النَّقل المحْض ، ولا مجال للرأي فيه ، وأنَّ ما أُبهِم في القرآن فلا طائل في معرفته [(٧)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : (فهذه الأمور طريق العلم بها النَّقل ، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ – كاسم صاحب موسى أنه الخَضِر – فهذا مَعلوم ، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب... فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجَّة) [(٨)]. والله أعلم ..

---

(١) انظر : أنوار التنزيل (٣/١٨٥) ، إرشاد العقل السليم (٥/١٣٥) ، روح المعاني (٢٠/١٦٤) ، فتح القدير (٤/٢٣١) .

(٢) المحرر الوجيز (١٤٤٩) .

(٣) **الوليد بن زروان** = الوليد بن زروان السلمي الرقي ، روى عن أنس بن مالك ، وميمون بن مهران ، وذكره بن حبان في كتاب الثقات ، روى له أبو داود حديثاً واحداً . انظر : تهذيب الكمال (٣١/١٢) .

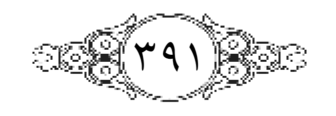
(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٠٧) برقم : (١٧٠٨٢) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (٢٥/١٣) .

(٦) المقصود بالمبهمات : ما أبهم في القرآن من أسماء بعض الأشخاص أو الأزمنة أو الأمكنة ، وقد سبق الحديث عنه ، وقد أفرد السيوطي الكلام عنه في الإتقان ، انظر ص٧٦٥ .

(٧) قواعد التفسير (٢/٧١٩) .

(٨) مجوع الفتاوى (١٣/٣٤٥) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص : ٧٩] [١] .

٦٩- **قال عطاء الخراساني** : خرَج عليهم في أربعة آلاف على البغال الشُّهب في الرحايل[٢] البُزْيُون [٣] [٤] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني ما خرج به قارون من الزينة بأنه خرَج على بني إسرائيل في أربعة آلاف على البغال الشُّهب ، في السُّرج المغطَّاة بالسندس .

الأقوال في الآية [٥] :

الأقوال كثيرة ، ومن أشهرها :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، ولعلَّه بنى قوله هذا على حديث

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

(٢) **الرحايل** : جمع رِّحالة ، وهي سرج من جلود ليس فيه خشب ، كانوا يتَّخذونه للرَّكض الشديد ، وقيل : هي أكبر من السَّرج ، وتُغشى بالجلود ، وتكون للخيل والنَّجائب من الإبل . انظر : لسان العرب (٦/١٢١-١٢٢) .

(٣) **البُزْيُون** : بالضم هو السندس وهو أعجمي معرَّب . انظر : لسان العرب (٢/٨٢) ، القاموس المحيط (١٥٢٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠١٤) ، برقم : (١٧١٣٦) بسنده قال : حدثنا أبي ، ثنا هشام بن خالد، عن الحسن بن يحيى ، عن ابن جابر ، عن عطاء الخراساني ، وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

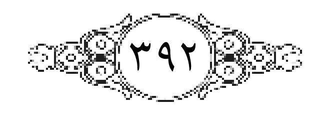
أبي : أبو حاتم الرازي ، وقد سبقت ترجمته .

هشام بن خالد : ابن زيد بن مروان الأزرق ، أبو مروان الدمشقي السلامي ، صدوق من العاشرة ، مات لسبع بقين من جمادى الأولى سنة تسع وأربعين ومائتين ، ومولده سنة أربع وخمسين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (١١/٣٥) .

الحسن بن يحيى : الخُشَني ، أبو عبد الملك ، ويقال أبو خالد الدمشقي البلاطي ، أصله من خراسان ، روى عن زيد بن واقد ، وسعيد بن عبد العزيز ، والأوزاعي ، وهشام بن عروة ، وابن جريج ، وجماعة . وروى عنه الوليد بن مسلم وهو من أقرانه ، وهشام بن خالد وهشام بن عمار وغيرهم ، صدوق كثير الغلط من الثامنة ، مات بعد التسعين . انظر : تهذيب التهذيب (٢/٢٨١) .

ابن جابر : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وسبقت ترجمته في سورة الفرقان .

(٥) انظر : بحر العلوم (٢/٦٤٧) ، الكشف والبيان (٧/٢٦٣) ، النكت والعيون (٤/٢٦٩) ، الوسيط (٣/٤٠٨)، معالم التنزيل (٣/٥٤٥) ، زاد المسير (١٠٧٢) ، البحر المحيط (٧/١٧٢) ، روح المعاني (٢٠/١٨٠) .



أخرجه ابن مردويه بسنده عن أوس بن أوس الثقفي[1] عن النبي ﷺ : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ قال : « فِيْ أَرْبَعَةِ آلَافِ بَغْلٍ ، يَعْنِيْ عَلَيْهِ الْبُزْيُوْن »[2].

القول الثاني : ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ في حشَمه ، ذُكر أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم وعلى دوابهم الأُرْجُوَان[3]، وهذا قول قتادة[4].

القول الثالث : ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾في تَبَعه في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات وكان أول يوم رؤيت فيه المعصفرات ، قاله ابن زيد[5]، وقال مالك بن دينار[6]: في ثياب معصفرة[7][8].

القول الرابع : ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ في جوارٍ بيض على بغال بيض ، بسروج من ذهب ، على قطف أرجوان ، وهنَّ على بغال بيض ، عليهنَّ ثياب حمر ، وحلي ذهب ، قاله السدي[9].

القول الخامس : خرج على ألف بغلة شُهْب عليها مياثر الأُرجوان ، وهذا قول قتادة[10].

القول السادس : خرج على بغلة شَهْباء ، عليها الأُرجُوان ، ومعه ثلاثمائة

(١) **أوس بن أوس الثقفي** = صحابي سكن دمشق ومات بها ، روى عن النبي ﷺ في فضل الاغتسال يوم الجمعة ، وروى عنه أبو الأشعث الصنعاني ، وعبادة بن نسي ، وأبو أسماء الرحبي ، وجماعة . له مسجد بدرب القلي. انظر : الكاشف (١/٢٥٧) ، تهذيب التهذيب (١/٣٣٣) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٤١) لابن مردويه ، ولم أقف عليه في كافة كتب السنَّة .

(٣) **الأُرجوَان** = صِبغ أحمر شديد الحُمرة ، وقيل إنَّ الأرجوان معرَّب ، وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون، وكل لون يشبهه فهو أرجوان . انظر : لسان العرب (٦/١١٩) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢/٤٩٩) ، الطبري في تفسيره (١٨/٣٣٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠١٤) برقم : (١٧١٣٧) ، (١٧١٤٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٤٠) عزوه لعبد بن حميد .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٣٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠١٤) برقم : (١٧١٣٩) .

(٦) **مالك بن دينار** = البصري الزاهد ، أبو يحيى السامي الناجي ، صدوق عابد ، من الخامسة ، روى عن أنس وسعيد بن جبير ، وروى عنه أبان وهمام ، وثقه النسائي ، مات سنة ثلاثين ومائة أو نحوها . انظر : الكاشف (٢/٢٣٥) ، تقريب التهذيب (٥١٧) .

(٧) **الثوب المعصفر** : أي المصبوغ بالألوان ، وأصل العصفُر نبات يصبغ به . انظر : لسان العرب (١٠/١٧٤) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٣٠) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٩/٣٠١٤) برقم : (١٧١٣٤) .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٩/٣٠١٤) برقم : (١٧١٣٥) .



جارية ، على بغال شُهْب ، عليهنَّ ثياب حمر . وهو قول ابن جُرَيج [(١)].

القول السابع : أنه خرج على البراذين [(٢)] البيض ، عليها سروج الأرجوان، عليهم المعصفرات ، وهذا قول مجاهد [(٣)].

القول الثامن : ﴿فِي زِينَتِهِۦ﴾في القِرْمِز [(٤)]، قاله جابر بن عبد الله رضي الله عنه[(٥)]، وعبارة أبي الزبير رضي الله عنه [(٦)]، وعطاء[(٧)]: في ثوبين أحمرين ، وقيل : في ثياب حمر ، وهذا قول مجاهد [(٨)]، وقال الزُّبيدي [(٩)]: عليه ثياب حمر ، وخفَّان أبيضان [(١٠)].

القول التاسع : في صُفْر وحُمْر ، وهو قول الحسن [(١١)]، وإبراهيم النّخعي[(١٢)].

القول العاشر : خرج في شارته . وهذا قول الضَّحاك [(١٣)].

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٩/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠١٤/٩) برقم : (١٧١٤١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٤١/٦) عزوه لابن المنذر .

(٢) **البَرَاذِين** = جمع بِرذَون ، وهي الدابة ، معروف ، وسيرته البرذنة ، والأنثى برذونة . انظر : لسان العرب (٥٧/٢) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٩٨/٢) ، والطبري في تفسيره (٣٢٩/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠١٣/٩) برقم : (١٧١٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٤٠/٦) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) **القِرْمِز** : صبغ أحمر ، ويقال : إنه حيوان تصبغ به الثياب فلا يكاد ينصل لونه ، وهو معرَّب . لسان العرب (٨٤/١٢) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٨/١٨) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٠/٦) لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٠١٣/٩) برقم : (١٧١٣٢) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٨/١٨) .

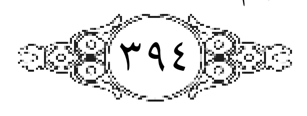
(٩) **الزبيدي** = إبراهيم بن العلاء بن الضحاك بن المهاجر بن عبد الرحمن الزبيدي الحمصي ، المعروف بابن زِبْريق ، صدوق ، مستقيم الحديث إلا في حديث واحد ؛ يقال إنَّ ابنه محمداً أدخله عليه ، من العاشرة ، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وله ثلاث وثمانون سنة . انظر : تقريب التهذيب (٩٢) .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٠١٥/٩) برقم : (١٧١٤٢) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٩/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠١٣/٩) برقم : (١٧١٣٣) .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٩/١٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٤٠/٦) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٠١٤/٩) برقم : (١٧١٣٩) .



الجمع أو الترجيح :

القول الصحيح في هذه الآية - والله أعلم – أنها زينة على إطلاقها ، إذ لا دليل يقيِّد الزينة بما ذكره المفسِّرون من أقوال في الآية .

والتحقيق على أنَّ الأقوال التي قالها المفسِّرون في الآية لا تصح ، ولا يعتمد عليها في تفسير الآية [(١)].

والزينة : مابه جمال الشيء والتباهي به من الثياب والطيب والمراكب والسلاح والخدم .

والمقصود : أنَّه خرج بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه ، قد كان له من الأموال ما كان ، وقد استعدَّ وتجمَّل بأعظم ما يمكنه ، وخرج في حشم وخدم ، وهذه الحال في العادة من مثله تكون هائلة ، فقد جُمعت له زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفَخْرها ، وخرج يريد بذلك التَّعالي وإظهار العظمة والخيلاء على الناس ، فانبهر لزينته كلُّ من رآها [(٢)].

وقد اقتصر ابن عطيَّة ﷾ على ذكر بعض الأقوال ، ثمَّ قال : (وأكثَرَ المفسِّرون في تحديد زينة قارون وتعيينها مما لا صحة له فاختصرته) [(٣)].

وقال الرازي ﷾ : (فيدلُّ على أنه خرج بأظهر زينة وأكملها ، وليس في القرآن إلاَّ هذا القدر ، إلا أنَّ الناس ذكروا وجوهاً مختلفة في كيفية تلك الزينة... والأولى ترك هذه التقريرات لأنها متعارضة) [(٤)].

وقال المراغي ﷾ : (وقد رُوي عن مفسِّري السلف في زينة قارون ما يجعلنا نقف أمامه موقف الحذِر ، ويجعلنا نعتقد أنَّ الإسرائيليات سداه ولُحمته) [(٥)].

وعليه فليس في أقوال المفسِّرين السالفة حجَّة يصحَّ أن نسلِّم لها ، إذ هي

---

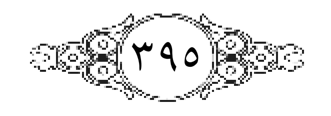
(١) انظر : المحرر الوجيز (١٤٥١) ، التفسير الكبير (١٦/٢٥) ، تفسير ابن كثير (٤٤٠/٣) ، فتح القدير (٢٣٦/٤) ، تفسير المراغي (١٦٠/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢٤) ، التحرير والتنوير (١٨٣/٢٠) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤٤٠/٣) ، فتح القدير (٢٣٦/٤) ، تفسير المراغي (١٦٠/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢٤) ، التحرير والتنوير (١٨٣/٢٠) .

(٣) المحرر الوجيز (١٤٥١) .

(٤) التفسير الكبير (١٦/٢٥) .

(٥) تفسير المراغي (١٦٠/٧) .



من منقولاتهم عن أهل الكتاب فيما يظهر .

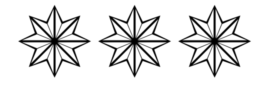
وأما الحديث الذي ذكره السيوطي عن ابن مردويه فلو صحَّ لقيل بقبول قول عطاء الخراساني ومن وافقه .

قال الشوكاني رحمه الله : (وقد رُوي عن جماعة من التابعين أقوال في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصحُّ منها شيء مرفوعاً ، بل هي من أخبار أهل الكتاب ، ولا أدري كيف إسناد هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه فمن ظفر بكتابه فينظر فيه) (١).

وهذا من علم المبهمات ، التي لا يستفاد من معرفتها ، والخوض فيها .

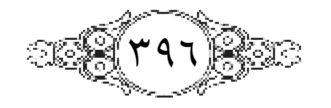
والقاعدة التفسيرية : أنَّ علم المبهمات موقوف على النَّقل المحْض ، ولا مجال للرأي فيه ، وأنَّ ما أُبهِم في القرآن فلا طائل في معرفته (٢).

والله أعلم ..



(١) فتح القدير (٤/٢٣٦) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٧١٩) .



سورة العنكبوت

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت : ٣] [(١)].

٧٠- **قال عطاء الخراساني** : بَلوْنا الذين من قبلهم [(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الفتنة بالابتلاء ، في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ، أي بلونا أتباع الأنبياء من الأمم السالفة ، وأصبناهم بضروب من البأساء والضرَّاء ، وهذه سنَّة الله في سالف أهل الإيمان ، أن يبتليهم بالسرَّاء والضرَّاء ، والعسر واليسر ، والمنشط والمكره ، والغنى والفقر ، ونحو ذلك من الفتن ، وفي ذكر ذلك تسلية وتعزية للنبي ﷺ والمؤمنين [(٣)].

وقول عطاء الخراساني ؛ وافق فيه مجاهد [(٤)]، وقتادة [(٥)]، والضَّحاك [(٦)]، وسعيد بن جبير ، ومعاوية بن قرَّة [(٧)] ، وخُصَيف [(٨)]، وعامة المفسِّرين على هذا المعنى [(٩)].

وعبَّر بعض المفسِّرين عن معنى الفتنة في الآية بالاختبار ، أي اختبرناهم .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٧) ص١٠٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(١٧١) ، وقد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٢/٩) بعد الأثر رقم : (١٧١٣٨) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (١٤٥٤) ، تفسير المراغي (١٦٩/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢٦) .

(٤) تفسير مجاهد (٢٠٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٩/١٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٥٠/٦) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

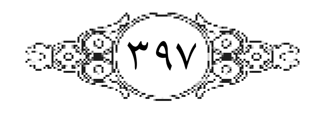
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٩/١٨) ، ، وزاد السيوطي عزوه لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٢/٩) برقم : (١٧١٣٨) .

(٧) **معاوية بن قرَّة** = ابن إياس بن هلال ، أبو إياس المزني البصري ، روى عن : أبيه ، وابن عباس ، وابن مغفل. وروى عنه : ابنه إياس وشعبة ، وخلق ، عالم عامل ، ثقة من الثالثة ، ولد يوم الجمل ومات سنة ١١٣هـ ، وهو ابن ست وسبعين سنة . انظر : الكاشف (٢٧٧/٢) ، تقريب التهذيب (٥٣٨) .

(٨) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٢/٩) بعد الأثر رقم : (١٧١٣٨) .

(٩) انظر : معاني القرآن للنحاس (٩٠٩/٢) ، معالم التنزيل (٥٥٠/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٧٨/٢) ، تفسير ابن كثير (٤٤٥/٣) .



وهذا قول سعيد بن جبير [(١)]، وجماعة من المفسِّرين [(٢)].

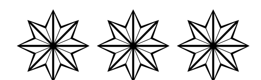
قال الزمخشري رحمه الله : (والفتنة : الامتحان بشدائد التكليف : من مفارقة الأوطان ، ومجاهدة الأعداء ، وسائر الطاعات الشَّاقة ، وهجر الشَّهوات والملاذّ ، وبالفقر ؛ والقحط ، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم) [(٣)].

ومما يتَّضح من المعنى اللغوي أنَّ الفتنة هي الابتلاء والاختبار ، وعليه فلا حاجة للتفريق بينهما .

قال الزجَّاج رحمه الله : (أي اختبرنا وابتلينا) [(٤)].

وقال الراغب رحمه الله : (وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ، وهما في الشِّدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً)[(٥)].

وقال ابن عاشور رحمه الله : (في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ انتقال إلى التنويه بالفُتون لأجل الإيمان بالله بأنه سنة الله في سالف أهل الإيمان ، وتأكيد الجملة بلام القسم وحرف التحقيق لتنزيل المؤمنين حين استعظموا ما نالهم من الفتنة من المشركين واستبطئوا النصر على الظالمين ، وذهولهم عن سنة الكون في تلك الحالة ؛ منزلة من ينكر أنَّ من يخالف الدَّهماء في ضلالهم ويتجافى عن أخلاقهم ورذالتهم لا بدّ أن تلحقه منهم فتنة) [(٦)]. والله أعلم ، ،



(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٢/٩) برقم : (١٧١٣٩) .

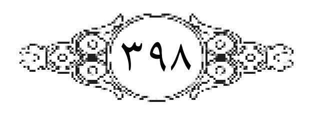
(٢) انظر : بحر العلوم (٦٥٢/٢) ، الكشف والبيان (٢٧٠/٧) ، الكشاف (٨١٢) ، المحرر الوجيز (١٤٥٤) ، أنوار التنزيل (١٨٨/٤) ، مدارك التنزيل (٢٨٢/٢) ، البحر المحيط (١٧٨/٧) ، إرشاد العقل السليم (١٤١/٥) روح المعاني (٢٠٠/٢٠) ، فتح القدير (٢٣٩/٤).

(٣) الكشاف (٨١٢) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١٢٠/٤) ، وبنحوه قال ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٧٦) .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٣٧٤) .

(٦) التحرير والتنوير (٢٠٣/٢٠-٢٠٤) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت : ١٠] [(١)].

٧١- **قال عطاء الخراساني** : إذا أصابه بلاء في الله عَدَل عذاب الله بعذاب الناس، وعذاب الله لا ينقطع ولا يزول ، وعذاب الناس ينقطع [(٢)] .

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني أنَّ من الناس فريق يقول : آمنَّا بالله وأقررنا بوحدانيته ، ولم يرسخ الإيمان في قلبه ، فإذا لحقه من الناس أذى ، ورأى دفْعه بالرجوع عن دينه، عدَل فتنة الناس بعذاب الله ، فجعل فتنة الناس صارفة له عن الإيمان ، كما أنَّ عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر ، مع أنَّ عذاب الناس له دافع ، ويمكن أن يزول ، وعذاب الله ليس له دافع ، ولا يمكن أن يزول أو ينقطع[(٣)].

وفي الآية كناية عن لحوق عذاب الله لهذا الإنسان في حال رجوعه ، وفيه تضمين للحوق عذاب الله ، وأنَّ رجوعه مستلزم لإلحاق العقوبة به عاجلاً أو آجلاً .

وفيه إشارة إلى عدم كمال علمه بقدرة الله وعظمته ، وما سينزل به من الله سبحانه إن هو ساوى بين فعل المخلوقين وعذاب الخالق ؛ وجعلهما في الابتلاء سواء . وهذا أمر يؤدي به إلى فساد اعتقادي ، وعذاب قلبي ، قبل لحوق العذاب الحسي .

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٧/٩-٣٠٣٨) ، برقم : (١٧١٧٣) ، (١٧١٧٤) ، (١٧١٧٧) . بسنده قال : أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قراءة ، أخبرني محمد بن شعيب بن شابور ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه عطاء ...وذكر الأثر ، وقد سبقت دراسة الإسناد ص(٢٦٤) .

(٣) انظر : تفسير المراغي (١٧٣/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢٧) ، التحرير والتنوير (٢١٦/٢٠) ، أضواء البيان (٣٠٦/٦) .

(٤) انظر : جامع البيان (٣٦٤/١٨) ، تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٣٧/٩-٣٠٣٨) ، الوسيط (٤١٤/٣) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٤/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠٣٨/٩) ، برقم : (١٧١٧٥) .



ومجاهد [(١)]، وهو الذي عليه جمهور المفسِّرين [(٢)].

القول الثاني : أنَّ المقصود هو المنافق ؛ إذا أُوذي في الله رجَع عن الدِّين وكفَر ، وجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وهذا قول ابن زيد [(٣)].

وروي في نزول الآية أقوال منها :

الأول : أنها نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين ، رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم ، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله . قاله الضَّحاك [(٤)].

الثاني : كان أناس من المؤمنين آمنوا وهاجروا ، فلحِقهم أبو سفيان فردَّ بعضهم إلى مكة فعذَّبهم ، فافتتنوا ، فأنزل الله فيهم هذا ، وهذا قول السدِّي [(٥)]، وبنحوه قال قتادة [(٦)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، ولا إشكال فيها ولا تعارض ، والخلاف فيها لفظي ، مضمونه أنَّ المقصود هو الكلام عمَّن قال إنه مؤمن ، ثمَّ إذا تعرَّض لبلاء أو إيذاء أو تهديد من الناس ، قارنَ عذابهم بعذاب الله ، مع أنه لا مجال للمقارنة

---

(١) تفسير مجاهد (٢٠٤) ، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٥/١٨) ، ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٧/٩) ، برقم : (١٧١٧١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٥٢/٦) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد، وابن المنذر ، ولفظه : (أناس يؤمنون بألسنتهم ، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة) .

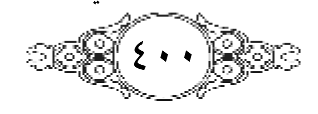
(٢) انظر : جامع البيان (٣٦٤/١٨) ، بحر العلوم (٦٥٤/٢) ، الكشف والبيان (٢٧٢/٧) ، معالم التنزيل (٥٥٢/٣) ، الكشَّاف (٨١٥) ، المحرر الوجيز (١٤٥٦) ، زاد المسير (١٠٧٨) ، التفسير الكبير (٣٥/٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٨٠/٢) ، أنوار التنزيل (١٨٩/٤)، مدارك التنزيل (٢٨٤/٢) ، التسهيل (٢٠٩/٣) ، البحر المحيط (١٨٢/٧) ، تفسير ابن كثير (٤٤٦/٣) ، إرشاد العقل السليم (١٤٣/٥) ، روح المعاني (٢٠٧/٢٠) ، فتح القدير (٢٤١/٤) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٤/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠٣٨/٩) ، برقم : (١٧١٧٦) .

(٤) **ضعيف** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٥/١٨) ، وهو ضعيف لإعضاله . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٦/٣) .

(٥) **ضعيف** . أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٣٧/٩) ، برقم : (١٧١٧٢) ، وسنده ضعيف جداً ، لإعضاله ، وفيه أسباط وهو ضعيف . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٦/٣) .

(٦) **حسن** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٦/١٨) ، ولفظه : (أنزلت فِي القوم الذين ردَّهم المشركون إلى مكة) ، وهو مرسل صحيح الإسناد . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٥/٣) .

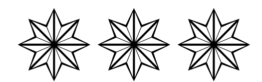


بينهما .

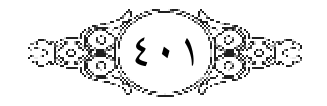
قال الزجَّاج رحمه الله : (فـإذا نالـه أذى أو عـذاب بـسبب إيمانـه جـزِعَ مـن ذلـك مـا يجـزع مـن عـذاب الله ، وينبغـي للمـؤمن أن يـصبر علـى الأذيـة في الله عـزَّ وجلَّ)[1].

وعلى هذا فقـول عطـاء الخراسـاني موافـق لمـا عليـه عامـة أهـل التفـسير ، ولم يتعرَّض لما ورد من أقوال في سبب النزول .

والله أعلم ، ،



(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/١٢١) .



الموضع الثالث :

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت : ١٧] [١].

٧٢- قال عطاء الخراساني : تنحتون وتصوِّرون إفكاً [٢] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني خلْق الإفك في الآية بالنَّحت والتصوير ، والإفك : كل مصروف عن وجهه الذي يحقُّ أن يكون عليه ، يقال : رجل مأفوك ؛ أي : مصروف عن الحقِّ إلى الباطل [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، تنحتون وتصوِّرون إفكاً ، وهو قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما [٥]، والحسن [٦]؛ وعليه فالمعنى : إنما تعبدون أوثاناً وأنتم تصنعونها ، وسمَّاه خلقة على وجه التجوُّز ، قاله النحَّاس[٧]، وابن جزيّ [٨].

القول الثاني : أي وتصنعون كذباً ، وهو رواية عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٩]، ومجاهد ، وعكرمة [١٠]، والحسن [١١]،.................................

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٨) ص١٠٠، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٤٤) برقم : (١٧٢١٣) . بسنده قال : أخبرنا العبّاس بن الوليد ، أخبرني محمد بن شعيب ، أخبرني عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وسبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(٢٦٤) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٨-٢٩) .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤/١٢٤) ، الكشف والبيان (٧/٢٧٤) ، المحرر الوجيز (١٤٥٨) ، زاد المسير (١٠٨٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٨٣) ، البحر المحيط (٧/١٨٦) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٧٤) من طريق عطاء الخراساني ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٥٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٦) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٨٣) .

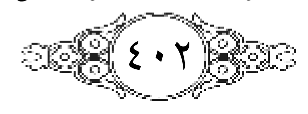
(٧) معاني القرآن للنحاس (٢/٩١١) .

(٨) التسهيل (٣/٢١٠) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٧٣) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٤٤) برقم : (١٧٢١٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٥٧) عزوه لابن المنذر .

(١٠) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٤٤) بعد الأثر رقم : (١٧٢١٤) .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٥) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٤٤) بعد الأثر رقم : (١٧٢١٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٥٧) عزوه لابن المنذر .



ورجَّحه الطبري [١]، وابن كثير [٢].

القول الثالث : يقولون إفكاً وكذباً ، وهو رواية عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما [٣]، ومجاهد [٤]، والسدِّي [٥]، وبنحوه قال عامة المفسِّرين [٦]، والمقصود : يقولون إفكاً وكذباً بتسميتهم الأصنام آلهة .

القول الرابع : أي : وتصنعون أصناماً بأيديكم فتسمُّونها آلهة ، قاله مجاهد [٧]، ومقاتل [٨]، واختاره السَّمرقندي [٩]، وبنحوه قال الزمخشري [١٠].

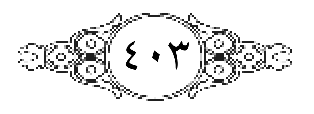
القول الخامس : تصنعون أصناماً ، وهو قول قتادة [١١]، وابن زيد [١٢].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها متقاربة ، والخلاف فيها لفظي ، تنوعت به عبارات المفسِّرين ، وإلا فالمعنى واحد ، وهو أنهم كانوا ينحتون ويصوِّرون الأصنام التي يعبدونها من دون الله ، ويختلِقون لها أسماء الآلهة كذباً ، ثمَّ يأمرون الناس بعبادتها .

قال الألوسي رحمه الله : (والمراد بالإفك : نفس الأوثان ، وجعلها كذباً مبالغة ، أو الإفك بمعنى المأفوك وهو المصروف عمَّا هو عليه ، وإطلاقه

(١) جامع البيان (١٨/٣٧٤) .
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٩) .
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٧٤) ، ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٤٤) برقم : (١٧٢١٢) .
(٤) تفسير مجاهد (٢٠٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٧٤) .
(٥) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٤٤) بعد الأثر رقم : (١٧٢١٢) .
(٦) انظر : الكشف والبيان (٧/٢٧٤) . الوسيط (٣/٤١٦) . معالم التنزيل (٣/٥٥٣) ، أنوار التنزيل (٤/١٩١) . مدارك التنزيل (٢/٢٨٥) ، إرشاد العقل السليم (٥/١٤٧) ، روح المعاني (٢٠/٢١٤) ، فتح القدير (٤/٢٤٥) ، تفسير المراغي (٧/١٧٧) .
(٧) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٧/٢٧٤) .
(٨) حكاه البغوي عنه في معالم التنزيل (٣/٥٥٣) .
(٩) بحر العلوم (٢/٦٥٥-٦٥٦) .
(١٠) الكشاف (٨١٦) .
(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٧٤) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٤٤) برقم : (١٧٢١٥) .
(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٣٧٤) .



على الأوثان لأنها مصنوعة وهم يجعلونها صانعاً) [1].

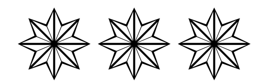
وقال الطاهر بن عاشور ﵀: (أي : وتضعون لها أخباراً ومناقب وأعمالاً مكذوبة موهومة) [2].

وقال السعدي ﵀ جامعاً بين الأقوال السابقة : (تنحتونها وتخلقونها بأيديكم ، وتخلقون لها أسماء الآلهة ، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسُّك بذلك) [3].

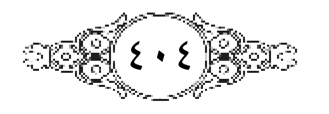
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [4].

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح داخل في المعنى .

والله أعلم ،،



(١) روح المعاني (٢٠/٢١٤) .
(٢) التحرير والتنوير (٢٠/٢٢٥) .
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٨) .
(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت : ٤١] [(١)].

٧٣- **قال عطاء الخراساني** : نسَجَت العنكبوت مرَّتين : مرَّة على داود عليه السلام [حين كان جالوت يطلبه] [(٢)]، والثانية على النبي محمد ﷺ [(٣)] .

الدراسة :

* يبين عطاء الخراساني أنَّ العنكبوت قد نَسجت خيوطها على نبيَّيْن من أنبياء الله حماية لهما ، هما : داود عليه السلام حين كان جالوت يطلبه ، ومرَّة على نبينا محمد ﷺ أثناء هجرته إلى المدينة مع أبي بكر ، وهما متخفِّيان في غار ثور ، وهذا من اللطائف التفسيرية التي ذكرها عطاء الخراساني .

وفي هذه الآية يبيِّن الله مثلاً للمشركين الذين لهم آلهة يدعونها من دون الله أنَّ مثلهم كمثل بيت العنكبوت ، واهن ضعيف لا ينفع ، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وقاله قتادة [(٥)]، وبنحوه قال ابن زيد [(٦)]، وعامة المفسِّرين على هذا المعنى [(٧)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ .

(٢) مابين المعقوفتين زيادة عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٨٨) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٦٣) برقم : (١٧٣٢٣) بسنده ، قال : حدثنا علي بن الحسين ، ثنا أبو عمير ، ثنا ضمرة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه قال : ... وذكر الأثر ، وسبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(٢٦٤) . وذكره عنه أيضاً : الماوردي في النكت والعيون (٤/٢٨٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٨٨) ، والشوكاني في فتح القدير (٤/٢٥٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٤٠٤) .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٧) ، والطبري (١٨/٤٠٤) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٦٢) برقم : (١٧٣٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٦٣) عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٤٠٤) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٦٣) برقم : (١٧٣٢١) .

(٧) انظر : بحر العلوم (٢/٦٦١) ، الكشف والبيان (٧/٢٧٩) ، الوسيط (٣/٤٢٠) ، معالم التنزيل (٣/٥٥٧)، الكشاف (٨١٩) ، المحرر الوجيز (١٤٦٣) ، زاد المسير (١٠٨٣) ، التفسير الكبير (٢٥/٦٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٨٨) ، أنوار التنزيل (٤/١٩٥) ، مدارك التنزيل (٢/٢٩٢) ، التسهيل (٣/٢١٤) ، البحر المحيط (٧/١٩٥) ، تفسير ابن كثير (٣/٤٥٦) ، روح المعاني (٢٠/٢٣٩) ، فتح القدير (٤/٢٥٤) .

قال ابن كثير رحمه الله : (هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسَّكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمَنْ يتمسَّك ببيت العنكبوت ، فإنه لا يجدي عنه شيئاً) [(١)].

وقد أخذ عطاء الخراساني في قوله هذا بقصَّة نسج العنكبوت خيوطها على النبي ﷺ وصاحبه في رحلة الهجرة ، وقد وردت فيها أحاديث سأوردها بشيء من التفصيل لدراستها ، ومن ذلك :

الحديث الأول :

روى الإمام أحمد في مسنده قال : حدَّثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال وأخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] قال : " تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبَح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي ﷺ- ، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم بل أخرجوه ، فأطْلع الله عزَّ وجل نبيه ﷺ على ذلك ، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ؛ فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا علياً ردَّ الله مكرهم ؟ فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمرّوا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال " [(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٥٦) .

(٢) **ضعيف** . أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٤٣) بأطول من هذا ، وأحمد في مسنده (٣٢٤١) ، والطبري في تفسيره (١١/١٣٦) ، والطبراني في الكبير (١٢١٥٥) ، والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/١٩١) ، والحديث في إسناده عثمان بن عمرو بن ساج الجزري فيه ضعف ، تفرَّد بتوثيقه ابن حبان ، وحديثه صالح للاعتبار . انظر : تهذيب التهذيب (٧/١٣١) ، تقريب التهذيب (٣٨٦) . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/١٧٤) : عثمان الجزري ، ويقال له : عثمان المشاهد . روى عن مقسم ، روى عنه معمر والنعمان ، سمعت أبي يقول ذلك ، وأورده البخاري في التاريخ الكبير (٦/٢٥٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٧) : (رواه أحمد والطبراني ، وفيه عثمان بن عمرو الجزري وثَّقه ابن حبان وضعَّفه غيره ،

الحديث الثاني :

أخرج أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر عن بشار الخفاف ، عن جعفر بن سليمان ، حدثنا أبو عمران الجوني ، حدثنا المعلى بن زياد ، عن الحسن، قال : " انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار فدخلا فيه ، فجاء العنكبوت فنسجت على باب الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ ، فكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت ؛ قالوا : لم يدخله أحد ..." [(1)].

وبقية رجاله رجال الصحيح) .

وذهب بعض أهل العلم إلى تحسين القصة منهم :

١- الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/١٨١) فقال : وهذا إسناد حسن ، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ .ا.هـ.

٢ - وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٧/٢٩٥) : وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن ... وذكر القصة .ا.هـ.

٣- وحسَّنه الزرقاني في شرح المواهب (١/٣٢٣) .

* **وحكم عدد من أهل العلم على القصة بالضعف** ، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض العلماء ضعفها على أنَّ عثمان الجزري هو ابن عمرو بن ساج ، ومنهم :

١ - الشيخ أحمد شاكر . قال في " تخريج المسند " (٣٢٥١) : في إسناده نظر .

٢ - الشيخ الألباني . قال في تعليقه على فقه السيرة (ص١٦٣) لمحمد الغزالي : في المسند من طريق عثمان الجزري أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس به . وحسن المؤلف إسناده، وكأنه تبع فيه ابن كثير في البداية ، وتبعه أيضا الحافظ في الفتح ، وفي تحسينه نظر فإن عثمان الجزري وهو ابن عمرو بن ساج . ا.هـ ، وقال في الضعيفة (٣/٣٣٩) : واعلم أنه لا يصح حديث في العنكبوت والحمامتين على كثرة ما يذكر ذلك في بعض الكتب والمحاضرات التي تلقى بمناسبة هجرته ﷺ إلى المدينة، فكن من ذلك على علم .ا.هـ

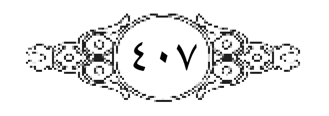
٣ – الشيخ شعيب الأرنؤوط ﵀. قال في تخريجه لـ : مسند الإمام أحمد (٥/٣٠١) : " إسناده ضعيف ، عثمان الجزري ، ويقال له : عثمان المشاهد ... " وذكر كلام الإمام أحمد وأبي حاتم في الرجل .

٤ – الشيخ بكر أبو زيد ﵀ قال في " التحديث بما قيل : لا يصح فيه حديث " (ص ١٣٣) عن غار حراء : نسج العنكبوت عليه وقصة الحمامتين . ونقل كلام الشيخ الألباني الآنف في الضعيفة .

فائدتين : - **الفائدة الأولى** : هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بصحبة الصديق ﵁ جاءت من حديث عائشة ﵂ في البخاري (٣٩٠٥) ، بوب البخاري لها : باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ولم يذكر فيها نسج العنكبوت والحمامتين ، وأورد البخاري تحت الباب عدة روايات ولم يذكر فيها شيء من قصة نسج العنكبوت .

- **الفائدة الثانية** : قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في " تخريج المسند " (٥/٣٠٢) : وقد فات الحسيني وابن حجر أن يذكراه في كتابيهما مع أنه من شرطهما .ا.هـ. ويقصد عثمان الجزري وليس عثمان بن ساج الجزري، فهذا مترجم له في التهذيب .

(١) هذه الرواية معلولة :



الحديث الثالث :

عن أبي مصعب المكي قال : أدركت أنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ؛ فسمعتهم يتحدثون أنَّ النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله عزَّ وجل شجرة ، فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره ، و إنَّ الله عز و جل بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه النبي ﷺ ... "[1].

الحديث الرابع :

أخرج الخطيب البغدادي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُوْ بَكْرٍ الغَارَ ، فَاجْتَمَعَتِ الْعَنْكَبُوْتُ ، فَنَسَجَتْ بِالْبَابِ ، فَلاَ تَقْتُلُوْهُنَّ»[2].

الجمع أو الترجيح :

ما روي في قصَّة نسج العنكبوت خيوطها على باب الغار ، في رحلة الهجرة على

---

١ - في سندها بشار بن موسى الشيباني الخفاف . قال البخاري : منكر الحديث . وقال يحيى بن معين والنسائي : ليس بثقة . وقال أبو زرعة : ضعيف . وقال الحافظ ابن حجر : ضعيف كثير الغلط كثير الحديث .
٢ - أنها مرسلة عن الحسن . قال الذهبي في " الموقظة " (ص ١٧) : " من أوهى المراسيل عندهم : مراسيل الحسن .

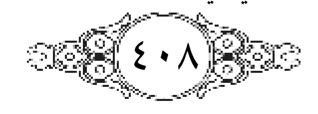
وأوهى من ذلك : مراسيل الزهري ، وقتادة ، وحميد الطويل ، من صغار التابعين .

وغالب المحققين يعدون مراسيل هؤلاء معضلات ومنقطعات ؛ فإنَّ غالب روايات هؤلاء عن تابعي كبير ، عن صحابي ، فالظن بمرسله أنه أسقط من إسناده اثنين .ا.هـ .

وذهب ابن كثير في " البداية والنهاية " (٢٣٩/٢) إلى تحسين هذه الرواية لأنها تشهد للرواية الأولى فقال : " وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بماله من الشاهد " . والحديث أورده العلامة الألباني في " السلسلة الضعيفة " (١١٢٩) .

(١) **ضعيف** . أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٢٩/١) ، والبزار كما في كشف الأستار (١٧٤١) . وقد حكم العلامة الألباني في " الضعيفة " (١١٢٨) على هذه الرواية بالنكارة ، وسأكتفي بكلامه في تخريج الحديث فقال : (وقال الهاشمي : " تفرد به أنس ومن ذكر معه ، لا نعرفه إلا من حديث مسلم بن إبراهيم عن عون بن عمرو القيسي عن أبي مصعب " ، وقال العقيلي : " لا يتابع عليه عون وأبو مصعب رجل مجهول " ؛ قلت: وأشار البزار إلى جهالته بقوله : " لا نعلم رواه إلا عون بن عمير ، وأبو مصعب فلا نعلم حدث عنه إلا عوين " ، وقال ابن معين في عون : " لا شيء " ، وقال البخاري : " منكر الحديث ، مجهول " ، ذكره الذهبي في " الميزان " وساق له حديثين مما أنكر عليه هذا أحدهما . وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه البداية (١٨٢/٣) : " وهذا حديث غريب جدا " . وقال الهيثمي في المجمع (٥٣/٦) : " رواه البزار والطبراني ، وفيه جماعة لم أعرفهم) .

(٢) **ضعيف** . أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠١/١٠) . وقال عنه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٢٦١/١) : منكر ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٦) للخطيب .



النبي ﷺ وصاحبه ، لا يَثبت فيها شيء ، ولا تصلح الرواية فيها للاحتجاج بها [١] .

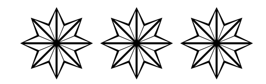
قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ﷺ : (واعلم أنه لا يصحُّ حديث في العنكبوت ، والحمامتين) [٢].

وقال شيخنا محمد بن صالح العثيمين ﷺ : (فما يوجد في بعض التواريخ ، أنَّ العنكبوت نسجت على باب الغار ، وأنه نبت فيه شجرة ، وأنه كان على غصنها حمامة، وأنَّ المشركين لما جاءوا إلى الغار قالوا هذا ليس فيه أحد ، فهذه الحمامة على غصن شجرة على بابه ، وهذه العنكبوت قد عششت على بابه ، كل هذا لا صحَّة له ، لأنَّ الذي منع المشركين من رؤية النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر ليست أموراً حسِّية - تكون لها ولغيرها - بل هي أمور معنوية ، وآية من آيات الله عزَّ وجل ، حجب الله أبصار المشركين عن رؤية الرسول ﷺ ، وصاحبه أبي بكر ﷺ) [٣].

وعلى كلِّ حال : فقصة العنكبوت قصة مشهورة ، من قال بصحتها أو تحسينها فقوله معتبر ، لأنه يعتمد على تصحيح أئمة معتبرين ، والأمر فيها واسع ، وربما كانت من الضعيف المتجاوز عنه في الأخبار والسِّيَر ، إذ لا تؤثر في عقيدة ، ولا يبنى عليها حكم أو عمل .

وما ذكره عطاء الخراساني من أنَّ العنكبوت نَسَجَت على داود حين كان يطلبه جالوت فهذا من الإسرائيليات التي لم أجد من نقلها غيره ، ولم تثبت .

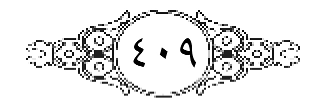
ومن تأمَّل أيضاً وجد أنه لا علاقة لإيراد قصة نسج العنكبوت بهذه الآية ، فلعلَّه أراد أن يذكر القصة عند ذكر العنكبوت في القرآن .



(١) السيرة النبوية الصحيحة (١/٢٠٧-٢٠٨) .

(٢) السلسلة الضعيفة (٣/٣٣٩) .

(٣) شرح رياض الصالحين (١/٥٦٤-٥٦٥) .



الموضع الخامس :

* في قول الله تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [العنكبوت : ٥٣] [١] .

٧٤- **قال عطاء الخراساني** : يوم القيامة [٢] .

الدراسة :

* يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول ﷺ ، وما جاء به ، فهم من شدة تكذيبهم يستعجلون العذاب ، فيقول تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب لنزوله ، ولم يأت بعد ، لجاءهم ذلك العذاب بسبب تكذيبهم للحق، ولو أخذناهم بجهلهم ؛ لكان كلامهم أسرع لبلائهم وعقوبتهم ، ولكن مع ذلك سيأتيهم ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [٣] .

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنَّ الأجل المسمَّى يوم القيامة ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما[٥] ، وسعيد بن جبير [٦] ، وعكرمة ، والضّحاك ، وعطية، والسدي ، والربيع بن أنس[٧][٨] ، واختاره جَمع من المفسِّرين [٩] .

القول الثاني : أجل حياتك إلى يوم تموت ، وأجل موتك إلى يوم تبعث ،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٧٤/٩) ، بعد الأثر رقم : (١٧٣٨٩) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٦٣٤) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٢٩٠/٤) ، الكشف والبيان (٢٨٦/٧) ، معالم التنزيل (٥٦٤/٣) ، زاد المسير (١٠٨٦) .

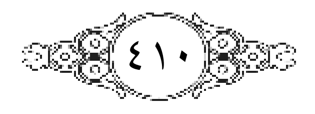
(٥) ذكره عنه : الثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٨/٧) ، والبغوي في معالم التنزيل (٥٦٤/٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٣٩٣/٢) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٧٤/٩) برقم : (١٧٣٨٩) .

(٧) **الربيع بن أنس** = البكري ، ويقال الحنفي البصري ، ثم الخراساني ، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري ، وغيرهم . وروى عنه : أبو جعفر الرازي والأعمش ومقاتل بن حيان وابن المبارك وغيرهم ، بصري صدوق ، مات في خلافة المنصور سنة ١٣٩هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٢٠٧/٣) .

(٨) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٧٤/٩) بعد الأثر رقم : (١٧٣٨٩) .

(٩) انظر : الوسيط (٤٢٤/٣) ، تفسير ابن كثير (٤٦١/٣) .



فأنت بين أجلَين من الله عزَّ وجلّ ، وهذا قول قتادة [(١)].

القول الثالث : أنه النفخة الأولى ، قاله يحيى بن سلام [(٢)].

القول الرابع : مدَّة أعمارهم في الدنيا . قاله الضَّحاك [(٣)].

قال ابن عطية معلِّقاً على هذا القول : (وهذا ضعيف يردُّه النَّظر ، والآجال لا محالة أجلٌ مسمَّى ، ولكن ليس هذا موضعها) [(٤)].

القول الخامس : يوم بدر ، ذكره الثعلبي [(٥)]، والبغوي [(٦)] .

الجمع أو الترجيح :

لعلَّ الراجح – والله أعلم – أنَّ المقصود بالأجل المسمَّى ، أجلٌ سمَّاه الله لهم ، وكتبه عنده في اللوح المحفوظ ، إذا تمَّ هذا الأجل جاءهم العذاب ، سواء كان هذا الأجل هو وفاتهم ، أو يوم القيامة ، أو غير ذلك .

قال الطبري رحمه الله : (ولولا أجلٌ سمَّيته لهم فلا أُهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه ؛ لجاءهم العذاب عاجلاً) [(٧)].

وقال القرطبي رحمه الله : (وعلى الجملة فلكلِّ عذاب أجلٌ لا يتقدَّم ولا يتأخَّر ، دليله قوله : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام : ٦٧]) [(٨)].

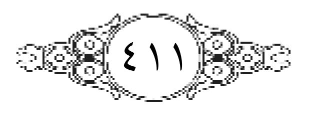
وعلى هذا المعنى جمع من المفسِّرين [(٩)].

وقول عطاء الخراساني داخل في ذلك ، غير أنَّ حمل المعنى على ما العموم أولى .

والقاعدة التفسيرية : أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص [(١٠)]. والله أعلم ، ،

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٧٤/٩) برقم : (١٧٣٩٠) .
(٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٩٠/٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٣٩٣/٢).
(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٦/٧) ، والواحدي في الوسيط (٤٢٤/٣) ، والبغوي في معالم التنزيل (٥٦٤/٣) .
(٤) المحرر الوجيز (١٤٦٧) .
(٥) الكشف والبيان (٢٨٦/٧) .
(٦) معالم التنزيل (٥٦٤/٣) .
(٧) جامع البيان (٤٣٠/١٨-٤٣١) .
(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٩٣/٢) .
(٩) انظر : بحر العلوم (٦٦٥/٢) ، الكشاف (٨٢٢) ، التفسير الكبير (٧٤/٢٥) ، مدارك التنزيل (٢٩٥/٢) ، التسهيل (٢١٦/٣) ، البحر المحيط (٢٠١/٧) ، إرشاد العقل السليم (١٥٨/٥) .
(١٠) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧) .



سورة الروم

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم : ٢] .

٧٥- عن أبي بكر ، عن عكرِمة قال : كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً ، وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيري عليّ أيهم أستعمل ، فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صرد ، وهذا فرخان ؛ وهو أنفذ من سنان ، وهذا شهربراز ؛ وهو أحلم من كذا ، فاستعمِل أيُّهم شئت ، قال : إني قد استعمَلْت الحليم ، فاستعمل شهربراز ، فسارَ إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليهم ، فقتلهم ، وخرَّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم .

قال أبو بكر : فحدَّثت بهذا الحديث **عطاء الخراساني** فقال : أما رأيتَ بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لو رأيتها لرأيت المدائن التي خرِّبت ، والزيتون الذي قُطع، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته [(١)] .

الدراسة :

* هذا الخبر عن عطاء الخراساني يفيد ما آلت إليه ديار الروم ، وما حصل لهم من غَلَبة . وفيه أنَّ عطاء الخراساني شاهد المدائن التي خرِّبت بالشام ، والزيتون الذي قطِع ، وهذه القصَّة هي مصداق قول الله تعالى في

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٤٥٢) بسنده قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج، عن أبي بكر ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

القاسم هو : القاسم بن الحسن ، شيخ الطبري ، تقدَّمت ترجمته في سورة النور .

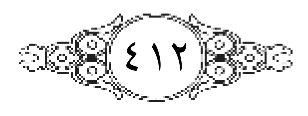
الحسين هو : الحسين بن داود المصيصي المحتسب ، تقدَّمت ترجمته في سورة النور .

حجاج هو : حجاج بن محمد المصيصي الأعور ، تقدَّمت ترجمته في سورة النور .

وأبو بكر هو : أبو بكر الهذلي ، قيل : اسمه سُلمى بن عبد الله ، وقيل : روح ، أخباري متروك الحديث ، من السادسة ، روى عن : الحسن البصري ، وابن سيرين ، والشعبي ، وعكرمة ، وأبي الزبير ، وقتادة ، وأبي المليح الهذلي ، وشهر بن حوشب ، ومعاذة العدوية وغيرهم ، وروى عنه : بن جريج وهو من أقرانه، مات سنة سبع وستين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (١٢/٤٧) .

وبهذا يكون هذا الأثر حسن الإسناد عن عطاء الخراساني .

وقد ذكره أيضاً : ابن كثير في تفسيره (٣/٤٦٦) .



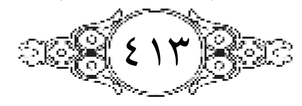
الآية : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ .

وتفصيل قصة هزيمة الروم أنَّ الفرس والبيزنطيين قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيام خسرو أبرويز أو خسرو الثاني عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى . وهيراكليوس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل ؛ ففي عام ٦١٤م استولى الفرس على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية ، ثم على دمشق ، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ، ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ ، وكان ذلك في أدنى الأرض في بلاد الشام [1].

ثمَّ إنَّ هرقل قيصر الروم الذي مني جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر، ولهذا أخذ يعدُّ نفسه لمعركة تمحو عار الهزيمة ، حتى إذا كان عام ٦٢٢م - وهو العام الهجري الأول - أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا ، وكان النَّصر حليف الروم ، وهذا النصر كان فاتحة انتصارات الروم على الفرس ، فتحقَّقت بشرى القرآن : ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم : ٣] .

قال صاحب أطلس تاريخ الإسلام : (وعندما تولى هرقل عرش الروم سنة ٦١٠م - وهي سنة البعثة المحمدية - كان الفرس قد اجتاحوا بلاد الشام ومصر ، وهزموا البيزنطيين سنة ٦١٣م عند أنطاكية ، واستولوا على فلسطين والقدس سنة ٦١٤م ، وغزوا مصر ودخلوا الإسكندرية سنة ٦١٨م أو ٦١٩م، وبعد أن أقام هرقل دولته بدأ قتال الفرس سنة ٦٢٢م ، وفي سنة ٦٢٧م أنزل

(١) يظهر من التعبير القرآني : (في أدنى الأرض) وصف لمكان هزيمة الروم أمام جحافل جيش الفرس هو أقرب الأرض إلى مكة المكرمة أو إلى الجزيرة العربية أو إلى أرض الفرس ، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنَّ أكثر المناطق انخفاضاً على سطح الأرض هي منطقة الشام التي وقعت عليها المعارك بين الروم والفرس ، وهي منطقة حوض البحر الميت ، بالإضافة إلي كونها أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلونها إلي الجزيرة العربية هي أيضا أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً ، حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي الأربعمائة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر ، وهذه الإشارة القرآنية تعتبر من السبق العلمي في كتاب الله ، لأنَّ أحداً لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن الكريم ، ولا لقرون متطاولة من بعده .



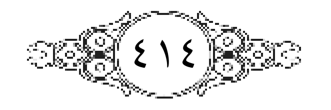
بهـم هزيمـة قاصـمة قـرب نينـوى ، واسـترد منـهم أراضـي الدولـة البيزنطيـة في أرمينيا والشام وفلسطين ومصر ، وفي سنة ٦٣٠م استعاد بيت المقدس .

ومن استقراء كل هـذه التـواريخ السابقة يتـضح أنَّ هزيمـة الـروم الحقيقيـة علـى أيـدي جيـوش الفـرس كانـت في حـدود سـنة ٦١٤ م إلى ٦١٥ م ، وأنَّ استعادتهم النَّـصر علـى الفـرس كانـت في حـدود سـنة ٦٢٤ م ، واسـتمر تقـدُّم الروم على أرض الفرس حتى تمَّ لهم استعادة بيت المقدس) [١].

وتفـصيل قـصة فـارس والـروم مـن وجـه آخـر ذكرهـا ابـن كـثير رحمه الله بقولـه : (وكـان آخـرهم هرقـل ، وكـان مـن عقـلاء الرجـال ، ومـن أحـزم الملـوك وأدهـاهم، وأبعـدهم غـوراً ، وأقـصاهم رأيـاً ، فتمَلَّـكَ علـيهم في رياسَـة عظيمـة ، وأُبَّهـة كـبيرة ، فنـاوأه كـسرى ملـك الفـرس ، ومَلـكَ الـبلاد كـالعراق وخراسـان والرَّي ، وجميـع بـلاد العجـم ، وهـو سـابور ذو الأكتـاف . وكانـت مملكتـه أوسـع مـن مملكـة قيـصر ، ولـه رياسـة العجـم ، وحماقـة الفـرس ، وكـانوا مجوسـاً يعبـدون النـار . فبعـث إليـه نوابـه وجيـشه فقـاتلوه ، والمـشهور أنَّ كـسرى غـزاه بنفـسه في بـلاده فقهـره وكَـسَره وقـصره ، حـتى لم يبـق معـه سـوى مدينـة قـسطنطينية؛ فحاصـره بهـا مـدة طويلـة حـتى ضـاقت عليـه ، وكانـت النـصارى تعظِّمـه تعظيمـاً زائـداً ، ولم يقـدر كـسرى علـى فـتح البلـد ، ولا أمكنـه ذلـك لحـصانتها ؛ لأنَّ نـصفها مـن ناحيـة الـبر ، ونـصفها الآخـر مـن ناحيـة البحـر ، فكانـت تـأتيهم المـيرة والمَـدَد مـن هنالـك . فلمـا طـال الأمـر دبَّـر قَيـصر مكيـدة ، ورأى في نفسه خديعة ، فطلـب مـن كـسرى أن يقلـع عـن بـلاده علـى مـال يـصالحه عليـه ، ويـشترط عليـه مـا شـاء . فأجابـه إلى ذلـك ، وطلـب منـه أمـوالاً عظيمـة لا يقدر عليهـا أحـد مـن ملـوك الـدنيا ، مـن ذهـب وجـواهر وأقمـشة وجـوار وخـدام وأصـناف كـثيرة فطاوعـه قيـصر ، وأوهمـه أن عنـده جميـع مـا طلـب ، واسـتقلَّ عقله لمَّا طلب منه مـا طلـب ، ولـو اجتمـع هـو وإيـاه لعجـزت قـدرتهما عـن جمـع عُـشْره ، وسـأل كـسرى أن يُمكِّنـه مـن الخـروج إلى بـلاد الـشام وأقـاليم مملكتـه ، ليسعى في تحـصيل ذلـك مـن ذخـائره وحواصـله ودفائنـه ، فـأطلق سـراحه ، فلمـا

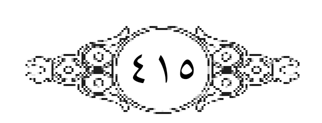
---

(١) أطلس تاريخ الإسلام (٤٨) .



عـزم قيـصر علـى الخـروج مـن مدينـة قـسطنطينية ، جمـع أهـل ملّته وقـال : إني خـارج في أمـر قـد أبرمتـه ، في جنـد قـد عينتـه مـن جيـشي ، فـإن رجعـت إلـيكم قبـل الحـول فأنـا ملككـم ، وإن لم أرجـع إلـيكم قبلـها فـأنتم بالخيـار ، إن شـئتم استمررتم على بـيعتي ، وإن شـئتم وليـتم علـيكم غـيري ، فأجـابوه بأنـك ملكنـا مـا دمت حياً ، ولـو غبـت عـشرة أعـوام ، فلمـا خـرج مـن القـسطنطينية خـرج جريـدة في جـيش متوسـط ، هـذا وكـسرى مُخَـيِّم علـى القـسطنطينية ينتظـره ليرجـع ، فركـب قيـصر مـن فـوره وسـار مـسرعاً حـتى انتـهى إلى بـلاد فـارس ، فعـاث في بلادهـم قـتلاً لرجالهـا ومـن بهـا مـن المقاتلـة ، أولاً فـأولاً ، ولم يـزل يقتـل حـتى انتهى إلى المـدائن ، وهـي كرسـي مملكـة كـسرى ، فقتـل مـن بهـا ، وأخـذ جميـع حواصـله وأموالـه ، وأسـر نـساءه وحريمـه ، وحلـق رأس ولـده ، وركَّبـه علـى حمار ، وبعـث معـه مـن الأسـاورة مـن قومـه في غايـة الهـوان والذلـة ، وكتـب إلى كسرى يقول : هذا ما طلبت فخُـذه ، فلمـا بلـغ ذلـك كـسرى أخـذه مـن الغـمِّ مـا لا يحـصيه إلا الله عـز وجـل ، واشـتد حَنَقـه علـى البلـد ، فاشـتد في حـصارها بكـل ممكن فلم يقـدر علـى ذلـك ، فلمـا عجـز ركـب ليأخـذ عليـه الطريـق مـن مخاضـة جيحـون ، الـتي لا سـبيل لقيـصر إلى القـسطنطينية إلا منـها ، فلمـا علـم قيـصر بذلك احتال بحيلة عظيمـة لم يـسبق إليهـا ، وهـو أنـه أرصـد جنـده وحواصـله الـتي معـه عنـد فـم المخاضـة ، وركـب في بعـض الجـيش ، وأمـر بأحمـال مـن الـتبن والبعـر والـروث فحملـت معـه ، وسـار إلى قريـب مـن يـوم في المـاء مـصعداً ، ثم أمر بإلقاء تلك الأحمـال في النـهر ، فلمـا مـرَّت بكـسرى ظـنَّ هـو وجنـده أنهـم قـد خاضـوا مـن هنالـك ، فركبـوا في طلبـهم فـشغرت المخاضـة عـن الفـرس ، وقـدم قيـصر فـأمرهم بالنـهوض في الخـوض ، فخاضـوا وأسـرعوا الـسير ففـاتوا كـسرى وجنـوده ، ودخلـوا القـسطنطينية ، وكـان ذلـك يومـاً مـشهودًا عنـد النـصارى ، وبقـي كـسرى وجيوشـه حـائرين لا يـدرون مـاذا يـصنعون ، لم يحـصلوا علـى بـلاد قيـصر ، وبلادُهـم قـد خَرَّبتـها الـروم وأخـذوا حواصـلهم ، وسـبوا ذراريهـم ونساءهم ، فكان هذا مـن غَلَـب الـروم فـارسَ ، وكـان ذلـك بعـد تـسع سـنين مـن غلب الفرس للروم .

وكانـت الواقعـة الكائنـة بـين فـارس والـروم حـين غلبـت الـروم بـين أذرعـات



وبُصرى ، على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما ، وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز ، وقال مجاهد : كان ذلك في الجزيرة ، وهي أقرب بلاد الروم من فارس ، فالله أعلم ، ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين، وهي تسع ؛ فإن البِضْعَ في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع) [(١)].

وقد ذكر المؤرخون قصصاً كثيرة بنحو ما ذكر ابن كثير [(٢)].

وقد روى أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ قَالَ : « إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » [(٣)].

وقد قال تعالى : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم : ٢-٤] . ففي هذه الآيات يبيِّن الله أنَّ غلبة الروم في أدنى الأرض ، وقد ثبت علمياً بقياسات عديدة أنَّ أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا هو غور البحر الميت ، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً ، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر ، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر ، وهو بحيرة داخلية بمعني أن قاعها يعتبر في الحقيقة جزءا من اليابسة . وغور البحر الميت هو جزء من خسف أرضي عظيم ، ويبلغ طوله حوالي الستمائة كيلومتر ، ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلي بحيرة طبريا في الشمال ، ويتراوح عرضها بين العشرة والعشرين كيلومترا [(٤)]. والحمد لله ..

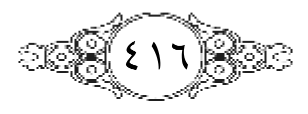
---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٦٨-٤٦٩) .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ (١/٣٦٩-٣٧٢) ، المنتظم (٢/٣٨٧) ، تاريخ الإسلام (١/٢٢٧) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٣١٢٠) في كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي ﷺ : « أحلَّت لي الغنائم » ، وبرقم : (٣٦١٨) في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وبرقم : (٦٦٣٠) في كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٩١٨) في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرَّجل بقبر الرَّجل فيتمنى أن يكون مكان الميِّت من البلاء .

(٤) انظر : ملحق الصور ، النموذج الخامس ، صورة رقم : (٨) ص(٩٩٩) لمنطقة البحر الميت بالأقمار الصناعية .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الروم : ٤١] [١].

٧٦- **قال عطاء الخراساني** : المراد بالبَرِّ : ما فيه من المدائن والقرى ، وبالبحر : جزائره [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية يخبر الله عن الفساد الذي ظهر في البر والبحر ؛ فأفسد معايش الناس ، وحلَّت الآفات بها ، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك ، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها ، والجزاء من جنس العمل ، وما ربك بظلام للعبيد [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنَّ البرَّ ما فيه من المدائن والقرى ، والبحر الجزائر .

القول الثاني : عنى بالبر : ظهر الأرض ؛ الأمصار وغيرها ، والبحر : البحر المعروف ، وهذا مروي عن مجاهد [٥]، وابن أبي نجيح [٦].

وضربوا لذلك أمثلة لما في البرِّ : ابن آدم الذي قتل أخاه ، وفي البحر : الذي كان يأخذ كلّ سفينة غصباً .

وقالوا عن فساد البحر : إذا قلَّ المطر ، قلَّ الغوص ، قاله عطية [٧]، وعكرمة [٨]، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

(٢) ذكر معنى البحر عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٩٢/٩) برقم : (١٧٥٠٦) ، وذكره كاملاً ابن كثير في تفسيره (٤٧٩/٣) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٦٤٣) .

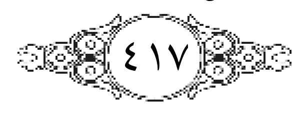
(٤) انظر : الكشف والبيان (٣٠٥/٧) ، النكت والعيون (٣١٧/٤-٣١٨) ، زاد المسير (١٠٩٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤١٥/٢) ، البحر المحيط (٢٢٨/٧) .

(٥) تفسير مجاهد (٢٠٨) ، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٢/١٨) ، وابن أبي حاتم (٣٠٩٢/٩) برقم : (١٧٥٠٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٩٧/٦) عزوه للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٢/١٨) .

(٧) المصدر السابق (٥١٢/١٨) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٦/٦) لابن المنذر .



وقال زيد بن رفيع [١]: إذا لم يمطر عميت دواب البحر [٢].

القول الثالث : البَرُّ أهل العمود [٣]، والبحر أهل القرى والرِّيف . قاله قتادة[٤].

القول الرابع : البرُّ الفيافي ، والبحر القرى ، قاله عكرمة [٥]، وقال : إنَّ العرب تسمي الأمصار بحاراً [٦]. ورجّحه ابن كثير [٧].

القول الخامس : أنَّ البرَّ ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شطِّ نهر ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٨]، والحسن [٩]، ونحوه قال السدي : البرُّ : كلُّ قرية نائية عن البحر مثل مكة والمدينة ، والبحر : كل قرية على البحر مثل الكوفة والبصرة والشام [١٠]. واختاره الواحدي [١١]، والبغوي[١٢].

القول السادس : عنى بالبر : الفلوات ، وبالبحر : الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار . قال مجاهد وعكرمة : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كلُّ قرية على ماء جارٍ فهو بحر [١٣].

---

(١) **زيد بن رفيع** = الجزري ، مولى أسماء بن خارجة ، من أهل نصيبين يروى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وروى عنه : معمر وأهل بلده ، وكان فقيهاً ورعاً فاضلاً ، مات سنة ثلاثين ومائة ، في آخر خلافة مروان بن محمد . انظر : طبقات ابن سعد (٧/٤٨٠) ، الثقات (٦/٣١٤) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٩٢) برقم : (١٧٥٠١) .

(٣) **العماد والعمود** : الخشبة التي يقوم عليها البيت ، وقال الليث : يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها: هم أهل عمود وأهل عماد . ينظر : اللسان (ع م د) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٠) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٩٧) للفريابي .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥١٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٩٢) برقم : (١٧٥٠٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٩٧) عزوه لابن المنذر .

(٧) تفسير ابن كثير (٣/٤٧٩) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٩٦) لابن أبي حاتم ولم أقف عليه عنده .

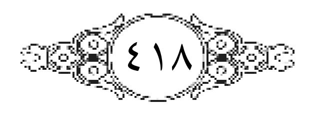
(٩) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف (٨٣١) .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٩٢) برقم : (١٧٥٠٥) .

(١١) الوسيط (٣/٤٣٥) .

(١٢) معالم التنزيل (٣/٥٨٠) .

(١٣) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٨/٥١٠) .



القول السابع : أنَّ البرَّ بادية الأعراب ، قاله الضَّحاك [1].

القول الثامن : نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا . قاله ابن عباس رضي الله عنهما [2].

القول التاسع : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمداً ﷺ ، امتلأت الأرض ضلالة وظلماً ، فلمَّا بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس ، قاله قتادة [3].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح والله أعلم – هو القول الثاني ، أنَّ المقصود بالبرِّ ظهر الأرض ، الأمصار والقرى وغيرها ، والبحر البحر المعروف ، وهذا ما يشهد له ظاهر السياق في الآية ، ولا دليل لتخصيصه بمكان دون آخر .

قال الطبري رحمه الله : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أنَّ الله تعالى ذِكْره ، أخبر أنَّ الفساد قد ظهر في البرّ والبحر عند العرب في الأرض القِفَار ، والبحر بحران : بحر مِلح ، وبحر عَذب ، فهما جميعاً عندهم بحر ، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بَحْر دون بَحْر ، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذباً كان أو ملحاً . إذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار) .

وقد اختار جمْع من المحققين هذا المعنى ، أنَّ البرّ والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة [4]، وذكر بعضهم صوراً ونماذج للفساد فيهما معاً بارتفاع البركات ، ونزول رزايا ، وحدوث فتن ، وتغلُّب عدو كافر ؛ أو في أحدهما دون الآخر ، وقع ذلك بسبب ذنوب الناس كي يتوبوا .

والمقصود من ذكر البرِّ والبحر ليس تحديد مكان دون مكان ، بل لتعميم جهات الفساد التي أشار الله إليها .

---

(١) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٤/٣١٨) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٩٢) برقم : (١٧٥٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٩٦) عزوه لابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥١٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٩٢) برقم : (١٧٥٠٤) .

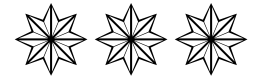
(٤) انظر : الكشاف (٨٣١) ، أنوار التنزيل (٤/٢٠٨) ، المحرر الوجيز (١٤٧٩) ، التسهيل (٣/٢٢٦) .

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (فذكر البرِّ والبحر لتعميم الجهات ، بمعنى: ظهر الفساد في جميع الأقطار الواقعة في البرِّ ، والواقعة في الجزائر والشطوط) [1].

وعلى هذا الترجيح فقول عطاء الخراساني في الآية قول مرجوح .

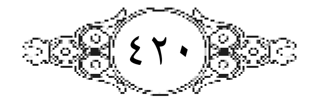
والقاعدة التفسيرية : أنَّ الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل [2].

والله أعلم ،،



(١) التحرير والتنوير (١١١/٢١) .

(٢) قواعد التفسير (٨٤٣/٢) .



سورة لقمان

الموضع الأول :

* في قوله عزَّ وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] (١) .

٧٧- **قال عطاء الخراساني** : الغناء والباطل ونحو ذلك (٢) .

وفي لفظ : نزلت هذه الآية في الغناء والباطل والمزامير (٣).

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني لهو الحديث في الموضع الأول بالغناء والباطل ونحو ذلك ، وفي الرواية الثانية ذكر أنها نزلت في الغناء والباطل والمزامير .

الأقوال في الآية(٤) :

في معنى ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أقوال :

القول الأول : قول عطاء الخراساني : أنه الغناء والباطل ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي : باطل الحديث ، وهو الغناء(٥) ونحوه(٦)، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما (٧)، وابن مسعود رضي الله عنه ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه (٨)، ....

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٠) ص٨٩ ، وسبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٩٦/٩) برقم : (١٧٥٢٥) بلفظ: (الغناء والباطل) .

(٣) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٦) للحاكم في الكنى ، وسنده ضعيف لإعضاله .

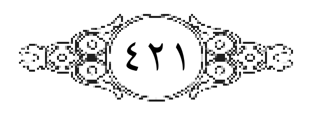
(٤) انظر : جامع البيان (٥٣٤/١٨-٥٣٩) ، بحر العلوم (٢١/٣) ، الكشف والبيان (٣١٠/٧) ، النكت والعيون (٣٢٨/٤) ، زاد المسير (١٠٩٩) ، روح المعاني (١٠٢/٢١) .

(٥) **الغناء** هو : الغناء المعتاد عند المشتهرين به، الذي يحرِّك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل ، والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن ؛ فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه ، لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق . فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح ، كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة ، كما كان في حفر الخندق وحدو أنجشة ، وسلمة بن الأكوع . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢٠/٢) .

(٦) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٦) للفريابي ، وابن مردويه .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٥/١٨) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣٠٩٦/٩) برقم : (١٧٥٢٤) .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٣٥/١٨-٥٣٦) .



وابن عمر [١]، ومجاهد [٢]، وعكرمة [٣]، والحسن ، وميمون بن مهران [٤]، ومكحول [٥] أنه الغناء . وعليه عامة المفسِّرين [٦].

وعن أبي الصهباء البكري [٧] أنه سمع عبد الله بن مسعود ﷺ وهو يُسأل عن هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ فقال عبد الله : " الغناء ، والذي لا إله إلا هو "، يردِّدها ثلاث مرَّات [٨].

القول الثاني : شراء المغنِّية ، وهو رواية عن ابن عباس ﷺ [٩]، وابن مسعود ﷺ [١٠]، وبنحوه قال مكحول [١١]، وقال مجاهد : " هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير ، والاستماع إليهم ، وإلى مثله بالباطل " [١٢].

واستدلوا بحديث أبي أمامة أنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لا تَبِيعُوا الْقَيْنَاتِ ولا تَشْتَرُوهُنَّ ولا تُعَلِّمُوهُنَّ ؛ ولا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ ، وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ ، فِي مِثْلِ هَذَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَة : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

---

(١) ذكره عنه النحَّاس في معاني القرآن (٢/٩٣٥) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢١) ، والطبري (١٨/٥٣٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٠٥) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي الدنيا وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٣٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٠٥) عزوه لابن أبي الدنيا.

(٤) **ميمون بن مهران** = الجزري ، أبو أيوب ، عالم الرقة ، أصله كوفي ، ونزل الرقة ، ثقة فقيه عابد كبير القدر، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وكان يرسل ، من الرابعة ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وروى عنه ابنه عمرو ، وغيره ، مات سنة سبع عشرة ومائة . انظر : الكاشف (٢/٣١٢) ، تقريب التهذيب (٥٥٦) .

(٥) ذكره عنهم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤٢٠) .

(٦) حكاه الزّجاج في معاني القرآن (٤/١٤٧) ، والواحدي في الوسيط (٣/٤٤١) ، ومن المفسِّرين الذين اختاروا هذا القول : القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤٢٠) ، وابن جزي في التسهيل (٣/٢٣١) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/٢٣٩) .

(٧) **أبو الصهباء** = صهيب أبو الصهباء البكري البصري ، ويقال المدني ، مولى بن عباس ، روى عن : مولاه بن عباس ، وابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، وروى عنه : سعيد بن جبير ، مقبول . انظر : تهذيب التهذيب (٤/٣٨٦) .

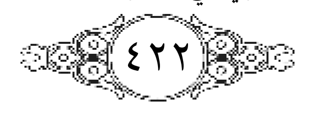
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٣٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٣٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٠٤) عزوه لابن المنذر ، وابن مردويه .

(١٠) أخرجه عنه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٧٩) .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٠٥) لابن عساكر .

(١٢) تفسير مجاهد (٢٠٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٣٧) .



إِلَى آخِرِ الآية »[1].

ويؤيده أيضاً ما أخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن عمر أنه سمع النبي ﷺ قال في هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ : « إِنَّمَا ذلِكَ شِرَاءُ الرَّجُلِ اللَّعِبَ والبَاطِلْ »[2].

القول الثالث : كل ما شغلك عن عبادة الله تعالى وذكره ، من السَّمَر والأضاحيك والخرافات والغناء ونحوها ، قاله الحسن[3].

القول الرابع : أنه الشِّرك بالله ، وهذا قول الضَّحاك ، وابن زيد[4].

القول الخامس : أنه الجدال في الدين والخوض في الباطل ، قاله سهل بن عبد الله[5] [6].

---

(١) **ضعيف** . أخرجه الترمذي في سننه ؛ في كتاب البيوع ، باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات (١٢٨٢) ، وفي كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة لقمان (٣١٩٥) ، والحديث **ضعيف** فيه علي بن يزيد . قال الترمذي : وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه . **وعلي بن يزيد** هو ابن أبي زياد ، الألهاني ، أبو عبد الملك الدمشقي ، صاحب القاسم بن عبد الرحمن ، روى له الترمذي ، وابن ماجه ، ضعَّفه ابن حجر من الطبقة السادسة ، توفي سنة مائة وبضع عشرة . انظر : تقريب التهذيب (٤٠٦) . قال النووي في المجموع (٩/٢٥٥) : اتفق الحفاظ على أنه ضعيف لأنَّ مداره على علي بن يزيد ، وهو ضعيف . وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٣٦٢) : إن كان مداره على عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد الإلهاني عن القاسم ؛ فعبيد الله ابن زحر ثقة ، والقاسم ثقة ، وعلي ضعيف ، إلا أن للحديث شواهد ومتابعات . وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٦٧) : [فيه] علي بن يزيد ضعفه أحمد والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم ويروي عنه ابن زحر ضعفه أبو حاتم وابن معين وابن المديني ووثقه البخاري وله طرق أخرى . قال الشوكاني في نيل الأوطار (٨/٢٦٢) : حسن لغيره . وقال الألباني : ضعيف إلا نزول الآية انظر : السلسلة الصحيحة (٢٩٢٢) ، ضعيف الجامع (٦١٨٩) .

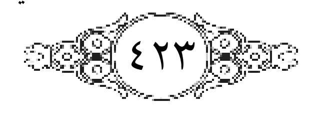
(٢) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٠٧) ، وذكره الشوكاني في فتح القدير (٤/٢٩٥) ، ولم أقف عليه عند غيرهما .

(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٣٢٨) ، وذكره بهذا اللفظ : الألوسي في روح المعاني (٢١/١٠٢) .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٨/٥٣٩) .

(٥) **سهل بن عبد الله** = ابن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رافع التستري المتصوف ، الصالح المشهور ، كان من الزهاد العباد الصالحين ، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ، ولقي ذا النون المصري بمكة ، وسكن البصرة زماناً ، له من الكتب : كتاب دقائق المحبين ، كتاب مواعظ العارفين ، وغيرها . أسند عن خاله محمد بن سوار ، ومولده سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين ووفاته سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين . انظر : الفهرست (٢٦٣) ، صفة الصفوة (٤/٦٦) ، الوافي بالوفيات (١٦/١١) .

(٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٣٢٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/٢٤١) .



* وفي سبب نزول الآية أقوال :

أحدها : قول عطاء الخراساني ، أنها نزلت في الغناء والباطل والمزامير ، وافق في ذلك الحسن البصري[1] ، والعبارة هنا في هذا القول ليست صريحة في سبب النزول ، وإنما هي تفسير للآية ، كما ذكر ذلك جمع من المحققين[2] .

الثاني : أنها نزلت في النَّضْر بن الحارث الداري ؛ كان يجلس بمكة فإذا قالت قريش إن محمداً قال كذا وكذا ضحك منه ، وحدثهم بحديث رستم واسفنديار ويقول لهم : إنَّ حديثي أحسن من قرآن محمد ، حكاه الفراء [3] والكلبي [4] .

الثالث : أنها نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية فشغل بها الناس عن اتّباع النبي ﷺ ، حكاه ابن عيسى [5] .

وعلى أي حال : فكلُّ ما ورد في أسباب نزول هذه الآية ضعيف ؛ لم يثبت منه شيء [6] .

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح والله أعلم أنَّ الآية على عمومها ، ولا دليل يخصص معنى دون آخر ، ولعلَّ القول الثالث من الأقوال السَّالفة هو أقربها لهذا الترجيح ، أنَّ لهو الحديث كلَّ ما شغلك عن عبادة الله تعالى وذكره ، ويدخل دخولاً أولياً في هذا قول ابن مسعود ﷺ وغيره أنَّ المقصود بذلك هو الغناء ، ويدخل فيه شراء المغنية ، والشرك ، والخوض في الباطل .

ويمكن أن يقال : إنَّ الشراء في الآية أمر حسي ، ولهو الحديث أمر معنوي ، فمن نظر من المفسِّرين إلى الجزء الأول ؛ جعلوه صلة للحسي الذي اشترى ، فأولوه بلازمه على أنَّ لهو الحديث ما يؤول إليه استعماله بعد

---

(١) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠٩٦) برقم : (١٧٥٢٦) ، وابن كثير في تفسيره (٣/٤٨٦) .

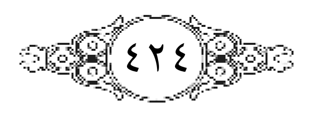
(٢) انظر صفحة (٢٩٩-٣٠٠) .

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/٢٨٤) .

(٤) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٤/٣٢٩) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٣/٦٤) .



شرائه، والقولان الأولان على هذا النحو تقريباً ، وهؤلاء فسَّروا تفسيراً سياقياً، لأنهم فهموا ما قالوه من السياق .

والذين نظروا في الجزء الثاني ؛ تأولوا لهو الحديث بأنه الباطل والشرك ، وغيرهما من الأمور المعنوية ، وهي بنحو الأقوال الثلاثة الثانية .

والصحيح هو الجمع بين الأمرين جميعاً ، في أصول الاعتقاد والتعامل ونحوها مما جاءت به الشريعة ، حسية كانت أو معنوية .

قال ابن عطية ﷺ : (والذي يترجَّح أنَّ الآية نزلت في لهو الحديث مضافاً إلى كفر ، فلذلك اشتدَّت ألفاظ الآية بقوله : ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ ، والتوعُّد بالعذاب المهين) [(١)].

ومن تأمّل الآية وجد فيها تدرُّجاً في الأسلوب ، يدلّ على أنَّ لهو الحديث الذي أشار الله إليه في الآية يتدرّج بصاحبه في المنكر حتى يصده عن ذكر الله ، ويضل عن سبيل الله ، ومن ثمَّ يبعده عن الدين تماماً ، فلذلك استحقَّ الوعيد بالعذاب المهين .

قال الطبري ﷺ : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : عني به كلُّ ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله ؛ لأنَّ الله تعالى عمّ بقوله : ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ولم يخصص بعضاً دون بعض ، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدلّ على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك) [(٢)].

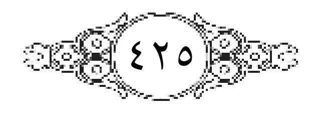
واختار جمع من المحققين نحو ما ذهب إليه الطبري ؛ أنَّ المقصود بـــ ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ كل ما يلهي عمَّا يعني ، وما يُقصد منه تشغيل البال ، وتقصير طول وقت البطالة دون نفع ؛ من السَّمر بالأساطير ، والأحاديث التي لا أصل لها ، والتحدّث بالخرافات والمضاحيك ، وفضول الكلام ، وما لا ينبغي ، وتعلّم الغناء والموسيقار ، وما أشبه ذلك [(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز (١٤٨٣) .

(٢) جامع البيان (٥٣٩/١٨) .

(٣) انظر : الكشاف (٨٣٤) ، المحرر الوجيز (١٤٨٣) ، أنوار التنزيل (٢١٢/٤) ، مدارك التنزيل (٣١٦/٢) ، إرشاد العقل السليم (١٨٦/٥) ، فتح القدير (٢٩٢/٤) ، تفسير المراغي (٢٣٦/٧) ، التحرير والتنوير (١٤٢/٢١).



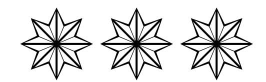
وقد بوَّب البخاري ﷺ باباً في كتاب الاستئذان قال : (باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾) [(١)].

وقال السَّعدي ﷺ : (﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي : الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب ، فدخل في هذا كلّ كلام محرَّم ، وكلّ لغو وباطل وهذيان من الأقوال المرغِّبة في الكفر والفسوق والعصيان ، ومن أقوال الرادِّين على الحق ، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق ، ومن غيبة ، ونميمة ، وكذب ، وشتم ، وسب ، ومن غناء ومزامير شيطان ، ومن الماجريات [(٢)] الملهية ، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا) [(٣)].

وقول عطاء الخراساني هنا صحيح في المسألة ، داخل في المعنى ، ويحمل على أنه أورد الغناء والباطل كمثال للهو الحديث ، ويُفهَم أنه أراد العموم بقوله : ونحو ذلك .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الخبر على عمومه ، حتى يرد ما يخصصه[(٤)].

والله أعلم ، ،



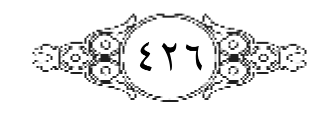
---

(١) صحيح البخاري (٨/٨٢) .

(٢) **الماجريات** = لم أقف على معنى هذا اللفظ في كتب اللغة ، ولعلَّ المراد بها : الخصام أو الجدل وإضاعة الوقت في المناظرات الباطلة التي لا خير فيها ، وقد فهمت هذا من استعمال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم له ، حيث قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/٥٤٦) : (وأما الماجريات ؛ فإذا اختصم رجلان بقول أو فعل وجب أن يقام في أمرهما بالقسط) . وقال ابن القيم في رسالته إلى أحد إخوانه ص(٥) : (فإنَّ بركة الرجل ؛ تعليمه للخير حيث حلَّ ، ونصحه لكل من اجتمع به ... ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به ، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به ، فإنه يضيع الوقت في الماجريات ، ويفسد القلب ...) . والله اعلم .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٧) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٥٩٩) .



الموضع الثاني :

* في قوله عزَّ وجل : ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان : ١٤] [(١)].

٧٨- قال عطاء الخراساني : ضَعْفاً على ضَعْف [(٢)] .

الدراسة :

* في هذه الآية يوصي الله بالوالدين بوصية عظيمة ، ويذكِّر بفضل الأمَّ حيث حملت الولد في بطنها ، وحصل لها من الضَّعف الكثير في ذلك ، وهذه الصورة الموحية : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ترسم ظلال هذا البذل النبيل ، والأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر ؛ وتجود به في انعطاف أشد وأعمق [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : ضَعْفاً على ضَعْف ، وهو قول عطاء الخراساني ، وافق فيه قول الضَّحاك [(٥)]، وأهل اللغة [(٦)].

قال الزجَّاج : (ضَعفاً على ضَعف ، أي لزِمها لحملها إياه أن ضَعُفَت مرَّة بعد مرَّة) [(٧)].

القول الثاني : شدَّة على شدَّة ، وخَلْقاً بعد خلْق ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٨)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١١) ص٨٩ ، وسبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره عنه أيضاً : ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٩٨/٩) برقم : (١٧٥٤٠) ، وابن كثير في تفسيره (٤٩٠/٣) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٢٧٨٨/٥) .

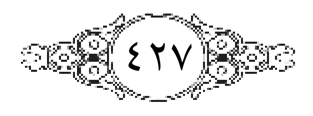
(٤) انظر : جامع البيان (٥٥٠/١٨)، الكشف والبيان (٣١٣/٧) ، النكت والعيون (٢٣٤/٤) ، معالم التنزيل (٥٨٨/٣) ، البحر المحيط (٢٤٥/٧) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٠/١٨) .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١٥٠/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٩٣٧/٢) ، المفردات في غريب القرآن (٥٤٩) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١٥٠/٤) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٠/١٨) .



وقال مجاهد وابن كيسان [(١)]: مشقَّة على مشقَّة [(٢)]؛ وفي ذلك إشارة إلى مشقَّة الحمْل ، ومشقَّة الولادة بعده ، وبنحوه قال قتادة [(٣)].

القول الثالث : وهنُ الولد على وَهْن الأم وضعفها ، وهو قول مجاهد[(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر مما سبق - والله أعلم – رجحان القول الأول ، قول عطاء الخراساني ؛ الذي عليه جمهور المفسِّرين : أنَّ المقصود بالوهن الضَّعف ، لأنَّ هذا هو المعروف في لغة العرب .

قال النَّحاس ﷺ : (قال الضَّحاك : الوَهن : الضَّعف ؛ وكذلك هو في اللغة : يقال : وهَن يَهِنُ ، ووهن يَوهِنُ ، مثل : وَرِمَ يَرِمُ : إذا ضَعُفَ ، يعني ضَعْف الحمل ، وضَعْفَ الطَّلْق ، وضعف النِّفاس) [(٥)].

وقال الراغب ﷺ : (﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي كلَّما عظم في بطنها زادها ضعفاً على ضعف) [(٦)].

ويمكن أن يقال : ذِكر الحمل في الآية يدلُّ على الشدة والجهد والمشقة ، فيكون هذا الحمل بما فيه من متاعب يورث الأمَّ ضعفاً على ضعف .

قال الزمخشري ﷺ : (كقولك رجع عوداً على بدء ، بمعنى؛ يعود عوداً على بدء ، وهو في موضع الحال . والمعنى : أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف، أي : يتزايد ضعفها ويتضاعف ؛ لأنَّ الحمل كلما ازداد وعظم ، ازدادت ثقلاً

---

(١) **ابن كيسان** = طاوس بن كيسان ، الإمام أبو عبد الرحمن اليماني ، من أبناء الفرس ، وقيل اسمه : ذكوان فلقب ، فقال بن معين لأنه كان طاوس القراء ، روى عن : أبي هريرة وابن عباس وعائشة ، وروى عنه : الزهري ، وسليمان التيمي ، وعبد الله ابنه ، قال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً مثله قط ، مات بمكة ١٠٦هـ . الكاشف (١/٥١٢) .

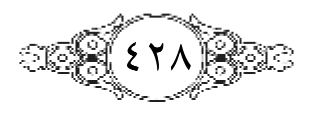
(٢) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٧/٣١٣) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٤) ، والطبري (١٨/٥٥٠) ، ولفظه : جهداً على جهد .

(٤) تفسير مجاهد (٢٠٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٥٠) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٠٩٨) برقم : (١٧٥٤١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٢) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٥) معاني القرآن للنحاس (٢/٩٣٧) .

(٦) المفردات في غريب القرآن (٥٤٩) .

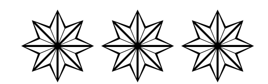


وضعفاً) [١].

وبنحو هذا المعنى قال عامَّة المفسِّرين [٢].

والقاعدة التفسيرية : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٣].

والله أعلم ، ،

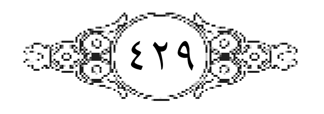


---

(١) الكشاف (٨٣٦) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٢٤/٣) ، الوسيط (٤٤٣/٣) ، الكشاف (٨٣٦) ، المحرر الوجيز (١٤٨٥) ، زاد المسير (١١٠٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٢٦/٢) ، أنوار التنزيل (٢١٤/٤) ، مدارك التنزيل (٣١٨/٢)، التسهيل (٢٣٢/٣) ، إرشاد العقل السليم (١٨٩/٥) ، فتح القدير (٢٩٦/٤-٢٩٧) ، تفسير المراغي (٢٤١/٧) ، التحرير والتنوير (١٥٧/٢١) .

(٣) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .



الموضع الثالث :

* في قوله عزَّ وجل : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان : ٢٠] [١] .

٧٩- **قال عطاء الخراساني** : الظاهرة : تخفيف الشرائع ، والباطنة : الشفاعة [٢] .

الدراسة :

* في هذا المقطع من الآية يبيِّن الله تعالى عظيم نعمته على عباده بأن سخَّر لهم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليهم وأفاء نعماً لا تعدُّ ولا تحصى ، وهذه الإشارة تتكرر في القرآن بأساليب متنوعة ، تبدو جديدة في كل مرة ، لأنَّ هذا الكون لا يزال يتجدد في الحسِّ كلما نظر إليه القلب ، وتدبَّر أسراره ، وتأمل عجائبه التي لا تنفد ؛ ولا يبلغ الإنسان في عمره المحدود أن يتقصاها ؛ وهي تبدو في كل نظرة بلون جديد ، والسياق يعرضها هنا من زاوية التناسق بين حاجات الإنسان على الأرض وتركيب هذا الكون ! مما يقطع بأنَّ هذا التناسق لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة ؛ وإنما من مدبِّر حكيم عليم بما يصلح للعباد . هيَّأ للإنسان في هذا الكون نعماً كثيرة تحيط به من بداية خلقه ؛ فوجوده ابتداءً ، وتزويده بطاقاته واستعداداته ومواهبه ، هذه نعمة من الله وفضل ؛ وإرسال رسله وتنزيل كتبه فضل أكبر ونعمة أجل ؛ وكل نفس يتنفسه ، وكل خفقة يخفقها قلبه ، وكل فكرة يتدبرها عقله .. كلُّ هذه نعم ما كان لينالها لولا فضل الله [٣] .

❖ القراءات في الآية [٤] :

* قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ بفتح العين ، وضمِّ الهاء على الجمع .

* وقرأ الباقون : ﴿ نِعْمَةً ظاهِرةً ﴾ ساكنة العين ، وبعد الميم تاءً مفتوحة ،

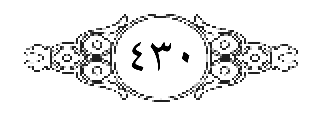
---

(١) الآية بتمامها : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣١٨/٧) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٢٧٩٢/٥) .

(٤) انظر : المبسوط (٢٩٧) ، البدور الزاهرة (١٩٠/٢) .



منونة في الوصل على واحدة .

قال الواحدي ﷺ : (ومعنى القراءتين واحد ؛ لأنَّ المفرد يدلُّ على الكثرة ، كقوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[النحل : ١٨]) [١].

وكما اختلفت الأقوال في القراءة فقد اختلفت في المعنى .

الأقوال في الآية[٢] :

على القراءة الأولى تكون النِّعم كثيرة أنعم الله بها على عباده .

والذي يظهر أنَّ أقوال المفسِّرين في الآية مبنية على القراءة الثانية ، لأنَّهم فسروها بأنها نعمة ظاهرة ، ونعمة باطنة ، واختلفوا فيهما على أقوال :

القول الأول : الظاهرة : تخفيف الشرائع ، والباطنة : الشفاعة ، وهذا قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : الظاهرة : الإسلام ، والباطنة : ما ستره الله من المعاصي قاله ابن عباس ﷺ [٣]، ومقاتل [٤]، وبنحوه قال الضحاك [٥].

القول الثالث : هي لا إله إلا الله ، ظاهرة على اللسان ، وباطنة في القلب، روي عن ابن عباس ﷺ [٦]، ومجاهد [٧].

القول الرابع : النعمة هي الإسلام [٨]، قاله ابن عباس ﷺ ، وقال : ولو كانت نِعَمَه ؛ لكانت نعمة دون نعمة [٩].

---

(١) الوسيط (٣/٤٤٥) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٤/٣٤٢) ، الكشف والبيان (٧/٣١٨) ، الوسيط (٣/٤٤٥) ، معالم التنزيل (٣/٥٩٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤٣٠) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٦) لابن مردويه .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣١٠٠) برقم : (١٧٥٥٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٦) عزوه للبيهقي .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٦) للخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٦٨) ، وابن أبي حاتم (٩/٣١٠٠) برقم : (١٧٥٥٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٦) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٦٧) ، وابن أبي حاتم (٩/٣١٠٠) برقم : (١٧٥٥٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٦) عزوه لسعيد بن منصور ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٦٧) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٥٦٧) ، وابن أبي حاتم (٩/٣١٠٠) برقم : (١٧٥٥٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

القول الخامس : الظاهرة : في الأبدان ، والباطنة : في الأديان .

القول السادس : الظاهرة : ما مضى ، والباطنة : ما يأتي .

القول السابع : الظاهرة : في الدنيا ، والباطنة : في الآخرة [(١)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يترجَّح عندي - والله أعلم – أنَّ المقصود نعم الله العظيمة الظاهرة على الألسن قولاً ، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملاً ، أو التي تظهر للناس فيرونها ، محسوسة ومعقولة .

والباطنة هي النِّعم التي لا تدرَك بالعقل أو الحسّ ، أو التي في القلوب اعتقاداً ومعرفة ، أو النعم التي لا يدركها الناس وتخفى عليهم .

قال الراغب رحمه الله : (يعنى بالظاهرة ما نقف عليها ، وبالباطنة ما لا نعرفها، وإليه أشار بقوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[النحل : ١٨]) [(٢)].

وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [(٣)].

قال السعدي رحمه الله : (﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عمَّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها ؛ والتي تخفى علينا ، نعم الدنيا ، ونعم الدين ، حصول المنافع ، ودفع المضار ، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم ؛ بمحبة المنعم والخضوع له ؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته ، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته) [(٤)].

فعلى هذا يحمل المعنى على العموم في كلا القراءتين .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد

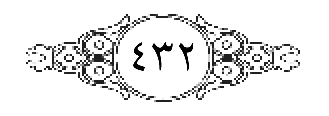
---

(١) الأقوال الثلاثة الأخيرة ذكرها الماوردي في النكت والعيون (٣٤٣/٥) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٣٢١) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٢٦/٣) ، المفردات في غريب القرآن (٣٢١) ، الكشاف (٨٣٨) ، المحرر الوجيز (١٤٨٨) ، زاد المسير (١١٠٢) ، أنوار التنزيل (٢١٥/٤) ، مدارك التنزيل (٣٢٠/٢) ، التسهيل (٢٣٤/٣)، البحر المحيط (٢٤٩/٧) ، تفسير ابن كثير (٤٩٦/٣) ، إرشاد العقل السليم (١٩١/٥) ، روح المعاني (١٤١/٢١) ، فتح القدير (٣٠٠/٤) ، تفسير المراغي (٢٤٥/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٤٩) ، التحرير والتنوير (١٧٥/١٠) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٩) .



نص بالتخصيص[1].

ويدخل في هذا القول كلُّ ما ذكره المفسِّرون من أقوال .

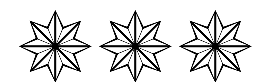
قال الراغب ﵀ : (قيل : الظاهرة : بالنبوة ، والباطنة : بالعقل ، وقيل : الظاهرة : المحسوسات والباطنة المعقولات ، وقيل الظاهرة النصرة على الأعداء بالناس ، والباطنة النصرة بالملائكة ، وكل ذلك يدخل في عموم الآية) [2].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح داخل في المعنى العام .

وقد ورد عن ابن عباس ﵄ قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ ؟ قال : « أَمَّا الظَّاهِرَةُ ؛ فَالإِسْلاَمُ وَمَا سُوِّيَ مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقِه ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ : فَمَا سَتَرَ مِنْ مَسَاوِئ عَمَلِكَ . يَا ابْنَ عَبَّاسْ ؛ إنَّ الله تَعَالَى يَقُوْلُ : ثَلاَثٌ جَعَلْتُهُنَّ لِلْمُؤْمِنِ : صَلاَةُ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِه ، وَجَعَلْتُ لَهُ ثُلُثَ مَالِه أُكَفِّرُ عَنْهُ مِنْ خَطَايَاهُ ، وَسَتَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَسَاوِئِ عَمَلِهِ فَلَمْ أَفْضَحْهُ بِشَيْءٍ مِنْهَا ؛ وَلَوْ أَبْدَيْتُهَا لَنَبَذَهُ أَهْلُهُ فَمَنْ سِوَاهُمْ » [3].

ولو صحَّ هذا الخبر عن رسول الله ﷺ لكان عمدة في تفسير الآية .

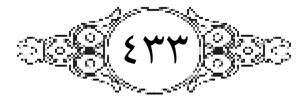
والله أعلم ، ،



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٦٢) .

(٣) **مرسل** . عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٥٢٥-٥٢٦) لابن مردويه ، والبيهقي ، والديلمي ، وابن النجار. ولم أقف عليه في غير الدرِّ المنثور .



سورة الأحزاب

الموضع الأول :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب : ٢٦] [١].

٨٠- **قال عطاء الخراساني** : هي الحصون [٢] .

الدراسة :

* أصل الصياصي : جمع صَيْصَة ، وهي الحصون وكل شيء امتنع به وتحصَّن به فهو صيصية . ومنه قيل للحصون : الصياصي [٣].

وهنا يفسِّر عطاء الخراساني الصياصي بالحصون ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، ومجاهد [٥]، وعكرمة [٦]، وقتادة [٧]،ويزيد بن رومان[٨][٩]، ومقاتل [١٠]، وعبد الرحمن بن زيد [١١]، وعلى ذلك عامة المفسِّرين [١٢].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٨٥) ص١٠٣ ، وقد سبقت دراسة الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : لسان العرب (٣١٥/٨) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩١/٦) لابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧١/١٩) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٠/١٩) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٥٢٧/٣) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٦/٣) ، والطبري (٨١/١٩) .

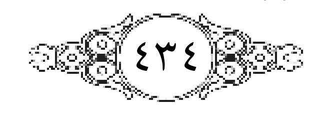
(٨) **يزيد بن رومان** = الأسدي ، أبو روح المدني ، مولى آل الزبير ، ثقة ، من الخامسة ، من شيوخ مالك ، كان عالماً كثير الحديث ، روى له : أصحاب الكتب الستة . توفي سنة ١٣٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (٦٠١) ، ورجال تفسير الطبري (٥٩٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٠/١٩) .

(١٠) حكاه عنه الواحدي في الوسيط (٤٦٦/٣) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨١/١٩) .

(١٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٢٩٧/٢) ، جامع البيان (٧١/١٩) ، الكشف والبيان (٣١/٨) ، الوسيط (٤٦٦/٣) ، معالم التنزيل (٦٢٧/٣) ، الكشاف (٨٥٣) ، المحرر الوجيز (١٥٠٩) ، زاد المسير (١١٢٢)، التفسير الكبير (١٨٠/٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦٩/٢) ، أنوار التنزيل (٢٢٩/٤) ، مدارك التنزيل (٣٤١/٢) ، التسهيل (٢٥٠/٣) ، البحر المحيط (٢٧٥/٧) ، تفسير ابن كثير (٥٢٧/٣) ، إرشاد العقل السليم (٢٢٠/٥) ، روح المعاني (٢٦٥/٢١) ، فتح القدير (٣٤٢/٤) ، تفسير المراغي (٢٨٥/٧) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢٢) ، التحرير والتنوير(٣١٢/٢١) .



ومنه قول الشاعر [1]:

فَأَصْبَحَتِ الثِّيْرَانُ غَرْقَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيْمٍ يَلْتَقِطْنَ الصَّيَّاصِيَا

وسمِّيت بذلك لامتناعهم بها ، ومنه سميت قرون البقر صياصي لامتناعها بها ، وسميت شوكة الديك التي في ساقه صيصية [2].

وقال مجاهد : من قصورهم [3]، وهو داخل في المعنى الذي عليه جمهور المفسِّرين فيكون معنى صياصيهم : من قصورهم وحصونهم التي كانوا يتحصَّنون بها [4].

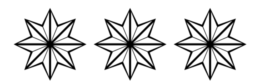
ويؤيده قول النحَّاس ﷺ : (والقصور قد يتحصَّن بها ، وأصل الصيصية في اللغة : ما يمتنع به) [5].

وقال الرَّاغب : (أي حصونهم ، وكلّ ما يتحصَّن به يقال له صيصة) [6].

والقاعدة التفسيرية : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [7].

وبهذا يتَّضح المراد .

والحمد لله ،،



(١) **البيت لسحيم عبد بني الحسْحَاس** . انظر ديوانه ص(٣٣) ، وبنو الحسحاس من بني أسد بن خزيمة . انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٤٧٠) . والبيت من شواهد : النكت والعيون (٣٩٣/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦٩/٢) ، فتح القدير (٣٤٣/٤) . واستشهد به ابن منظور في لسان العرب (٣١٥/٨) مادة : صيص .

(٢) انظر : النكت والعيون (٣٩٢/٤-٣٩٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦٩/٢) .

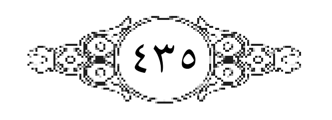
(٣) تفسير مجاهد (٢١٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٠/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٩١/٦) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم - ولم أقف عليه - .

(٤) انظر : بحر العلوم (٥٧/٣) .

(٥) معاني القرآن (٩٥٩/٢) .

(٦) المفردات في غريب القرآن (٢٩٤) .

(٧) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب : ٥٩] [١].

٨١- **قال عطاء الخراساني** : أرديتهن [٢] ، والجلباب هو الرداء فوق الخمار[٣].

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله حكماً عاماً للنساء ؛ تشترك فيه نساء النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين ؛ أنَّهنَّ إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن - وهي فتحة الصدر من الثوب - بجلباب كاسٍ ؛ فيميزهن هذا الزي ، ويجعلهن في مأمن من معابثة الفساق ، فإنَّ معرفتهنَّ وحشمتهنَّ معاً تلقيان الخجل والتحرُّج في نفوس الذين كانوا يتتبعون النساء لمعابثتهنَّ . وهذا التوجيه والتشريع طرف من إعادة تنظيم المجتمع المسلم على أساس الإسلام ، ولبنة من لبنات البناء الراسخ للمحافظة على قيمِ الأمة وثوابتها الأخلاقية الخالدة [٤].

الأقوال في الآية [٥] :

القول الأول : الجلباب هو الرداء ، وهو قول عطاء الخراساني ، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، وابن مسعود رضي الله عنه [٧]، والحسن البصري [٨]، والفرَّاء [٩].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ .

(٢) أخرجه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٨٦) ص١٠٤ ، وتقدَّمت دراسة إسناده والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) هذه الزيادة عند ابن كثير في تفسيره (٥٦٩/٣) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن (٢٨٨٠/٥) .

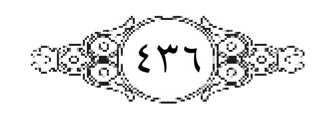
(٥) انظر : النكت والعيون (٤٢٣/٤) ، الكشاف (٨٦٤) ، المحرر الوجيز (١٥٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠٦/٢) ، البحر المحيط (٣٣٣/٧) ، روح المعاني (١٢٧/٢٢) .

(٦) حكاه عنه الزمخشري في الكشَّاف (٨٦٤) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٥٢٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠٦/٢) .

(٧) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٦٦١/٦) لابن المنذر ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (١٥٢٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠٦/٢) .

(٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٢٣/٤) .

(٩) معاني القرآن (٣٠٤/٢) .



القــول الثــاني : الجلبــاب : ثــوب واســع ؛ أوســع وأكــبر مــن الخمــار ودون الرداء ؛ تلويه المرأة على رأسـها وتبقـي منـه مـا ترسـله علـى صـدرها ، وهـذا قـول الزمخشري[1]، وجماعة من المفسّرين [2].

القول الثالث : أنه كلُّ ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها ، قاله قطرب [3][4].

القــول الرابــع : المُــلاءة الــتي تــشتمل بهــا المــرأة ، وهــذا قــول الواحــدي [5]، والبغوي [6].

القول الخامس : أنه القناع ؛ وهو قول سعيد بن جبير [7].

القول السادس : الملحَفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره [8].

الجمع أو الترجيح :

جميــع الأقــوال محتملــة ، والاخــتلاف هنــا اخــتلاف تنــوّع ، كــلٌ يفــسره بلفظه، وهو اختلاف وصـفي ، وجمـيعهم يريـد أنـه مـا يـستر ، وربمـا يجمـع هـذه الأقـوال أن يقـال : الجلبـاب هـو الثـوب الـسَّاتر لجميـع البـدن حـتى لا يظهـر منـه شـيء ، سـواء كـان رداءً ، أو ثوبـاً واسـعاً أكـبر مـن الخمـار ، أو كـان مـا تلبـسه المـرأة فـوق ثيابهـا ، أو المُـلاءة والملحفـة الـتي تـشتمل بهـا المـرأة ، أو القنـاع ، أو غيرها . وقول عطاء الخراساني داخل في ذلك .

---

(١) الكشّاف (٨٦٤) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١٥٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٠٦) ، التسهيل (٣/٢٦٥) ، إرشاد العقل السليم (٥/٢٣٩) ، فتح القدير (٤/٣٨٠) ، التحرير والتنوير (٢٢/١٠٦) .

(٣) **قطرب** = محمد بن المستنير ، أبو علي البصري ، المعروف بقطرب ، أحد العلماء بالنحو واللغة ، أخذ عن سيبويه ، وعن جماعة من علماء البصريين ، ويقال إن سيبويه لقبة قطرباً لمباكرته إياه في الأسحار ، قال له يوماً ما أنت إلا قطرب ليل ، والقطرب دويبه تدب ولا تفتر ، نزل قطرب بغداد ، وسمع منه بها أشياء من تصانيفه ، وروى عنه محمد بن الجهم السمري ، وكان موثقاً فيما يحكيه ، مات في سنة ست ومائتين . انظر : تاريخ بغداد (٣/٢٩٨) .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٤٢٣) .

(٥) الوسيط (٣/٤٨٢) .

(٦) معالم التنزيل (٣/٦٦٤) .

(٧) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣١٥٥) برقم : (١٧٧٨٩) ، وحكاه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٠٦) .

(٨) ذكره الزمخشري في الكشّاف (٨٦٤) ، والبيضاوي (٤/٢٣٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/٣٣٣) .

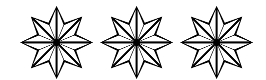


والقاعـدة التفـسيرية : إذا دار اللفـظ بـين أن يكـون مقيّـداً أو مطلقـاً ؛ فإنـه يُحمَل على إطلاقه [1].

قال الراغب : (والجلابيب : القُمُص والخُمُر ، الواحد جِلباب) [2].

وقال القـرطبي ﷺ : (والـصَّحيح أنَّـه الثـوب الـذي يـستر جميـع البـدن ، وفي صـحيح مـسلم عـن أم عطيـة قالـت : قلـت يـا رسـول الله : إِحْـدَانَا لا يَكُـونُ لَهَـا جِلْبَابٌ ؟ قَالَ : « لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا » [3]) [4].

والله أعلم ،،

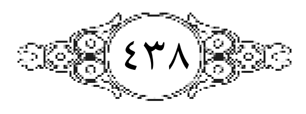


(٤) قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/٥٥٥) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (١٠٢) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه وبرقم : (٣٢٤) في كتاب الحيض ، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين ويعتزلن المصلى ، وبرقم : (٣٥١) في كتاب الصلاة ، باب وجوب الصلاة في الثياب ، وبرقم : (٩٨٠) في كتاب الحج ، باب إذا لم يكن لها جلباب في العيد ، وبرقم : (١٦٥٢) في كتاب الحجّ ، باب تقضي الحائض المناسك كلّها إلاَّ الطواف بالبيت ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٨٩٠) ، في كتاب صلاة العيدين ، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٠٦) .



سورة سبأ

الموضع الأول :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ : ١٠] [١].

٨٢- قال عطاء الخراساني : سبِّحي معه [٢].

الدراسة :

* يبين الله تعالى ما خصَّ به نبيه داود عليه السلام من الفضل ، ومن ذلك : النبوة ، والكتاب ، والملك ، والصوت الحسن ، وخصَّه بأنَّ الجبال كانت تردد التسبيح معه وترجِّعه ، وهذا من فضل الله عليه ، وهو من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده ، وهذا الترجيع منهضٌ له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجبال ، تتجاوب بتسبيح ربها ، وتمجيده ، وتكبيره ، وتحميده [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : سبَّحي معه ، وهو قول عطاء الخراساني ؛ وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، وأبا عبد الرحمن [٦] [٧]، وأبا ميسرة [٨][٩]، ومجاهد [١٠]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٢) ص٨٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٦٧٦) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٤/٤٣٥) ، المحرر الوجيز (١٥٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥١٦) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٥) عزوه لابن أبي شيبة في المصنّف .

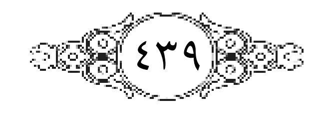
(٦) **أبو عبد الرحمن** = أبو عبد الرحمن الفهري ، صحابي ، قيل اسمه : يزيد بن إياس ، وقيل : الحارث بن هشام ، وقيل : عبيد ، وقيل : كرز بن ثعلبة ، شهد حنينا ثم فتح مصر . انظر : تقريب التهذيب (٦٥٥) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٥) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) **أبو ميسرة** = عمرو بن شرحبيل الهمداني ، أبو ميسرة الكوفي ، ثقة فاضل عابد حجة مخضرم ، روى عن : عمر ، وعلي ، وروى عنه : القاسم بن مخيمرة ، وأبو إسحاق ، وعدة ، مات سنة ثلاث وستين ، صلى عليه شريح . انظر : الكاشف (٢/٧٨) ، تقريب التهذيب (٤٢٢) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢٠) .

(١٠) تفسير مجاهد (٢١٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٥) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد .



وعكرمة [1]، والضحاك [2]، ووهب بن منبّه [3]، وقتادة [4]، وابن زيد [5]، وعلى هذا عامة المفسِّرين [6].

القول الثاني: رجِّعي معه ، والمعنى : سبِّحي معه ورجِّعي في التسبيح كلما رجَّع فيه ، قاله الزمخشري [7]، وتبعه جَمع من المفسِّرين[8].

القول الثالث: نوحي معه ، وهو قول وهْب بن منبِّه [9] .

القول الرابع : سيِري معه أينما سار ، وهو قول الحسن [10]، وهو من السَّير ما كان في النهار كله أو في الليل كله ، وقيل : بل هو سير النهار كله دون الليل .

القول الخامس : تصرَّفي معه على ما يتصرَّف فيه ، حكاه أبو حيان [11].

الجمع أو الترجيح :

القولان الأولان معناهما واحد ، ويمكن اعتبارهما قولاً واحداً ؛ لأنَّ غاية المعنى فيهما هو تسبيح الجبال مع داوود ﷺ ، وترجيعها معه ، وهذا الذي يظهر رجحانه في معنى الآية .

ومما يدلُّ على رُجْحان هذا القول دون غيره ؛ أنَّ الله تعالى قال عن داوود

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٥) لعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢١) .

(٣) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٥) لأبي الشيخ في كتاب العظمة .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٥٨) ، والطبري (١٩/٢٢١) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢١) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (١٠/٣١٦٢) برقم : (١٧٨٧٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٥) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد .

(٦) انظر : بحر العلوم (٣/٨١) ، الكشف والبيان (٨/٧١) ، الوسيط (٣/٤٨٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥١٦) ، التسهيل (٣/٢٧١) ، البحر المحيط (٧/٣٥٠) ، روح المعاني (٢٢/١٦٤) ، فتح القدير (٤/٣٩٣) .

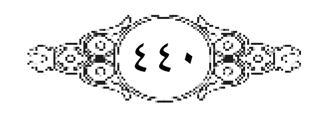
(٧) الكشاف (٨٦٩) .

(٨) انظر : زاد المسير (١١٤٣) ، التفسير الكبير (٢٥/٢١٧) ، أنوار التنزيل (٤/٢٤٣) ، مدارك التنزيل (٢/٣٦٣) ، تفسير ابن كثير (٣/٥٧٩) ، إرشاد العقل السليم (٥/٢٤٩).

(٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/٧١) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣/٦٧٢) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٥٢٩) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥١٦).

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤/٤٣٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/٣٥٠) .

(١١) البحر المحيط (٧/٣٥٠) .



في آية سورة الأنبياء : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء : ٧٩] ، وفي آية سورة ص قال سبحانه : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص : ١٨] .

قال بعض المفسِّرين : (وأصله في اللغة من الرجوع ؛ وإنما سمي التسبيح إياباً لأن المسبِّح يكرره مرة بعد مرة) (١).

قال أبو بكر السِّجستاني (٢): (والتأويب سير النهار كله ، فكأنَّ المعنى : سبحي معه نهارك كله كتأويب السائر نهاره كله) (٣).

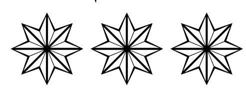
وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح داخل في المعنى .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيِّده آيات قرآنية مقدَّم على ما عدم ذلك (٤).

ويمكن أن يقال : الفضْل لغة ما زاد عن الأصل ، وفُسِّر هنا بأنه الصوت الحسن ، وقوله : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ يعني رجِّعي معه الصوت ، وهذا لا ينافي التسبيح معه ، لكنَّ لعلَّ الترجيح الذي يناسب الفضْل ؛ أن يقال هو : ترجيع الصوت .

والقاعدة التفسيرية : إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده ؛ أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له (٥).

والله أعلم ،،



---

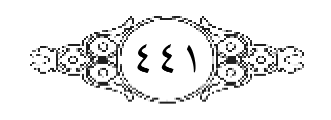
(١) انظر : بحر العلوم (٣/٨١) ، الكشف والبيان (٨/٧١) ، معالم التنزيل (٣/٦٧١) .

(٢) **السجستاني** = أبو بكر محمد بن عزير السجستاني ، العزيري ، الإمام المفسِّر ، مصنف غريب القرآن ، كان رجلاً فاضلاً خيِّراً ، ألَّف الغريب في عدة سنين ، وحرره وراجع فيه أبا بكر بن الأنباري وغيره ، وكان مقيماً ببغداد لم يذكر له ابن النجار وفاة ، والصحيح في اسم أبيه : عزير براء وليس بزاء . بقي ابن عزير إلى حدود الثلاثين وثلاث مئة . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/٢١٦) .

(٣) غريب القرآن (٧٤) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣١٢) .

(٥) المصدر السابق (١/١٢٥) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ [سبأ : ١٢][١] .

٨٣- **قال عطاء الخراساني** : عين الصِّفر[٢] .

وفي لفظ : النُّحاس[٣] .

الدراسة :

* لما ذكر الله فضله على داود عليه السلام ، ذكر فضله على سليمان عليه السلام ، ومن ذلك أنْ سخَّر له عين النحاس ، وسهل له الأسباب في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها ، وقد فسَّر عطاء الخراساني القِطْر هنا بالصِّفر ، وهو نوع من أجود أنواع النحاس[٤] .

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ؛ أنَّ القطر هو الصِّفر ، وافق في ذلك : ابن عباس رضي الله عنهما[٦] ، ومجاهد[٧] ، وابن زيد[٨] ، والسمرقندي[٩] .

واللفظ الثاني عن عطاء الخراساني أنه النُّحاس ، مرويٌّ ابن عباس رضي الله عنهما[١٠] ، وقتادة[١١] ، والسدِّي[١٢] ، وهي عبارة جمهور المفسِّرين[١٣] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٣) ص٨٩ ، وسبقت دراسة إسناده والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٥٨٠) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٦٧٦) .

(٥) انظر : النكت والعيون (٤/٤٣٧-٤٣٨) ، المحرر الوجيز (١٥٣٠) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٨) للطستي .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢٩) .

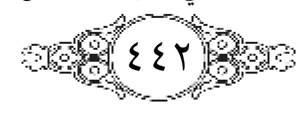
(٩) بحر العلوم (٣/٨٢) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٢٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٥٩) ، والطبري (١٩/٢٢٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٨) عزوه لعبد بن حميد .

(١٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٧٨) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٢/٣١٠) ، معاني القرآن للنحاس (٢/٩٨١) ، الكشف والبيان (٨/٧٤) ،



وبعضهم قال : النُّحاس المُذاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ [الكهف : ٩٦] ، ذكره بعض المفسِّرين [١]، وعليه جمهور أهل اللغة[٢].

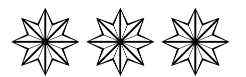
القول الثاني : أنه الفِلِزُّ كله ، النحاس والحديد وما جرى مجراه ، كانت تسيل له منه العيون ، حكاه ابن عطية [٣]، والألوسي [٤].

الجمع أو الترجيح :

القول الأول بلفظيه هو المشهور المعروف في اللغة ؛ فالقِطْر هو النُّحاس أو الصِّفر المُذاب ، والصِّفر هو النّحاس في كلام أهل اللغة [٥]. وهذا هو الرَّاجح في تفسير الآية .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٦].

والقاعدة الأخرى : تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [٧]. والله أعلم ، ،



الوسيط (٣/٤٨٨) ، معالم التنزيل (٣/٦٧٢) ، الكشَّاف (٨٧٠) ، التفسير الكبير (٢٥/٢١٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥١٨) ، مدارك التنزيل (٢/٣٦٤) ، التسهيل (٣/٢٧٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٧٦) .

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٠٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥١٨) ، أنوار التنزيل (٤/٢٤٣) ، إرشاد العقل السليم (٥/٢٥١) ، روح المعاني (٢٢/١٧١) ، فتح القدير (٤/٣٩٥) ، تفسير المراغي (٨/٤٢) ، التحرير والتنوير (٢٢/١٥٩) .

(٢) ذكره الألوسي في روح المعاني (٢٢/١٧١) .

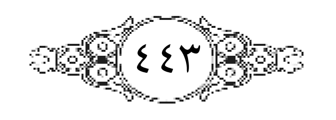
(٣) المحرر الوجيز (١٥٣٠) .

(٤) روح المعاني (٢٢/١٧١) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤/١٨٥) .

(٦) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .

(٧) المصدر السابق (٢/٨٠٤) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ : ١٣] (١).

٨٤- **قال عطاء الخراساني** : الجفان العظام (٢) .

٨٥- **وقال** : لما رأيت الصِّحاف الصغار قد ظهرت ، عرفت أنَّ البركة رُفعت (٣).

الدراسة :

* **الجفان** جمع جفنة ، وهي القصعة الكبيرة التي يجفن فيها الماء (٤) ، أو الصِّحاف كما قال مجاهد(٥) .

والجوابي عند أهل اللغة جمع جابية ، وهي الحوض الكبير الذي يجبى

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٤) ص٨٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(١٧١) .

(٣) أخرجه عنه أبو نعيم في الحلية (١٩٩/٥) قال : [حدثنا سليمان بن أحمد]، حدثنا محمد بن عبيد بن آدم ، حدثنا أبو عمير الرملي ، حدثنا ضمرة ، [عن إبراهيم بن أبي عليلة ، حدثنا ابن النحاس ، حدثنا ضمرة] عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال ... وذكر الأثر – وما بين المعقوفتين إدراج في السند وغلط فيه ، وقد نقله الطبراني عنه بسنده في مسند الشاميين بما أثبته – ، **ودراسة الإسناد** :

محمد بن عبيد بن آدم هو : محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، تفرَّد بخبر باطل ، قال الطبراني حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا أبي عن جدي عن حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف ؛ فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الحور العين » قال الطبراني في معجمه الأوسط لا يروي عن عمر إلا بهذا الإسناد . ولم أجد في ترجمته غير هذا . انظر : لسان الميزان (٢٧٦/٥) .

أبو عمير هو : **عيسى بن محمد الرملي** ، وسبقت ترجمته .

ضمرة : سبقت ترجمته .

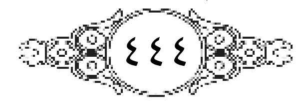
عثمان بن عطاء الخراساني : سبقت ترجمته والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

وبناءً على ضعفه فهذا الأثر ضعيف عن عطاء الخراساني .

وقد ذكره أيضاً السمعاني في تفسيره (٣٢١/٤) عن عثمان بن عطاء عن أبيه ، وفيه أنه قرأ الآية بعد كلامه .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٣١٠/٢) ، بحر العلوم (٨٣/٣) ، الكشف والبيان (٧٩/٨) ، الوسيط (٤٨٩/٣) ، معالم التنزيل (٦٧٤/٣) ، زاد المسير (١١٤٥) ، أنوار التنزيل (٢٤٣/٤) ، فتح القدير (٣٩٥/٤) ، التحرير والتنوير (١٦٢/٢٢) .

(٥) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٦٣/١٠) برقم : (١٧٨٧٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٧٩/٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر .



فيه الشيء أي يجمع ، فيكون المعنى : أي يعملون له جفانه كالحِياض العِظام التي يُجْمَع فيها الماء [(١)].

الأقوال في الآية[(٢)] :

الأقوال في معنى الجواب :

القول الأول : أنَّ المقصود الجفان العظام ، وهو قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : الحِياض ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، والحسن [(٤)]، وقتادة [(٥)]، وقال مجاهد [(٦)]والضَّحاك [(٧)]: كحياض الإبل ، وهو قول الفرَّاء[(٨)]. وجمهور المفسِّرين [(٩)].

وقيل : هي البِرك الكبار التي يجتمع فيها الماء [(١٠)]، كانوا يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى مالا يحتاج إليه غيره [(١١)].

القول الثالث : كالجوبة من الأرض[(١٢)] ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(١٣)]،

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (١٨٦/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٩٨١/٢) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٤٣٩/٤) ، المحرر الوجيز (١٥٣١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٧٩/٦) عزوه للطستي ، وفيه أنه قال: كالحياض الواسعة تسع الجفنة الجزور .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٨٠/٦) عزوه لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٥٩/٣) ، والطبري (٢٣٣/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٦٣/١٠) بعد الأثر رقم : (١٧٨٧٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٧٩/٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) تفسير مجاهد (٢١٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٤/١٩) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٤/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٧٩/٦) عزوه لابن أبي شيبة، وابن المنذر .

(٨) معاني القرآن للفراء (٣١٠/٢) .

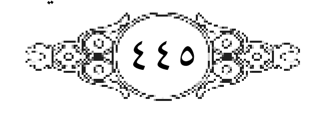
(٩) انظر : بحر العلوم (٨٣/٣) ، الكشف والبيان (٧٩/٨) ، الوسيط (٤٨٩/٣) ، معالم التنزيل (٦٧٤/٣) ، الكشَّاف (٨٧٠) ، زاد المسير (١١٤٥) ، التفسير الكبير (٢١٩/٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٠/٢) ، أنوار التنزيل (٢٤٣/٤) ، مدارك التنزيل (٣٦٤/٢) ، تفسير ابن كثير (٥٨٠/٣) ، إرشاد العقل السليم (٢٥١/٥) ، روح المعاني (١٧٤/٢٢) ، فتح القدير (٣٩٥/٤) .

(١٠) انظر : التسهيل (٢٧٢/٣) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٧٧) .

(١١) تيسير الكريم الرحمن (٦٧٧) .

(١٢) **الجوبة** = هي الحفرة العظيمة المستديرة الواسعة من الأرض . انظر : لسان العرب (٢٣٢/٣) .

(١٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٦٣/١٠) برقم : (١٧٨٨٠) .



ومجاهد ، وعكرمة ، وعطية [1]، وقال ابن زيد : جفان كجوبة من الأرض من العِظَم ، والجوبة من الأرض يستنقع فيها الماء [2].

قال ابن عطية معلِّقاً على هذا القول : (وفي هذا نظر) [3].

القول الرابع : كالحائط ، قاله السدي [4].

الجمع أو الترجيح :

القولان الأولان متقاربان ، فعطاء الخراساني قال : الجفان العِظام ، والجمهور شبهوها بالحياض الواسعة ، وهو بيان لعظم هذه الجفان ، فبينهما تداخل وتقارب ، وهذا هو الرَّاجح – والله أعلم – أنها الجفان الكبيرة التي تكفي لعشرات الناس [5].

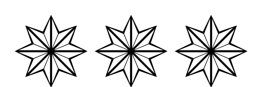
وهذا القول هو الذي تشهد له اللغة العربية .

فقول عطاء داخل فيما عليه الجمهور ، وهو تفسير منه باللازم ، فلازم التشبيه بالجواب إرادة العِظَم ، ووقع التشبيه بالجواب بجامع العِظَم في كلٍّ ؛ وهو المراد بتفسير عطاء الخراساني هنا .

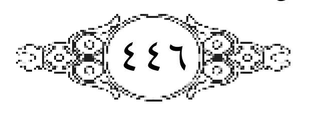
والقاعدة التفسيرية : أنه في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح ، دون الشاذ والقليل [6].

وأما القول الثاني عن عطاء الخراساني رحمه الله فهو من اللطائف التفسيرية ، ولعلَّه أراد السنَّة في اجتماع الناس على الصحاف الصغيرة في الطعام [7].

والله أعلم ، ،



(١) ذكره عنهم ابن أبي حاتم (٣١٦٣/١٠) برقم : (١٧٨٧٨-١٧٨٧٩) .
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٩) .
(٣) المحرر الوجيز (١٥٣١) .
(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٩/٤) .
(٥) انظر : تفسير المراغي (٤٢/٨) .
(٦) قواعد التفسير (٢١٣/١) .
(٧) سبق بيانه في الباب الأول ، انظر : ص(٦٥) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ : ١٤] (١) .

٨٦- **قال عطاء الخراساني : عصاه** (٢) .

الدراسة :

* **المنْسَأ**: العصا ، وسمِّيت بهذا الاسم لأنها يؤخَّر بها الشيء ويطرد ، ويُساق بها (٣) ، وأصلُها مأخوذ من نسَأت الغنم إذا سُقْتها ، ومنه قول الشاعر(٤):

إِذَاْ دَبَبْتَ عَلَىْ الْمِنْسَاةِ مِنْ هَرَمٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلْ

وهذا تفسير ابن عباس ﵄ (٥)،وسعيد بن جبير (٦)، ومجاهد(٧)، وعكرمة(٨)، وقتادة (٩)، والسدي ، وابن زيد (١٠)، وعامة المفسِّرين عليه هذا التفسير (١١)، ولم أجد لهم مخالفاً . والله أعلم .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٥) ص٨٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) معاني القرآن للزجاج (١٨٦/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٩٨٣/٢) ، المفردات في غريب القرآن (٤٩٢) .

(٤) **لم ينسب لقائل** ، من البسيط ، وهو من شواهد : جامع البيان (٢٣٩/١٨) ، الكشف والبيان (٨١/٨) ، النكت والعيون (٤٤١/٤) ، تفسير السمعاني (٣٢٣/٤) ، المحرر الوجيز (١٥٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٢/٢) ، البحر المحيط (٣٤١/٧) ، فتح القدير (٣٩٦/٤) . لسان العرب (٢٤١/١٤) مادة: نسأ .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٧/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٦٥/١٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٨٣/٦) عزوه لابن المنذر .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٨٦/٦) لعبد بن حميد .

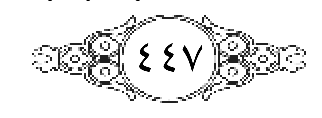
(٧) تفسير مجاهد (٢١٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٨/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٨٥/٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٨٦/٦) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٦٠/٣) ، والطبري (٢٣٨/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٨٥/٦) عزوه لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣٨/١٩) ، ولفظ السدِّي : هي العصا بلسان الحبشة .

(١١) انظر : بحر العلوم (٨٤/٣) ، الكشف والبيان (٨١/٨) ، النكت والعيون (٤٤١/٤) ، الوسيط (٤٨٩/٣) ، معالم التنزيل (٦٧٥/٣) ، الكشاف (٨٧٠) ، المحرر الوجيز (١٥٣٣) ، زاد المسير (١١٤٥) ، التفسير



الموضع الخامس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ : ١٦] (١) .

٨٧- **قال عطاء الخراساني** : سيل الوادي (٢) .

وفي لفظ : اسم الوادي (٣) .

الدراسة :

* يبيِّن الله ما كان من عذابه لأهل سبأ حين أعرضوا عن شكر الله ، وعن العمل الصالح ، والتصرُّف الحميد فيما أنعم الله عليهم ، وأنه سلبهم سبب هذا الرخاء ؛ فأرسل السيل الجارف الذي يحمل العرِم في طريقه ؛ فحطَّم السدَّ ، وانساحت المياه فطغت وأغرقت ، ولله الحكمة البالغة سبحانه (٤) .

الأقوال في الآية(٥) :

القول الأول : أنَّ العرِم ، هو الوادي ، وهو قول عطاء الخراساني ، والظاهر أنه أراد اسم الوادي ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وقتادة ، والضحاك (٦) ، ومقاتل (٧) ، وقاله السمرقندي (٨) .

الكبير (٢٢١/٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢١/٢) ، أنوار التنزيل (٢٤٤/٤) ، مدارك التنزيل (٣٦٥/٢) ، التسهيل (٢٧٢/٣) ، البحر المحيط (٣٥٦/٧) ، تفسير ابن كثير (٥٨١/٣) ،إرشاد العقل السليم (٢٥٢/٥)، روح المعاني (١٧٦/٢٢) ، فتح القدير (٣٩٦/٤) .

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٦) ص٩٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(١٧١) .

(٣) ذكره عنه بهذا اللفظ : ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٦٦/١٠) برقم : (١٧٨٩١) ، والنحاس في معاني القرآن (٩٨٤/٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٥/٢) عن عطاء ، ولم يسمُّوا عطاء الخراساني ، لكن نسبه إليه ابن حجر في فتح الباري (٦٨١/٨) ، عند بداية تفسير سورة سبأ فأثبتُّه .

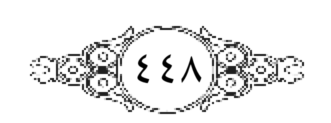
(٤) انظر : في ظلال القرآن (٢٩٠٠/٥-٢٩٠١) .

(٥) انظر : جامع البيان (٢٤٩/١٩) ، الكشف والبيان (٨٣/٨) ، الوسيط (٤٩١/٣) ، معالم التنزيل (٦٧٦/٣)، الكشاف (٨٧١) ، المحرر الوجيز (١٥٣٤) ، زاد المسير (١١٤٧) ، التفسير الكبير (٢٢٢/٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٥/٢) ، التسهيل (٢٧٤/٣) ، البحر المحيط (٣٥٩/٧) ، روح المعاني (١٨٤/٢٢) .

(٦) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٥١/١٩) .

(٧) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (١١٤٧) .

(٨) بحر العلوم (٨٥/٣) .



القــول الثــاني : أنَّ العــرِم : المــسنَّاة [١]، أو الــسَّكر [٢] الــتي تحـبِس المــاء ، واحدها : عَرِمة ، وهـذا قـول عمـرو بـن شـرحبيل [٣]، ومجاهـد [٤]، والمغـيرة بـن حكيم [٥] [٦]، والفرَّاء [٧]، وجمع من المفسِّرين [٨].

القـول الثالـث : الـشديد ، قالـه ابـن عبـاس رضي الله عنهما [٩]، وقـال بعـضهم : سـيل الأمر العـرم ، أي الـصَّعب [١٠]، ومـن قـال بهـذا القـول اعتـبر العـرِم صـفة للمـسناة التي كانت لهم ، وليس اسماً لها [١١] .

قـال ابــن عطيــة رحمه الله : (وكأنــه صــفة للــسّيل ، مــن العرامــة ، والإضــافة إلى الصفة مبالغة ، وهي كثير في كلام العرب) [١٢].

القــول الرابــع : أنَّ سـيل العــرِم : مــاء أحمــر أرسَــله الله في الــسدّ ، فــشقَّه

(١) **المُسنَّاة** = بضمِّ الميم وفتح المهملة وتشديد النون ، قال في لسان العرب (٧/٢٨٥) : (المُسَنَّاة : ضفيرة تبنى للسيل لترد الماء سميت مسنَّاة لأنَّ فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب ، مأخوذ من قولك : سنيت الشيء) . وقد ذكر القرطبي أنَّ المسنَّاة هي التي يسميها أهل مصر الجسر . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٢٥) .

(٢) **السِّكْرُ** = سدّ النَّهر . قال في لسان العرب (٧/٢١٦) : (السِّكْرُ : اسم ذلك السداد الذي يجعل سداً للشقّ ونحوه) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٩٠) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٥١) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣١٦٦) برقم : (١٧٨٩٠) .

(٥) **المغيرة بن حكيم** = الصنعاني ، سافر إلى مكة أكثر من خمسين سفراً حافياً محرماً صائماً ، لا يترك صلاة السحر في سفره ؛ إذا كان السَّحر نزل فصلى ، ويمضي أصحابه فإذا صلى الصبح لحق متى ما لحق ، وكان جزءه في يومه وليلته القرآن كله ، يقرأ في صلاة الصبح من البقرة إلى هود ، ويقرأ قبل الزوال إلى أن يصلي العصر من هود إلى الحج ثم يختم ، سمع من ابن عمر ، وأبي هريرة وغيرهما . ثقة من الرابعة . انظر : صفة الصفوة (٢/٢٩٦) ، تقريب التهذيب (٥٤٢) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٥٠) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء (٢/٣١١) .

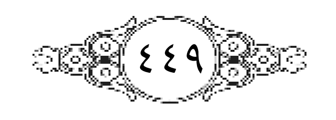
(٨) انظر : الكشف والبيان (٨/٨٣) ، الوسيط (٣/٤٩١) ، معالم التنزيل (٣/٦٧٦) ، فتح القدير (٤/٤٠٠) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٥٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣١٦٦) برقم : (١٧٨٨٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٩٠) عزوه لابن المنذر .

(١٠) هذا قول الراغب في المفردات في غريب القرآن (٣٣٥) ، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٤/٢٤٥) ، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٥/٢٥٣) .

(١١) انظر : جامع البيان (١٩/٢٥٢) .

(١٢) المحرر الوجيز (١٥٣٥) .



وهدمه، وحفر الوادي عن الجنَّتين ، فارتفعا وغار عنهما الماء ، فيبستا ولم يكن الماء الأحمر من السدّ ، وهذا مروي عن مجاهد [1]، وابن أبي نجيح[2].

وقال ابن كثير : (العرِم : المياه) [3].

القول الخامس : العرِم : المطر الشديد ، حكاه الزجاج[4]، والنسفي[5].

القول السادس : العرِم : اسم الجُرْذ الذي ثقب السّكْرَ عليهم ، وهو الذي يقال له الخُلْد [6]، وقاله الزمخشري [7]، وضعَّفه ابن عطية [8].

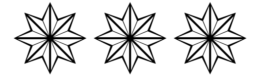
الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها محتملة ، وقد ذكرها جمع من المحققين ولم يرجِّحوا منها قولاً [9]، غير أنَّ القول الأخير بعيد ، ولا دليل عليه .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [10].

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح داخل في المعنى المراد .

والله أعلم ، ،



(١) تفسير مجاهد (٢١٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩١/٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٢) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٥/٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٨٥/٣) .

(٤) حكاه الزجاج في معاني القرآن (١٨٨/٤) .

(٥) مدارك التنزيل (٣٦٦/٢) .

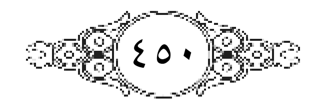
(٦) حكاه الزجاج في معاني القرآن (١٨٨/٤) .

(٧) الكشاف (٨٧١) .

(٨) المحرر الوجيز (١٥٣٥) .

(٩) منهم : البخاري في صحيحه ، في كتاب تفسير القرآن ، سورة سبأ (١٥٢/٦) ، والطبري في جامع البيان (٢٤٩/١٩) ، والثعلبي في الكشف والبيان (٨٣/٨) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٥٣٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١١٤٧) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٢٢/٢٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٥/٢) ، وابن جزي في التسهيل (٢٧٤/٣) ، وآخرون .

(١٠) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



الموضع السادس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سبأ : ١٦] (١) .

٨٨- **قال عطاء الخراساني** : الأراك (٢)، وأكلة البَرير (٣)(٤) .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله تعالى ما تبدلت به تلك الجنان التي رزقها الله أهل سبأ ؛ بدَّلهم بصحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة ، ومن ذلك الأكل الخمط ، وهو شجر لا شوك له ، وقيل هو شجر الأراك (٥)، أو هو ضرْب من الأراك له حَمْلٌ يؤْكَل .

الأقوال في الآية (٦) :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، وافق فيه قول ابن عباس رضي الله عنهما (٧)، وقتادة (٨)، والحسن ، ومجاهد (٩)، وعكرمة (١٠)، والضحاك ، وابن زيد (١١)، والسدي (١٢)، وهو قول البخاري في صحيحه (١٣)، وكذا قال جمهور

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٧) ص٩٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٣) **البرير** = ثمر الأراك ، والغض منه : المرد ، والنضيج : الكباث ، وأسوده أشده نضجاً . انظر : معاني القرآن للفراء (٢/٣١٢) ، غريب الحديث لابن قتيبة (١/٤٣٥) .

والأراك : شجر من الحمض يستاك بقضبانه ، الواحدة أراكة ، ويقال : هي شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان ، خوارة العود ، ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير يملأ العنقود الكف . انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/١٢) .

(٤) ذكر هذه الزيادة ابن كثير في تفسيره (٣/٥٨٥) .

(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٦٥) .

(٦) انظر : الكشف والبيان (٨/٨٤) ، الوسيط (٣/٤٩١) ، زاد المسير (١١٤٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٢٦)، إرشاد العقل السليم (٥/٢٥٣) ، روح المعاني (٢٢/١٨٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٢٥٥) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (١٠/٣١٦٦) برقم : (١٧٨٩٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٩١) عزوه لابن المنذر ، والطستي .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٦١) ، والطبري (١٩/٢٥٦) .

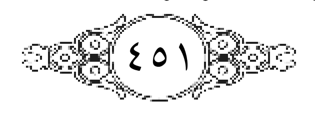
(٩) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٩/٢٥٥-٢٥٦) .

(١٠) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٥٨٥) .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٩/٢٥٦) .

(١٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٩١) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١٣) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة سبأ (٦/١٥٢) .



المفسِّرين [(١)].

القول الثاني : الخمط : كلُّ شجرة فيها مرارة ، ذات شوك . قاله عبيدة[(٢)]، والزجَّاج [(٣)]، والبيضاوي [(٤)].

قال الرازي رحمه الله : (كل شجرة لها شوك ، أو كل شجرة ثمرتها مرَّة ، أو كلّ شجرة ثمرتها لا تؤكل) [(٥)].

القول الثالث : الخمطة التي أخذت شيئاً من الرِّيح ، وهو قول ابن قتيبة[(٦)].

القول الرابع : كلّ شيء تغيَّر إلى ما لا يُشتهى يقال له خَمْط ، وهذا القول حكاه الشوكاني عن المبرد [(٧)].

القول الخامس : الخمط : ثمر شجر يقال له فسوة الضبع ، على صورة الخشاش ، ينفرِك ولا ينتفع به ، قاله ابن الأعرابي [(٨)].

قال السَّعدي رحمه الله في الآية : (وهذا كلّه شجر معروف ، وهذا من جنس عملهم) [(٩)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها محتملة ، وقول عطاء الخراساني ومن معه ؛ أنَّ المقصود بالخمط الأراك هو أقربها الذي تشهد له لغة العرب ، وقد رجَّحه جمع من

---

(١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٣١٢/٢) ، بحر العلوم (٨٥/٣) ، وحكاه الواحدي في الوسيط (٤٩١/٣) ، والبغوي في معالم التنزيل (٦٧٧/٣) ، الكشاف (٨٧١) ، زاد المسير (١١٤٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢٦/٢) ، مدارك التنزيل (٣٦٦/٢) ، التسهيل (٢٧٤/٣) ، وحكاه عنهم الشوكاني في فتح القدير (٤٠٠/٤) ، وذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٧١/٢٢) .

(٢) مجاز القرآن (١٤٧/٢) .

(٣) معاني القرآن للزجاج (١٨٨/٤) .

(٤) أنوار التنزيل (٢٤٥/٤) .

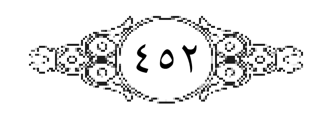
(٥) التفسير الكبير (٢٢٢/٢٥) .

(٦) أدب الكاتب (١٤٠) .

(٧) انظر : فتح القدير (٤٠٠/٤) .

(٨) حكاه عنه الواحدي في الوسيط (٤٩١/٣) ، والبغوي في معالم التنزيل (٦٧٧/٣) .

(٩) تيسير الكريم الرحمن (٦٧٧) .



المحققين [(١)]، والمؤرخين .

ففي أوائل القرن الرابع الهجري ، وقف على السدِّ المؤرخ والجغرافي أبو محمد ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني [(٢)]، وكتب وصفاً لهذا السد ؛ حيث قال ﷺ : (والجنتان عن يمين السد ويساره ، وهما اليوم غامرتان ، والغامرة العافي [(٣)]، وكذلك السامر في كتب أصحاب الشروط في شراء الأرضين بغامرها ، وإنما عفتا لما اندحق السدُّ فارتفعتا عن أيدي السيول .

وجدْت في إحداهما عريق أراك ، وفي أصله جذع نخلة أسود ، قد كست باقيه السوافي [(٤)]... إلى آخر ما وصف) [(٥)].

وعلى كل حال : فالخمط شيء لا يستساغ أكله ، وهو مقابل للنعيم الذي سبقه : ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ : ١٥] ، فلمَّا أعرضوا وكفروا بدَّلهم الله بجنتين آخرتين ، لكنهما ذواتي خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ففي الأولى إنعام، وقابلها هنا سخط وانتقام ، وهذا مفهوم واضح من السياق [(٦)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٧)]. والله أعلم ..

---

(١) كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٢٦) ، وابن جزي في التسهيل (٣/٢٧٤) ، والشوكاني في فتح القدير (٤/٤٠٠) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٢/١٧١) .

(٢) **الحسن بن أحمد بن يعقوب** = يعرف بابن الحائك الهمداني ، له كتاب الإكليل في مفاخر قحطان وذكر اليمن، وله قصيدة سماها الدامغة في فضل قحطان ، من الوافر ، أولها :

ألا يا دار لولا تنطقينا *** فإنا سائلوك فخبِّرينا

وله كتاب جزيرة العرب وأسماء بلادها وأوديتها ومن يسكنها ، وقد ذكر الأمير عبد الكريم بن علي البيساني في فهرست كتبه خبراً من كتاب الإكليل في أنساب حمير وأخبارها ، وكان في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة . انظر : معجم الأدباء (٢/٤١٢) .

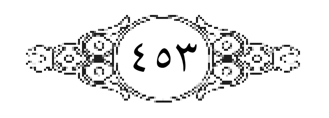
(٣) **الغامر** = المندرس العافي ، والغامر من الأَرض والدور خلافُ العامر ، وقيل : الغامرُ من الأَرض ما لم يزرع مما يحتمل الزراعة ، وإنما قيل له غامرٌ لأَن الماء يبلغه فيَغْمُره ، قال أَبو منصور : قيل للخراب غامرٌ لأَنَّ الماء قد غَمَرَه فلا تمكن زراعتُه ، أَو كَبَسَه الرمل والتراب ، أَو غَلَب عليه النَّزُّ فنبت فيه الأَباءُ والبَرْدِيّ فلا ينبت شيئاً ، وقيل له : غامرٌ لأَنه ذو غَمْرٍ من الماء وغيره للذي غَمَره . انظر : لسان العرب (١١/٨٣) .

(٤) الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير (٨/٧٣) .

(٥) **السوافي** = الرمال التي تسفيها الرياح . يقال : سفت الريح التراب تسفيه سفياً : ذَرَته ، وقيل : حملته فهو سَفِيّ . انظر : لسان العرب (٧/٢٠٥) مادة : سفا .

(٦) انظر صورة لآثار سد مأرب ، وما حل بمنطقة سبأ من كونها صارت جرداء بعدما كانت محاطة بالجنان ، وقد نقلتها في ملحق الصور ، رقم : (٩-١٠) ص(١٠٠٠) .

(٧) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



الموضع السابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ [سبأ : ٥٢] [١].

٨٩- **قال عطاء الخراساني** : التناوش من لا يقدر عليه [٢].

الدراسة :

* التناوش في اللغة : التأخر والتباعد ؛ من نأش الشيء أخَّره وأبعده ، وهو الأخذ من بُعد [٣]، قال الرَّاغب رحمه الله : (أي كيف يتناولون الإيمان من مكان بعيد ، ولم يكونوا يتناولونه عن قريب في حين الاختيار والانتفاع بالإيمان) [٤].

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : التناوش من لا يقدر عليه ، وهو قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : هو طلبهم الأمر من حيث لا يُنال ، فهو بعيد عليهم لاستحالته عندهم ، قاله الحسن [٦].

القول الثالث : أي وأنَّى لهم تناول الإيمان والتوبة والرَّجعة إلى الدنيا ، وهي قد بَعُدت عنهم ، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها ، ولا يُقدر عليها فيه .

ووصف ذلك الموضع بالبعيد ، لأنهم قالوا ذلك بعد الرحيل من الدنيا ، فقال الله : أنى لهم أن يردُّوا فيتوبوا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة ، فالمعنى : من أين لهم أن يتحرَّكوا فيما لا حيلة لهم فيه [٧].

وهذا بمجمله معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما [٨]، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٨) ص٩٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : لسان العرب (١٤/١٦٦-١٦٧) .

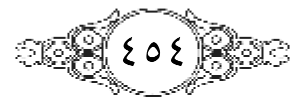
(٤) المفردات في غريب القرآن (٥١١) .

(٥) جامع البيان (١٩/٣١٧-٣١٩) ، النكت والعيون (٤/٤٥٩) .

(٦) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٥٩٨) .

(٧) انظر : جامع البيان (١٩/٣١٦) ، معاني القرآن للزجاج (٤/١٩٥) ، معاني القرآن للنحاس (٢/٩٩١) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٣١٧) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣١٦٩) برقم : (١٧٩٠٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦/٧١٥) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، ولفظ ابن عباس: يسألون الردّ ، وليس بحين الردّ .



ومجاهـد [(١)]، وقتـادة [(٢)]، والـضحاك [(٣)]، وابـن زيـد [(٤)]، وبنحـو هـذا قـال جمهور المفسِّرين ، مع تنوُّع في عباراتهم [(٥)].

قـال الألوسـي ﷺ : (وإبقـاؤه علـى عمومـه أولى ، أي : مـن أيـن لهـم أن يتناولوا الإيمان) [(٦)].

القول الرابع : من الآخرة إلى الدنيا ، قاله مجاهد [(٧)] .

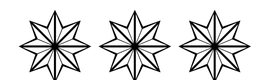
الجمع أو الترجيح :

جميع الأقوال متقاربة ، ويمكن حمْل المعنى عليها جميعاً .

والمعـنى أنهـم لا يقـدرون الرجـوع للـدنيا ليتوبـوا بعـد أن بعـدوا عنـها ، فهـم يطلبون أمراً لا قدرة لهم عليه ، ولا يستطيعونه أبداً .

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [(٨)].

والله أعلم ،،



---

(١) تفسير مجاهد (٢٢٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١٧/١٩) ، ولفظه : التناوش : الرد إلى الدنيا .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٦٧/٣) ، والطبري (٣١٨/١٩) ، ولفظه : أن يتناولوا التوبة .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١٩/١٩) ، ولفظه : وأنى لهم الرَّجعة ! .

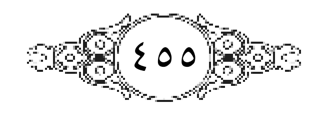
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١٨/١٩) ، ولفظه : أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد ، وقد تركوها في الدنيا ، قال : وهذا بعد الموت في الآخرة .

(٥) انظر : جامع البيان (٣١٦/١٩) ، معاني القرآن للزجاج (١٩٥/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٩٩١/٢) ، بحر العلوم (٩٧/٣) ، الكشف والبيان (٩٥/٨) ، الوسيط (٤٩٩/٣) ، معالم التنزيل (٦٨٦/٣) ، الكشاف (٨٧٨) ، المحرر الوجيز (١٥٤٣) ، زاد المسير (١١٥٦) ، التفسير الكبير (٢٤٠/٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣٩/٢) ، أنوار التنزيل (٢٥٢/٤) ، مدارك التنزيل (٣٧٦/٢) ، التسهيل (٢٨٢/٣) ، البحر المحيط (٣٨٧/٧) ، تفسير ابن كثير (٥٩٨/٣) ، إرشاد العقل السليم (٢٦٧/٥) ، روح المعاني (٢٣٢/٢٢) ، فتح القدير (٤١٩/٤) .

(٦) روح المعاني (٢٣٢/٢٢) .

(٧) تفسير مجاهد (٢٢٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١٩/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣١٦٩/١٠) برقم : (١٧٩٠٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧١٤/٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد . وبنحوه عند ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٨) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



سورة فاطر

الموضع الأول :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر : ١١] (١).

٩٠- **قال عطاء الخراساني** : لا يذهب من عمر إنسان يوم ، ولا شهر ولا ساعة ؛ إلا ذلك مكتوبٌ محفوظٌ معلوم (٢) .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني رحمه الله نقص عمر الإنسان في هذه الآية بأنه النقص من عمره فكلُّ ساعة ، وكلُّ يوم ، وكلُّ شهر يمضي من عمر الإنسان هو نقص من حياته ، ومُضيٌ من عمره .

الأقوال في الآية(٣) :

القول الأول : معناه : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ بفَنَاء ما فَني من أيام حياته ، فذلك هو نقصان عمره ، والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول ، لأن معنى الكلام : ما يطول عمر أحد ، ولا يذهب من عمره شيء ، فيُنقَص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب ، قد أحصاه وعلمه .

وهذا القول هو معنى قول عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما(٤)، وأبو مالك(٥) (٦)، وسعيد بن جبير(٧)، والثعلبي (٨)، والقرطبي (٩).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٧٦/١٠) برقم : (١٧٩٥٤) ، وابن كثير في تفسيره (٦٠٤/٣) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٤٦٥/٤) ، زاد المسير (١١٦١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤٦/٢) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٥/١٩) .

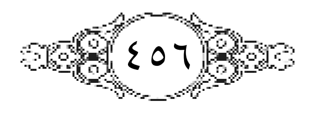
(٥) **أبو مالك الأشعري** = قيل اسمه : عبيد ، وقيل : عبد الله ، وقيل : عمرو ، وقيل : كعب بن كعب ، وقيل عامر بن الحارث ، صحابي ، مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة . انظر : تقريب التهذيب (٦٧٠) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٤/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٤٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١/٧) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٤٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ في العظمة .

(٨) الكشف والبيان (١٠٢/٨) .

(٩) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤٦/٢) .



القول الثاني : معناه : وما يعمَّر من معمَّر فيطول عمره ، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عُمِّر عمراً طويلاً : ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه ، وقبل أن تضعه ، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه ، لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص ، وهذا القول رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [1]، ومجاهد[2]، وعكرمة[3]، والضحاك [4]، وحسَّان بن عطية[5][6]، والسدّي[7]، وابن زيد[8]، واختاره جمع من أهل اللغة [9] ، وعليه جمهور المفسرين [10].

وهذا القول رجَّحه الطبري رحمه الله وقال : (فالهاء التي في قوله : ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ على هذا التأويل ، وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمَّر الأول ، فهي كناية اسم آخر غيره ، وإنما حسن ذلك لأنَّ صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول ، وذلك كقولهم : عندي ثوب ونصفه ، والمعنى: ونصف

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٣/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١/٧) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١/٧-١٢) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٤٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٣/١٩) .

(٥) **حسان بن عطية** = أبو بكر المحاربي ، مولاهم ، أبو بكر الدمشقي ، روى عن : أبي أمامة ، وابن المسيب ، وروى عنه : الأوزاعي ، وأبو غسان محمد بن مطرف ، ثقة عابد نبيل ، لكنه قدري ، وذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات من العشرين إلى الثلاثين ومائة ، وقال : كان من أفاضل أهل زمانه . انظر : تهذيب التهذيب (٢١٩/٢) .

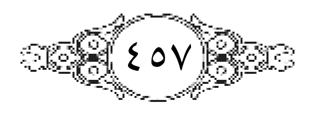
(٦) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٥٠) .

(٧) ذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٥٣) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٤/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣١٧٥/١٠) برقم : (١٧٩٥٢) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٢٠/٢) ، معاني القرآن للزجاج (٢٠٠/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٩٩٧/٢).

(١٠) انظر : بحر العلوم (١٠٢/٣) ، الوسيط (٥٠٢/٣) ، معالم التنزيل (٦٩١/٣) ، المحرر الوجيز (١٥٤٧) ، التسهيل (٢٨٦/٣) ، البحر المحيط (٤٠٢/٧) ، تفسير ابن كثير (٦٠٤/٣) ، إرشاد العقل السليم (٢٧٦/٥) ، روح المعاني (٢٦٢/٢٢) ، فتح القدير (٤٢٧/٤) ، تفسير المراغي (٧٢/٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٨٦).



الآخر) ، وقال عن سبب الترجيح : (وذلك أنَّ ذلك هو أظهر معنييه ، وأشبههما بظاهر التنزيل) [1].

وهو ما رجَّحه ابن كثير أيضاً [2].

القول الثالث: المعمَّر : من بلغ ستين سنة ، والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل أن يبلغ ستين سنة . وهذا قول قتادة [3]، واختاره الطاهر بن عاشور [4].

القول الرابع : ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ ما لفظَت الأرحام من الأولاد . وهذا مرويٌ عن ابن زيد [5].

الجمع أو الترجيح :

القولان الأولان كلاهما محتمل ، والقول الأول أقرب للمراد .

والمقصود على كلِّ حال : الدلالة على قدرة الله تعالى المطلَقة ، وأنه لا يذهب من عمر الإنسان لحظة إلاَّ وهي معلومة محفوظة ، وهذا معنى قول عطاء الخراساني ، والسياق يشهد له ويؤيده .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدَّر [6].

والذي خلق الإنسان من تراب ثمَّ من نطفة ؛ قادر أن يطيل في عمره ، أو ينقص .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسْعُوْد ﷺ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ : اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُول اللَّهِ ﷺ ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ سَأَلْت اللَّهَ لآجَال مَضْرُوبَةٍ ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ؛ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ ، أَوْ

---

(١) جامع البيان (١٩/٣٤٤) .

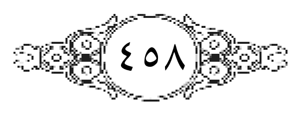
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٠٤) .

(٣) ذكره عنه ابن أبي حاتم (١٠/٣١٧٦) برقم : (١٧٩٥٥) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٢/٢٧٧) .

(٥) ذكره عنه ابن أبي حاتم (١٠/٣١٧٦) برقم : (١٧٩٥٧) .

(٦) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٩٣) .



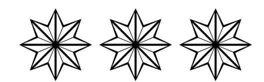
يُؤَخِّرَ شَيْئاً عَنْ حلِّه ، وَلَوْ كُنْت سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْراً وَأَفْضَلَ » [1].

فهو في هذا الحديث وجَّهها ﷺ للنافع الذي ينفعها ، وهو الدعاء بأن يعيذها الله من عذاب في النار وعذاب في القبر .

وفي حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَيُكْتَبَانِ ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ فَيُكْتَبَانِ ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ » [2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » [3].

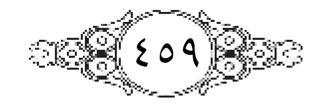
والله أعلم ، ،



(١) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٦٦٣) في كتاب القدر ، باب بيان أنَّ الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد .

(٢) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه (٢٦٤٤) في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه (٢٠٦٧) في كتاب البيوع ، باب من أحبَّ البسط في الرزق ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه (٢٥٥٧) في كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها .



الموضع الثاني :

* وفي قوله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [فاطر : ١٨] [(١)].

٩١- قال عطاء الخراساني : إن تدْعُ نفس مثقلة من الخطايا ذا قرابة أو غير ذي قرابة ﴿لَا يُحْمَلْ﴾ عنها من خطاياها شيء[(٢)].

الدراسة :

* يخبر تعالى أنَّ النفس التي أثقلتها ذنوبها إذا دَعت يوم القيامة من يتحمَّل الذنوب عنها ؛ لم تجد من يتحمَّل عنها شيئاً من ذنوبها ، ولا من يخفِّف عنها . والنَّفس تؤدَّى عن الذَّكر والأنثى ، كما قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] [(٣)].

الأقوال في الآية :

في الآية قول واحد ، هو معنى قول عطاء الخراساني ، وهو قول عامة المفسِّرين مع تنوع في عباراتهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " يكون عليه وزرٌ لا يجد أحداً يَحمِل عنه من وزره شيئاً " [(٤)].

وقال مجاهد : ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ ذنوباً ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ كنحو : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [(٥)].

وقال قتادة : " ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ قريب القرابة منها ، لا يحمل من ذنوبه

---

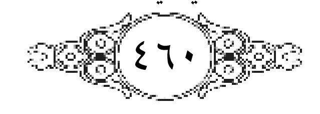
(١) الآية بتمامها : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٧٧/١٠) برقم : (١٧٩٦٦) ، وعزاه له السيوطي في الدر المنثور (١٦/٧) .

(٣) انظر : جامع البيان (٣٥٤/١٩) ، النكت والعيون (٤٦٨/٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٣/١٩) .

(٥) تفسير مجاهد (٢٢١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٤/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٨/١٠) برقم : (١٧٩٦٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦/٧) عزوه لعبد بن حميد .



شيئاً ، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئاً " [١].

وعلى هذا المعنى أهل اللغة [٢]، وعامَّة المفسِّرين [٣].

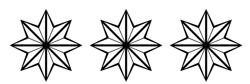
وتشهد لهذا المعنى آيات كثيرة من كتاب الله منها :

* قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان : ٣٣] .

وأما قوله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل : ٢٥] .

فقد يوهم تعارضاً مع الآية محل الدراسة ، وليس فيها ما يخالف ذلك ، لأنَّ هؤلاء يحملون أوزارهم كاملة ، وكذلك أوزار الذين يضلُّونهم ، بدلالة قوله ﷺ : « وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا ، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » [٤].

نسأل الله السلامة والعافية من عقابه وعذابه ، وأن يختم لنا بالإيمان .



---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٤/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٨/١٠) برقم : (١٧٩٧٠) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (٣١٧٨/١٠) برقم : (١٧٩٦٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٧) عزوه لعبد بن حميد .

ونقل القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤٩/٢) عن الفضيل بن عياض قال : (هي المرأة تلقى ولدها فتقول : يا ولدي ، ألم يكن بطني لك وعاء ، ألم يكن ثديي لك سقاء ، ألم يكن حجري لك وطاء ، يقول : بلى يا أماه ، فتقول : يا بني ، قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنباً واحداً ، فيقول : إليك عني يا أماه ، فإني بذنبي عنك مشغول) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٢٠/٢) ، معاني القرآن للزجاج (٢٠١/٤) ، معاني القرآن للنحاس (٩٩٩/٢).

(٣) انظر : بحر العلوم (١٠٤/٣) ، الكشف والبيان (١٠٤/٨) ، الوسيط (٥٠٣/٣) ، معالم التنزيل (٦٩٢/٣)، الكشاف (٨٨٤) ، زاد المسير (١١٦٠) ، التفسير الكبير (١٤/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤٨/٢) ، أنوار التنزيل (٢٥٧/٤) ، مدارك التنزيل (٣٨٥/٢) ، التسهيل (٢٨٨/٣) ، البحر المحيط (٤٠٥/٧) ، تفسير ابن كثير (٦٠٦/٣) ، إرشاد العقل السليم (٢٧٨/٥) ،روح المعاني (٢٧٤/٢٢) ، فتح القدير (٤٣١/٤) ، تفسير المراغي (٧٦/٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٨٧) ، التحرير والتنوير (٢٨٩/٢٢) .

(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٤٤) في كتاب الزكاة ، باب الحثّ على الصدقة ولو بشق تمر .

الموضع الثالث:

* وفي قول الله عزَّ وجل: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [فاطر: ٢٧][١].

٩٢- قال عطاء الخراساني : الغرابيب: الجبال الطوال السود[٢].

الدراسة:

* الغرابيب في اللغة جمع غِرْبيب وهو: شديد السواد المشبه للغراب في السواد[٣]، وجميع المفسِّرين على هذا المعنى اللغوي في الغرابيب[٤][٥].

الأقوال في الآية[٦]:

القول الأول: قول عطاء الخراساني؛ أنها الجبال الطوال السود، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٧]، والسدّي، وقتادة[٨]، وأبو مالك[٩]، وعكرمة[١٠]، وعليه جمهور المفسِّرين[١١].

---

(١) الآية بتمامها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾.

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٦٠٨/٣).

(٣) لسان العرب (٢٧/١١) مادة: غ ر ب.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢٠٣/٤)، معاني القرآن للنحَّاس (١٠٠٠/٢)، المفردات في غريب القرآن (٣٦١)، بحر العلوم (١٠٦/٣)، الوسيط (٥٠٤/٣)، معالم التنزيل (٦٩٣/٣)، زاد المسير (١١٦١)، التفسير الكبير (١٩/٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٥٠/٢)، مدارك التنزيل (٣٨٦/٢)، التسهيل (٢٩٠/٣)، البحر المحيط (٤١٠/٧)، روح المعاني (٢٨١/٢٢)، فتح القدير (٤٣٤/٤)، تفسير المراغي (٧٩/٨)، التحرير والتنوير (٣٠٢/٢٢).

(٥) فائدة: قال الرازي في تفسيره (١٩/٢٦): (لم يذكر مختلف ألوانها بعد البيض والحمر والسود، بل ذكره بعد البيض والحمر وأخَّر السود الغرابيب، لأنَّ الأسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب يكون بالغاً غاية السواد فلا يكون فيه اختلاف).

(٦) النكت والعيون (٤٧١/٤)، زاد المسير (١١٦١).

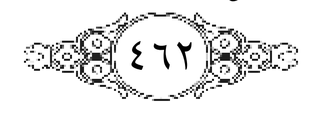
(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٧٩/١٠) برقم: (١٧٩٧٣).

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٧٠/٣)، والطبري (٣٦٣/١٩)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٧٩/١٠) برقم: (١٧٩٧٥)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩/٧) عزوه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٠) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف (٨٨٥)، وابن كثير في تفسيره (٦٠٨/٣).

(١١) انظر: بحر العلوم (١٠٦/٣)، الوسيط (٥٠٤/٣)، الكشاف (٨٨٥)، زاد المسير (١١٦١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٥٠/٢)، أنوار التنزيل (٢٥٨/٤)، إرشاد العقل السليم (٢٨٠/٥)، روح المعاني



القول الثاني: الطرائق السود ، أو الطرق تكون في الجبال كالعروق ، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما[1]، واختاره جمع من المفسرين[2].

القول الثالث: الأودية السود ، قاله قتادة[3]، والعروق تسمى وديان .

الجمع أو الترجيح :

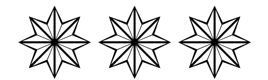
الأقرب من هذه الأقوال هو القول الأول ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وعليه جمهور المفسِّرين أنها الجبال السود . لأنَّ الله نصَّ في أول الآية على الجبال ، أنَّ منها بيض وحمر وسود ، وهو المناسب للسياق .

قال الزجاج رحمه الله : (ومن الجبال غرابيب ، وهي الحِرار ، الجبال التي هي ذات صخور سُوْد)[4].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد[5].

والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[6].

والله أعلم ، ،



(٢٨١/٢٢)، فتح القدير (٤٣٤/٤) ، تفسير المراغي (٨٠/٨) .

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٧١/٤) .

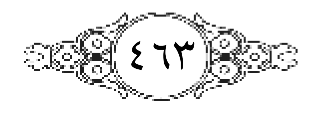
(٢) انظر : الكشف والبيان (١٠٥/٨) ، الوسيط (٥٠٤/٣) ، معالم التنزيل (٦٩٣/٣) ، الكشاف (٨٨٥) ، المحرر الوجيز (١٥٥٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٨٨) .

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٧١/٤) .

(٤) معاني القرآن للزجاج (٢٠٣/٤) .

(٥) قواعد التفسير (٦٥٣/٢) .

(٦) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢٩٩/١) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر : ٢٨] (١) .

٩٣- قال عطاء الخراساني : العلماء بالله الذين يخافونه (٢) .

الدراسة :

* (أل) في قوله : ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ للعهد ، والمعهود هم العلماء بالله الذين يخافونه .

ومعلوم أنَّ أشدَّ الناس خشية لله هم العلماء بالله الذين يخافونه ، وذلك أنهم يعلمون قدرته على كل شيء ، فيخافون خوفاً يشوبه تعظيم له عزَّ وجل ، وكما قيل : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف (٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وكلُّ من كان بالله أعرف ، وله أعبد ، ودعاؤه له أكثر ، وقلبه له أذْكر ؛ كان علمه الضروري بذلك – يعني بالله –

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد الدولابي في الكنى والأسماء (٢/٤٦٢) ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدثني أبو الحسن البصري الهيثم بن خالد قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر . **دراسة الإسناد** :

أبو بكر بن أبي الدنيا : عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ، مولى بني أمية ، يعرف بابن أبي الدنيا ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ومولده سنة ثمان ومائتين ، وكان يؤدب المكتفي بالله في حداثته ، وهو أحد المصنفين للأخبار والسير ، وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب ، وسمع عن المشايخ ، وروى عنه جماعة ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي وكان صدوقاً ، وكان إذا جالسه أحد إن شاء أضحكه وإن شاء أبكاه ، وآخر من روى حديثه بعلو فخر الدين بن البخاري . انظر : فوات الوفيات (١/٥٧٨) .

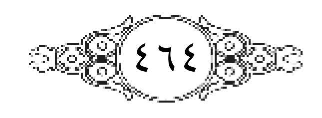
أبو الحسن البصري هو : الهيثم بن خالد القرشي ، أبو الحسن البغدادي ، بصري الأصل ، روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وآخرون ، ذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان وقال : صاحب غرائب ، وقال أحمد بن صالح : بصري ثقة ، وقرأت بخط الذهبي ما به بأس . انظر : تهذيب التهذيب (١١/٨٥) .

حجاج بن محمد : الأعور الحافظ ، وسبقت ترجمته .

ابن جريج هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، تقدَّمت ترجمته في سورة النور .

وعليه فهذا الأثر حسن عن عطاء الخراساني .

(٣) هذا من كلام أحمد بن عاصم الإنطاكي ، ذكره عنه ابن القيم في مدارج السالكين (٤/٢٦٤) ، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/٣١٨) .



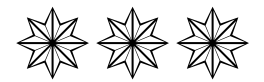
أقوى وأكمل)[1].

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله : (وأمَّا القائمون لله بحجته ؛ خلفاء نبيه في أمَّته ، فإنهم لكمال علمهم وقوته نفد بهم إلى حقيقة الأمر ، وهجم بهم عليه، فعاينوا ببصائرهم ما عشيت عنه بصائر الجاهلين ، فاطمأنت قلوبهم به، وعملوا على الوصول إليه لِما باشرها من روح اليقين رفع لهم علم السعادة ، فشمَّروا إليه ، وأسمعهم منادي الإيمان النداء فاستبقوا إليه ، واستيقنت أنفسهم ما وعدهم به ربهم فزهدوا فيما سواه ، ورغِبوا فيما لديه ، علموا أنَّ الدنيا دار ممر لا دار مقرّ ، ومنزل عبور لا مقعد حبور ، وأنها خيال طيف أو سحابة صيف ، وأنَّ من فيها كراكب قالَ تحت ظل شجرة ثم راح عنها وتركها، وتيقنوا أنها :

أَحْلاَمُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيْبَ بِمِثْلِهَا لاَ يُخْدَعُ [2])[3] .

وقول عطاء الخراساني ، هو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما[4]، وقتادة[5]، وعامة المفسِّرين على هذا المعنى[6].

نسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة . والله أعلم ..



---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٥) .

(٢) **البيت منسوب لعمران بن حطَّان** . ولم أقف على ديوان له ، والبيت ذُكِر في : تاريخ مدينة دمشق (٤٣/٤٩٨)، تهذيب الكمال (٢٢/٣٢٤) ، تاريخ الإسلام (٦/١٥٦) .

(٣) مفتاح دار السعادة (١٥٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٣٦٤) ، ولفظه : (الذين يعلمون أنَّ الله على كل شيء قدير) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٣٦٤) ، ولفظه : (كان يقال : كفى بالرهبة علماً) .

(٦) انظر : جامع البيان (١٩/٣٦٤) ، معاني القرآن للزجاج (٤/٢٠٣) ، معاني القرآن للنحَّاس (٢/١٠٠٠) ، بحر العلوم (٣/١٠٦) ، النكت والعيون (٤/٤٧١) ، الوسيط (٣/٥٠٤) ، المفردات في غريب القرآن (١٥٥) ، معالم التنزيل (٣/٦٩٣) ، الكشاف (٨٨٦) ، المحرر الوجيز (١٥٥١) ، زاد المسير (١١٦١) ، التفسير الكبير (٢٦/٢٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٥١) ، أنوار التنزيل (٤/٢٥٨) ، مدارك التنزيل (٢/٣٨٧) ، التسهيل (٣/٢٩٠) ، البحر المحيط (٧/٤١٢) ، تفسير ابن كثير (٣/٦٠٨) ، إرشاد العقل السليم (٥/٢٨١) ، روح المعاني (٢٢/٢٨٤) ، فتح القدير (٤/٤٣٥) ، التحرير والتنوير (٢٢/٣٠٢) .

سورة يس

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس : ٤٠] [١].

٩٤- **قال عطاء الخراساني** : يعني: الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كلهم يسبحون ، أي : يدورون في فلك السماء [٢] .

الدراسة :

* يخبر الله تعالى أنَّ لكل نجم أو كوكب فلك أو مدار لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه ، والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة ، وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفين في الخضم الفسيح ؛ فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطاً سابحة في ذلك الفضاء المرهوب . وإنَّ الإنسان ليتضاءل ويتضاءل ، وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوَّارة ، والكواكب السيارة . متناثرة في ذلك الفضاء ، سابحة في ذلك الخضم ، والفضاء من حولها فسيح فسيح ؛ وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح ، فسبحان الخالق الحكيم [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

في أقوال المفسِّرين في الآية بيان معنيين هما : الفَلَك ، و يسبحون .

أما الفَلَك فهو مجرى الكواكب ، وفي تعيينه أقوال :

الأول : فلك السماء . وهو قول عطاء الخراساني ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد [٥]، وعِكْرِمة ، والضحاك ، والحسن [٦]، وقتادة [٧].

الثاني : فلك بين السماء والأرض ، وهو معنى قول الحسن [٨]، وعبد

---

(١) الآية بتمامها : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣/٦٣٠) .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٥/٢٩٦٩) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٥/١٨) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٩/٤٤١) .

(٦) ذكره عنهم ابن كثير في تفسيره (٣/٦٣٠) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٨٤) ، والطبري (١٩/٤٤١) .

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٥/١٨) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٧٤) ، ولفظه : (الشمس والقمر والنجوم بين السماء والأرض غير ملتصقة بالسماء ، ولو كانت ملتصقة ما جرت) .

الرحمن بن زيد [(١)].

الثالث : فلْكة كفَلَك المغزل ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)].

الرابع : كل شيء يدور فهو فلك ، قاله الكلبي [(٣)].

* أما معنى ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ ففيها أقوال :

الأول : قول عطاء الخراساني : يدورون في فلك السماء ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وعكرِمة ، والضحاك ، والحسن [(٥)]، وقتادة [(٦)].

الثاني : يجرُون ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، ومجاهد [(٨)]، وجمع من المفسرين [(٩)] .

الثالث : يعملون ، وهذا قول الضحاك [(١٠)].

الرابع : يسيرون فيه بانبساط وسهولة ، قاله جمع من المفسِّرين [(١١)].

الخامس : يترددون على الدّوام ، قاله السعدي [(١٢)]، وفيه نظر ؛ لأنَّهما يجريان لأجل مسمًّى ، وليس على الدوام .

وظاهر من الآية : أنَّ كلاًّ من الشمس والقمر يسبَح في فلَكه الذي يخصُّه،

---

(١) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٩٦/١٠) برقم : (١٨٠٨٣) ، قال عنه ابن كثير (٦٣٠/٣) وهو غريب جداً بل منكر .ا..هـ .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٤١/١٩) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٨٤/٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٤١/١٩) .

(٥) ذكره عنهم ابن كثير في تفسيره (٦٣٠/٣) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٨٤/٣) ، والطبري (٤٤١/١٩) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٤١/١٩) .

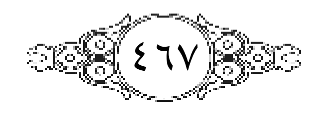
(٨) تفسير مجاهد (٢٢٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٤١/١٩) .

(٩) انظر : بحر العلوم (١٢٤/٣) ، الكشف والبيان (١٢٩/٨) ، معالم التنزيل (١٥/٤) ، المحرر الوجيز (١٥٦٣) ، التسهيل (٤٩/٣) .

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (١٨/٥) .

(١١) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢١٧/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠١٥/٢) ، الوسيط (٥١٤/٣) ، أنوار التنزيل (٢٦٩/٤) ، مدارك التنزيل (٤٠٠/٢) ، إرشاد العقل السليم (٣٠٠/٥)، روح المعاني (٣٣/٢٣) ، فتح القدير (٤٦٢/٤) .

(١٢) تيسير الكريم الرحمن (٦٩٦) .



وللكل طلوع وغروب في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضاً [(١)].

والذي يدلُّ عليه الظاهر أيضاً : أنَّ الشمس والقمر هما اللذان يجريان في الفلك ، وأنَّ الفلك لا يجري [(٢)].

ولم يقل الله في الآية تَسْبَح ؛ لأنه وصفها بفعل من يفعل [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الراجح -والله أعلم- هو قول عطاء الخراساني ومن معه ، أنَّ المعنى : الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء ، والفَلَك : الدائرة المفروضة في الخلاء الجوّي لسير أحد الكواكب سيراً مطّرداً لا يحيد عنه [(٤)].

فالشمس والقمر يجريان ويسبحان ، ويحافظ كل منهما على مداره وسرعته وموقعه ، وهذا تقدير العزيز العليم سبحانه وتعالى الذي خلق وهدى[(٥)].

وهذا ما تشهد له اللغة أيضاً .

فيقال : لكل واحد منهما فلَك ، ومعنى يسبحون : يسيرون فيه بانبساط ، وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه ، ومن ذلك السباحة في الماء [(٦)]، ومنه قول بعض العلماء عن قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾ [النازعات : ٣] أنَّ المراد بها الخيل ، وسبحها سرعة جريها [(٧)].

قال الراغب ﵀ : (والفَلَكُ مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢١٧/٤) ، التفسير الكبير (٦٩/٢٦) ، التسهيل (٤٩/٣) ، تفسير المراغي (١٠٣/٨) .

(٢) انظر : البحر المحيط (٣٨٢/٦) .

(٣) ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٧٤/٢) .

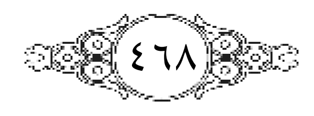
فائدة : جملة ﴿ كل في فلك ﴾ فيها محسن الطرد والعكس ؛ فإنها تقرأ من آخرها كما تقرأ من أولها .

(٤) انظر : التحرير والتنوير (٢٥/٢٢) .

(٥) انظر شكل توضيحي يبين مدارات الشمس والقمر ، وأنَّ كل واحدة منهما في فلك لا تدرك الأخرى ، - ملحق الصور - ، النموذج السابع ، شكل رقم (١١) ص(١٠٠١) .

(٦) معاني القرآن للزجاج (٢١٧/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠١٥/٢) .

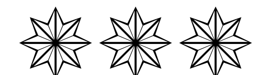
(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١٩٣/٦) .



كالفُلْـك، قـال : ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ وفَلْكَـةُ المغـزل ، ومنـه اشـتق فَلَـكُ ثَـديُ المـرأة ، وفَلَكْـت الجـدْيَ إذا جعلـت في لـسانه مثـل فَلْكَـة يمنعـه عـن الرضاع)[1].

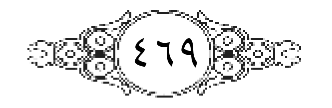
والقاعـدة التفـسيرية : أنَّ القـرآن عـربي ، فيـسلك بـه في الاسـتنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [2].

والله أعلم ..



(١) المفردات في غريب القرآن (٣٧٨) .

(٢) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



سورة الصافات

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الصافات : ٤٥] .

٩٥- قال عطاء الخراساني : الخمر [١].

الدراسة :

* فسَّر عطاء الخراساني الكأس بالخمر نفسها ، وهو المراد في الآية ، وهو من تسمية الشيء باسم محله .

الأقوال في الآية [٢] :

القول الأول : أنَّ الكأس المراد بها : الخمر ، وهذا قول عطاء الخراساني، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وقتادة [٤]، والسدي [٥]، وهو قول جماعة من المفسِّرين [٦] ، ومنه قول الشاعر [٧]:

وكَأسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

قال ابن عباس رضي الله عنهما [٨]، والضحاك [٩]، ....

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٢) ص١١٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(١٧١) .

(٢) انظر : الكشاف (٩٠٥) ، المحرر الوجيز (١٥٧٦) ، التفسير الكبير (١٢٧/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٥/٢) ، أنوار التنزيل (١٠/٥) ، مدارك التنزيل (٤١٤/٢) ، التسهيل (٣١٥/٣) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٥/٥) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢١١/١٠) برقم : (١٨١٧٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨٨/٧) عزوه لابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر ، والبيهقي في البعث .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٩٢/٣) ، والطبري (٥٣١/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢١١/١٠) برقم : (١٨١٧٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨٧/٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

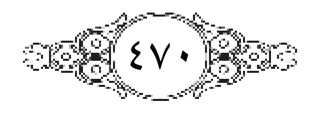
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣١/١٩) .

(٦) انظر : معاني القرآن للنحاس (١٠٣٠/٢) ، بحر العلوم (١٤١/٣) ، النكت والعيون (٤٦/٥) ، تفسير ابن كثير (٨/٤) ، روح المعاني (١٢٨/٢٣) ، تفسير المراغي (١٣٠/٨) .

(٧) **البيت للأعشى** ، انظر ديوانه (١٢١) . وهو من شواهد : التفسير الكبير (١٢٧/٢٦) ، البحر المحيط (٤٧٧/٧) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٥/٥) ، روح المعاني (١٢٨/٢٣) .

(٨) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف (٩٠٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤٧٨/٧) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣١/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢١١/١٠) برقم : (١٨١٧٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨٧/٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وحكاه أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٨/٧) .



والسدي [١]، والأخفش [٢]: كلُّ كأس ذكره الله في القرآن إنما عُني به الخمر .

القول الثاني : إناء فيه شراب ، ولا يسمَّى كأساً حتى يكون فيه شراب ، وإلا فهو إناء أو كوب ، يقال للزجاجة فيها الخمر : كأس ، فإن كان الإناء فارغاً فليس بكأس ، قاله الراغب [٣]، وجمْع من المفسِّرين [٤].

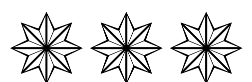
قال النَّحاس ﷺ : (وحكى من يوثق به من أهل اللغة أنَّ العرب تقول للقدَح إذا كان فيه خمر : كأس ، فإذا لم يكن فيه خمر فهو قدح ...) [٥].

القول الثالث : أنَّ الكأس آنية مخصوصة في الأواني ، وهو كل ما اتسع فمه ولم يكن له مقبض ، ولا يراعى في ذلك كونه بخمر أم لا ، حكاه ابن عطية [٦].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – هو القول الأول ؛ قول عطاء الخراساني؛ أنَّ الكأس المراد بها الخمر ، ويؤيده كلام المفسِّرين : أنَّ كلَّ كأس ذكره الله في القرآن إنما عُني به الخمر ، ومن استقرأ النصوص عرَف أنَّ لفظ الكأس من الكليات المطردة في القرآن الكريم [٧]، وتكاد نصوص المفسِّرين جميعاً تتفق على أنَّ المراد هنا هو الخمر .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي ؛ حجّة على من بعدهم [٨]. والله أعلم ،،



---

(١) ذكره عنه القرطبي في تفسيره (٢/٢٥٩٥) .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/١٤٤) ، والزمخشري في الكشاف (٩٠٥) ، والرازي في التفسير الكبير (٢٦/١٢٧) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/٤٧٨) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٤٢٢) .

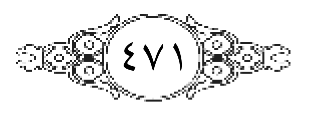
(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤/٢٢٨) ، الكشف والبيان (٨/١٤٤) ، الوسيط (٣/٥٢٥) ، المفردات في غريب القرآن (٤٢٢) ، معالم التنزيل (٤/٣١) ، زاد المسير (١١٨٦) ، البحر المحيط (٧/٤٧٧) ، فتح القدير (٤/٤٩١) .

(٥) إعراب القرآن (٣/٤١٩) .

(٦) المحرر الوجيز (١٥٧٦) .

(٧) انظر : كليات الألفاظ في التفسير (٢/٥٠٧) .

(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٧١) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات : ٤٧] [١] .

٩٦- قال عطاء الخراساني : لا تَذْهَبُ عُقُولهم [٢] .

الدراسة :

* النَزْف في اللغة : يقال : شرب خمراً فأنزف ، سكر أو ذهب عقله ، والنزيف والمنزوف : السكران المنزوف العقل وقد نزف [٣] .

ويبيِّن عطاء الخراساني في هذه الآية أنَّ أهل الجنة لا تَذهَب عقولهم بسبب شرب الخمر فيها ، ولا يفقدون الوعي ، وإنما هي لذة دون إسكار ، وليست مسْكِرة كخمر الدنيا .

❖ القراءات في الآية [٤] :

* قرأ عامَّة القرَّاء : ﴿يُنزَفُونَ﴾ بفتح الزاي .

* وقرأ حمزة والكسائي وخَلَف : ﴿ **يُنزِفُون** ﴾ بكسر الزاي .

والفرق بينهما : أنَّ المعنى على فتح الزاي : لا تَذْهَب عقولهم أي لا يسكرون ، يقال : نُزِف الرجل فهو مَنْزوف .

وعلى قراءة الكَسْر معنيان : يقال أنزف الرجل إذا نفِدَت خَمرته وفنيت وتمَّ شرابه ، وأنزف إذا ذهب عقله من السُّكر [٥] .

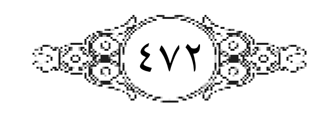
الأقوال في الآية [٦] :

وكما اختلفت القراءة فيها اختلف أهل التأويل في معناها على أقوال :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنها لا تَذْهَب عقولهم ، وافق فيه :

---

(١) الآية بتمامها : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ .
(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٨) ، ولم يضبط اللفظ ، وقد ضبطها البخاري في صحيحه بهذا الضَّبط . انظر : صحيح البخاري (٦/١٥٤) كتاب التفسير ، سورة الصافات .
(٣) انظر : لسان العرب (١٤/٢٣٥-٢٣٦) ، معجم المقاييس في اللغة (٩١٤) .
(٤) انظر : المبسوط في القراءات العشر (٣١٦) ، البدور الزاهرة (٢/٢٣٥) .
(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (٢/٣٣٧) ، المحرر الوجيز (١٥٧٦) ، زاد المسير (١١٨٦) ، لسان العرب (١٤/٢٣٥-٢٣٦) .
(٦) انظر : النكت والعيون (٥/٤٧) .



ابـــن عبـــاس رضي الله عنهما [(١)]، ومجاهـــد [(٢)]، وقتـــادة [(٣)]، والحـــسن ، ومحمَّـــد بـــن كعـب[(٤)]، والـسدي ، وابـن زيـد [(٥)]، واختـاره جمهـور المفـسِّرين [(٦)]، ومنـه قـول الشاعر [(٧)]:

لعَمْـــرِيْ لَـــئِنْ أَنْـــزَفْتُمُ أو صَـــحَوْتُمُ   لَبِـئْسَ النَّـدَامَى كُنْـتُمُ آلَ أَبْجَـرَا

فقابـل بـين : (أَنْـزَفْتُمُ) ، (صَـحَوْتُمُ) ، والعلاقـة أنَّ مـن سـكر نـزف عقلـه ، أي : نفد وانقطع .

والـسُّكر وذهـاب العقـل في خمْـر الـدنيا هـو أكـبر أضـراره ، لـذلك خـصَّه الله بالذِّكر هنا في هذه الآية [(٨)].

وإنمـا صـرَف الله تعـالى الـسُّكر عـن أهـل الجنـة لـئلا ينقطـع عنـهم التـذاذ نعيمِهم [(٩)].

القـول الثـاني : أي لا تَفـنى ، مـأخوذ مـن نـزْف الركيـة ، قالـه أبـو عمـرو بـن العلاء [(١٠)] ، واختاره القرطبي [(١١)].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٥/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨٨/٧) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – ، والبيهقي في البعث .

(٢) تفسير مجاهد (٢٢٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٦/١٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢١١/١٠) برقم : (١٨١٧٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨٨/٧) عزوه لهناد ، وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٩٢/٣) ، والطبري (٥٣٦/١٩) .

(٤) ذكره عنهما ابن كثير في تفسيره (٨/٤) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٣٦/١٩) .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٢٨/٤) ، بحر العلوم (١٤١/٣) ، الكشف والبيان (١٤٤/٨) ، الوسيط (٥٢٥/٣) ، معالم التنزيل (٣١/٤) ، الكشاف (٩٠٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٥/٢) ، أنوار التنزيل (١٠/٥) ، مدارك التنزيل (٤١٤/٢) ، التسهيل (٣١٦/٣) ، تفسير ابن كثير (٨/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٦/٥) ، روح المعاني (١٣٠/٢٣) ، فتح القدير (٤٩١/٤) .

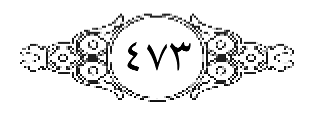
(٧) **البيت للأبيرد الرياحي** ؛ أبجر بن جابر العجلي ، من بني محجل ، وكان نصرانياً ، ولم أقف على ديوان له ، واستُشهِد بالبيت في : مجاز القرآن (١٩٦/٢) ، جامع البيان (٥٣٧/١٩) ، زاد المسير (١١٨٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٥/٢) ، روح المعاني (١٣٠/٢٣) ، والبيت من شواهد لسان العرب (٢٣٥/١٤) مادة: نزف ، ونسبه القرطبي للحطيئة .

(٨) انظر : الكشاف (٩٠٥) ، التفسير الكبير (١٢٨/٢٦) ، البحر المحيط (٤٧٨/٧) .

(٩) انظر : النكت والعيون (٤٧/٥) .

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٧/٥) .

(١١) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٥/٢) .



ومنه قول الشاعر [(١)]:

دَعِيْنِـيْ لاَ أَبَـاْ لَـكَ أَنْ تُطِيْقِـيْ ... لَحَـاْكَ اللهُ قَـدْ أَنْزَفْـتَ رِيْقِـيْ

القول الثالث : لا يقيئون عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا عنها ، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)].

القول الرابع : لا يبولون ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد حكى الضحاك عنه أنه قال : في الخمر أربع خصال : السُّكر والصداع والقيء والبول ، فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهَهَا عن هذه الخصال [(٣)].

القول الخامس : أي لا مكروه فيها ولا أذى ، قاله سعيد بن جبير [(٤)].

قال النحَّاس بعد ذكر هذا القول : (وهذا أجمعها وأولاها) [(٥)].

وقال المراغي رحمه الله : (ليس فيها شيء من أنواع المفاسد التي تكون حين شُرب الخمر في الدنيا) [(٦)].

القول السادس : لا تُنزِف مال صاحبها ، قاله السعدي [(٧)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي – والله أعلم – أنَّ أقرب الأقوال التي ذكرها المفسِّرون هو القول الأول الذي قاله عطاء الخراساني ومن معه ، وهو قول الجمهور ، وتعضده آية الواقعة : ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الواقعة : ١٩] .

وذلك أنَّ أصل مادة : (نزف) في اللغة : الدلالة على نفاد شيء وانقطاعه ، ومنه نزف دمه : خَرَج كله ، ونزف البئر : ذهب ماؤه وانقطع .

---

(١) **البيت منسوب لذي جدن الهمذاني** ، ولم أقف على ديوان له ، والبيت من شواهد : الكشف والبيان (١٠/٢٨٩) ، معجم البلدان (٤/٢١٠) .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢١١) برقم : (١٨١٧٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٨٨) عزوه لابن مردويه .

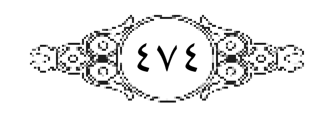
(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٧) .

(٤) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢١١) برقم : (١٨١٧٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٨٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن جرير الطبري – ولم أقف عليه عنده – .

(٥) معاني القرآن (٢/١٠٣٠) .

(٦) تفسير المراغي (٨/١٣٢) .

(٧) تيسير الكريم الرحمن (٧٠٣) .



ثمَّ استعمل مادة : (نَزَفَ) في معنى سَكِر وذهب عقله .

وعلى هذا فمعنى : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي لا تَذْهَب عقولهم ، كما قال عطاء الخراساني ومن معه .

وهو الذي يؤيده سياق الآيات أيضاً .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد [(١)].

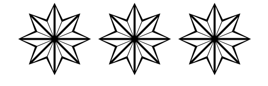
وقد رجَّح النَّحاس القراءة الأولى على الثانية [(٢)]، وهذا ليس بصواب .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجَّح إحداهما – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ... كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى [(٣)].

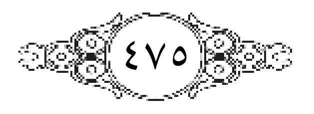
وفي الآية تقديم للمسند عليه على المسند ، والمسند فعل ليفيد التقديم تخصيص المسنَد إليه بالخبر الفعلي ، فهذا الوصف منتفٍ فقط عن خمر الجنة دون ما يُعرَف من حال شاربي الخمر من أهل الدنيا [(٤)].

وأما معنى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فقيل : ليس فيها غائلة الصداع ، أو وجع البطن ، وخمر الجنة لا تغتال عقولهم ، ولا ينشأ عنها سُكْر ، فنفى تأثير الخمر فيهم وتأثُّرهم بالخمر .

نسأل الله من فضله ،،



(١) قواعد التفسير (٢/٦٥٣) .
(٢) إعراب القرآن (٣/٤١٩) .
(٣) قواعد التفسير (١/٨٩ ، ٩٧) .
(٤) انظر : التحرير والتنوير (٢٣/١١٤) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات : ٤٩] .

٩٧- **قال عطاء الخراساني** : هو السَّحاء [١] الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيضة [٢] .

الدراسة :

* فسَّر عطاء الخراساني المكنون بالسّحاء ، وعبَّر عنه بأنه الغلاف الرقيق الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيضة .

والمكنون : مصون ، مستور ؛ يقال : كننت الشيء إذا سترته ، وصنته ، فهو مكنون ، وأكننته إذا أضمرته في نفسك ، والعرب تقول لكل مصون مكنون ؛ ما كان ذلك الشيء لؤلؤاً كان أو بيضاً أو متاعاً ، وتقول لكل شيء أضمرته الصدور : أكنته، فهو مُكَنٌّ [٣]. ومنه قول الشاعر [٤]:

فَــرَدَدْنَ تَحِيَّــةً وكَــنَنَّ أُخْــرَىْ   وَثَقَّــبْنَ الوَصَــاْوِصَ لِلْعُيُــوْنِ

---

(١) **السَّحا** : ما انقشر من الشيء ، وسحاة كلّ شيء قشره ، والجمع : سحاً . انظر : لسان العرب (١٤٣/٧) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٩٣/٣) قال : عن معمر ، عن عطاء الخراساني .. وذكر الأثر .

دراسة الإسناد :

معمر : هو معمر بن راشد الأزدى الحدانى مولاهم أبو عروة البصرى ، مولى عبد السلام بن عبد القدوس (نزل اليمن) ولد سنة ٩٦هـ من كبار أتباع التابعين ، وتوفي سنة ١٥٣هـ ، روى له البخاري ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي وابن ماجه ، قال عنه ابن حجر : (ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت وهشام بن عروة شيئاً وكذا فيما حدث به بالبصرة) ، وقال عنه الذهبي : (عالم اليمن ، قال أحمد : لا تضمُّ معمراً إلى أحد إلا وجدته يتقدمه ، كان من أطلب أهل زمانه للعلم) ا..هـ انظر : الكاشف (٢٨٢/٢) ، تقريب التهذيب (٥٤١) .

وعليه فهذا الأثر صحيح الإسناد عن عطاء الخراساني .

وقد ذكره عنه أيضاً : ابن أبي حاتم (٣٢١٢/١٠) برقم: (١٨١٨٣)، والماوردي في النكت والعيون (٤٩/٥)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٦/٢) ، وابن كثير في تفسيره (٨/٤) .

(٣) انظر : جمهرة اللغة (١٢٦٣/٣) ، تهذيب اللغة (٣٣٤/٩) ، معجم مقاييس اللغة (٩٠٣) ، لسان العرب (١٢٢/١٣) ، المصباح المنير (٢٧٩) .

(٤) **البيت للمثقَّب العبدي** ، يصف فيه المرأة في الهودج ، انظر : ديوانه ص(٥٧) ، من قصيدة أولها :

أفاطم قبل بينك متعيني   ***   ومنعك ما سألتك أن تبيني

والشطر الأول من البيت في الديوان لفظه : ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ وسَدَلْنَ رَقْماً .

وإنما ذكر المكنون والبيض جمع ؛ لأنه ردَّ النعت إلى اللفظ [١].

الأقوال في الآية[٢] :

في المقصود بالبيض المكنون أقوال :

القول الأول : السّحاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيضة ؛ وذلك أنه لم يمسّه شيء ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول سعيد بن جُبَير [٣]، والحسن [٤]، وقتادة [٥]، والسدي [٦]، ورجَّحه الطبري [٧].

القول الثاني : المكنون هو البيض الذي يحضنه الطائر في عشِّه ، فهو إلى الصفرة ، فشبَّه بياضهن في الصفرة بذلك ؛ وهو مِثل بيض النَّعام ، الذي قد أكنَّه الريش من الريح ، فهو أبيض إلى صفرة ، وهذا معنى قول السدِّي [٨]، وعبد الرحمن بن زيد [٩]، واختاره جمع من المفسِّرين [١٠].

القول الثالث : إنَّهنَّ أحسن بياضاً من بيض النعام ، والعرب تشبِّه النساء ببيض النعام ، يقال : لا يكون لون البياض في شيء أحسنَ من بيض النعام ، وهذا قول الزجاج [١١]، والسمرقندي [١٢]، وجمهور المفسِّرين [١٣].

---

(١) انظر : الكشف والبيان (٨/١٤٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٩٦) .

(٢) انظر : جامع البيان (١٩/٥٣٩) ، النكت والعيون (٥/٤٨) ، زاد المسير (١١٨٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٥٩٦) ، تفسير ابن كثير (٤/٨) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٥٤٠) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم (١٠/٣٢١٢) برقم : (١٨١٨٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٨٩) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، ولفظه : كأنهن بطن البيض .

(٤) ذكره عنه ابن أبي حاتم (١٠/٣٢١٢) برقم : (١٨١٨٦) .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٩٢) ، والطبري (١٩/٥٤٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٨٩) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٥٤٠) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢١٢) برقم : (١٨١٨٣) .

(٧) جامع البيان (١٩/٥٤١) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢١٢) برقم : (١٨١٨٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٨٩) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، ولفظه : البيض في عشه .

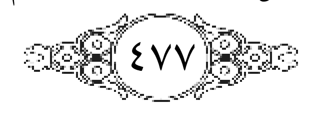
(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٥٤٠) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢١٢) برقم : (١٨١٨٨) ، (١٨١٨٥) وذكره عن زيد بن أسلم ، ولعله سقط اسم عبد الرحمن ، أو لفظة : ابن .

(١٠) انظر : أنوار التنزيل (٥/١٠) ، مدارك التنزيل (٢/٤١٤) ، التسهيل (٣/٣١٦) ، البحر المحيط (٧/٤٧٨)، إرشاد العقل السليم (٥/٣٢٦) ، روح المعاني (٢٣/١٣٢) ، فتح القدير (٤/٤٩٢) ، أضواء البيان (٦/٤٤٤) .

(١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٢٩) .

(١٢) بحر العلوم (٣/١٤١) .

(١٣) انظر : الوسيط (٣/٥٢٥) ، معالم التنزيل (٤/٣١) ، وحكاه عنهم ابن عطية في المحرر الوجيز (١٥٧٧) .



القول الرابع : المعنى : أنَّ ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة ؛ فإذا كان مكنوناً كان مصوناً عن الغبرة والقترة فكان هذا اللون في غاية الحُسْن، والعرب كانوا يسمُّون النساء : بيضات الخدور ، وذهب لهذا القول جماعة من المفسِّرين [١].

القول الخامس : شبَّههن تعالى بالبيض المكنون تشبيهاً عاماً ؛ جملة المرأة بجملة البيضة ، وأراد بذلك تناسب أجزاء المرأة وأنَّ كل جزء منها نسبته في الجودة إلى نوعه نسبة الآخر من أجزائه إلى نوعه ؛ فنسبة شعرها إلى عينها مستوية إذ هما غاية في نوعهما ، والبيضة أشدُّ الأشياء تناسب أجزاء ، لأنك من حيث جئتها فالنظر فيها واحد ، حكاه ابن عطية [٢].

القول السادس : يعني اللؤلؤ في صدفه ، وبه شبَّهن في بياضه وصفائه ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وبهذا فسَّره البخاري في صحيحه [٤]، وجمع من المفسِّرين [٥].

قال أبو عبيدة رحمه الله : (مصون كل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنته ، فهو مكنون، وكل شيء أضمرته في نفسك فقد أكننته) [٦].

ومنه قول الشاعر[٧]:

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤةِ الغَوَّا ... صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

قال ابن عطية رحمه الله : (وهذا قول لا يصحُّ عندي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، لأنها تردّه اللفظة من الآية) [٨].

---

(١) انظر : الكشف والبيان (٨/١٤٤) ، الوسيط (٣/٥٢٥) ، معالم التنزيل (٤/٣١) ، التفسير الكبير (٢٦/١٢٨) ، تفسير المراغي (٨/١٣٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٠٣) ، التحرير والتنوير (٢٢/١١٤) .

(٢) المحرر الوجيز (١٥٧٧) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩/٥٤١) .

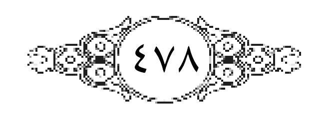
(٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن – تفسير سورة الصافات – .

(٥) الكشاف (٩٠٦) .

(٦) مجاز القرآن (٢/١٧٠) .

(٧) **البيت لأبي دهبل الجمحي** ، وانظر ديوانه ص(٦٩) ، وهو من شواهد : مجاز القرآن (٢/١٧٠) ، جامع البيان (١٩/٥٤١) .

(٨) المحرر الوجيز (١٥٧٧) .



القول السابع : البيض المكنون : هو بيض الضبِّ ؛ قاله الراغب [1] .

الجمع أو الترجيح :

لعلَّ الأقرب - والله أعلم – هو القول الأول ، الذي قاله عطاء الخراساني ومن معه ، لأنه المشهور من لغة العرب .

ويؤيده ما روي عن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله أخبرني عن قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩)﴾ ؛ قال : « رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الْجِلْدَةِ الَّتِي رَأَيْتَها فِي داخِلِ الْبَيْضَةِ التي تَلِي الْقِشْرِ وَهِيَ الغِرْقِئُ [2]» [3] .

والحديث مقبول في تفسير الآية وإن كان ضعيفاً لأنَّ هذه من مسائل التفسير اللغوي التي لا يترتب عليها حكم شرعي ، وقد اعتمد ابن القيم رحمه الله وغيره مثل ذلك في ترجيح معنى على آخر في التفسير ، وقال : (أنَّ هذا مروي عن النبي ﷺ ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح) [4] .

وعلى أي حال : فالمقصود بيان شيء من أوصاف الحور العين اللاتي أعدَّهنَّ الله للمؤمنين في الجنة ، وأنَّ ألوانهنَّ من أجمل الألوان التي تعجب الرجلَ في المرأة ، فهنَّ أحسن بياضاً من بيض النعام ، فهو بياض يشوبه قليل من الصفرة ؛ مصون عن الغبرة والقترة وهذا اللون في غاية الحسن .

والقاعدة التفسيرية : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [5]. والله أعلم ، ،

---

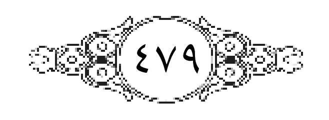
(١) المفردات في غريب القرآن (٤٧٤) .

(٢) **الغرقئ** : هي القشرة الرقيقة الملتزقة التي تركب البيضة دون قشرها الأعلى ، والقشر الأعلى يقال له : القيض، انظر : الكامل للمبرد (٦٧٥/٢) ، لسان العرب (٤٠/١١) .

(٣) **ضعيف** . أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٢/١٩) ، والعقيلي في الضعفاء (١٣٨/٢) ، والطبراني (٣٦٨/٢٣، ٣٦٧ -٨٧٠-) ، وفي الأوسط (٣١٤١) ، وابن عدي في الكامل (١١١٢/٣) من طريق عمرو بن هشام به . قال عنه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٠/٤) : لا يتطرق إليه احتمال التحسين ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢/٧) في إسناده سليمان بن أبي كريمة ضعّفه أبو حاتم وابن عدي ، وقال في موضع آخر (٤٢٠/١٠) : وهو ضعيف . ونحوه قال السخاوي في الأجوبة المرضية (٨٢٣/٢) ، وابن القيم في كتاب حادي الأرواح (٢٠٢) ، وقال عنه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٢٣٠) : منكر .

(٤) انظر : تحفة المولود (١٧) في ترجيحه لأحد معاني العَول في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ (٣)﴾ .

(٥) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الصافات : ٥١].

٩٨- **قال عطاء الخراساني** : كان رجلان شريكان ، وكان لهما ثمانية آلاف دينار ، فاقتسماها ، فعمد أحدهما فاشترى بألف دينار أرضاً [(١)] .

الدراسة :

* يقصُّ الله شيئاً من حوار أهل الجنة فيما بينهم ، حينما يحكي أحدهم فيقول : ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ يعني في الدنيا ، وهم بهذا يتذكَّرون أحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا .

الأقوال في الآية [(٢)] :

اختلف المفسّرون في المقصود بالقرين الذي ذكره الله في هذه الآية ،

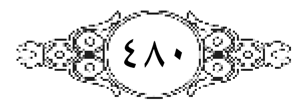
---

(١) أخرجه عنه **الصنعاني** في تفسيره (٩٣/٣) بهذا اللفظ ، عن معمر ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم بصحته في الموضع السابق . وقد ذكره عنه **النحاس** في معاني القرآن (١٠٣١/٢) بلفظ : هذان رجلان أخوان، تصدّق أحدهما بماله ؛ فعيَّره أخوه، وقال له ما قصَّ الله عزَّ وجل . **والسمعاني** في تفسيره (٣٩٩/٤) بلفظ : (قال عطاء الخراساني : نزلت الآية في رجلين كانا في بني إسرائيل اكتسبا مالاً عظيماً ويقال ورثا مالاً عظيماً واقتسماه ، فأنفق أحدهما نصيبه على الفقراء ، وأما الآخر فاشترى به عقاراً ودوراً وأثرى ، وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الكهف) .

وزاد **السيوطي** في الدر المنثور (٩٠/٧) عزوه لابن المنذر ، بلفظ : (وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن عطاء الخراساني ﷺ قال : كان رجلان شريكين ، وكان لهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها ، فعمد أحدهما فاشترى بألف دينار أرضاً ، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً اشترى بألف دينار أرضاً ، وإني أشتري منك بألف دينار أرضاً في الجنة . فتصدق بألف دينار، ثم ابتنى صاحبه داراً بألف دينار ، فقال هذا : اللهم إن فلاناً ابتنى داراً بألف دينار ، وإني أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار . فتصدق بألف دينار ، ثم تزوج صاحبه امرأة ، فأنفق عليها ألف دينار فقال : اللهم إن فلاناً تزوج امرأة ، فأنفق عليها ألف دينار ، وإن أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار . فتصدق بألف دينار، ثم اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار ، وإني أشتري منك خدماً ومتاعاً بألف دينار . فتصدق بألف دينار ؛ ثم أصابته حاجة شديدة فقال : لو أتيت صاحبي هذا لعله ينالني معروف ، فجلس على طريقه ، فمرَّ به في حشمه وأهله ، فقام إليه الآخر ، فنظر فعرفه فقال فلان . . . ؟! فقال : نعم . فقال : ما شأنك ؟ فقال : أصابتني بعدك حاجة ، فأتيتك لتصيبني بخير قال : فما فعلت فقد اقتسمناه مالاً واحداً ، فأخذتُ شطره !. فقال : اشتريت داراً بألف دينار ، ففعلت أنا كذلك ، وفعلت أنا كذلك . فقصَّ عليه القصة فقال : إنك لمن المصدقين بهذا ، اذهب فوالله لا أعطيك شيئاً ، فرده فقضى لهما أن توفيا ، فنزلت فيهما : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾حتى بلغ : ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ قال : لمحاسبون .

ونقله الألوسي في **روح المعاني** (١٣٤/٢٣) مطولاً ، وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر .

(٢) انظر : الكشف والبيان (١٤٥/٨) ، النكت والعيون (٤٩/٥) ، زاد المسير (١١٨٧) .



على أقوال :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، وفرات بن ثعلبة [1] [2]؛ والسدي[3]، ومقاتل [4]: أنَّ هذا من خبر الرجلين اللذين قصَّ الله حالهما في سورة الكهف[5]، واختاره السمرقندي [6].

القول الثاني : أنَّ المقصود بالقرين هنا : الشيطان كان يغويه فلا يطيعه ، وهذا قول مجاهد [7].

القول الثالث : أنه شريك أو صديق له مشرك كان يدعو المؤمن إلى الكفر فلا يجبه ، أو أنه ينكر البعث ، ويلوم المؤمن على التصديق به ، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما [8]، وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسرين [9].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب -والله أعلم- حمل الآية على العموم ؛ فتُحمَل على كلِّ قرين مضلٍّ ، ينكر البعث ، وينكِر على المؤمنين به ؛ سواء كان أخاً أو صاحباً أو شريكاً ، وسواء كانا هما الرَّجلان اللذان ذكر الله خبرهما في سورة الكهف أو غيرهما ، فالآية تحتملهما

---

(١) **فرات بن ثعلبة البهراني** = شامي ، أدرك النبي ﷺ ، ولا تصح له صحبة . قال بعضهم : حديثه مرسل ، روى عنه : ضمرة والمهاجر ابنا حبيب ، وسليم بن عامر الخبائري ، وروى عنه ممن لم يسمع منه : خصيف ، وعبد الكريم الجزري . انظر : التاريخ الكبير (١٢٨/٧) ، الجرح والتعديل (٧٩/٧) ، الثقات (٢٩٧/٥) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٤/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩١/٧) عزوه لسعيد بن منصور.

(٣) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢١٣/١٠) برقم : (١٨١٩١) بنحوه مطولاً .

(٤) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١١٨٧) .

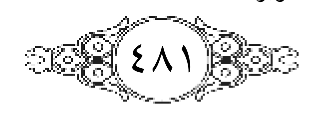
(٥) سبق الكلام عليه في الموضع الخامس من سورة الكهف . وهو الموضع رقم (٥) .

(٦) بحر العلوم (١٤١/٣)

(٧) تفسير مجاهد (٢٢٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٣/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٠/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٣/١٩) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٣٧/٢) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٣١/٢) ، الوسيط (٥٢٦/٣) ، معالم التنزيل (٣٢/٤) ، المحرر الوجيز (١٥٧٧) ، التفسير الكبير (١٢٩/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٧/٢) ، أنوار التنزيل (١٠/٥) ، التسهيل (٣١٦/٣) ، البحر المحيط (٤٧٩/٧) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٦/٥) ، روح المعاني (١٣٤/٢٣) ، فتح القدير (٤٩٤/٤) ، تفسير المراغي (١٣٣/٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٠٣) ، التحرير والتنوير (١١٦/٢٣) .



وغيرهما ، وكل من كان على شاكلتهما ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

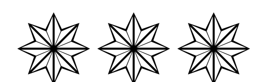
قال ابن كثير ﷺ بعد ذكر القولين الثالث والرابع : (ولا تنافي بين كلام مجاهد ، وابن عباس ؛ فإنَّ الشيطان يكون من الجنِّ فيوسوس في النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان ، وكلاهما متعاديان)[١].

فعلى هذا الكلام يُحمَل المعنى على العموم لأنه أولى .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

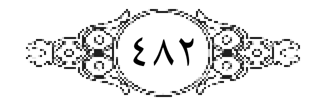
وعليه فيحمل قول عطاء الخراساني ﷺ في الآية على التفسير بالقصة والمثال ، ويدخل فيما ذكرت .

والله أعلم ، ،



(١) تفسير ابن كثير (٤/٩) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥﴾ [الصافات : ٥٥] [١] .

٩٩- **قال عطاء الخراساني** :في وسط الجحيم [٢] .

الدراسة :

* يحكي الله عن الذي وجد قرينه في وسط النار ، يتلظَّى بحرِّها ، وشديد لهبها ؛ وقد سمي الوسط سواءً لاستواء المسافة فيه إلى الجوانب [٣] .

وقول عطاء الخراساني ﷺ : في وسط الجحيم ؛ وافق فيه : ابن عباس ﵄ [٤] ، والحسن [٥] ، وسعيد بن جبير ، والسدي [٦] ، وهو الذي عليه عامة المفسرين دون مخالف [٧] .

قال مطرِّف بن عبد الله [٨] [٩] : " والله لولا أنَّه عَرّفه ما عرَفه ، لقد غيَّرت النار حِبْرَهُ وسِبرَه - يعني حُسنه وتخطيطه – " ، وبنحوه قال قتادة [١٠] . ا..هـ .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٥٥﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٩/٤) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٥٠/٥) ، معالم التنزيل (٣٢/٤) ، زاد المسير (١١٨٧) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٧/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢١٦/١٠) برقم : (١٨١٩٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٤/٧) عزوه لابن المنذر ، والطستي .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٧/١٩) .

(٦) ذكره عنهم ابن كثير في تفسيره (٩/٤) .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٢٩/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٣٢/٢) ، بحر العلوم (١٤٢/٣) ، الكشف والبيان (١٤٥/٨) ، النكت والعيون (٥٠/٥) ، الوسيط (٥٢٦/٣) ، المفردات في غريب القرآن (٢٥٢) ، معالم التنزيل (٣٢/٤) ، الكشاف (٩٠٦) ، المحرر الوجيز (١٥٧٨) ، زاد المسير (١١٨٧) ، التفسير الكبير (١٢٩/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٧/٢) ، أنوار التنزيل (١١/٥) ، مدارك التنزيل (٤١٥/٢) ، التسهيل (٣١٧/٣) ، البحر المحيط (٤٨١/٧) ، تفسير ابن كثير (٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٧/٥) ، روح المعاني (١٣٥/٢٣) ، فتح القدير (٤٩٥/٤) ، تفسير المراغي (١٣٤/٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٠٤) ، التحرير والتنوير (١١٧/٢٣) .

(٨) **مطرف بن عبد الله** = ابن الشِّخِّير العامري الحَرَشي ، أبو عبد الله البصري ثقة عابد فاضل من الثانية ، روى عن : أبيه ، وأبي ، وعلي ، وروى عنه : أخوه يزيد ، وقتادة ، وأبو التياح ، مات سنة خمس وتسعين . انظر : تقريب التهذيب (٥٣٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٨/١٩) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٩٣/٣) ، والطبري في تفسيره (٥٤٧/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢١٦/١٠) برقم : (١٨١٩٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٤/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .



الموضع السادس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾[الصافات : ٦٧]

١٠٠- **قال عطاء الخراساني** : يقال : يُخلَط طعامهم ويُشاب بالحميم [(١)] .

الدراسة :

* الشَّوب هو الخلط ، وشاب الشيء شَوْباً : خلَطه [(٢)].

وهنا يبيِّن الله تعالى أنَّ شراب أهل النار يُخلط ويشاب بالحميم .

والحميم : هو الماء الحار شديد الحرارة [(٣)] ، وقيل : هو القيح السائل من الدُّمَّل [(٤)] .

وقول عطاء الخراساني ﷺ قال به : ابن عباس ﷺ [(٥)]، وقتادة[(٦)]، والسدي ، وابن زيد[(٧)]، وعامة المفسِّرين عليه دون مخالف [(٨)].

والمقصود : أنَّ أهل النار إذا عطشوا سقاهم الله خليطاً من الزَّقوم والحميم، ليجمع لهم بين مرارة الزَّقوم ، وحرارة الحَميم ؛ نعوذ بالله من عذاب النار [(٩)].

---

(١) ذكره عنه ابن رجب في التخويف من النار (١١٥) .

(٢) انظر : لسان العرب (١٥٧/٨) مادة : شوب .

(٣) انظر : لسان العرب (٢٣٣/٤) .

(٤) انظر : التحرير والتنوير (١٢٦/٢٣) .

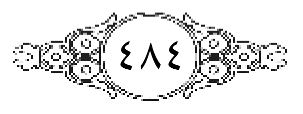
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٥/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٦/٧) عزوه لابن المنذر ، وهو بهذا اللفظ الذي قاله عطاء الخراساني عند ابن المنذر كما عزاه السيوطي .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٩٥/٣) ، والطبري في تفسيره (٥٥٥/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢١٧/١٠) برقم : (١٨٢٠١) .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٥٥/١٩) .

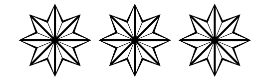
(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٣٨/٢) ، جامع البيان (٥٥٥/١٩) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣١/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٣٣/٢) ، بحر العلوم (١٤٣/٣) ، الكشف والبيان (١٤٦/٨) ، النكت والعيون (٥٢/٥) ، الوسيط (٥٢٦/٣) ، المفردات في غريب القرآن (٢٧٣) ، معالم التنزيل (٣٣/٤) ، المحرر الوجيز (١٥٧٩) ، زاد المسير (١١٨٩) ، التفسير الكبير (١٣٢/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٩/٢)، أنوار التنزيل (١٢/٥) ، مدارك التنزيل (٤١٦/٢) ، التسهيل (٣١٨/٣) ، البحر المحيط (٤٨٤/٧) ، تفسير ابن كثير (١٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٨/٥) ، روح المعاني (١٤٢/٢٣) ، فتح القدير (٤٩٧/٤) ، التحرير والتنوير (١٢٥/٢٣) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩٩/٢) .



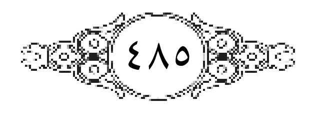
قال ابن عاشور ﵀ : (والشَّوب : أصله مصدر شاب الشيءَ بالشيء إذا خلَطه به ، ويطلق على الشيء المشوب به إطلاقاً للمصدر على المفعول ؛ كالخلْق على المخلوق ، وكلا المعنيين محتمل هنا . وضمير ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد إلى : ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ بتأويل ثمرها . و (على) بمعنى (مع)[1]، ويصحُّ أن تكون للاستعلاء ؛ لأنَّ الحميم يشربونه بعد الأكل فينزل عليه في الأمعاء)[2] .

والله أعلم ،،



(١) قول ابن عاشور هنا مبني على قول من أجاز تناوب الحروف ، والأقرب هو القول بتضمين الفعل معنى فعل آخر ، وإبقاء حروف العربية على ما تعمل ، قال ابن القيم رحمه الله : (وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنىً مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدي به معناه، هذه طريقة إمام الصناعة -سيبويه- رحمه الله تعالى، وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن) . انظر : بدائع الفوائد (٢/٢٥٨) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٣/١٢٥-١٢٦) .



الموضع السابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] [(١)].

١٠١- **قال عطاء الخراساني** : شبَّ وارتجل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل[(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني بلوغ السعي في هذه الآية بأنه قد شبَّ وارتجل، وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ، وهذا يمكن أن يكون دون البلوغ ، وقد قيل إنه كان يومئذٍ ابن ثلاثَ عشرة سنة [(٣)].

والسعي قال بعضهم : هو العمل مع القصد والإرادة ، والجهد والتصميم والتخطيط للوصول إلى هدف معيَّن [(٤)].

الأقوال في الآية[(٥)] :

القول الأول : قول المسألة الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما[(٦)]، ومجاهد[(٧)]، وعكرمة [(٨)]، وعليه جمهور المفسِّرين [(٩)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١٦/٤) .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٤٠/٢) ، الوسيط (٥٢٩/٣) ، معالم التنزيل (٣٦/٤) ، الكشاف (٩١٠) ، التفسير الكبير (١٤١/٢٦) ، أنوار التنزيل (١٥/٥) ، مدارك التنزيل (٤١٩/٢) ، التسهيل (٣٢٢/٣) ، البحر المحيط (٤٩١/٧) ، إرشاد العقل السليم (٣٣٤/٥) ، روح المعاني (١٨٧/٢٣) .

(٤) انظر : في شرف العربية ، د/ إبراهيم السامرائي ، ص٦١ .

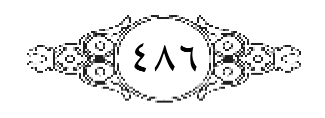
(٥) انظر : النكت والعيون (٦٠/٥) ، زاد المسير (١١٩١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠٤/٢) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٧٩/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢٢٠/١٠) برقم : (١٨٢٢٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٠٣/٧) عزوه لابن المنذر .

(٧) تفسير مجاهد (٢٢٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٧٩/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢٢١/١٠) برقم : (١٨٢٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٠٣/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٢٢٠/١٠) برقم : (١٨٢٢٨) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٤٠/٢) ، جامع البيان (٥٧٨/١٩) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣٣/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٣٦/٢) ، الوسيط (٥٢٩/٣) ، المفردات في غريب القرآن (٢٣٩) ، معالم التنزيل (٣٦/٤) ، الكشاف (٩١٠) ، المحرر الوجيز (١٥٨٢) ، التفسير الكبير (١٤١/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠٤/٢) ، أنوار التنزيل (١٥/٥) ، مدارك التنزيل (٤١٩/٢) ، البحر المحيط (٤٩١/٧) ، تفسير ابن كثير (١٦/٤) ، روح المعاني (١٨٧/٢٣) ، فتح القدير (٥٠٣/٤) ، تفسير المراغي (١٤٢/٨) ، التحرير والتنوير (١٥٠/٢٣) .



القول الثاني : أي مشى مع أبيه ، قاله الضحاك [١]، وقتادة [٢].

القول الثالث : أنه السعي في العبادة والعمل الذي تقوم به الحجة بعد البلوغ ، قاله الحسن ، ومقاتل [٣]، وابن زيد [٤]، واختاره ابن جزي [٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : صام وصلى ، ألم تسمع الله يقول : ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء : ١٩] [٦].

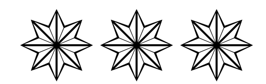
واختار السمرقندي في تفسيره أنه السعي إلى الحج [٧].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، وأعمُّها القول الأول ؛ الذي قاله عطاء الخراساني لأنَّه لم يحدده بعمر معيَّن ، ولا عمل معيَّن ، وإنما فيه بيان أنه كبر وترعرع ، وبلغ مبلغ الرِّجال ، وهو عادة ما يكون قرب البلوغ أو بعده مباشرة ، بحيث أصبحت لديه القدرة على التعامل مع ظروف الحياة المتنوعة ، وصار يماشي والده ، ويعمل ما يعمله أبوه ، ويدخل في ذلك أداء العبادات التي أمر الله بها.

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص [٨].

والله أعلم ،،



(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠٣/٧) لابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٨٠/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢٢١/١٠) برقم : (١٨٢٢٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٠٣/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٣) حكاه عنهما الواحدي في الوسيط (٥٢٩/٣) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣٦/٤) .

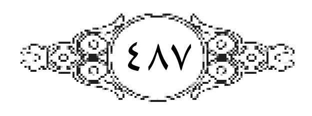
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٧٩/١٩) .

(٥) التسهيل (٣٢٢/٣) .

(٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٦٠/٥) .

(٧) بحر العلوم (١٤٧/٣) .

(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧) .



الموضع الثامن :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الصافات : ١٤٦] .

١٠٢- **قال عطاء الخراساني** : اليقطين هو القرع [(١)] .

وفي لفظ : هو الدُّبَّاء [(٢)] .

الدراسة :

* هذه الآية في سياق قصة يونس ﷺ ، وبيان منَّة الله وفضله عليه ، إذ نجَّاه من بطن الحوت بعد أن ناداه في الظلمات : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، وأكثر من دعائه وتسبيحه ، فسمع الله دعاءه واستجاب له ، فلفظه الحوت ، وأخرجه الله مما كان فيه من الهمِّ والغمِّ ، وقد خرج من بطن الحوت سقيماً عارياً على الشاطئ ، فأنبت عليه شجرة من يقطين ، ليظلله بورقه العريض ، وذلك من فضل الله ورحمته عليه [(٣)] .

---

(١) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٤) .

(٢) أخرجه عنه إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٣/١٠٢٣) قال : حدثنا محمد بن هارون ، عن صفوان ، عن عمرو بن عبد الواحد ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر . **دراسة الإسناد** :

محمد بن هارون : ابن إبراهيم الربعي ، أبو جعفر البغدادي البزاز ، أبو نَشِيط ، صدوق من الحادية عشرة ، روى عن : بشر بن الحارث الحافي ، والحكم بن نافع ، وحيوة بن شريح الحمصي ، وروى عنه : ابن ماجة في التفسير ، وأحمد بن نصر ، وابن أبي الدنيا ، وابن أبي حاتم الرازي ، مات في شوال سنة ثمان وخمسين ومائتين . انظر : تهذيب الكمال (٢٦/٥٦٠) .

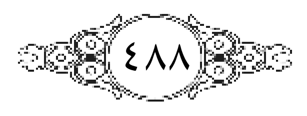
صفوان هو : صفوان بن صالح بن صفوان الثقفي ، أبو عبد الملك الدمشقي ، مؤذن مسجد دمشق ، وهو بن صالح بن صفوان ، روى عن : الوليد بن مسلم ، وابن عيينة ، وعمر بن عبد الواحد ، روى عنه : ابن أبي حاتم ، وأبو زرعة ، وهو ثقة كان يدلس تدليس التسوية ، قاله أبو زرعة الدمشقي ، وسئل ابن أبي حاتم عنه فقال : صدوق . مات سنة تسع وثلاثين ومائتين ، وله سبعون سنة . انظر : الجرح والتعديل (٤/٤٢٥) ، تقريب التهذيب (٢٧٦) .

عمرو بن عبد الواحد : الصواب : عمر بن عبد الواحد بن قيس السلمي ، أبو حفص الدمشقي ، روى عن : يحيى بن الحارث الذماري ، والأوزاعي ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وطائفة، وروى عنه : هشام بن عمار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وداود بن رشيد ، ودحيم محمود بن خالد السلمي ، وإسحاق بن راهويه وآخرون ، وثَّقه ابن سعد وروى عنه ، وذكره بن حبان في الثقات ، ولد سنة ١١٨ ، ومات سنة مائتين ، وذكر بعضهم أنه عاش ٩٢ سنة . انظر : تهذيب التهذيب (٧/٤٢١) .

عثمان بن عطاء : سبقت ترجمته ، والحكم عليه بالضعف ص(٢٦٤) .

وبناءً على ذلك فالأثر عن عطاء الخراساني ضعيف لضعف ابنه عثمان .

(٣) انظر : في ظلال القرآن (٥/٢٩٩٨) .



الأقوال في الآية[1] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنه القرع ، وافق فيه ابن مسعود [2]، وأبو هريرة [3]، وابن عباس رضي الله عنهم [4]،وعمرو بن ميمون [5]، وسعيد بن جبير، ومجاهد [6]، وعكرمة [7]، ووهب [8]، والضحاك ، ومغيرة ، والسدي [9]، وقتادة [10]، وعبد الله بن طاووس [11] [12]، وهو قول جمهور المفسِّرين [13]، وذكر البغوي رحمه الله أنه قول جميع المفسِّرين [14].

القول الثاني : أنه كلُّ شيء ينبت على وجه الأرض بسْطاً ليس له ساق ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [15]، وسعيد بن جبير [16]، ومجاهد [17]، وجماعة من

---

(١) انظر : بحر العلوم (١٥٢/٣) ، الكشف والبيان (١٧١/٨) ، النكت والعيون (٦٨/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦١٩/٢) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٢٣٠/١٠) برقم : (١٨٢٩٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٠٥/٣) ، والطبري (٦٣٥/١٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٤/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢٣٠/١٠) برقم : (١٨٢٩٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/٧) عزوه لابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٤/١٩) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٦٣٦/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٧-١٣٠) عزوه عنهما لعبد بن حميد.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/٧) لعبد الرزاق ، وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٦٣٤/١٩-٦٣٦) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٤/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(١١) **عبد الله بن طاوس** = ابن كيسان اليماني ، أبو محمد ، ثقة فاضل عابد ، من السادسة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . انظر : تقريب التهذيب (٣٠٨) .

(١٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٠٣/٣) .

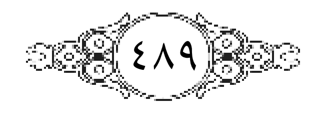
(١٣) انظر : المحرر الوجيز (١٥٨٧) ، زاد المسير (١١٩٧) ، أنوار التنزيل (١٩/٥) ، وحكاه عنهم النسفي في مدارك التنزيل (٤٢٤/٢) ، التسهيل (٣٢٥/٣) ، البحر المحيط (٤٩٩/٧) ، تفسير ابن كثير (٢٤/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٣٨/٥) ، روح المعاني (٢١٤/٢٣) ، فتح القدير (٥١٣/٤).

(١٤) معالم التنزيل (٤٨/٤) .

(١٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣١/٧) لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، ولفظه : هو كل شيء يذهب على وجه الأرض .

(١٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٣/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢٣٠/١٠) بعد الأثر رقم : (١٨٢٩٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/٧-١٣١) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٧) تفسير مجاهد (٢٢٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٤/١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣١/٧) عزوه لعبد بن حميد .



أهل اللغة والتفسير [(١)].

قال النحاس رحمه الله : (وهذا هو الذي تعرفه العرب ، يقع للقرع ، والحنظل، والبطيخ ، والكلُّ ما لم يكن على ساق ، وكأنَّ اشتقاقه من قَطَن بالمكان : أي أقام به) [(٢)].

وقال ابن عطية بعد ذكر القولين : (وعلى هذين القولين فإمَّا أن يكون قوله : ﴿شَجَرَةً﴾ تجوُّزاً ، وإما أن يكون أنبتها عليه ذات ساق خرْقاً للعادة ، لأنَّ الشجرة في كلام العرب إنما يقال لما كان على ساق من عود) [(٣)].

قال الواحدي رحمه الله : (والآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون ؛ أحدهما : أنَّ هذا اليقطين لم يكن قبل فأنبته الله لأجله ، والآخر: أنَّ اليقطين كان معروشاً ليحصل له ظل ، لأنه لو كان منبسطاً على الأرض لم يمكن أن يستظل به) [(٤)].

القول الثالث : أنها كل ورقة شجر اتَّسعت وستَرت فهي يقطين ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)].

القول الرابع : أنها شجرة سماها الله تعالى يقطيناً أظلته ، قاله ابن جبير[(٦)].

القول الخامس : كلُّ شيء نبت ثم يموت من عامه ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح - والله أعلم - هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني وجمهور

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٣٦/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٣٩/٢) ، الوسيط (٥٣٣/٣) ، الكشاف (٩١٤) ، التفسير الكبير (١٥٣/٢٦) .

(٢) معاني القرآن (١٠٣٩/٢) .

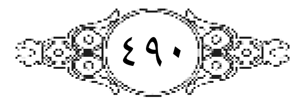
(٣) المحرر الوجيز (١٥٨٧) .

(٤) حكاه عنه الرازي في التفسير الكبير (١٥٣/٢٦) ، ولم أقف عليه في تفسيره الوسيط .

(٥) حكاه عنه الفراء في معاني القرآن (٣٤٤/٢) ، والماوردي في النكت والعيون (٦٨/٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٦/١٩) ، وابن أبي حاتم (٣٢٣٠/١٠) برقم : (١٨٢٩٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣١/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣١/٧) لعبد بن حميد .



المفسِّرين : أنَّ المقصود باليقطين هو القرْع .

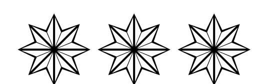
ويؤيده ما ورد مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قيل له : إنك لتحبُّ القرع ؟ قال : « أَجَلْ .. هِيَ شَجَرَةُ أَخِيْ يُوْنُسْ » [(١)].

واليقطين وإن كان عند العرب يطلق على كلِّ شجرة تنبسط على وجه الأرض ولا تقوم على ساق ، لكن لما غلب استعماله في العرف على الدُّبّاء ؛ وهو القرْع ، حمل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [(٢)].

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضعيف والمنكر [(٣)].

ومما يؤيِّد هذا الترجيح أيضاً : أنَّ أوصاف القرع تتناسب مع حال يونس عليه السلام ؛ فمن أوصافه : برد الظلِّ ، ونعومة المَلمَس ، وعِظَمُ الورق ، وماء ورقه إذا رشَّ به مكان لم يقربه الذباب ، وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبِّه وقشْره أيضاً ، وكذلك فإنَّ ورق القرع أنفع شيء لمن تسلَّخ جلده كيونس عليه السلام [(٤)].

والله أعلم ،،

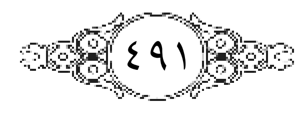


(١) **غريب** . أورده صاحب الكشاف (٩١٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٦١٩/٢) ، وأنوار التنزيل (١٩/٥) ، ومدارك التنزيل (٤٢٤/٢) ، والبحر المحيط (٤٩٩/٧) ، وإرشاد العقل السليم (٣٣٨/٥) . وأورده ابن حجر في فتح الباري (٦٥١/٩) في شرح الحديث رقم : (٥٣٧٩) ولم يتكلَّم عليه ، وعزاه للنسائي ، وعزاه غيره لابن ماجة ، ولم أقف عليه عندهما بهذا اللفظ أو نحواً منه ، وقال عنه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١٨٠/٣) برقم : (١٠٩٣) : غريب . ولم أجد هذا اللفظ الذي أورده المفسرون في الصحاح أو السنن أو المسانيد ، وما وجدته هو لفظ عند ابن ماجة من حديث أنس ، فيه : (فإذا هو يعجبه القرع قال : فجعلت أجمعه فأدنيه منه ...) .

(٢) انظر : المصباح المنير ، مادة : قطن ص٢٦٣ .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٣٦٩/١) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز (١٥٨٧) ، البحر المحيط (٤٩٩/٧) ، تفسير ابن كثير (٢٤/٤) .



سورة ص

الموضع الأول :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص : ١٦][١].

١٠٣- **قال عطاء الخراساني** : أي قضاءنا [٢] .

وفي لفظ : أي قضاءنا ، أي حسابنا [٣].

الدراسة :

* **القط** : الصحيفة ، وهو اسم للمكتوب ، والمكتوب فيه ، وقد يسمَّى المكتوب بذلك كما يسمَّى الكَلام كتاباً وإن لم يكن مكتوباً ، وأصل القطّ الشيء المقطوع عرضاً ، والقطّ : النصيب المفروز [٤].

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : عجِّل لنا قضاءنا وحسابنا ، وهو قول عطاء الخراساني ، وهو بنحو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما القط بالجزاء [٦].

القول الثاني : عجِّل لنا نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا به ، وذلك استهزاء منهم بذلك ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٧]، ومجاهد [٨]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١١٢/٣) ، بسنده قال : عن معمر ، عن عطاء الخراساني ، وسبقت دراسة هذا الإسناد والحكم بالصحة عليه في دراسة إسناد الموضع الثالث من سورة الصافات رقم (٩٧) ، ص(٤٧٦) .

وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٣٠/١) بسنده عن عمه إسماعيل ، عن عبد الرزاق الصنعاني بمثله . **والأثر بهذا الإسناد صحيح ثابت عن عطاء الخراساني** ، وقد ذكره عنه أيضاً النحاس في معاني القرآن (١٠٥١/٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٢٠٤) .

(٣) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن (١٠٥١/٢) بهذا اللفظ .

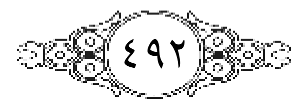
(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٤٢/٤) ، والمفردات في غريب القرآن (٤٠٨) ، والكشاف (٩٢٠) .

(٥) انظر : جامع البيان (٣٧/٢٠) ، الكشف والبيان (١٨٢/٨) ، النكت والعيون (٨٢/٥) ، الوسيط (٥٤٢/٣)، معالم التنزيل (٥٦/٤) ، المحرر الوجيز (١٥٩٣) ، زاد المسير (١٢٠٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣١/٢) ، البحر المحيط (٥١٧/٧) ، فتح القدير (٥٢٩/٤) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٧/٧) للطستي ، في سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧/٢٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٣٧/١٠) برقم : (١٨٣٣٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٤٧/٧) عزوه لابن المنذر .

(٨) تفسير مجاهد (٢٣٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٤٧/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد .



وقتادة[١]، والضحاك [٢]، وبنحوه قال البخاري في صحيحه [٣]، والنَّسفي في تفسيره [٤].

وتصدير الدعاء بالنداء المذكور إمعاناً في الاستهزاء ؛ كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال [٥].

القول الثالث : عجِّل لنا حظَّنا من الجنة التي وعدتنا ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، وقاله سعيد بن جبير [٧]، وعكرمة [٨].

القول الرابع : عجِّل لنا في الدنيا كتابنا في الآخرة ، استهزاء منهم بذلك ، قال به الحسن [٩]، واختاره الفرَّاء [١٠]، والسمرقندي[١١].

القول الخامس : أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك ، قاله السدي [١٢]، وهو استهزاء منهم أيضاً .

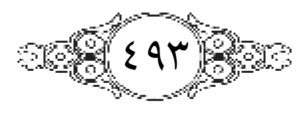
القول السادس : عجِّل لنا رزقنا ، قاله إسماعيل بن أبي خالد[١٣] [١٤].

الجمع أو الترجيح :

المعاني كلها متقاربة محتملة ، والمقصد فيها يدور على أنهم قالوا ذلك

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١١٢/٣) ، والطبري في تفسيره (٣٨/٢٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٣٧/١٠) برقم : (١٨٣٣٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٤٧/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .
(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣٢/٤) .
(٣) صحيح البخاري (١٥٥/٦) كتاب تفسير القرآن ، سورة ص .
(٤) مدارك التنزيل (٤٣١/٢) .
(٥) انظر : روح المعاني (٢٥٤/٢٣) .
(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٣٧/١٠) برقم : (١٨٣٣٧) .
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨/٢٠) .
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٨/٧) لعبد بن حميد .
(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٨/٧) لعبد بن حميد .
(١٠) معاني القرآن للفراء (٣٥١/٢) .
(١١) بحر العلوم (١٦١/٢)
(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨/٢٠) .
(١٣) **إسماعيل بن أبي خالد** = كنيته أبو عبد الله ، يروي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، وأبي كاهل ، ومن التابعين: قيس ابن أبي حازم وجماعة ، واسم أبي خالد هرمز روى عنه مسعر والثوري وشعبة حديثه واسع . انظر : مشتبه أسامي المحدثين (٣٣) .
(١٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٩/٢٠) .



استهزاءً وتهكُّماً بالنبي ﷺ [(١)].

قال ابن عطية ﵀ : (وعلى كل تأويل ، فكلامهم خرج على جهة الاستخفاف والهزء ، ويدلُّ على ذلك ما عُلم من كفرهم واستمر ...) [(٢)].

وجمع الطبري ﵀ فقال : (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إنَّ القوم سألوا ربهم تعجيل صِكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله .... ثم أتبع ذلك قوله لنبيه : ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فكان معلوماً بذلك أنَّ مسألتهم ما سألوا النبي ﷺ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يُتبع الأمر بالصبر عليه ، ولكن لما كان ذلك استهزاء ، وكان فيه لرسول الله ﷺ أذى ، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم . ولمَّا لم يكن في قوله : ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ بيان أيِّ القطوط أراد بهم ، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معنيٌ به القُطوط ببعض معاني الخير أو الشرِّ ، فلذلك قلنا : إنَّ مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر) [(٣)].

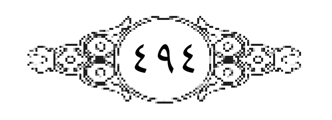
قال ابن كثير ﵀ معقِّباً : (وهذا الذي قاله جيد ، وعليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبي خالد والله أعلم) [(٤)].

وقال النحاس ﵀ : (فالمعنى : عجِّل لنا نصيبنا ، أي ما قطع لنا ، ويجوز أن يكون المعنى :عجِّل لنا ما يكفينا ، من قولهم قَطْني من هذا ؛ أي يكفيني)[(٥)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٦)].

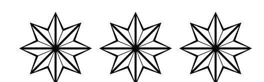
---

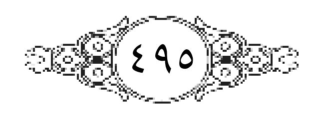
(١) انظر : التفسير الكبير (١٦٩/٢٦) ، أنوار التنزيل (٢٦/٥) ، التسهيل (٣٣٤/٣) ، إرشاد العقل السليم (٣٥٣/٥) .
(٢) المحرر الوجيز (١٥٩٣) .
(٣) جامع البيان (٣٩/٢٠-٤٠) .
(٤) تفسير ابن كثير (٣٢/٤) .
(٥) معاني القرآن للنحاس (١٠٥١/٢) .
(٦) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



وعلى كل حال .. فقول عطاء الخراساني داخل فيما ذكرت ، وهو معنى معتبر في تفسير الآية ، وقول الطبري في الترجيح جامع .

والله أعلم ،،





الموضع الثاني :

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) ﴾ [ص : ٢١-٢٥] .

١٠٤- **قال عطاء الخراساني** : إنَّ كتاب صاحب البعث جاء ينعي من قُتل ، فلما قرأ داود نعيَ رجل منهم رجَّع [١] ، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال : كتب الله على كل نفس الموت ، قال : فلما انقضت عِدّتها خطبها [٢] .

١٠٥- **وقال أيضاً** : نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها ، قال : فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت [٣] .

---

(١) يعني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٥/٢٠) بسنده قال : حدثني عليّ بن سهل ، قال: ثنا الوليد بن مسلم ، قال: ثنا ابن جابر ، عن عطاء الخراساني .. وذكر الأثر .. **ودراسة الإسناد** :

علي بن سهل هو : علي بن سهل المدائني ، صدوق من الحادية عشرة ، يروي عن : شبابة بن سوار المدائني، ويروي عنه : محمد بن جرير الطبري . انظر : تهذيب التهذيب (٢٩٠/٧) .

الوليد بن مسلم : تقدمت ترجمته .

ابن جابر : عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وتقدَّمت ترجمته .

والأثر بهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني .

(٣) أخرجه عنه ابن المبارك في كتاب الزهد (١٦٨) قال : أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق ، قالا أخبرنا يحيى ، قال حدثنا الحسين ، قال أخبرنا الوليد ، قال حدثنا جابر ، عن عطاء الخراساني .. وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

أبو عمر بن حيوية : هو محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ ، أبو عمر الخزاز ، المعروف بابن حيويه ، روى عن : عبد الله بن إسحاق المدايني ، والباغندي ، والبغوي ، وابن صاعد ، وغيرهم . وروى عنه : أبو بكر البرقاني ، وأبو الحسن العتقي ، وغيرهم ، كان ثقة ، سمع الكثير وكتب طول عمره ، وروى المصنفات الكبار كطبقات ابن سعد ، ومغازي الواقدي ، ومصنفات أبي بكر الأنباري ، وتاريخ بن أبي خيثمة ، ولد سنة خمس وتسعين ومائتين ، أثنى عليه العتيقي وقال: كان ثقة صالحاً ديناً ذا مروَّة ، مات سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة . انظر : تاريخ بغداد (١٢١/٣) ، لسان الميزان (٢١٤/٥) .

أبو بكر الوراق هو : محمد بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الوراق ، محدث فاضل مكثر ، لكنه يحدث من غير أصول ، ذهبت أصوله ، وهذا التساهل قد عم وطم ، سمع من أبيه ، وحامد البلخي ، والباغندي ، والبغوي ومن بعدهم ، وروى عنه الدارقطني ، والخلال ، والجوهري ، والبرقاني وخلق ، ولد ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، كان متيقظاً حسن المعرفة ، وكان فيه بعض التساهل كانت كتبه ضاعت فاستحدث أصولاً ، وكان يفهم الحديث قديماً ، وكان أمره مستقيماً ، مات في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة. انظر : تاريخ بغداد (٢/٥٣) ، لسان الميزان (٥/٨٠) .

يحيى: هو يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب ، مولى أبي جعفر المنصور ، الحافظ الإمام الثقة ، أبو محمد الهاشمي البغدادي ، ولد سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وقال : كتبت الحديث عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس سنة تسع وثلاثين ، وسمع من لوين ، وأحمد بن منيع ، وسوار بن عبد الله القاضي ، ويحيى بن سليمان بن نضلة ، وخلقاً لا يحصون ، وحدث عنه : أبو القاسم البغوي مع تقدمه ، ومحمد بن عمر الجعابي ، والدارقطني ، وخلق كثير ، قال عنه الدارقطني : ثقة ثبت حافظ ، وقال الخطيب : كان ابن صاعد ذا محل من العلم ، وله تصانيف في السنن والأحكام . مات في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاث مائة . انظر : تاريخ بغداد (١٤/٢٣١) ، تذكرة الحفاظ (٢/٧٧٦) .

الحسين: هو الحسين بن الحسن المروزي ، تقدَّمت ترجمته في سورة النور .

الوليد هو : الوليد بن مسلم ، القرشي مولاهم ، أبو عباس الدمشقي ، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية ، من الثامنة مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين . انظر : تقريب التهذيب (٥٨٤) .

جابر هو : الصواب — ابن جابر - ، الإمام الحافظ فقيه الشام ، وسبقت ترجمته في الباب الأول .

وعليه فالأثر بهذا الإسناد حسن عن عطاء الخراساني .

وذكر الأثر عن عطاء الخراساني أيضاً : البرجلاني في الكرم والجود وسخاء النفوس (٦٢) .

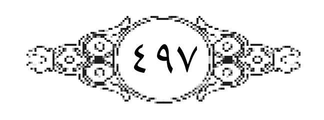
وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٩) ، وفي تاريخ الأمم والملوك (١/٢٨٤) بسنده قال : حدثني عليّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : ثني عطاء الخراساني .. وذكر الأثر . وتقدَّمت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه .

وذكره عنه أبو بكر بن مروان الدينوري في المجالسة (٢٢٠) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٥٩٧) ، **وأخرجه ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب** (٧/٣٤١٥) بسنده قال : وقال شيخنا أبو عبد الله الإربلي، أخبرتنا الكاتبة شهدة بنت الآبري ، قالت أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالي ، قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف الحنائي ، قال أخبرنا أبو عمرو بن السماك ، قال حدثنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن سنين ، قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي ، قال أخبرنا الوليد بن مسلم ، قال حدثني عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر .

دراسة الإسناد :

أبو عبد الله الإربلي هو : محمد بن الحسن ، أبو عبد الله الإربلي الضرير المقرئ نزيل القاهرة ، كان عارفاً بالفن محققاً للتجويد والأداء ، ولي الإقراء بالفاضلية وغيرها ، تلا عليه جماعة بالروايات منهم الشيخ جمال الدين رافع ، وفي طبقة هؤلاء طائفة كبيرة لكنهم تركوا الفن . انظر : معرفة القراء الكبار (٢/٧٢٨) ، ولم أجد ترجمة له في غير هذا المصدر .

الكاتبة شهدة بنت الآبري : فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري الكاتبة ، الدينورية الأصل ، البغدادية المولد والوفاة ، كانت من العلماء ، وكتبت الخط الجيد ، وسمع عليها خلق



١٠٦- **وقال في موضع آخر** : إنَّ داود سجد أربعين يوماً حتى نبت المرعى من حرِّ جوفه ، وغمر رأسه [(١)]، فنودي : أجائع فتطعم ، وأعار فتكسى !؟ ، فنَحَب نحبة

كثير ، وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر ، سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر ، وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالي ، وغيرهم ، اشتهر ذكرها ، وبعد صيتها ، وكانت وفاتها في المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة . انظر : وفيات الأعيان (٤٧٧/٢) .

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالي هو : الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي ، سمع الكثير من أبي عمر بن مهدي ، وأبي سعد المالِيني ، ومحمود بن عمر العكبري ، وتفرد عنهم . روى عنه : ابن ناصر ، وابن الزاغوني ، وخلق من آخرهم : شهدة ، وتجنى ، قال أبو عامر العبدري : عامي أمي لا يحسن يكتب ولا يقرأ ، رافضي لا يحل أن يحمل عنه حرف واحد ، وذكر العبدري أيضاً أن سماعه صحيح، مات سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، وقال السمعاني : سألت أبا الفرج إبراهيم بن سليمان عنه فقال لا أروي عنه كان لا يعرف ما يقرأ عليه . انظر : لسان الميزان (٢٦٨/٢) .

أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف الحنائي – الصواب الجبائي – وهو : محمد بن عبيد الله بن محمد بن الحجاج أبو الحسن الجبائى ، سمع إسماعيل بن محمد الصفار ، ومحمد بن عمرو الرزاز ، وأبا عمرو بن السماك ، وغيرهم ، كان ثقة مأموناً زاهداً ملازماً لبيته ، حكى عنه خززاذ الوراق – وكان جاره بدرب الدرج – أنه قال : ما لمس كفي كف امرأة قط إلا والدتي ، وكانت وفاته في شهر رمضان من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، وقد بلغ خمساً وثمانين سنة . انظر : تاريخ بغداد (٣٣٦/٢) .

أبو عمرو بن السماك هو : عثمان بن أحمد بن السماك ، أبو عمرو الدقاق ، صدوق في نفسه لكن روايته لتلك البلايا عن الطيور كوصية أبي هريرة فالآفة من فوق ، أما هو فوثَّقه الدارقطني ، قال ابن السماك : وجدت في كتاب أحمد بن محمد الصوفي حدثنا إبراهيم بن حسين عن أبيه عن جده عن علي مرفوعاً من أسمج الكذب : « من أدرك منكم زماناً يطلب فيه الحاكة العلم فالهرب » قيل : أليسوا من إخواننا ؟ ، قال : « هم الذين بالوا في الكعبة ، وسرقوا غزل مريم ، وعمامة يحيى ، وسمكة عائشة من التنور » . وهذا الإسناد ظلمات ، وينبغي أن يغمز ابن السماك لروايته هذه الفضائح ، توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، وحُزر من حضر جنازته بخمسين ألف إنسان ، ودفن في مقابر باب الدير ، وكان ثقة صدوقاً صالحاً . انظر : تاريخ بغداد (٣٠٢/١١) ، ميزان الاعتدال (٤١/٥) .

أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن سنين : الختلي ، مؤلف الديباج ، قال الحاكم والدارقطني : ليس بالقوي ، وقال مرة : ضعيف ، وأرخ ابن المنادي وفاته في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل : بلغ الثمانين ، سمع من علي بن الجعد ، وأبي نصر التمار ، وهشام بن عمار ، وطبقتهم . وروى عنه : ابن السماك ، وأبو سهل القطان ، وأبو بكر الشافعي ا.هـ . انظر : لسان الميزان (٣٤٨/١) .

إبراهيم بن عبد الله الهروي هو : الحافظ أبو إسحاق الهروي ، تقدَّمت ترجمته في سورة النور .

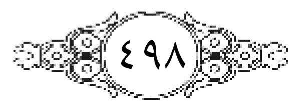
الوليد بن مسلم هو : أبو العباس الدمشقي ، ثقة ، لكنه كثير التدليس والتسوية . سبقت ترجمته .

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هو : الإمام الحافظ فقيه الشام ، وتقدَّمت ترجمته .

والأثر بهذا الإسناد ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني .

وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦٤/٧) عزوه لأحمد والحكيم الترمذي ، ولم أقف عليه فيهما .

(١) إلى هنا ذكره عنه الشوكاني في فتح القدير (٥٣٣/٤) .



هاج المرعى من حرِّ جوفه ، فغفر له وستر بها ، قال : يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته ، وكيف بفلان وكذا وكذا رجلاً من بني إسرائيل ، تركت أولادهم أيتاماً ، ونساءهم أرامل ؟ قال : يا داود لا يجاوزني يوم القيامة ظلم أمكنه منك ثم أستوهبك منه بثواب الجنة . قال : يا رب هكذا تكون المغفرة الهينة ، ثم قيل : [يا داود ارفع رأسك ، فذهب ليرفع رأسه فإذا به قد نشب في الأرض ، فأتاه جبريل فاقتلعه عن وجه الأرض كما يقتلع من الشجرة صمغها] [(١)].

الدراسة :

* أقوال عطاء الخراساني السابقة مبنية على أنَّ خطيئة داود هي القصة التي أوردها كثير من المفسِّرين ، ورفعها بعضهم إلى النبي ﷺ من حديث أنس [(٢)]،

---

(١) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٦٤٤-٢٦٤٥) ، والألوسي في روح المعاني (٢٣/٢٧١) مختصراً ، وعزاه لأحمد والترمذي ، ولم أجده عندهما . ومابين المعقوفتين أخرجه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/١٩٦) قال : حدثنا أبو محمد بن حيان ، ثنا محمد بن أحمد بن سليمان، ثنا موسى بن عامر ، ثنا الوليد بن مسلم ، قال ثنا ابن جابر ، عن عطاء الخراساني ...وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

أبو محمد بن حيان : حافظ أصبهان ، ومسند زمانه الإمام ، أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، صاحب المصنفات السائرة ، ويعرف بأبي الشيخ ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، وسمع في سنة أربع وثمانين ، وهلم جرا ، وكتب العالي والنازل ولقي الكبار ، سمع من جده لأمه الزاهد محمود بن الفرج ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن حفص الهمذاني رئيس أصبهان ، وابن أبي عاصم ، وأحمد بن الحسن الصوفي ، وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه صالحاً خيراً قانتاً لله صدوقاً ، حدث عنه : ابن مردويه ، وأبو نعيم ، وأبو طاهر بن عبد الرحيم الكاتب وخلق كثير . توفي في المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة . انظر : تذكرة الحفَّاظ (٣/٩٤٥) .

محمد بن أحمد بن سليمان: أبو العباس الهروي الفقيه ، سمع بدمشق أبا الحكم الهيثم بن مروان بن الهيثم بن عمران ، وموسى بن عامر المري ، وأباعمير عيسى بن محمد بن النحاس ، روى عنه : عبد الرحمن بن محمد بن سياه ، ومحمد بن إسحاق بن أيوب ، وأحمد بن بندار الشعار ، وأبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، وأبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي ، قال عنه أبو نعيم : فقيه محدِّث ، كثير المصنفات ، كتب عنه عامة شيوخنا ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين .انظر: تاريخ مدينة دمشق (٥١/٤٤).

موسى بن عامر : ابن عمارة المري ، أبو عامر بن أمير العرب ، أبي الهيذام الدمشقي ، روى عن : ابن عيينة، والوليد ، وروى عنه : أبو داود ، وابن جوصا ، وابن أبي داود ، ثقة مكثر عن الوليد ، مات سنة ٢٥٥هـ . انظر : الكاشف (٢/٣٠٥) .

الوليد بن مسلم: تقدَّمت ترجمته .

ابن جابر : تقدَّمت ترجمته .

وهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني رجاله ثقات .

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (٢٠/٧٤) قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن

وملخَّصها : أنَّ داود عليه السلام رأى امرأة تستحمُّ عارية ، فأعجب بها ، فأراد أن يتزوجها فوجد أنها متزوجة من رجل يقال له أوريا ، فأرسل زوجها للغزو حتى قتل ، ثمَّ تزوجها بعد انقضاء عدَّتها ، وولدت له .

وهذه القصَّة من أخبار بني إسرائيل ، وفيها من التعدي على مقام النبوة ، والقدح في الأنبياء بما هم منزَّهون عنه ، وقد وردت هذه القصة بمجملها في كتب أهل الكتاب المحرفة [1].

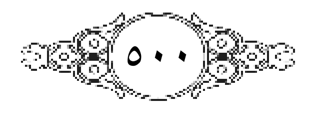
يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك سمعه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ دَاوُدَ النَّبِيّ ﷺ حِينَ نَظَرَ إِلَى المَرْأَة فَأَهَمَّ ، قَطَعَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَوْصَى صَاحِبَ البَعْث ، فَقَالَ : إِذَا حَضَرَ العَدُوُّ ، فَقَرِّبْ فُلاناً بَيْنَ يَدَيِ التَّابُوت ، وَكَانَ التَّابُوتُ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ يُسْتَنْصَرُ بِهِ ، وَمَنْ قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ التَّابُوتِ لَمْ يَرْجِعْ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُهْزَمَ عَنْهُ الجَيْشُ ، فَقُتِلَ زَوْجُ المَرْأَة وَنزلَ المَلَكَانِ عَلى دَاوُدَ يَقُصَّان عَلَيْه قِصَّتَهُ ، فَفَطِنَ دَاوُدُ فَسَجَدَ ، فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً سَاجِداً حَتَّى نَبَتَ الزَّرْعُ مِنْ دُمُوعِه عَلَى رَأْسِه ، وَأَكَلَت الأَرْضُ جَبِينَهُ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُوده - فَلَمْ أُحْصِ مِنَ الرّقَاشيِّ إلا هؤلاء الكلمات - : " رَبِّ زَلَّ دَاوُدُ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِق وَالمَغْرِب ، إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعْفَ دَاوُدَ وَتَغْفِرْ ذَنْبَهُ ، جَعَلْتُ ذَنْبَهُ حَدِيثًا فِي الخُلُوف مِنْ بَعْدِه ، فَجَاءَهُ جِبْرَائِيلُ ﷺ مِنْ بَعْد الأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، قَالَ : يَا دَاوُدُ إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ الهَمَّ الَّذِي هَمَمْتَ بِهِ ... » ، وقد ذكره أيضاً : ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٣٩/١٠) برقم : (١٨٣٤٤) عن أنس بن مالك ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٥٦/٧) عزوه للحكيم الترمذي ، وضعَّف السيوطي سند القصة عند ذكرها . وقال ابن كثير في تفسيره (٣٣/٤) معلقاً: (وقد ذكر المفسِّرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - ويزيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يردَّ علمها إلى الله عز وجل ، فإنَّ القرآن حق ، وما تضمَّن فهو حق أيضاً) .

(١) **جاء في الإصحاح الحادي عشر من سِفر صموئيل الثاني ، وهو من كتب اليهود** ، ما يلي : (وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره ، وتمشَّى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود ، وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي ، فأرسل داود رسلاً ، وأخذها فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلى ، فأرسل داود إلى يواب يقول : أرسل إلي أوريا الحثي ، فأرسل يواب أوريا إلى داود) .

ومما جاء في القصة أيضاً : (وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يواب وأرسله بيد أوريا ، وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت) .

ثم جاء فيها : (فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود ، وضمها إلى بيته وصارت له امرأة ، وولدت له ابنا) . ا..هـ من الكتاب المقدَّس .

ولقد أوردت هذا النقل هنا لأثبت إلى أي مدى دخلت هذه الضلالات كتب التفسير ، وغزت علوم المسلمين ومعارفهم ، وهي لا تعدوا أن تكون افتراءً وقدحاً في أنبياء الله المعصومين عليهم الصلاة والسلام . والله المستعان .



ومما يؤسف له أنَّ كثيراً من المفسِّرين أوردوا القصة أو أشاروا لها دون تعقيب أو تعليق [(١)]، ومنهم من أشار إلى بطلانها بإيجاز [(٢)]، ومنهم من أراد تنزيه نبي الله داود عليه السلام ، فوقع فيما هرب منه بروايات أخرى فيها إساءة دون قصد[(٣)].

وما أحسن ما ذكره القاضي عياض رحمه الله حين قال : (وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطَّره فيه الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدَّلوا وغيَّروا ، ونقله بعض المفسِّرين ؛ ولم ينصَّ الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح ...) إلى أن قال : (وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود ؛ ذهب أحمد بن نصر ، وأبو تمام ، وغيرهما من المحققين ، وقال الداودي : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم ، وقيل إنَّ الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نِعاجِ غنم على ظاهر الآية) [(٤)].

وقال الزمخشري رحمه الله بعد ما أورد القصة : (فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتَّسمين بالصلاح من أبناء المسلمين ؟ فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء !! . وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور : أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: " مَنْ حدَّثكم بحَديث داود على ما يَرْويه القُصَّاص جلدته مائة وستين ، وهو حدُّ الفرْية على الأنبياء " [(٥)].

---

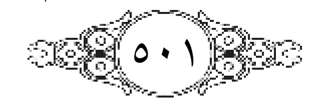
(١) انظر : تفسير الصنعاني (١١٣/٣) ، جامع البيان (٦٥/٢٠) ، بحر العلوم (١٦٤/٣) ، الكشف والبيان (١٨٦/٨)، الوسيط (٥٤٨/٣) ، معالم التنزيل (٦٠/٤-٦٥) ، المحرر الوجيز (١٥٩٥) ، زاد المسير (١٢٠٦) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل (٢٧/٥) ، مدارك التنزيل (٤٣٣/٢) ، البحر المحيط (٥٢٣/٧) ، تفسير ابن كثير (٣٣/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٥٨/٥) ، روح المعاني (٢٧٢/٢٣) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣٦/٢) ، التسهيل (٣٣٧/٣) ، فتح القدير (٥٣٣/٤) ، التحرير والتنوير (٢٣٧/٢٣) .

(٤) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم (٨٢٧/٢-٨٢٨) .

(٥) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١٨٨/٣) ، وقال الدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله معلِّقاً : (لأنَّ حدَّ القذف على غير الأنبياء ثمانين ، فرأى رضي الله عنه تضعيفه بالنسبة إلى الأنبياء ، وفي الكذب عليهم رمي لهم بما هم منه براء ، ففيه معنى القذف لداود بالتعدي على حرمات الأعراض ، والتحايل في سبيل ذلك) انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (٢٦٨) حاشية رقم (٣) .



وروي أنه حُدِّث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق ، فكذَّب المحدِّث به ، وقال : إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها ، وأعظِم بأن يقال غير ذلك ، وإن كانت على ما ذكرت وكفَّ الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه ، فقال عمر : لسماعي هذا الكلام أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس) ا..هـ[1].

وقد ردَّ الرازي ﷺ في تفسيره هذه الافتراءات فقال : (والذي أدين به وأذهب إليه ؛ أنَّ ذلك باطل ، ويدل عليه وجوه :

الأول : أنَّ هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها ، والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرِّر تلك القصة لو نُسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه ، وربما لعن من ينسبه إليها ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه !؟ .

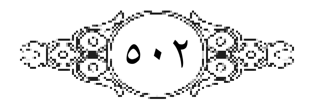
الثاني : أنَّ حاصل القصة يرجع إلى أمرين : إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع في زوجته ، أما الأول : فأمر منكر ، قال ﷺ : « مَنْ سَعَى فِي دَمِ مُسْلِمٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ »[2]، وأما الثاني : فمنكر عظيم قال ﷺ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[3]، وإن أوريا لم يسلم من داود لا في

---

(١) الكشاف (٩٢٢) .

(٢) **ضعيف** . أخرجه ابن ماجة في سننه ، في كتاب الديات ، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً (٢٦٢٠) ، قال عنه الإمام أحمد وابن الجوزي في الموضوعات (٣/٣١٧) : ليس بصحيح ، وقال ابن عدي في الكامل (٩/١٣٤) : غير محفوظ ، وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٤/٢٢١٢) : فيه يزيد بن أبي زياد ، وهو متروك ، وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/١٩٣) : فيه يزيد بن زياد الدمشقي ، قال البخاري وأبو حاتم : منكر الحديث ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٢٧٧) : لا يتطرَّق إليه احتمال التحسين ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٤٦) . والحديث له شاهد من حديث عمر بن الخطاب ، قال عنه أبو نعيم في الحلية (٥/٨٦) : غريب تفرّد به حكم عن خلف . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٣١٥) . وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري قال عنه الذهبي في ترتيب الموضوعات (٢٥٤) : إسناده ضعيف . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/٣١٦) وقال: ليس بصحيح .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه ، وبوب به في كتاب الإيمان ، وأخرجه فيه برقم : (١٠) ، وبرقم : (٦٤٨٤) في كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي من حديث عبد الله بن عمرو . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٤١) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، في كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام ، وأي أموره أفضل .



روحـه، ولا في منكوحـه ، والثالـث : أنَّ الله تعـالى وصـف داود عليه السلام قبـل ذكـر هذه القـصة بالـصفات العـشرة المـذكورة ، ووصـفه أيـضاً بـصفات كـثيرة بعـد ذكـر هـذه القـصة ، وكـل هـذه الـصفات تنـافي كونـه عليه السلام موصـوفاً بهـذا الفعـل المنكـر والعمل القبيح)[1].

وردَّ بردٍّ طويل مفيـد جـداً ، وهـو مـن أحـسن مـن أطـال مـن المفسِّرين دفاعـاً عن نبي الله داود عليه السلام بالحجَّة والبرهان ، فرحمه الله وجزاه خيراً .

قـال الـشنقيطي رحمه الله : (واعلـم أنَّ مـا يـذكره كـثير مـن المفـسِّرين في تفـسير هـذه الآيـة الكريمـة ، ممـا لا يليـق بمنـصب داود عليـه وعلـى نبينـا الـصلاة والـسلام، كلـه راجـع إلى الإسـرائيليات ، فـلا ثقـة بـه ، ولا معـوَّل عليـه ، ومـا جاء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء)[2].

وخلاصـة الأمـر : أنَّ الآيـة علـى حقيقتـها وظاهرهـا ، لـيس فيهـا رمـوز ولا إشـارات ، وكـلام المفـسِّرين ونقـولاتهم في ذلـك مـردودة لأمـور تـتلخص فيمـا يلي :

١) مخالفة القصة للأصول العقدية تجاه الأنبياء عليهم السلام .

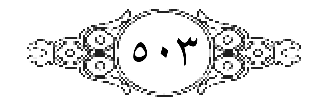
٢) مخالفـة القـصة للـسياق القـرآني ؛ إذ قـد أثـنى الله علـى داود قبـل ذلـك بـصفات مـدح في قولـه تعـالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾ [ص : ١٧] ، والأيـد القـوة في الـدين وهـو مـا اسـتحقَّ بـه المـدح ، وأي قـوة يمكـن أن يوصـف بهـا مـن لم يملـك نفـسه عـن الفجـور والقتـل الـذي نُـسب إليـه زوراً في هـذه القصة!.

وأيضاً فقد وصـفه الله بأنـه أوَّاب وهـو الرَّجـاع ، ومـن كـان هـذا حالـه اسـتحال في حقه المواظبة على أعظم الكبائر ! .

ومـن مـدح الله لـه قولـه سـبحانه : ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ فهـل يعقـل أنـه سـخَّر له ذلك ليتخذه وسيلة إلى القتل والزنا والفجور ! .

ومـن مدحـه سـبحانه أيـضاً قولـه : ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ والحكمـة اسـم جـامع

(١) التفسير الكبير (٢٦/١٧٥) .
(٢) أضواء البيان (٧/١٦-١٧) .



لكلِّ ما ينبغي علماً وعملاً ، فكيف يجوز أن يقول الله : ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ مع إصراره على ما يستنكفه أخبث الشياطين من مزاحمة أفضل أصحابه وأحبائه في الزواج والمنكوح ! .

ثمَّ كيف يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يذكُر ما حصل لداود ويقتدي به ، وهو على كلامهم ذنب وقدح ! .

٣) تفسير النعجة في القصة بالمرأة مخالف للغة العرب ، فإنه لم يرد أبداً في اللغة إطلاق النَّعجة على المرأة [(١)].

وأمَّا الأمر الذي استغفر منه داود عليه السلام فيحتمل أموراً منها :

الأول : أنه أساء الظن في الخصمين حين رآهما ففزع ، وحسب أنهما يريدان به سوءاً ، وتبيَّن له بعد ذلك أنَّ الأمر على خلاف ما ظنَّ فاستغفر ربه من ذلك [(٢)].

الثاني : تفرُّغه للعبادة في بعض الأيام ، وتركه للقضاء بين الناس .

الثالث : أنه ظنَّ أنَّ ما أتاه الله عزَّ وجل من سعة الملك العظيم فتنة ، فاستغفَر الله تعالى من هذا الظنِّ ، فغفر الله تعالى له ؛ إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة [(٣)].

الرابع : تسرُّعه في الحكم عقِب سماع قول أحد الخصمين الذي عرَض القضية عرضاً مثيراً قبل سماع حجَّة الآخر ، وكان يجب عليه لمَّا سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عمَّا عنده فيها ، ولا يقضي عليه قبل المسألة .

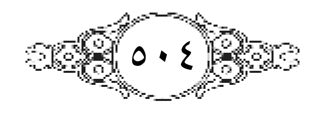
ويفاد من ذلك : أنَّ القاضي عليه ألا يُستَثار وألا يتعجَّل ، وعليه أن لا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصةً للإدلاء بقوله وحجَّته ، فقد يتغيَّر وجه المسألة كله أو بعضه ، وينكشف أنَّ ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً .

---

(١) انظر الردود والأجوبة بتوسع : عصمة الأنبياء – للرازي (٤٨-٥٤) .

(٢) انظر : البحر المحيط (٧/٥٢٣) .

(٣) انظر : الفصل في الملل (٤/١٥) .



وهذا القول الأخير هو الأقرب ؛ الذي يوافق سياق النظم القرآني ، لقوله تعالى بعد ذلك : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص : ٢٦] ، ويتَّفق مع عصمة الأنبياء عليهم السلام .

وقد أفاد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ ؛ وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَلاَ يَأْخُذْ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ »[١][٢] .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يعظِّم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية ، وكلُّ قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود [٣] .

ومما سبق يتَّضح أنَّ أقوال عطاء الخراساني السابقة غير صحيحة ، ومنها أصلاً ما ضعف ثبوته عن عطاء ، ولو صحَّت عنه فالحقُّ أحقُّ أن يتَّبع ، وعفا الله عنه خوضه مع الخائضين بمثل هذه القصص الشنيعة على أنبياء الله عليهم السلام .

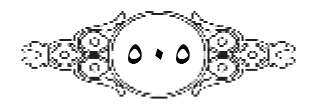
ومن جميل القول ما دافع به الإمام الفاضل أبو محمد ابن حزم رحمه الله في هذه المسألة حيث قال مفصِّلاً موضِّحاً : (وذكروا أيضاً قول الله تعالى حاكياً عن داود عليه السلام : ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ ﴾ وهذا قول صادق صحيح ، لا يدلُّ على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلِّقون بخرافات ولَّدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك مختصمين

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٦٩٦٧) في كتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت فقضي بقيمة الجارية الميتة ، ثمَّ وجدها صاحبها فهي له ، ويرد القيمة ، ولا تكون القيمة ثمناً . وبرقم: (٧١٦٩) في كتاب الأحكام ، باب موعظة الإمام للخصوم ، وبرقم : (٧١٨١) في كتاب الأحكام ، باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه فإنه قضاء ، وبرقم : (٧١٨٥) في كتاب الأحكام ، باب القضاء في قليل المال وكثيره سواء . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٧١٣) في كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجَّة ، من حديث أم سلمة زوج رسول الله ﷺ .

(٢) انظر : عصمة الأنبياء – للرازي (٥٤) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٢٨) .

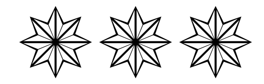


في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ؛ بغى أحدهما على الآخر على نص الآية ، ومن قال أنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل ، وقوَّله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه ، وكذَّب الله عز وجل، وأقرَّ على نفسه الخبيثة أنه كذَّب الملائكة ، لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ ۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ ﴾ فقال هو : لم يكونوا قط خصمين ، ولا بغى بعضهم على بعض ، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ، ولا كان للآخر نعجة واحدة ، ولا قال له أكفلنيها فأعجبوا لمَ يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ! ونعوذ بالله من الخذلان .

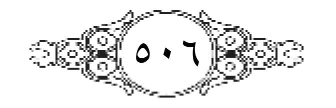
ثمَّ كلُّ ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله إنَّ كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشَّق امرأة جاره ، ثم يعرِّض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه ، هذه أفعال السفهاء المتهوِّكين الفسَّاق المتمرِّدين ؛ لا أفعال أهل البرِّ والتقوى ، فكيف برسول الله داود ﷺ الذي أوحى إليه كتابه ، وأجرى على لسانه كلامه ، لقد نزَّهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف إلى أفعاله .

وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة ، والاستغفار فعلُ خيرٍ لا ينكَر من ملك ، ولا من نبي ، ولا من مذنب ، ولا من غير مذنب ، فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى : ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر : ٧])[1].

والله أعلم ،،



(١) الفصل في الملل (٤/١٤-١٥) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص : ٤٥] [(١)].

١٠٧- **قال عطاء الخراساني** : القوة في العبادة ، والبصر في الدين [(٢)] .

وفي لفظ : القوة في العبادة ، والبصر في أمر الله عزَّ وجلّ [(٣)] .

وفي لفظ : أولوا القوة في العبادة ، والبصر والعلم بأمر الله [(٤)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني قوله : ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ بأنَّهم أهل القوَّة في العبادة ، والبصر والعلم بأمر الله عزَّ وجل ، ويعنى بها البصيرة ، وهي النظر الفكري ، والمقصود التبصُّر في مراعاة أحكام الله تعالى وتوخّي مرضاته ، وفي الآية وصْفٌ لهم بالعلم النافع ، والعمل الصالح الكثير [(٥)].

الأقوال في الآية[(٦)] :

القول الأول : أنَّ الأيدي : القوة في العبادة ، والأبصار : البصر في أمر

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ .

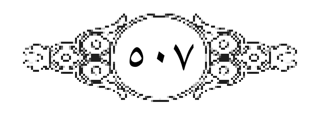
(٢) أخرجه عنه مقاتل في تفسيره (١٢١/٣) بهذا اللفظ ، بسنده قال : حدثنا أبو جعفر ، قال حدثنا داود بن رشيد ، قال حدثنا الوليد ، عن ابن جابر ، أنه سمع عطاء الخراساني يقول : وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :
أبو جعفر : **لم أعرفه تحديداً** ولعلَّه : محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادي ، أبو جعفر بن أبي داود بن المنادي ، صدوق من صغار العاشرة ، يروى عن داود بن رشيد ، وأبو أسامة والمكى بن إبراهيم ، وروى عنه أهل العراق ، مات سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وله مائة سنة وسنة . انظر : الثقات (١٣٢/٩) ، تهذيب الكمال (٣٩٠/٨) ، تقريب التهذيب (٤٩٥) .
داود بن رُشَيْد : الهاشمي ، أبو الفضل الخوارزمي ، مولى بني هاشم ، نزيل بغداد ، ثقة من العاشرة ، روى عن الوليد بن مسلم ، وإسماعيل بن جعفر ، وهشيم ، وروى عنه : مسلم وأبو داود وابن ماجة والبغوي والسراج ، توفي سنة ٢٣٩هـ ، وكان قد كفَّ بصره . انظر : الكاشف (٣٧٩/١) ، تقريب التهذيب (١٩٨) .
الوليد بن مسلم : سبقت دراسته .
ابن جابر : **عبد الرحمن بن يزيد بن جابر** ، وسبقت دراسته .
والأثر بهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني .

(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٨) ص١١٠ بهذا اللفظ ، وقد سبقت دراسة هذا لإسناد والحكم عليه بالضعف ص(١٧١) .

(٤) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٧٠/١٩) بهذا اللفظ .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٧١٥) ، والتحرير والتنوير (٢٦٧/٢٣) .

(٦) انظر : النكت والعيون (١٠٥/٥) .



الله عزّ وجل ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [(١)].

القول الثاني : أن الأيدي : القوة على العبادة ، والأبصار : الفقه في الدين، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)]، ومجاهد [(٣)]، وقتادة [(٤)].

القول الثالث : أنَّ الأيدي : القوة في أمر الله ، والأبصار : العلم بكتاب الله ، قاله قتادة [(٥)]، ومنصور بن زاذان [(٦)] [(٧)].

القول الرابع : أن الأيدي : القوة في أمر الله ، والأبصار : العقول ، قاله مجاهد [(٨)]، والسدي [(٩)].

القول الخامس : الأيدي : القوة في أبدانهم ، والأبصار : القوة في أديانهم ، قاله عطية [(١٠)].

القول السادس : أن الأيدي : العمل ، والأبصار : العلم ، قاله ابن بحر [(١١)]، وبنحوه قال سعيد بن جبير [(١٢)] .

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٤٦/١٠) برقم : (١٨٣٦٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٧/٧) عزوه لابن جرير – ولم أجده عنده بهذا اللفظ – ، وابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٤/٢٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٤٦/١٠) برقم : (١٨٣٦٤) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٥/٢٠) بلفظ : القوة في طاعة الله ، والبصر في الحق .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٢٥/٣) بلفظ : أولي القوة في العبادة ، وأخرجه الطبري في تفسيره (١١٥/٢٠) بلفظ : أعطوا قوة في العبادة ، وبصراً في الدين ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٥) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (١٠٥/٥) .

(٦) **منصور بن زاذان** = الواسطي ، أبو المغيرة الثقفي ، مولاهم ، ثقة ثبت عابد ، روى عن : أنس ، وأبي العالية ، والحسن ، وروى عنه : شعبة ، وهشيم ، ثقة كبير الشأن ، كان رجلاً صالحاً متعبداً ثقة ثبتاً ، وكان سريع القراءة جداً ، قيل عنه : لو قيل له أن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل ، كان يختم القرآن بين الأولى والعصر ، وكان من المتقشفين المتجردين ، مات سنة تسع وعشرين ومائة على الصحيح . انظر : الكاشف (٢٩٦/٢) ، تهذيب التهذيب (٢٧٢/١٠) ، تقريب التهذيب (٥٤٦) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٥/٢٠) بلفظ : أولي الأيدي : القوة .

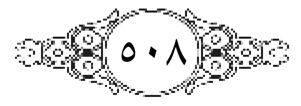
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٥/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٥/٢٠) .

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (١٠٥/٥) .

(١١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (١٠٥/٥) .

(١٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) لعبد بن حميد ، ولفظه : اليد فهو القوة في العمل ، وأما الأبصار فالبصر ما هم فيه من أمر دينهم .



الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والاختلاف في معنى الآية لفظي ، والمقصود – والله أعلم – بالأيد : القوة في العبادة ، والأبصار : البصيرة النافذة في أمر الله ودينه وشرعه ، وهو ما عليه جمهور المفسِّرين [(١)]، والأقوال السابقة كلُّها تدور حول هذا المعنى .

قال الطبري رحمه الله : (فإن قال لنا قائل : وما الأيدي من القوّة ، والأيدي إنما هي جمع يد ، واليد جارحة ، وما العقول من الأبصار ، وإنما الأبصار جمع بصر ؟ قيل: إن ذلك مَثَل ، وذلك أن باليد البطش ، وبالبطش تُعرف قوّة القويّ ، فلذلك قيل للقويّ : ذو يَد ؛ وأما البصر ، فإنه عنى به بصر القلب ، وبه تنال معرفة الأشياء ، فلذلك قيل للرَّجل العالم بالشيء : بصير به) [(٢)].

وقال الزمخشري رحمه الله : (يريد : أولي الأعمال والفكر ، كأنَّ الذين لا يعملون أعمال الآخرة ، ولا يجاهدون في الله ، ولا يفكِّرون أفكار ذوي الديانات ، ولا يستبصرون ؛ في حكم الزِّمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم ، والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم . وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمَّال الله ، ولا من المستبصرين في دين الله ، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكِّنين منهما) [(٣)].

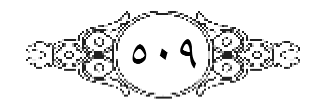
وقال الرازي رحمه الله : (النفس الناطقة الإنسانية لها قوَّتان : عاملة وعالمة ، أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله ، وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله ، وما سوى هذين القسمين من الأعمال والمعارف

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٢/٣٥٦) ، جامع البيان (٢٠/١١٤) ، معاني القرآن للزجاج (٤/٢٥٢) ، معاني القرآن للنحاس (٢/١٠٦٢) ، بحر العلوم (٣/١٧٠) ، الكشف والبيان (٨/٢١٢) ، حكاه في الوسيط (٣/٥٦٢)، معالم التنزيل (٤/٧٤) ، الكشاف (٩٢٨) ، المحرر الوجيز (١٦٠٢) ، زاد المسير (١٢١٧) ، التفسير الكبير (٢٦/٢٠٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٦٦٠) ، أنوار التنزيل (٥/٣١) ، مدارك التنزيل (٢/٤٤٠) ، التسهيل (٣/٣٤٤) ، البحر المحيط (٧/٥٣٤) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٣) ، إرشاد العقل السليم (٥/٣٦٦)، روح المعاني (٢٣/٣٠٨) ، فتح القدير (٤/٥٤٥) ، تفسير المراغي (٨/١٧٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٧١٤-٧١٥) ، التحرير والتنوير (٢٣/٢٦٧) .

(٢) جامع البيان (٢٠/١١٦) .

(٣) الكشاف (٩٢٨) .

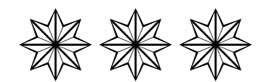


فكالعبث والباطل ، فقوله : ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ إشارة إلى هاتين الحالتين) [1].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [2].

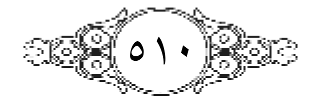
وقول عطاء الخراساني داخل في هذا المعنى الذي عليه جمهور المفسِّرين.

والحمد لله ..



(١) التفسير الكبير (٢٦/٢٠٠) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾[ص : ٤٦].

١٠٨- **قال عطاء الخراساني** : أخلصانهم بذكر الآخرة [(١)] .

وفي لفظ : أخلصوا بذلك ، وتفكَّروا بدار يوم القيامة [(٢)] .

وفي لفظ : نزع الله من قلوبهم حبُّ الدنيا وذِكرها ؛ وأخلصهم بحبِّ الآخرة وذكرها [(٣)] .

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد (٧٧-٧٨) قال : حدثني عون بن إبراهيم ، قال : حدثني أحمد بن أبي الحواري ، عن عمر بن عبد الواحد ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ...وذكر الأثر .. **ودراسة الإسناد** :

عون بن إبراهيم هو : عون بن إبراهيم بن الصلت الشامي ، سمع بدمشق وغيرها : هشام بن عمار ، وأحمد بن أبي الحواري ، وعمرو بن كثير بن دينار الحمصي ، وأبا نعيم عبيد بن هشام الحلبي ، ومحمد بن مصفى الحمصي . روى عنه : أبو بكر بن أبي الدنيا . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٤٧/٥٥) .

أحمد بن أبي الحواري هو : أحمد بن عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التَّغْلبي ، يكنى أبا الحسن بن أبي الحَوَارِي ، ثقة زاهد ، من العاشرة ، توفي سنة ٢٤٦ هـ . انظر : تقريب التهذيب (٨١) .

عمر بن عبد الواحد : السلمي ، أبو حفص الدمشقي ، وسبقت ترجمته .

عثمان بن عطاء : هو ابن عطاء الخراساني ، ضعيف جداً كما سبقت ترجمته .

وبناءً على ما سبق فالأثر بهذا الإسناد ضعيف عن عطاء الخراساني .

وأخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١/١٧٣) بسنده قال : حدثنا أحمد بن علي ، نا أحمد بن أبي الحواري ، عن عمر بن عبد الواحد ، عن عثمان بن عطاء عن أبيه ... ، وقال : إسناده ضعيف .

دراسة الإسناد :

أحمد بن علي هو : الخزاز ، الشيخ الإمام المقرئ المحدث ، أبو جعفر أحمد بن علي البغدادي الخزاز . سمع هوذة بن خليفة ، وسريج بن النعمان ، وعاصم بن علي ، وسعدوية وأحمد بن يونس ، وطبقتهم . وتلا على هبيرة التمار صاحب حفص أخذ عنه الحروف ، وابن مجاهد ، وابن شنبوذ ، وأحمد بن عجلان ، وحدث عنه ابن صاعد ، وجعفر الخلدي ، وأبو عمرو بن السماك ، وأبو بكر الشافعي، وآخرون . وثقة الدارقطني وغيره ، توفي في المحرم سنة ست وثمانين ومئتين ، وكان بدمشق سنة نيف وستين ومئتين من المشايخ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/٤١٨) .

وأحمد بن أبي الحواري هو : تقدمت ترجمته .

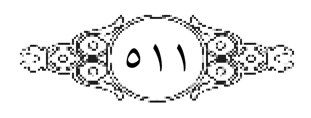
وعمر بن عبد الواحد هو : عمر بن عبد الواحد السلمي ، أبو حفص الدمشقي ، وسبقت ترجمته .

وعثمان بن عطاء هو ابن عطاء الخراساني ، ضعيف جداً كما سبقت ترجمته .

وبناءً على وجود عثمان بن عطاء الخراساني فالأثر ضعيف عن أبيه .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٩) ص١١٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وفي الأصل : وتكفروا ، وربما كانت من تكفير الذنوب ، ولعل الصواب ما أثبته هنا لمناسبته مع الألفاظ الأخرى .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤) بهذا اللفظ .



الدراسة :

* في هذه الآية يخبر الله تعالى عن جماعة من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ؛ أنَّه جعلهم خالصين لطاعته ، عاملين بأوامره ، مجتنبين لنواهيه ، لاتصافهم بخصلة جليلة الشأن ، لا يساويها غيرها من الخصال ، وهي تذكرهم الدار الآخرة ، فهي مطمح أنظارهم ، ومطَّرح أفكارهم في كل ما يأتون ويذرون ليفوزا بلقاء ربهم ، وينالوا رضوانه في جنات النعيم [(١)].

❖ **القراءات في الآية** [(٢)] :

- قرأ أبو جعفر ونافع : ﴿ بخالصةِ ذِكْرَى الدَّار ﴾ غير منونة .

- وقرأ الباقون : ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ منونة .

الأقوال في الآية[(٣)]:

__القول الأول__ : أخلصوا بذلك ، وبذكرهم دار يوم القيامة ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)].

وفي لفظ لعطاء : نزع الله ما في قلوبهم من الدنيا وذكرها ، وأخلصهم بحبِّ الآخرة وذكرها ، وهذا موافق لقول مالك بن دينار [(٥)]، وبنحوه قال جماعة من المفسِّرين [(٦)].

__القول الثاني__ : أخلصهم الله ، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى طاعة الله ، وهذا قول قتادة [(٧)]، والضحاك [(٨)]، ومعنى هذا القول : أنهم يزهِّدون في

---

(١) انظر : تفسير المراغي (١٧٦/٨) .

(٢) انظر : المبسوط (٣١٩) ، البدور الزاهرة (٢٤٦/٢) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٠٥/٥) ، الوسيط (٥٦٢/٣) ، معالم التنزيل (٧٤/٤) ، المحرر الوجيز (١٦٠٢-١٦٠٣) ، زاد المسير (١٢١٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦٠/٢) ، مدارك التنزيل (٤٤٠/٢) ، التسهيل (٣٤٥/٣) ، البحر المحيط (٥٣٥/٧) ، تفسير ابن كثير (٤٤/٤) ، فتح القدير (٥٤٦/٤) .

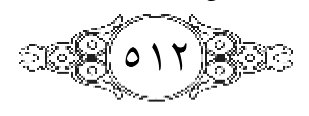
(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٤٦/١٠) برقم : (١٨٣٦٦) .

(٥) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (١٧٠/٣) ، والماوردي في النكت والعيون (١٠٥/٥) ، وابن كثير في تفسيره (٤٤/٤) .

(٦) انظر : الكشاف (٩٢٨) ، أنوار التنزيل (٣١/٥) ، التسهيل (٣٤٥/٣) ، إرشاد العقل السليم (٣٦٦/٥) ، روح المعاني (٣٠٩/٢٣) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٢٥/٣) ، والطبري في تفسيره (١١٧/٢٠) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) لابن المنذر .



الدنيا ويرغِّبون في الآخرة ، وكذا الأنبياء صلى الله عليهم وسلم [١].

القول الثالث : أخلصهم بعملهم للآخرة ، وذكرهم لها ، وهذا قول مجاهد [٢]، والسدي[٣]، وبنحوه قال جماعة من المفسرين [٤].

القول الرابع : اصطفيناهم لأفضل ما في الآخرة وأعطيناهم إياه ، وهذا قول ابن زيد، وقال : الدار الجنة [٥].

القول الخامس : أخلصناهم بالنبوة ، وذكرى الدار الآخرة ، قاله مقاتل[٦].

القول السادس : بخالصة عقبى الدار ، وهو قول سعيد بن جبير[٧].

القول السابع : بخالصة أهل الدار ؛ وذو الدار ، قاله مجاهد [٨].

القول الثامن : أخلصناهم بفضل أهل الجنة ، قاله الحسن [٩].

الجمع أو الترجيح :

الاختلاف هنا اختلاف تنوع لا تضاد ، ولا مانع من الحمل على الأقوال جميعاً ، على كلا القراءتين .

قال الطبري ﷺ : (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال : معناه : إنا أخلصناهُمْ بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة ، فعملوا لها في الدنيا ، فأطاعوا الله وراقبوه ؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضاً الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة ، لأنَّ ذلك من طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٥٣/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٦٢/٢) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٨/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) عزوه لابن المنذر بلفظ : بذكر الدار الآخرة ، وليس لهم همّ ولا ذكر غيرها .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٨/٢٠) .

(٤) انظر : بحر العلوم (١٧٠/٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦٠/٢).

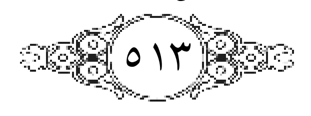
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٨/٢٠) .

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (١٢١/٣) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٩/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١١٩/٢٠) .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٨/٧) لعبد بن حميد .



وأما على قراءة من قرأه بالإضافة ، فأن يقال : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة ؛ فلمَّا لم تُذْكر " في" أضيفت الذكرى إلى الدار)[1].

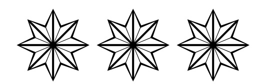
وقال الرازي ﷺ : (في ذكرى الدار وجوه : الأولى : المراد أنهم استغرقوا في ذكرى الدار الآخرة وبلغوا في هذا الذكر إلى حيث نسوا الدنيا ، الثاني : المراد حصول الذكر الجليل الرفيع لهم في الدار الآخرة ، الثالث : المراد أنه تعالى أبقى لهم الذكر الجميل في الدنيا وقبل دعاءهم في قوله : ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء : ٨٤])[2].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ اتّحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه[3].

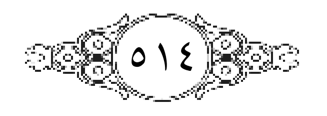
وقول عطاء الخراساني في هذه الآية قول صحيح داخل في المعنى .

قال السعدي ﷺ : (جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم ، والعمل لها صفوة وقتهم ، والإخلاص والمراقبة للّه وصفهم الدائم ، وجعلناهم ذكرى الدار ؛ يتذكر بأحوالهم المتذكر ، ويعتبر بهم المعتبر ، ويُذكرون بأحسن الذِّكر)[4].

والله أعلم ،،



(١) جامع البيان (١١٩/٢٠) .
(٢) التفسير الكبير (٢٠١/٢٦) .
(٣) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (١٠٠/١) .
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧١٥) .



سورة الزمر

الموضع الأول :

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر : ٦] (١).

١٠٩- **قال عطاء الخراساني** : البَطْن ، والرَّحم ، والمشيمة (٢) (٣).

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الظلمات الثلاث التي يتعرَّض لها الإنسان في مرحلة خلقه في بطن الأم بأنها : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة.

الأقوال في الآية(٤) :

القول الأول : أنَّ الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول : ابن عباس رضي الله عنهما (٥)، ومجاهد(٦)، وعكرمة (٧)، وقتادة (٨)، والسدي ، وابن زيد ، والضحاك(٩)،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾.

(٢) **المشيمة** : هي التي يكون فيها الولد في الرحم ، فتخرج إذا خرج من بطن أمه ، وهي غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطاً به ليقيه ، وليكون به استقلاله مما ينجر إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصة به دون أمه . انظر : بحر العلوم (١٧٨/٣) ، لسان العرب (١٨٠/٨) ، التحرير والتنوير (٣٣٤/٢٣) .

(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢١٩) ص٩٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٤) انظر : النكت والعيون (١١٥/٥) .

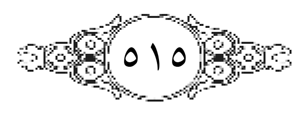
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦٦/٢٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٤٨/١٠) برقم : (١٨٣٧٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٢/٧) عزوه لسعيد بن منصور .

(٦) تفسير مجاهد (٢٣٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦٦/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٢/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦٥/٢٠) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٢٩/٣) ، والطبري (١٦٦/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٢/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٦٦/٢٠) .



وأبو مالك [١]، وعليه جمهور المفسِّرين [٢].

القول الثاني : ظلمة صلب الرجل ، وظلمة بطن المرأة ، وظلمة الرحم ، حكاه ابن عيسى [٣]، وذكره النحاس [٤]، وجماعة من المفسرين [٥].

القول الثالث : ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة الليل . قاله سعيد بن جبير [٦].

القول الرابع : ظلمة عتمة الليل ، التي تحيط بظلمة المشيمة ، وظلمة الأحشاء ، وظلمة البطن . احتمله الماوردي [٧].

الجمع أو الترجيح :

الراجح هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني وجمهور المفسِّرين ، أنَّ الظلمات الثلاث : ظلمة البطن ، والرحم ، والمشيمة ، وهذا ما أثبته وأقرَّه العلم الحديث .

قال البروفيسور كيث مور [٨]عن تقسيمات القرآن في هذه الآية : (هي

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٢/٧) لعبد بن حميد .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٦٠/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١٠٧٣/٢) ، بحر العلوم (١٧٨/٣) ، الكشف والبيان (٢٢٢/٨) ، الوسيط (٥٧١/٣) ، المفردات في غريب القرآن (٣١٨) ، معالم التنزيل (٨٠/٤) ، الكشاف (٩٣٤) ، المحرر الوجيز (١٦١٠) ، زاد المسير (١٢٢٤) ، التفسير الكبير (٢٢٦/٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦٨/٢) ، أنوار التنزيل (٣٧/٥) ، مدارك التنزيل (٤٤٧/٢) ، التسهيل (٣٥٣/٣) ، البحر المحيط (٥٥٤/٧) ، تفسير ابن كثير (٥٠/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٨٠/٥)، روح المعاني (٣٥٥/٢٣) ، فتح القدير (٥٦٣/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٧١٩) ، التحرير والتنوير (٣٣٤/٢٣) .

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (١١٥/٥) .

(٤) معاني القرآن للنحاس (١٠٧٣/٢) .

(٥) انظر : الكشاف (٩٣٤) ، المحرر الوجيز (١٦١٠) ، زاد المسير (١٢٢٤) ، التفسير الكبير (٢٢٦/٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦٨/٢) ، أنوار التنزيل (٣٧/٥) ، مدارك التنزيل (٤٤٧/٢) ، التسهيل (٣٥٣/٣) ، البحر المحيط (٥٥٤/٧) ، إرشاد العقل السليم (٣٨٠/٥) ، روح المعاني (٣٥٥/٢٣) ، فتح القدير (٥٦٣/٤) .

(٦) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦٨/٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٥٦٣/٤).

(٧) النكت والعيون (١١٥/٥) .

(٨) الأستاذ كيث مور ، أستاذ علم التشريح والأجنة في جامعة تورنتو بكندا كان قد مر خلال حياته العلمية عبر جامعات عديدة منها جامعة توينابك في الغرب الكندي حيث كان هناك لمدة ١١ سنة ، ورأس العديد من الجمعيات الدولية ؛ مثل جمعية علماء التشريح والأجنة في كندا وأمريكا ، ومجلس اتحاد العلوم الحيوية .

تقسيمات علمية دقيقة ، وتقسيمات سهلة ومفهومة ونافعة) ، ووقف في أحد المؤتمرات يعلن هذا فقال : (يحمي الجنين في رحم الأم ثلاثة أحجبه أو طبقات هي : أ- الجدار البطني ، ب- الجدار الرحمي ، ج- الغشاء ؛ لأنَّ مراحل تطوُّر الجنين البشري معقَّدة ، وذلك بسبب التغيرات المستمرة التي تطرأ عليه ، فإنه يصبح بالإمكان تبنِّي نظام جديد في التصنيف باستخدام الاصطلاحات والمفاهيم التي ورد ذكرها في القرآن والسنة ، ويتميَّز النظام الجديد بالبساطة والشمولية إضافة إلى انسجام مع علم الأجنة الحالي .

لقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن والحديث خلال السنوات الأربعة الأخيرة جهاز تصنيف الأجنة البشرية الذي يعتبر مدهشاً حيث إنه سجل في القرن السابع بعد الميلاد فيما يتعلق بما هو معلوم من تاريخ علم الأجنة لم يكن يعرف شيء عن تطور وتصنيف الأجنة البشرية حتى حلول القرن العشرين ، ولهذا السبب فإنَّ أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع ، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أنَّ هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد ﷺ من الله ، إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أمياً ، ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً)[(١)].

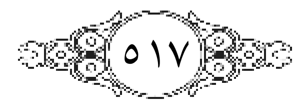
وهذا من الشواهد العلمية الحديثة على الإعجاز العلمي في كتاب الله الكريم ، وإثبات العلم للحقائق العلمية القرآنية[(٢)].

قال الطاهر ابن عاشور ﷺ : (وفي ذكر هذه الظلمات تنبيه على إحاطة

كما انتخب عضواً في الجمعية الطبية الملكية بكندا ، والأكاديمية الدولية لعلوم الخلايا ، والاتحاد الأمريكي لأطباء التشريح ، وعضواً في اتحاد الأمريكتين في التشريح أيضاً وقد عمل أيضاً في جامعة الملك عبد العزيز في جدة ، وقد ألف العديد من الكتب في مجال التشريح الأكلينكي وعلم الأجنة ، وهو مؤلف كتاب : أطوار خلق الإنسان ، الذي ترجم لثمان لغات . وقد أعلن بعدما اكتشف أنَّ خلق الإنسان بدقة موجود في القرآن ، فأعلن في مؤتمر كبير أنَّ هذا من عند الله ، وأنَّ محمداً رسول الله . انظر : موسوعة ويكيبيديا الحرة .

(١) انظر : حوار فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني مع البروفيسور "كيث ل. مور" عن أطوار خلق الإنسان (ب) وللاستزادة انظر : الموقع الرسمي للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة على شبكة الانترنت .

(٢) انظر : الصورة رقم : (١٢-١٣) ص(١٠٠٢) من ملحق الصور ، ويظهر فيها صورة دقيقة للظلمات الثلاث التي تحيط بالجنين في بطن أمه . فسبحان الله .



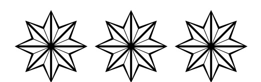
علم الله تعالى بالأشياء ونفوذ قدرته إليها في أشدَّ ما تكون فيه من الخفاء) [١].

وأيضاً : فإنَّ القول المختار هو الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم .

والقاعدة التفسيرية : أنه عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [٢].

والقاعدة التفسيرية الأخرى : أنَّ تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي، حجَّة على من بعدهم [٣].

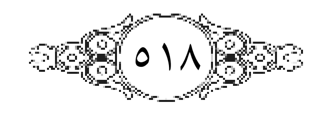
والله أعلم ..



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٧١) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/٣٣٤) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾ [الزمر : ٧٢] [(١)].

١١٠- **قال عطاء الخراساني** : إنَّ لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحراً وأنتنها ريحاً للزناة ؛ الذين ركبوا بعد العلم [(٢)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٩٨/٥) ، بسنده قال : حدثنا محمد بن أحمد في كتابه ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا عيسى بن إبراهيم ، حدثنا عفيف بن سالم ، حدثنا شعبة ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

محمد بن أحمد : ابن إبراهيم بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله ، أبو أحمد العسال الأصبهاني ، سمع محمد بن أيوب الرازي ، وإبراهيم بن زهير الحلواني ، والحسن بن علي السري ، وبكر بن سهل الدمياطي ، ونحوهم ، وقدم بغداد وحدَّث بها ، حدَّث عنه أبو نعيم الأصبهاني الحافظ حديثاً كثيراً ، وقال: ولي أبو أحمد العسال القضاء ، وكان من كبار الناس في الحفظ والإتقان والمعرفة ، وكان ديِّناً ثقة صالحاً ، توفي في شهر رمضان من سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . انظر : تاريخ بغداد (٢٧٠/١) .

محمد بن أيوب بن الضريس : الحافظ المسند ، أبو عبد الله ، محمد بن أيوب بن يحيى الضريس البجلي الرازي ، مصنف كتاب فضائل القرآن ، ولد على رأس المائتين ، وسمع القعنبي ، ومسلم بن إبراهيم ، وأبا الوليد الطيالسي ، ومحمد بن كثير العبدي ، وطبقتهم ، وروى عنه : احمد بن إسحاق بن نيخاب ، وإسماعيل بن نجيد ، وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي ، وآخرون ، قال بعض العلماء : سمعت محمد بن أيوب يقول : آخر قدمة قدمتها بالبصرة أديت أجرة الوراقين عشرة آلاف درهم ، وثقه عبد الرحمن بن أبي حاتم والخليلي ، وقال : هو محدث بن محدث وجده يحيى من أصحاب الثوري ، مات بالري في يوم عاشوراء سنة أربع وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى . انظر : تذكرة الحفاظ (٦٤٣/٢) .

عيسى بن إبراهيم : ابن سيار ، ويقال : ابن دينار الشعيري ، أبو إسحاق ، ويقال أبو عمر ، ويقال : أبو يحيى البصري ، المعروف بالبركي ، كان ينزل سكة البرك ، روى عن حماد بن سلمة ، وعبد القاهر بن السري ، وعبد الواحد بن زياد ، وعبد الوارث بن سعيد ، وعبد ربه بن بارق ، وعبد العزيز بن مسلم ، وعثمان بن مطر ، والمعافى بن عمران الموصلي ، وغيرهم ، وروى عنه أبو داود ، والبخاري في غير الجامع ، وعباس الدوري ، وأبو حاتم وأبو زرعة ، ومحمد بن أيوب بن الضريس ، وغيرهم ، وهو صدوق، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين . انظر : تهذيب التهذيب (١٨٣/٨) .

عفيف بن سالم : الموصلي ، أبو عمرو ، مولى بجيلة ، وكان متفقهاً رحالاً في طلب العلم ، روى عن إبراهيم بن أبي حنيفة اليمامي ، وإبراهيم بن الفضل المخزومي المدني ، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي الكوفي ، وشعبة بن الحجاج وغيرهم . روى عنه : عيسى بن إبراهيم البركي ، والنفيلي ، وداود بن رشيد ، وسفيان الثوري ، ومحمد بن عثمان الموصلي ، صدوق من خيار الناس ، مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومئة . انظر : تهذيب الكمال (١٧٩/٢٠) .

شعبة : ابن الحجاج بن الورد العتكي ، مولاهم ، أبو بسطام الواسطي ثم البصري ، ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول : هو أمير المؤمنين في الحديث ، وهو أوَّل من فتش بالعراق عن الرجال ، وذبَّ عن السنة ،

الدراسة :

* يـذكر عطـاء الخراسـاني أنَّ أشـدَّ أبـواب جهـنَّم غمـاً وكربـاً وحـراً ، وأنتنـها ريحاً باب الزناة ، الذين وقعوا في الزنا بعد علمهم بحرمته .

ولم أقـف علـى هـذا التخـصيص الـذي ذكـره عطـاء لأحـد أبـواب جهـنَّم في الكتاب أو السنة .

وقد ورد في تخـصيص أبـواب جهـنَّم بـبعض المعاصـي مـا روي عـن ابـن عمـر رضي الله عنهما ، أنَّ رسـول الله ﷺ قـال : « لِجَهَـنَّمَ سَـبْعَةُ أَبْـوَابٍ ؛ بَـابٌ مِنْهَـا : لِمَـنْ سَـلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي » ، أَوْ قَالَ : « عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ » [(١)].

وعليه قال كعب رضي الله عنه : (لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية) [(٢)].

وكـذلك مـا روي عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهما قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « لِلنَّـارِ بَابٌ لاَ يَدْخُلُهُ إلاَّ مَنْ شَفَى غَيْظَهُ بِسَخَطِ الله » [(٣)].

وقال الضحَّاك رحمه الله : (سمَّـى الله أبـواب جهـنم لكـل بـاب منـهم جـزء مقـسوم: بـاب لليهـود ، وبـاب للنـصارى ، وبـاب للـصابئين ، وبـاب للمجـوس ، وبـاب للـذين أشـركوا وهـم كفـار العـرب ، وبـاب للمنـافقين ، وبـاب لأهـل التوحيـد ؛

إمام الأئمة في معرفة الحديث بالبصرة ، رأى أنس بن مالك ، وعمرو بن سلمة الصحابيين ، وسمع من أربعمائة من التابعين ، وكان عابداً صالحاً ، مات سنة ستين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (٤/٢٩٧) .

وبهذا الإسناد يكون الأثر صحيحاً عن عطاء الخراساني .

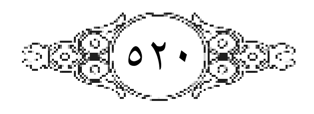
وقد أخرجه بسنده أيضاً عنه ابن الجوزي في ذمّ الهوى (١٩٤) ، وذكره ابن رجب في التخويف من النار (٦٢) .

(١) **ضعيف** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (٣١٢٣) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الحِجر . وقال عنه : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلاَّ من حديث مالك بن الغول . وأخرجه أحمد في مسنده (٥٦٥٦) ، وقال عنه ابن حبان في كتاب المجروحين (١/٢٤٩) : (جنيد بن العلاء استحقَّ مجانبة حديثه على الأحوال كلها) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣١٢٣) ، وفي ضعيف الجامع (٤٦٦١) .

وهذا الحديث زاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٨١) عزوه للبخاري في تاريخه ، وابن مردويه .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٨٣) للصنعاني ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

(٣) **ضعيف** . أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/٢٩٦) ، وضعَّفه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣/١٨٤) ، وأبو زرعة الرازي كما في العلل لابن أبي حاتم (٣/٤٤٥) ، وفيه قدامة بن محمد عن إسماعيل بن شيبة ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٨) : قدامة بن محمد عن إسماعيل بن شيبة ، وهما ضعيفان وقد وثقا ، وبقية رجاله رجال الصحيح . وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٢٤٦) ، وفي ضعيف الجامع (٤٧٥٥).



فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبداً) [(١)].

وقد فصَّل بعض العلماء في أحوال أبواب النَّار وأهلها - أجارنا الله منها – بتفصيلات يطول ذكرها [(٢)].

وعلى كلِّ حال : فعموم الأدلة تدلُّ على أنَّ جهنَّم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر : ٤٤] ، ولم يفصِّل القرآن غير هذا ، ولم يَثْبُت نصٌّ صحيح صريح يدلُّ على تخصيص بعض أبوابها بأصحاب معاصٍ معينة دون أخرى ، وأقصى ما يقال في الأحاديث والآثار السابقة : أنَّ كل باب من الأبواب السبعة لعمل من الأعمال السيئة ، كما أنَّ أبواب الجنة الثمانية كل باب منها لعمل من الأعمال الصالحة [(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله : (قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه -أجارنا الله منها- وكلٌّ يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في دَرَك بقدر فعله) [(٤)].

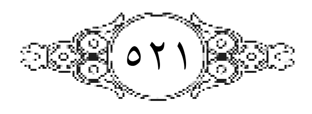
والتفسير العام للآية أن يقال : المعنى : أدخلوا أبواب جهنَّم السبعة ، على قدر منازلكم فيها [(٥)].

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « منهم من تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ من تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ من تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى حُجْزَتِهِ ، وَمِنْهُمْ من تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى تَرْقُوَتِهِ » [(٦)].

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص [(٧)].

والقاعدة الأخرى : علم المبهمات موقوف على النَّقل المحض ، ولا

(١) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٢/٦٠٧) ، وابن رجب في التخويف من النار (٦٢) وعزاه للخلال .
(٢) انظر : فيض القدير (٢/٥٠٤) .
(٣) انظر : كتاب التخويف من النار (٦٢) .
(٤) تفسير ابن كثير (٢/٦٠٧) .
(٥) انظر : جامع البيان (٢٠/٢٦٥) .
(٦) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٨٤٥) في كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر جهنَّم ، وبعد قعرها ، وما تأخذ من المعذَّبين .
(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

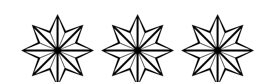


مجال للرأي فيه [1].

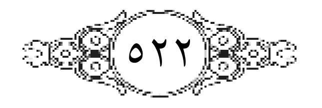
وعليه فقول عطاء الخراساني مرجوح ، لأنه تخصيص لا دليل عليه ، وهو من اجتهاداته ﷺ التي لا دليل عليها من الكتاب أو السنَّة .

نعوذ بالله من النار وعذابها .

والله أعلم ..



(١) قواعد التفسير (٢/٧٢١) .



سورة غافر

الموضع الأول :

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿حمٓ ۝١﴾ [غافر : ١] .

١١١- **قال عطاء الخراساني** : الحاء افتتاح أسمائه : حكيم ، حميد ، حي ، حليم ، حنان ؛ والميم افتتاح أسمائه : مالك ، مجيد ، منان [١] .

الدراسة :

* في هذا الموضع يبيِّن عطاء الخراساني أنَّ الحروف المقطعة في كتاب الله الكريم لها معنى ، وهو الدلالة على أسماء الله الحسنى .

وقد اختلف العلماء في معاني الحروف المقطَّعة أوائل السور على أقوال كثيرة متشعِّبة [٢]، أجملها فيما يلي :

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أنَّ هذه الحروف لها معنى يعلمه الناس ، واختلفوا في تعيين معناها على أقوال :

الأول : أنها تدلُّ على أسماء الله الحسنى التي تبدأ بهذه الحروف ، وهو معنى قول عطاء الخراساني في المسألة ، وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [٤].

الثاني : هي اسم من أسماء الله أقسم الله به ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥]،

---

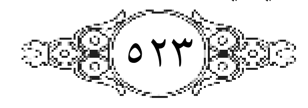
(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٣/٨) ، والبغوي في معالم التنزيل (١٠٤/٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٢٣٩) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٦٩٢/٢) ، وابن عادل في اللباب (٥/١٧) ، والقاري في مرقاة المفاتيح (٤٥٤/٧) .

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (٧٠٤/٨) : (وقد اختلف في هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور على أكثر من ثلاثين قولاً ...) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢٧٤/٢٠-٢٧٥) ، النكت والعيون (١٤١/٥) ، التحرير والتنوير (٢٠٦/١-٢١٨) ، الحروف المقطعة في القرآن الكريم (٥-٦٠) .

(٤) ذكره عنهم الطبري في تفسيره (٢٠٨/١) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٧/١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦/١) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات .



وأبو أمامة [١]، وعكرمة [٢]، والسدي [٣].

الثالث : أنَّها اسم الله الأعظم ، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس [٤]، والشعبي [٥].

الرابع : هي حروف مقطَّعة من اسم الله الذي هو الرحمن ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، وسعيد بن جبير ، وقال : (آلر وحم و ن هو الرحمن) .

الخامس : هي اسْمٌ من أسماء القرآن ، قاله مجاهد ، وابن جريج [٧]، وقتادة [٨].

السادس : أنها أسماء السور ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٩].

السابع : أنّها فواتح افتتح الله بها القرآن ، وهذا مروي عن الحسن [١٠]، ومجاهد [١١].

الثامن : أنها حروف يشتمل كلُّ حرف منها على معانٍ شتى مختلفة ، قاله الربيع بن أنس [١٢].

القول الثاني : أنَّ هذه الحروف ليس لها معنى في ذاتها ، وإنما هي من

---

(١) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٢٧٠) لابن مردويه .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٧) ، وابن أبي حاتم (١/٣٣) برقم : (٥٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٢٧٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) عزوه لأبي الشيخ ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) عزوه لابن جريج ، وابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٢٧٤) .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١/٢٠٤) .

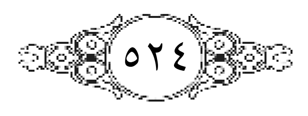
(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/١٣٩) ، والطبري في تفسيره (٢٠/٢٧٥) ، وابن أبي حاتم (١/٣٣) برقم : (٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٦) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ بن حبان .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٩) .



باب البيان والإعجاز ، وبهذا قال مجاهد بن جبر[1]؛ لأنَّ كلام العرب الذي نزل به القرآن لا يعرف فيه معان لهذه الحروف . لكن انتفاء المعنى لا ينفي الحكمة؛ فإنَّ حكمة ذكر هذه الحروف المقطعة في أوائل السور هي بيان إعجاز القرآن الكريم ، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يعرفها العرب ويتخاطبون بها ، ويشهد لذلك ذكر القرآن غالباً بعدها ، وبيان حجته وإعجازه .

القول الثالث : أنَّ هذه الحروف لها معنى لا يعلمه إلا الله ، وبهذا قال جماعة من الصحابة منهم الخلفاء الراشدون ، وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم ، ورجَّحه جماعة من المحققين [2].

القول الرابع : التوقُّف في معاني هذه الحروف ؛ فلا يقال لها معنى ولا ليس لها معنى .

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح - والله أعلم - في هذه المسألة هو القول الثاني الذي عليه جماعة من المحققين من أهل العلم ؛ أنه ليس لها معنى في ذاتها ، وإنما الحكمة منها بيان إعجاز القرآن الكريم ، وأنَّ البشر عاجزون على الإتيان بمثله.

وقد لخَّص ذلك شيخنا العلاَّمةُ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله حين قال في جواب له عنها : (هذه الحروف ليس لها معنى ، ولها مغزى) .

فيقال : إنَّ في هذه الحروف التي ذكرها الله تعالى في أوائل السور إيماء إلى إعجاز القرآن ، فكأنه يقول : إنَّ القُرْآن يتركَّب من هذه الحروف ، وأنتم لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله أبداً ، فليس لكم إلاَّ أن تؤمنوا به .

ومما يرجِّح هذا القول أمور منها :

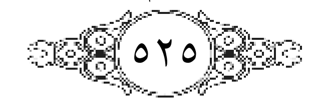
- أنَّ السور المبدوءة بالأحرف المقطَّعة مكية إلا سورة البقرة وآل عمران، والإشارة في ذكرها إلى الإعجاز مناسب لأهل مكة .

- أنَّه على هذا القول يكون للحروف الهجائية معنى مراد منها ، وهذا

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٠٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٥٧) لابن المنذر ، ولفظه : حروف هجاء موضوع .

(٢) انظر : الموافقات للشاطبي (٣/٣٩٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٤٠) ، التفسير الصحيح (١/٩٤) .



أحق وأولى من جعلها سراً لا يفهم المراد منها ، وقد عُدَّت بعض الحروف المقطَّعة في أوَّل كل سورة آية مستقلَّة من آياتها ، فالأقرب إلى الصواب أن يكون لهذه الآية معنى مراد منها ، وغرض يُقصَد بها .

- أنَّه على هذا الرأي تكون هذه الحروف إشارة إلى أنه لا يوجد عذر مادي للعرب في عجزهم عن معارضة القرآن ، فهو مكوَّن من الحروف التي يكوِّنون منها كلامهم ! .

- ويرجح هذا القول أيضاً : أنَّ هذه السور التي وردت فيها هذه الحروف المقطعة عددها تسع وعشرون سورة ، وهي تشتمل بعد فواتحها عَلَى ما يدل عَلَى أنَّ القُرْآن من عند الله ، وينفي أقوال الْمُشْرِكِينَ بأنه مفترى ، وتشتمل أيضاً على الانتصار للقرآن ، وبيان إعجازه وعظمته ، وتأتي فيها الإشارة إِلَى هذا القرآن عقب ذكر هذه الحروف المقطعة غالباً . ومن أمثلة ذلك :

في سورة البقرة قال تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١﴾ ثم أتبع ذلك بقوله : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢] .

وفي آل عمران قال : ﴿الٓمٓ ۝١﴾ ثم قال : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران : ٢-٣] .

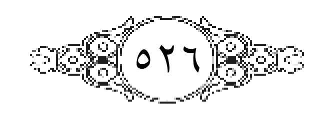
وفي الأعراف قال : ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ثم قال: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف : ١-٢] .

وفي سورة يس قال : ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس : ١-٢] .

وفي غافر قال : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر : ١-٢].

وهكذا في بقية السور .

وإذا تأمَّلنا نجد أنَّ هذا هو المعنى الظَّاهر ، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأتي بما يدلُّ في السورة - وغالبها يأتي عقِب هذه الحروف المقطعة - أنَّ هذا القُرْآن من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وهذه الحروف هي من كلام البشر العربي عموماً ، فكلام أبلغ البلغاء وأقلهم بلاغة يتركب في هذه الحروف ، وهذا القُرْآن أنزله الله تَعَالَى مركَّباً من هذه الحروف التي تقولونها ، ومع ذلك فلن



تستطيعوا أن تأتوا بمثله ، ولو اجتمع الجن والإنس عَلَى ذلك ، ولو كَانَ بعضهم لبعض ظهيراً ، أو استعانوا أيضاً بمن شاءوا ممن عداهم لا يمكن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بل ولا بعشر سور ، بل ولا بسورة من مثله ، وهذا دليل عَلَى أنَّ هذه الحروف لها حكمة واضحة ، وهذا يعين عَلَى فهم معناها[1].

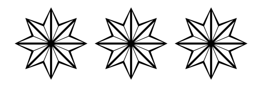
وقد ذكر هذا ونبَّه إليه جماعةٌ من أهل العلم كالمبرد ، والفراء [2]، وقرره الزمخشري في الكشَّاف ونَصرَه أتمَّ النصر [3]، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية[4]، وأبو الحجَّاج المزي [5]، وغيرهم ، وقد قرَّره تقريراً جيداً الشيخ الشنقيطي في تفسير سورة هود [6]، وشيخنا محمد بن عثيمين [7] رحمهم الله .

قال الرازي رحمه الله : (واختار هذا الرأي جمع عظيم من المحققين) [8].

وهذا الترجيح يتناسب مع القاعدة التفسيرية : أنَّ الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل [9].

وتفسير عطاء الخراساني تفسير مرجوح في المعنى ، لا دليل عليه .

والله أعلم ، ،



(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٨٠-٨٢) ، أنوار التنزيل (١/٣٣-٣٥) ، تفسير ابن كثير (١/٣٨-٤١) ، تفسير المنار (١/١١٢) ، التحرير والتنوير (١/٢١٦) .

(٢) معاني القرآن (١/١٧-١٨) .

(٣) الكشاف (٣٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/٨) .

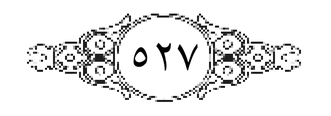
(٥) ذكره عنه تلميذه ابن كثير في تفسيره (١/٤٠) .

(٦) أضواء البيان (٣/٣-٥) .

(٧) تفسير القرآن الكريم (١/٢٢) .

(٨) التفسير الكبير (٢/٧) .

(٩) قواعد التفسير (٢/٨٤٣) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر : ١١] [(١)].

١١٢- **قال عطاء الخراساني** : كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه مَيْتَةٌ ، ثم أحياكم فخلقكم هذه حياة ، ثم يميتكم ترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى ، فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة : ٢٨] [(٢)].

الدراسة :

* أراد عطاء الخراساني ﵀ بقوله هذا أن تأويل قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١١] ، هو نفس تأويل قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة : ٢٨] ، وحاصل التأويلين ما ذكر أعلاه فإنه غني عن الشرح وإيضاح معناه ، وتفسير عطاء الخراساني هنا من باب تفسير القرآن بالقرآن [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

<u>**القول الأول**</u> : قول المسألة ، الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن مسعود [(٥)]، وابن عباس [(٦)]، وناس من الصحابة ﵃ [(٧)]، وقال به أبو العالية، وأبو صالح [(٨)]، وأبو مالك [(٩)]، ومجاهد ، ومرَّة [(١٠)]، والضحاك[(١١)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٧٣) بعد الأثر رقم : (٣٠٠) ، وابن كثير في تفسيره (١/٧٢) .

(٣) انظر : قواعد التفسير (١/١٠٨) .

(٤) انظر : جامع البيان (١/٤٤٣-٤٤٩) ، النكت والعيون (١/٩١) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٤٤٣) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٦٤) برقم : (١٨٤٢٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٤٤٥) ، وابن أبي حاتم (١/٧٣) برقم : (٣٠١) .

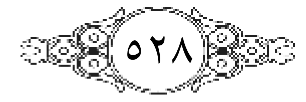
(٧) ذكره عنهم الطبري في تفسيره (١/٤٤٣) .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١/٤٤٣-٤٤٥) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٤٤٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٢٧٨) لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١/٤٤٣-٤٤٤) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٢٩٠) ، وابن أبي حاتم (١/٧٣) بعد الأثر رقم : (٣٠٠) .



القـول الثـاني : أميتـوا في الـدنيا ، ثم أحيـوا في قبـورهم ، فـسئلوا أو خوطبـوا، ثم أميتـوا في قبـورهم ، ثم أحيـوا في الآخـرة ، وهـذا قـول الـسدي [١]، وبنحوه قول أبي صالح [٢].

القـول الثالـث : خلقهـم في ظهـر آدم ثم أخـذ علـيهم الميثـاق ثم أمـاتهم ثم خلقهم في الأرض ثم أمـاتهم ثم أحيـاهم يـوم القيامـة ، قالـه عبـد الـرحمن بـن زيـد بن أسلم [٣].

قال ابن كثير ﷺ : (وهذا غريـب والـذي قبلـه ، والـصحيح مـا تقـدم عـن ابـن مسعود وابن عباس وأولئك الجماعة من التابعين) [٤].

القـول الرابـع : كـانوا أمواتـاً في أصـلاب آبـائهم ، فأحيـاهم الله وخلقهـم ، ثمَّ أمـاتهم الموتـة الـتي لا بـدَّ منـها ، ثمَّ أحيـاهم للبعـث يـوم القيامـة ، فهمـا حياتـان وموتتان ، قاله ابن عباس في رواية [٥]، والكلبي [٦]، وقتادة [٧].

الجمع أو الترجيح :

الـذي يظهـر لي رجحانـه – والله أعلـم – هـو القـول الأول ، وهـو القـول الظـاهر مـن معـنى الآيـة ، ولا ينبغـي صـرف احتمـال المعـنى الـراجح إلى المعـنى المرجوح إلا لقرينة ظاهره كما يقرره الأصوليون [٨].

وكـذلك : فهـو قـول مـشاهير الـصحابة والتـابعين وهـو مقـدَّم علـى غيرهـم، والقاعـدة التفـسيرية : أنَّ قـول الـصحابي مقـدَّم علـى غـيره في التفـسير وإن كـان

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٢٩٢) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٤٤٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/١٠٥) عزوه لوكيع . ولفظه : يحييكم في القبر ثم يميتكم .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٤٤٦) .

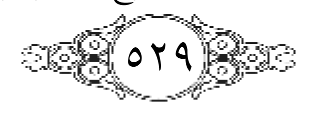
(٤) تفسير ابن كثير (١/٧٢) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٧٣) برقم : (٣٠٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١/١٠٥) عزوه لابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١/٢٦٢) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٤٤٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٢٧٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) انظر : العدة في أصول الفقه (١/١٤٠ ، ١٤١) ، وشرح مختصر الروضة (١/٥٦٨) .



ظاهر السياق لا يدل عليه [(١)] ، فكيف في هذا القول والسياق يدل عليه !.

قال الطبري ﵀ مجيباً عن القول الثالث : (وأما ابن زيد فقد أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك ، وأنَّ الإماتة الأولى عند إعادة الله – جل ثناؤه - عيادة في أصلاب آبائهم بعدما أخذهم من صلب آدم ، وأن الإحياء الآخر هو نفخ الروح فيهم في بطون أمهاتهم ، وان الإماتة الثانية هي قبض أرواحهم للعود إلى التراب ، والمصير في البرزخ إلى يوم البعث ، وأن الإحياء الثالث هو نفخ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة ، وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافاً لظاهر قولِ الله الذي فسره أن الذي وصفنا من قوله تفسيره، ذلك أنَّ الله جل ذكره أخبر في كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه أنهم قالوا ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ ، وزعم ابن زيد أن تفسيره أن الله أحياهم ثلاث إحياءات وأماتهم ثلاث إماتات) [(٢)].

وقول ابن جرير هذا في الرد على **القول الثالث** مفصَّل لا يحتاج إلى تفصيل .

قال ابن عطية ﵀ في ترجيح **القول الأول** : (و**القول الأول** هو أولى هذه الأقوال، لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه ، ثم إن قوله أولاً : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ وإسناده آخراً الإماتة إليه تبارك وتعالى مما يقوى ذلك القول ، وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين ، ثمَّ للإحياء في الدنيا ، ثم للإماتة فيها قوى عليهم لزوم الإحياء الآخر ، وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها) [(٣)].

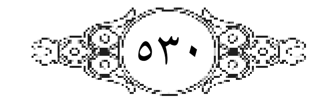
وقد رجَّح ابن جرير **القول الأول** إضافة لابن عطية وابن كثير فقد قال : (وأولى ما ذكرنا من الأقوال بيِّنا بتأويل قوله – جل ثناؤه - : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ الآية ، القول الذي ذكرناه عن ابن

---

(١) انظر : قواعد التفسير(١/١٨٦) .

(٢) جامع البيان (١/٤٤٨) .

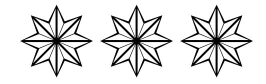
(٣) المحرر الوجيز (٦٨) ، ونقله عن القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٤) .



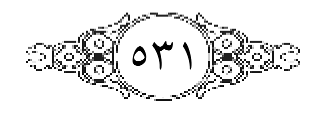
مسعود وعن ابن عباس من أنَّ معنى قوله : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ ، أموات الذكر خمولاً في أصلاب آبائكم ، نطفاً لا تعرفون ولا تذكرون ، فأحياكم بإنشائكم بشراً سوياً ، حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ، ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتاً لا تُعرفون ولا تُذكرون في البرزخ إلى يوم القيامة ، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك تنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك ، كما قال : ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ، لأنه جل ثناؤه يحييهم في قبورهم ، قبل حشرهم ، ثم يحشرهم لموقف الحساب ، كما قال جل ذكره : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج :٤٣])[1].

ومما سبق يتَّضح رجحان القول الأول في معنى الآية ؛ الذي قال به عطاء الخراساني رحمه الله ومن معه .

والحمد لله ، ،



(١) جامع البيان (١/ ٤٥٠) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ [غافر : ٥٦] [١].

١١٣- **قال عطاء الخراساني** : عظمة لم يبلغوها [٢].

الدراسة :

* يبيِّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ الكافرين المجادلين في آيات الله بغير سلطان أو حجَّة إنما هم يفعلون ذلك لكبر في نفوسهم ، وعظمة ما هم ببالغيها ، وفي هذه الآية تسلية للنبي ﷺ .

وقد فسَّر عطاء الخراساني الكبر بالعظمة التي لم يبلغوها ، وذلك في التعالي عن قبول دعوة النبي ﷺ ، فهم لن يبلغوا إرادتهم مهما فعلوا ، وهذا القول بنحو قول مجاهد [٣]، وهو الذي عليه جمهور المفسِّرين [٤].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أنَّ اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : إنَّ الدجال يكون منَّا في آخر الزمان وعظموا أمره ، واعتقدوا أنهم يملكون ، وينتقمون ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ ، قاله أبو العالية [٥]، وكعب الأحبار رضي الله عنه [٦].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

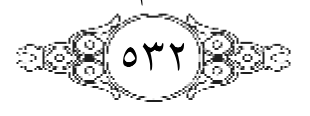
(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٠) ص٩٠ ، وقد تقدمت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) تفسير مجاهد (٢٣٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٩/٢٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٤/٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) انظر : جامع البيان (٣٤٩/٢٠) ، بحر العلوم (٢١١/٣) ، النكت والعيون (١٦١/٥) ، الوسيط (١٨/٤) ، معالم التنزيل (١١٥/٤) ، الكشاف (٩٥٩) ، المحرر الوجيز (١٦٤١) ، زاد المسير (١٢٤٩) ، التفسير الكبير (٧٣/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٠٩/٢) ، أنوار التنزيل (٦١/٥) ، مدارك التنزيل (٤٨٣/٢)، التسهيل (١٦/٤) ، البحر المحيط (٦٢٤/٧) ، تفسير ابن كثير (٨٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٢٥/٥) ، روح المعاني (١١٩/٢٤)، فتح القدير (٦٢١/٤).

(٥) **ضعيف** . ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٦٨/١٠) برقم : (١٨٤٤٠) ، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٤/٧) وزاد عزوه لعبد بن حميد . وهو ضعيف لإرساله .انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (١٨٤/٣) .

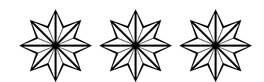
(٦) ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٦٨/١٠) برقم : (١٨٤٤١) .



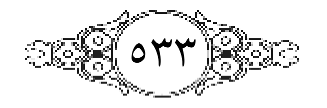
قـال الألوسـي ﷺ : (وهـذا كـالنصِّ في أنَّ أمـر اليهـود كـان الـسبب في نزولها) [1].

وهو كذلك لو صحَّ ، لكنه ضعيف لإرسَاله .

والله أعلم ،،



(١) روح المعاني (١١٩/٢٤) .



سورة فصلت

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت : ٤٠] [(١)].

١١٤- **قال عطاء الخراساني** : هذا وعيد [(٢)].

الدراسة :

هذا وعيد وتهديد خرج مخرج الأمر ، ولفظه لفظ التخيير والإباحة ، والمراد به التوبيخ ، أي اعملوا ما شئتم من خير أو شرّ فالله تعالى عليم بكم ، وبصير بأعمالكم ، لذلك قال : ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ، فتضمَّنت الآية وعيداً وتهديداً [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أنه وعيد ، وهو قول مجاهد [(٥)]، والضحاك [(٦)]، وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين [(٧)].

القول الثاني : خيَّركم وأمركم بالعمل ، واتَّخذ الحجَّة ، وبعث رسوله ، وأنزل كتابه ، وشرَّع شرائعه ؛ حجَّة وتَقْدِمة إلى خلقه ، قاله قتادة [(٨)]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠ ﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١٠٧/٤) .

(٣) انظر : تأويل مشكل القرآن (٢٨٠) ، بحر العلوم (٢٢٩/٣) ، تفسير ابن كثير (١٠٧/٤) .

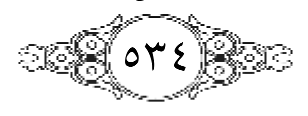
(٤) انظر : الدر المنثور (٣٣٠/٧-٣٣١) .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٥٨/٣) ، والطبري (٤٤٢/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٣٠/٧) عزوه سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١٠٧/٤) .

(٧) انظر : معاني القرآن للنحاس (١١١٨/٢) ، بحر العلوم (٢٢٩/٣) ، الكشف والبيان (٢٩٨/٨) ، الوسيط (٣٧/٤) ، معالم التنزيل (١٣٥/٤) ، المحرر الوجيز (١٦٥٦) ، زاد المسير (١٢٦٠) ، التفسير الكبير (١١٩/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢٧/٢) ، أنوار التنزيل (٧٢/٥) ، مدارك التنزيل (٤٩٩/٢) ، التسهيل (٢٨/٤) ، البحر المحيط (٦٦١/٧) ، تفسير ابن كثير (١٠٧/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٤٦/٥)، روح المعاني (١٩٥/٢٤) ، فتح القدير (٦٤٨/٤) ، التحرير والتنوير (٣٠٥/٢٤) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور عنه (٣٣٠/٧) لعبد بن حميد .



وبنحوه قال بعض المحققين [١].

القـول الثالـث : أنَّ هـذا لأهـل بـدر خاصـة ، قالـه ابـن عبـاس رضي الله عنهما [٢]، وبنحوه قال النخعي [٣].

القول الرابع : أبيحت لهم الأعمال ، وهذا قول الحسن [٤].

الجمع أو الترجيح :

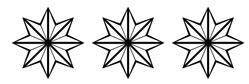
الرَّاجح - والله أعلم - القول الأول ؛ قول عطاء الخراساني وجمهور المفسِّرين ، أنه وعيد وتهديد ، وهو الذي تشهد له اللغة العربية ، فإنَّ من أغـراض الأمـر التهديـد والوعيد فيكون ظاهره الأمر ، وباطنه الزَّجر ، وهذا من أساليب العرب [٥]، وهو مثـل قول الملك المهيب عند الغضب الشديد إذا أخذ يعاتب بعـض عبيـده ثمَّ يقـول لهـم : اعملوا ما شئتم .

ويدلُّ على ذلك السباق والسياق في قـول الله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [فصلت : ٤٠-٤١] .

قال الزجاج رحمه الله : (لفظ هذا الكلام لفظ أمر ، ومعناه الوعيد والتهدد ، وقد بـيَّن لهم المجازاة على الخير والشر) [٦].

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّ القـرآن عـربي ، فيـسلك بـه في الاسـتنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٧].

والله أعلم ،،



(١) تفسير المراغي (٢٨٥/٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٠) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور عنه (٣٣١/٧) لابن مردويه .

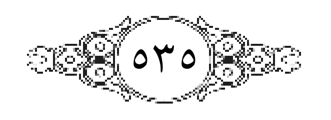
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور عنه (٣٣١/٧) لعبد بن حميد ، ولفظه : ذكر أنَّ السماء فرجت يوم بدر فقيل: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور عنه (٣٣١/٧) لعبد بن حميد .

(٥) انظر : المقتضب (٨٦/٢) ، مغني اللبيب (٢٩٥) ، الإيضاح في علوم البلاغة (١٤٢) .

(٦) معاني القرآن للزجاج (٢٩٤/٤) .

(٧) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .



الموضع الثاني :

* في قوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت : ٤٤] (١) .

١١٥- **قال عطاء الخراساني** : قال تعالى : لو أنزلناه أعجمياً (٢) لقالوا : فصِّلوه لنا بالعربية (٣).

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني أنَّ الله يقول : لو أنزلنا هذا القرآن أعجمياً غير عربي لقال المشركون المجادلون بالباطل : هلاَّ بُيِّنت أدلته وما فيه من آية ، فنفقهه ونعلمه باللغة العربية ، وهو بيان أنَّهم يجادلون بالباطل على كل حال .

وفي الآية قولٌ واحد ، هو ما قاله عطاء الخراساني ، وعليه جمهور المفسِّرين (٤).

قال النحاس ﷺ : (أي بُيِّنت ، وأصل هذا أنَّ التفصيل لا يكون إلا للعرب ، وهم أصحاب البيان) (٥).

وقال الرازي ﷺ : (يعني لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب ، ويصحُّ لهم أن يقولوا : ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ أي من هذا الكلام ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا

---

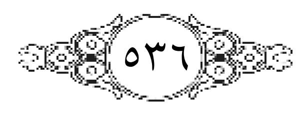
(١) الآية بتمامها : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ .

(٢) **الفرق بين العجمي والأعجمي** : أنَّ العجمي الذي ليس من العرب سواء كان فصيحاً أو غير فصيح ، والأعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم ، فالأعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه . انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٢٦) .

(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٢) ص٩١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

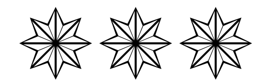
(٤) انظر : جامع البيان (٤٤٦/٢٠) ، بحر العلوم (٢٣٠/٣) ، الكشف والبيان (٢٩٨/٨) ، الوسيط (٣٨/٤) ، معالم التنزيل (١٣٥/٤) ، الكشاف (٩٧١) ، المحرر الوجيز (١٦٥٧) ، زاد المسير (١٢٦٠) ، التفسير الكبير (١٢١/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢٨/٢) ، أنوار التنزيل (٧٣/٥) ، مدارك التنزيل (٥٠٠/٢) ، التسهيل (٢٩/٤) ، البحر المحيط (٦٦٤/٧) ، تفسير ابن كثير (١٠٨/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٤٧/٥)، روح المعاني (١٩٨/٢٤) ، فتح القدير (٦٥٠/٤) ، تفسير المراغي (٢٨٦/٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٥١) ، التحرير والتنوير (٣١٢/٢٤) .

(٥) معاني القرآن للنحاس (١١١٩/٢) .

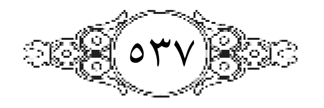


وَقۡرٞ ﴾ [فصلت : ٥] منه لأنا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه ، أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب ، وبألفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة ، فكيف يمكنكم ادِّعاء أنَّ قلوبكم في أكنة منها ، وفي آذانكم وقرٌ منها ، فظهر أنا إذا جعلنا هذا الكلام جواباً عن ذلك الكلام ، بقيت السورة من أوَّلها إلى آخرها على أحسن وجوه النَّظم) [1].

والله أعلم ،،



(١) التفسير الكبير (١٢١/٢٧) .



سورة الشورى

الموضع الأول :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ [الشورى : ٥٠] [١].

١١٦- **قال عطاء الخراساني** : [فالتَّزويج][٢] أن يولد للذَّكر ذكر وأنثى [٣] .

الدراسة :

* في هذه الآية يخبر الله عن سعة ملكه تعالى ، ونفوذ تصرفه في الخلق ، وأنه المدبِّر لجميع الأمور ، حتى إن تدبيره تعالى ، من عمومه ؛ أنه يتناول الأمور المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد ، فإنَّ النكاح من الأسباب لولادة الأولاد ، فاللّه تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء ، فمن الخلق من يهب له إناثاً ، ومنهم من يهب له ذكوراً ، ومنهم من يزوِّجه ، أي : يجمع له ذكوراً وإناثاً ، فتبارك الله أحسن الخالقين [٤].

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ، أن يولد للذكر ذكر وأنثى ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٦] ، وأبو مالك[٧] ، وسعيد بن جبير [٨] ، ومجاهد[٩] ، والضحاك [١٠] ، والحسن[١١] ، وقتادة ، والسدي[١٢] ، وجمهور

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠ ﴾ .

(٢) في الأصل : فالإناث ، ولعلّ في الكلام سقط ، أشار له محقق الأصل بقوله : (كذا في الأصل غير واضح المعنى ، ولعلَّ فيه سقط) – ص٩١ حاشية رقم ٥- ، ويشهد له ما رواه الطبري (٥٣٨/٢٠) بإسناد صحيح إلى مجاهد بلفظ : يخلط بينهم ، يقول : التزويج أن تلد المرأة غلاماً ، ثمَّ تلد جارية ، ثمَّ تلد غلاماً ، ثمَّ تلد جارية) .

(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٣) ، ص٩١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢) .

(٥) انظر : جامع البيان (٥٣٧/٢٠) ، النكت والعيون (٢١١/٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٧/٢٠) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٧) لعبد بن حميد .

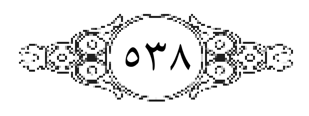
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) تفسير مجاهد (٢٤٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٨/٢٠) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٩/٢٠) .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٦٤/٣) ، والطبري (٥٣٧/٢٠) .

(١٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٣٨/٢٠) .



المفسِّرين على نحو هذا المعنى [١].

وذكر بعض المفسِّرين أنَّ الآية خاصة ببعض الأنبياء [٢]، ومنهم من اختار العموم ، وضربوا أمثلة بالأنبياء تدلُّ على المعنى [٣].

القول الثاني : يجعل في البطن الواحد ذكراً وأنثى توأماً ، وهذا قول ابن زيد [٤]، ومحمد بن الحنفية [٥].

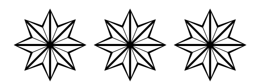
الجمع أو الترجيح :

الأقرب الجمع بين القولين جميعاً فيقال : المقصود بالتزويج هو أن ينوَّع للإنسان في ذرِّيته بين الذكور والإناث ، فيكون بعضهم بنين ، ويكون بعضهم بنات ، سواء كان ذلك في حمل منفصل ، أو كانوا توأماً في بطن واحدة .

والآية عامة تشمَل الأنبياء وغيرهم ، لأنَّ أحوال الناس جميعاً مع الذرية لا تخرج عمَّا ذكره الله في الآية .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمْل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نصٌ بالتخصيص [٦].

والله أعلم ، ،



(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٦) ، معاني القرآن للزجاج (٤/٣٠٦) ، معاني القرآن للنحاس (٢/١١٣٥)، بحر العلوم (٣/٢٤٩) ، الكشف والبيان (٨/٣٢٥) ، الوسيط (٤/٦٠) ، معالم التنزيل (٤/١٥٢) ، الكشاف (٩٨٣) ، المحرر الوجيز (١٦٧٣) ، زاد المسير (١٢٧٢) ، التفسير الكبير (٢٧/١٦٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٥٢) ، أنوار التنزيل (٥/٨٤) ، مدارك التنزيل (٢/٥١٦) ، التسهيل (٤/٤٤) ، البحر المحيط (٧/٦٩٦) ، تفسير ابن كثير (٤/١٢٧) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٣) ، روح المعاني (٢٥/٨٣) ، فتح القدير (٤/٦٧٩) ، تفسير المراغي (٩/٣٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢)، التحرير والتنوير (٢٥/١٣٨) .

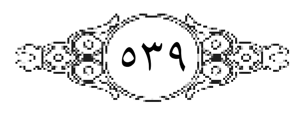
(٢) انظر : الكشف والبيان (٨/٣٢٥) ، الكشاف (٩٨٣) .

(٣) انظر : الوسيط (٤/٦٠) ، زاد المسير (١٢٧٢) ، التسهيل (٤/٤٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٥٣٩) .

(٥) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٢١١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٦٢) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى : ٥٠] [١].

١١٧- **قال عطاء الخراساني** : العقيم : الذي لا يولد له شيء [٢].

الدراسة :

* العقيم هو الذي لا يولد له شيء من الذرية ؛ لا بنين ولا بنات ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وأبو مالك [٤]، وعبيدة[٥][٦]، وسعيد بن جبير[٧]، والضحاك ، والحسن ، وقتادة، والسدي ، وابن زيد[٨]، وجمهور المفسِّرين عليه دون مخالف [٩].

وفي اللغة : يقال : امرأة عقيم : أي لا تلِد ، ورجلٌ عقِيم وعقَام : لا يولد له [١٠]. والله أعلم ، ،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٤) ، ص٩١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٩/٢٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨٠/١٠) برقم : (١٨٤٩٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٣/١٠) بلفظ آخر لابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٧) لعبد بن حميد .

(٥) **عبيدة** = هو عبيدة بن عمرو – أو ابن قيس – السلماني المرادي ، أبو عمرو الكوفي ، من كبار التابعين ، من طبقة الصحابة ، فقيه ثبت ، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يلقه ، وكان ابن سيرين من أروى الناس عنه ، وكان شريح إذا أشكل عليه شيء سأله، مات قبل سنة سبعين . انظر : تقريب التهذيب (٣٧٩) ، رجال تفسير الطبري (٣٦٧) .

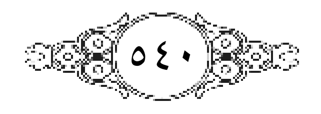
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٧/٢٠) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٥٣٧/٢٠-٥٣٩) .

(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٠٦/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١١٣٥/٢) ، بحر العلوم (٢٤٩/٣) ، الكشف والبيان (٣٢٥/٨) ، النكت والعيون (٢١١/٥) ، الوسيط (٦٠/٤) ، معالم التنزيل (١٥٢/٤) ، الكشاف (٩٨٣) ، المحرر الوجيز (١٦٧٣) ، زاد المسير (١٢٧٢) ، التفسير الكبير (١٦٧/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥٢/٢) ، أنوار التنزيل (٨٤/٥) ، مدارك التنزيل (٥١٦/٢) ، التسهيل (٤٤/٤) ، البحر المحيط (٦٩٦/٧) ، تفسير ابن كثير (١٢٧/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٣/٦) ، روح المعاني (٨٣/٢٥) ، فتح القدير (٦٨٠/٤) ، تفسير المراغي (٣٩/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٢) ، التحرير والتنوير (١٣٩/٢٥) .

(١٠) انظر : لسان العرب (٢٣٦/١٠-٢٣٧) .



سورة الزخرف

الموضع الأول :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ ﴾ [الزخرف : ١٥] [(١)].

١١٨- **قال عطاء الخراساني** : جعلوا له نصيباً وشريكاً من عباده [(٢)] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الجزء في الآية بالنصيب والشريك ، ويعني به : أنَّ قول المشركين للملائكة : بنات الله ، أنه تشريك لجزء من عباده معه .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : نصيباً وشريكاً من عباده ، وهو قول عطاء الخراساني ، وقاله قطرب [(٤)]، ورجَّحه الطبري [(٥)].

قال النحاس رحمه الله بعد أن ذكر القول عن عطاء الخراساني : (وهذا أبين ، كما يقال: هذا جزء فلان ، وقيل لهم هذا لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله ، وهذا قول مجاهد) [(٦)].

وقال الرازي رحمه الله : (ذلك لأنهم لما أثبتوا الشركاء لله تعالى فقد زعموا أن كل العباد ليس لله ، بل بعضها لله ، وبعضها لغير الله ، فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم ، بل جعلوا له منهم بعضاً وجزءاً منهم ، قالوا : والذي يدل على أنَّ هذا القول أولى : أنا إذا حملنا هذه الآية على إنكار الشريك لله ، وحملنا الآية التي بعدها إلى إنكار الولد لله ، كانت الآية جامعة للردِّ على جميع المبطلين) [(٧)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٦) ، ص٩١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره أيضاً النحاس في معاني القرآن (١١٤٣/٢) .

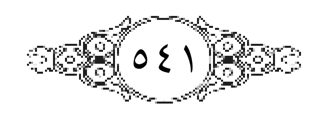
(٣) انظر : جامع البيان (٥٦١/٢٠) ، النكت والعيون (٢١٩/٥) ، الوسيط (٦٦/٤) ، البحر المحيط (١٣/٨) .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢١٩/٥) .

(٥) جامع البيان (٥٦١/٢٠) .

(٦) معاني القرآن (١١٤٣/٢) .

(٧) التفسير الكبير (١٨٢/٢٧) .



القول الثاني : أنه البنات ، والجزء عند بعض أهل العربية : البنات ، يقال: قد أجزأت المرأة إذا ولدت البنات ، وهذا قول السدي [1]، وقاله الراغب [2]، ومنه قول الشاعر [3]:

إنْ أَجْـزَأَتْ حُـرَّةٌ يَوْمـاً فَـلاَ عَجَـب ... قَـدْ تُجْـزِئُ الْحُـرَّةُ الْمِـذْكَارُ أَحْيَانَـا

قال الزمخشري رحمه الله رداً على هذا القول : (ومن بدع التفاسير : تفسير الجزء بالإناث ، وادعاء أنّ الجزء في لغة العرب : اسم للإناث ، وما هو إلا كذب على العرب ، ووضع مستحدث منحول ، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه : أجزأت المرأة ، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً [4]...) [5].

القول الثالث : عِدلاً ؛ أي مثلاً ، قاله قتادة [6].

قال النحاس رحمه الله : (والمعنى على قولهم أنهم عبدوا الملائكة ، فجعلوا لله عزَّ وجل شبهاً ومِثلاً) [7].

القول الرابع : ولداً وبنات من الملائكة ، قاله ابن عباس ، والحسن [8]، ومجاهد [9]، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ خَلَقْنَا

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٥٦١) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (١٠٠) .

(٣) **لم ينسب البيت لقائل** ، ولم أجده في دواوين العرب الشعر ، وقال عنه الزجاج : (ولا أدري البيت قديم أم مصنوع) ، انظر : معاني القرآن (٤/٣٠٩) .

(٤) البيت الثاني الذي يعنيه الزمخشري هو لأبي حنيفة – من البسيط – :

زوجتها من بنات الأوس مجزئة ... للعوسج اللدن في أبياتها غزل

وهو من شواهد : التفسير الكبير (٢٧/١٨١) ، البحر المحيط (١٤/٨٧) .

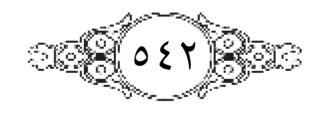
(٥) الكشاف (٩٨٦) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/١٦٦) ، والطبري في تفسيره (٢٠/٥٦١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٦٩) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) معاني القرآن (٢/١١٤٣) .

(٨) حكاه عنهما الواحدي في الوسيط (٤/٦٦) .

(٩) تفسير مجاهد (٢٤٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٥٦١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٦٩) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .



ﱡﭐ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﱠ [الصافات : ١٥٠] ، وقوله : ﱡﭐ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﱠ [الزخرف : ١٩] .

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، ويمكن أن يُجمع بينها فيقال : أنهم أرادوا بالجزء في الآية النصيب والشريك من عباد الله ، وهو أنهم نسبوا لله الولد ، وزعموا أنّ له بنات ، وأنّ الملائكة هم بنات الله – تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً – ، فخصوه بالبنات الذين يكرهون نسبتهنَّ لهم ، وكما قال الله عنهم : ﱡﭐ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﱠ [النحل : ٥٨] .

وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسرين [(١)] .

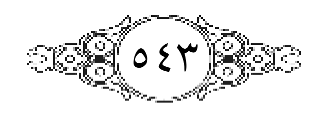
قال الطبري ﵀ : (وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك : لأنَّ الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله : ﱡﭐ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﱠ توبيخًا لهم على قولهم ذلك ، فكان معلوماً أنَّ توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلّ ثناؤه) [(٢)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : (قال بعض المفسِّرين : ﱡﭐ جُزۡءًاۚ ﱠ أي نصيباً وبعضاً ، وقال بعضهم : جعلوا لله نصيباً من الولد ، وعن قتادة ومقاتل : عدلاً . وكلا القولين صحيح فإنهم يجعلون له ولداً والولد يشبه أباه ولهذا قال: ﱡﭐ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا ﱠ [الزخرف : ١٧] ، أي البنات . كما قال في الآية الأخرى : ﱡﭐ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ﱠ فقد جعلوها للرحمن مثلاً وجعلوا له من عباده جزءاً ، فإن الولد جزء من الوالد ، وقد قال

---

(١) انظر : بحر العلوم (٢٥٤/٣) ، الكشف والبيان (٣٢٩/٨) ، معالم التنزيل (١٥٦/٤) ، الكشاف (٩٨٦) ، المحرر الوجيز (١٦٧٦) ، زاد المسير (١٢٧٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦٢/٢) ، أنوار التنزيل (٨٨/٥) ، مدارك التنزيل (٥٢٠/٢) ، التسهيل (٤٩/٤) ، تفسير ابن كثير (١٣١/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٨/٦) ، روح المعاني (١٠٦/٢٥) ، فتح القدير (٦٨٥/٤) ، تفسير المراغي (٤٧/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٣) ، التحرير والتنوير (١٧٦/٢٥) .

(٢) جامع البيان (٥٦١/٢٠) .



ﷺ : « إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي »[1]) [2].

وقد ناقش الشنقيطي رحمه الله أقوال هذه المسألة بتوسّع ، ورجَّح القول الثاني وانتصر له .

ومما قال رحمه الله : (وأما كون المراد بالولد المعبر عنه بالجزء في الآية خصوص الإناث فقرينة السياق دالة عليه دلالة واضحة ، لأنَّ جعل الجزء المذكور لله من عباده هو بعينه الذي أنكره الله إنكاراً شديداً ، وقرَّع مرتكبه تقريعاً شديداً في قوله تعالى بعده: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٦-١٨]) [3].

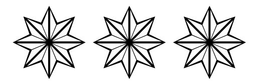
والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجَّح على ما خالفه [4].

وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له [5].

والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدَّم على ما عدم ذلك [6].

ولا تضادَّ بين قول عطاء الخراساني مع الأقوال الأخرى ، بل قوله أعمّ ، تدخل فيه الأقوال الأخرى ، وهو داخل في المعنى الصحيح .

والله أعلم ..



(١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٣٧١٤) في كتاب المناقب ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ، وبرقم : (٣٧٢٩) في كتاب المناقب ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ ، وبرقم : (٣٧٦٧) في كتاب المناقب ، باب مناقب فاطمة عليها السلام ، وبرقم : (٥٢٣٠) في كتاب النكاح ، باب ذبِّ الرَّجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف. وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٤٤٩) في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها السلام .

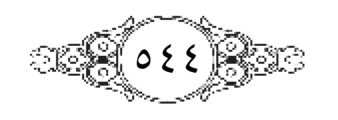
(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٢٧١) .

(٣) أضواء البيان (٧/١٤٠) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩) .

(٥) المصدر السابق (١/١٢٥) .

(٦) المصدر السابق (١/٣١٢) .



الموضع الثاني :

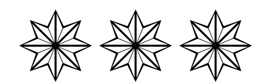
* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾ [الزخرف : ٣١] [١].

١١٩- **قال عطاء الخراساني** : مكة والطائف [٢] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني القريتين في هذه الآية بأنهما مكة والطائف ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، ومجاهد [٤]، وقتادة [٥]، وهو قول جمهور المفسرين [٦]، ولم أجد لهم مخالفاً .

والحمد لله ،،



(١) الآية بتمامها : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)﴾ .

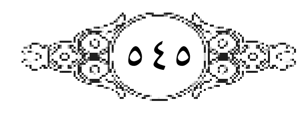
(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٥) ، ص٩١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٨١/٢٠) ، وابن أبي حاتم (٣٢٨٢/١٠) برقم : (١٨٥٠١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٤/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(٤) تفسير مجاهد (٢٤٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٨١/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٦٨/٣) ، والطبري في تفسيره (٥٨٢/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٥/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٦) انظر : جامع البيان (٥٨٠/٢٠) ، معاني القرآن للفراء (٣٠/٣) ، معاني القرآن للزجاج (٣١١/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١١٤٦/٢) ، بحر العلوم (٢٥٦/٣) ، الكشف والبيان (٣٣٢/٨) ، النكت والعيون (٢٢٣/٥) ، الوسيط (٧٠/٤) ، معالم التنزيل (١٥٨/٤) ، الكشاف (٩٨٩) ، المحرر الوجيز (١٦٧٩) ، زاد المسير (١٢٧٧) ، التفسير الكبير (١٨٩/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٦٨/٢) ، أنوار التنزيل (٩٠/٥) ، مدارك التنزيل (٥٢٣/٢) ، التسهيل (٥٢/٤) ، البحر المحيط (٢٠/٨) ، تفسير ابن كثير (١٣٣/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٢/٦) ، روح المعاني (١٢٠/٢٥) ، فتح القدير (٦٩١/٤) ، تفسير المراغي (٥٣/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٥) ، التحرير والتنوير (١٩٩/٢٥) ، أضواء البيان (١٥٧/٧).



الموضع الثالث :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الزخرف : ٣٦] [(١)].

١٢٠- **قال عطاء الخراساني** : يعمى عن ذكر الرحمن عزّ وجل [(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني رحمه الله العشى في الآية بالعمى ، والمعنى : من لم يخف عقاب الله ، ولم يلتفت إلى كلامه متعامياً ومعرضاً عنه ، فإنه يقيِّض له شيطاناً لا يفارقه جزاءً له . ويقال : من عشي عن كذا .. نحو عمي عنه ، كما قال الراغب رحمه الله [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني ؛ أي يعمى عن ذكر الرحمن ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، وابن زيد [(٦)]، وقال به الزجاج [(٧)]، وأبو السعود[(٨)]، وهذا القول على قراءة فتح الشين التي قرأها ابن عباس رضي الله عنهما [(٩)]، وهي قراءة قتادة ، ويحيى بن سلام البصري [(١٠)].

القول الثاني : يعرِض عن ذكر الله ، قاله قتادة ، والسدي [(١١)]، واختاره

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٧) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره أيضاً : ابن الجوزي في زاد المسير (١٢٧٨) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٣٣٨) .

(٤) انظر : بحر العلوم (٣/٢٥٧) ، الكشف والبيان (٨/٣٣٤) ، النكت والعيون (٥/٢٢٥-٢٢٦) ، الكشاف (٩٩٠) ، زاد المسير (١٢٧٨) ، مدارك التنزيل (٢/٥٢٤) ، فتح القدير (٤/٦٩٣) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٣) برقم : (١٨٥٠٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٧٨) عزوه لابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٥٩٦) .

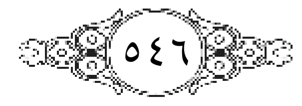
(٧) معاني القرآن (٤/٣١٣) .

(٨) إرشاد العقل السليم (٦/٣٤) .

(٩) ذكره الطبري في تفسيره (٢٠/٥٩٥) ، والماوردي في النكت والعيون (٥/٢٢٥) ، والبغوي في معالم التنزيل (٤/١٦١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧١) .

(١٠) ذكرها عنهما ابن عطية في المحرر الوجيز (١٦٨٠) .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٠/٥٩٦) .



الطبري [1]، وجماعة من المفسِّرين [2]، وهذا على قراءة الضمِّ ، وهي قراءة الباقين .

وجمع بعض المفسِّرين في عبارته معنى هذين القولين ، بأنه يتعام ويعرض ، ويتجاهل عنه وهو يعرف الحق ، لفرط اشتغاله بالمحسوسات ، وانهماكه في الشهوات [3].

القول الثالث : تُظلِم عينه ، قاله أبو عبيدة [4] ، والأخفش [5]، واختاره النحاس [6]، مأخوذ من العشو وهو البصر الضعيف ، وبنحوه قال ابن عطية[7]، وابن جزيّ [8].

قال ابن كثير رحمه الله : (والمراد ههنا عشا البصيرة) [9].

و ﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هنا عام ؛ يدخل فيه كل ذكر لله كما قال عطاء الخراساني ، واختاره ابن جزي [10]، أو ما بيَّنه الله من حلال وحرام وأمر ونهي ، كما قال ابن عباس [11]، أو القرآن لأنه كلام الرحمن ، كما قال الكلبي [12]، والزمخشري [13].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ذكر الرحمن هو الذِّكر الذي أنزله

---

(1) جامع البيان (٢٠/٥٩٥) .

(2) أنظر : الوسيط (٤/٧٢) ، معالم التنزيل (٤/١٦١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧١) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٦) .

(3) أنظر : أنوار التنزيل (٥/٩١) ، البحر المحيط (٨/٢٣) ، تفسير ابن كثير (٤/١٣٤) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٤)، روح المعاني (٢٥/١٢٤).

(4) مجاز القرآن (٢/٢٠٤) .

(5) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/٣٣٤) .

(6) معاني القرآن (٢/١١٤٨) .

(7) المحرر الوجيز (١٦٨٠) .

(8) التسهيل (٤/٥٣) .

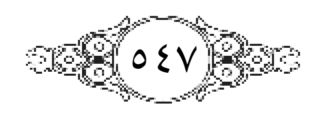
(9) تفسير ابن كثير (٤/١٣٤) .

(10) التسهيل (٤/٥٤) .

(11) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٣) برقم : (١٨٥٠٧) .

(12) نقله عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/٢٥٧) ، وحكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٢٦) .

(13) الكشاف (٩٩١) .



علـى نبيـه ﷺ قـال تعـالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وقـال تعـالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ إلى قولـه : ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طه : ١٢٣-١٢٦] ونسيانها هـو تـرك الإيمـان والعمـل بهـا وإن حفظ حروفها ، قـال ابـن عبـاس : " تكفَّـل الله لمـن قـرأ القـرآن وعمـل بمـا فيـه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخـرة " وقـرأ هـذه الآيـة [1]، فمـن اتبـع مـا بعـث الله بـه رسـوله محمـداً ﷺ مـن الكتـاب والحكمـة هـداه الله وأسـعده ؛ ومـن أعـرض عن ذلك ضلَّ وشقي وأضله الشيطان وأشقاه) [2].

الجمع أو الترجيح :

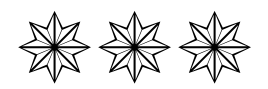
الأقـوال في الآيـة متقاربـة ، ويمكـن حمـل المعـنى عليهـا جميعـاً ، فمـن تـرك ذكـر الله وعبادتـه وطاعتـه يـصدق عليـه أنـه متعـامٍ ومعـرضٌ عنـه ، وعلـى عينـه غشاوة وظلمة ، والاختلاف هنا بين المفسِّرين اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [3].

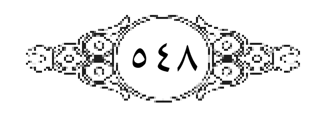
وقول عطاء الخراساني ﵀ هنا داخل في المعنى الصحيح .

قـال الطـاهر ابـن عاشـور ﵀ : (فمعـنى ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ مـن ينظـر نظـراً غـير مـتمكِّن في القـرآن ، أي مـن لا حـظَّ لـه إلا سمـاع كلمـات القـرآن دون تـدبُّر وقـصد للانتفـاع بمعانيـه ، فـشبَّه سمـاع القـرآن مـع عـدم الانتفـاع بـه بنظـر النـاظر دون تأمل) [4].

والله أعلم ،،



(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/١٩١) .
(٢) مجموع الفتاوى (١/٨٣-٨٤) .
(٣) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .
(٤) التحرير والتنوير (٢٥/٢٠٩) .



الموضع الرابع :

* وفي قوله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف : ٥٦].

١٢١- **قال عطاء الخراساني** : جعلوا سلفاً في الناس ، ومثلاً لمن بعدهم من القرون [(١)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الآية بأنَّ الله جعل قوم فرعون سلَفاً في الناس ، ومثلاً لمن بعدهم ليعتبِروا بحالهم ، فهم صاروا مُعْتَبَراً متقدِّماً [(٢)].

❖ القراءات في الآية [(٣)] :

- قرأ حمزة والكسائي : ﴿ سُلُفاً ﴾ بضم السين واللام ، واحدها سُلفة من الناس أي : قطعة من الناس مثل أمة ، أو جمع سليف ؛ أي : جميع قد مضى [(٤)].

- وقرأ الباقون : ﴿سَلَفًا﴾ بفتح السين واللام .

وبناءً على الاختلاف في القراءة اختلف المفسِّرون في المعنى .

الأقوال في الآية[(٥)] :

في معنى القراءة الأولى قولان :

الأول : أهواء مختلفة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٦)].

الثاني : جمع سلف أي جميع من قد مضى من الناس ، قاله ابن عيسى [(٧)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٨) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٤٤) .

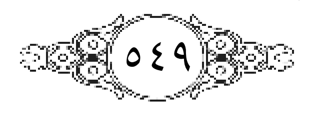
(٣) انظر : المبسوط (٣٣٥) ، البدور الزاهرة (٢/٢٨٣) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٣٤) ، معاني القرآن للزجاج (٤/٣١٧) .

(٥) انظر : بحر العلوم (٣/٢٦١) ، الكشف والبيان (٨/٣٤٠) ، النكت والعيون (٥/٢٣٢) ، زاد المسير (١٢٨١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧٧) ، البحر المحيط (٨/٣٤) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٤) برقم : (١٨٥١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٨٤) عزوه لابن جرير ولم أقف عليه عنده .

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٣٢) .



وعلى القراءة الثانية : ﴿سَلَفًا﴾ أي متقدِّمين . وفيه تأويلات :

الأول : سلَفاً في الناس ، وهذا قول عطاء الخراساني .

الثاني : سلَفاً في النار ، قاله قتادة [(١)].

الثالث : كفَّار قوم فرعون ؛ سلَف لكفار أمة محمد ﷺ ، قاله مجاهد[(٢)].

الرابع : سلَفاً لمثل من عمل بعملهم ، قاله أبو مجلز [(٣)]، وبنحوه قال الزمخشري : (فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ، ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم) [(٤)]، وتبعه جماعة من المفسِّرين [(٥)].

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ أي عظة وعبرة يتَّعظ بهم من بعدهم من القرون ، وهذا معنى قول عطاء الخراساني هنا ، وقاله مجاهد [(٦)]، وقتادة ، والسدي[(٧)]، وجمهور المفسِّرين [(٨)].

الجمع أو الترجيح :

المعاني متقاربة ، والقراءتان سبعيتان صحيحتان ، لا ترجَّح إحداهما على الأخرى .

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٢٠/٢٠) .

(٢) تفسير مجاهد (٢٤٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٢٠/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٤/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٣٢/٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧٧/٢).

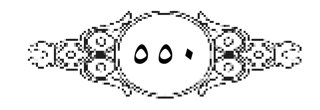
(٤) الكشاف (٩٩٤) .

(٥) انظر : أنوار التنزيل (٩٣/٥) ، مدارك التنزيل (٥٢٧/٢) ، إرشاد العقل السليم (٣٧/٦) ، فتح القدير (٦٩٨/٤)، تفسير المراغي (٦١/٩) .

(٦) تفسير مجاهد (٢٤٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٢٠/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٤/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٦٢١/٢٠) .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣١٧/٤) ، معاني القرآن للنحاس (١١٥٣/٢) ، بحر العلوم (٢٦١/٣) ، الكشف والبيان (٣٤٠/٨) ، الوسيط (٧٨/٤) ، معالم التنزيل (١٦٥/٤) ، المحرر الوجيز (١٦٨٤) ، زاد المسير (١٢٨١) ، التفسير الكبير (١٩٨/٢٧) ، أنوار التنزيل (٩٣/٥) ، التسهيل (٥٧/٤) ، تفسير ابن كثير (١٣٧/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٧/٦) ، روح المعاني (١٤٢/٢٥) ، فتح القدير (٦٩٩/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٨) ، التحرير والتنوير (٢٣٥/٢٥) .



والقاعـدة التفسيرية : أنـه إذا ثبتـت القراءتـان لم تـرجَّح إحـداهما – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ... كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى [(١)].

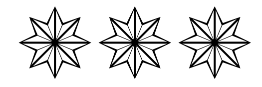
وأما من حيث المعنى فالأقرب على القراءة الأولى المعنى الذي ورد عن ابن عباس ، وعلى القراءة الثانية يمكن الجمع بين الأقوال الواردة في ذلك ، لتقاربها كما قال النحاس ﷺ : (هذه الأقوال متقاربة ، وأصل السلف في اللغة : ما تقدَّم، ومنه تسلفت من فلان ، وأبينها قول قتادة ، أي جعلناهم متقدِّمين في الهلاك، وعظة لمن يأتي بعدهم) [(٢)].

وعليه فيقال : إنَّ الله جعلهم متقدِّمين ليتَّعظ بهم وبعقوبتهم الآخرين ، وهذا المعنى هو ما عليه جمهور المفسرين [(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في الآية : (أي مَثلاً يُعتبر به ويقاس عليه غيره، فمن عمل بمثل عمله جوزي بجزائه ؛ ليتَّعظ الناس به ؛ فلا يُعمل بمثل عمله) [(٤)].

ومما سبق يتَّضح أن قراءة عطاء الخراساني في هذه الآية هي قراءة الجمهور ، وقوله في الآية هو المعنى الذي عليه جمهور المفسِّرين ، وهو داخل في المعنى الصحيح .

والله أعلم ، ،

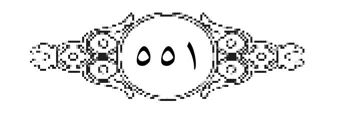


(١) قواعد التفسير (٨٩/١ ، ٩٧) .

(٢) معاني القرآن للنحاس (١١٥٣/٢-١١٥٤) .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/١٣) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ [الزخرف : ٥٨] [(١)].

١٢٢- **قال عطاء الخراساني** : يعنون عيسى عليه السلام [(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني رحمه الله مرجع الضمير في الآية إلى نبي الله عيسى عليه السلام، وأنه هو المقصود في هذه المقارنة منهم مع آلهتهم التي كانوا يعبدونها .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : أنَّ المقصود هو عيسى عليه السلام ، وهذا قول عطاء الخراساني ، والسدي ، وابن زيد [(٤)]، وجمهور المفسِّرين عليه [(٥)]، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية [(٦)].

قال السدي رحمه الله : (خاصموه وقالوا : إنَّ كلَّ من عُبِدَ من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى والملائكة وعزير) [(٧)].

القول الثاني : أنَّ المقصود بمرجع الضمير نبينا محمد ﷺ ، أخذاً من حرف أبيِّ بن كعب ، وابن مسعود : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَآلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هَٰذَا ﴾ يعنون محمداً ﷺ ، وهذا قول قتادة [(٨)]، وقال به جماعة من المفسِّرين [(٩)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٩) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٥/٢٣٤) ، الكشف والبيان (٨/٣٤٠) ، معالم التنزيل (٤/١٦٥).

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٠/٦٢٧) .

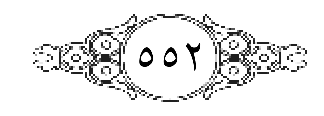
(٥) انظر : بحر العلوم (٣/٢٦١) ، الوسيط (٤/٧٩) ، الكشاف (٩٩٤) ، المحرر الوجيز (١٦٨٥) ، زاد المسير (١٢٨٢) ، أنوار التنزيل (٥/٩٤) ، مدارك التنزيل (٢/٥٢٨) ، التسهيل (٤/٥٨) ، البحر المحيط (٨/٣٥)، إرشاد العقل السليم (٦/٣٩) ، روح المعاني (٢٥/١٤٣) ، تفسير المراغي (٩/٦٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٦٨) ، أضواء البيان (٧/١٦٨) .

(٦) مجموع الفتاوى (١٦/٤٠) .

(٧) نقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧٨) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٢٧) .

(٩) اختاره الرازي في التفسير الكبير (٢٧/١٩٩) ، وقواه القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧٨) لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه . واكتفى به ابن كثير في تفسيره (٤/١٣٩) ، وقواه الشوكاني في فتح القدير (٤/٧٠٠) .



قال الرازي رحمه الله : (يعني آآلهتنا خير أم محمد ، وذكروا ذلك لأجل أنهم قالوا: إن محمداً يدعونا إلى عبادة نفسه ، وآباؤنا زعموا أنه يجب عبادة هذه الأصنام ، وإذا كان لا بد من أحد هذين الأمرين فعبادة هذه الأصنام أولى ، لأن آباءنا وأسلافنا كانوا متطابقين عليه ، وأما محمد فإنه متهم في أمرنا بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الأصنام أولى ...) [1].

الجمع أو الترجيح :

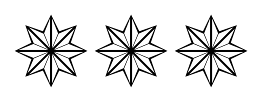
الرَّاجح هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني ، الذي عليه جمهور المفسِّرين ، وذلك هو مقتضى دلالة السياق في الآية ، حيث إنَّ الكلام متَّصلٌ عن ضرب المشركين مثلاً بعيسى بن مريم عليه السلام ، ومقارنتهم بينه وبين أصنامهم في العبادة ، وكذلك فيما بعد الآية ، كلّه في ذكره عليه السلام .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد ، أولى من تفريقها [2].

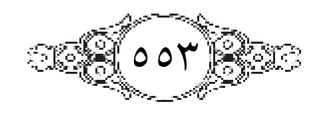
وقد نصَّ على ذكر عيسى عليه السلام قبلها في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ .

قال ابن جزَي رحمه الله : (والأظهر أنَّ المراد بـ ﴿هُوَ﴾ عيسى ، وهو قول الجمهور ، ويدلُّ على ذلك تقدُّم ذكرِه) [3].

والله أعلم ، ،



(١) التفسير الكبير (٢٧/١٩٩) .
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦١٣) .
(٣) التسهيل (٤/٥٨) .



الموضع السادس :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف : ٦١] [١] .

١٢٣- **قال عطاء الخراساني** : يقال : إذا جاء عيسى فهو آن للساعة [٢].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الآية بأنَّ نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من علامات الساعة ، حيث إنَّه يُعلَم بنزوله أنَّ الساعة قد قربت .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أنَّ خروج عيسى علَم للساعة ، وآية على القيامة ، وهذا معنى قول عطاء الخراساني ، وابن عباس رضي الله عنهما [٤] ، وأبو هريرة رضي الله عنه [٥]، وأبو مالك الغفاري ، وعوف بن مالك [٦] [٧]، ومجاهد [٨] ، والحسن [٩]، وقتادة[١٠]، والضحاك ، والسدي ، وابن زيد[١١]، وهو قول جمهور المفسِّرين [١٢].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢٩) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٥/٢٣٥) ، زاد المسير (١٢٨٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧٨-٢٧٧٩) ، فتح القدير (٤/٧٠١) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٥) برقم : (١٨٥١٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٨٦) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، ومسدد ، وعبد بن حميد ، والطبراني من طرق .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٨٦) لعبد بن حميد .

(٦) **عوف بن مالك** = ابن نَضْلة الجُشَمي ، أبو الأحوص الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة من الثالثة ، روى عن ابن مسعود ، وأبي موسى ، وروى عنه : بن أخيه أبو الزعراء وأبو إسحاق وخلق ، قتلته الخوارج ، قتل في ولاية الحجاج على العراق . انظر : الكاشف (٢/١٠١) ، تقريب التهذيب (٤٣٣) .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣٢) .

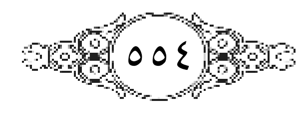
(٨) تفسير مجاهد (٢٤٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٨٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٨٧) لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/١٧٣) ، والطبري (٢٠/٦٣٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٨٧) عزوه لعبد بن حميد .

(١١) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٠/٦٣٣) .

(١٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤/٣١٨) ، بحر العلوم (٣/٢٦٢) ، الكشف والبيان (٨/٣٤١) ، الوسيط (٤/٧٩) ، معالم التنزيل (٤/١٦٦) ، الكشاف (٩٩٥) ، المحرر الوجيز (١٦٨٥) ، التفسير الكبير



القـول الثـاني : أنَّ محمـداً ﷺ عَلَـمٌ للساعة ، لأنـه خـاتم النبيين ، وقـد قـال تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر : ١] ، جوَّزه النحاس [(١)].

القـول الثالـث : أنَّ القـرآن عِلْـم الـساعة لمـا فيـه مـن البعـث والجـزاء ، قالـه الحسن [(٢)]، وسعيد بن جبير [(٣)].

القـول الرابـع : أنَّ إحيـاء عيـسى المـوتى دليـل علـى الـساعة وبعـث المـوتى ، قاله ابن إسحاق [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الراجح - والله أعلـم - هـو القـول الأول ، قـول عطـاء الخراسـاني ومـن معـه، وذلــك لدلالــة الــسياق عليــه ، وعــود الــضمير إليــه ، وقــد تقــدَّمت القاعــدة التفسيرية : أنَّ توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد ، أولى من تفريقها [(٥)].

يقـول ابـن كـثير ﷺ : (تقـدَّم تفسير ابـن إسـحاق : أنَّ المـراد مـن ذلـك : مـا بُعث به عيسى ﷺ مـن إحيـاء المـوتى وإبـراء الأكمـه والأبـرص ، وغـير ذلـك مـن الأسـقام . وفي هـذا نظـر . وأبعـد منـه مـا حكـاه قتـادة ، عـن الحـسن البـصري وسـعيد بـن جـبير : أي الـضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، عائـد علـى القـرآن ، بـل الـصحيح أنـه عائـد علـى عيـسى ﷺ ، فـإنَّ الـسياق في ذكـره ، ثم المـراد بـذلك نزولـه قبـل يوم القيامة ...) [(٦)].

والأقــوال الأخــرى وإن كانــت محتملــة كمــا حــسَّن ذلــك ابــن عطيــة [(٧)]،

(٢٠٠/٢٧) ، أنوار التنزيل (٩٤/٥) ، مدارك التنزيل (٥٢٩/٢) ، التسهيل (٥٩/٤) ، البحر المحيط (٣٦/٨) ، تفسير ابن كثير (١٣٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٠/٦) ، روح المعاني (١٤٧/٢٥) ، فتح القدير (٧٠١/٤) .

(١) معاني القرآن (١١٥٦/٢) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٣٤/٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٧/٧) عزوه لعبد بن حميد.

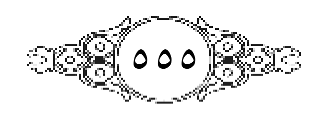
(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٣٥/٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٢٨٢) .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٣٥/٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٢٨٢) ، وابن كثير في تفسيره (١٣٩/٤) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦١٣/٢) .

(٦) تفسير ابن كثير (١٣٩/٤) .

(٧) المحرر الوجيز (١٦٨٥) .



والقرطبي [(١)]، إلا أنَّ الذي يظهر رجحان القول الأول على غيره .

ويشهد لهذا الترجيح أيضاً : أنَّ الأدلة من كتاب الله تعالى ، ومن سنة رسوله ﷺ قد تضافرت على أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام سينزل في آخر الزمان، وأنَّ نزوله من علامات الساعة الكبرى .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) ﴾ [النساء : ١٥٩] .

وكذلك من الأحاديث الواردة في ذلك :

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً ؛ فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » [(٢)].

وفي الحديث الآخر عنه رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ » [(٣)].

وعَنْ حَنْظَلَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ [(٤)] حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِراً أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا» [(٥)].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه [(٦)]. والله أعلم ،،

❋❋❋

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧٨-٢٧٧٩) .

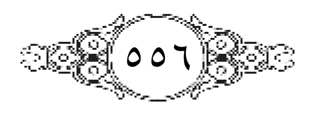
(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٢٢٢) في كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير ، وأخرجه برقم : (٣٤٤٨) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام . وأخرجه **مسلم** في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا ، برقم : (١٥٥) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٤٤٩) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام . وأخرجه **مسلم** في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا ، برقم : (١٥٥) .

(٤) **الرَّوحاء** = موضع بين مكة والمدينة ، على وزن : حمراء . انظر : معجم البلدان (٣/٧٦) .

(٥) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه في كتاب الحج ، باب إهلال النبي ﷺ وهديه ، برقم : (١٢٥٢) .

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦) .



سورة الدخان

الموضع الأول :

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الدخان : ٤] .

١٢٤- **قال عطاء الخراساني** : يُقضى في ليلة القدر كلُّ أمرٍ حكيم [(١)] .

الدراسة :

* يبيِّن عطاء الخراساني رحمه الله أنَّ الله تعالى يقضي في ليلة القدر كلّ أمر حكيم ، والفرْق خلاف الجمع ، كما هو معلوم في اللغة [(٢)] .

الأقوال في الآية[(٣)] :

اختلف في الليلة التي يرجع إليها الضمير في الآية على قولين :

القول الأول : أنها ليلة القدر ، وهو ما قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)] ، وأبو عبد الرحمن السلمي [(٥)] [(٦)] ، ومجاهد [(٧)] ، وعكرمة[(٨)] ، والضحاك [(٩)] ، والحسن البصري[(١٠)] ، وقتادة [(١١)] ، وابن زيد[(١٢)] ،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣١) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : لسان العرب (١١/١٦٨) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢١/٧) ، معاني القرآن للنحاس (٢/١١٦٣) ، النكت والعيون (٥/٢٤٥) ، معالم التنزيل (٤/١٧١) .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٧) برقم : (١٨٥٢٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٩٩) عزوه لمحمد بن نصر ، وابن المنذر .

(٥) **أبو عبد الرحمن السلمي** = عبد الله بن حبيب بن ربيعة ، الإمام ، الكوفي المقرئ ، مشهور بكنيته ، ولأبيه صحبة ، ثقة ثبت من الثانية ، روى عن عمر وعثمان ، وروى عنه : عاصم بن أبي النجود ، وأبو إسحاق ، أقرأ الناس دهراً ، مات بعد السبعين . انظر : الكاشف (١/٥٤٤) ، تقريب التهذيب (٢٩٩) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٠٠) عزوه لعبد بن حميد ، ومحمد بن نصر ، والبيهقي .

(٧) تفسير مجاهد (٢٥١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٩٩) عزوه لسعيد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

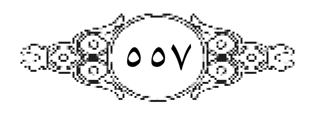
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٣٩٩) لابن أبي شيبة ، ومحمد بن نصر ، وابن المنذر ، من طريق محمد بن سوقة.

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٧) برقم : (١٨٥٢٨) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٠٠) عزوه لعبد بن حميد ، ومحمد بن نصر .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/١٨٠) ، والطبري في تفسيره (٢١/٨) .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٧) .



وهو قول جمهور المفسِّرين [(١)].

القول الثاني : أنها ليلة النصف من شعبان ، وهذا مروي عن عكرمة [(٢)].

قال ابن الجوزي رحمه الله : (والرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها ، أنه قال : في ليلة القدر ، وعلى هذا المفسِّرون) [(٣)].

ودليلهم أنَّ النبي ﷺ قال : « تُقْطَعُ الآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعَبَانَ ؛ حَتَى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِيْ المَوْتَى » [(٤)].

وقال ابن العربي رحمه الله : (ومنهم من قال : إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ؛ لأنَّ الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع : ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، فنصَّ على أنَّ ميقات نزوله رمضان ، ثم عبَّر عن زمانية الليل ها هنا بقوله : ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان : ٣] . فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله ، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ؛ لا في فضلها ، ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها) [(٥)].

* وفي معنى : ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ﴾ أقوال :

القول الأول : أي : يقضى ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول الحسن

---

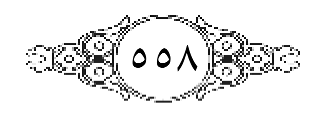
(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٢٢/٤) ، بحر العلوم (٢٦٧/٣) ، الكشف والبيان (٣٤٩/٨) ، الوسيط (٨٤/٤)، الكشاف (٩٩٨) ، زاد المسير (١٢٨٧) ، التفسير الكبير (٢١٥/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨٨/٢) ، أنوار التنزيل (٩٩/٥) ، مدارك التنزيل (٥٣٥/٢) ، التسهيل (٦٤/٤) ، البحر المحيط (٤٦/٨) ، تفسير ابن كثير (١٤٥/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٧/٦) ، روح المعاني (١٧٠/٢٥) ، فتح القدير (٧١١/٤) ، تفسير المراغي (٧٦/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٧١) ، التحرير والتنوير (٢٧٨/٢٥)، أضواء البيان (٢٠٨/٧) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٩/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٢٨٧/١٠) برقم : (١٨٥٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠١/٧) عزوه لابن المنذر .

(٣) زاد المسير (١٢٨٧) .

(٤) **منكر** . أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٢١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣٩) من طريق الليث به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠١/٧) لابن زنجويه ، والديلمي . والحديث قال عنه ابن رجب في لطائف المعارف (٢٥٦) وابن كثير في تفسيره (١٤٥/٤) : مرسل ، ومثله لا يعارض به النصوص . وقال عنه الشوكاني في تفسيره (٧١٤/٤) : وهذا مرسل ، ولا تقوم به حجة ، ولا تعارض بمثله صرائح القرآن . وقال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٦٠٧) : منكر .

(٥) أحكام القرآن (١١٧/٤) .



البصري[١]، ومجاهد [٢]، وعكرمة ، والضحاك [٣]، وقتادة[٤]، ورجَّحه الطبري[٥].

القول الثاني : يُفصَّل ويبيَّن ، وهذا قول جمهور المفسرين [٦].

القول الثالث : يُكتب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٧].

القول الرابع : يُدبَّر أمر السنة إلى السنة ، وهذا قول أبي عبد الرحمن السلمي [٨].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح في مرجع الضمير أنه يعود إلى ليلة القدر ، لأنها الليلة التي نزل فيها القرآن ، وقد نصَّ عليها في الآية التي قبلها : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الدخان : ٣] .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدَّر [٩].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٧) عزوه لعبد بن حميد ، ومحمد بن نصر .

(٢) تفسير مجاهد (٢٥١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٩/٢١) .

(٣) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨٧/١٠) برقم : (١٨٥٢٨-١٨٥٢٩) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٨٠/٣) ، والطبري في تفسيره (٩/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠١/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن نصر ، والبيهقي .

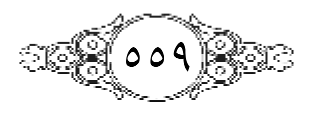
(٥) جامع البيان (١٠/٢١) .

(٦) انظر : الكشف والبيان (٣٤٩/٨) ، الوسيط (٨٥/٤) ، المفردات في غريب القرآن (٣٧٩) ، معالم التنزيل (١٧٣/٤) ، الكشاف (٩٩٩) ، المحرر الوجيز (١٦٩٠) ، زاد المسير (١٢٨٧) ، التفسير الكبير (٢١٧/٢٧) ، مدارك التنزيل (٥٣٥/٢) ، التسهيل (٦٤/٤) ، البحر المحيط (٤٦/٨) ، تفسير ابن كثير (١٤٥/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٧/٦) ، فتح القدير (٧١١/٤) ، تفسير المراغي (٧٦/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٧١) ، التحرير والتنوير (٢٧٨/٢٥)، أضواء البيان (٢٠٨/٧) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٨٧/١٠) برقم : (١٨٥٢٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٧) عزوه لمحمد بن نصر ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٧) عزوه لعبد بن حميد ، ومحمد بن نصر ، والبيهقي .

(٩) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٥٩٣/٢) .



وأيضاً : فقد بيَّنت هذه الآية آية سورة القدر : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر : ١] ، وآية البقرة : ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ومعلوم أنَّ ليلة القدر من ليالي شهر رمضان وليست في غيره .

وعليه فإنَّ من خالف هذا ؛ مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة .

قال الشنقيطي ﷺ : (فالعجب كلّ العجب من مسلم يخالف نصّ القرآن الصريح ، بلا مستند كتاب ولا سنة صحيحة) [١].

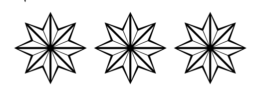
والقاعدة التفسيرية : كلُّ تفسير خالف القرآن أو السنَّة أو إجماع الأمة فهو ردّ [٢].

وأما معنى قوله تعالى : ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ﴾ فأكثر المفسِّرين على القول الثاني ، والذي يظهر والله أعلم أنه يمكن الجمع بين أقوال المفسِّرين في ذلك ، حسبما يُفهم من معنى الفَرْق ، فيقال : في هذه الليلة المباركة – ليلة القدر – يقضي الله سبحانه مقادير كلّ شيء ، ويفصِّل ويكتب ويدبِّر أمر السَّنة كلها .

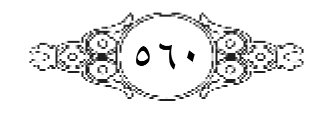
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [٣].

وقول عطاء الخراساني في المسألة قول صحيح داخل فيما ذكرت .

قال ابن عاشور ﷺ : (والأمر الحكيم : المشتمل على حكمة من حكمة الله تعالى أو الأمر الذي أحكمه الله تعالى وأتقنه بما ينطوي عليه من النُّظُم المدبرة الدالة على سعة العلم وعمومه ، وبعض تلك الأمور الحكيمة يُنفِذُ الأمرَ به إلى الملائكة الموكلين بأنواع الشؤون ، وبعضها يُنفذ الأمر به على لسان الرّسول مدة حياته الدنيوية ، وبَعْضاً يلهمُ إليه من ألهمه الله أفعالاً حكيمة، والله هو العالم بتفاصيل ذلك) [٤]. والله أعلم ، ،



(١) أضواء البيان (٧/٢٠٨) .
(٢) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (١/٢١٤) .
(٣) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .
(٤) التحرير والتنوير (٢٥/٢٨٠) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [الدخان : ١٦] [(١)].

١٢٥- **قال عطاء الخراساني** : يوم بدر [(٢)].

الدراسة :

* البطشة الكبرى الأخذ بقوة ، أو العقوبة العظيمة الكبرى ، وعيَّنها عطاء الخراساني هنا بما كان من هزيمة المشركين يوم بدر ، وقدَّم في الآية اليوم وذكره على الذي عُمِل فيه تهمُّماً به ، وتخويفاً منه [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : يوم بدر ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول عبد الله ابن عباس [(٥)]، وابن مسعود [(٦)]، وأبي بن كعب رضي الله عنه [(٧)]،وأبو العالية [(٨)]، وإبراهيم النخعي [(٩)]، ومجاهد [(١٠)]، والضحاك ،وابن زيد [(١١)]، وسعيد بن

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٢) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (١٦٩١) .

(٤) انظر : جامع البيان (٢٥/٢١) ، معاني القرآن للنحَّاس (١١٦٤/٢) ، النكت والعيون (٢٤٨/٥) ، المحرر الوجيز (١٦٩١) ، زاد المسير (١٢٨٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩١/٢) ، أنوار التنزيل (١٠٠/٥) ، مدارك التنزيل (٥٣٦/٢) ، التسهيل (٦٥/٤) ، تفسير ابن كثير (١٤٦/٤) ، روح المعاني (١٨٤/٢٥).

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧) عزوه لابن مردويه .

(٦) أخرجه عنه **الصنعاني** في تفسيره (١٨١/٣) ، **والبخاري** في صحيحه في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ برقم : (٤٨٢١) . وأخرجه **مسلم** في صحيحه ، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان ، برقم : (٢٧٩٨) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

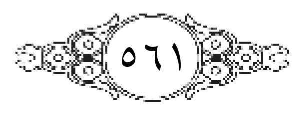
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦/٢١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧-٤٠٩) لعبد بن حميد، وابن أبي شيبة .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦/٢١) .

(١٠) تفسير مجاهد (٢٥١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٧/٢١) .



جبير ، والحسن ، ومحمد بن سيرين ، وعطية ، وقتادة [(١)]، وهو قول جمهور المفسرين [(٢)].

قال الشوكاني رحمه الله : (الظاهر أنه يوم بدر ، وإن كان يوم القيامة يوم بطشة أكبر من كل بطشة ، فإنَّ السياق مع قريش ، فتفسيره بالبطشة الخاصة بهم أولى من تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الإنس والجنّ)[(٣)].

القول الثاني : يوم القيامة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وعكرمة [(٥)]، والحسن [(٦)]، واختاره الزمخشري [(٧)]، وتبعه جمعٌ من المفسِّرين [(٨)]، ومثله قول الماوردي : أنها قيام الساعة ، لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا [(٩)].

قال الرازي رحمه الله : (وهذا القول أصح ؛ لأنَّ يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم ، ولأنَّ الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾[غافر : ١٧]، ولأنَّ هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى على الإطلاق وجب أن تكون أعظم أنواع البطش وذلك ليس إلا في القيامة ...) [(١٠)].

القول الثالث : أنَّ البطشة الكبرى هي الدخان الذي يجيء قبل قيام الساعة[(١١)]، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ، والحسن ، وزيد بن علي [(١٢)].

---

(١) عزاه عنهم السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧) لعبد بن حميد ، وابن جرير – ولم أقف عليه عنده – .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٣٩/٣) ، معاني القرآن للزجاج (٣٢٤/٤) ، بحر العلوم (٢٦٩/٣) ، الكشف والبيان (٣٥١/٨) وقال : هذا قول أكثر العلماء ا.هـ ، الوسيط (٨٧/٤) ، معالم التنزيل (١٧٦/٤) ، البحر المحيط (٤٨/٨) ، فتح القدير (٧١٥/٤) ، التحرير والتنوير (٢٩٣/٢٥) .

(٣) فتح القدير (٧١٥/٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٩/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧/٢١) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٨/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) الكشاف (١٠٠٠) .

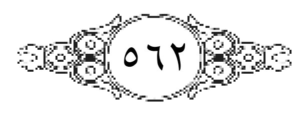
(٨) التفسير الكبير (٢٢١/٢٧) ، إرشاد العقل السليم (٥٠/٦) ، تفسير المراغي (٨٠/٩) .

(٩) النكت والعيون (٢٤٨/٥) .

(١٠) التفسير الكبير (٢٢١/٢٧) .

(١١) بحر العلوم (٢٦٩/٣) ، الكشف والبيان (٣٥٠/٨) .

(١٢) حكاه عنهم الثعلبي في الكشف والبيان (٣٥١/٨) .



الجمع أو الترجيح :

القول الثالث يدخل في القول الثاني ، باعتبار أنَّ الدخان من علامات يوم القيامة .

والقول الثاني على وجاهته ، إلاَّ أنَّ القول الأول هو الراجح الذي دلَّ عليه سبب نزول الآية ، ويشهد له السِّياق .

فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّه : (إِنَّمَا كَانَ هَذَا لأنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنْ الْجَهْدِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

قَالَ : فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ ! قَالَ : " لِمُضَرَ ! إِنَّكَ لَجَرِيءٌ " فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسُقُوا ، فَنَزَلَتْ : ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ ، قَالَ : يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ)[١].

والسياق يشهد لهذا القول أيضاً كما مرَّ في قول الشوكاني السابق .

فسبب النزول ، والسياق ، وكون هذا التفسير جاء عن جماعة من الصحابة ؛ كلُّها مرجِّحات لهذا القول الذي قال به عطاء الخراساني ومن معه .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا صحَّ سبب النزول الصَّريح فهو مرجِّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

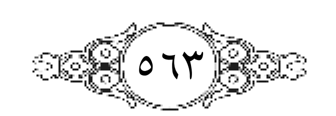
والقاعدة الأخرى : أنَّ القول الذي تؤيِّده قرائن في السياق مرجَّحٌ على ما خالفه[٣]. والله أعلم ، ،

---

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٨٢١) في كتاب التفسير ، سورة الدخان ، باب : ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٤١) .

(٣) المرجع السابق (١/٢٩٩) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الدخان : ٢٤].

١٢٦- **قال عطاء الخراساني** : يابساً منفرجاً [(١)] .

الدراسة :

* يبيِّن الله في هذه الآية طرَفاً من قصة موسى عليه السلام وقومه ، مع فرعون وقومه ، حين أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه ، وأن يمشي هو وقومه في الطريق الذي فتح في البحر فنجوا ، ثمَّ ما لبث أن دخل فرعون وقومه وراءهم فأمر الله البحر فعاد كما كان فهلكوا ، وفي ذلك نصرة من الله لأنبيائه .

الأقوال في الآية[(٢)] :

واختلف العلماء في المراد بالرَّهو في الآية على أقوال :

القول الأول : يابساً منفرجاً ، كما قال عطاء الخراساني رحمه الله ، وهو بنحو قول الحسن [(٣)]، وعكرمة [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وقتادة [(٦)]، ومحمد بن كعب القرظي[(٧)]، وجماعة من المفسِّرين [(٨)] . وأُخِذ من قوله تعالى : ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ [طه : ٧٧] .

القول الثاني : اتركه على هيئته وحاله التي كان عليها ، وهذا قول كعب

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٣) ، ص٩٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢١/٣٥-٣٧) ، بحر العلوم (٣/٢٧٠) ، الكشاف (١٠٠١) ، التفسير الكبير (٢٧/٢٢٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٩٣) ، أنوار التنزيل (٥/١٠١) ، البحر المحيط (٨/٥١) ، إرشاد العقل السليم (٦/٥١).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٠) لابن الأنباري في كتاب الأضداد .

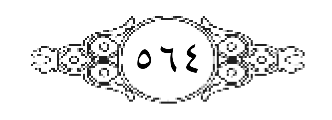
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٧) .

(٥) تفسير مجاهد (٢٥١) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/١٨٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٠) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . وأخرج السيوطي أيضاً من رواية عبد بن حميد أنه قال : طريقاً منفرجاً .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/١٨٤) ، والطبري (٢١/٣٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٠) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٠) .

(٨) النكت والعيون (٥/٢٥٠) .



الأحبار [١]، وابن عباس رضي الله عنهما [٢]، ومروي عن قتادة [٣]، وجماعة من المفسِّرين[٤].

القول الثالث : اتركه سهلاً دمثاً [٥]. قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، والرَّبيع بن أنس[٦]، والحسن [٧]، والضحاك [٨]، وابن زيد [٩].

ومن هذا المعنى ما أورده البخاري تعليقاً أنَّ رافع بن خديج اشترى بعيراً ببعيرين فأعطاه أحدهما ، وقال : آتيك بالآخر غداً رهواً إن شاء الله [١٠].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح : (وَقَوْله " رَهْوًا " بِفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُون الْهَاءِ أَيْ سَهْلاً ، وَالرَّهْوُ السَّيْرُ السَّهْلُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِ سَرِيعاً مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ) [١١].

القول الرابع : ساكناً . قاله الفراء [١٢]، والزجاج [١٣]، واختاره الواحدي[١٤]، والبغوي [١٥]، وجماعة من المفسِّرين[١٦].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٢٨٨/١٠) برقم : (١٨٥٤٨) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٢٨٨/١٠) برقم : (١٨٥٤٦-١٨٥٤٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤١٠/٧) عزوه لابن المنذر ، وابن عبد الحكم في فتوح مصر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٠/٧) لابن الأنباري .

(٤) انظر : الكشف والبيان (٣٥٢/٨) ، تفسير ابن كثير (١٤٩/٤) ، فتح القدير (٧١٧/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٧٣) ، التحرير والتنوير (٣٠١/٢٥) .

(٥) **دَمِث** = لان وسَهُل ، والدَّمثُ : المكان الليِّن ذو الرَّمل . انظر : لسان العرب (٢٩٦/٥) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٣٦/٢١) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٠/٧) لابن عبد الحكم .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦/٢١) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦/٢١) .

(١٠) **صحيح** . أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب البيوع ، باب بيع العبيد والحيوان بالحيوان نسيئة (١٠٨/٣) .

(١١) فتح الباري (٥٣٠/٤) .

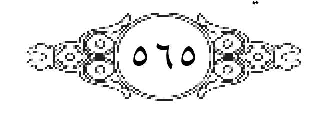
(١٢) معاني القرآن للفراء (٤٠/٣) .

(١٣) معاني القرآن للزجاج (٣٢٤/٤) .

(١٤) الوسيط (٨٨/٤) .

(١٥) معالم التنزيل (١٧٧/٤) .

(١٦) انظر : المحرر الوجيز (١٦٩٢) ، زاد المسير (١٢٨٩) ، مدارك التنزيل (٥٣٧/٢) ، التسهيل (٦٦/٤) ، روح المعاني (١٨٨/٢٥) ، تفسير المراغي (٨٢/٩) .



الجمع أو الترجيح :

الأقــوال متقاربــة [1]، والاخــتلاف فيهــا اخــتلاف تنــوُّع لا اخــتلاف تــضادّ . والمقـصود – والله أعلـم – أنَّ موسـى ﷺ لمـا جـاوز هـو وبنـو إسـرائيل البحـر ، أراد موسـى أن يـضربه بعـصاه حـتى يعـود كمـا كـان ، ليـصير حـائلاً بينـهم وبـين فرعون ، فـلا يـصل إلـيهم ؛ فـأمره الله أن يتركـه علـى حالـه سـاكناً ، وبـشَّره بـأنهم جند مغرقون فيه ، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشى [2].

فيقـال : هـو أمـر لموسـى ﷺ أن يتـرك البحـر علـى حالـه وهيئتـه الـتي كـان عليهـا حـين سـلَكَه ، وإذا كـان ذلـك فـلا شـكّ أنـه متـروك سـهلاً دَمِثـاً ، وطريقـاً يَبَساً لأنَّ بني إسـرائيل قطعـوه حـين قطعـوه ، وهـو كـذلك ، فـإذا تركـه رهـواً كمـا كان حين قطعه ساكناً لم يُهج ؛ كان لا شكّ أنه بهذه الصفة [3].

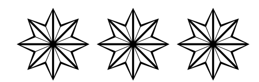
والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [4].

وقول عطاء الخراساني هنا في هذا الموضع صحيح ، داخل في المعنى .

قـال الراغـب ﷺ : (رهـواً : أي سـاكناً ، وقيـل : سـعة مـن الطريـق وهـو الـصحيح ، ومنـه الرهـاء للمفـازة المـستوية ، ويقـال لكـل حومـة مـستوية يجتمـع فيهـا المـاء : رهـو ، ومنـه قيـل : لا شـفعة في رهـو ، ونظـر أعـرابي إلى بعـير فـالج فقال: رهو بين سنامين) [5].

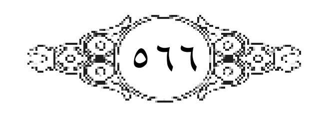
قـال الألوسـي ﷺ معقِّبـاً : (والحـقُّ أنَّ مـا ذكـره مـن جملـة إطلاقاتـه ، وأمـا أنه الصحيح فلا) [6].

والله أعلم ،،



---

(١) انظر : معاني القرآن للنحاس (١١٦٥/٢) .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١٤٩/٤) .
(٣) انظر : جامع البيان (٣٧/٢١-٣٨) .
(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .
(٥) المفردات في غريب القرآن (٢١٠) .
(٦) روح المعاني (١٨٨/٢٥) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان : ٢٩] [(١)] .

١٢٧- **قال عطاء الخراساني** : ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض ؛ إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكَت عليه يوم يموت [(٢)] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه بن المبارك في كتاب الزهد (١١٥) قال : أخبركم أبو عمر بن حيوية ، وأبو بكر الوراق ، قالا : أخبرنا يحيى ، قال حدثنا الحسين ، قال أخبرنا ابن المبارك ، قال أخبرنا الأوزاعي ، قال حدثنا عطاء الخراساني ... وذكر الأثر .. **ودراسة الإسناد** :

أبو عمر بن حيوية : محمد بن العباس ، أبو عمر الخزاز ، وقد تقدَّمت ترجمته .

أبو بكر الوراق : محمد بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الوراق ، وتقدَّمت ترجمته .

يحيى : يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب ، وتقدَّمت ترجمته .

الحسين : الحسين بن الحسن المروزي ، صاحب ابن المبارك ، وتقدمت ترجمته .

ابن المبارك : عبد الله بن المبارك المروزي ، مولى بني حنظلة ، الإمام الحافظ ، الثقة الثبت الفقيه العالم الجواد المجاهد ، جمعت فيه خصال الخير ، من الثامنة ، ولد سنة ١١٨هـ ، وتوفي بهيت سنة ١٨١هـ في رمضان ، وله ثلاث وستون . انظر : الكاشف (١/٥٩١) ، تقريب التهذيب (٣٢٠) .

الأوزاعي : هو عبد الرحمن بن عمرو ، شيخ الإسلام ، أبو عمرو الأوزاعي ، الحافظ الفقيه الزاهد ، روى عن : عطاء ، ومكحول ، ومحمد بن إبراهيم التيمي ، ورأى محمد بن سيرين ، وروى عنه : قتادة ، ويحيى بن أبي كثير شيخاه ، وأبو عاصم ، والفريابي ، وكان رأساً في العلم والعبادة ، مات في الحمام في صفر ١٥٧هـ . انظر : الكاشف (١/٦٣٨) .

وبهذا الإسناد يكون هذا الأثر صحيحاً عن عطاء الخراساني رجاله ثقات .

وقد أخرجه أيضاً : أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/١٩٧) بسنده قال : حدثنا محمد بن معمر ، ثنا أبو شعيب الحراني ، قال ثنا يحيى بن عبدالله، قال ثنا الأوزاعي ، قال حدثني عطاء الخراساني... وذكر الأثر ... **ودراسة الإسناد** :

محمد بن معمر : ابن ناصح ، أبو مسلم الذهلي ، الأديب ، توفي في صفر سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، روى عن : موسى بن هارون ، ويوسف القاضي ، وأبي شعيب ، وطبقتهم ، وروى عن ابن أبي عاصم ببعض مصنفاته . انظر : تاريخ أصبهان (٢/٢٥٥) .

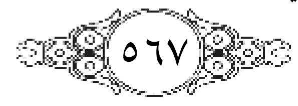
أبو شعيب الحراني : عبد الله بن الحسن ، أبو شعيب الحراني ، معمر صدوق ، روى عن : البابلتي ، وعفان، قال الدارقطني : ثقة مأمون ا.هـ ، وكان غير متهم لكنه أخذ الدراهم على الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ ويهم ا.هـ ، وكان ثقة فصيحاً ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وهو ابن تسعين سنة . انظر : لسان الميزان (٣/٢٧١) .

يحيى بن عبد الله : يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلُتِّي ، أبو سعيد الحراني ، ابن امرأة الأوزاعي ، ضعيف، من التاسعة ، مات سنة ثماني عشرة ومائتين ، وهو ابن سبعين . انظر : تقريب التهذيب (٥٩٣) .

الأوزاعي : تقدَّمت ترجمته .

وبهذا يكون الإسناد ضعيفاً عن عطاء الخراساني لوجود يحيى البابلتي فيه .

وقد ذكره أيضاً : ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/١٥٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن



وفي لفظ : ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع ، واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين ، وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرفت له الأرض ، ويقال : ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم [(١)].

١٢٨- وقال أيضاً : بكاؤها حُمرة أطرافها [(٢)].

الدراسة :

* يعني عطاء الخراساني أنَّ المؤمن تشهد له مواضع سجوده يوم القيامة، وإذا مات بكت عليه تلك المواضع ، ولعلَّ من هذا المعنى أيضاً قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة : ٤] .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : أنه ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض ؛ إلا شهدت له يوم القيامة ، وبكت عليه يوم يموت ، قاله عطاء الخراساني ، وهو معنى قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه [(٤)]، وابن عباس رضي الله عنهما [(٥)] ، وسعيد بن جبير [(٦)]، والضحاك [(٧)]، وقتادة [(٨)]، ومعاوية بن قرة [(٩)]. وهو قول جماعة

(٢٧٩٤/٢)، والثعالبي في الجواهر الحسان (١٦١/٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٣/٧) عزوه لأبي نعيم ، وابن أبي الدنيا ، وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٠٧) ، والعجلوني في كشف الخفاء (١٨/٢) .

(١) ذكره عنه بهذا اللفظ : الغزالي في إحياء علوم الدين (١٥٢/١) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١/٢١) ، بسنده قال : حدثني عليّ بن سهل ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء قال : ... وذكر الأثر . **وقد سبقت دراسة رجال هذا الإسناد ، وهو إسناد حسن** .
وذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١٥٠/٤) .

(٣) الكشف والبيان (٣٥٣/٨) ، النكت والعيون (٢٥٢/٥) ، الوسيط (٩٠/٤) ، زاد المسير (١٢٩٠) ، التفسير الكبير (٢٢٣/٢٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩٤/٢) .

(٤) عزاه السيوطي عنه في الدر المنثور (٤١٣/٧) لابن المبارك ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، وابن المنذر.

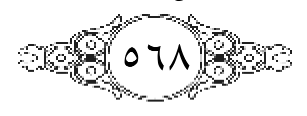
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢/٢١-٤٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٤/٢١) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٨٥/٣) ، والطبري في تفسيره (٤٤/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤١١/٧-٤١٢) عزوه لعبد بن حميد .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٧) لعبد بن حميد .



المفسِّرين [١]؛ كالزجَّاج [٢]، والبغوي [٣]، والنسفي [٤]، وابن كثير [٥].

واستشهد لذلك بعضهم بما رواه يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وَلَهُ بَابَانِ : بَابٌ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ ، وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ ، فَإِذَا مَاتَ بَكَيَا عَلَيْهِ » ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [٦].

<u>القول الثاني</u> : أنَّ هذا على سبيل المثل ، والعرب إذا أرادت تعظيم ملك عظيم الشأن عظيم العطية تقول : كسف القمر لفقده ، وبكت الريح والسماء والأرض . قاله النحاس [٧]، والسمرقندي [٨]، والزمخشري [٩]، وابن عطية[١٠]، وجماعة من المفسِّرين [١١]، ومنه قول الشاعر[١٢]:

---

(١) انظر : الوسيط (٤/٩٠) .

(٢) معاني القرآن للزجاج (٤/٣٢٥) .

(٣) معالم التنزيل (٤/١٧٨) .

(٤) مدارك التنزيل (٢/٥٣٧) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/١٤٩) .

(٦) **ضعيف** . ذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٨) برقم : (١٨٥٥٠) . وأخرجه الواحدي في الوسيط (٤/٨٩-٩٠) . والترمذي في سننه ، برقم : (٣٢٥٥) في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الدخان ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وموسى بن عبيدة ، ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث ا.هـ . وقال عنه ابن حجر في المطالب العالية (٤/١٥٤) : إسناده ضعيف ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٠٨) : فيه موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف .

(٧) معاني القرآن للنحاس (٢/١١٦٦) .

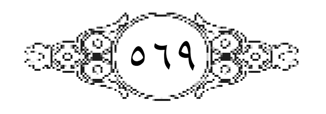
(٨) بحر العلوم (٣/٢٧١) .

(٩) الكشاف (١٠٠١) .

(١٠) المحرر الوجيز (١٦٩٤) .

(١١) انظر : أنوار التنزيل (٥/١٠٢) ، التسهيل (٤/٦٧) ، البحر المحيط (٨/٥٢) ، إرشاد العقل السليم (٦/٥١) ، روح المعاني (٢٥/١٩٠) ، فتح القدير (٤/٧١٧) ، تفسير المراغي (٩/٨٣) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٧٣) ، التحرير والتنوير (٢٥/٣٠٤) .

(١٢) **البيت لجرير بن عطية الخطفي** . من قصيدة يرثي بها عمر بن عبد العزيز ﷺ . انظر : ديوان جرير ص(٣٠٤) ، والمعنى : أي الشمس منكسفة تبكي عليك الشهر والدَّهر ، أي ما طلع نجم وقمر ، وبعضهم جعله على معنى المغالبة ؛ أي أنَّ الشمس تغلب النجوم بكاءً ، وروى الليث : فالشمس طالعة ليست بكاسفة .... ومعناها : أنها طالعة تبكي عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها.



فالــشَّمْسُ كَاسِــفَةٌ لَيْــسَتْ بِطَالِعَــةٍ   تَبْكِــيْ عَلَيْــكَ نُجُــوْمَ اللَّيْــلِ والقَمَــرَا

القول الثالث : يعني أهل السماء وأهل الأرض ، قاله الحسن [1]، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد : ٤] ، أي : أهل الحَرب ، ذكره الماوردي[2].

القول الرابع : أنَّ السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[3] ، ووهب [4]، ومجاهد [5]، قال أبو يحيى : فعجبت من قوله ، فقال : أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النَّحل ؟ [6].

واستدلوا بحديث شريح بن عبيد الحضرمي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الإسْلامَ بَدأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً ، ألا لا غُرْبَةَ عَلى المُؤْمِن ، ما مَاتَ مُؤْمِنٌ فِي غُرْبَةٍ غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ إلا بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ والأرْضُ » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ، ثم قال : « إنَّهُمَا لا يَبْكِيَانِ عَلَى الكَافِرْ » [7].

* وأما عن صفة بكاء السماء فقيل فيه : أنه حمرة أطرافها ، كما قال عطاء الخراساني ، والسدي[8]، والحسن ، وسفيان الثوري [9].

---

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٥٢/٥) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٢٥٢/٥) ، زاد المسير (١٢٩٠) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٧) لابن المبارك ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، والحاكم ، والبيهقي في الشعب . وعزاه بنحوه (٤١٣/٧) لأبي الشيخ في العظمة .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٧) لعبد بن حميد .

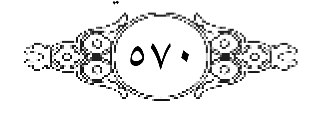
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٢/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤١١/٧-٤١٢) عزوه لأبي الشيخ في العظمة ، ولابن أبي شيبة والبيهقي (٤١٣/٧) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٧) لعبد بن حميد ، وأبو الشيخ في العظمة .

(٧) **مرسل** . أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤١٢/٧) عزوه لابن أبي الدنيا . وقال عنه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٣٠/٧) ، والسخاوي في المقاصد الحسنة (١٧٣) ، والشوكاني في فتح القدير (٧٢٠/٤) : مرسل .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١/٢١) .

(٩) عزاه عنهما السيوطي في الدر المنثور (٤١٤/٧) لابن أبي الدنيا .



الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – هو القول الثاني ؛ أنَّ هذا على سبيل المثال ، لوضوح الدلالة عليه ، ولموافقته للغة العربية ؛ إذ يكثر هذا الاستعمال عند العرب .

قال الزمخشري ﵀ : (فيه تهكُّم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظُم فقده : فيقال فيه : بكت عليه السماء والأرض . وعن الحسن : فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون ، بل كانوا بهلاكهم مسرورين ، يعني : فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض) [١].

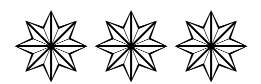
وقال ابن عطية ﵀ : (والمعنى الجيد في الآية أنها استعارة بارعة فصيحة تتضمن تحقير أمرهم ، وأنهم لم يتغير عن هلاكهم شيء ، وهذا نحو قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم : ٤٦]...) [٢] .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٣].

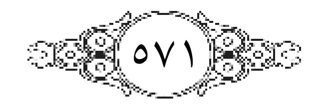
وقول عطاء الخراساني قد يعتبر من المثال ، وهو مأخوذ من أنَّ الأرض تشهد على الناس يوم القيامة ، فربما قاس عليها أنها تبكي عليه حين يموت .

قال السعدي ﵀ : (لما أتلفهم الله وأهلكهم لم تبك عليهم السماء والأرض أي لم يُحزن عليهم ، ولم يُؤس على فراقهم ، بل كلٌ استبشر بهلاكهم وتلفهم حتى السماء والأرض ؛ لأنهم ما خلَّفوا من آثارهم إلا ما يسوِّد وجوههم ، ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين) [٤].

والله أعلم ..



(١) الكشاف (١٠٠١) .
(٢) المحرر الوجيز (١٦٩٤) .
(٣) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٧٣) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان : ٥٤] .

١٢٩- **قال عطاء الخراساني** : يعني سوداء الحدَقة ، عظيمة العين [(١)] .

الدراسة :

* يبيِّن عطاء الخراساني رحمه الله وصفاً من أصاف الحور العين اللاتي أعدَّهنَّ الله للمؤمنين في الجنة ؛ أنَّ الواحدة منهنَّ سوداء الحدَقة ، عظيمة العين .

والحَوَر : هو ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد [(٢)]، ويقال: عين حَوْرَاء ؛ إذا اشتدَّ بياض بياضها ، واشتدَّ سواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترقّ جفونها ، ويبيضّ ما حواليها [(٣)].

والعِيْن : جمع عيناء ، وهي العظيمة العَيْن ، أو الواسعة [(٤)]، أو حسنة العين [(٥)].

وقول عطاء الخراساني ؛ الحور العين : سوداء الحدقة ، عظيمة العين ، هو بنحو قول من قال : نقية البياض ، واسعة العين حسناً . وهذا معنى قول قتادة [(٦)]، والضحاك [(٧)]، والفرَّاء [(٨)]، وجمهور المفسِّرين [(٩)].

---

(١) تفسير مجاهد (٢٥٢) ، قال : أنبأ عبد الرحمن ، قال : ثنا إبراهيم ، قال : نا آدم ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وسبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(٣٢٨) .
وقد عزاه أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٧) للبيهقي في البعث والنشور .

(٢) المفردات في غريب القرآن (١٤٢) .

(٣) انظر : لسان العرب (٢٦٥/٤) .

(٤) المصدر السابق (٣٥٨/١٠) .

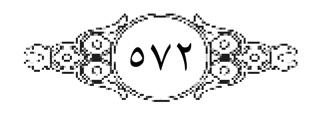
(٥) المفردات في غريب القرآن (٣٥٨) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (١٨٨/٣) ، والطبري في تفسيره (٦٦/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٢٠/٧) لهناد بن السري ، وعبد بن حميد .

(٨) معاني القرآن (٤٣/٣) .

(٩) انظر : بحر العلوم (٢٧٤/٣) ، الكشف والبيان (٣٥٦/٨) ، معالم التنزيل (١٨٢/٤) ، التفسير الكبير (٢٢٩/٢٧)، زاد المسير (١٢٩٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٠٠/٢) ، أنوار التنزيل (١٠٤/٥) ، مدارك التنزيل (٥٤٠/٢) ، إرشاد العقل السليم (٥٤/٦) ، روح المعاني (٢٠٧/٢٥) ، فتح القدير (٧٢٢/٤) ، تفسير المراغي (٨٧/٩) ، التحرير والتنوير (٣١٩/٢٥) .



وقال ابن عباس رضي الله عنهما : البيضاء الممتعة [(١)].

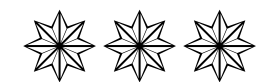
وقال مجاهد : الحور التي يَحار الطَّرف فيها من بياضها وصفاء لونها [(٢)].

وكل هذا بيان لوصف الحور اللاتي أعدَّهن الله لأهل الجنة ، جعلنا الله من أهلها .

قال السعدي رحمه الله : (نساء جميلات من جمالهن وحسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن ، وينبهر العقل بجمالهن ، وينخلِب اللبُّ لكمالهن ﴿عِينٌ﴾ أي: ضخام الأعين حِسَانها) [(٣)].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (وشمل الحور العين النساء الّلاءِ كُنَّ أزواجهن في الدنيا ، ونساءً يخلقهن الله لأجل الجنة ، قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ [الواقعة : ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ﴾ [يس : ٥٦]) [(٤)].

والله أعلم ، ،

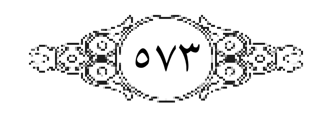


(١) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٢٠) للطستي .

(٢) تفسير مجاهد (٢٥٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٦٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٢٠) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٧٤-٧٧٥) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٥/٣١٩) .



سورة الأحقاف

* في قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] [(١)].

١٣٠- **قال عطاء الخراساني** : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ [(٢)].

الدراسة :

* يعيِّن عطاء الخراساني أولوا العزم من الرسل بأنهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ، ومعنى أولو العزم : أي الذين صبروا وثبتوا وجدُّوا في سبيل دعوتهم ، وعلى هذا فـ (من) في الآية تبعيضية أي بعض الرسل هم أولوا عزم ، وهنا لما قرر تعالى التوحيد والنبوة وأجاب عن الشبهات ؛ أردفه بما يجري مجرى النصيحة للرسول ﷺ ، وذلك لأنهم كانوا يؤذونه ، ويُوجِسُون صدره ؛ فأمره بالصبر كما صبر أُولو الجِدِّ والثَّبَات [(٣)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٧٧/٢١) قال : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: ثنى ثوابة بن مسعود ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :

يونس هو : يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة ، أبو موسى الصدفي المصري ، أحد الأئمة ، روى عن بن عيينة ، والوليد بن مسلم ، وروى عنه : مسلم ، والنسائي ، وابن ماجة ، والطحاوي ، وأبو الطاهر المديني، ثقة فقيه محدث مقرئ ، من العقلاء النبلاء مات ٢٦٤هـ . انظر : الكاشف (٤٠٣/٢) .

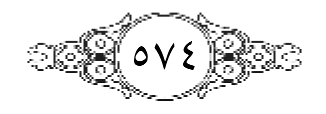
ابن وهب هو : عبد الله بن وهب أبو محمد الفهري المصري ، مولاهم ، أحد الأعلام ، روى عن بن جريج، ويونس . وروى عنه : أحمد بن صالح ، وحرملة ، والربيع ، قال يونس بن عبد الأعلى : طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع ، توفي سنة ١٩٧هـ . انظر : الكاشف (٦٠٦/١) .

ثوابة بن مسعود هو : ثوابة بن مسعود التنوخي شيخ لابن وهب ، قال بن يونس في تاريخه : منكر الحديث انتهى ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أنه يروي عن عثمان بن عطاء الخراساني . انظر : الثقات (١٥٨/٨) ، لسان الميزان (٨٥/٢) . وعلى هذا فلعلَّ بينه وبين عطاء الخراساني انقطاع بسقوط عثمان من السند . والله أعلم .

وعليه فهذا القول منقطع الإسناد عن عطاء الخراساني .

وقد ذكره عنه أيضاً : النحاس في معاني القرآن (١١٨٩/٢) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧١٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٩٥/٨) ، والألوسي في روح المعاني (٥٣/٢٦) .

(٣) انظر : الكشاف (١٠١٦) ، التفسير الكبير (٣٢/٢٨) ، اللباب لابن عادل (٤٢٠/١٧) ، المعجم الوسيط (٥٩٩) .



الأقوال في الآية[1] :

أبرز هذه الأقوال التي ذكرها المفسِّرون هي :

القول الأول : قول عطاء الخراساني أنَّ أولي العزم من الرسل ، هم الخمسة الذين ذكرهم ، وهم أصحاب الشرائع ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2]، ومجاهد[3]، وقتادة[4]، وابن السائب[5]، واختاره جماعة من المفسرين[6].

القول الثاني : أنَّ جميع الأنبياء أولوا العزم ، ولم يبعث الله رسولاً إلا كان ذا عزم وحزم ؛ فأُمِر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا ، وهذا قول ابن زيد[7]، واختاره الواحدي[8]، وابن عطية[9] ، وعلى هذا القول تكون « مِنْ » دخلتْ للتجنيس لا للتبعيض ، كما تقول : قد رأيتُ الثياب من الخَزِّ والجِباب من القَزِّ ، وهذا القول قد أجاب عنه الشنقيطي واعترض عليه بكلام مطوَّل[10].

---

(١) انظر : بحر العلوم (٣/٢٩٤) ، الكشف والبيان (٩/٢٥) ، النكت والعيون (٥/٢٨٨) ، معالم التنزيل (٤/٢٠٧) ، الكشاف (١٠١٦) ، زاد المسير (١٣٠٦) ، التفسير الكبير (٢٨/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٢٨) ، مدارك التنزيل (٢/٥٥٨) ، البحر المحيط (٨/٩٥) ، فتح القدير (٥/٣٢) .

(٢) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٤) لابن أبي حاتم – ولم أجده عنده – ، وابن مردويه .

(٣) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن (٢/١١٨٩) ، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٨٨) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٢٨) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٠١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٥) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠٦) .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤/٣٤١) ، معاني القرآن للنحاس (٢/١١٨٩) ، أنوار التنزيل (٥/١١٧) ، التسهيل (٤/٨٥) ، تفسير ابن كثير (٤/١٨١)، إرشاد العقل السليم (٦/٨٠) ، روح المعاني (٢٦/٥٤) ، تفسير المراغي (٩/١٣٠) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/١٧٧) .

(٨) الوسيط (٤/١١٦) .

(٩) المحرر الوجيز (١٧١٧) .

(١٠) **فائدة** : قال في أضواء البيان (٧/٢٦٦) : (واعلم أن القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأن لفظة من ، في قوله : من الرسل بيانية يظهر أنه خلاف التحقيق، كما دل على ذلك بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ الآية [القلم : ٤٨] ، فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر ، ونهاه عن أن يكون مثل يونس ، لأنه هو صاحب الحوت وكقوله : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه : ١١٥] ، فآية القلم ، وآية طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي ﷺ بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل والعلم عند الله تعالى) .

القول الثالث : أنَّ أولي العزم نوح وهود وإبراهيم ، فأمر الله رسوله ﷺ أن يكون رابعهم ، وهذا قول أبو العالية الرياحي [(١)].

القول الرابع : أنَّ منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب ، وليس آدم منهم ولا يونس ولا سليمان ، قاله ابن جريج [(٢)].

القول الخامس : هم الذين أمروا بالقتال حتى مضوا على ذلك ؛ نوح وهود وصالح وموسى وداود وسليمان ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، وابن السائب [(٤)]، وحكي عن السدي [(٥)]، والكلبي [(٦)].

القول السادس : أنهم نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى ، قاله قتادة[(٧)].

القول السابع : أنَّ أولي العزم من الرسل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر ، قاله جابر بن عبد الله رضي الله عنه [(٨)].

القول الثامن : أولو العزم ستَّة : نوح صبر على أذى قومه فكانوا يضربونه حتّى يغشى عليه ، وإبراهيم صبر على النَّار ، وإسحاق صبر على الذبح ، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ، ويوسف صبر في البئر وفي السجن ، وأيّوب صبر على ضرّه ، قاله مقاتل [(٩)].

القول التاسع : أنهم إبراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وعيسى ، ومحمد ، صلى الله عليهم وسلم ، قاله السدي [(١٠)].

---

(١) حكاه عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/٢٩٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٤) لعبد بن حميد، وأبو الشيخ ، والبيهقي في الشعب ، وابن عساكر .

(٢) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٤) لابن المنذر .

(٣) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٥) لابن مردويه .

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠٦) .

(٥) حكاه عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/٢٩٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠٦) .

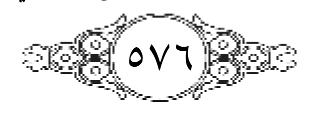
(٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/٢٥) ، والبغوي في معالم التنزيل (٤/٢٠٧) .

(٧) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٤) لابن عساكر .

(٨) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٥٥) لابن مردويه .

(٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/٢٥) ، والبغوي في معالم التنزيل (٤/٢٠٧) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧١٦).

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٢٨٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠٦) .



القول العاشر : أنهم الأنبياء الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام[1]، قاله الحسين بن الفضل [2].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - القول الأول ، قول عطاء الخراساني ، أنَّ أولي العزم من الرسل هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وهذا التخصيص هو الذي يؤيده القرآن الكريم ويشهد له .

فقد قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب : ٧] .

فذكر سبحانه في هذه الآية أنه أخذ من النبيِّين ميثاقهم ثم خصَّ منهم هؤلاء الخمسة الذين هم أولوا العزم من الرسل .

وكذلك فقد بيَّن جلَّ وعلا الميثاق الذي أخذه على هؤلاء الخمسة في قوله تعالى : ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى : ١٣] .

فاقتضى أن يكون أولوا العزم أربعة ، وهو خامسهم ﷺ ، وهذا ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [3]، وجماعة من المحققين [4].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدَّم على ما عدم ذلك [5].

---

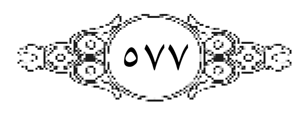
(١) في قول الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام : ٨٣-٨٦] .

(٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٢٥/٩) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧١٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/١) ، (١٠٥/٢) .

(٤) انظر : عدة الصابرين (٢٤/١) ، الإتقان في علوم القرآن (٧٧٧) ، مرقاة المفاتيح (٣٠٧/١) ، معارج القبول (٤٠٣/٢) ، أضواء البيان (٢٦٦/٧) ، تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين –سورة البقرة- (٤١/٢) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١) .



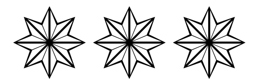
قال الألوسي رحمه الله : (وقول الجلال السيوطي : إنَّ أصحها القول بأنهم خمسة هؤلاء الأربعة ونبينا ﷺ وعليهم أجمعين ... ونظمهم بعض الأجلة فقال:

أولو العزم نوح والخليل الممجد وموسى وعيسى والحبيب محمد

مبني على أنهم كذلك بعد نزول الآية ، وتأسى نبينا عليه السلام بمن أمر بالتأسي به ... ولعلَّ الأولى في الآية القول الأول وإن صار أولوا العزم بعد مختصاً بأولئك الخمسة عليهم الصلاة والسلام عند الإطلاق لاشتهارهم بذلك كما في الأعلام الغالبة ، فكأنه قيل : فاصبر على الدعوة إلى الحق ، ومكابدة الشدائد مطلقاً كما صبر إخوانك الرسل قبلك)[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله : (وهذه الآية اقتضَت أنَّ محمداً ﷺ من أولي العزم؛ لأنَّ تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم ، لأنه ممتثل أمر ربه ، فصبره مثيل لصبرهم ، ومَن صَبَرَ صَبْرَهم كان منهم لا محالة)[2].

ومن جميل القول في الآية ، ما قاله الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : (أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله ، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم ، وتمَّ يقينهم ، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم ، والقفو لآثارهم ، والاهتداء بمنارهم ، فامتثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله ؛ حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة ، وقاموا جميعاً بصدِّه عن الدعوة إلى الله ، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة ، وهو ﷺ لم يزل صادعاً بأمر الله ، مقيماً على جهاد أعداء الله ، صابراً على ما يناله من الأذى، حتى مكَّن الله له في الأرض ، وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلَّم تسليماً)[3]. والله أعلم .

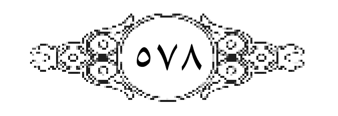


---

(١) روح المعاني (٢٦/٥٤) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/٦٧) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧٨٤) .



سورة محمد

* في قول الله عزَّ وجل : ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد : ١٥] [(١)].

١٣١- **قال عطاء الخراساني** : غير منتن [(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الآسن بالمنتن ، أي: غير متغير ، والمياه في الدنيا إذا لم يأتها ما يمدُّها وبقيت راكدة لابد أن تتغير فتكون آسنة ، وماء الجنة لا يتغير ، فهو غير آسن [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : غير منتن ، وهو قول عطاء الخراساني ، وقتادة [(٥)]، وقال به النحاس [(٦)].

القول الثاني : غير متغيِّر ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، وجمهور المفسِّرين [(٨)]، والمقصود تغيُّر الرِّيح أو الطعم لطول مكثه ؛ سواء أنتنَ أم لم ينتن[(٩)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/١٨٥) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين –سورة الطور- (١٨٥) .

(٤) جامع البيان (٢١/٢٠٠) ، تفسير ابن كثير (٤/١٨٥) .

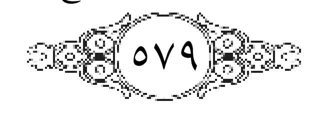
(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٠٦) ، والطبري في تفسيره (٢١/٢٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٤٦٤) عزوه لعبد بن حميد .

(٦) معاني القرآن (٢/١١٩٧) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٠٠) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٢٩٨) برقم : (١٨٥٨٤) .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٥٩) ، جامع البيان (٢١/٢٠٠) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٨) ، الكشاف (١٠٢٠)، المحرر الوجيز (١٧٢١) ، زاد المسير (١٣١٠) ، التفسير الكبير (٢٨/٥١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٣٥) ، أنوار التنزيل (٥/١٢١) ، مدارك التنزيل (٢/٥٦٣) ، التسهيل (٤/٨٩) ، البحر المحيط (٨/٩٨) ، تفسير ابن كثير (٤/١٨٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٨٧) ، روح المعاني (٢٦/٧٣) ، فتح القدير (٤/٤٢) ، تفسير المراغي (٩/١٤١) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٨٦) ، التحرير والتنوير (٢٦/٩٦) ، أضواء البيان (٧/٢٧٦) .

(٩) انظر : المحرر الوجيز (١٧٢١) ، زاد المسير (١٣١٠) ، روح المعاني (٢٦/٧٣) .



وعبَّر بعض المفسِّرين عن الآسن بأنَّه المتغيِّر المنتن [١].

القـول الثالـث : لا تمسه يـد ، وأنـه يجـيء المـاء حـتى يـدخل في فيـه . روي عن الحارث[٢][٣].

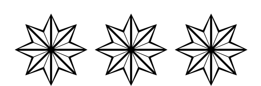
الجمع أو الترجيح :

الأقـوال متقاربـة ، ويمكـن حمـل المعـنى عليهـا جميعـاً ، فيقـال : ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي : غـير متغيّـر لونـه ولا ريحـه بـنتن أو غـيره ، ولا تمسه الأيـدي كمـاء الدنيا .

قـال الراغـب ﷺ : (أسـن : يقـال أسَـن المـاء يأسَـن ، وأسِـن يأسِـن ، إذا تغيَّر ريحه تغيُّراً منكراً) [٤].

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [٥].

والله أعلم ،،



---

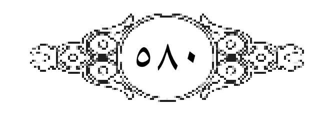
(١) انظر : بحر العلوم (٣٠٠/٣) ، الكشف والبيان (٣٢/٩) ، الوسيط (١٢٢/٤) ، معالم التنزيل (٢١٢/٤) .

(٢) **الحارث = ابن عبد الله الأعور الهمداني** ، الكوفي أبو زهير ، صاحب علي ، كذبه الشعبي في رأيه ، ورمي بالرفض ، وفي حديثه ضعف ، وليس له عند النسائي سوى حديثين ، مات في خلافة بن الزبير ، قال النسائي وغيره : ليس بالقوي ، وقال بن أبي داود : كان أفقه الناس ، وأفرض الناس ، وأحسب الناس ، مات سنة ٦٥هـ . انظر : الكاشف (٣٠٣/١) ، تقريب التهذيب (١٤٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٠/٢١) .

(٤) المفردات في غريب القرآن (٢٧) .

(٥) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



سورة الفتح

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] [(١)].

١٣٢- **قال عطاء الخراساني** : ما تقدَّم من ذنبك : يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ، وما تأخَّر : ذنوب أمتك بدعوتك [(٢)] .

الدراسة :

* من فضل الله ورحمته على نبيِّنا محمد ﷺ أنه غفر له ذنوبه المتقدِّمة والمتأخِّرة ، وسامحه فيها ، وهو أمر نجزم به ، لنصِّ الأدلَّة الصحيحة الصريحة عليه ، وفي معنى الآية أقوال كثيرة أقتصر على أشهرها .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : ما تقدَّم : يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ، وما تأخَّر: ذنوب أمتك بدعوتك ، وهذا قول عطاء الخراساني ، ورواه المزني عن الشافعي [(٤)]، وقاله السمرقندي [(٥)].

القول الثاني : جميع ما فرَط منك من ترك الأولى مما يصح أن تعاتب عليه، وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل ﷺ ، فهو من قبيل : حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين [(٦)]، قاله الزمخشري [(٧)]، وجماعة من المفسِّرين [(٨)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٤٢/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٢٣/٤) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٢٩) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤٧/٢) ، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٩٧/٢) ، والعيني في عمدة القاري (١٧٧/١٩) ، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٤٧٨/١٧) ، والشوكاني في فتح القدير (٥٦/٥) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٤٢/٩) ، النكت والعيون (٣١٠/٥) ، معالم التنزيل (٢٢٣/٤) ، الكشاف (١٠٢٤)، التفسير الكبير (٧٢/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤٧/٢) ، فتح القدير (٥٦/٥) .

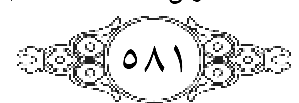
(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٩٧/٢) .

(٥) بحر العلوم (٣٠٨/٣) .

(٦) هذا القول نسبه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٧/٥) لأبي سعيد الخراز في ترجمته بلفظ : (ذنوب المقربين حسنات الأبرار) ، وعزاه القرطبي في تفسيره (١٥٣/١) ، وابن الحاج في المدخل (٤٩/١) للجنيد .

(٧) الكشاف (١٠٢٤) .

(٨) انظر : أنوار التنزيل (١٢٦/٥) ، مدارك التنزيل (٥٧٠/٢) ، إرشاد العقل السليم (٩٨/٦) ، الفتوحات



قال ابن عاشور رحمه الله : (والمراد بـ ﴿مَاتَقَدَّمَ﴾ : تعميم المغفرة للذنب كقوله : ﴿يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فلا يقتضي ذلك أنه فرط منه ذنب أو أنه سيقع منه ذنب ؛ وإنما المقصود أنه تعالى رَفَعَ قَدْره رفعة عدم المؤاخذة بذنب لو قُدِّر صدوره منه) (١).

القول الثالث : ما صدر منه من الذنوب حقيقة ، دون الخوض في تفاصيلها ، ويشهد له أنَّ النَبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ له عَائِشَةُ : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ ، قَالَ : « أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً » (٢).

قالوا : وهو ﷺ في الجانب البشري كالبشر : يحبُّ ويكره ، ويرضى ويغضب ، ويأكل ويشرب ، ويقوم وينام ، ومن هذا الجانب فقد يقع منه ﷺ بعض الأخطاء التي يعاتبه الله عليها ، وتكْمن العصمة في هذا الجانب في أنَّ الله يُنبِّه نبيه ﷺ على ما وقع منه من خطأ، وهذا ما لا يتأتَّى لأحد من البشر غيره ، وهذا من جوانب العصمة المُغفلة .

وأما الجانب النبوي ، وهو جانب التبليغ ، فإنه فيه معصوم ﷺ ؛ ولذا لما سُحِرَ ﷺ لم يُؤثِّر هذا السِّحْرُ في الجانب النبوي ، بل أثَّر في الجانب البشري ، " حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ " (٣).

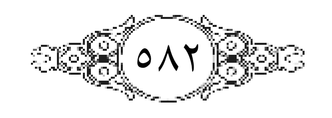
وقالوا : ولا يمكن أن نردَّ النصوص لمجرد أن نستبعد وقوع الذنب منه

الإلهية (١٥٧/٤) ، روح المعاني (١٣٨/٢٦) ، تفسير المراغي (١٥٨/٩) .

(١) التحرير والتنوير (١٤٧/٢٦) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٨٣٧) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿لِيَغْفِرَلَكَ اللَّهُ مَاتَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَاتَأَخَّرَ﴾ ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٨٢٠) في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٣١٧٥) في كتاب الجزية ، باب هل يعفى عن الذمّي إذا سحر . وبرقم: (٣٢٦٨) في كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وبرقم : (٥٧٦٣) في كتاب الطب، باب السِّحر ، وبرقم : (٦٠٦٣) في كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢١٨٩) في كتاب السلام ، باب السحر ، من حديث عائشة رضي الله عنها .



ﷺ، وليس الشأن ألا يذنب الإنسان ، بل الشأن أن يُغفر للإنسان، وقد قال ﷺ: « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ »[1]، وهناك أشياء لا يمكن أن تقع من الأنبياء إطلاقاً مثل الكذب والخيانة ، وسفاسف الأخلاق من الزنا وشبهه، لأنَّ هذا لو فرض وقوعه لكان طعناً في رسالتهم وهذا مستحيل لأنه ينافي أصل الرسالة [2].

القول الرابع : ما تقدَّم : قبل الفتح ، وما تأخر : بعد الفتح ، اختاره الطبري[3].

القول الخامس : ما تقدَّم : في الجاهلية قبل النبوة ، وما تأخر : كل شيء لم يعمله . قاله ابن عباس رضي الله عنهما [4]، وسفيان الثوري[5]، ومقاتل [6].

قال ابن عطية رحمه الله : (وهذا ضعيف ، وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم ولو لم تكن له ذنوب البتة ، وأجمع العلماء على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل) [7].

القول السادس : ما تقدَّم : في الجاهلية ، وما تأخر : في الإسلام ، وهذا قول مجاهد [8]، وعامر ، وأبو جعفر [9] .

القول السابع : ما تقدَّم : من ذنب يوم بدر ، وما تأخَّر : من ذنب يوم حنين . ذكَره القرطبي في تفسيره [10]، وهو ضعيف .

---

(١) **حسن** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (٢٤٩٩) في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، وابن ماجه في سننه (٤٢٥١) في كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة . وصححه ابن القطان في الوهم والإيهام (٥/٤١٤) ، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٩٩) ، وصحيح ابن ماجه (٣٤٤٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم – جزء عمَّ – لشيخنا محمد العثيمين رحمه الله (٢٤٩) .

(٣) جامع البيان (٢١/٢٣٦-٢٣٧) .

(٤) حكاه عنه الواحدي في الوسيط (٤/١٣٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣١٨) .

(٥) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن (٢/١٢٠٥) ، وعزاه السيوطي عنه في الدر المنثور (٧/٥١٢) لعبد بن حميد .

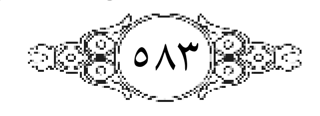
(٦) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف (١٠٢٤) .

(٧) المحرر الوجيز (١٧٢٩) .

(٨) حكاه عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٤٧) .

(٩) عزاه السيوطي عنهما في الدر المنثور (٧/٥١٢) لابن المنذر .

(١٠) قال رحمه الله : (وذلك أنَّ الذنب المتقدم يوم بدر ، أنه جعل يدعو ويقول : « اللهم إن تهْلَك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً » وجعل يردد هذا القول دفعات ، فأوحى الله إليه من أين تعلم أني لو أهلكت هذه العصابة لا



القول الثامن : ما تقدَّم : من حديث مارية ، وما تأخَّر : من امرأة زيد ، حكاه الزمخشري [(١)]، وهو دخيل في التفسير .

قال الرازي رحمه الله : (وهو أبعد الوجوه وأسقطها لعدم التئام الكلام) [(٢)].

الجمع أو الترجيح :

تفسير الذنب في هذه الآية من المسائل الخلافية التي خاض فيها كثير من أهل العلم وغيرهم ، واستدلَّ بها بعضهم على وقوع الذنب من النبي ﷺ ، وأجمل هنا التفصيل فيها تحت مسائل[(٣)]:

المسألة الأولى : من تأمَّل قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] يجد أنَّ سياق الآية مع ما قبلها وما بعدها يفيد تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب، حيث أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم الأخروية والدنيوية : أما الأخروية فشيئان :

١- سلبية وهي غفران الذنوب، وإن لم يكن للمخاطب ﷺ ذنب، ولو لم يذكر غفرانها لكان في ذلك ترك استيعاب جميع أنواع النعم .

٢- وثبوتية وهي لا تتناهى ، وقد أشار إليها سبحانه بقوله : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ .

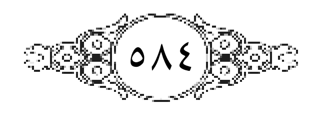
وأما النعم الدنيوية فشيئان أيضاً :

أعبد أبداً ، فكان هذا الذنب المتقدم . وأما الذنب المتأخر فيوم حنين ، لما انهزم الناس قال لعمه العباس ولابن عمه أبي سفيان : « ناولاني كفاً من حصباء الوادي » فناولاه ، فأخذه بيده ورمى به في وجوه المشركين وقال : « شاهت الوجوه . حم. لا ينصرون » فانهزم القوم عن آخرهم ، فلم يبق أحد إلا امتلأت عيناه رملاً وحصباء . ثم نادى في أصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم : « لو لم أرمهم لم ينهزموا » فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، فكان هذا هو الذنب المتأخر) . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٤٧) .

(١) الكشاف (١٠٢٤) .

(٢) التفسير الكبير (٧٢/٢٨) .

(٣) انظر للتوسع في هذه المسألة : عصمة الأنبياء للرازي (٧٤-٧٥) ، عصمة الأنبياء والدر على الشبه الموجهة إليهم ، محمد أبو النور الحديدي (٤٧٩-٤٨٥) ، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عماد الشربيني (١٥٤-١٦٢) .



١- دينية أشار إليها بقوله تعالى : ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ أي يثبتك على دين الإسلام .

٢- ودنيوية في قوله تعالى : ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ أي نصراً لا ذلَّ معه .

وقدَّم النِّعم الأخروية على الدنيوية، وقدَّم في الدنيوية الدينية على غيرها تقديماً للأهم فالأهم ؛ فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي ﷺ بإتمام أنواع نعم الله عليه المتفرقة في غيره، ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظَّمه وفخَّمه بإسناده إليه بنون العظمة، وجعله خاصاً بالنبي ﷺ بقوله : "لك" فهل يعقل في مقام المنَّة هذا أن يكون المراد بالذنب والوزر ظاهرهما ؟! [1].

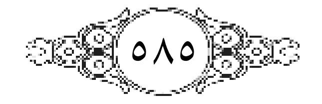
ومثلها قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [غافر : ٥٥] .

ومثل ذلك أيضاً يقال في قوله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ فقد جاءت في سياق يُظهر منَّة الله عز وجل على رسوله ﷺ، ويبيِّن عظيم مكانته وفضله عند ربه عز وجل في الدنيا والآخرة ، وهو من جملة ما يمدح به ﷺ ، ومن تأمل قوله تعالى : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ ظهر له أنها نعمة وردت بين منَّتين :

الأولى : شرح الصدر في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ شرحاً حسياً ومعنوياً، ليسعَ مناجاة الحق، ودعوة الخلق جميعاً، وليكون موضع التجلِّيات ومهبط الرحمات .

والثانية : رَفَع ذكره في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ رفعاً بلَغت قمته في الشهادة التي لا يكون الشَّخص مسلماً إلا إذا نطق بها، فضلاً عن قرن اسمه ﷺ باسمه عزَّ وجل في الأذان، والإقامة، والتشهد في الصلاة، وفى خطب الجمعة، والعيدين، وفي خطبة النكاح، وجعل الصلاة والتسليم عليه

(١) انظر : الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٤٤٩-٤٥٠) ، سبيل الهدى والرشاد (٣/١٤٠-١٤١) .



ﷺ عبادة على المسلمين [1].

وعليه فإنَّ ظاهر الآيات التي ورد فيها كلمتي : "الذنب ، والوزر" لمن تأمَّل وتفكَّر في السياق ؛ لا تدلُّ على وقوع الذنوب منه ﷺ .

المسألة الثانية : أنَّ هذه الألفاظ التي يتعارض ظاهرها مع العصمة تحتمل وجوهاً من التأويل :

الأول : تخريجها على مقتضى اللغة بما يناسب سياقها في الآيات ، فمادة الواو والزاي والراء في اللغة تدلُّ على الثِّقل في الشيء ، يقال : حمَّلته الوِزْر : الحِمل الثقيل [2] ، ثمَّ أطلق هذا المعنى الأصلي للوِزْرِ على عدَّة معانٍ منها :

- آلات الحرب ، ومنه قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد : ٤] .

- الذَّنب ، وقد وَزَر فلان : أذنب فهو وازر ، لأنَّ الذَّنب ثِقَلٌ معنوي ومنه قول الله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبوت : ١٢-١٣] [3].

وإنما سميت الذنوب أوزاراً لأنها تُثقِل كاسبها وحاملها، وإذا كان الوزر كذلك ، فكلُّ شيء أثقل الإنسان وغمَّه وكدَّه، وجَهده، جاز أن يسمى وزراً، تشبيهاً بالوزر الذي هو الثِّقَل الحقيقي .

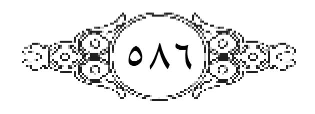
وليس يمتنع أن يكون الوِزْر في الآية ثقل الوحي، كما قال عز وجل : ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل : ٥] ، وعبء التبليغ، وثقل الدعوة، حيث كان الاهتمام بهما يقضُّ مضجعه، حتى سهلهما الله تعالى عليه، ويسَّرهما له، ويقوِّي هذا التأويل : سياق الآية الواردة في مقام الامتنان عليه ﷺ وقوله عز وجل : ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ والعسر بالشدائد

---

(١) انظر : رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عماد الشربيني (١٥٥-١٥٦) .

(٢) انظر : معجم المقاييس في اللغة (١٠٩٠) ، لسان العرب (١٥/٢٠٢) مادة : وزر .

(٣) انظر : لسان العرب (١٥/٢٠٢) مادة : وزر .



والغموم أشبه، وكذلك اليسر بتفريج الكرب، وإزالة الغموم والهموم أشبه[١].

قال الشيخ محمد عبده رحمه الله[٢]: (فإنَّ ما كان يحمله عليه السلام من ثِقل الاهتمام بشأن قومه وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد لم يكن ثقلاً حسيًّا ينقض منه الظهر ، ولكنه كان همًّا نفسياً يفوق ألمه ألم ذلك الثِّقل الحسي الممثَّل به ، فعبَّر عن الهمِّ الذي تبخع به النفوس بالحمل الذي تقصم له الظُّهور)[٣].

وأصل معنى كلمة الغَفْر في اللغة : السَّتْر ، قال الراغب رحمه الله : (الغَفْرُ : إلباسُ ما يصونُه عن الدَّنس ، ومنه قيل : اغفر ثوبك في الوعاء ، واصبغ ثوبك فإنه أغْفَر للوسخ ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسَّه العذاب)[٤].

فالمراد بقوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ : ليصونك عمَّا فيه دنَسٌ لك من الذنوب والخطايا .

الثاني : أنَّ "الوزر" و"الغفران" جاءا بمعنى العصمة ، فيكون المعنى : لولا عصمتُنا ورحمتُنا لأتيت بما تذمُّ عليه، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع .

ومثله قوله عزَّ وجل : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ [النساء : ١١٣] .

وقوله :﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٣-٧٤].

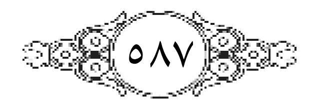
---

(١) انظر : رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عماد الشربيني (١٥٦) .

(٢) **محمد عبده** = الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد ، ولد في شنرا بمصر ، ونشأ في محلة نصر بالبحيرة ، وتعلَّم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر ، وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف ، فمفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة: ١٣٢٣هـ، ودفن في القاهرة. انظر: الأعلام (٦/٢٥٢) .

(٣) تفسير جزء عمَّ – محمد عبده (١١٨) .

(٤) المفردات في غريب القرآن (٣٦٤) .



ويشهد لهذا : سيرة النبي ﷺ قبل النبوة، من عصمة رب العزة له ﷺ من كل ما يمسُّ قلبه وعقيدته وخلقه بسوء ، من أكل ما ذبح على النصب، والحلف بأسماء الأصنام التي كان يعبدها قومه، واستلامها، وعصمته من أقذار الجاهلية ومعائبها ، وكذا تشهد سيرته ﷺ بعد النبوة، من عصمة رب العزة له ﷺ مما عصمه به قبل النبوة، ومن أن يضله أهل الكفر، أو يفتنوه عن الوحي أو التقول عليه، ولو حدث شيء من ذلك، لوقع عقاب ذلك، الوارد في قوله سبحانه : ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٥] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة : ٤٤-٤٧] .

وهذا يؤكد أنَّ الخطاب في آيات الشَّرط : ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ ﴾ و ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ ونحو ذلك، على فرض الإمكان، لا على فرض الوقوع [(١)].

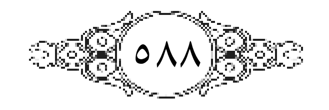
قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ [الشرح : ٢]: (كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس ، عبَّر عن ذلك بالحطِّ على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك ، كما يقول القائل : رفعت عنك مشقة الزيارة ، لمن لم يصدر منه زيارة ، على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه)[(٢)].

ثمَّ إنه يصحُّ إطلاق المغفرة كناية عن العصمة في قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ إذ الغَفْر : السَّتر والغطاء ، والمعنى في الآية: ليعصمك الله فيما تقدَّم من عمرك ، وفيما أخر منه .

قال بعض المحققين : (وهذا القول في غاية الحسن، وقد عدَّ البلغاء من أساليب البلاغة في القرآن؛ أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة، والعفو، والتوبة، كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل : ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا

---

(١) انظر : رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عماد الشربيني (١٥٧-١٥٨) .
(٢) البحر المحيط (٨/٦٨٧) .



تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى قال سبحانه : ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة : ١٣] ، وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام قال عز وجل : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٧]) [(١)].

ووجه إطلاق المغفرة كناية عن العصمة : أنَّ العصمة تحول بين الشخص وبين وقوع الذنب منه ، والمغفرة تحول بين الشخص وبين وقوع العقاب عليه، فكنَّى عن العصمة بالمغفرة بجامع الحيلولة؛ لأنَّ من لا يقع منه ذنب، لا يقع عليه عقاب [(٢)].

وقد دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح مطأطئاً رأسه حتى كاد يمسّ مقدمة رحله، وهو راكب على بعيره تواضعاً لله عز وجل [(٣)].

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " دَخَلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ وَذِقْنُهُ عَلَىَ رَحْلِه مُتَخَشِّعاً " [(٤)] .

وكان أيضاً يرجِّع في تلاوته ، وهو على مشارف مكة يقرأ سورة الفتح [(٥)] شكراً لله عزَّ وجل، على هذه النِّعم التي لا تعدُّ ولا تحصى .

الثالث : أنَّ الاستغفار ليس خاصاً بالذنوب، بل له حِكَمٌ كثيرة، على رأسها : شكر الله عز وجل على نعمه، ولذا جاء الأمر به للنبي ﷺ شكراً لله عزَّ وجلَّ بنصره على أعدائه، وفتح مكة له :

قال تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى

---

(١) انظر : سبيل الهدى والرشاد (١٤٠/٣) .

(٢) انظر : رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عماد الشربيني (١٥٩) .

(٣) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٥٤٦) .

(٤) **صحيح** . أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩/٣) برقم : (٤٣٦٥) وبرقم : (٧٨٨٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٦٨/٥-٦٩) ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، والذهبي في تاريخ الإسلام (٥٤٨/٢) .

(٥) دلَّ عليه الحديث **الصحيح** الذي أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٢٨١) في كتاب المغازي ، باب أين ركز النبي ﷺ الراية ؟ ، وبرقم : (٤٨٣٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ، وبرقم : (٥٠٤٧) في كتاب فضائل القرآن ، باب الترجيع ، وبرقم : (٧٥٤١) في كتاب التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ وروايته . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٧٩٤) في كتاب صلاة المسافرين ، باب قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة ، عن عَبْدَ اللَّه بْنَ مُغَفَّلٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَوْمَ فَتْح مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِه وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ ، وَقَالَ : لَوْلاَ أَنْ يَجْتَمعَ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ . واللفظ للبخاري .

﴿دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر : ١-٣].

فامتثل النبي ﷺ هذا الأمر الإلهي كما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْل : " سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْه " ، قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه : أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْه ؟ ، فَقَالَ : " خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ فَتْحُ مَكَّةَ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ " [(١)].

وعصمته ﷺ من الذنب فيما تقدَّم من عمره، وفيما أخر منه، من أعظم النعم التي قام النبي ﷺ بشكرها بالاستغفار، والقيام بين يدي الله عز وجل حتى تورمت قدماه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى ، قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة : يا رسول الله ! أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : " يا عائشة ! أفلا أكون عبداً شكوراً " [(٢)] .

والمعنى : " أنَّ المغفرة سبب لكون التهجُّد شكراً فكيف أتركه ؟ "[(٣)].

وعلى ما تقدَّم فإنَّ قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد : ١٩] .ونحوها من الآيات يراد بها الحثُّ على دوام الاستغفار والشكر لله عز وجلَّ على ما أنعم عليه .

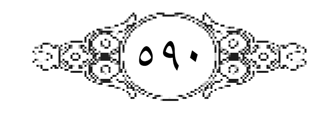
المسألة الثالثة : لو سلَّمنا بوقوع الذنب منه ﷺ فإنه لن يَخْرُجَ عن ترك الأَوْلَى، كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وترك الأَوْلى ليس بذنب حقيقة ، وإنما بالنسبة إلى مقام الرسول العالي ، وإنقاض ظهره به لاستعظامه إياه ، وهذا هو القول الأظهر ، لأنَّ الأولى وما يقابله مشتركان في إباحة الفعل، والمباحات جائز وقوعها من الأنبياء، وليس فيها قدح في عصمتهم

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٤٨٤) في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .

(٢) **صحيح** . تقدَّم تخريجه قريباً ص (٥٨٢) .

(٣) انظر : فتح الباري (٢١/٣) .



ومنزلتهم، لأنهم لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوَّون به على صلاح دينهم، وضرورة دنياهم، وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة، وصار قربة [(١)].

ومخالفة الأَوْلى لا تقدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام ، واجتهاد الأنبياء إن خالف الأَوْلى فلا إثم فيه ، ولا يطعن به في حقِّهم ، والله لا يقرُّهم عليه بل ينبههم إليه [(٢)].

قال ابن عاشور رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد : ١٩]: (وما يستغفر منه النبي ﷺ ليس من السيئات لعصمته منها ، وإنما هو استغفار من الغفلات ونحوها ، وتسميته بالذنب في الآية إما محاكاة لما كان يكثر النبي ﷺ أن يقوله : " اللهم اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي " [(٣)] وإنما كان يقوله في مقام التواضع، وإما إطلاق لاسم الذَّنب على ما يفوت من الازدياد في العبادة ، مثل : أوقات النوم والأكل ، وإطلاقه على ما عناه النبي ﷺ في قوله : " إنه لَيُغَانُ [(٤)] على قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ " [(٥)]) [(٦)].

وقال الأستاذ السيد سابق رحمه الله : (مما لا جدال فيه أنَّ الرسول ﷺ كانت تصدُر عنه بعض التصرُّفات التي لم يوحَ إليه شيء بخصوصها ، بل كان أمرها متروكاً إلى اجتهاده الخاص ، فكان في بعض الأحيان يؤديه اجتهاده إلى ما هو حسن متجاوزاً ما هو أحسن منه ، فاعتُبر وقوفه عند الرَّأي الحسن وعدم

---

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (٢/٨١٢-٨١٥) ، عصمة الأنبياء د/ محمد الحديدي (٤٨٠) ، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عماد الشربيني (١٦١) .

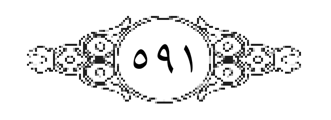
(٢) انظر : عصمة الأنبياء د/ محمد الحديدي (٤٥٠) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٦٣٩٩) في كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٧١٩) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل . من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٤) **يُغَانُ** : أو يغام ، والمقصود : ما يتغشَّى القلب ، وقيل : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٢٦) .

(٥) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٧٠٢) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ، من حديث الأغرّ المزني رضي الله عنه .

(٦) التحرير والتنوير (٢٦/١٠٥) .



إصابته ما هو أحسن منه ذنباً بالنسبة إليه ، وبالإضافة إلى مكانته من العلم والعَقل والفقه)[(١)].

وقد عاتب الله نبيه ﷺ في أكثر من موضع من كتابه ، على أمور وقعت منه، وهذا لا ينقص من قدره ﷺ ، ولو كان في هذه العتابات الإلهية له ما ينقص من قدره لما ذكرها الله في حقِّ نبيه وحبيبه محمد ﷺ .

والنبي ﷺ يجتهد في أمور كثيرة ، وإن وقع منه ما يوجب عتاب عاتبه الله تعالى فيه ، وذلك لحِكَم كثيرة منها :

١) إقامة الدليل على بشرية الرسول ﷺ وعبوديته ،وأنه مع كونه رسولاً لم يخرج عن البشرية ، وذلك حتى لا يفتن به أتباعه ويتجاوزوا الحد فيغلو فيه .

٢) البرهنة على أمانة الرسول ﷺ في إبلاغ الرسالة ، وعدم كتمانه شيئاً مما أنزل إليه ربه تبارك وتعالى .

٣) تشجيع الأمة على الاجتهاد وإعمال الفكر فيما يعرض من قضايا وأحداث لا يجدون فيها نصوصاً ، خصوصاً في الأحداث المتجددة [(٢)].

وإذا نظرنا إلى جملة المعاتبات الإلهية للنبي ﷺ؛ كعتابه بشأن أسرى بدر، وعتابه بشأن زواجه من زينب رضي الله عنها ، وعتابه في عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ، وغيرها ؛ نجد أنَّ لها علاقة بالجانب البشري في النبي ﷺ ، وقد نصَّ عليه في مثل قوله تعالى : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء : ٩٣] .

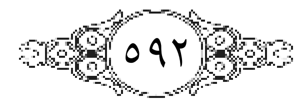
وأخبر به نبينا ﷺ في قوله: « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ ؛ وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَلاَ يَأْخُذْ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ»[(٣)].

---

(١) العقائد الإسلامية (١٩٣) .

(٢) انظر : عصمة الأنبياء د/ محمد الحديدي (٤٥٠-٤٥١) .

(٣) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٦٩٦٧) في كتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت فقضي بقيمة الجارية الميتة ، ثمَّ وجدها صاحبها فهي له ، ويرد القيمة ، ولا تكون القيمة ثمناً . وبرقم: (٧١٦٩) في كتاب الأحكام ، باب موعظة الإمام للخصوم ، وبرقم : (٧١٨١) في كتاب الأحكام ، باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه فإنه قضاء ، وبرقم : (٧١٨٥) في كتاب الأحكام ، باب القضاء في قليل المال وكثيره سواء . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٧١٣) في كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجَّة ، من حديث أم سلمة زوج رسول الله ﷺ .



وإنَّ من جوانب العصمة المُغفلة في هذا الجانب أنَّ الله تعالى يُنبِّه نبيه ﷺ على ما وقع منه ، وهذا ما لا يتأتَّى لأحد من البشر غيره .

ثمَّ كيف يُتخيَّل صدور الذنب في حقه ﷺ وقد عصمه ربه سبحانه في قوله وفعله ، وخاطبه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم : ٣-٤] .

وقال عنه سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب : ٢١] [(١)].

"ومن تأمَّل إجماع الصحابة على اتباعه ﷺ والتأسي به في كل ما يقوله ويفعله من قليل أو كثير، أو صغير أو كبير، ولم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بَحث، حتى أعماله في السر والخلوة، يحرصون على العلم بها، وعلى اتباعها، عَلِمَ بهم ﷺ أو لم يعلم، ومن تأمَّل أحوال الصحابة معه ﷺ استحى من الله تعالى أن يخطر بباله خلاف ذلك" [(٢)].

ثم إنَّ حقيقة الذنب في اللغة ترجع إلى كل فعل يُستَوْخَمُ عُقباَهُ كما فسَّره الراغب [(٣)]، وشرْعاً : يرجع الذنب إلى مخالفة أمر الله تعالى أو نهيه .

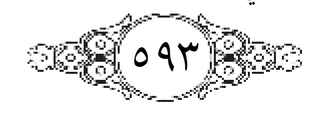
وهو أمرٌ نسبي يختلف باختلاف الفعل والفاعل، وقصد الفاعل، فليست المخالفة من العَالم كالمخالفة من الجاهل، وليست المخالفة الواقعة عن اجتهاد، كالمخالفة التي لا تقع عن اجتهاد، وليست المخالفة الواقعة بالقصد والتعمد، كالمخالفة الواقعة بالنسيان .

ومن هنا تختلف الذنوب ومسئولياتها بالنسبة للفاعل والحوادث ، وعلى ضوء ذلك نفهم معاني الآيات التي ورد فيها إسناد الذنب إلى رسول الله ﷺ مضافاً إلى ضمير خطابه ﷺ [(٤)].

وبناءً على كلِّ ما سبق تقريره ، فالأقرب الذي يظهر لي - والله أعلم – من الأقوال في معنى الآية هو القول الثاني ، لمناسبته للمعنى .

---

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (٢/٧٩٢) .
(٢) انظر : الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٤٥٠) .
(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٨٦) .
(٤) انظر : رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة (١٦٢) .

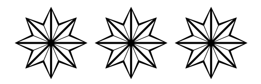


قال ابن كثير رحمه الله : (هذا من خصائصه - صلوات الله وسلامه عليه - التي لا يشاركه فيها غيره ، وليس صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ ، وهو - صلوات الله وسلامه عليه - في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيِّدهم في الدنيا والآخرة)[١].

وقول عطاء الخراساني رحمه الله في هذا الموضع مرجوح لا دليل عليه ، وهو شبيه بقول النصارى في الخطيئة[٢]، وبعيد عن ظاهر القرآن لأنَّ الله يقول : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ ﴾ فكيف يقال إنه ذنب غيره ! فهو واضح البطلان، وقد قال عنه الشوكاني رحمه الله : (وما أبعد هذا عن معنى القرآن)[٣].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يعظِّم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية ، وكلّ قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود[٤].

والله أعلم ،،

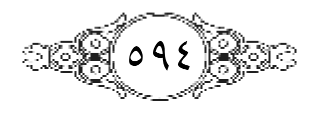


(١) تفسير ابن كثير (٤/١٩٤) .

(٢) يزعم النصارى أنَّ الخطيئة التي وقع فيها آدم وحواء عليهما السلام بقيت معهما ، وورَّثاها ذريتهما من بعدهما ، وأنَّ الناس كل الناس يولدون في الخطيئة ، وأنَّ الرب تكرّم فأرسل ابنه الوحيد (المسيح) ليقتل ويصلب ، وليكون صلبه وقتله كفارة لهذه الخطيئة ، وهم يبنون معتقدهم على قصة خطيئة آدم وحوَّاء ، وقد ذكرت في كتبهم في سفر التكوين (٢/١٥) ، (٣/٢٤) . وعلى الرغم من خلوها عن أي إشارة لتوريث آدم وحواء الخطيئة لذريتهما ، إلاَّ أنَّهم اعتمدوا عليها في عقيدتهم تلك ، وهذا منطق أقرب إلى الخرافة منه إلى العلم والعقل .

(٣) فتح القدير (٥/٥٦) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٢٨) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح : ٩] [١].

١٣٣- **قال عطاء الخراساني** : تعظِّموه وتشرِّفوه [٢].

الدراسة :

* يفسَّر عطاء الخراساني التعزير بالتعظيم ، والتوقير بالتشريف ، والتعزير هو النّصرة مع التعظيم [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

- في معنى التعزير أقوال ثلاثة :

القول الأول : تعظِّموه ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول الحسن ، والكلبي [٥]، وقاله بعض المفسرين [٦].

القول الثاني : تنصروه وتمنعوا منه ، قاله قتادة [٧]، واختاره الفراء [٨] ، والزجاج [٩]، وعلى هذا المعنى جماعة من المفسرين [١٠].

قال ابن عباس [١١]وعكرمة [١٢]: " يقاتلون معه بالسيف " ، وهذا مبني

---

(١) الآية بتمامها : ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٧) ص١٢٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٣٦) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٣١٣/٥) ، زاد المسير (٥٢٣ ، ١٣١٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٤٨/٢) ، فتح القدير (٥٩/٥) .

(٥) حكاه عنهما النكت والعيون (٣١٣/٥) .

(٦) انظر : المحرر الوجيز (١٧٣١) ، التسهيل (٩٧/٤) ، تفسير ابن كثير (١٩٥/٤) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١١/٣) ، والطبري (٢٥١/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٧) عزوه لعبد بن حميد .

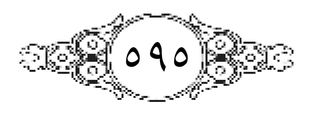
(٨) معاني القرآن للفراء (٦٣/٣) .

(٩) معاني القرآن للزجاج (١٨/٥) .

(١٠) انظر : بحر العلوم (٣١٣/٣) ، الكشف والبيان (٤٤/٩) ، الوسيط (١٣٦/٤) ، معالم التنزيل (٢٢٤/٤) ، الكشاف (١٠٢٥) ، أنوار التنزيل (١٢٧/٥) ، مدارك التنزيل (٥٧١/٢) ، إرشاد العقل السليم (٩٩/٦) ، روح المعاني (١٤٥/٢٦) ، التحرير والتنوير (١٥٦/٢٦) .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٧) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – ، والحاكم ، وابن مردويه، والضياء في المختارة .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٢/٢١) .



على أنَّ مرجع الضمير يعود على الرسول ﷺ .

القول الثالث : تطيعوه ، حكاه الماوردي عن بعض أهل اللغة [(١)].

- **وفي معنى التوقير أقوال ثلاثة أيضاً** :

القول الأول : تسويده وتفخيمه وتعظيمه ، قاله قتادة [(٢)]، والسدي [(٣)].

القول الثاني : التوقير : التعظيم والتبجيل ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]. وقال الضحاك : كله تعظيم وإجلال [(٥)]. وعلى هذا المعنى جماعة من المفسرين [(٦)].

القول الثالث : أنَّ تأويله مختلف بحسب اختلافهم فيمن أشير إليه بهذا الذِّكر : فمنهم من قال : إنَّ المراد بقوله : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا الله وتوقروه ؛ لأنَّ قوله : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ راجع إلى الله وكذلك ما تقدَّمه ، حكاه الماوردي [(٧)]، وابن عطية [(٨)]، وصحَّحه الرازي [(٩)].

ومنهم من قال : المراد به رسول الله ﷺ أن يعزروه ويوقروه لأنه قد تقدَّم ذكره ، فجاز أن يكون بعض الكلام راجعاً إلى الله وبعضه راجعاً إلى رسوله، قاله الضحاك [(١٠)].

---

(١) النكت والعيون (٥/٣١٣) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢١١) ، والطبري (٢١/٢٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥١٦) عزوه لعبد بن حميد .

(٣) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣١٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٤٨).

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥١٦) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٥١) .

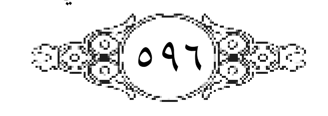
(٦) انظر : بحر العلوم (٣/٣١٣) ، الوسيط (٤/١٣٦) ، معالم التنزيل (٤/٢٢٤) ، الكشاف (١٠٢٥) ، زاد المسير (١٣١٩) ، أنوار التنزيل (٥/١٢٧) ، مدارك التنزيل (٢/٥٧١) ، تفسير ابن كثير (٤/١٩٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٩٩) ، روح المعاني (٢٦/١٤٥) ، التحرير والتنوير (٢٦/١٥٦) .

(٧) النكت والعيون (٥/٣١٣) .

(٨) المحرر الوجيز (١٧٣١) .

(٩) التفسير الكبير (٢٨/٨٠) .

(١٠) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣١٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/١٢٩).



وقال ابن زيد رحمه الله في قوله : ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ﴾ : الطاعة لله [(١)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة من حيث المعنى ، ويمكن الحمل عليها جميعاً .

فيقـال في قولـه : ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ﴾ تعظِّمـوه ، وتنـصروه ، وتطيعـوه ، وتمتثلـوا أوامره . وفي قوله : ﴿وَتُوَقِّـرُوهُ﴾ تشرِّفوه ، وتفخِّموه ، وتبجِّلوه .

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [(٢)].

وقد ورد في حـديث عـن جـابر بـن عبـد الله رضي الله عنه قـال : لمـا نزلـت علـى رسـول الله ﷺ هـذه الآيـة ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ﴾ قـال الـنبي ﷺ لأصـحابه : « مَـاْ ذَاْكَ ؟» قَـاْلُوْا : اَللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمْ ، قَاْلَ : « لِتَنْصُرُوْهُ وَتُوَقِّرُوْهُ وَتُعَظِّمُوْهُ وَتُفَخِّمُوْهُ » [(٣)].

وهـذا الحـديث قـد يـشهد للمعـنى مـن حيـث اللغـة ، وإلاَّ فـلا يـصحُّ إسـناده إلى النبي ﷺ .

قـال الطـبري رحمه الله : (وهـذه الأقـوال متقاربـات المعـنى ، وإن اختلفـت ألفـاظ أهلـها بهـا ؛ ومعـنى التعزيـر في هـذا الموضـع : التقويـة بالنُّـصرة والمعونـة ، ولا يكـون ذلـك إلا بالطاعـة والتعظـيم والإجـلال . فأمـا التـوقِير : فهـو التعظـيم والإجلال والتفخيم) [(٤)].

والـضمير في الآيـة وإن قـال كـثير مـن المفـسِّرين أنّـه يعـود إلى الـنبي ﷺ ، فالأقرب - والله أعلـم – قـول مـن قـال : يجـوز أن يكـون بعـض الكـلام راجعـاً إلى

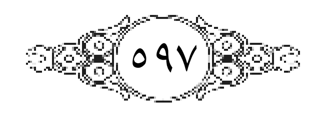
---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٥٢) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٣) **ضعيف** . أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/٤٤) بسنده بهذا اللفظ ، وأخرجه بنحوه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/٩٥) بسنده ثمَّ قال : (قال أبو محمد بن أبي سفيان : سمعت الحديث من إبراهيم بن سعيد ببغداد ، ثم ذكر لي هذا الحديث بالشام ، وقد دخل إلى الثغر ، فصرت إليه إلى عين زربة ، وكان قد سكنها وذلك في سنة ثلاث وخمسين في رحلتي الثانية إلى الثغر فسألته عن هذا الحديث ، فرددني مراراً ، ثم حدثني به لفظاً كما قدمت من ذكره ، ومات في هذه السنة ، قال أبو محمد : وليس هذا الحديث اليوم عند أحد فيما أعلم إلا عندي) . ا..هـ . ولم أقف عليه في الصحاح أو السنن أو المسانيد ، ووجدت اضطراباً في سنده عندهما . والله أعلم .

(٤) جامع البيان (٢١/٢٥٢-٢٥٣) .



الله وبعضه راجعاً إلى رسوله ، لأنَّ في الآية لفٌّ ونشر غير مرتَّب ، يدلُّ عليه استعمال كلمات الآية في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

فقوله : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ عائد على ﴿وَرَسُولِهِ﴾ بدليل قوله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وقوله سبحانه : ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [المائدة : ١٢] ، وهو النصرة مع التعظيم .

﴿وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ راجع إلى لفظ الجلالة ، كما قال تعالى على لسان نوح : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح : ١٣] ، أي : عظمة ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب : ٤١-٤٢] .

ولا غرو في ذلك ، فقد وردت ضمائر في القرآن في مواضع أخرى متعاقبة ولم يتَّحد مرجعها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص : ٧٣] .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه قد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره ، أو عائداً على ملابِس ما هو له [(١)].

ويقال أيضاً : إنَّ تعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره ونصرته ؛ هو تعظيم لله تعالى ، وإيمان به ، وامتثال لأوامره سبحانه .

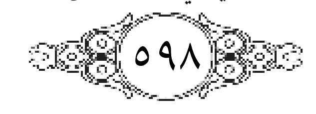
ويشهد لهذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وأصرح منه قوله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقد أورد القول باتّحاد مرجع الضمير في الآية شبهة لدى بعض الطاعنين في القرآن من النصارى حيث قالوا : إن كانت الضمائر كلها في الآية تعود على الرسول ﷺ كان ذلك كفراً لأنَّ التسبيح لله فقط ، وإن كانت عائدة على الله يكون كفراً أيضاً، لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعزِّره ويقويه [(٢)]. والله المستعان ..

---

(١) قواعد التفسير (١/٤٠٤) .

(٢) أورد ذلك قسيس نصراني اسمه عبد الله القادي في كتابه : هل القرآن معصوم ؟ .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح : ١٦] [١].

١٣٤- **قال عطاء الخراساني** : هم فارس [٢].

الدراسة :

* يأمر الله نبيه ﷺ بالتقدمة إلى المخلَّفين من الأعراب بأنَّهم سيدعون إلى قتال عدوٍ بئيس أصحاب بأس ونجدة ، وفسَّر عطاء الخراساني العدو بأنَّهم فارس ، وقد اختلف المفسِّرون بالمراد بهم على أقوال .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أنهم فارس ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وابن عباس رضي الله عنهما[٤]، ومجاهد [٥] .

القول الثاني : أنهم فارس والروم ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٦]، ومجاهد [٧]، وقاله الحسن [٨]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وابن زيد [٩].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/٣١٦) ، والبغوي في معالم التنزيل (٤/٢٢٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٢٠) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٥٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/١٣٣) ، والألوسي في روح المعاني (٢٦/١٥٦) ، والشوكاني في فتح القدير (٥/٦٢) ، والطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٦/١٧١) بلفظ : فارس والروم ، وهي زيادة لم يذكرها غيره ، ولعله وهم منه رحمه الله .

(٣) انظر : جامع البيان (٢١/٢٦٦) ، الكشف والبيان (٩/٤٦) ، النكت والعيون (٥/٣١٥-٣١٦) ، معالم التنزيل (٤/٢٢٦) ، المحرر الوجيز (١٧٣٣) ، زاد المسير (١٣٢٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٥٠) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٠٠) ، فتح القدير (٥/٦٢) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٦٦) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٠٠) برقم : (١٨٥٩٤) .

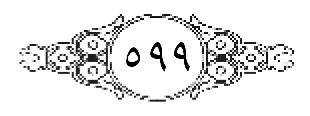
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٦٦) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٢٠) لابن مردويه .

(٧) تفسير مجاهد (٢٥٩) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢١٢) ، والطبري في تفسيره (٢١/٢٦٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥١٩) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢١/٢٦٦-٢٦٧) .



القول الثالث : أنهم الروم ، وهو قول كعب الأحبار [١].

القول الرابع : هوازن وثقيف بحنين ، قاله سعيد بن جبير ، وعكرمة[٢]، وقتادة [٣]، وقوّاه ابن جزي [٤].

القول الخامس : بنو حنيفة مع مسيلمة الكذَّاب ، قاله الزهري [٥]، والكلبي [٦]، وأكثر المفسِّرين على ذلك [٧].

القول السادس : أنهم قوم لم يأتوا بعد ، قاله أبو هريرة ﷺ [٨].

القول السابع : أنهم البآرز يعني الأكراد ، روي عن أبي هريرة ﷺ [٩].

القول الثامن : أهل الأوثان ، روي عن مجاهد [١٠].

قال ابن عاشور ﷺ : (يتعيَّن أنهم قوم من العرب) [١١].

الجمع أو الترجيح :

جميع الأقوال محتملة ، والأقرب – والله أعلم – الجمع بينها ، لعدم ورود دليل على تخصيص قوم دون قوم .

فيقال : بيَّن الله عباده المؤمنين في هذه الآية أنَّهم سيقاتلون قوماً أولي بأس شديد وقوَّة ، ولم يحددهم ، أو يصفهم بأكثر من هذا .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٩/٢١) .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٦٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٠/٧) عزوه عنهما لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقي .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٢/٣) ، الطبري في تفسيره (٢٦٧/٢١) ، بزيادة : غطفان .

(٤) التسهيل (٩٩/٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٨/٢١) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٢/٣) .

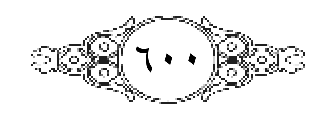
(٧) حكاه الواحدي في الوسيط (١٣٨/٤) ، وممن اختاره الزمخشري في الكشاف (١٠٢٦) ، والرازي في التفسير الكبير (٨٤/٢٨) ، والبيضاوي في أنوار التنزيل (١٢٩/٥) ، والنسفي في مدارك التنزيل (٥٧٣/٢)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (١٠٢/٦) ، والألوسي في روح المعاني (١٥٧/٢٦) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٢/٣) ، والطبري في تفسيره (٢٦٨/٢١) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٣٠٠/١٠) برقم : (١٨٥٩٥) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢٠١/٤) .

(١٠) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣١٦/٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٠/٧) لعبد بن حميد.

(١١) التحرير والتنوير (١٧١/٢٦) .



نص بالتخصيص [١].

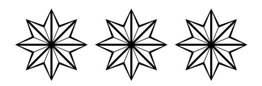
قال الطبري رحمه الله : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنَّ الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال ، ونجدة في الحروب ، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيَّ بذلك هوازن ، ولا بنو حنيفة ، ولا فارس ، ولا الروم ، ولا أعيان بأعيانهم ، وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس ، وجائز أن يكون عُنِي بهم غيرهم ، ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه : إنهم سيدعون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾) [٢].

وقال أبو حيان رحمه الله : (والذي أقوله : إنَّ هذه الأقوال تمثيلات من قائليها، لا أنَّ المعنى بذلك ما ذكروا ، بل أخبر بذلك مبهماً دلالة على قوة الإسلام وانتشار دعوته ، وكذا وقع حسن إسلام تلك الطوائف ، وقاتلوا أهل الردة زمان أبي بكر ، وكانوا في فتوح البلاد أيام عمر وأيام غيره من الخلفاء)[٣].

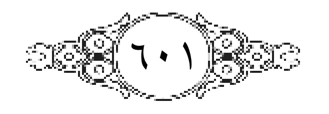
وقال السعدي رحمه الله : (وهؤلاء القوم فارس والروم ، ومن نحا نحوهم وأشبههم) [٤].

وعليه فقول عطاء الخراساني يدخل في ذلك ، لأنَّ فارس كانوا قوماً أولي بأس شديد ، فيدخلون في هذه الآية هم وغيرهم .

والحمد لله ..



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .
(٢) جامع البيان (٢١/٢٦٩) .
(٣) البحر المحيط (٨/١٣٣) .
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٧٩٣) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح : ٢٠] [(١)].

١٣٥- **قال عطاء الخراساني** : يقال أيضاً : خيبر ، ويقال أيضاً : فَدَك [(٢)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني أنَّ من الغنائم التي عجَّلها الله للمسلمين خيبر ، أو فدك ، وهي منطقة قريبة من خيبر .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : أنَّ التي عجَّلها الله لهم هي خيبر [(٤)]، قاله عطاء الخراساني، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٥)]، ومجاهد[(٦)]، وقتادة [(٧)]، وعطية[(٨)]، وهو قول جمهور المفسِّرين [(٩)].

ويدخل في ذلك ما قاله عطاء الخراساني أيضاً أنَّ التي عجَّلها الله لهم هي فدك [(١٠)]، فهي منطقة بجوار خيبر ، وهي من الغنائم التي أفاء الله بها على

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٨) ص١٢٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) النكت والعيون (٣١٧/٥) ، زاد المسير (١٣٢٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٥٣/٢) ، البحر المحيط (١٣٧/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٠٣/٤).

(٤) **خيبر** = الموضع المذكور المشهور في غزاة النبي ﷺ ، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ، ومزارع ونخل كثير ، وقد فتحها النبي ﷺ كلها في سنة سبع للهجرة ، وقيل سنة ثمان . انظر : معجم البلدان (٢٣٨/٤) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٥/٧) لابن مردويه.

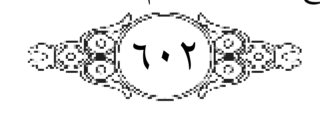
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٠/٢١) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨١/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٥/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٥/٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) انظر : بحر العلوم (٣١٧/٣) ، الكشف والبيان (٤٨/٩) ، الوسيط (١٤٠/٤) ، معالم التنزيل (٢٢٩/٤) ، الكشاف (١٠٢٧) ، المحرر الوجيز (١٧٣٥) ، أنوار التنزيل (١٢٩/٥) ، مدارك التنزيل (٥٧٤/٢) ، التسهيل (١٠٠/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٠٤/٦) ، روح المعاني (١٦٥/٢٦) ، فتح القدير (٦٣/٥) .

(١٠) **فدك** = قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً ، وذلك أنَّ النبي ﷺ لما نزل خيبر وفتح حصونها ، ولم يبق إلا ثلث ، واشتد بهم الحصار راسلوا رسول الله ﷺ



المسلمين في خيبر .

وقد روى أهل السير أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا حاصر أهل خيبر حتى إذا أيقنوا بالهلكة ؛ سألوه أن يحقن لهم دماءهم ففعل ، فلما سمع بهم يهود فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحقن دماءهم ويخلُّوا له الأموال ففعل ، وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيِّصة بن مسعود [(١)]، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمرُ لها ؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب [(٢)].

القول الثاني : صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – هو القول الأول ، الذي قال به عطاء الخراساني ، ومن معه .

قال الطبري رحمه الله : (وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب : ما قاله مجاهد ، وهو أنَّ الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر ، وذلك أنَّ المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية إليها من فتح خيبر

يسألونه أن ينزلهم على الجلاء ، وفعل ، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ ، وفيها عين فوارة ، ونخيل كثيرة . انظر : معجم البلدان (٤/٢٣٨) .

(١) **محيصة بن مسعود** = ابن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، أبو سعد المدني ، أخو حويصة ، صحابي جليل ، شهد أحداً وما بعدها ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى فدك ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه : ابنه سعد ، وابن ابنه حرام بن سعد بن محيصة ، وابنة له غير مسماة ، وبشير بن يسار ، ومحمد بن زياد الجمحي . انظر : تهذيب التهذيب (١٠/٦٠) .

(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٥١٤) ، الرحيق المختوم للمباركفوري (٣٧٧) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٢٨١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٢٥) عزوه لابن مردويه.

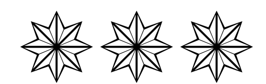
وغنائمها) [(١)].

وسياق الآية في الكلام على فتح خيبر وغنائمها ، كما هو مشهور من كلام المفسِّرين في قوله تعالى : ﴿وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح : ١٨] .

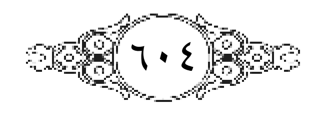
والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجَّح على ما خالفه [(٢)]، والسياق أيضاً : يرشد إلى تعيين المحتمل [(٣)].

قال ابن عاشور رحمه الله : (والوعد بالمغانم الكثيرة واقع في ما سبق نزوله من القرآن ، وعلى لسان الرسول ﷺ ؛ مما بلّغه إلى المسلمين في مقامات دعوته للجهاد ، ووصف : ﴿مَغَانِمَ﴾ بجملة : ﴿تَأْخُذُونَهَا﴾ لتحقيق الوعد ... ، وإنما جعل نوالهم غنائم خيبر تعجيلاً ، لقرب حصوله من وقت الوعد به)[(٤)].

والله أعلم ، ،



(١) جامع البيان (٢١/٢٨١) .
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩) .
(٣) قواعد التفسير (٢/٦٥٣) .
(٤) التحرير والتنوير (٢٦/١٧٧) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح : ٢٦] [١] .

١٣٦- **قال عطاء الخراساني** : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله [٢] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١٣/٢١) بسنده قال : حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر ... **ودراسة الإسناد** :

ابن البرقي هو : أبو بكر ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، كان من الحفاظ المتَّقين صنف في معرفة الصحابة ، سمع من عمرو بن أبي سلمة ، رفسته دابة في رمضان سنة سبعين ومائتين فتلف ، وقد وهم الطبراني وروى عنه كثيراً ، وإنما كان سمع من أخيه عبد الرحيم السيرة ، واعتقد أنَّ اسمه أحمد ، وتكلم فيه الطبراني بسبب ذلك . انظر : طبقات الحفاظ (٢٥٦/١) ، رجال تفسير الطبري (٢١) .

عمرو بن أبي سلمة : التنِّيسي ، أبو حفص الدمشقي ، مولى بني هاشم ، صدوق له أوهام ، من كبار العاشرة مات سنة مائتين وأربعة عشر . روى عن : الأوزاعي ، وحفص بن غيلان ، وروى عنه : الشافعي وخلق . انظر : الكاشف (٧٧/٢) ، تقريب التهذيب (٤٢٢) .

سعيد بن عبد العزيز التنوخي : الدمشقي مفتي دمشق وعالمها ، قرأ على ابن عامر ، وسمع مكحولاً ، وزياد بن أبي سودة ، وسأل عطاء لما حجّ ، وروى عنه ابن مهدي ، وأبو مسهر ، وأبو اليمان ، قال أحمد : هو والأوزاعي عندي سواء ، كان بكاءً خوافاً ، فسئل فقال : ما قمت إلى الصلاة إلا مثِّلت لي جهنم ، ثقة ثبت، مات سنة ١٦٧هـ ، من أبناء الثمانين . انظر : الكاشف (٤٤٠) ، وقد سبقت ترجمته في تلاميذ عطاء .

وبذلك يكون هذا الأثر حسن الإسناد إلى عطاء الخراساني .

وأخرجه أيضاً : الطبراني في الدعاء (٤٦٣/١) قال : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي ، ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ، ثنا سعيد بن عبد العزيز ، قال : سمعت عطاء الخراساني يقول .. وذكر الأثر .

دراسة الإسناد :

أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي : البتلهي ، روى عن أبيه ، له مناكير ، قال الحاكم : فيه نظر ، وحدَّث عنه أبو الجهم الشعراني ببواطيل ، كبر فكان يلقن ما ليس من حديثه فيتلقن ، مات سنة تسع وثمانين ومائتين ، وروى عنه أيضاً : الطبراني ، وخيثمة ، وابن جوصا ، وآخرون . انظر : لسان الميزان (٢٩٥/١) .

يحيى بن صالح الوُحَاظي : الحمصي ، صدوق من أهل الرأي ، من صغار التاسعة ، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، وقد جاز التسعين . انظر : تقريب التهذيب (٥٩١) .

سعيد بن عبد العزيز : التنوخي ، تقدَّمت ترجمته .

وبذلك يكون هذا الأثر ضعيف الإسناد إلى عطاء الخراساني من هذا الوجه لضعف أحمد الدمشقي.

وقد ذكره أيضاً عن عطاء الخراساني : الثعلبي في الكشف والبيان (٦٣/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٤٣/٤) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٣٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٢٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٥٨/٢)، والخازن في لباب التأويل (٢١٢/٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (١٤٢/٨) ، وابن كثير في تفسيره (٢٠٥/٤) ، وابن عادل في اللباب (٥٠٧/١٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٧) لعبد بن حميد ، وذكره الألوسي في روح المعاني (١٧٩/٢٦) .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني كلمة التقوى في الآية بأنها كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

الأقوال في الآية[1] :

القول الأول : أنَّ كلمة التقوى هي : لا إله إلا الله ، وهذا قول عمر بن الخطاب[2] ، وعلي بن أبي طالب ﷺ[3] ، وابن عباس ﷺ[4] ، وروى أبيّ بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قال : « لاَ إِلَهَ إلاَّ الله »[5].

وقال بهذا القول : عمرو بن ميمون[6] ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير[7] ، ومجاهد[8] ، وعكرمة[9] ، والضحاك[10] ، والحسن[11] ،

---

(١) انظر : جامع البيان (٢١/٣١١-٣١٤) ، الكشف والبيان (٩/٦٣) ، النكت والعيون (٥/٣٢١) ، زاد المسير (١٣٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٥٨) ، أنوار التنزيل (٥/١٣١) ، البحر المحيط (٨/١٤٢) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٠٤-٢٠٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٠٦) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٦) للإمام أحمد عن حمران مولى عثمان بن عفان .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢١٦) ، والطبري في تفسيره (٢١/٣١٠) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٠١) برقم : (١٨٥٩٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣١١) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٠١) برقم : (١٨٦٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٦) عزوه لابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٥) **غريب** . أخرجه الترمذي في سننه ، برقم : (٣٢٦٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفتح ، وأحمد في مسنده (٢٠٧٤٧) ، والطبري في تفسيره (٢١/٣١٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة ، قال : وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه . وأخرجه ابن مردويه كما عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٦) عن أبي هريرة وسلمةَ بن الأكوع مثله مرفوعاً ، وكلها ضعيفة الأسانيد . قال العراقي في تخريج الإحياء (١/٣٩٥) عن حديث سلمة بن الأكوع : لا يصح .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣١١) .

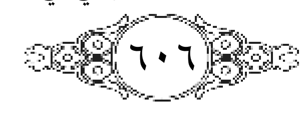
(٧) عزاه عنهما السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٧) لعبد بن حميد .

(٨) تفسير مجاهد (٢٥٩) ، وأورده البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا قال : والله لا أتكلَّم اليوم فصلى أو قرأ أو سبَّح ...، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣١٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣١٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٧) عزوه لعبد بن حميد.

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣١٢) .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢١٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٣٧) عزوه لعبد بن حميد.



وقتادة[١]، وإبراهيم التيمي [٢]، وعليه جمهور المفسِّرين [٣].

وزاد عطاء الخراساني : محمد رسول الله .

وزاد علي بن أبي طالب [٤]وابن عمر [٥]: والله أكبر .

وزاد المِسْور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم[٦]: وحده لا شريك له .

وزاد عطاء بن أبي رباح : وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كلّ شيء قدير [٧].

قال ابن عطية ﷺ : (وهذه كلها أقوال حِسان ؛ لأنَّ هذه الكلمة تقي النار، فهي كلمة التقوى) [٨].

القول الثاني : الإخلاص ، قاله مجاهد [٩].

القول الثالث : قول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قاله الزهري [١٠]، والزمخشري ، وزاد : ومحمد رسول الله [١١].

القول الرابع : كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ، ومعنى إضافتها إلى

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٦/٣) ، والطبري في تفسيره (٣١٢/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٧/٣) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣١٩/٣) ، الوسيط (١٤٤/٤) ، معالم التنزيل (٢٤٣/٤) ، المحرر الوجيز (١٧٣٧) ، التفسير الكبير (٩٤/٢٨) ، مدارك التنزيل (٥٧٦) ، التسهيل (١٠٢/٤) ، روح المعاني (١٧٩/٢٦) ، فتح القدير (٦٧/٥) ، تفسير المراغي (١٧٣/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥) ، التحرير والتنوير (١٩٥/٢٦).

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١١/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣٦/٧) عزوه لأبي الحسين بن مروان في فوائده .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٧/٣) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣١٣/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٧) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٦) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٠١/١٠) برقم : (١٨٦٠١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٧) عزوه للدارقطني في الأفراد .

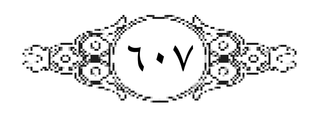
(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٤/٢١) ، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٣٧) .

(٨) المحرر الوجيز (١٧٣٧) .

(٩) كذا أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٤/٢١) ، واعتبره قولاً مستقلاً ، والظاهر من عبارة تفسير مجاهد أنَّه داخل في القول الأول ، حيث قال : هي كلمة الإخلاص : لا إله إلاَّ الله . انظر : تفسير مجاهد (٢٥٩) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٦/٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣١٤/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣٧/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(١١) الكشاف (١٠٢٩) .



التقوى: أنها سبب التقوى وأساسها ، قاله الحسن [1].

القول الخامس : قولهم : سمعنا وأطعنا بعد خوضهم ، وسمِّيت كلمة التقوى لأنهم يتَّقون بها غضب الله ، ذكره الماوردي [2].

القول السادس : لا إله إلا الله والجهاد في سبيله ، روي عن سعيد بن جبير [3].

الجمع أو الترجيح :

الذي يترجَّح هو القول الأوَّل الذي قال به عطاء الخراساني ، وعليه جمهور المفسِّرين ، ويُستأنس في ترجيحه بالحديث الذي ورد في ذلك ، وهو أيضاً المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم .

والقاعدة التفسيرية : أنه عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [4].

قال الأستاذ الطاهر ابن عاشور ﷺ : (ومعنى إلزامه إياهم كلمة التقوى : أنه قدَّر لهم الثبات عليها قولاً بلفظها ، وعملاً بمدلولها ؛ إذ فائدة الكلام حصول معناه ، فإطلاق (الكلمة) هنا كإطلاقه في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف : ٢٨] ، يعني بها قول إبراهيم لأبيه وقومه : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٧] .

وإضافة ﴿كَلِمَةَ﴾ إلى ﴿التَّقْوَىٰ﴾ على هذا التفسير إضافة حقيقية . ومعنى إضافتها : أنَّ كلمة الشهادة أصل التقوى فإنَّ أساس التقوى اجتناب عبادة الأصنام ، ثم تتفرع على ذلك شعب التقوى كلها . ورويت أقوال أخرى في تفسير ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ بمعنى كلام آخر من الكلم الطيب وهي تفاسير لا تلائم سياق الكلام ولا نظمه) [5]. والله أعلم ، ،

---

(١) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف (١٠٢٩) .

(٢) النكت والعيون (٥/٣٢١) .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٠٥) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .

(٥) التحرير والتنوير (٢٦/١٩٦) .

الموضع السادس :

* في قول الله تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] [١] .

١٣٧- **قال عطاء الخراساني** : دخَل في هذه الآية كلُّ من حافظ على الصلوات الخمس [٢] .

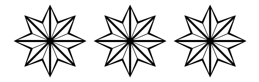
الدراسة :

* يبيِّن عطاء الخراساني أنَّ هذه الآية يدخل فيها كلُّ من حافظ على الصلوات الخمس ، لأنَّ العبادة قد أثَّرت في وجوههم من كثرتها وحسنها حتى استنارت ؛ فلمَّا استنارت بالصلاة بواطنهم استنارت بالجلال ظواهرهم .

وتفسير عطاء الخراساني في هذه الآية هو تفسير بالمفهوم ، بل هو أقرب إلى التعليق على الآية ، وليس تفسيراً تحليلياً ، وكلامه هنا صحيح فيها .

قال صاحب الظلال رحمه الله : (سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف ، وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فالمقصود بأثر السجود هو أثرُ العبادة ، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها ، فهو أثر هذا الخشوع ؛ أثره في ملامح الوجه ، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ويحلُّ مكانها التواضع النبيل ، والشفافية الصافية ، والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلاً) [٣].

والله أعلم ..

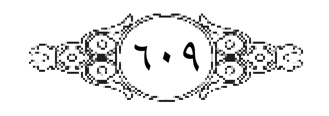


---

(١) الآية بتمامها : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٦٦/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٤٥/٤) ، والخازن في لباب التأويل (٢١٥/٦) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٦١/٢) .

(٣) في ظلال القرآن (٣٣٣٢/٦) .



الموضع السابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح : ٢٩] .

١٣٨- **قال عطاء الخراساني** : شطأه : ورقه [(١)] .

الدراسة :

* يضرب الله تعالى في هذه الآية مثلاً لأولئك الأخيار من صحابة المصطفى ﷺ بأنَّ مثلهم في الإنجيل كالزرع الذي أخرج شطأه ؛ فقوَّاه فاستغلظ فاستوى على سوقه .

الأقوال في الآية[(٢)] :

القول الأول : شطأه : ورقه ، وهذا قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : أنه نباته وفراخه ، وهذا قول أنس بن مالك رضي الله عنه [(٣)] ، وبنحوه قال عكرمة [(٤)]، وقتادة [(٥)]، والزهري[(٦)] ، وقاله الزجاج [(٧)]، والراغب[(٨)]، وجمهور المفسِّرين [(٩)]، وقال ابن زيد : أولاده [(١٠)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٩) ص١٢٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (٩/٦٦) ، النكت والعيون (٥/٣٢٣) ، البحر المحيط (٨/١٤٦).

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٢٩) ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٠١) برقم : (١٨٦٠٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٤) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٤) لعبد بن حميد .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٣) عزوه لعبد بن حميد، ولفظه : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع .

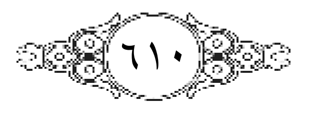
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٠) .

(٧) معاني القرآن (٥/٢٤) .

(٨) المفردات في غريب القرآن (٢٦٣) .

(٩) انظر : بحر العلوم (٣/٣٢١) ، الوسيط (٤/١٤٦) ، معالم التنزيل (٤/٢٤٥) ، الكشاف (١٠٣٠) ، المحرر الوجيز (١٧٤٠) ، زاد المسير (١٣٢٦) ، التفسير الكبير (٢٨/٩٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٦١) ، أنوار التنزيل (٥/١٣٢) ، مدارك التنزيل (٢/٥٧٨) ، التسهيل (٤/١٠٥) ، تفسير ابن كثير (٤/٢١٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٠٨) ، روح المعاني (٢٦/١٩٠) ، فتح القدير (٤/٦٩) ، تفسير المراغي (٩/١٧٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥) ، التحرير والتنوير (٢٦/٢٠٨) ، أضواء البيان (٧/٤٠٤).

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٠) .



القول الثالث : ما يخرج بجنب الحقلة فيتمُّ وينمى ، قاله مجاهد [(١)].

القول الرابع : أنه السنبل ؛ حين يتسلَّع نباته عن حباته ، فيخرج من الحبَّة عشر سنبلات وتسع وثمان ، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)]، وقاله الفرَّاء[(٣)].

القول الخامس : أنَّ الشطأ شوك السنبل ، والعرب أيضاً تسميه السفا والبهمي ، قاله قطرب [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، ويمكن حمل المعنى عليها ، والقول الثاني والثالث معناهما واحد [(٥)]، وهو الأقرب لاستفاضة النقل فيه عن أهل العلم .

والقاعدة التفسيرية : أنه عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [(٦)].

والمقصود على كلّ حال : أنه مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد ﷺ أنهم يكونون قليلاً ثمَّ يزدادون ويكثرون ويستغلظون ، كما قال الضحاك [(٧)].

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح ، لكنَّ الأقرب هو الثاني .

والله أعلم ،،

❊❊❊

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٥) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٣) عزوه لابن مردويه .

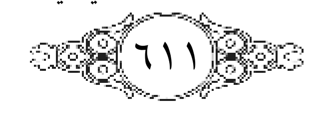
(٣) معاني القرآن (٣/٦٧) .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٢٣) .

(٥) قال الراغب : (وشطء الزَّرع : فُرُوخُ الزَّرْع وهو ما خرج منه وتفرَّغ في شاطئيه ، أي في جانبيه ، وجمعه أشطاء) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٦٣) .

(٦) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٤) عزوه لابن المنذر .



الموضع الثامن :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَآزَرَهُ﴾ [الفتح : ٢٩] .

١٣٩- **قال عطاء الخراساني** : ثبت في أصل الورقة [(١)] .

الدراسة :

* المؤازرة في اللغة : هي التقوية ، والأزر القوة الشديدة ، وآزره أعانه وقواه وأصله من شد الإزار ، يقال : تأزر النبات : إذا طال وقوي [(٢)] .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : ثبتَ في أصل الورقة ، وهو قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : فشدَّه وأعانه ؛ وهو قول مجاهد[(٤)]، والفراء[(٥)]، وجمهور المفسِّرين [(٦)]، والمقصود أنه عاونه فشدَّ فراخ الزرع أصول النبت وقوَّاها .

القول الثالث : نباته مع التفافه حين يسنبل ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)] .

القول الرابع : ساواه ، فصار مثل الأم ، قاله السدي [(٨)]، واختاره ابن الجوزي [(٩)] .

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٧٠) ص١٢١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٦) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٥/٣٢٣) ، البحر المحيط (٨/١٤٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٥) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

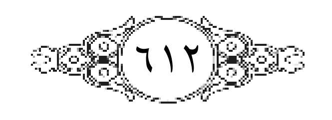
(٥) معاني القرآن (٣/٦٧) .

(٦) انظر : بحر العلوم (٣/٣٢١) ، الكشف والبيان (٩/٦٦) ، الوسيط (٤/١٤٦) ، معالم التنزيل (٤/٢٤٥) ، الكشاف (١٠٣٠) ، المحرر الوجيز (١٧٤٠) ، التفسير الكبير (٢٨/٩٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٦١) ، أنوار التنزيل (٥/١٣٢) ، مدارك التنزيل (٢/٥٧٨) ، التسهيل (٤/١٠٥) ، تفسير ابن كثير (٤/٢١٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٠٨) ، روح المعاني (٢٦/١٩١) ، فتح القدير (٤/٦٩) تفسير المراغي (٩/١٧٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥) ، التحرير والتنوير (٢٦/٢٠٨) ، أضواء البيان (٧/٤٠٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٤٣) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٢٣) .

(٩) زاد المسير (١٣٢٦) .



الجمع أو الترجيح :

الأقرب للمراد والله أعلم هو القول الثاني ، لأنه الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم .

والقاعدة التفسيرية : أنه عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [(١)].

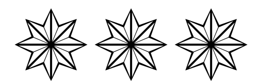
وكذلك فهو الأقرب للغة العرب .

والقاعدة التفسيرية : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٢)].

والمقصود : أنَّ الله يريد أن يضرب مثلاً بالمؤمنين حينما كانوا قليلٌ ضعفاء ؛ فلم يزل الله يؤيدهم بالإسلام كما أيَّد هذا الزرع بأولاده فآزره وقواه.

قال ابن زيد ﷺ : (اجتمع ذلك فالتفّ ، وكذلك المؤمنون خرجوا وهم قليل ضعفاء ؛ فلم يزل الله يزيد فيهم ويؤيدهم بالإسلام كما أيَّد هذا الزرع بأولاده فآزره فكان مثلاً للمؤمنين) [(٣)].

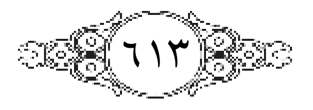
والله أعلم ،،



(١) قواعد التفسير (٢/ ٨٠٤) .

(٢) قواعد التفسير (١/ ٢٣٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٣٢) .



سورة الحجرات

الموضع الأول :

* في قـــــول الله تعـــــالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات : ١] [١] .

١٤٠- **قال عطاء الخراساني** : نزلت في قصَّة بئر معونة [٢] [٣] .

الدراسة :

* قصَّة بئر معونة التي عناها عطاء الخراساني ؛ هي قصة القتيلين من بني عامر التي ذكرها ابن حزم وغيره من أهل العلم ، وفيها : أنَّ عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية عن رقبة كانت على أمه ، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وجوار من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو ، فلما ناما قتلهما عمرو ؛ وظنَّ أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه فلما قدِم على رسول الله ﷺ أخبره ، فقال : « لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لأَوْدِيَنَّهُمَا » ، وجاء بنو سليم إلى رسول الله ﷺ وقالوا : إنَّ بيننا وبينك عهداً وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله ﷺ بمائة بعير ونزلت عليه هذه الآية في قتلة الرجلين[٤] .

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : نزلت في قصَّة بئر معونة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول عكرمة [٦] ، ومقاتل [٧] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ٧٠) .

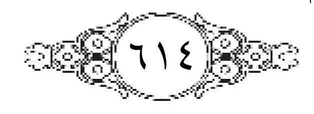
(٣) **بئر معونة** : ماء من مياه بني سليم ، بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ، وكلا البلدين منها قريب إلا أنها إلى حرَّة بني سليم أقرب ، وقيل : بئر معونة بين جبال يقال لها أبلى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة ، وهي لبني سليم ، وعندها كانت قصة الرجيع . انظر : معجم البلدان (١/ ٣٠٢) .

(٤) انظر : جوامع السيرة (١٧٩) لابن حزم الأندلسي .

(٥) انظر : جامع البيان (٢١/ ٣٣٦) ، بحر العلوم (٣/ ٣٢٢) ، الكشف والبيان (٩/ ٧٠) ، النكت والعيون (٥/ ٣٢٥-٣٢٦) ، المحرر الوجيز (١٧٤٠) ، زاد المسير (١٣٢٩) ، التسهيل (٤/ ١٠٨) ، البحر المحيط (٨/ ١٥٠).

(٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٢٦) .

(٧) حكاه عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٣٢٢) .



القول الثاني : أنها نزلت في أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر : أمّر القعقاع بن معبَد بن زرارة ، قال عمر : بل أمّر الأقرع بن حابس ، قال أبو بكر : ما أردتَ إلا خلافي ، قال عمر : ما أردتُ خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ؛ فنزل في ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى انقضت [(١)].

القول الثالث : أن ناساً كانوا يقولون : لو أنزل فيَّ كذا ، لو أنزل فيَّ كذا ، فنزلت هذه الآية ، قاله قتادة [(٢)].

القول الرابع : أنها نزلت في قوم ضحُّوا قبل أن يصلوا مع رسول الله ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح ، قاله الحسن [(٣)].

القول الخامس : أنهم نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)].

القول السادس : معناه ألا تفتاتوا على الله ورسوله ، حتى يقضي الله على لسان رسوله ، قاله مجاهد [(٥)]، وهذا التفسير على قراءة : ﴿ تَقَدَّموا ﴾ [(٦)].

القول السابع : لا تقدِّموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ، قاله الزجاج [(٧)]، واختاره الزمخشري [(٨)].

القول الثامن : أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك ، ذكره جماعة من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب المغازي ، باب : قال ابن إسحاق : غزوة عيينة بن حصن برقم : (٤٣٦٧) ، وفي كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ برقم : (٤٨٤٧) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٨/٣) ، والطبري (٣٣٦/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣٠٢/١٠) برقم : (١٨٦٠٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤٦/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢١٨/٣) ، والطبري في تفسيره (٣٣٦/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤٧/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

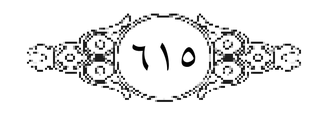
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٣٦/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣٠٢/١٠) برقم : (١٨٦٠٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤٦/٧) عزوه لابن مردويه .

(٥) تفسير مجاهد (٢٦٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٣٦/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤٧/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٦) الدر المنثور (٥٤٧/٧) .

(٧) معاني القرآن (٢٦/٥) .

(٨) الكشاف (١٠٣١) .



المفسِّرين [١].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم – أن يقال : نزلت هذه الآية مانعة ناهية عن جميع هذه الأمور التي ذكرها المفسِّرون سبباً ، وتحمل على عمومها .

قال الرازي ﷺ : (وقيل في سبب نزول الآية وجوه ... ، والأصح أنه إرشاد عام يشمل الكل ، ومنع مطلق يدخل فيه كل إثبات وتقدُّم واستبداد بالأمر ، وإقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة) [٢].

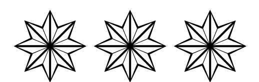
وقال ابن العربي ﷺ : (هذه الأقوال كلها صحيحة تدخل تحت العموم ؛ فالله أعلم ما كان السبب المثير للآية منها ، ولعلها نزلت دون سبب) [٣].

وأصرح وأصحُّ ما ورد في سبب نزول الآية هو القول الثاني ، الذي رواه البخاري ، وهو وإن كان ثابتاً في الآية التي بعدها إلا أنه يمكن حمله على أنَّ هذه الآيات نزلت جميعاً ، فكان من أسباب نزولها جملة قصة أبي بكر وعمر ، وهو ما يفهم من حديث البخاري في الصحيح ، وكذلك القول الذي يليه قول قتادة ؛ فهو قوي في سبب النزول ، ويمكن حمل المعنى عليه [٤].

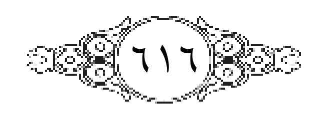
وأما ما ذكره المفسِّرون من أقوال أخرى ومن ضمنها قول عطاء الخراساني؛ تحمل على أنه تفسير للآية ، وليس سبب نزول لها ، وقد سبق بيان ذلك [٥].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول في الأسباب موقوف على النَّقل والسماع[٦].

والله أعلم .



(١) حكاه السمرقندي في بحر العلوم (٣٢٢/٣) ، والثعلبي في الكشف والبيان (٧٠/٩) ، والواحدي في الوسيط (١٥٠/٤) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٥٢/٤) .
(٢) التفسير الكبير (١٠١/٢٨) .
(٣) أحكام القرآن (١٤٤/٤) .
(٤) انظر : سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية ص(٩) .
(٥) انظر صفحة (٣٠١-٣٠٢) .
(٦) قواعد التفسير (٥٤/١) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات : ٢] (١) .

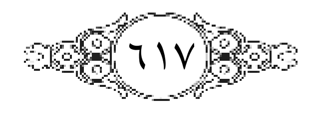
قال عطاء الخراساني(٢) : قدِمْت المدينة فلقيت رجلاً من الأنصار . قلت: حدثني حديث ثابت بن قيس بن شماس . قال : قم معي فانطلقت معه حتى دخلت على امرأة ، فقال الرجل : هذه ابنة ثابت بن قيس بن شماس فاسألها عما بدا لك . فقلت : حدثيني . قالت : سمعت أبي يقول : لما أنزل الله على رسول الله ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية ، دخل بيته وأغلق عليه بابه وطفق يبكي ، ففقده رسول الله ﷺ ، فقال : « مَا شَأْنُ ثَابِتْ؟ » ، فقالوا : يا رسول الله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه باب بيته فهو يبكي فيه . فأرسل رسول الله ﷺ فسأله: « ما شأنك ؟ » ، قال : يا رسول الله : أنزل الله عليك هذه الآية ، وأنا شديد الصوت فأخاف أن أكون قد حبط عملي . فقال : « لست منهم ، بل تعيش بخير ، وتموت بخير » .

قالت : ثم أنزل الله على نبيه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان : ١٨] ، فأغلق عليه بابه وطفق يبكي فيه فافتقده رسول الله ﷺ وقال : ثابت ما شأنه ؟ قالوا : يا رسول الله ، والله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه بابه وطفق يبكي ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال : « ما شأنك؟ » ، قال : يا رسول الله : أنزل الله عليك : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ ، والله إني لأحب الجمال ، وأحب أن أسود قومي ، قال : « لست منهم بل تعيش حميداً، وتقتل شهيداً ، ويدخلك الله الجنة بسلام » . قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب فلما لقي أصحاب رسول الله ﷺ قد انكشفوا فقال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ ، ثم حفر كل منهما لنفسه حفرة ، وحمل عليهم القوم ، فثبتا حتى قتلا،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

(٢) لم أرقِّم هذا الموضع ، نظراً لأنه من مرويات عطاء الخراساني عن غيره ، وقد أوردته هنا لأنَّ فيه رحلته العلمية ، وبحثه وسؤاله عن سبب نزول الآية .



وكانت على ثابت يومئذ درع له نفيسة ؛ فمرَّ به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه فقال له : إني أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ؛ إني لما قتلت أمس مرَّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ، ومنزله في أقصى العسكر ، وعند خبائه فرس يستنُّ [1] في طوله ، وقد كفا على الدرع برمة [2] ، وجعل فوق البرمة رحلاً ، فائتِ خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها ، وإذا قدمت على خليفة رسول الله فأخبره أن عليَّ من الدين كذا وكذا ، ولي من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق وفلان ، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه؛ فأتى الرجل خالد بن الوليد فأخبره ، فبعث إلى الدرع فنظر إلى خباء في أقصى العسكر فإذا عنده فرس يستن في طوله ، فنظر في الخباء فإذا ليس فيه أحد ، فدخلوا فدفعوا الرجل ، فإذا تحته برمة ، ثم رفعوا البرمة فإذا الدرع تحتها ، فأتوا به خالد بن الوليد . فلما قدموا المدينة حدّث الرجل أبا بكر برؤياه ، فأجاز وصيته بعد موته ، ولا يُعلم أحدٌ من المسلمين جوِّزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس [3] .

---

(١) **استنَّ الفرس** = قَمَصَ ، وفي المثل : (استنَّت الفِصَالُ حتى القرْعى) انظر : لسان العرب (٧/٢٨٢) .

(٢) **البرمة** = قِدْرُ من حجارة معروفة في الحجاز واليمن . انظر : لسان العرب (٢/٧٤) .

(٣) أخرجه عنه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٥٦) بسنده قال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي ، قال أخبرنا أبي ، حدثنا ابن جابر ، قال حدثنا عطاء الخراساني ... وذكر القصة . **دراسة الإسناد** :

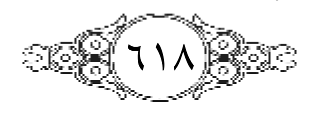
أبو عبد الله الحافظ هو : محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري الحاكم ، أبو عبد الله الحافظ ، صاحب التصانيف ، إمام صدوق ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة فيكثر من ذلك ، ثم هو شيعي مشهور من غير تعرض للشيخين ، والحاكم أجل قدراً وأعظم خطراً وأكبر ذكراً من أن يذكر في الضعفاء لكن قيل في الاعتذار عنه أنه عند تصنيفه للمستدرك كان في أواخر عمره ، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره ، مات سنة خمس وأربع مائة . انظر : لسان الميزان (٥/٢٣٢) .

أبو العباس محمد بن يعقوب هو : ابن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأصم المعقلي النيسابوري ، أحد الثقات المكثرين ، سمع الربيع بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وخلقاً كثيراً ، سمع منه أربعة بطون وماتوا ، وألحق الأحفاد بالأجداد ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله ، وأبو بكر الإسماعيلي ، وأبو عبد الله بن منده ، وعالم لا يحصون . انظر : الأنساب (٥/٣٤٤) ، تذكرة الحفاظ (٣/٨٦٠) .

العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي هو : العباس بن الوليد بن مَزْيَدْ العُذْري البَيْرُوتِي ، صدوق عابد ، من الحادية عشرة ، مات سنة تسع وستين ، وله مائة سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢٩٤) .

الوليد بن مزيد البيروتي هو : الوليد بن مَزْيَد العُذْري ، أبو العباس البيروتي ، ثقة ثبت ، قال النسائي : كان لا يخطئ ولا يدلس ، من الثامنة مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (٥٨٣) .

ابن جابر : عبدالرحمن بن يزيد بن جابر ، سبقت دراسته .



الدراسة :

* هذا الأثر من مرويات عطاء الخراساني عن غيره ، وإنما أوردته هنا لأنَّ المفسِّرين أوردوا هذه الرواية عن عطاء عند تفسير هذه الآية ، ولأنَّها مشهورة عن عطاء الخراساني في رحلته إلى المدينة ، وسؤاله ابنة ثابت حين لقيها .

وأصل هذه القصة في الصحيحين [(١)] ، وظاهرها يردُّ قول من قال : نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شمَّاس . والله أعلم ، ،

وأخرجه عنه أيضاً : ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٠١/١) بسنده قال : روى هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد ، قال حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر ، قال حدثني عطاء الخراساني ..وذكر القصة موجزة .

ودراسة الإسناد : **هشام بن عمار** : ابن نصير بن ميسرة ، أبو الوليد السلمي ويقال الظفري الدمشقي المقرئ الحافظ ، خطيب دمشق وعالمها ، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة ، روى عن مالك ، ومسلم بن خالد وخلق كثير ، وقرأ القرآن على عراك بن خالد وأيوب بن تميم وغيرهما ، وثقه ابن معين ، وقال الدارقطني : صدوق كبير المحل ، وروى عنه : البخاري ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، والباغندي ، كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح ، من كبار العاشرة ، وقد سمع من معروف الخياط لكن معروف ليس بثقة ، عاش اثنتين وتسعين سنة ، مات سنة خمس وأربعين ومائتين . انظر : معرفة القرَّاء الكبار (١٩٥/١) ، الكاشف (٣٣٧/٢) ، تقريب التهذيب (٥٧٣) .

صدقة بن خالد هو : صدقة بن خالد الأموي ، مولاهم ، أبو العباس الدمشقي ، ثقة من الثامنة ، روى عن زيد بن واقد وعدة ، وقرأ على الذماري . وروى عنه : أبو النضر الفراديسي ، وهشام بن عمار ، مات سنة إحدى وسبعين وقيل ثمانين أو بعدها . انظر : الكاشف (٥٠١/١) ، تقريب التهذيب (٢٧٥) .

عبدالرحمن بن يزيد بن جابر : سبقت ترجمته .

وعليه فالأثر من هذا الطريق صحيح ، ورجاله ثقات .

وقد نقله أيضاً ابن حجر في المطالب العالية (٢٤٤/١٥) عن أبي يعلى قال : حدثنا أحمد بن عيسى ، ثنا بكر، عن ابن جابر ، حدثني عطاء الخراساني ... وذكره . **ودراسة الإسناد** :

أبو يعلى : أحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي ، صاحب المسند المشهور ، سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته ، وكان حافظاً خيراً حسن التصنيف عدلاً فيما يرويه ضابطاً لما يحدِّث به . توفي سنة سبع وثلاثمائة . انظر : التقييد (١٥١) ، البداية والنهاية (١٣٠/١١) .

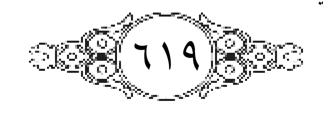
أحمد بن عيسى : **ابن حسان المصري** ، يعرف بابن التستري ، صدوق تُكُلِّم في بعض سماعاته ، قال الخطيب : بلا حجة ، من العاشرة ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (٨٣) .

ابن بكر : هو بشر بن بكر التنيسي ، أبو عبد الله البجلي ، دمشقي الأصل ، ثقة يغرب ، من التاسعة ، مات سنة خمس ومائتين ، وقيل سنة مائتين . انظر : تقريب التهذيب (٨٣) .

ابن جابر : هو : عبدالرحمن بن يزيد بن جابر ، وسبقت ترجمته .

وهو بهذا الإسناد صحيح أيضاً ، رجاله ثقات . وقد ذكره عنه أيضاً : القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٦٥/٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٠/٧) للبغوي – ولم أقف عليه – وابن المنذر والطبراني والحاكم ، وابن مردويه ، والخطيب في المتَّفق والمفترق .

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم (٣٦١٣) ، في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١١٩) في كتاب الإيمان ، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله .



الموضع الثالث :

* في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾[الحجرات : ٤] [(١)].

١٤١- **قال عطاء الخراساني** : أدركتُ حُجَر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل على أبوابها المسوح [(٢)]من شعر أسود ، فحضرْت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ [(٣)]، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم ، فسمعت سعيد بن المسيب ﵁ يقول يومئذ : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناس من أهل المدينة ، ويقدم القادم من أهل الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته ، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها ، وقال يومئذ أبو أمامة بن سهل بن حنيف : ليتها تُركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون ما رضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده [(٤)] .

الدراسة :

* يحكي عطاء الخراساني - عند ذكر حجُرات أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين - ما حَصَل في عهد الوليد بن عبد الملك من إدخالها في المسجد النبوي ، وأنه شهد ذلك وحضره ﵀ .

وفيه وصفٌ لما كان يعيش فيه رسول الله ﷺ من الدنيا ، وما كان عليه ﷺ من الزهد فيها ، وهو الذي لو أراد أن تكون له القصور الفاخرة لكانت له ﷺ ؛ لكنه إمام الزاهدين ، أراد أن يعلِّم أمته كلها حقيقة المرور في هذه الدنيا، وأنها دار انتقال ورحيل ، وليست دار قصور وخلود .

قال الطاهر ابن عاشور ﵀ واصفاً حجرات النبي ﷺ : (وكانت الحجرات

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

(٢) **المُسُوح** = جمع كثير للمِسْح بوزن المِلْح ، وهو الكِساء من الشَّعر . انظر : لسان العرب (١٤/ ٧٠) .

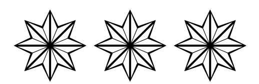
(٣) كَتَب الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين إلى عمر بن عبد العزيز أن يهدم مسجد رسول الله ﷺ ويدخل فيه المنازل التي حوله ، ويدخل فيه حجرات أزواج النبي ﷺ ، فهدم الحجُرات وأدخل ذلك في المسجد ، وفرغ من بنائه سنة تسعين . انظر : تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٨٤) .

(٤) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٤٩٩) ، (٨/ ١٦٧) ، وابن الجوزي في المنتظم (٦/ ٢٨٤) ، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦/ ٣١-٣٢) ، والسخاوي في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٢/ ٢٦٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٥٤) معزواً لابن سعد ، وكذلك ذكره الألوسي في روح المعاني (٢٦/ ٢٠٩) مختصراً .

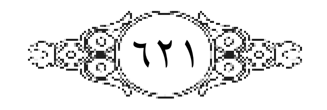


تِسعاً وهي من جريد النخل ، أي الحواجز التي بين كل واحدة والأخرى ، وعلى أبوابها مُسوح من شعر أسود وعَرْض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحو سبعة أذرع ، ومساحة البيت الداخل ، أي الذي في داخل الحجرة عشرة أذرع ، أي فتصير مساحة الحجرة مع البيت سبعة عشر ذراعاً . قال الحسن البصري : كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان فأتناول سُقْفها بيدي . وإنما ذكر الحجرات دون البيوت لأنَّ البيت كان بيتاً واحداً مقسَّماً إلى حجرات تسع)[١] .

والله أعلم ،،



(١) التحرير والتنوير (٢٦/٢٢٦) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات : ١١] [(١)].

١٤٢- **قال عطاء الخراساني** : يقال : لا يطعَن بعضكم على بعض [(٢)].

الدراسة :

* **اللَّمــز** : الاغتيــاب وتتبــع المعــاب ، أي لا تلمــزوا النــاس فيلمــزونكم ، ويطعن بعضكم على بعض فتكونوا في حكم من لمز نفسه [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القـول الأول : لا يطعـن بعـضكم علـى بعـض ، قالـه عطـاء الخراسـاني ، وهـو قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهما[(٥)] ، وسـعيد بـن جـبير [(٦)] ، ومجاهـد [(٧)] ، وقتـادة [(٨)] ، وهـو قول جمهور المفسرين [(٩)].

القــول الثــاني : لا يعِــب بعــضكم بعــضاً ، قالــه الفــرَّاء [(١٠)] ، والزجــاج [(١١)] ، واختاره جماعة [(١٢)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦١) ص١١٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٥٨) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٣٣٢/٥) ، الكشاف (١٠٣٩) ، فتح القدير (٧٩/٥).

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧) عزوه لعبد بن حميد، والبخاري في الأدب ، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة ، وابن المنذر ، والحاكم ، وصححه البيهقي في شعب الإيمان .

(٦) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٢٢٣/٤) .

(٧) تفسير مجاهد (٢٦١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧) عزوه لعبد بن حميد .

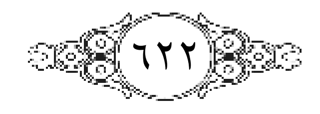
(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٢١/٣) ، والطبري في تفسيره (٣٦٧/٢١) .

(٩) انظر : بحر العلوم (٣٢٧/٣) ، الكشف والبيان (٨١/٩) ، الكشاف (١٠٣٩) ، المحرر الوجيز (١٧٤٤) ، أنوار التنزيل (١٣٦/٥) ، مدارك التنزيل (٥٨٥/٢) ، التسهيل (١١٢/٤) ، تفسير ابن كثير (٢٢٣/٤) .

(١٠) معاني القرآن للفراء (٧١/٣) .

(١١) معاني القرآن للزجاج (٣١/٥) .

(١٢) انظر : الوسيط (١٥٥/٤) ، زاد المسير (١٣٣٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٧٥/٢) ، البحر المحيط (١٦٢/٨)، إرشاد العقل السليم (١١٧/٦) ، روح المعاني (٢٣٠/٢٦) ، تفسير المراغي (١٨٨/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠١) .



القول الثالث : لا يلعن بعضكم بعضاً ، قاله الضَّحاك [(١)].

القول الرابع : اللمز : الغيبة ، قاله الضحاك [(٢)].

الجمع أو الترجيح :

الاختلاف في المعنى اختلاف تنوّع لا تضاد ، والأقوال متقاربة ، بل معناها واحد . ويقال : اللمز هو الطعن والعيب في الوجه [(٣)].

وقد جَمَع الله بين السُّخرية واللَّمز والتنابز في آية واحدة ، والسُّخرية هي الاستهزاء ، واللمز هو العيب والطعن وأصله الإشارة بالعين ، والتنابز هو التنادي بالألقاب المكروهة ، وكلها ذات أصل واحد ، وهي سلوكيات معوجَّة .

فلا تنشأ السخرية ولا اللمز ولا التنابز إلا من مرض الاحتقار ، فإذا احتقر المسلم أخاه سخر منه ولمزه ونابزه ، ولذلك قال ﷺ : « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ » [(٤)].

وعليه فالذي يظهر لي – والله أعلم – أنَّ اللَّعن والغيبة والخيانة في معنى اللمز الذي ذكره المفسِّرون كلها داخلة في الطَّعن والعيب الذي قاله عطاء الخراساني ومن معه ، والآية جاءت محذِّرة من هذه الأخلاق السيئة .

والمعنى : ولا يغتب بعضكم بعضاً أيها المؤمنون ، ولا يطعن بعضكم على بعض ، وفيها أنه جعل اللامز أخاه لامزاً نفسه لأنَّ المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره ، وطلب صلاحه ومحبته الخير .

ومصداق ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ؛ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » [(٥)].

---

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٣٢) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٦٣) لابن أبي الدنيا .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٩/٨١) ، ومعالم التنزيل (٤/٢٦١) ، والتفسير الكبير (٢٨/١٢٢) .

(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٥٦٤) في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه ، من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٥) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٥٨٦) في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، من حديث النعمان بن بشير ﷺ .

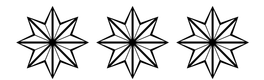


وهـــذا نظـــير قولـــه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ [النساء : ٢٩] ، بمعنى ولا يقتل بعضكم بعضاً [١].

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [٢].

قـال الطـاهر ابـن عاشـور ﷺ : (اللمـز : ذكـر مـا يَعُـده الـذاكر عيبـاً لأحـد مواجهةً فهو المباشـرة بـالمكروه ؛ فـإن كـان بحـق فهـو وقاحـة واعتـداء ، وإن كـان باطلاً فهو وقاحة وكذب) [٣].

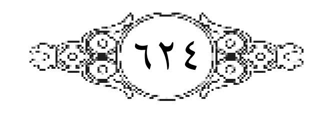
والله أعلم ،،



(١) انظر : جامع البيان (٣٦٦/٢١) .

(٢) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٤٨/٢٦) .



الموضع الخامس :

* وفي قوله : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ﴾ [الحجرات : ١١].

١٤٣- **قال عطاء الخراساني** : لا تُسمِّيه بعد الإسلام بدينه قبل الإسلام ، كقوله لليهودي إذا أسْلم : يا يهودي [(١)] .

الدراسة :

* هذا من الأحكام التي يبينها عطاء الخراساني في هذه الآية ، وهو تفسيرٌ للنهي عن التنابز بالألقاب أنه لا يجوز أن يسمَّى المسلم بعد إسلامه بما كان عليه من دين قبل الإسلام .

الأقوال في الآية[(٢)] :

القول الأول : أنه لا يسمَّى بعد الإسلام بدينه قبل الإسلام ، كقوله لليهودي إذا أسلم : يا يهودي ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وروي نحوه عن ابن مسعود [(٣)] ، وسعيد بن جبير [(٤)] ، والحسن[(٥)] ، ومحمد بن كعب [(٦)] .

القول الثاني : أنْ يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحقّ ، فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)] ، وبنحوه قال أبو العالية [(٨)] ، ومجاهد [(٩)] ، وعكرمة [(١٠)] ، وقتادة [(١١)] ،

---

(١) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١٣٣٤) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤٩/٧) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (٨١/٩) ، النكت والعيون (٣٣٢/٥-٣٣٣) ، زاد المسير (١٣٣٤) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٠٤/١٠) برقم : (١٨٦١٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤٩/٧) .

(٥) تفسير مجاهد (٢٦١) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٢٢/٣) ، والطبري (٣٧٩/٢١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) لعبد بن حميد .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) لابن المنذر .

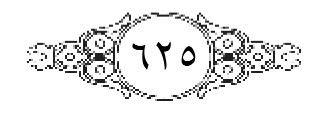
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٩/٢١) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) تفسير مجاهد (٢٦١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٠/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٠/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٢١/٣) ، والطبري (٣٨٠/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٤/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .



وابن زيد [1].

القول الثالث : أنَّ المقصود به أناس كانت لهم أسماء في الجاهلية فلمَّا أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضاً بما يكره من أسمائه ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [2]، وهو قول أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه [3]، قَالَ : " كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يَكُونَ لَهُ الاسْمَانِ وَالثَّلاثَةُ ؛ فَيُدْعَى بِبَعْضِهَا ، فَعَسَى أَنْ يَكْرَهَ ، قَالَ : فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ " [4].

القول الرابع : أن يسمِّيه بغير اسم الإِسلام يا خنزير يا كلب يا حمار ، قاله عطاء [5].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها متقاربة ، ويمكن أن يجمع بينها فيقال : ثبت نزول الآية في القوم الذين كان للواحد منهم في الجاهلية اسمين وثلاثة ، فيدعى ببعضها ، وربما كره ذلك ، فنهاهم الله عن ذلك ، وهي عامة تشمل كل نبز أو دعاء بلقب سيء ، أو تعيير بدين سابق ، أو ذنب قديم ، ونحو ذلك .

والقاعدة التفسيرية : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [6].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٣٨٠) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٦٤) لابن مردويه .

(٣) **أبو جبيرة بن الضحاك** = الأنصاري المدني ، صحابي جليل ، روى عنه ابنه محمود والشعبي ، وهو أخو ثابت . انظر : الكاشف (٢/٤١٥) .

(٤) **صحيح** . أخرجه عنه الترمذي في سننه برقم : (٣٢٦٨) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحجرات، وأخرجه أبو داود في سننه برقم : (٤٩٦٢) في كتاب الأدب ، باب في الألقاب ، وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم : (٣٧٤١) في كتاب الأدب ، باب الألقاب . وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١/٣٦٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٦٣) عزوه لأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخاري في الأدب ، والنسائي، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، والبغوي في معجمه ، وابن حبان ، والشيرازي في الألقاب ، والطبراني ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإِيمان . والحديث قال عنه الترمذي : حسن صحيح ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١١٤) : رجاله رجال الصحيح ا..هـ ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٥١) ، وفي صحيح ابن ماجه (٣٠٣٠)، وانظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٣/٢٨٢) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٦٤) لعبد بن حميد ، وابن المنذر . ويحتمل أن يكون عطاء الخراساني لقرب المعنى من القول المنقول في المسألة ، والله أعلم .

(٦) قواعد التفسير (٢/٥٩٣) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٤٥) .



فيدخل فيه أن يقول المسلم لأخيه يا فاسق أو يا كافر ، أو يعيّره بدينه السابق ، أو ذنبه الذي تاب منه ، أو لقبه السيء الذي يكره سماعه ، ويدخل فيه كذلك سبّ المسلم وشتمه ، وبنحو ذلك قال جمهور المفسِّرين [(١)].

وعليه فقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح .

قال الطبري رحمه الله : (والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب ؛ والتنابز بالألقاب : هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة ، وعمّ الله بنهية ذلك ، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض ، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه ، أو صفة يكرهها ، وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها ، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض ، لأنّ كلّ ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضاً به) [(٢)].

واللمز والنبز وغيرها مما ذكر في الآيات أمور نهى الله المسلم عنها ، لما تسببه في قطيعة وإيغار صدور أبناء المجتمع المسلم ، وقد أمرنا بضدها .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » [(٣)].

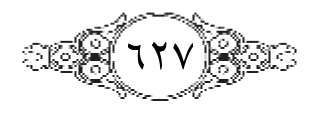
والله أعلم ..

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٧١) ، جامع البيان (٢١/٣٧١) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٣١) ، بحر العلوم (٣/٣٢٧) ، الوسيط (٤/١٥٥) ، معالم التنزيل (٤/٢٦١) ، الكشاف (١٠٣٩) ، المحرر الوجيز (١٧٤٥) ، التفسير الكبير (٢٨/١٢٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٧٥) ، أنوار التنزيل (٥/١٣٦) ، مدارك التنزيل (٢/٥٨٥) ، التسهيل (٤/١١٢) ، البحر المحيط (٨/١٦٢) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٢٣) ، إرشاد العقل السليم (٦/١١٧) ، روح المعاني (٢٦/٢٣١) ، فتح القدير (٥/٧٩) ، تفسير المراغي (٩/١٨٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠١) ، التحرير والتنوير (١٢/٢٤٨) .

(٢) جامع البيان (٢١/٣٧١) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٨) في كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وبرقم : (٦٠٤٤) في كتاب الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن ، وبرقم : (٧٠٧٦) في كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٦٤) في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر » ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .



الموضع السادس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات : ١٤] (١) .

١٤٤- **قال عطاء الخراساني** : لا يظلِمكم من أعمالكم شيئاً (٢) .

الدراسة :

* في هذه الآية يقول الله للأعراب الذين خاطبهم قبلها : إن أخلصتم الإيمان كما أمركم الله ورسوله ؛ تقبَّل الله أعمالكم التي ذكرتم من أنكم جئتم طائعين للإسلام من غير قتال ، ولم ينقصكم من أعمالكم شيئاً ، ويقال في اللغة : لاته حقَّه يليته ليتاً وألاته : نقصه ، ويقال : ألته ألتاً مثل: أمره، وهي لغة غطفان (٣) . وقد اختلف المفسِّرون في معناها على أقوال .

الأقوال في الآية(٤) :

القول الأول : لا يظلِمكم من أعمالكم ، قاله عطاء الخراساني ، وقتادة(٥) .

القول الثاني : لا ينقُصكم من ثواب أعمالكم ، وهو قول مجاهد (٦) ، الزجاج (٧) ، والراغب (٨) ، وجمهور المفسرين (٩) ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَمَآ

---

(١) الآية بتمامها : ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٢) ص١١٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : لسان العرب (٢٦٣/١٣) ، أساس البلاغة (٥٧٨) ، معجم المقاييس في اللغة (٩٤٤) .

(٤) النكت والعيون (٣٣٧/٥) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٩٣/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٤/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٦) تفسير مجاهد (٢٦٢) بلفظ : لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً ولا يظلمكم ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٩٣/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٤/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) معاني القرآن (٣٣/٥) .

(٨) المفردات في غريب القرآن (٤٦٠) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٧٢/٣) ، بحر العلوم (٣٣٠/٣) ، الكشف والبيان (٩٠/٩) ، الوسيط (١٦٠/٤) ، معالم التنزيل (٢٦٩/٤) ، الكشاف (١٠٤٢) ، المحرر الوجيز (١٧٤٨) ، زاد المسير (١٣٣٧)، التفسير الكبير (١٣١/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨٥/٢) ، أنوار التنزيل (١٣٧/٥) ،

﴿أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور : ٢١] ، يعني : ما نقصنا .

وعبارة بعض المفسِّرين : لا ينقصكم ولا يظلمكم [(١)].

القول الثالث : إن تصدِّقوا إيمانكم بأعمالكم يَقبل ذلك منكم . قاله ابن زيد [(٢)].

الجمع أو الترجيح :

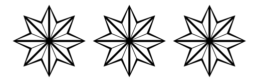
الأقوال جميعاً معناها واحد ، وهو بيان من الله سبحانه للأعراب أنهم إن صدِّقوا إيمانهم بأعمالهم فإنَّ الله يَقبل ذلك منهم ، ولن يُنقصهم أو يمنعهم من ثواب أعمالهم التي عملوها شيئاً .

والاختلاف في عبارات المفسِّرين هنا هو اختلاف تنوُّع ، ولا تعارض بينها ولا تضادّ .

وقول عطاء الخراساني هو نفسه القول الثاني ، حيث عبَّر بالظلم وأراد المعنى اللغوي الذي هو النَّقص ، كما في قوله تعالى : ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف : ٣٣] أي لم تنقص .

وعلى هذا فقول عطاء : لم تنقصُ من أعمالكم شيئاً ، وهو عينه القول الثاني .

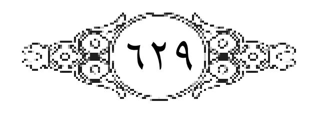
والحمد لله ،،



مدارك التنزيل (٥٨٨/٢) ، التسهيل (١١٥/٤) ، تفسير ابن كثير (٢٣١/٤) ، إرشاد العقل السليم (١١٩/٦) ، روح المعاني (٢٥٢/٢٦) ، فتح القدير (٨٤/٥) ، تفسير المراغي (١٩٦/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٢) ، التحرير والتنوير (٢٦٦/٢٦) ، تفسير القرآن الكريم – من الحجرات للحديد - للشيخ ابن عثيمين (٦٢) .

(١) تفسير مجاهد (٢٦٢) ، معاني القرآن للفراء (٧٢/٣) ، الكشف والبيان (٩٠/٩) ، الكشاف (١٠٤٢) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٩٣/٢١) .



سورة ق

الموضع الأول :

* في قوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ق : ٤] .

١٤٥- **قال عطاء الخراساني** : من عظامهم وجلودهم ، وذلك كتاب حفيظ [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية إثبات جانب من علم الله تعالى ، وهو أنَّه يعلم ما تنقصه الأرض وتأكله من لحوم وعظام وجلود الأموات ، وأنَّ ذلك محفوظ معلوم عنده سبحانه وتعالى .

الأقوال في الآية[(٢)] :

اختلف المفسِّرون في المقصود بما تنقصه الأرض منهم على أقوال .

القول الأول : ما تنقص الأرض من عظامهم وجلودهم ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)] ، ومجاهد [(٤)] ، والضحاك [(٥)] ،

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/٢١٨-٢١٩) بسنده قال : حدثنا أبو عبد الله المتوثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان ، قال : حدثنا أبي ، عن شعيب بن رزيق ، عن عطاء الخراساني ... وذكر الأثر . وعزاه لابن جرير الطبري – ولم أقف عليه عنده – **دراسة الإسناد** :

أبو عبد الله المتوثي هو : **محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي البصري** ، سبقت ترجمته .

أبو داود هو : أبو داود السجستاني ، واسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، وسبقت ترجمته .

عمرو بن عثمان هو : عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار القرشي ، مولاهم ، أبو حفص الحمصي، صدوق حافظ ، من العاشرة ، روى عن : إسماعيل بن عياش ، وابن عيينة ، وروى عنه: أبو داود ، والنسائي ، وابن أبي داود ، مات سنة خمسين ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (٤٢٤) .

أبوه هو : عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار القرشي ، مولاهم ، أبو عمرو الحمصي ثقة عابد ، من التاسعة، روى عن : حريز بن عثمان ، وحسان بن نوح ، وروى عنه ابناه عمرو ويحيى ، وعثمان الدارمي ، مات سنة تسع ومائتين . انظر : الكاشف (٢/٧) ، تقريب التهذيب (٣٨٣) .

شعيب بن رزيق هو : شعيب بن رزيق المقدسي ، روى عن الحسن وعطاء الخراساني ، وروى عنه : آدم ، ويحيى بن يحيى ، وثقه الدارقطني ، وسبقت ترجمته في الباب الأول .

وعليه فهذا الأثر صحيح عن عطاء الخراساني لثقة رواته .

(٢) انظر : النكت والعيون (٥/٣٤٠) ، المحرر الوجيز (١٧٥٠) ، التسهيل (٤/١١٧) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٢٣) ، فتح القدير (٥/٨٨) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٤) ، وابن أبي حاتم (٩/٣٣٠٧) برقم : (١٨٦٢٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٨٩) عزوه لابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد (٢٦٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٥) .



والحسن [١]، وقتادة [٢]، وهو قول جمهور المفسِّرين [٣].

القول الثاني : قد علِمنا من يموت منهم ، قاله قتادة [٤].

القول الثالث : ما تنقص الأرض بإيمان الكفرة الذين يدخلون في الإيمان، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥].

قال ابن عطية رحمه الله : (وهذا قول أجنبي في المعنى الذي قبل وبعد) [٦].

* والكتاب الحفيظ هو اللوح المحفوظ ، وفي معناه أقوال :

الأول : أنه كتاب حفيظ لأعمالهم ، ذكره الماوردي [٧]، والقرطبي [٨].

الثاني : حفيظ لما يأكله التراب من لحومهم وأبدانهم ، وهو الذي تنقصه الأرض منهم ، قاله الضحاك [٩].

الثالث : حفيظ لعدتهم وأسمائهم ، قاله الضحاك [١٠].

الرابع : أنه محفوظ من الشياطين والتغيير ، قاله الزمخشري [١١].

الخامس : حافظ لما أودع وكتب فيه ، احتمله الزمخشري [١٢].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب في معنى نقص الأرض هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٢٨) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٤) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣/٣٣٢) ، الكشف والبيان (٩/٩٤) ، الوسيط (٤/١٦٣) ، معالم التنزيل (٤/٢٧٠) ، زاد المسير (١٣٣٩) ، التفسير الكبير (٢٨/١٤٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٧) ، أنوار التنزيل (٥/١٣٨) ، مدارك التنزيل (٢/٥٩١)، التسهيل (٤/١١٧) ، البحر المحيط (٨/١٧٤) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٣٣) ، روح المعاني (٢٦/٢٦٠) ، فتح القدير (٥/٨٨) ، تفسير المراغي (٩/٢٠١) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٣) ، تفسير القرآن الكريم –من الحجرات للحديد - للشيخ ابن عثيمين (٧٤) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٢٧) ، والطبري (٢١/٤٠٥) .

(٥) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٥٠) عن الثعلبي – ولم أقف عليه عنده - .

(٦) المحرر الوجيز (١٧٥٠) .

(٧) النكت والعيون (٣٤٠) .

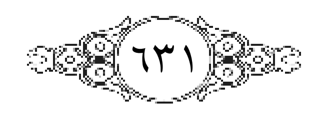
(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٧) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٥) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٩٠) لابن المنذر .

(١١) الكشاف (١٠٤٣) .

(١٢) المصدر السابق .



ومن معه ، الذي عليه جمهور المفسِّرين ، وهو الذي يناسب السياق تماماً ، فقوله في الآية : ﴿مِّنۡهُمۡۖ﴾ يدلُّ على أنها من أجسادهم .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجَّح على ما خالفه [(١)].

وأيضاً : فهذا هو تفسير جمهور السلف للآية ، والقاعدة التفسيرية : أنَّ تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي ، حجَّة على من بعدهم [(٢)].

وأما الكتاب الحفيظ فجميع الأقوال في معناه صحيحة ، فهو اللوح المحفوظ ؛ محفوظ من الشياطين ، ومن التغيير والتبديل ، وهو حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ، ومن ذلك : ما نقصته الأرض من أجسامهم بعد الموت ، وقد أثبت فيه ما كان وما يكون ، وهو حافظ لكلّ ما أودع وكتب فيه، وبنحو هذا المعنى تنوعت عبارات المفسِّرين [(٣)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٤)].

قال الطبري ﷺ : (قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم ، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم ، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك ، حافظ لذلك كله ، وسماه الله تعالى حفيظاً ، لأنه لا يُدرَس ما كتب فيه ، ولا يتغيَّر ولا يتبدَّل) [(٥)].

وبناءً على ما سبق فقول عطاء الخراساني قول صحيح ، موافق لما عليه جمهور أهل العلم .

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٣/٣٣٤) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣/٣٣٢) ، الكشف والبيان (٩/٩٤) ، الوسيط (٤/١٦٣) ، معالم التنزيل (٤/٢٧٠) ، الكشاف (١٠٤٣) ، زاد المسير (١٣٣٩) ، التفسير الكبير (٢٨/١٤٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٧)، أنوار التنزيل (٥/١٣٨) ، مدارك التنزيل (٢/٥٩١) ، التسهيل (٤/١١٧) ، البحر المحيط (٨/١٧٤) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٣٣) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٢٣) ، روح المعاني (٢٦/٢٦٠) ، فتح القدير (٥/٨٨) ، تفسير المراغي (٩/٢٠١) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٣) ، تفسير القرآن الكريم – من الحجرات للحديد – للشيخ ابن عثيمين (٧٤) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

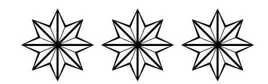
(٥) جامع البيان (٢١/٤٠٤) .



قال ابن عاشور رحمه الله : (وعُبِّر بـ ﴿ تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ دون التعبير بالإعدام لأنَّ للأجساد درجات من الاضمحلال تَدخل تحت حقيقة النقص فقد يفنى بعض أجزاء الجسد ويبقى بعضه ، وقد يأتي الفناء على جميع أجزائه، على أنه إذا صحَّ أن عَجْب الذنب لا يفنى كان فناء الأجساد نقصاً لا انعداماً .

وعطف على قوله : ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ ﴾ قوله : ﴿ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾ عطف الأعم على الأخص ، وهو بمعنى تذييل لجملة : ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ ﴾ أي : وعندنا علمٌ بكل شيء علماً ثابتاً ؛ فتنكير ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ للتعظيم ، وهو تعظيم التعميم ، أي عندنا كتاب كل شيء)[1].

والله أعلم ، ،



(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٣) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [ق : ٥] [١] .

١٤٦- **قال عطاء الخراساني** : أمر ملتبس [٢] .

الدراسة :

* أمر مختلط عليهم ملتبس ، لا يعرفون حقَّه من باطله . ومنه قوله ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ » [٣] .

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : الملتبِس ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول سعيد بن جبير [٥] ، ومجاهد [٦] ، والحسن [٧] ، وقتادة [٨] .

القول الثاني : المختلِط ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٩] ، والضحاك [١٠] ، وابن

(١) الآية بتمامها : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١١) ص١٠٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) **صحيح** . أخرجه أبو داود في سننه برقم : (٤٣٤٢) في كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، وابن ماجة في سننه (٣٩٥٧) في كتاب الفتن ، باب التثبت في الفتنة ، وأحمد في مسنده (٧٠٢٣) في مسند عبد الله بن عمرو . والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٤٢) ، وفي صحيح ابن ماجه (٣٢١١) ، وفي صحيح الجامع (٤٥٩٤) .

(٤) انظر : جامع البيان (٤٠٦/٢١) ، بحر العلوم (٣٣٢/٣) ، الكشف والبيان (٩٤/٩) ، النكت والعيون (٣٤١/٥) ، الوسيط (١٦٣/٤) ، معالم التنزيل (٢٧١/٤) ، المحرر الوجيز (١٧٥٠) ، زاد المسير (١٣٣٩) ، التفسير الكبير (١٤٢/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨٧/٢) ، البحر المحيط (١٧٥/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٣٤/٤) ، فتح القدير (٨٨/٥) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٠٧/٢١) .

(٦) تفسير مجاهد (٢٦٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٠٧/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٩٠/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٤١/٥) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٠٧/٢١) .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩٠/٧) لابن الأنباري في كتاب الوقف ، والخطيب في تالي التلخيص ، والطستي في مسائله عن ابن عباس .

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٤١/٥) .



زيد [١]، والراغب [٢].

القول الثالث : المختلف ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وقتادة [٤]، ومنه قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الذاريات : ٧-٨] .

القول الرابع : الشيء المنكر المتغيِّر ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، ومنه قول الشاعر [٦]:

فَرَاغَتْ فَالْتَمَسْتُ بِهِ حَشَاهَا ... وَخَرَّ كَأَنَّهُ خُوطٌ مَرِيْجُ

القول الخامس : الفاسد ، قاله أبو هريرة رضي الله عنه [٧]، ومنه قول الشاعر [٨]:

مَرَجَ الدِّيْنُ فَأَعْدَدْتُ لَهُ ... مَشْرَفَ الحَارِك مَحْبُوْك الكَتَدْ

القول السادس : أمر ضلالة ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٩]، والفراء [١٠].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٨) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٤٦٨) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٩٠) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٤١) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٩٠) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

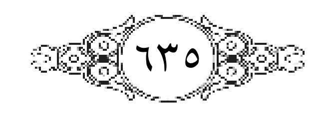
(٦) **البيت لعمرو بن الداخل الهذلي** ، **انظر** : ديوان الهذليين (٣/١٠٣) في شعر عمرو بن الداخل الهذلي ، وكذا نسب في الأمالي في لغة العرب (٢/٣١٤) ، وفي تاج العروس (٦/٢١١) ، وهو من شواهد : مجاز القرآن (٢/٢٢٣) ، جامع البيان (٢١/٤٠٦) ، الكشف والبيان (٩/٩٤) ، تفسير السمعاني (٥/٢٣٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٧) ، البحر المحيط (٨/١٧٥) ، الدر المنثور (٧/٥٩٠) ، ونسبه القرشي في جمهرة أشعار العرب (١/٢٠) لأبي ذؤيب الهذلي ، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة (١١/٧٢) إلى الهذلي ولم يسمِّه . وفي رواية للبيت (فخرَّ) .
وراغت : أي خنست يعني البقرة ، وبه : أي بالسهم الذي وصفه كمتن الذئب . وراغت : أي حادت عنه . والحشا : حشوة الجوف . كأنَّ السهم خوط : أي غصن أو قضيب . مريج : قد طرح وترك ، ويقال : مريج : أي قلق ، وخرَّ : أي سقط .

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٤١) .

(٨) **البيت منسوب لأبي دؤاد** يصف فرساً ، ولم أقف على ديوان له ، وهو من شواهد : الكشف والبيان (٩/٩٤)، المحرر الوجيز (١٧٥٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٧) ، وجاء في تاج العروس (٢٧/١٠٤) مادة : ح ب ك .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٠٧) .

(١٠) معاني القرآن (٣/٧٤) .



القول السابع : مضْطَّرب ، قاله الزمخشري [١]، وتبعه جماعة [٢].

الجمع أو الترجيح :

المعاني متقاربة ، والاختلاف فيها اختلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد ، ويمكن الجمع بينها جميعاً ، فيقال : أنَّ الكفَّار لمَّا كذَّبوا بالدين الحق ، صار أمرهم مختلف مضطرب مختلط ملتبس ، وهو فاسد بذلك ، وأمرهم أمر ضلالة متغيِّر .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [٣].

وقول عطاء الخراساني داخل في المعنى .

قال الطبري ﷺ : (هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات ، لأنَّ الشيء مختلف ملتبس ، معناه مشكل ، وإذا كان كذلك كان منكراً ، لأنَّ المعروف واضح بيِّن ، وإذا كان غير معروف كان لا شكّ ضلالة، لأنَّ الهدى بيِّن لا لبس فيه) [٤]، وبنحوه قال الثعلبي [٥].

وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال : (مرَّة يقولون للنبي ﷺ شاعر ، ومرَّة ساحر ، ومرَّة معلّم ، فهذا دليل على أنَّ أمرهم مريج ملتبس عليهم) [٦].

---

(١) الكشاف (١٠٤٣) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل (١٣٩/٥) ، مدارك التنزيل (٥٩١/٢) ، التسهيل (١١٨/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٢٣/٦)، روح المعاني (٢٦٢/٢٦) ، تفسير المراغي (٢٠٠/٩) ، التحرير والتنوير (٢٨٥/٢٦) .

(٣) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

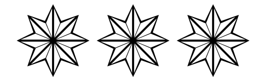
(٤) جامع البيان (٤٠٨/٢١) .

(٥) الكشف والبيان (٩٤/٩) .

(٦) معاني القرآن للزجاج (٣٥/٥) . وتعقبه الرازي في التفسير الكبير (١٤٢/٢٨) بقوله : (والأصح أن يقال : هذا بيان الاختلاف المذكور في الآيات ، وذلك لأنَّ قوله تعالى : ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ يدل على أمر سابق أضرب عنه ، وقد ذكرنا أنه الشك ، وتقديره : والقرآن المجيد ، إنك لمنذر ، وإنهم شكوا فيك ، بل عجبوا ، بل كذبوا . وهذه مراتب ثلاث : الأولى : الشك وفوقها التعجب ، لأنَّ الشاك يكون الأمران عنده سيين ، والمتعجب يترجح عنده اعتقاد عدم وقوع العجيب لكنه لا يقطع به والمكذب الذي يجزم بخلاف ذلك ، فكأنهم كانوا شاكين وصاروا ظانين وصاروا جازمين فقال : ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ ويدل عليه الفاء في قوله ﴿فَهُمۡ﴾ لأنه حينئذ يصير كونهم ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ مرتباً على ما تقدم ، وفيما ذكروه لا يكون مرتباً . فإن قيل : المريج ، المختلط ، وهذه أمور مرتبة متميزة على مقتضى العقل ، لأن الشاك ينتهي إلى درجة الظن ، والظان ينتهي إلى درجة القطع ، وعند القطع لا

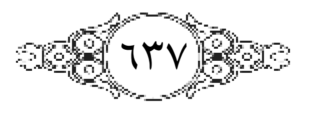
وهكذا ؛ فكل من ترك الحق وأعرض عنه ؛ مرَج عليه رأيه ، والتبس عليه دينه ، كما قال قتادة [(١)].

والله أعلم ، ،



يبقى الظن، وعند الظن لا يبقى الشك ، وأما ما ذكروه ففيه يحصل الاختلاط لأنهم لم يكن لهم في ذلك ترتيب ، بل تارة كانوا يقولون كاهن وأخرى مجنون ، ثم كانوا يعودون إلى نسبته إلى الكهانة بعد نسبته إلى الجنون وكذا إلى الشعر بعد السحر وإلى السحر بعد الشعر فهذا هو المريج . نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك إلى الظن بصدقه لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول عمره بين أظهرهم ، ومن الظن إلى القطع بصدقه لظهور المعجزات القاهرة على يديه ولسانه، فلما غيروا الترتيب حصل عليه المرج ، ووقع الدرك مع المرج ، وأما ما ذكروه فاللائق به تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ [الذاريات : ٨] ، لأنَّ ما كان يصدر منهم في حقه كان قولاً مختلفاً ، وأما الشك والظن والجزم فأمور مختلفة ، وفيه لطيفة : وهي أن إطلاق لفظ المريج على ظنهم وقطعهم ينبيء عن عدم كون ذلك الجزم صحيحاً لأنَّ الجزم الصحيح لا يتغير ، وكان ذلك منهم واجب التغير فكان أمرهم مضطرباً ، بخلاف المؤمن الموفق فإنه لا يقع في اعتقاده تردد ، ولا يوجِد معتقده تعدد .ا.هـ .

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٢٨) .



الموضع الثالث:

* في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [ق : ١٠] .

١٤٧- **قال عطاء الخراساني** : طوال[١] .

الدراسة :

* يمتنُّ الله على عباده في هذه الآية بنعمة من نعمه ، وهي النخل الباسقات ، أي: الطوال ، التي يطول نفعها ، وترتفع إلى السماء ، حتى تبلغ مبلغاً لا يبلغه كثير من الأشجار ، فتخرج من الطلع النضيد ، والباسق هو الذاهب طولاً من جهة الارتفاع ؛ ولا يقال : باسق للطويل الممتدِّ على الأرض، ومنه بسق فلان على أصحابه أي علاهم[٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أنَّ الباسقات : الطوال ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٤]، ومجاهد[٥]، وعكرمة[٦]، وقتادة[٧]، وابن زيد[٨]، والفراء[٩]، والزجاج[١٠]، وجمهور المفسرين على هذا المعنى[١١]، ومنه

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٠) ص١٠٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٥٧) ، التحرير والتنوير (٢٦/٢٩٣) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٩/٩٥) ، النكت والعيون (٥/٣٤٣) ، أنوار التنزيل (٥/١٤٠) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٢٤) ، روح المعاني (٢٦/٢٦٥) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٠٧) برقم : (١٨٦٢٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٩١) عزوه لابن المنذر .

(٥) تفسير مجاهد (٢٦٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤١٣) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤١٢) .

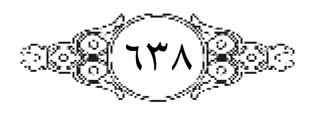
(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٢٨) ، والطبري في تفسيره (٢١/٤١٣) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤١٣) .

(٩) معاني القرآن (٣/٧٤) .

(١٠) معاني القرآن (٥/٣٦) .

(١١) انظر : مجاز القرآن (٢/٢٢٣) ، جامع البيان (٢١/٤١٢) ، بحر العلوم (٣/٣٣٣) ، الوسيط (٤/١٦٤) ، الكشاف (١٠٤٤) ، المحرر الوجيز (١٧٥٠) ، زاد المسير (١٣٣٩) ، التفسير الكبير (٢٨/١٤٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٨)، مدارك التنزيل (٢/٥٩١) ، التسهيل (٤/١١٨) ، البحر المحيط (٨/١٧٥) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤) ، فتح القدير (٥/٨٩) ، تفسير المراغي (٩/٢٠٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٤) .



قول الشاعر[1]:

يَـا ابْـنَ الَّـذِيْنَ بِفَـضْلِهِمْ بَـسَقَتْ عَلَـى قَـيْسٍ فَـزَارَه

أي طالت عليهم .

وزاد عبد الله بن شداد قال : (بُسُوقُها : طولها في إقامة) [2]، ولم أجده بهذا الوصف عند أهل اللغة ، ولعلّ مراده من الاستقامة الامتداد في الارتفاع .

القول الثاني : أنها التي قد ثقلت من الحمل ، قاله عكرمة [3]. ومنه قول الشاعر [4]:

فلَمَّا تَرَكْنَا الدَّارَ ظلَّتْ مُنِيفَةً بِقُرَّانَ فيه الباسِقَاتِ المَوَاقِرِ

القول الثالث : بُسوقها : التفافها ، روي عن عكرمة [5].

القول الرابع : مستويات ، قاله سعيد بن جبير [6].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم – هو القول الأول ، وهو الأشهر في اللغة .

والقاعدة التفسيرية : أنه في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح ، دون الشاذ والقليل [7].

قال القرطبي ﷺ : (والأول في اللغة أكثر وأشهر ، يقال : بسق النخل بسوقا إذا طال . قال [8]:

---

(١) **البيت لأبي نوفل** ، قاله لابن هبيرة ، وهو من شواهد : جامع البيان (٤١٢/٢١) ، النكت والعيون (٣٤٣/٥)، البحر المحيط (١٧٢/٨) ، وجاء في لسان العرب (٨٧/٢) مادة: (ب س ق) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٢/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٩١/٧) عزوه لابن المنذر.

(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٤٣/٥) .

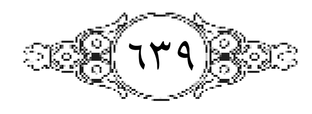
(٤) **لم أقف على قائله** ، وهو من شواهد : النكت والعيون (٣٤٣/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٨٨/٢) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩١/٧) لابن المنذر .

(٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩٥/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٧١/٤) .

(٧) قواعد التفسير (٢١٣/١) .

(٨) **البيت لأبي نوَّاس** انظر ديوانه ص(٢٥٢) ، من قصيدة طويلة هذا مطلعها ، وجاء بلفظ : لنا خمْرٌ وليْسَتْ خَمْرَ كُرْم . ذكره بهذا اللفظ ابن هبة الله في تاريخ مدينة دمشق (٤٤٧/١٣) ، ونسبه ابن عبد البر في التمهيد (٢٤٣/١) للحكمي ، وكذا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١٢٧/١) ، وأبو حيان في البحر المحيط (١٧٢/٨) ، والشوكاني في فتح القدير (٨٩/٥) .



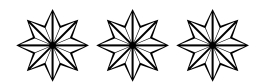
لنـا خمْـرٌ ولـيْسَ بِخَمْـرِ نَحْـلٍ ... ولَكِـنْ مِـنْ نَتَـاجِ البَاسِـقَاتِ
كِـرَامٌ فيْ الـسَّمَاءِ ذَهَـبْنَ طُـوْلاً ... وفَـاتَ ثِمَارَهَـا أَيْـدِي الجُنَـاةِ

ويقـال : بـسَق فـلان علـى أصـحابه أي علاهـم ، وأبـسقت الناقـة إذا وقـع في ضرعها اللبن قبل النتاج ؛ فهي مبسق ونوق مباسيق)[1].

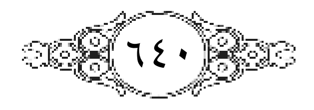
وهي بالسِّين المهملة في لغـة جميـع العـرب عـدا بـني العنـبر مـن تمـيم يُبـدلون السين صاداً في هذه الكلمـة ، وروى الـثعلبي عـن قطبـة بـن مالـك أنـه سمـع الـنبي ﷺ في صـلاة الـصبح قرأهـا بالـصاد [2]، وأورده الزمخـشري في تفـسيره [3]، وهـو حديث غـير معـروف ، والـصحيح مـا جـاء عنـد مـسلم في صـحيحه عـن قطبـة بـن مالك مروياً بالسِّين [4].

وانتـصب ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ علـى الحـال ، والمقـصود مـن ذلـك الإيمـاء إلى بـديع خلقته وجمال طلعته استدلالاً وامتناناً [5].

والله أعلم ،،



(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٨) .
(٢) الكشف والبيان (٩/٩٥) .
(٣) الكشاف (١٠٤٤) .
(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٤٥٧) في كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح . بلفظ : عَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : صَلَّيْتُ وَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَرَأَ : ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، حَتَّى قَرَأَ : وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ أُرَدِّدُهَا وَلاَ أَدْرِي مَا قَالَ .
(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٨٨) ، التحرير والتنوير (٢٦/٢٩٣) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق : ١٩] [(١)].

١٤٨- **قال عطاء الخراساني** : تميل [(٢)] .

الدراسة :

* المعنى المقصود : أنه إذا جاءت سكرة الموت فتلك أيها الإنسان سكرة الموت حقيقة ، وهي الشيء الذي كنت منه تهرب ، وعنه تروغ وتميل [(٣)] .

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : تميل ، وهو قول عطاء الخراساني ، وقاله الواحدي [(٥)]، والبغوي [(٦)]، وجماعة من المفسرين [(٧)].

ومعنى هذا الحيد أنه يقول : أعيش كذا وكذا ، فمتى فكَّر في قرب الموت حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمن ، وأيضاً : حذر الموت وتحرزاته، ونحو هذا حيد كله ، قاله ابن عطية [(٨)].

القول الثاني : تكره ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٩)] . يقال له : هذا الذي كنت تخاف منه وتكره .

القول الثالث : تعدِل ، من العدول ، قاله السدي [(١٠)].

القول الرابع : تفرّ وتهرب ، قاله الضحاك ، والحسن [(١١)]، واختاره

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/١٠٠) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢١/٤٢٨) .

(٤) انظر : الكشف والبيان (٩/١٠٠) ، بحر العلوم (٣/٣٣٥) ، النكت والعيون (٥/٣٤٨) ، الوسيط (٤/١٦٧) ، معالم التنزيل (٤/٢٧٣) ، زاد المسير (١٣٤١) .

(٥) الوسيط (٤/١٦٧) .

(٦) معالم التنزيل (٤/٢٧٣) .

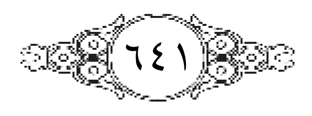
(٧) انظر : الوسيط (٤/١٦٧) ، معالم التنزيل (٤/٢٧٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٨٩١) ، أنوار التنزيل (٥/١٤١) ، البحر المحيط (٨/١٧٨) ، روح المعاني (٢٦/٢٧٤) ، فتح القدير (٥/٩٣) ، تفسير المراغي (٩/٢٠٥).

(٨) المحرر الوجيز (١٧٥٣) .

(٩) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/١٠٠) .

(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٤٨) .

(١١) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٩/١٠٠) .



الزمخشري [١]، وجماعة من المفسِّرين [٢].

قال ابن كثير ﷺ : (أي هذا هو الذي كنت تفرّ منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص) [٣].

القول الخامس : تروغ ، قاله الضحاك [٤] .

القول السادس : تنكص ، قاله مقاتل بن حيَّان [٥]، واختاره السعدي [٦].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، وهي تدلّ على المعنى المقصود ، غير أنَّ أقربها وألصقها باللغة القول الأول ، قول عطاء الخراساني ومن معه ، وذلك لأنَّ أصل الحيد في اللغة الميل ، يقال : حاد عن الشيء يحيد حيداً وحيداناً ومحيداً وحيدودة ؛ مال عنه وعدل [٧]، ومنه قول الشاعر [٨]:

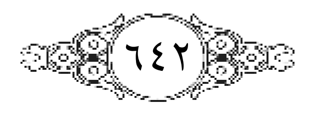
يَحِيْدُ حَذَارَ المَوْتِ مِنْ كُلِّ رَوْعَة ... ولاَ بُدَّ مِنْ مَوْتٍ إِذَا كَانَ أَوْ قَتْلِ

قال الراغب ﷺ : (أي : تعدل عنه وتنفر منه) [٩].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية [١٠]. والله أعلم ، ،

❋❋❋

(١) الكشاف (١٠٤٥) .
(٢) مدارك التنزيل (٢/٥٩٣) ، التسهيل (٤/١٢٠) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٢٦) ، التحرير والتنوير (٢٦/٣٠٦) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٦) .
(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/١٠٠) .
(٥) المرجع السابق .
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٨٠٥) .
(٧) انظر : معجم المقاييس في اللغة (٢٩٠) ، لسان العرب (٤/٢٨٤) .
(٨) **البيت للحياني** ، ولم أقف على ديوان له . واستشهد به ابن سيده في المحكم (٣/٤٢٨) ، وهو من شواهد : لسان العرب (٤/٢٨٤) مادة : (ح ي د) .
(٩) المفردات في غريب القرآن (١٤٣) .
(١٠) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥١١) .



الموضع الخامس :

* في قول الله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ق : ٣٩] .

١٤٩- **قال عطاء الخراساني** : قل سبحان الله ، والحمد لله [١] .

وقال : سبِّحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه أن يصبر على قول المشركين عنه ، وأذيتهم له ، وأن يستعين على ذلك بتسبيح الله وتنزيهه وذِكره قبل طلوع الشمس وقل الغروب .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : قال : سبحان الله ، والحمد لله ، وهو قول عطاء الخراساني، وفيه توضيح للرواية الثانية عنه حين قال : أي سبِّحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، وهو قول أبي الأحوص أيضاً [٤] [٥]، وقاله جماعة من المفسِّرين [٦] .

القول الثاني : أنَّ المقصود بالتسبيح فعل الصلاة ، ومعناه : فصلِّ بحمد ربك قبل طلوع الشمس ، يعني صلاة الصبح ، وقبل الغروب ، يعني صلاة العصر، قاله أبو صالح [٧]، وبنحوه قال قتادة ، وابن زيد [٨]، واختاره جمهور

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠٦/٩) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢٢٨/٣) .

(٢) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٩٦/٢) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (١٠٦/٩) ، النكت والعيون (٣٥٦/٥-٣٥٧) ، الكشاف (١٠٤٨) ، التفسير الكبير (١٧٢/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٩٦/٢) ، مدارك التنزيل (٥٩٦/٢) ، التسهيل (١٢٣/٤).

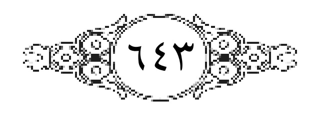
(٤) **أبو الأحوص** = تابعي ثقة معروف ، اسمه : عوف بن مالك ، أبو الأحوص الجشمي ، روى عن : ابن مسعود ، وأبي موسى ، وروى عنه : ابن أخيه أبو الزعراء ، وأبو إسحاق ، وخلق ، ثقة من الثالثة ، قتلته الخوارج في ولاية الحجاج على العراق . انظر : الكاشف (١٠١/٢) ، تقريب التهذيب (٤٣٣) .

(٥) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٥٦/٥) .

(٦) انظر : أنوار التنزيل (١٤٤/٥) ، إرشاد العقل السليم (١٣١/٦) ، روح المعاني (٢٩٠/٢٦) ، فتح القدير (٩٩/٥) ، تفسير المراغي (٢١٢/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٧) .

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٥٧/٥) .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٤٦٧/٢١) .



المفسِّرين [١]، وحكى ابن عطية الإجماع عنهم في تفسيره بالصلاة [٢].

الجمع أو الترجيح :

لفظ التسبيح من الكليات المطَّردة التي تأتي كثيراً في القرآن بمعنى الصلاة[٣]، غير أنَّ الذي يظهر لي – والله أعلم – هنا الجمع بين القولين ، فيكون التسبيح في كلا الوقتين بالقول بذكر الله ، وبالفعل بأداء الصلاتين في وقتهما ، وقد وردت السنة بالأمرين جميعاً .

فتسبيح الله وتنزيهه بالقول ورد عن النبي ﷺ في هذين الوقتين ، في نحو أذكار الصباح والمساء ، وقد ثبتت في ذلك أحاديث كثيرة .

منها : حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْده ، مائَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَة بِأَفْضَلَ ممَّا جَاءَ بِه ؛ إلاَّ أَحَدٌ قَالَ مثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْه » [٤].

وحديث شَدَّاد بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « سَيِّدُ الاسْتغْفَارِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدكَ وَوَعْدكَ مَا اسْتَطَعْتُ؛ أَبُوءُ لَكَ بنعْمَتكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي ؛ فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ منْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، إذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، أَوْ كَانَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة ، وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ منْ يَوْمه مثْلَهُ » [٥].

وأما فضل الصلاة في هذين الوقتين فقد ثبت في الصحيحين عن جرير بن عبد الله ﷺ قَالَ : كُنَّا عنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ ، فَقَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ؛ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَته ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ

---

(١) انظر : بحر العلوم (٣/٣٣٩) ، الوسيط (٤/١٧٠) ، معالم التنزيل (٤/٢٧٧) ، المحرر الوجيز (١٧٥٨) ، البحر المحيط (٨/١٨٥) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٤٢) ، التحرير والتنوير (٢٦/٣٢٦) .

(٢) المحرر الوجيز (١٧٥٨) .

(٣) كليات الألفاظ في التفسير (١/٢٧٢) .

(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٢) في كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٥) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٢٣) في كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح .

قَرَأَ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ » (١).

وفي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال : « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢)، والبردان هما : الفجر والعصر .

وعن عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ (٣) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا » - يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ - ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ الرَّجُلُ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلْبِي (٤).

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا ثبت الحديث ، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره (٥).

قال الشنقيطي رحمه الله : (وأمره له بالتسبيح بعد أمره له بالصبر على أذى الكفار فيه دليل على أنَّ التسبيح يعينه الله به على الصبر المأمور به ، والصلاة داخلة في التسبيح المذكور) (٦).

ومما سبق يتَّضح أنَّ قول عطاء الخراساني بلفظيه صحيح في المسألة .

والله أعلم ، ،

---

(١) **صحيح** . **أخرجه البخاري** في صحيحه – واللفظ له – برقم : (٥٥٤) في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ورقم : (٥٧٣) في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر ، ورقم : (٤٨٥١) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ ، ورقم : (٧٤٣٤) في كتاب التوحيد ، باب قول الله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . **وأخرجه مسلم** في صحيحه (٦٣٣) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٤) في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر ، ومسلم في صحيحه (٦٣٥) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٣) **عمارة بن رؤيبة** = الثقفي ، صحابي معروف ، نزل الكوفة ، كنيته أبو زهيرة ، روى عن النبي ﷺ ، وعن علي، وروى عنه ابنه أبو بكر بن عمارة ، وأبو إسحاق السبيعي ، روي أنه رأى بشر بن مروان يخطب رافعاً يديه فقال : قبح الله هاتين اليدين ، وكان ذلك في سنة ثلاث أو أربع وسبعين . انظر : تاريخ الإسلام (٤٨٧/٥) .

(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه (٦٣٤) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١) .

(٦) أضواء البيان (٤٣٣/٧) .

الموضع السادس :

* في قول الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق : ٤٢] [١].

١٥٠- **قال عطاء الخراساني** : يوم يخرجون إلى البعث من القبور [٢] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني يوم الخروج في الآية بأنه يوم يخرج الناس من قبورهم إلى البعث . وقد تنوَّعت أقوال المفسِّرين في معنى ذلك .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أي يوم يخرجون إلى البعث من القبور ، قال به عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وعليه جمهور المفسِّرين [٥].

القول الثاني : أنَّ الخروج اسم من أسماء القيامة ، قاله أبو عبيدة [٦]، وذكره الغزالي [٧]، واستشهد أبو عبيدة له بقول العجاج [٨]:

أَلَيس يوم سُمِّيَ الخُروْجَا أعْظَمُ يَوْمٍ رَجَّةً رَجُوْجَاً

القول الثالث : خروجهم لبدر . وحكاه ابن عاشور رحمه الله ، وقال : (وتعريف اليوم بالإضافة إلى الخروج لتهويل أمر ذلك الخروج الذي كان

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٢) ص١٠٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣٣٩/٣) ، النكت والعيون (٣٥٨/٥) ، أنوار التنزيل (١٤٤/٥) .

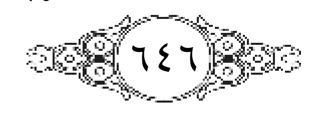
(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣١٠/١٠) برقم : (١٨٦٤٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦١٢/٧) عزوه لابن المنذر .

(٥) انظر : جامع البيان (٤٧٦/٢١) ، معاني القرآن للزجاج (٤١/٥) ، الكشف والبيان (١٠٨/٩) ، الوسيط (١٧٢/٤) ، معالم التنزيل (٢٨٠/٤) ، المحرر الوجيز (١٧٥٩) ، زاد المسير (١٣٤٥) ، التفسير الكبير (١٧٦/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٩٧/٢) ، مدارك التنزيل (٥٩٧/٢) ، التسهيل (١٢٤/٤) ، البحر المحيط (١٨٦/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٤٣/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٣١/٦) ، روح المعاني (٢٩١/٢٦) ، فتح القدير (٩٩/٥) ، تفسير المراغي (٢١٣/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٧) ، .

(٦) مجاز القرآن (٢٢٣/٢) .

(٧) إحياء علوم الدين (٥١٦/٤) .

(٨) **البيت للعجاج** ، انظر : كتاب العجاج حياته ورجزه ص(٢٩٩) ، وهو من شواهد : مجاز القرآن (٢٢٣/٢)، ونقله عنه أهل اللغة : انظر : تهذيب اللغة (٦٢/٧) ، لسان العرب (٣٩/٥) .



استئصالُ سادتهم عقبه) [(١)].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – الجمع بين القولين الأولين ، فيقال : سمِّي يوم الخروج لأنَّ الناس فيه يخرجون من قبورهم ، ومثله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج : ٤٣] ، ولمَّا كان الناس يخرجون من قبورهم في ذلك اليوم، صار هذا الاسم كالعلَم عليه ، فصحَّ أن يُعَدَّ من أسماء القيامة .

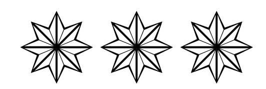
والقاعدة التفسيرية : أنه إذا قامت الصفة بمحلٍّ عاد حكمها إليه لا إلى غيره ، واشتقَّ لذلك المحل من تلك الصفة اسم ، ولا يشتق الاسم لمحلٍّ لم يقم به ذلك الوصف [(٢)].

والقول الثالث قول بعيد لا يتلائم مع السياق .

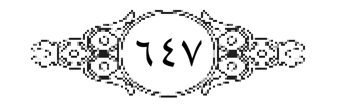
قال الطاهر ابن عاشور ﷺ : (والخروج : مغادرة الدار أو البلدِ ، وأطلق الخروج على التجمع في المحشر لأنَّ الحَيَّ إذا نَزَحُوا عن أرضهم قيل : خرجوا ، يقال : خرجوا بقَضِّهم وقضيضهم . واسم الإشارة جيء به لتهويل المشار إليه وهو : ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فأريد كمال العناية بتمييزه لاختصاصه بهذا الخبر العظيم . ومقتضى الظاهر أن يقال : هو يوم الخروج . و ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ علَم بالغلبة على يوم البعث ، أي الخروج من الأرض)[(٣)].

وعليه فقول عطاء الخراساني ﷺ قول صحيح في المسألة .

والله أعلم ،،



(١) التحرير والتنوير (٢٦/٣٣٢) .
(٢) قواعد التفسير (١/٤٤٨) .
(٣) المرجع السابق (٢٦/٣٣١) .



سورة الذاريات

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات : ٧] .

١٥١- **قال عطاء الخراساني** : ذات الخَلْق الحسن الوثيق [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية يقسم الله تعالى بالسماء ذات الحبك ، وهي ذات الخَلْق الحَسَن الوثيق على قول عطاء الخراساني ، وذات الطرائق المختلفة على قول غيره . والمحبوك في اللغة : ما أجيد عمله ، وكل ما تراه من الطرائق في الماء وفي الرمل إذا أصابته الريح فهو حبك ، وواحدها حِباك ، مثل : مثَل مِثال ومُثُل ، وتكون واحدتها أيضاً : حبيكة ، مثل : طريقة وطرق [(٢)].

الأقوال في الآية [(٣)] :

القول الأول : أي السماء ذات الخَلْق الحَسَن الوثيق [(٤)]، قاله عطاء الخراساني . وهو قول علي رضي الله عنه [(٥)] ، وابن عباس رضي الله عنهما ، وعكرمة ، والرَّبيع بن أنس [(٦)]، ومجاهد[(٧)]، وقتادة [(٨)]، وهو قول الأكثرين [(٩)].

ويدلُّ عليه قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٤) ص٩٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢/٥-٤٣) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣٤٢/٣) ، الكشف والبيان (١١٠/٩) ، النكت والعيون (٣٦٢/٥) ، معالم التنزيل (٢٨١/٤)، المحرر الوجيز (١٧٦٠) ، زاد المسير (١٣٤٧) ، التفسير الكبير (١٨٤/٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٩٩/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٤٤/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٣٤/٦) ، التحرير والتنوير (٣٤١/٢٦) .

(٤) عبارة : الوثيق ، لم أجد من قالها هنا غير عطاء الخراساني هنا .

(٥) التفسير الصحيح (٣٨٥/٤) وعزاه للضياء المقدسي .

(٦) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٤٨٨/٢١) .

(٧) تفسير مجاهد (٢٦٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٩/٢١) ، وعبارته : المتقن البنيان .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٣٥/٣) ، والطبري (٤٨٨/٢١) .

(٩) حكاه الواحدي في الوسيط (١٧٤/٤) ، وكذا الشوكاني في فتح القدير (١٠٢/٥) .

تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ﴾ [الملك : ٣] .

وعلى هذا القول فالحُبُك مصدر ، لأنَّ كلَّ عمل أتقنه عامله وأحسن صنعه ، تقول فيه العرب : حبَكَه حَبْكاً ، بالفتح على القياس ، والحبك بضمتَّين بمعناه [1].

القول الثاني : أنها الطرائق ، مأخوذ من حبك الحمام طرائق على جناحه، ومثل حُبُك الماء إذا ضربَته الريح ، قاله الضحاك [2]، والأخفش[3]، وأبو عبيدة [4]، وأهل اللغة [5]، وهو قول الزمخشري [6]، وجماعة [7]. ومنه قول زهير [8]:

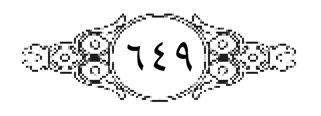
مُكَلَّلٌ بِأُصُوْلِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ ... رِيْحٌ خَرِيْقٌ لِضَاحِي مائهِ حُبُكُ

قال الراغب ﷺ : (﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ هي ذات الطرائق ، فمن الناس من تصوَّر منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرَّة ، ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة ، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا ﴾ الآية [آل عمران : ١٩١] ، وأصله من قولهم : بعير محبوك القَرْي ، أي مُحْكَمُه، والاحتباك شد الإزار) [9] .

وقال ابن عاشور ﷺ : (ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف

---

(١) انظر : أضواء البيان (٤٣٨/٧) .
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٩/٢١) .
(٣) معاني القرآن للأخفش (٢٨٨) .
(٤) مجاز القرآن (٢٢٧/٢) .
(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢/٥-٤٣) .
(٦) الكشاف (١٠٧٩) .
(٧) انظر : أنوار التنزيل (١٤٦/٥) ، مدارك التنزيل (٥٩٨/٢) ، التسهيل (١٢٦/٤) ، البحر المحيط (١٨٩/٨)، روح المعاني (٦/٢٧) ، تفسير المراغي (٢١٥/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٨) .
(٨) **البيت لزهير بن أبي سلمى** . انظر ديوانه ص(٤٣) ، واستشهد به : السمعاني في تفسيره (٢٥١/٥) ، الزمخشري في الكشاف (١٠٤٩) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٩٩/٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (١٨٩/٨) ، والألوسي في روح المعاني (٦/٢٧) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٤٣٧/٧) ، وذُكر في جمهرة أشعار العرب (١٤) ، وهو من شواهد لسان العرب (٢٤٢/١٤) في مادة : (ن س ج) .
(٩) المفردات في غريب القرآن (١١٤) .



السماء بأنها ذات حُبُك ، أي طرائق ؛ لأنَّ المُقسَم عليه : إن قولهم مختلف طرائق قِدداً ، ولذلك وصف المقسم به ليكون إيماء إلى نوع جواب القسم)[١].

القول الثالث : الحَبك حسنها واستواؤها ، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ، وسعيد بن جبير [٣].

القول الرابع : أنها الزينة ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقاله سعيد بن جبير ، والضَّحاك [٤]، وبنحوه قول الحسن : حبكت بالنجوم ، أي : زيِّنت بها ، ومنه قول الرَّاجز :

كأنَّمَا جَلَّلَهَا الحَوَّاكُ طِنْفِسةً فِي وَشْيِها حِباكُ [٥]

القول الخامس : أنها الشدة ، وهو قول أبي صالح [٦]، وابن زيد [٧]، واستدلَّ بقوله تعالى : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ : ١٢] .

القول السادس : حَبْكها صفاقها ، قاله خصيف [٨]، يقال في الثوب الصفيق حسن الحبك .

وقيل أنَّ المقصود بهذا الوصف في الآية هي السَّماء السابعة ، وهو قول

---

(١) التحرير والتنوير (٣٤٠/٢٦-٣٤١) .

(٢) تفسير مجاهد (٢٦٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٧/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣١١/١٠) برقم : (١٨٦٥٠) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٧/٢١) .

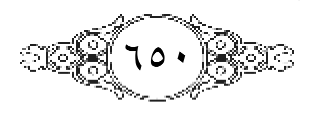
(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٤٨٧/٢١-٤٨٩) .

(٥) **لم أعرف راجزه** ، وفيه وصف ظهر أتان من حمر الوحش بأنَّ فيه وشياً ورقماً وخطوطاً وطرائق ، فكأن حائكاً - وهو الذي ينسج الثياب - ألبسها طنفسة موشاة فيها خطوط مستقيمة ذات ألوان . والشاهد في هذا البيت قوله : "حباك" ، والحِبَاك : الخط في الرمل أو في الثوب أو في الشعر ، وجمعه حُبُك . ومثله الحبيكة، وجمعها حبائك ، وهذا البيت استشهد به : الطبري في جامع البيان (٤٨٦/٢١) ، والثعلبي في الكشف والبيان (١١٠/٩) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٦١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠٠/٢) ، وأبو حيان في البحر المحيط (١٨٩/٨) ، والشوكاني في فتح القدير (١٠٢/٥) ، والشنقيطي في أضواء البيان (٤٣٧/٧) .

(٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٦٢/٥) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٩/٢١) .

(٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٦٢/٥) .



عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما [١].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب الجمع بين الأقوال السابقة ، وأنها متقاربة محتمَلة ، ولا مانع من حمل المعنى عليها جميعاً .

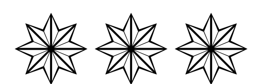
قال الألوسي رحمه الله بعد ذكر الخلاف : (وهي أقوال متقاربة ؛ وكأنَّ الحبك عليها من قولهم : حبكت الشيء أحكمته وأحسنت عمله ؛ وحبكت العقدة أوثقتها ، وفرس محبوك المعاقم وهي المفاصل أي محكمها) [٢].

وقال الشنقيطي رحمه الله : (والآية تشمل الجميع ، فكلُّ الأقوال حقّ ، والمقسَم عليه في هذه الآية هو قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾) [٣].

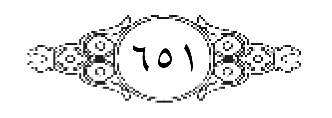
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [٤].

وعليه فقول عطاء الخراساني داخل في المعنى .

والله أعلم ، ،



(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٤٩٠) .
(٢) روح المعاني (٢٧/٦) .
(٣) أضواء البيان (٧/٤٣٨) .
(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات : ١٧] .

١٥٢- **قال عطاء الخراساني** : قليلاً ما ينامون [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية يخبر الله عن عباده المؤمنين الذين جازاهم بالأجر العظيم والجنَّة ، أنَّهم كانوا في الدنيا يقومون أكثر الليل ، وقليلاً ما ينامون ، والهجوع هو النوم في كلام جميع أهل اللغة والتفسير ، و (ما) هنا مصدرية .

الأقوال في الآية[٢] :

اختلف العلماء في معنى الآية على أقوال أجملها فيما يلي :

القول الأول : قليلاً من الليل ما ينامون ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول الحسن البصري [٣]، والأحنف بن قيس [٤]، وإبراهيم النخعي [٥]، وهؤلاء فسَّروا (ما) في الآية أنها صلة [٦]، والأولى أنها مصدرية .

قال الطبري رحمه الله : (وأما من جعل "ما" صلة ، فإنه لا موضع لها ؛ ويكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل ، وإذا كانت "ما" صلة كان القليل منصوباً بيهجعون) [٧].

القول الثاني : معناه : كانوا قليلاً من الليل لا يهجعون ، وقالوا : "ما"

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٥) ص٩٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢١/٥٠٢-٥٠٩) ، الكشف والبيان (٩/١١١) ، النكت والعيون (٥/٣٦٥) ، زاد المسير (١٣٤٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٠١) .

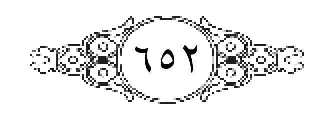
(٣) تفسير مجاهد (٢٦٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٤) قال : لاينامون فيه إلا قليلاً .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٥) قال : كانوا لاينامون إلا قليلاً .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٦) قال : ما ينامون .

(٦) لفظ الصلة في القرآن من الأولى تجنبه لأنَّ الصلة زائدة ؛ ولا زائد في القرآن . قال الزركشي : (والذي عليه المحققون تجنُّب هذا اللفظ في القرآن ، إذ الزائد ما لا معنى له ، وكلام الله منزَّه عن ذلك ، وممن نص على منع ذلك في المتقدمين الإمام داود الظاهري فذكر ابو عبد الله احمد بن يحيى بن سعيد الداودي في الكتاب المرشد له في اصول الفقه على مذهب داود الظاهري وروى بعض أصحابنا عن أبي سليمان انه كان يقول : ليس في القرآن صلة بوجه) . انظر : البرهان (٢/١٧٨) .

(٧) جامع البيان (٢١/٥٠٦) .



بمعنى الجحد . وهو مفهوم قول أنس بن مالك ﷺ [(١)]، وابن عباس ﷺ [(٢)]، ومحمد بن علي [(٣)] [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وقتادة [(٦)]، وابن أبي نجيح [(٧)]، ومطرّف بن عبد الله [(٨)]، وأبو العالية [(٩)].

القول الثالث : كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلاً من الناس ، وعليه فالكلام بعد قوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا﴾ ، مستأنف بقوله : ﴿مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾ فالواجب أن تكون "ما" على هذا التأويل بمعنى الجحد ، وهذا قول الضحاك بن مزاحم [(١٠)]، ورجَّحه الرازي [(١١)].

نقل القرطبي عن الأنباري معلّقاً على هذا القول : (وهذا فاسد ، لأنَّ

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٣٧) ، والطبري (٢١/٥٠٢) قال : يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ، ما بين المغرب والعشاء ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) عزوه لأبي داود ، وابن ابي حاتم – ولم اقف عليه – والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٣) قال : لم يكن يمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئاً .

(٣) **محمد بن علي = ابن الحسين بن علي بن أبي طالب** ، أبو جعفر الباقر ، أمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب ، مدني تابعي ثقة ، روى عن : أبيه ، وجديه الحسن والحسين ، وجد أبيه علي بن أبي طالب مرسل، وعم أبيه محمد بن الحنفية ، وابن عم جده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وسمرة بن جندب ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وغيرهم ، روى عنه : ابنه جعفر ، والزهري ، وعمرو بن دينار ، وآخرون . كان فقيهاً فاضلاً ، عدَّه النسائي في فقهاء أهل المدينة من التابعين ، وقال الزبير بن بكار : كان يقال لمحمد باقر العلم . مات لبضع عشرة ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (٩/٣١١) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٢) قال : كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) عزوه لابن أبي شيبة .

(٥) تفسير مجاهد (٢٦٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٣) قال : قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن نصر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٣) قال : كان لهم قليل من الليل ما يهجعون ، كانوا يصلونه .

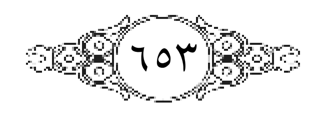
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٣) قال : كانوا قليلا ما ينامون ليلة حتى الصباح .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٣٦) ، والطبري في تفسيره (٢١/٥٠٢) قال : قلَّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) عزوه لابن أبي شيبة .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٣) قال : لا ينامون بين المغرب والعشاء ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) عزوه لابن أبي شيبة .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) عزوه لمحمد بن نصر ، وابن المنذر .

(١١) التفسير الكبير (٢٨/١٨٩) .



الآية إنما تدل على قلَّة نومهم لا على قلة عددهم ، وبعد ؛ فلو ابتدأنا ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح لهم ، لأنَّ الناس كلهم يهجعون من الليل إلا أن تكون (ما) جَحْداً) [1].

القول الرابع : أنَّ ذلك كان حينما أمروا بقيام الليل ، فمكثوا شهرين ثمَّ نزلت الرخصة ، وهذا مرويٌّ عن عطاء [2].

* وأما قوله : ﴿يَهۡجَعُونَ﴾ فإنه يعني : ينامون ، والهجوع : النوم ، والعرب تقول : إذا سافرت اهجع بنا قليلاً .

وهذا قول عطاء الخراساني هنا ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [3]، وإبراهيم النخعي ، والضَّحاك ، وابن زيد [4]. ومنه قول الشاعر [5]:

أَزَالَكُمُ الْوَسْمِيُّ أَحْدَثَ رَوْضِهِ ... بِلَيْلٍ وَأَحْدَاقُ الأَنَامِ هُجُوعُ

قال رجل من بني تميم لزيد بن أسلم : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ، ذَكَر الله قوماً فقال : ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم ؛ فقال زيد : " طُوبى لمن رقد إذا نعس ؛ واتَّقى الله إذا استيقظ " [6].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني ومن معه أنَّ المقصود أنهم ينامون وقتاً قليلاً من الليل ، لانشغالهم بالصلاة والعبادة . وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين [7]، وهو المعنى الظاهر من الآية .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٠١) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٥) لابن أبي شيبة ، وابن نصر ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٤) عزوه لابن نصر ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٨) .

(٥) **لم أقف على قائله** ، وهو من شواهد الماوردي في النكت والعيون (٥/٣٦٥) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/٥٠٩) .

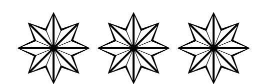
(٧) انظر : بحر العلوم (٣/٣٤٣) ، الوسيط (٤/١٧٥) ، معالم التنزيل (٤/٢٨٢) ، الكشاف (١٠٥٠) ، المحرر الوجيز (١٧٦٢) ، أنوار التنزيل (٥/١٤٧) ، مدارك التنزيل (٢/٦٠٠) ، التسهيل (٤/١٢٨) ، البحر المحيط (٨/١٩٣) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٤٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٣٥) ، روح المعاني (٢٧/١٣)، فتح القدير (٥/١٠٤) ، تفسير المراغي (٩/٢١٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٩) .

والقاعدة التفسيرية : أنّه لا يجوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجَّة يجب التسليم لها [1].

قال الطبري ﷺ : (وأولى الأقوال بالصحة قول من قال : كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ، لأنَّ الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم ، وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل ، وسهر الليل ، ومكابدته فيما يقربهم منه ، ويرضيه عنهم ؛ أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل ، وكثرة النوم ، مع أنَّ الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل) [2].

والغرض من الآية أنهم يكابدون العبادة في أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشاق النهار إلا قليلاً [3].

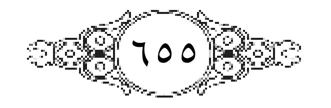
والله أعلم ،،



(١) قواعد التفسير (٢/٨٥٨) .

(٢) جامع البيان (٢١/٥٠٩) .

(٣) انظر : روح المعاني (٢٧/١٣) .



الموضع الثالث :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات : ١٩] .

١٥٣- **قال عطاء الخراساني** : المحروم : المحارف(١) (٢) .

الدراسة :

* في هذه الآية أيضاً يبيِّن الله صفة أخرى من صفات المحسنين ، وهي أنَّهم يتصدَّقون من أموالهم للسائل والمحروم ، والمحروم هو المحارف على قول عطاء الخراساني .

الأقوال في الآية(٣) :

القول الأول : المحروم : هو المحارف ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما (٤) ، ومجاهد (٥) ، والضحاك ، وسعيد بن المسيب ، وإبراهيم النخعي ، ونافع (٦) ، وأبو العالية (٧) ، والفراء (٨) .

واختلف في معنى المحارف على أقوال :

الأول : أنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما (٩) ، وبنحوه قول عائشة رضي الله عنها (١٠) ، وعكرمة (١١) ، والضَّحاك (١٢) .

---

(١) **المُحارَف** = جاء في لسان العرب (٤/٩٠) مادة : (ح ر ف) : الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه له ، والمصدر الحِرَاف ، والحُرْف ، قال الأزهري : الحرمان ، ويقال للمحروم الذي قتر عليه رزقه مُحَارَف) .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٦) ص٩٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢١/٥١١) ، بحر العلوم (٣/٣٤٣) ، الكشف والبيان (٩/١١٢) ، النكت والعيون (٥/٣٦٦-٣٦٧) ، الوسيط (٤/١٧٥) ، معالم التنزيل (٤/٢٨٤) ، زاد المسير (١٣٤٩) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٤٧).

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣١٢) برقم : (١٨٦٥٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٦) عزوه لابن أبي شيبة .

(٥) تفسير مجاهد (٢٦٧) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٣٨) ، والطبري في تفسيره (٢١/٥١٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٦) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢١/٥١٣-٥١٤) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٧) لعبد بن حميد .

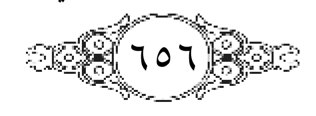
(٨) معاني القرآن (٣/٨٢) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣١٢) برقم : (١٨٦٥٥) .

(١٠) أخرجه عنها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣١٢) برقم : (١٨٦٥٦) ، ولفظه : هو الذي لا يكاد يتيسَّر له مكسبه .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦١٧) لعبد بن حميد ، ولفظه : الذي لا يثبت له مال .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥١٣) ، ولفظه : هو الذي لا يكون له مال إلا ذهب .



الثاني : هو الذي ليس له سَهم في الإسلام ، وهذا قول ابن عباس[1].
الثالث : الذي ليس له أحد يعطف عليه أو يعطيه شيئاً ، قاله النخعي[2].

القول الثاني : المتعفِّف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يُعلم بحاجته ، قاله قتادة[3]، والزهري[4]، وهو قول جمهور المفسِّرين[5].

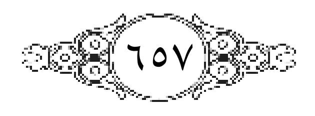
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لا يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ ، ولاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، ولاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ »[6]. قال الزهري : فذاك المحروم[7].

والحديث ليس نصاً قاطعاً في معنى المحروم ، وإنما هو بيان للمسكين ، فيدخل فيه المحروم وغيره .

القول الثالث : أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم ، قاله إبراهيم النخعي[8]، وروي عن مجاهد[9]، وروى الحسن بن محمد بن الحنفية[10]، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية فأصابوا وغنموا ، فجاء قوم

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٢/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣١١/١٠) برقم : (١٨٦٥٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦١٦/٧) عزوه لابن أبي شيبة .
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٣/٢١) .
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٥/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦١٧/٧) عزوه لابن المنذر .
(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٣٧/٣) ، والطبري في تفسيره (٥١٥/٢١) .
(٥) انظر : الكشاف (١٠٥١) ، التفسير الكبير (١٩٣/٢٨) ، أنوار التنزيل (١٤٧/٥) ، مدارك التنزيل (٦٠٠/٢)، البحر المحيط (١٩٤/٨) ، إرشاد العقل السليم (١٣٦/٦) ، روح المعاني (١٤/٢٧) ، وحكاه، تفسير المراغي (٢١٩/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٩) ، التحرير والتنوير (٣٥١/٢٦) .
(٦) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (١٤٧٦-١٤٧٩) في كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى : ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ، وفي كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ برقم: (٤٥٣٩). وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٠٣٩) في كتاب الزكاة ، باب المسكين الذي لا يجد غنى ، ولا يُفطن له فيُتصدَّق عليه .
(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٣٧/٣) ، والطبري في تفسيره (٥١٥/٢١) .
(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٣٨/٣) ، والطبري في تفسيره (٥١٦/٢١) .
(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦١٧/٧) لابن أبي شيبة .
(١٠) **الحسن بن محمد** = هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو محمد المدني ، وأبوه ابن الحنفية ، ثقة فقيه ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، من الثالثة ، مات سنة مائة أو قبلها بسنة . انظر : تقريب التهذيب (١٦٤) .



بعدما فرغوا ، فنزلت الآية [١].

القول الرابع : أنه المصاب بثمره وزرعه ؛ يعينه من لم يُصَبْ ، قاله زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن [٢].

القول الخامس : هو الذي لا ينمي له مال ، وهذا قول عكرمة [٣]، والضحاك [٤]، وقال الزجاج : (والأكثر في اللغة لا ينمى له مال) [٥].

القول السادس : أنه من وجبت نفقته من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه ، حتى وجبت نفقته في مال غيره ، احتمله الماوردي [٦].

القول السابع : أنه المملوك ، قاله عبد الرحمن بن حميد [٧] [٨].

القول الثامن : أنه الكلْب ، روي أنَّ عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجاء كلب ؛ فاحتزَّ عمر كتف شاة فرمى بها إليه ، وقال : يقولون إنه المحروم [٩].

قال الراغب رحمه الله : (ومن قال أراد به الكلب ؛ فلم يعنِ أنَّ ذلك اسم الكلب كما ظنه بعض من ردَّ عليه ، وإنما ذلك منه ضرب مثال بشيء ؛ لأنَّ الكلب كثيراً ما يحرمه الناس أي يمنعونه) [١٠].

---

(١) **ضعيف** . أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٣٨/٣) ، والطبري (٥١٦/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣١١/١٠) برقم : (١٨٦٥٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦١٦/٧) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن مردويه . وهو مرسل رجاله ثقات . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٢٩٣/٣) .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥١٧/٢١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥١٧/٢١) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦١٧/٧) لعبد بن حميد .

(٥) معاني القرآن (٤٤/٥) .

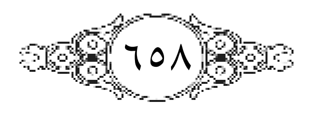
(٦) النكت والعيون (٣٦٧/٥) .

(٧) **عبد الرحمن بن حميد** = ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ، روى عن : أبيه ، وسعيد بن المسيب ، والسائب بن يزيد ، وآخرون ، وروى عنه : صالح بن كيسان ، وأبو ضمرة ، وابن عيينة ، وغيرهم . ثقة من السادسة ، مات بالعراق في أول خلافة أبي جعفر سنة سبع وثلاثين ومائة . انظر : تهذيب التهذيب (١٥٠/٦)

(٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٦٦/٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٤٩) .

(٩) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٦٧/٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠٣/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٤٧/٤) .

(١٠) المفردات في غريب القرآن (١٢٢) .



الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – حمل الآية على العموم الذي تدلّ عليه اللغة العربية . فيقال : المحروم هو من حرم الرزق والمال بأي وجه كان ، ولم يوسَّع عليه الرزق كما وسّع على غيره ، فيدخل في ذلك من حُرِم الرزق من الأصل ، ومن أصيب ماله بجائحة ، ومن حرم العطاء ، ومن حُرِم الصدقة لتعففه . وبهذا قال الطبري [(١)]، وابن عطية [(٢)]، وجماعة من المحققين [(٣)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٤)].

والقاعدة الأخرى : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص [(٥)].

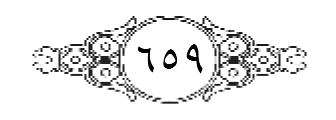
وعليه فقول عطاء الخراساني هنا قول مرجوح ، لتخصيصه ما لا دليل على تخصيصه .

قال الطبري ﷺ : (والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج ، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره ، فصار ممن حرمه الله ذلك ، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة ، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة ، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمَّ ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾) [(٦)].

وقال ابن عطية ﷺ : (واختلف الناس في المحروم اختلافاً هو عندي تخليط من المتأخرين ، إذ المعنى واحد ، وإنما عبَّر علماء السلف في ذلك بعبارات على جهة المثالات فجعلها المتأخرون أقوالاً ، والمحروم : هو الذي تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة ، وهو مع ذلك لا

---

(١) جامع البيان (٥١٨/٢١) .
(٢) المحرر الوجيز (١٧٦٣) .
(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٢٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠٣/٢) ، التسهيل (١٢٩/٤) ، فتح القدير (١٠٤/٥) ، التحرير والتنوير (٣٥١/٢٦) .
(٤) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .
(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .
(٦) جامع البيان (٥١٨/٢١) .

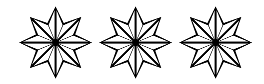


يسأل ، فهذا هو الذي له حق في أموال الأغنياء كما للسائل حق ... والمعنى الجامع لهذه الأقوال : أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه) [1].

وقال الشوكاني ﵀ : (والذي ينبغي التعويل عليه ما يدلّ عليه المعنى اللغوي، والمحروم في اللغة : الممنوع ، من الحرمان وهو المنع ، فيدخل تحته من حرم الرزق من الأصل ، ومن أصيب ماله بجائحة أذهبته ، ومن حرم العطاء ، ومن حرم الصدقة لتعففه) [2].

وقال ابن عاشور ﵀ : (وإطلاق اسم المحروم ليس حقيقة لأنه لم يَسأل الناس ويحرموه ، ولكن لما كان مآل أمره إلى ما يؤول إليه أمر المحروم أطلق عليه لفظ المحروم تشبيهاً به في أنه لا تصل إليه ممكنات الرزق بعد قربها منه، فكأنه ناله حرمان . والمقصود من هذه الاستعارة : ترقيق النفوس عليه ، وحثّ الناس على البحث عنه ؛ ليضَعوا صدقاتهم في موضع يحب الله وضعها فيه ، ونظيرها في سورة المعارج[3]) [4].

والله أعلم ، ،

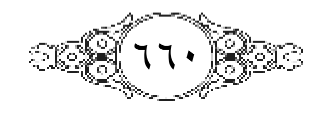


(١) المحرر الوجيز (١٧٦٣) .

(٢) فتح القدير (١٠٤/٥) .

(٣) يعني بذلك قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج : ٢٤-٢٥] .

(٤) التحرير والتنوير (٣٥١/٢٦) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

١٥٤- **قال عطاء الخراساني** : الأَيْد : القوة [(١)].

الدراسة :

* يبيِّن الله تعالى في هذه الآية أنه بنى السماء بقوته وقدرته التي لا يقدر أحد مثلها ، وفي الآية دليل على قدرته جلَّ وعلا التي لا منتهى لها ، وهو على كلِّ شيء قدير .

الأقوال في الآية :

القول الأول : تفسير عطاء الخراساني ، الأيد بالقوة ؛ وافق فيه : ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)] ، ومجاهد [(٣)] ، وقتادة ، ومنصور ، وابن زيد ، وسفيان [(٤)] .

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٧) ص٩٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) . وقد أخرجه عنه أيضاً : أبو الشيخ في كتاب العظمة (١٠٣٤/٣) قال : حدثنا إبراهيم ، قال قرأت على عبيد بن آدم ، عن أبيه ، أن أبا شيبة حدثه عن عطاء رحمه الله تعالى ، وذكر الأثر عنه . **ودراسة هذا الإسناد** :

إبراهيم بن محمد بن الحسن هو : بن متويه ، الحافظ القدوة ، إمام جامع أصبهان ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه الأصبهاني ، سمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، وبشر بن معاذ العقدى ، وله رحلة واسعة ، وكان ورعاً عابداً يصوم الدهر ، ويدرى الحديث ويحفظ ، ويعرف أيضاً بابن فيرة الطيان ، ويعرف أيضاً بأبه ، روى عنه : الطبراني ، وأبو احمد العسال ، وأبو الشيخ ، كان من معادن الصدق ، توفي في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاث مائة . انظر : تذكرة الحفاظ (٧٤٠/٢) .

عبيد بن آدم هو : ابن أبي إياس العسقلاني ، صدوق من الحادية عشرة ، روى عن أبيه : آدم بن أبي إياس، وسلم بن عبد الصمد الخرساني ، ومحمد بن يوسف الفريابي . مات سنة ثمان وخمسين ومائتين . انظر : تهذيب الكمال (١٨٣/١٩) ، تقريب التهذيب (٣٧٦) .

آدم هو : آدم بن أبي إياس عبد الرحمن العسقلاني ، أصله خراساني ، يكنى أبا الحسن ، نشأ ببغداد ، ثقة عابد من خيار عباد الله ، من التاسعة ، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين . انظر : تقريب التهذيب (٨٦) .

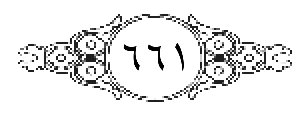
أبو شيبة هو : شعيب بن رزيق ، وتقدَّمت ترجمته .

وبناءً على ذلك فهذا الأثر صحيح عن عطاء الخراساني .وأبو الشيخ وإن لم يصرِّح فيه بأنه عن عطاء الخراساني لكن من خلال دراسة السند نجد أنَّ الراوي عنه هو أبو شيبة – شعيب بن رزيق - ، وقد مرَّ معنا أنه من تلاميذ عطاء الخراساني ، وكذا لأنَّه وافق قول عطاء الخراساني الذي رواه عنه الرملي .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٥/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣١٣/١٠) برقم : (١٨٦٦٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٣/٧) عزوه لابن المنذر ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) تفسير مجاهد (٢٦٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٤٦/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٣/٧) عزوه لآدم بن أبي إلياس ، والبيهقي .

(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٥٤٦/٢١) .



وهو الذي عليه عامة المفسرين [(١)].

القول الثاني : الأيد : جمع يد ، واليد صفة من صفات الله تعالى ، ولم أجد من احتمل هذا القول غير الرازي في تفسيره [(٢)]، وهو قول شاذ .

الجمع أو الترجيح :

الصحيح في معنى الأيد هو القول الأول ، الذي عليه جمهور المفسِّرين ، وقاله عطاء الخراساني .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضَّعيف والمنكر [(٣)].

وأيضاً : عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم [(٤)].

قال الشنقيطي رحمه الله : (قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ ، ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم ، لأنَّ قوله ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ ليس جمع يد : وإنما الأيد القوة ، فوزن قوله هنا بأيد فعل ، ووزن الأيدي أفعل ، فالهمزة في قوله : ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ في مكان الفاء والياء في مكان العين ، والدال في مكان اللام . ولو كان قوله تعالى : ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ جمع يد لكان وزنه أفعلاً ، فتكون الهمزة زائدة والياء في مكان الفاء ، والدال في مكان العين والياء المحذوفة لكونه منقوصاً هي اللام .

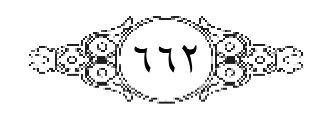
---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٨٦) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٤٧) ، بحر العلوم (٣/٣٤٧) ، الكشف والبيان (٩/١١٩) ، النكت والعيون (٥/٣٧٣) ، الوسيط (٤/١٨٠) ، المفردات في غريب القرآن (٤٣) ، معالم التنزيل (٤/٢٨٧) ، الكشاف (١٠٥٣) ، المحرر الوجيز (١٧٦٧) ، زاد المسير (١٣٥١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٠٨) ، أنوار التنزيل (٥/١٥٠) ، مدارك التنزيل (٢/٦٠٤) ، التسهيل (٤/١٣١) ، البحر المحيط (٨/٢٠١) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٥٠) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٤٠) ، روح المعاني (٢٧/٢٦)، فتح القدير (٥/١١٢) ، تفسير المراغي (٩/٢٢٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٨١١) ، التحرير والتنوير (٢٧/١٦) .

(٢) التفسير الكبير (٢٨/٢١٢) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٣٦٩) .

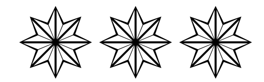
(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .



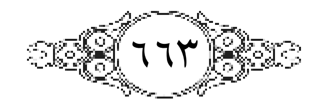
والأيد ، والآد في لغة العرب بمعنى القوة ، ورجل أيد قوي ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة : ٨٧] ، أي قويناه به ، فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد غلط غلطاً فاشحاً ، والمعنى : والسماء بنيانها بقوة)[١] .

وعلى ذلك فالصحيح الذي لا إشكال في صحته هو القول الأول ؛ قول عطاء الخراساني وجمهور المفسِّرين ، لدلالة اللغة ، واستفاضة النقل فيه عن أهل العلم .

والله أعلم ،،



(١) أضواء البيان (٧/٤٤٢) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات : ٥٩] [١].

١٥٥- **قال عطاء الخراساني** : الذَّنوب : العقوبة [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية تفريع على قوله تعالى قبلها : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات : ٥٦] ، باعتبار أنَّ المقصود من سياقه إبطال عبادتهم غير الله ، أي فإذا لم يفردني المشركون بالعبادة فإنَّ لهم ذَنوباً مثل ذَنوب أصحابهم، وفيه إشارة إلى ما تقدم من ذكر ما عوقبت به الأمم السالفة في السورة نفسها ، من قوله : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات : ٣٢ - ٤٦] ، والمقصود : أنهم إذا ماثلهم الذين ظلموا فإنَّ لهم نصيباً عظيماً من العذاب مثل نصيب أولئك [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : الذَّنوب : العقوبة ، وهو قول عطاء الخراساني ، أو العذاب ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، وقتادة [٦]، وطلحة بن عمرو[٧] [٨].

القول الثاني : النصيب ، قاله الزجاج [٩]، وجمهور المفسِّرين [١٠].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٨) ص٩٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (٣٠/٢٧) .

(٤) انظر : جامع البيان (٥٥٨/٢١) ، الكشف والبيان (١٢١/٩-١٢٢) ، النكت والعيون (٣٧٥/٥) ، الكشاف (١٠٥٥) ، المحرر الوجيز (١٧٦٩) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٨/٢١) ، وابن أبي حاتم (٣٣١٣/١٠) ، برقم : (١٨٦٧٠) .

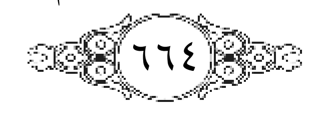
(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٤١/٣) ، والطبري (٥٥٩/٢١) .

(٧) **طلحة بن عمرو** = ابن عثمان الحضرمي المكي ، متروك من السابعة ، روى عن : سعيد بن جبير وعطاء ، وروى عنه : وكيع ، وأبو نعيم ، وأبو عاصم ، ضعفوه ، وكان واسع الحفظ ، مات ١٥٢هـ . انظر : الكاشف (٥١٤/١) ، تقريب التهذيب (٢٨٣) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٢٥/٧) للخرائطي في مساوئ الأخلاق .

(٩) معاني القرآن (٤٨/٥) .

(١٠) انظر : بحر العلوم (٣٤٩/٣) ، الوسيط (١٨٢/٤) ، معالم التنزيل (٢٨٩/٤) ، زاد المسير (١٣٥٣) ،



ومنه قول الشاعر[(١)]:

وَفِيْ كُلِّ حيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ   فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوْب

قال الراغب رحمه الله : (والذَّنوب الفرس الطويل الذَّنَب ، والدلو التي لها ذنب ، واستعير للنصيب كما استعير له السَّجْل) [(٢)].

القول الثالث : طرَفاً من العذاب ، كما قال إبراهيم النخعي [(٣)].

القول الرابع : سبيلاً مثل سبيل أصحابهم ، قاله مجاهد [(٤)] .

القول الخامس : يعني بالذَّنوب الدلو ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، والحسن البصري [(٥)].

الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩١١) ، أنوار التنزيل (٥/١٥١) ، مدارك التنزيل (٢/٦٠٥) ، التسهيل (٤/١٣٣) ، البحر المحيط (٨/٢٠٣) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٥١) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٤٢) ، روح المعاني (٢٧/٣٦) ، فتح القدير (٥/١١٤) ، تفسير المراغي (٩/٢٣٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨١٣) ، التحرير والتنوير (٢٧/٣٠) ، أضواء البيان (٧/٤٤٨) .

(١) **البيت لعلقمة بن عبدة التميمي** ، انظر : ديوانه ص(٢٩) ، والقصيدة قالها يوم مرج حليمة ، وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، وفيه : أنهم قتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير ، منهم : شأس بن عبدة ، فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعرة على الحارث يطلب إليه أن يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

طحابك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

ومنها الأبيات المشهورة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني   بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله   فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث وجدنه   وشرخ الشباب عندهن عجيب

إلى أن قال :

وفي كل حيٍّ قد خبطت بنعمة   فحق لشأس من نداك ذنوب

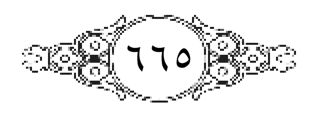
فلما بلغه قال الملك : أي والله وأذنبة ، ثم أطلق شأسا ، وقال له : إن شئت الحباء ، وإن شئت أسراء قومك، وقال لجلسائه إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه . انظر : الكامل في التاريخ (١/٤٣٠) ، وهو من شواهد : تاج العروس (٢/١٨٧) مادة : خ ب ط ، ومن التفسير: جامع البيان (٢١/٥٥٧) ، الكشف والبيان (٩/١٢٢) ، الكشاف (١٠٥٥) ، المحرر الوجيز (١٧٦٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩١١) ، البحر المحيط (٨/١٩٠) ، روح المعاني (٢٧/٣٧)، أضواء البيان (٧/٤٤٨) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (١٨٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٥٩) .

(٤) تفسير مجاهد (٢٦٩) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢١/٥٥٨) .



ومنه قول الرَّاجز[1]:

لَنَـــا ذَنُـــوبٌ وَلَكُـــمْ ذَنُـــوبُ   فَـــإِنْ أَبَيْـــتُمْ فَلَنَـــا القَلِيْـــبُ

ولا يسمى الذَنوب دلواً حتى يكون فيه ماء .

القـول الـسادس : الـسَّجْل مـن العـذاب ، كمـا قـال سـعيد بـن جـبير [2]، ومجاهد[3]، وقتادة ، وابن زيد [4].

القـول الـسابع : أنَّ الـذَّنوب لـيس بعـذاب ولا هـلاك ، وإنمـا هـو رغَـد العـيش، وذلـك لأنَّ العـرب كـانوا يـستقون مـن الآبـار علـى النَّوبـة ذنوبـاً فـذنوباً ، وذلـك وقـت عيـشهم الطيـب ، فكأنـه تعـالى قـال : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ مـن الـدنيا وطيباتها ﴿ذَنُوبًا ﴾ أي مـلاء ، ولا يكـون لهـم في الآخـرة مـن نـصيب . وهـذا أقـرب للعربية ، قاله الرازي [5].

والمـراد بأصـحابهم : مـن كـذَّب بالرسـل مـن الأمـم الـسالفة ليعتـبروا بهلاكهم[6].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال الستة الأولى متقاربة ، والاختلاف فيها تنوّع لا تضاد ، وأقربها للمعـنى : القول الثاني الذي عليه أهل اللغة ، وجمهور المفسِّرين على أنَّ الذَّنوب هنا : النـصيب من العذاب ، والمعنى المقصود : أنَّ لهؤلاء الظـالمين نـصيب مـن العـذاب مثـل مـن سبقهم من الأمم السالفة الهالكة .

قـال الفـرَّاء رحمه الله : (والـذَّنوب في كـلام العـرب : الـدّلو العظيمـة ، ولكـنَّ العـرب تـذهب بهـا إلى النـصيب والحـظّ ، وبـذلك أتـى التفـسير : فـإنَّ للـذين

(١) **لم أقف على قائله** ، وهو من شواهد العين (١٩٠/٨) ، وجمهرة اللغة (٣٠٦/١) ، واستشهد به جمع من المفسِّرين ، انظر : جامع البيان (٥٥٧/٢١) ، الكشاف (١٠٥٥) ، المحرر الوجيز (١٧٦٩) ، زاد المسير (١٣٥٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩١١/٢) ، البحر المحيط (١٨٩/٨) ، أضواء البيان (٤٤٨/٧) .

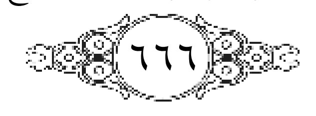
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٨/٢١) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٨/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٥/٧) عزوه للفريابي .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٥٩/٢١) .

(٥) التفسير الكبير (٢٢٣/٢٨) .

(٦) انظر : النكت والعيون (٣٧٥/٥) ، المحرر الوجيز (١٧٦٩) ، فتح القدير (١١٤/٥) .



ظلموا حظاً من العذاب ، كما نزل بالذين من قبلهم) [(١)].

ومما يؤيِّد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝ ﴾ [الزمر : ٥٠-٥١] .

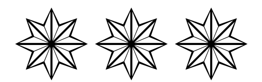
والقاعدة التفسيرية : إذا كان للاسم الواحد معانٍ عدّة ؛ حُمِل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السّياق [(٢)].

وكذلك : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٣)].

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله : (والكلام تمثيل لهيئة تساوي حظّ الذين ظلموا من العرب بحُظوظ الذين ظلموا من الأمم السالفة ؛ بهيئة الذين يستقون من قليب واحد إذ يتساوون في أنصبائهم من الماء ، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ، وأطلق على الأمم الماضية اسم وصف أصحاب الذين ظلموا باعتبار الهيئة المشبه بها إذ هي هيئة جماعات الوِرد يكونون متصاحبين . وهذا التمثيل قابل للتوزيع بأنه يشبّه المشركون بجماعة وردت على الماء ، وتُشبه الأمم الماضية بجماعة سبقتهم للماء ، ويُشبه نصيب كل جماعة بالدلو التي يأخذونها من الماء) [(٤)].

وعليه فتعبير عطاء الخراساني عن الذَّنوب بالعقوبة داخل في النَّصيب الذي ذكره أهل اللغة ، فهو نصيب من العقوبة والعذاب . أجارنا الله منه .

والله أعلم ،،

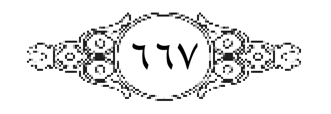


(١) معاني القرآن (٣/٨٧) .

(٢) قواعد التفسير (١/٤٢٢) .

(٣) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٧/٣٠-٣١) .



سورة الطّور

* في قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الطور : ٩] .

١٥٦- **قال عطاء الخراساني** : تختلف أجزاؤها بعضها في بعض [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله حال السماء يوم القيامة ، وما يحصل فيها ، فوصفها بأنها تمور موراً ، وفسَّرها عطاء الخراساني بأنَّ أجزاءها تختلف بعضها في بعض ، والمور هو الجريان السريع ، يقال : مار يمور موراً ، ومار الدم على وجهه ، والمور التراب المتردد به الريح ، وناقة تمور في سيرها فهي موارة [٢] .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : تختلف أجزاؤها بعضها في بعض ، وهو قول عطاء الخراساني ، وبنحوه قال الرازي : (خروجها عن مكانها تتردد وتموج) [٤] .

القول الثاني : معناه تدور دوراً ، قاله مجاهد [٥] ، وهو قول الفراء [٦] ، والزجاج [٧] ، والسمرقندي [٨] ، والنسفي [٩] ، ومنه قول الشاعر [١٠] :

صُهابِيّةُ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَا ... بعيدةُ وخدِ الرِّجل مَوَّرَاةُ اليَدِ

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٢٦/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٩٠/٤) ، وابن عادل في اللباب (١١٩/١٨) ، والحكمي في معارج القبول (٧٩١/٢) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٨٠) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (١٢٦/٩) ، النكت والعيون (٣٧٩/٥) ، الوسيط (١٨٥/٤) ، معالم التنزيل (٢٩٠/٤) ، المحرر الوجيز (١٧٧١) ، زاد المسير (١٣٥٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩١٣/٢) ، البحر المحيط (٢٠٨/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) ، روح المعاني (٤٦/٢٧) ، فتح القدير (١١٧/٥) .

(٤) التفسير الكبير (٢٢٧/٢٨) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٧٢/٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣١/٧) عزوه لابن المنذر .

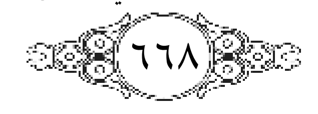
(٦) معاني القرآن للفراء (٨٨/٣) .

(٧) معاني القرآن للزجاج (٤٩/٥) .

(٨) بحر العلوم (٣٥١/٣) .

(٩) مدارك التنزيل (٦٠٦/٢) .

(١٠) **البيت لطرَفَة بن العبد** ، انظر ديوانه ص(٢٩) ، وهو من شواهد لسان العرب (٢٩٥/٨) مادة ص هـ ب . والعثنون : مجموعة الشعرات التي توجد تحت لحي الخيل الأسفل ، والموجدَة : من الإيجاد وهو التقوية ، والوخد : من وخَدَ وتعني الزميل ، موّارة : تذهب وتجيء ، من المور وهو الدوران والحركة مجيئاً وذهاباً .



القول الثالث : استدارتها ، وتحريكها لأمر الله ، وموج بعضها في بعض، قاله الضحاك [١].

القول الرابع : مورها : تحرّكها ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ، وقتادة[٣].

القول الخامس : تضطرب وتجيء وتذهب ، قاله الزمخشري [٤]، وجماعة من المفسرين [٥].

القول السادس : مورها : تشققها ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [٦] .

القول السابع : تتكفأ بأهلها ، قاله أبو عبيدة [٧]، وأنشد بيت الأعشى[٨]:

كَأنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا   مَوْرُ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ ولاْ عَجَلُ

القول الثامن : المَوْر : الجريان السريع ، قاله الراغب [٩]، ومنه قول الشاعر [١٠]:

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُوْرُ دِمَاؤُهَا   بِدِجْلَةَ حَتَى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَل

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٧٣) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٧٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣١٥) برقم : (١٨٦٨٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٣١) عزوه لابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٤٤) ، والطبري (٢١/٥٧٣) .

(٤) الكشاف (١٠٥٥) .

(٥) انظر : أنوار التنزيل (٥/١٥٢) ، التسهيل (٤/١٣٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٤٤) ، تفسير المراغي (٩/٢٣٢)، تيسير الكريم الرحمن (٨١٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٧٤) .

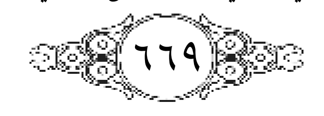
(٧) مجاز القرآن (٢/٢٣١) .

(٨) **البيت للأعشى** ، وانظر ديوانه ص(٤٢) ، وهو من شواهد لسان العرب (١٤/١٥٠) مادة : م و ر ، واستشهد به جمع من المفسِّرين ، انظر : جامع البيان (٢١/٥٧١)، تفسير السمعاني (٥/٢٥١) ، زاد المسير (١٣٥٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩١٣) ، البحر المحيط (٨/٢٠٦) ، روح المعاني (٢٧/٤٦) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٥٨) .

(٩) المفردات في غريب القرآن (٤٨٠) .

(١٠) **البيت لجرير** ، وانظر ديوانه ص(٤٥٧) ، وهو من شواهد : المحرر الوجيز (١٧٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩١٣) . ومعنى تمور : أي تجري . والأشكل : الذي تخالطه حمرة .



وقيل : هذا يوم القيامة ، أما المور فلا عِلم لنا به ، قاله ابن زيد[1].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، وأصل المور في اللغة : من مار الشيء يمور موراً؛ إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد ، ومار الشيء موراً اضطرب وتحرك ، والمور السرعة ، والميم والواو والراء أصل صحيح يدلُّ على تردد [2].

فيقال جمعاً بين الأقوال : إنَّ السماء يوم القيامة تضطرب حركتها ، فتجيء وتذهب ، وتجري جرياناً سريعاً ، وتدور كدوران الرحى ، وتخرج عن مكانها ، وتتشقق وتختلف أجزاؤها ، ويموج بعضها في بعض ، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة ، فالخلاف هنا بين المفسّرين هو خلاف لفظي ، وتنوع في التعبير عن المراد ، وهو شيء واحد ، فهذه المعاني كلها يجمعها اللفظ القرآني : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ﴾ .

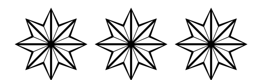
قال ابن عطية رحمه الله بعد ذكر الخلاف : (وهذه كلها تفاسير بالمعنى ، لأنَّ السماء العالية يعتريها هذا كله) [3].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [4].

وقول عطاء الخراساني داخل في هذا المعنى .

قال ابن عاشور رحمه الله : (والمَوْر : التحرك باضطراب ، ومور السماء هو اضطراب أجسامها من الكواكب واختلال نظامها وذلك عند انقراض عالم الحياة الدنيا) [5].

والله أعلم ،،



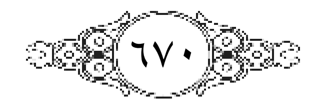
(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١/٥٧٣) .

(٢) انظر : معجم المقاييس في اللغة (٩٦٩) ، لسان العرب (١٤/١٤٩-١٥٠) .

(٣) المحرر الوجيز (١٧٧١) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٥) التحرير والتنوير (٢٧/٤١) .



سورة النَّجم

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [النجم : ٧] .

١٥٧- **قال عطاء الخراساني** : يقال : مطلع الشمس [١] .

الدراسة :

* جاءت هذه الآية في سياق الكلام على أنَّ ما ينطق به النبي ﷺ لا ينطقه عن الهوى ، إنّما هو بوحي من الله تعالى ، علَّمه إياه جبريل عليه السلام ، وهو بالأفق الأعلى ، أي : مطلع الشمس ، كما فسِّره عطاء الخراساني رحمه الله .

الأقوال في الآية[٢] :

الخلاف في هذه الآية مبني على مرجع الضمير في الآية ، وقد اختلفوا فيه على أقوال :

القول الأول : أنَّه يعود على جبريل عليه السلام ، وهو قول الجمهور ، واختلفت عبارات المفسرين بناءً على ذلك في معنى الأفق الأعلى على أقوال :

الأول : مطلع الشمس ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٣] ، ومجاهد[٤]، والحسن البصري[٥]، وسفيان الثوري[٦]، والزجاج[٧]، وعليه جمهور المفسِّرين[٨].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٧) ص١٠٧ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٣٩٢/٥) ، زاد المسير (١٣٦١) ، تفسير ابن كثير (٢٦١/٤) ، روح المعاني (٨٠/٢٧) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٤٤/٧) لابن المنذر .

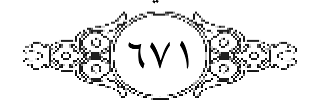
(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٣٩٢/٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢٤/٢) .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٤٩/٣) ، والطبري (١٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٤/٧) عزوه لابن المنذر .

(٦) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢٤/٢) .

(٧) معاني القرآن (٥٧/٥) .

(٨) انظر : بحر العلوم (٣٥٩/٣) ، الكشف والبيان (١٣٧/٩) ، الوسيط (١٩٣/٤) ، معالم التنزيل (٣٠١/٤)، الكشاف (١٠٥٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢٥/٢) ، مدارك التنزيل (٦١٣/٢) ، إرشاد العقل السليم (١٥٣/٦) ، فتح القدير (١٣١/٥) ، تفسير المراغي (٢٥١/٩) .



قال ابن عطية رحمه الله : (وهذا التخصيص لا دليل عليه) [١].

الثاني : هو الأفق الذي يأتي منه النهار ، قاله عكرمة [٢]، وقتادة [٣]، وابن زيد[٤]، يعني طلوع الفجر .

الثالث : هو أفق السماء ، قاله البيضاوي [٥]، والسعدي [٦]، ومنه قول الشاعر [٧]:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ   لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

الرابع : السماء الأعلى ، قاله الربيع [٨] .

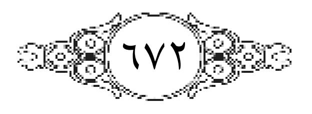
وجميع هذه الأقوال متقاربة تنوَّعت عبارات المفسِّرين فيها .

القول الثاني : أنَّ هذه صفة لله تعالى ، وليست لجبريل ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : ٥] ، قاله ابن عطية [٩]، وأبو حيان[١٠].

القول الثالث : أنَّ المقصود هنا هو النبي ﷺ ، وهو بالمكان العالي رتبة ومنزلة في رِفعة القدر ، لا حقيقة في الحصول في المكان . قاله الرازي [١١]. وضعَّفه القرطبي[١٢].

---

(١) المحرر الوجيز (١٧٧٨) .
(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٦١) .
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٣) .
(٤) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٦١) .
(٥) أنوار التنزيل (٥/١٥٧) .
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٨١٩) .
(٧) **البيت للفرزدق** ، وانظر ديوانه (٨٥) ، وأيضاً : طبقات فحول الشعراء (١/١٨٠) ، العقد الفريد (٢/٢٩٦)، تهذيب اللغة (٣/١٣٦) ، وتاريخ مدينة دمشق (١٧/١٧٣) ، وهو من شواهد : لسان العرب (١٠/٣١٧) مادة : ع ن ا ، ومن التفسير : جامع البيان (٢٠/٥٩٨)، معاني القرآن للنحاس (٢/١١٤٩) ، الكشف والبيان (٨/٣٣٥) ، تفسير السمعاني (٥/١٠٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٧٧٢) .
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٣) .
(٩) المحرر الوجيز (١٧٧٨) .
(١٠) البحر المحيط (٨/٢٢٢) .
(١١) التفسير الكبير (٢٨/٢٦٩) .
(١٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٢٥) .



الجمع أو الترجيح :

الـرَّاجح - والله أعلـم - هـو القـول الأول أنَّ الـضمير يعـود علـى جبريـل ﵇، لأنَّـه هــو أقــرب مــذكور في الـسياق ، والقاعــدة التفــسيرية : أنَّ الأصــل إعــادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه [1].

وممـــا يـــدلُّ أيـــضاً علـــى أنَّ المقـــصود جبريـــل ﵇ قولـــه تعـــالى : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير : ٢٣] .

وكذلك ما ثبت في الصحيحين عـن زِرِّ بْـنَ حُبَـيْشٍ أنـه سـئل عَـنْ قَـوْلِ اللَّـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ؟ قَـالَ : " أَخْبَرَنِـي ابْـنُ مَـسْعُودٍ أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ " [2].

والقاعــدة التفــسيرية : أنــه إذا ثبــت الحــديث ، وكــان في معــنى أحــد الأقــوال فهو مرجِّح له على ما خالفه [3].

وأما الأفـق الأعلـى فهـو مطلـع الـشمس ، أو أفـق الـسماء الأعلـى الـذي يـأتي منه النهار ، والأقوال في ذلك صحيحة متقاربة ، تدلُّ على معنى واحد .

والقاعــدة التفــسيرية : أنَّــه إذا احتمــل اللَّفــظ معــاني عــدة ، ولم يمتنــع إرادة الجميع حُمل عليها [4].

قــال الطــاهر بــن عاشــور ﵀ : (الأفــق : اســم للجــو الــذي يبــدو للنــاظر ، ملتقى بين طَرَف منتـهى النظـر مـن الأرض وبـين منتـهى مـا يلـوح كالقبـة الزرقـاء ، وغلــب إطلاقــه علــى ناحيــة بعيــدة عــن مــوطن القــوم ومنــه أفــق المــشرق وأفــق المغــرب . ووصــفه بـــ ﴿الْأَعْلَىٰ﴾ في هــذه الآيــة يفيــد أنــه ناحيــة مــن جــو الــسماء . وذكر هذا ليرتب عليه قوله : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾) [5]. والله أعلم ، ،

---

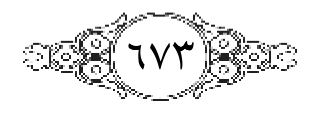
(١) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٦٢١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٢٣٢) في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وبرقم : (٤٨٥٦) في كتاب تفسير القرآن ، باب فكان قاب قوسين أو أدنى حيث الوتر من القوس ، وبرقم : (٤٨٥٧) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٧٤) ، في كتاب الإيمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٥) انظر : التحرير والتنوير (٢٧/٩٦) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النجم : ٣٤] .

١٥٨- **قال عطاء الخراساني** : يقال : أعطى قليلاً وانقطع [(١)] .

الدراسة :

* يقصُّ الله تعالى على نبيه ﷺ في هذه الآيات خبر من تولَّى عن اتّباع الدين وأعرض عنه ، وأعطى قليلاً وانقطع عن العطية . وفي المراد بالآية أقوال :

الأقوال في الآية[(٢)] :

القول الأول : أعطى قليلاً وانقطع ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)] ، ومجاهد [(٤)] ، وقتادة ، وعكرمة [(٥)]، والضحاك ، وابن زيد [(٦)].

القول الثاني : أمسك عن النفقة ومنع ، وهو قول عامة المفسرين مع تنوُّع عباراتهم [(٧)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٦) ص١٠٧ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) الكشف والبيان (١٥٠/٩) ، النكت والعيون (٤٠٢/٥-٤٠٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٤/٢) ، البحر المحيط (٣٢٥/٨) .

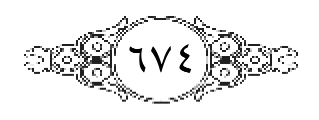
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٩/٧) عزوه لابن أبي حاتم -ولم أقف عليه - .

(٤) تفسير مجاهد (٢٧٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٩/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - .

(٥) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٢٥٤/٣) ، والطبري (٧٣/٢٢) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٧٣/٢٢-٧٤) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء (٩٨/٣) ، معاني القرآن للزجاج (٦١/٥) ، بحر العلوم (٣٦٥/٣) ، الوسيط (٢٠٣/٤) ، المفردات في غريب القرآن (٤٢٩) ، معالم التنزيل (٣١٣/٤) ، الكشاف (١٠٦٢) ، المحرر الوجيز (١٧٨٤) ، زاد المسير (١٣٦٥) ، التفسير الكبير (١٢/٢٩) ، أنوار التنزيل (١٦١/٥) ، مدارك التنزيل (٦١٧/٢) ، التسهيل (١٤٨/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٦٠/٦) ، روح المعاني (٩٩/٢٧)، فتح القدير (١٤١/٥) ، تفسير المراغي (٢٦٠/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٢٢) ، التحرير والتنوير (١٢٨/٢٧) ، أضواء البيان (٤٦٤/٧) .



القول الثالث : أطاع قليلاً ثمَّ عصى ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [١] .

القول الرابع : أعطى قليلاً بلسانه من الكلام الطيب ، وأكدى بقلبه ، قاله مقاتل [٢] .

وسياق الآيات يدلّ على أنَّ المقصود بهذا الخبر شخص معيَّن ، وقد ذكر المفسِّرون في سبب النزول أقوالاً ؛ منها :

الأول : أنها نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين في اتباعه رسول الله ﷺ على دينه ، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله ، ورجع إلى شِركه أن يتحمَّل عنه عذاب الآخرة ، ففعل ، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له ، روي عن مجاهد [٣] ، وابن زيد [٤] .

الثاني : أنَّ النبي ﷺ خرج في مغزاة ، فجاء رجل فلم يجد ما يخرج عليه ، فلقي صديقاً له فقال : أعطني شيئاً ، قال : أعطيك بكري هذا على أن تتحمل بذنوبي ، فقال له : نعم ، فأنزل الله : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النجم : ٣٣-٣٤] ، روي عن عكرمة [٥] .

الثالث : نزلت في النضر بن الحارث ، قاله الضَّحاك [٦] .

الرابع : نزلت في أبي جهل بن هشام ، روي عن محمد بن كعب [٧] .

الخامس : عن درَّاج أبي السمح [٨] قال : خرجت سرية غازية فسأل رجل

---

(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٠٢/٥) ، وابن كثير في تفسيره (٢٧١/٤) .

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٠٢/٥) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٢/٢٢) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (٣٣٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٩/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٢/٢٢) ، وذكر القصة ولم يسم فيها ، وإنما قال : رجل أسلم ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (٣٣٨) ، وهو ضعيف جداً لضعف عبد الرحمن ابن زيد وإعضاله . انظر : الاستيعاب (٢٩٩/٣) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥٩/٧) وفي لباب النقول (٢٦١) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – ، وهو ضعيف لإرساله . انظر : الاستيعاب (٢٩٨/٣) .

(٦) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٥/٢) .

(٧) المصدر السابق .

(٨) **دراج** = هو دَرَّاج بن سمعان ، أبو السَّمح المصري القاص ، مولى عبد الله بن عمرو ، روى عن عبد الله بن

رسول الله ﷺ أن يحمله ، فقال : لا أجد ما أحملك عليه ، فانصرف حزيناً ، فمرَّ برجل رحاله منيخة بين يديه ؛ فشكا إليه ، فقال له الرجل : هل لك أن أحملك فتلحق الجيش ؟ فقال : نعم ، فنزلت : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [١].

السادس : أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٢].

السابع : نزلت في عبد الله بن أبي السرح حين صدَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه عن نفقة في الخير كان ينفقها ، - قبل أن يسلم عبد الله – ذكره جماعة [٣].

قال ابن عطية رحمه الله : (وذلك كله عندي باطل ، وعثمان عن مثله منزه)[٤].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال في معنى الآية متقاربة ، ويمكن أن يحمل المعنى عليها جميعاً .

ولا يصحُّ في سبب نزول الآية خبر صحيح ، ويحمل قولهم في ذلك على أنه تفسير وبيان لا سبب نزول ، كما تقدَّم [٥].

والمعنى الظاهر في الآية أنَّه شخص معيَّن ؛ أعطى قليلاً من شيء ؛ - سواء كان مالاً أو طاعة أو غيرهما - ثمَّ امتنع وانقطع .

وفي اللغة : أكدى الرجل : قلَّ خيره ، وقيل المكدي من الرجال الذي لا يثوب له مال ولا ينمي ، وقد أكدى ، وأنشد ثعلب [٦]:

الحارث بن جزء ، وأبي قبيل المعافري ، وروى عنه : الليث ، وابن لهيعة ، وثَّقه بن معين ، وقال أبو داود وغيره : حديثه مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم ، من الرابعة ، مات سنة ست وعشرين ومائة . انظر : الكاشف (١/٣٨٣) ، تقريب التهذيب (٢٠١) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٥٩) وفي لباب النقول (٢٦١) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - ، وهو ضعيف لإرساله . انظر : الاستيعاب (٣/٢٩٩) .

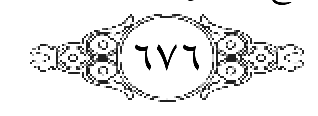
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٥٩) عزوه لابن مردويه .

(٣) أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/١٥٠) ، وذكره عنه الواحدي في أسباب النزول (٣٣٨) ، والزمخشري في الكشاف (١٠٦٢) .

(٤) المحرر الوجيز (١٧٨٤) .

(٥) انظر صفحة (٣٠١-٣٠٢) .

(٦) **لم أقف على قائله** ، وهو من شواهد تاج العروس (٣٩/٣٨١) ، لسان العرب (١٣/٣٦) مادة : كدي .



وَأَصْـبَحَتِ الـزُّوَّارُ بَعْـدَكَ أَمْحَلُـوْا وَأَكْـدَىْ بَـاْغِيَ الْخَيْـرِ وَانْقَطَـعَ السَّفْرُ

وكدى الرجل إذا أعطى يسيراً ثمَّ قطع ، شبّه بالحافر يحفِر فيكدي فيمسك عن الحفر [(١)].

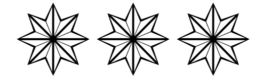
قال الراغب رحمه الله : (الكدية صلابة في الأرض ، يقال حفر فأكدى إذا وصل إلى كدية ، واستعير ذلك للطالب المخفق والمعطى المقل) [(٢)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٣)].

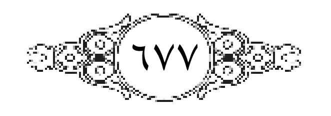
وعليه فقول عطاء الخراساني في الآية قول صحيح يدلُّ على المعنى المراد.

قال ابن عاشور رحمه الله : (وأشار قوله : ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ إلى بخله وقطعه العطاء يقال : أكدى الذي يحفر إذا اعترضته كدية أي حجر لا يستطيع إزالته . وهذه مذمة ثانية بالبخل ...) [(٤)].

والله أعلم ، ،



(١) انظر : معجم المقاييس في اللغة (٩٢١) .
(٢) المفردات في غريب القرآن (٤٢٩) .
(٣) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .
(٤) التحرير والتنوير (١٢٨/٢٧) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) ﴾ [النجم : ٣٧] .

١٥٩- **قال عطاء الخراساني** : استكمل الطاعة [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية مقابلة للحالة السابقة التي ذكرها الله للذي أعطى قليلاً وأكدى ، فذكر هنا حال إبراهيم عليه السلام حين أتمَّ الطاعة واستكملها ، ووفَّى ما أمر به ، ولم يعهد عهداً إلاَّ وفَّى به .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : استكمل الطاعة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما : وفَّى فيما أمر به من طاعة ربه [٣] ، وبه قال مجاهد [٤] ، والزجَّاج [٥] ، والبيضاوي [٦] .

القول الثاني : وفَّى بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته ، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [٧] ، وسعيد بن جبير [٨] ، وقتادة [٩] ، وسفيان الثوري ، وابن زيد [١٠] ، وقاله الفرَّاء [١١] ، والسمرقندي [١٢] ، والثعلبي [١٣] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٢) بلفظ : استعمل الطاعة ، ولعله تصحيف ، وذكره أيضاً البغوي في معالم التنزيل (٣١٣/٤) بلفظ : استكمل الطاعة ، وذكره ابن عادل في اللباب (٢٠٢/١٨) .

(٢) انظر : جامع البيان (٧٤/٢٢-٧٨) ، النكت والعيون (٤٠٣/٥) ، الوسيط (٢٠٣/٤) ، معالم التنزيل (٣١٣/٤) ، الكشاف (١٠٦٢) ، زاد المسير (١٣٦٦) ، التفسير الكبير (١٤/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٥/٢) ، التسهيل (١٤٨/٤) .

(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٠٣/٥) .

(٤) تفسير مجاهد (٢٧٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٦٠/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، جميعهم بلفظ : ما فرض عليه .

(٥) معاني القرآن (٦١/٥) .

(٦) أنوار التنزيل (١٦١/٥) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٦٠/٧) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٦/٢٢) .

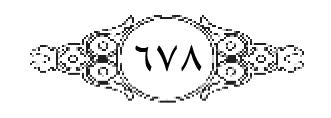
(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٥٤/٣) ، والطبري (٧٥/٢٢) .

(١٠) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٧٥/٢٢-٧٦) .

(١١) معاني القرآن (٩٨/٣) .

(١٢) بحر العلوم (٣٦٥/٣) .

(١٣) الكشف والبيان (١٥١/٩) .



القـول الثالـث : أنـه كـان يقـول كلمـا أصـبح وأمـسى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الـروم : ١٧] . رواه معـاذ بـن أنـس الجهـني رضي الله عنه [(١)]، عن النبي ﷺ [(٢)].

القـول الرابـع : وفَّـى عمَـلَ كـلَّ يـوم بـأربع ركعـات في أول النـهار ، رواه أبـو أمامة عن رسول الله ﷺ [(٣)].

قـال الطـبري رحمه الله : (ولـو صـحَّ الخـبران اللـذان ذكرناهمـا أو أحـدهما عـن رسول الله ﷺ ، لم نَعْـدُ القـول بـه إلى غـيره ولكـن في إسـنادهما نظـر يجـب التثبـت فيهما من أجله) [(٤)].

القول الخـامس : وفَّـى مـا امـتحن بـه مـن ذبـح ابنـه ، وهـذا قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهما ، ومحمد بن كعب القرظي [(٥)].

القـول الـسادس : كـان الرَّجـل يؤخـذ بـذنب غـيره حتـى جـاء إبـراهيم ، فقـال الله : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ فـصار لا يؤاخـذ أحـد بذنب غيره ، وهـذا قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهما ، ومجاهـد ، وعكرمـة [(٦)]، وعمـرو بـن

---

(١) **معاذ بن أنس الجهني** = صحابي جليل ، روى عنه ابنه سهل ، وروى عنه أهل مصر ، مات بعسفان ، وبها قبره . انظر : التاريخ الكبير (٣٦٠/٧) ، الثقات (٣٧٠/٣) .

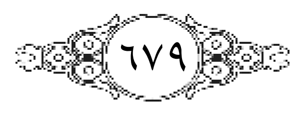
(٢) **ضعيف** . أخرجه الطبري في تفسيره (٧٧/٢٢) وقال : في إسناده نظر ، وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (١١٤٠/٢) : [فيه]رشدين بن سعد ليس بشيء . وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٨٥/٣) : مشتمل على جماعة من الضعفاء ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٠/١٠) : فيه ضعفاء وثّقوا . وضعفه ابن حجر في فتح الباري (٧٧٠/٨) ، وقال الشوكاني في فتح القدير (١٤٣/٥) : في إسناده ابن لهيعة ا.هـ ، ومما سبق يتَّضح أنَّ في الحديث علّتان : الأولى : ابن لهيعة ، والثانية : رشدين بن سعد ، وكلاهما ضعيف .

(٣) **ضعيف** . أخرجه الطبري في تفسيره (٧٨/٢٢) وقال : في إسناده نظر ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٦٠/٧) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - ، وابن مردويه ، والشيرازي ، والديلمي ، بسند ضعيف . وأعلَّه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٨٤/٣) بجعفر بن الزبير ، وكذا ابن كثير في تفسيره (٢٧٢/٤) ، والشوكاني في فتح القدير (١٤٣/٥) ، وضعَّفه ابن حجر أيضاً في الفتح (٧٧٠/٨) .

(٤) جامع البيان (٧٨/٢٢) .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٧٦/٢٢-٧٧) .

(٦) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٧٥/٢٢) .



أوس[1] [2]، وسفيان بن عيينة [3].

القول السابع : أنَّ إبراهيم ﵇ وفَّى شأن المناسك ، قاله الضحاك .

القول الثامن : أنه عاهد أن لا يَسأل مخلوقاً شيئاً ، فلمّا قُذف في النار قال له جبريل ، ألَكَ حاجةٌ ؟ فقال : أمّا إليك فلا [4]، فوفَّى بما عاهد ، قاله عطاء بن السائب .

القول التاسع : أنه أدَّى الأمانة ، وهذا قول سفيان بن عيينة [5].

الجمع أو الترجيح :

الراجح – والله أعلم – أنَّ الآية على عمومها ، وأنَّ إبراهيم ﵇ وفَّى دينه، واستكمل طاعته ، دون تخصيص لعمل عمله دون آخر .

قال الطبري ﵀ : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : وفَّى جميع شرائع الإسلام وجميع ما أُمر به من الطاعة ، لأنَّ الله تعالى ذِكره أخبر عنه أنه وفَّى ؛ فعمَّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة ، ولم يخصص بعضاً دون بعض ... فالتوفية على العموم) [6].

ومن تأمَّل وجد أنَّ الله تعالى لم يذكر في الآية متعلّق ﴿وَفَّىٰٓ﴾ ليتناول الوفاء والتوفية ، وكل ما يصلح أن يكون متعلّقاً له ؛ كتبليغ الرسالة ، والصبر على ذبح ولده ، وعلى فراق إسماعيل وأمه ، وعلى نار نمروذ ، وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه، وغير ذلك [7].

---

(١) **عمرو بن أوس** = ابن أبي أوس الثقفي الطائفي ، تابعي كبير من الثانية ، وهم من ذكره في الصحابة ، روى عن : أبيه ، والمغيرة ، وعدة . وروى عنه : ابن سيرين ، وعمرو بن دينار ، وعدة . قال أبو هريرة : تسألوني وفيكم عمرو بن أوس ! ، مات بعد التسعين من الهجرة . انظر : الكاشف (٧٢/٢) ، تقريب التهذيب (٤١٨) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٥٠/٣) ، وعزاه ابن حجر في فتح الباري (٧٦٩/٨) لابن المنذر .

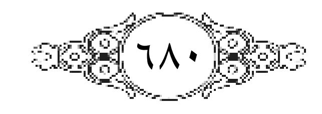
(٣) تفسير سفيان بن عيينة (٣٢٧) .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٧) ، وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٣٩/٨): معروف .

(٥) الأقوال الثلاثة الأخيرة حكاها ابن الجوزي في زاد المسير (١٣٦٦) .

(٦) جامع البيان (٧٨/٢٢) .

(٧) انظر : أنوار التنزيل (١٦١/٥) ، مدارك التنزيل (٦١٧/٢) ، البحر المحيط (٢٣٦/٨) ، إرشاد العقل السليم (١٦٠/٦) ، روح المعاني (١٠٠/٢٧) ، التحرير والتنوير (١٣٠/٢٧) .



وإذا أُريد الاتِّصاف بالفعل – بغضِّ النَّظر عن متعلّقه – حُذِف المفعول ، لإفادة العموم .

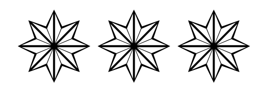
والقاعدة التفسيرية : يجب حَمْل نصوص الوحي على العُموم ، ما لم يرد نصٌّ بالتخصيص [(1)].

وعلى ذلك فقول عطاء الخراساني لفظه عام ؛ يصحّ حمل الأقوال الأخرى عليه .

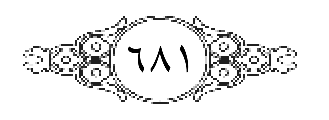
قال الراغب رحمه الله : (فتوفيته أنه بذل المجهود في كل ما طولب به مما أشار إليه في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] ، من بذل ماله بالإنفاق في طاعته ، وبذل ولده الذي هو أعزّ من نفسه للقُربان ، وإلى ما نبَّه عليه بقوله : ﴿وَفَّىٰ﴾ أشار بقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٢٤]) [(2)].

وبنحوه قال ابن عطية [(3)]، وابن كثير [(4)]، والألوسي [(5)].

والله أعلم ، ،



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .
(٢) المفردات في غريب القرآن (٥٤٣) .
(٣) المحرر الوجيز (١٧٨٥) .
(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٢) .
(٥) روح المعاني (٢٧/١٠٠) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النجم : ٤٣] .

١٦٠- **قال عطاء الخراساني** : فرَّح وأحزن ، لأنَّ الفرح يجلب الضَّحك ، والحزن يجلب البكاء [١] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الضحك والبكاء بسببهما وهو الفرح أو الحزن ، وهذا تفسير باللازم .

وذِكْر الضَّحك والبكاء لأنهما صفتان تجمعان أصنافاً كثيرة من الناس ، إذ الواحدة دليل السرور ، والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة ، فنبه تعالى على هاتين الخاصتين اللتين هما للإنسان وحده [٢].

وفيه دليل على أنَّ كل شيء بقدر الله ؛ فلا يفرح أحد ولا يحزن ، ولا يضحك ولا يبكي إلا بقدر الله عزَّ وجل [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : فرَّح وأحزن ، لأنَّ الفرح يجلب الضَّحك ، والحزن يجلب البكاء ، وهو قول عطاء الخراساني ؛ ووافقه ابن جزي [٥].

القول الثاني : قضى أسباب الضحك والبكاء ، قاله القرطبي [٦]، وبنحوه قال ابن كثير [٧]، والشوكاني[٨]، والمراغي [٩]، والسعدي [١٠].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٥/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣١٦/٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٧/٢) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١٧٨٦) .

(٣) انظر : الوسيط (٢٠٤/٤) ، معالم التنزيل (٣١٦/٤) ، زاد المسير (١٣٦٧) ، التفسير الكبير (١٩/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٧/٢) .

(٤) النكت والعيون (٤٠٤/٥) .

(٥) التسهيل (١٤٩/٤) .

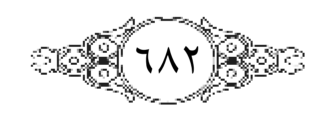
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٧/٢) .

(٧) تفسير ابن كثير (٢٧٣/٤) قال : خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان .

(٨) فتح القدير (١٤٤/٥) قال : الخالق لذلك القاضي بسببه .

(٩) تفسير المراغي (٢٦٣/٩) قال : خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما .

(١٠) تيسير الكريم الرحمن (٨٢٢) .



القول الثالث : أضْحَك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها ، وأبكى أهل النار في النار بدخولهم إياها ، وأضحَك من شاء من أهل الدنيا ، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم ، قاله مجاهد [١]، والفراء[٢]، والطبري [٣]، والسمرقندي[٤].

قال ابن جزي رحمه الله : (وهذا تخصيص لا دليل عليه) [٥].

القول الرابع : أضحك في الدنيا أهل النعمة ، وأبكى أهل الشدة والمعصية ، ذكره السمرقندي [٦].

القول الخامس : أضحَك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر ، وهو قول الضحاك [٧].

القول السادس : أنه خلق قوتي الضحك والبكاء للإنسان وميَّزه بهما ، قاله الزمخشري [٨]، والنسفي [٩]، وأبو السعود [١٠].

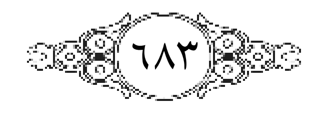
قال أبو حيان رحمه الله : (وفيه دسيسة الاعتزال ؛ إذ أفعال العباد من الضَّحك والبكاء وغيرهما مخلوقة للعبد عندهم ، لا لله تعالى ، فلذلك قال : خلق قوتي الضحك والبكاء) [١١].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – أنَّ المراد هو أنَّ الله قضى أسباب الضحك والبكاء

---

(١) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٣١٦/٤) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٨٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٦٧) .
(٢) معاني القرآن للفراء (٩٩/٣) .
(٣) جامع البيان (٨١/٢٢) .
(٤) بحر العلوم (٣٦٦/٣) .
(٥) التسهيل (١٤٨/٤) .
(٦) بحر العلوم (٣٦٦/٣) .
(٧) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (٣١٦/٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٦٧) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣٧/٢) .
(٨) الكشاف (١٠٦٣) .
(٩) مدارك التنزيل (٦١٨/٢) .
(١٠) إرشاد العقل السليم (١٦١/٦) .
(١١) البحر المحيط (٢٣٩/٨) .



وقدَّرهما ، وهو معنى القول الثاني ، أنه قضى أسباب الضحك والبكاء أياً كانت هذه الأسباب ، فهو على عمومه .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص [١].

وقول عطاء الخراساني داخل في ذلك ، غير أنَّه يبيِّن أنَّ الفرح سبب الضَّحك ، والحزن سبب البكاء ، وهذا ليس مطّرداً ، وإنما هو الغالب في الفرح والحزن ، وإلا فمعلوم أنّه حين يزداد المؤشر النفسي فرحاً أو حزناً عندَ الإنسان تنقلب العادة ليكون الضحك للحزن ، والبكاء للفرح ، ويشهد لذلك ما ورد في حديث الهجرة عندما علِم أبو بكر الصديق ﷺ من النبي ﷺ أنه سيكون رفيقه في الهجرة ، بكى من الفرح ، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂ : " فو الله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أنَّ أحداً يبكي من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ " [٢].

وأما الأقوال الأخرى ففيها تخصيص أقرب ما يمكن أن توصف به أنها أقوال استعارية كما وصفها ابن عطية [٣].

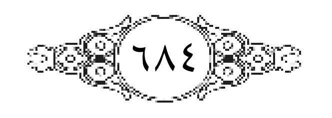
قال ابن عاشور ﵀ : (ولا يخلو الإنسان من حالي حزن وسرور ؛ لأنه إذا لم يكن حزيناً مغموماً كان مسروراً ، لأنَّ الله خلق السرور والانشراح ملازماً للإِنسان بسبب سلامة مزاجه وإدراكه ، لأنه إذا كان سالماً كان نشيط الأعصاب ، وذلك النشاط تنشأ عنه المسرة في الجملة ، وإن كانت متفاوتة في الضعف والقوة ، فذكر الضحك والبكاء يفيد الإحاطة بأحوال الإِنسان بإيجاز ، ويرمز إلى أسباب الفرح والحزن ، ويذكِّر بالصانع الحكيم ، ويبشر إلى أنَّ الله هو المتصرف في الإنسان لأنه خلق أسباب فرحه ونكده ، وألهمه إلى اجتلاب ذلك بما في مقدوره ، وجعل حداً عظيماً من ذلك خارجاً عن مقدور الإِنسان، وذلك لا يمتري فيه أحد إذا تأمل ، وفيه ما يرشد إلى الإِقبال على طاعة الله والتضرع إليه ليقدّر للناس أسباب الفرح ، ويدفع عنهم أسباب الحزن

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٢٢٣) .

(٣) المحرر الوجيز (١٧٨٦) .



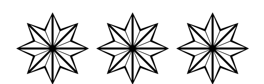
وإنما جرى ذِكر هذا في هذا المقام لمناسبة أنَّ الجزاء الأوفى لسعي الناس : بعضه سارٌّ لفريق وبعضه محزِن لفريق آخر . وأفاد ضمير الفصل [1] : قصراً لصفة خلق أسباب الضحك والبكاء على الله تعالى لإبطال الشريك في التصرف، فتبطل الشركة في الإلهية ، وهو قصر إفراد ؛ لأنَّ المقصود نفي تصرُّف غير الله تعالى ، وإن كان هذا القصر بالنظر إلى نفس الأمر قصراً حقيقياً لإبطال اعتقاد أنَّ الدهر متصرِّف ... وفي هذه الآية محسِّن الطباق بين الضحك والبكاء وهما ضدَّان ، وتقديم الضَّحك على البكاء لأنَّ فيه امتناناً بزيادة التنبيه على القدرة ، وحصل بذلك مراعاة الفاصلة) [2].

وصيغة أفعل التفضيل هنا يراد بها وصف الله بأنه الذي يضحك الناس والذي يبكيهم بخلق أسباب ذلك ، وليس المراد تفضيل شيء على شيء .

وأفعل على غير بابه يدلُّ على مجرَّد الاتِّصاف .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ صيغة التفضيل قد تطلق في القرآن واللغة مراداً بها الاتصاف ، لا تفضيل شيء على شيء [3].

والله أعلم ، ،

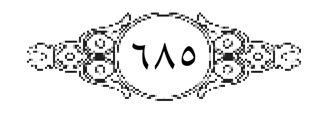


---

(١) ضمير الفصل يتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعا له في امتناع دخول حرف التعريف عليه ، كافعل من كذا أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة ليؤذن من أول أمره بأنه خبر لا نعت ، وليفيد ضرباً من التوكيد ، وتسميه البصريون فصلاً ، والكوفيون عماداً وذلك في قولك : زيد هو المنطلق ، وزيد هو أفضل من عمرو ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة : ١١٧] ، وقال : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، وقال تعالى : ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩] ، ويدخل عليه لام الابتداء تقول : إن كان زيد لهو ظريف وإن كنا لنحن الصالحون ، وكثير من العرب يجعلونه مبتدأ وما بعده مبنياً عليه . انظر : المفصَّل (١٧٢) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/١٤٢-١٤٣) .

(٣) قواعد التفسير (١/٢٥٨) .



سورة القمر

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر : ١] .

١٦١- **قال عطاء الخراساني** : يعني : سينشقُّ يوم القيامة [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله تعالى آية من آياته الكونية العظيمة ، وهي انشقاق القمر ، وذكر أنه انشقَّ القمر ، وفسَّرها عطاء الخراساني بأنه سينشقُّ يوم القيامة .

الأقوال في الآية[(٢)] :

القول الأول : أنه سينشق يوم القيامة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول الحسن ، قال : لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنها آية ، والناس في الآيات سواء [(٣)]، واختاره المراغي من المفسِّرين [(٤)].

القول الثاني : أنَّ القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ في مكة ، قبل هجرته إلى المدينة . وهذا ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين ، وروي عن ابن عباس[(٥)] ، وابن عمر ، وحذيفة بن اليمان ، وجبير بن مطعم رضي الله عنهم[(٦)]، وقاله مجاهد ، وقتادة ، وإبراهيم النَّخعي ، والضحاك [(٧)]، وعليه

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/١٦٠) ، والواحدي في الوسيط (٤/٢٠٧) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٦٩) ، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٦/١٦٥) ، والشوكاني في فتح القدير (٥/١٤٩) عن عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، وسبق معنا ضعف عثمان عن أبيه ، وعليه فهذا الأثر ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني .

(٢) النكت والعيون (٥/٤٠٩) ، المفردات في غريب القرآن (٢٦٧) .

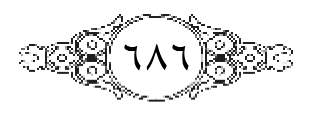
(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٠٩) .

(٤) وهو من الأقوال الضعيفة التي رجحها – رحمه الله – وانتصر لها ، انظر : تفسير المراغي (٩/٢٧٠) .

(٥) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٨٧٠) في كتاب المناقب ، باب انشقاق القمر . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٢٨٠٣) ، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب انشقاق القمر .

(٦) تفسير مجاهد (٢٧٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٠٩) .

(٧) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٢/١٠٤-١١٢) .



إجماع المفسِّرين [(١)]، وهو ظاهر التنزيل ، ومعنى الفعل الماضي ﴿وَٱنشَقَّ﴾ .

الجمع أو الترجيح :

القول الثاني هو القول الصحيح ، الذي تؤيده الأدلة الصحيحة الصريحة، والنقول الثابتة من سنة المصطفى ﷺ ، وعليه إجماع المفسِّرين .

روى أَنَس بْنِ مَالِك ﷺ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ، فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا [(٢)].

وعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ بِمِنًى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ ؛ فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْهَدُوا » [(٣)].

والقاعدة التفسيرية : إذا ثبت الحديث ، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره [(٤)].

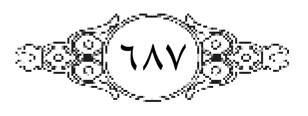
قال الزجاج ﷺ : (أجمع المفسِّرون – وروينا عن أهل العلم الموثوق بهم – أنَّ القمر انشقَّ على عهد رسول الله ﷺ . قال أبو إسحاق : وزعم قوم عندوا عن القصد ، وما عليه أهل العلم : أنَّ تأويله أنَّ القمر سينشق يوم القيامة ، والأمر بيّن في اللفظ وإجماع أهل العلم ، لأنَّ قوله : ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (١٠٢/٣) ، وحكاه الزجاج في معاني القرآن (٦٥/٥) ، جامع البيان (١٠٣/٢٢)، معاني القرآن للزجاج (٦٥/٥) ، بحر العلوم (٣٦٩/٣) ، الكشف والبيان (١٦٠/٩) ، الوسيط (٢٠٧/٤)، معالم التنزيل (٣٢١/٤) ، الكشاف (١٠٦٤) ، المحرر الوجيز (١٧٨٩) ، زاد المسير (١٢١٧) ، التفسير الكبير (٢٨/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٤١/٢) ، أنوار التنزيل (١٦٤/٥) ، مدارك التنزيل (٦٢٠/٢) ، التسهيل (١٥٢/٤) ، البحر المحيط (٢٤٦/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٧٦/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٦٥/٦) ، روح المعاني (١١٣/٢٧)، فتح القدير (١٤٩/٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٢٤) ، التحرير والتنوير (١٦٧/٢٧) .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٨٦٨) في كتاب المناقب ، باب انشقاق القمر . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٨٠٢) ، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب انشقاق القمر .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٦٣٦) في كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٨٠٠) ، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب انشقاق القمر .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١) .



﴿وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ . فكيف يكون هذا في القيامة ؟!) [(١)].

وقال عنه ابن جزي ﵀ : (وهذا قول باطل تردُّه الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر ، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك ، وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله) [(٢)].

ويتَّضح مما سبق أنَّ قول عطاء الخراساني قول شاذٌّ لمخالفته صريح السنة، ولأنه لا يقاوِم الإجماع لضعفه ، والعلماء كلهم على خلافه ، وهو بعيد لا معنى له [(٣)].

والقاعدة التفسيرية : كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردّ [(٤)].

وعلى كل حال : فالقول ضعيف الثبوت عن عطاء الخراساني .

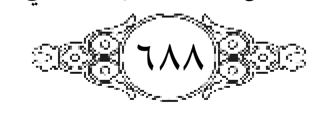
قال الخطابي ﵀ :(انشقاق القمر آية عظيمة لا يكادُ يعدِلها شيء من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم ، وذلك أنه أمرٌ ظهر في ملكوت السماء خارجٌ عن جملة طباع ما في العالم المركَّب من الطبائع الأربع ، فيطمع في نيله بحيلة وعلاج وتأليف وتركيب ونحوها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون ، ويتصنَّع لها المتكلِّفون ، فلذلك صار الخَطْب فيه أعظم ، والبرهان به أظهر وأبهر) [(٥)].

وقال ابن عاشور ﵀ : (فجعلت تلك المعجزة وسيلة للتذكير باقتراب الساعة على طريقة الإدماج بمناسبة أن القمر كائن من الكائنات السماوية ذات النظام المساير لنظام الجو الأرضي فلما حدث تغير في نظامه لم يكن مألوفاً ناسب تنبيه الناس للاعتبار بإمكان اضمحلال هذا العالم ، وكان فعل الماضي مستعملاً في حقيقته) [(٦)].

وقد ثبت علمياً في الدراسات الحديثة أنَّ القمر قد انشقَّ قبل ذلك ، وقد صورت أثره وكالة ناسا الفضائية [(٧)]، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء .

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/٦٥) .
(٢) التسهيل (٤/١٥٢) .
(٣) انظر : الوسيط (٤/٢٠٧) ، المحرر الوجيز (١٧٨٩) ، زاد المسير (١٣٦٩) ، التفسير الكبير (٢٩/٢٨) .
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢١٤) .
(٥) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري (٣/٨٤١) .
(٦) التحرير والتنوير (٢٧/١٦٨-١٦٩) .
(٧) انظر : الصورة رقم : (١٤) ص(١٠٠٣) من ملحق الصور ، والتي يظهر فيها أثر انشقاق القمر .



الموضع الثاني :

* وفي قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر : ٧] [١] .

١٦٢- **قال عطاء الخراساني** : الأجداث : القبور [٢] .

الدراسة :

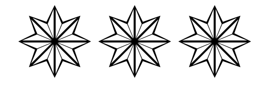
* في هذه الآية يبيِّن الله حال الناس يوم القيامة ، أنَّهم سيخرجون من قبورهم كأنَّهم جراد منتشر من انتشارهم وكثرتهم .

والأجداث جمع جدث ، وهو القبر .

وهذا التفسير عليه إجماع المفسرين دون مخالف [٣].

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس : ٥١] ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج : ٤٣] .

والله أعلم ،،

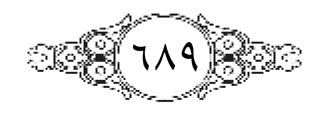


---

(١) الآية بتمامها : ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٧) ص١١٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : جامع البيان (١١٧/٢٢) ، بحر العلوم (٣٧٠/٣) ، الكشف والبيان (١٦٣/٩) ، الوسيط (٢٠٨/٤)، المفردات في غريب القرآن (٩٦) ، معالم التنزيل (٣٢٢/٤) ، الكشاف (١٠٦٥) ، المحرر الوجيز (١٧٩٠)، زاد المسير (١٣٧٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٤٣/٢) ، أنوار التنزيل (١٦٥/٥) ، مدارك التنزيل (٦٢١/٢) ، التسهيل (١٥٣/٤) ، تفسير ابن كثير (٢٧٨/٤) ، روح المعاني (١٢٢/٢٧) ، فتح القدير (١٥١/٥) ، تفسير المراغي (٢٦٩/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٢٤) ، التحرير والتنوير (١٧٨/٢٧) .



سورة الرحمن

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن : ١٢] .

١٦٣- **قال عطاء الخراساني** : التّبن [١] .

الدراسة :

* التِّبن معروف ، واحدته تبنة ، وهو عصيفة الزرع من البُرِّ ونحوه [٢].

وسمي العصف عصفاً لأنَّ الرياح تعصفه ، أي تحركه ، ووصفُ الحب بأنه ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ للتحسين وللتذكير بمنة جمال الزرع حين ظهوره في سنبله في حقوله ؛ نظير وصف النخل بذات الأكمام ، ولأنَّ في الموصوف ووصفه أقوات البشر وحيوانهم [٣].

وفي هذه الآية بيان نعمة الله تعالى على عباده في هذه الدنيا أن هيَّأ لهم الأرض الصالحة لمعاشهم ، ويسر لهم فيها ما يعيشون به ، وقدر فيها أقواتها التي ذكر منها الحب ذا الورق والسيقان التي تعصف وتصير طعاماً للماشية .

فهذه الآية جاءت في سياق آيات عدَّد الله فيها شيئاً مما امتنَّ به عليهم [٤].

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : التِّبن ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٦]، وقتادة [٧]، والضحاك [٨]، وقاله جماعة من المفسِّرين [٩]، ومنه

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢٧) ص١١٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) لسان العرب (٢/٢١٣) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (٢٧/٢٤٢) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن (٦/٣٤٥٠) .

(٥) انظر : بحر العلوم (٣/٣٧٩) ، الكشف والبيان (٩/١٧٩) ، النكت والعيون (٥/٤٢٦) ، معالم التنزيل (٤/٣٣٢) ، زاد المسير (١٣٧٧) ، التفسير الكبير (٢٩/٩١) ، روح المعاني (٢٧/١٥٨) ، فتح القدير (٥/١٦٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٨٣) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٢٣) برقم : (١٨٧٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٣) عزوه لابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٦٦) ، والطبري (٢٢/١٨٤) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٨٤) .

(٩) انظر : جامع البيان (٢٢/١٨٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٥٤) ، البحر المحيط (٨/٢٦٩) ، تفسير

قول علقمة بن عبدة [(١)]:

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُها   حَدُورُها مِنْ أَتِيِّ المَاءِ مَطْمُومُ

القول الثاني : ورق الزرع ، قاله الزجَّاج [(٢)]، وقال كثير من المفسِّرين : ورق الزرع أو التبن [(٣)]، وهما بمعنى واحد ؛ فالتِّبن هو ورق الزرع إذا يبس وديس . كما قال الواحدي [(٤)].

القول الثالث : أنه ورق الزَّرع الأخضر الذي قطع رؤوسه إذا يبس ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، نظيره قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل : ٥] .

القول الرابع : الورق من كل شيء ، يقال للزرع إذا قُطع : عصافة ، وكلُّ ورق فهو عصافة ، قاله ابن زيد [(٦)].

القول الخامس : البقل من الزَّرع ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، وسعيد بن جبير[(٨)]، والفرَّاء ، وقال : لأنَّ العرب تقول : خرجنا نعصف الزَّرع ، إذا قطعوا منه شيئاً قبل أن يدرُك ، فذلك العصف [(٩)].

ابن كثير (٤/٢٨٦) .

(١) **البيت لعلقمة بن عبدة** ، انظر : ديوانه ص(٥٠) ، وهو من شواهد جمهرة اللغة (٢/٨٨٥) ، ولسان العرب (١٠/١٧٣) مادة : عصف .

والمذانب : مدافع الماء إلى الرياض ، عصيفتها : الورق الذي ينفتح عن الثمر ، قد زالت عصيفتها : أي تفتَّح ورقها وتباين بعد الري ، قد مالت من ريِّها وكثرة مائها وطولها . حدورها : منحدرها وما اطمأنَّ منها . أتيٍّ : سيل . مطموم : مملوء . وهو يقول : إنَّ هذه السانية تسقي الرياض ، وقد تفتَّحت أوراقها زاهية ، وأصبحت مملوءة بالماء الذي تسقيها إياه السانية ، وهو هنا يشبِّه دموعه بهذا السيل .

(٢) معاني القرآن (٥/٧٧) .

(٣) انظر : الكشاف (١٠٧٠) ، أنوار التنزيل (٥/١٧١) ، مدارك التنزيل (٢/٦٢٨) ، التسهيل (٤/١٥٩) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٧٦) ، أضواء البيان (٧/٤٨٦) .

(٤) الوسيط (٤/٢١٨) .

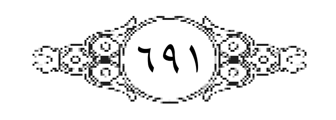
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٨٣) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٨٤) .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٣) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، - ولم أقف عليه - .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٨٤) .

(٩) معاني القرآن (٣/١١١) .



القول السادس : القشر الذي يكون على الحبّ ، قاله الضحاك [١]، وبنحوه قال المراغي : ورق النبات على سنبله [٢].

القول السابع : العصف : أول ما ينبت ، قاله أبو صالح [٣].

القول الثامن : العصف : هو ورق ما يؤكل فحسب . قاله النيسابوري [٤]، وحكاه الرازي [٥].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال الأربعة الأولى متقاربة ، فيقال : العصف : ورق الزَّرع من أي نوع كان إذا يبس حتى يصير تبناً ، والتِّبن عصيفة الزرع ، وهذا هو المعنى المشهور له .

قال الراغب ﵀ : (الذي يُعصَفُ من الزرع ، ويقال لحطام النَّبت المتكسِّر عصْف) [٦].

ومن عرَّفه بنوع معيَّن كالبر والشعير أراد المثال فقط .

قال ابن عطية ﵀ : (هو البُرُّ والشعير وما جرى مجراه من الحب الذي له سنبل وأوراق متشعِّبة على ساقه ، وهي العصيفة إذا يبست) [٧].

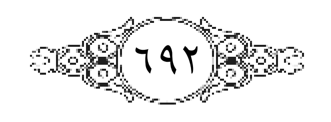
والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها، أولى بتفسير الآية [٨].

والقاعدة الأخرى : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٩].

وعلى ذلك فقول عطاء الخراساني ومن معه قول صحيح .

---

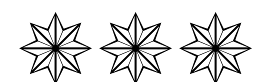
(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٣) لابن جرير - ولم أقف عليه عنده - ، وابن المنذر .
(٢) تفسير المراغي (٩/٢٩٠) .
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٤) لأبي الشيخ في العظمة .
(٤) التفسير الكبير (٢٩/٩١) .
(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/٢٢٨) .
(٦) المفردات في غريب القرآن (٣٤٠) .
(٧) المحرر الوجيز (١٧٩٩) .
(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥١١) .
(٩) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



وقال أبو حيان رحمه الله : (ووصفه بقوله : ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم من الحب ، ويقوت بهائمهم من ورقه الذي هو التبن)[1].

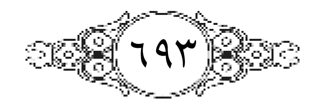
وقال السعدي رحمه الله : (﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ ذو السَّاق الذي يداس ، فينتفع بتبنه الأنعام وغيرها)[2].

والله أعلم ،،



(١) البحر المحيط (٨/٢٦٩) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٢٩) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩﴾ [الرحمن : ١٩] .

١٦٤- **قال عطاء الخراساني** : مرج البحرين أحدهما على الآخر ، فلا يتغيران ولا يختلطان [١].

الدراسة :

* يبيِّن الله تعالى في سياق الامتنان على عباده ؛ نعمة من نعمه عليهم ، أنه خلق البحرين ، وجعل لكلٍّ ماء طبيعته وخلقته ، وجعلهما متجاوران ؛ ومع هذا فهما لا يختلطان ولا يتغيَّران ، وهذا بنحو قوله تعالى : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣﴾ [الفرقان : ٥٣] ، وقد سبق تفسيره .

الأقوال في الآية[٢] :

فسَّر عطاء الخراساني الآية ، بأنه مرج البحرين أحدهما على الآخر ، فلا يتغيران ولا يختلطان ، أي أفاض أحدهما بالآخر ، وجعلهما يختلطان دون امتزاج كامل ، أي دون أن يلتبس أحدهما بالآخر التباساً كاملاً ، كما تختلط الدواب في المرعى ، ويبقي لكل منها وجوده [٣].

* وقد اختلف المفسِّرون في معنى المرج على أقوال ، أبرزها :

القول الأول : أرسل البحرين ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، والفراء [٥].

القول الثاني : استواء البحرين ، قاله مجاهد [٦].

القول الثالث : خلط البحرين ، الملح والعذب ، قاله الزجاج [٧].

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢٨) ص١١٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢٢/١٩٩-٢٠١) ، بحر العلوم (٣/٣٨١) ، النكت والعيون (٥/٤٢٩-٤٣٠) ، المحرر الوجيز (١٨٠٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٥٧) .

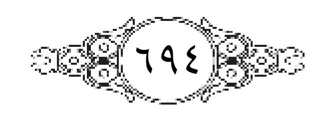
(٣) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (منهج التدريس الجامعي) ص(٢٤٢-٢٤٥) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/١٩٩) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٢٤) برقم : (١٨٧٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٥) عزوه لابن المنذر .

(٥) معاني القرآن (٣/١١٣) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٥) لعبد بن حميد ، وابن جرير – ولم أقف عليه فيه - ، وابن المنذر .

(٧) معاني القرآن للزجاج (٥/٧٩) .



القول الرابع : خلق البحرين ، حكاه السمرقندي [(١)].

وأصل المرْج : الإهمال ، يقال : تمرج الدابة في المَرْج ، ومَرَج الأمر إذا اختلط ، يقال : مَرَج الدابة وأمرجها فمَرَجَت ، أي : أرسلها ترعي وتختلط بغيرها من الحيوانات في المرعي لأنَّ أصل المرج هو الخلط [(٢)].

ومنه قوله ﷺ : « تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنْ النَّاسِ ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ ... » [(٣)].

* واختلفوا في المراد بالبحرين المعنيين في الآية على أقوال :

القول الأول : بحر فارس والروم ، قاله الحسن ، وقتادة [(٤)].

القول الثاني : أنه البحر المالح والأنهار العذبة ، قاله ابن جريج [(٥)].

القول الثالث : أنه بحر في السماء وبحر في الأرض ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن أبزى [(٦)]، وسعيد بن جبير [(٧)]، ورجَّحه الطبري [(٨)].

قال ابن كثير رحمه الله : (وليس المراد بذلك ما ذهب إليه ، فإنه لا يساعده اللفظ ؛ فإنه تعالى قد قال : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي : وجعل بينهما برزخاً ، وهو الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا على هذا ، وهذا على هذا، فيفسِد كلّ واحد منهما الآخر ، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه ، وما بين السماء والأرض لا يسمى بَرْزخاً وحجراً محجوراً) [(٩)].

القول الرابع : أنه بحر المشرق وبحر المغرب يلتقي طرفاهما .

---

(١) بحر العلوم (٣/٣٨١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٦٨) .

(٣) سبق تخريجه ودراسته في الموضع الثاني من سورة ق ، رقم : (١٤٦) صفحة (٦٣٤) .

(٤) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٣/٢٦٧) ، والطبري (٢٢/٢٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٦) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

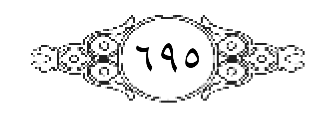
(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٢٩) .

(٦) **ابن أبزى** = عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي ، مولاهم ، صحابي صغير ، وكان في عهد عمر رجلاً ، روى عن أبي بكر وعمر ، وروى عنه : ابناه عبد الله وسعيد وأبو إسحاق ، ولي خراسان لعلي . انظر : الكاشف (١/٦٢٠) ، تقريب التهذيب (٣٣٦) .

(٧) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٠) .

(٨) جامع البيان (٢٢/٢٠١) .

(٩) تفسير ابن كثير (٤/٢٨٧) .



القول الخامس : أنه بحر اللؤلؤ وبحر المرجان [(١)].

الجمع أو الترجيح :

معنى الآية عند جمهور المفسِّرين : أنَّ الله مرج البحرين العذب والملح؛ أي أرسلهما يتجاوران وتتماسَّ سطوحهما لا فصْل بينهما في مرأى العين ، وجعل بين البحرين حاجزاً وحائلاً يمنع من اختلاطهما وتغيرهما [(٢)].

وقالوا إنَّ تفسير هذه الآية كتفسير الآية التي سبقت دراستها معنا في سورة الفرقان [(٣)].

والصواب الذي شهدت له العلوم الحديثة أنَّ المقصود بالبحرين البحران المالحان ، ولعلَّ القول الأول في المقصود بالبحرين أنهما بحر فارس والروم هو أقرب الأقوال إلى المعنى الصحيح ، وهو من الأمثلة لذلك .

ولفظ البحر في اللغة العربية يمكن أن يطلق على كل من البحر الملح والبحر العذب - أي النهر -، ولكنه إذا أطلق بغير تقييد فإنه يدلُّ على البحر المالح فقط ، وإذ قيِّد دلَّ على ما قيِّد به .

ففي إطلاق لفظ البحرين هنا في هذه الآية دون تقييد يدلُّ على أنهما البحران المالحان ، وليس النهر والبحر كما ذهب إليه أغلب المفسرين - من المتقدِّمين والمتأخرين - .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الإطلاق يقتضي المساواة [(٤)].

وقد ذكر الله كلمة البحر في القرآن بالإطلاق والتقييد ، فالمقيَّد نحو قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم : ٣٢] ، ونحو

---

(١) القولان الرابع والخامس ذكرهما الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٣٠) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (٩/١٨١) ، الوسيط (٤/٢٢٠) ، معالم التنزيل (٤/٣٣٣) ، الكشاف (١٠٧٠) ، زاد المسير (١٣٧٨) ، التفسير الكبير (٢٩/٩٦) ، أنوار التنزيل (٥/١٧١) ، مدارك التنزيل (٢/٦٢٩) ، التسهيل (٤/١٦١) ، البحر المحيط (٨/٢٧١) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٨٧) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٧٧) ، روح المعاني (٢٧/١٦٢) ، فتح القدير (٥/١٦٦) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٠) ، التحرير والتنوير (٢٧/٢٤٨) .

(٣) انظر : الموضع السابع من سورة الفرقان ، القول رقم : (٤٧) ص(٣٢٤) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٦٢٥) .

قولـه تعـالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٣] ، وقولـه تعـالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر : ١٢] .

والمطلق مثل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل : ٦١] .

وعلى حمل المطلق على البحار المالحة فإنَّ في الآية التي معنا إشارة دقيقة إلى حقيقة علمية مؤكَّدة لم يدركها العلماء المتخصصون إلاَّ في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في أثناء رحلة الباخرة البريطانية (Challenger) (١٨٧٢-١٨٧٦م) مؤدَّاها: أنَّ الماء في البحار المتجاورة وحتى في البحر الواحد يتمايز إلى العديد من البيئات المتباينة في صفاتها الطبيعية والكيميائية ، والتي تلتقي مع بعضها البعض دون امتزاج كامل ، فتبقى مفصولة على الرغم من اختلاطها وتلاقي حدودها ، وذلك لما للماء من خصائص ميَّزه بها الخالق سبحانه [(١)].

ويشهد أيضاً على أنَّ المقصود البحران المالحان : قوله تعالى في سياق الحديث عنهما : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

واللؤلؤ يُستخرَج من الماء المالح والماء العذب على حدّ سواء ، لكنَّ المرجان حيوان بحْري لا يحيا إلا في الماء المِلْح .

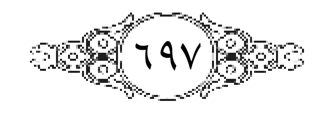
وفي قوله : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ ذكر للقاء بين بَحْرَين مِلْحَين يختلف كلٌّ منهما عن الآخر ، إذ لو كان البحران لا يختلف أحدهما عن الآخر لكانا بحراً واحداً ، ولكنَّ التفريق بينهما في اللفظ القرآني دالٌّ على الاختلاف بينهما مع كونهما مِلْحين .

ومن يسمع هذه الآية فقط يتصوَّر أنَّ امتزاجاً واختلاطاً كبيراً يحدث بين هذه البحار يفقدها خصائصها المميزة لها ، ولكنَّ الله بيَّن بعدها أنه رغم وجود حالة الاختلاط هذه إلا أنَّ بينهما حاجزاً يمنع كلَّ واحد منهما أن يطغى على الآخر [(٢)].

---

(١) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة -منهج التدريس الجامعي- (٢٤٠) .

(٢) انظر : المصدر السابق (٢٤٣) .



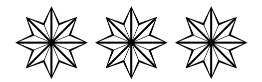
ومما سبق يتَّضح أنَّ سياق الآيات يوضِّح ويدلُّ على أنَّ البحرين كلاهما مالح ، كما أكده إطلاق لفظ البحرين .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجَّح على ما خالفه [١].

وقول عطاء الخراساني في الآية قول صحيح .

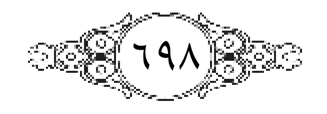
قال الطاهر بن عاشور ﷺ : (ويجوز أن تكون التثنية تثنية بحرَيْن ملحين معينين ، والتعريف حينئذ تعريف العهد الحضوري ، فالمراد : بَحران معروفان للعرب . فالأظهر أنَّ المراد : البحر الأحمر الذي عليه شطوط تهامة مثل : جُدّة ويُنبع النخل ، وبحر عُمان وهو بحر العرب الذي عليه حَضْرموت وعَدَن من بلاد اليمن) [٢].

والله أعلم ، ،



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/٢٤٩) .



الموضع الثالث:

* وفي قول الله تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن : ٢٠] .

١٦٥- **قال عطاء الخراساني** : مدَّة ما بين الدنيا والآخرة [١] .

الدراسة :

* البرزخ لغةً : الحاجز والحدُّ الحائل بين الشيئين ، فالبرزخ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث ؛ فمن مات فقد دخل البرزخ، والبرزخ بين البَحرين هو الحاجز والحائل بينهما [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : قول عطاء الخراساني : مدة ما بين الدنيا والآخرة ، وهو هنا فسَّر لفظ البرزخ بما هو معروف في الدِّين أنه مدَّة ما بين الدنيا والآخرة ، أي فترة ما يكون الإنسان في قبره بعد موته إلى قيام الساعة .

القول الثاني : أنه حاجز ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، ومجاهد [٥]، وقتادة[٦]، وهو قول جمهور المفسِّرين [٧].

القول الثالث : أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب ، قاله الحسن [٨]، وقتادة [٩].

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢٩) ص١١٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : معجم المقاييس في اللغة (١٦٦) ، المفردات في غريب القرآن (٥٤) ، لسان العرب (٢/٦١) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢٢/٢٠١-٢٠٤) ، بحر العلوم (٣/٣٨١) ، النكت والعيون (٥/٤٣٠) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٢٤) برقم : (١٨٧٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٥) عزوه لابن المنذر.

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٥) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٢) .

(٧) انظر : الكشف والبيان (٩/١٨١) ، الوسيط (٤/٢٢٠) ، معالم التنزيل (٤/٣٣٣) ، الكشاف (١٠٧٠) ، المحرر الوجيز (١٨٠١) ، زاد المسير (١٣٧٨) ، التفسير الكبير (٢٩/٩٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٥٧) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٢) ، مدارك التنزيل (٢/٦٢٩) ، التسهيل (٤/١٦١) ، البحر المحيط (٨/٢٧١) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٨٧) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٧٧) ، روح المعاني (٢٧/١٦٢) ، فتح القدير (٥/١٦٦) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٠) .

(٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٣٠) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٦٧) ، والطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٢) ، وزاد السيوطي في الدر

القول الرابع : أنه ما بين السماء والأرض ، قاله عطية ، والضحاك [1].

* وفي قوله : ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ثلاثة أقاويل :

القول الأول : لا يختلطان ؛ لا يسيل العذب على المالح ولا المالح على العذب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [2]، ومجاهد [3].

القول الثاني : بينهما من البُعد ما لا يبغي أحدهما على صاحبه فيغلبه ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [4]، وابن أبزى [5]، ومجاهد [6]، وقتادة [7]، وعكرمة[8].

القول الثالث : لا يبْغِيان أن يلتقيا ، قاله ابن زيد [9]، وتقدير الكلام : مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما أن يلتقيا .

القول الرابع : لا يبغيان على الناس ، قاله قتادة [10].

القول الخامس : البحران طريق الخير وطريق الشر ، والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة ، وهذا قول سهل بن عبد الله [11]، وهو ضعيف .

الجمع أو الترجيح :

يفسِّر عطاء الخراساني البرزخ بأنه مرحلة ما بعد الموت إلى البعث ، وهو

المنثور (٦٩٦/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٠/٥) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٢٤/١٠) برقم : (١٨٧٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٥/٧) عزوه لابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد (٢٧٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٥/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٢٤/١٠) برقم : (١٨٧٣٢) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٦/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٢) .

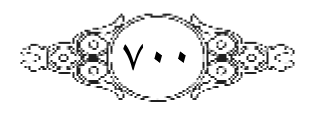
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٦/٧) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٩٦/٧) لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٤/٢٢) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٦٧/٣) ، والطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٥/٧) عزوه لابن المنذر .

(١١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٠/٥) .



المـدَّة الـتي تفـصل بـين الـدنيا والآخـرة ، وهـذا التفـسير يـصلح في غـير هـذا الموضع ، أما هنا فهو شاذٌّ لمخالفته للسياق تماماً ، ولا مناسبة له فيه .

وقـد فـسَّر عطـاء الخراسـاني في الموضـع الـسابق معـنى هـذه الآيـة بقولـه : (مـرج البحـرين أحـدهما علـى الآخـر ، فـلا يـتغيران ولا يختلطـان) ، والـشقّ الثـاني مـن المعـنى هـو بيـان معـنى : ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ ، ولعلَّـه أراد المثـال لمعـنى الـبرزخ ، وإلاّ كيـف يكـون بـرزخ مـا بـين البحـرين هـو مرحلـة مـا بـين الـدنيا والآخـرة ، فهـذا القـول شـاذّ هنـا ، لم أجـد أحـداً قـال بـه إلا علـى سـبيل التمثيـل لمعنى البرزخ ! .

والبرزخ المقـصود هنـا هـو الحـاجز بـين البحـرين ، وهـو الـذي يلائـم الـسياق ويشهد له .

والقاعدة التفسيرية : إذا كـان للاسـم الواحـد معـانٍ عـدَّة حُمِـل في كـل موضـع على ما يقتضيه ذلك السياق [(١)].

قـال ابـن عاشـور ﵀ : (والـبرزخ : الحـاجز الفاصـل ، والـبرزخ الـذي بـين هـذين البحـرين هـو مـضيق بـاب المَنْـدبَ [(٢)]؛ حيـث يقـع مرسـى عَـدَن [(٣)]، ومرسى زَيلع [(٤)]) [(٥)].

وأمـا الـرَّاجح في معـنى : ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ فقـد قـال الطـبري ﵀ : (وأولى الأقـوال في ذلـك بالـصواب أن يقـال : إنَّ الله وصـف البحـرين اللـذين ذكرهمـا في هـذه الآيـة أنهمـا لا يبغيـان ، ولم يخـصص وصـفهما في شـيء دون شـيء ، بـل عمّ الخبر عنـهما بـذلك ، فالـصواب أن يُعَـمَّ كمـا عـمّ جـلّ ثنـاؤه ، فيقـال : إنهمـا

---

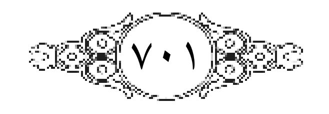
(١) قواعد التفسير (١/٤٢٢) .

(٢) **باب المندب** = مضيق في جبل كان في أرض اليمن يحول بين البحر وامتداده في أرض اليمن . انظر : معجم البلدان (١/٣٤٤) .

(٣) **عَدَن** = مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، ردئة لا ماء بها ولا مرعى ، وهذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك ، فإنها بلدة تجارة وتضاف إلى أبين . انظر : معجم البلدان (٤/٨٩) .

(٤) **زَيلعْ** = قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش . انظر : معجم البلدان (٣/١٦٤) .

(٥) التحرير والتنوير (٢٧/٢٤٩) .

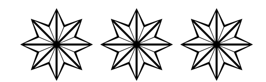


لا يبغيان على شيء ، ولا يبغي أحدهما على صاحبه ، ولا يتجاوزان حدَّ الله الذي حدَّه لهما) [١].

وسبق في الموضع السابق أنهما بحران مالحان ، وليسا بحر مالح ، ونهر عذب .

وقد صوِّر حديثاً هذا البرزخ الذي يفصل بين البحرين المالحين [٢].

فسبحان الله خالق كل شيء ، ،



(١) جامع البيان (٢٢/٢٠٤) .

(٢) انظر : الصورة رقم : (١٥-١٦) ص(١٠٠٤) من ملحق الصور ، ويظهر فيها معالم هذا البرزخ .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

١٦٦- **قال عطاء الخراساني** : المُرجان هو : البسَّذ [١] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني المرجان بلغته الفارسية بأنه البسَّذ ، وهو ترجمة له بالفارسية أكثر من كونه تفسيراً ، وقد اختلف المفسِّرون في معنى المرجان على أقوال .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : المُرجان هو : البسَّذ ، قاله عطاء الخراساني ، وكذا قال كعب الأحبار [٣]، ولفظ البسَّذ ليس بعربي [٤]، والمقصود به حجر أحمر ، أو الخرز الأحمر[٥]؛ وهو قول ابن مسعود ﷺ [٦]، واستصوبه ابن عطية [٧]، والثعالبي [٨] .

وقال الطبري ﵀ : (البسَّذُ له شُعب ثلاث ، وهو جنسٌ من اللؤلؤ) [٩].

القول الثاني : المرجان : جيِّد اللؤلؤ . وهو قول مرَّة الهمداني [١٠].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٨١/٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٣٣٤/٤) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢٧٣/٣) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢٠٤/٢٢-٢٠٨) ، النكت والعيون (٤٣٠/٥-٤٣١) ، الوسيط (٢٢٠/٤) ، زاد المسير (١٣٧٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٥٨/٢) ، البحر المحيط (٢٧٢/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٨٧/٤) ، روح المعاني (١٦٣/٢٧) ، فتح القدير (١٦٧/٥) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٦/٢٢) .

(٤) انظر : لسان العرب (٨٣/٢) .

(٥) انظر : الكشاف (١٠٧٠) ، لسان العرب (٤٧/١٤) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٦٧/٣) ، والطبري (٢٠٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٧/٧) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني .

(٧) المحرر الوجيز (١٨٠١) .

(٨) الجواهر الحسان (٢٧٣/٣) .

(٩) جامع البيان (٢٠٦/٢٢) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٦٧/٣) ، والطبري (٢٠٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩٧/٧) عزوه لعبد بن حميد .



القـول الثالـث : أنـه صـغار اللؤلـؤ ، وهـذا قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهما [١]، ومجاهـد[٢]، وقتـادة [٣]، والحـسن [٤]، والـضحاك [٥]، وابـن زيـد[٦]، والفراء[٧]، والزجاج[٨]، والراغب[٩]، وجمهور المفسرين [١٠].

القـول الرابـع : عظـام اللؤلـؤ وكبـاره ، قالـه مـرَّة [١١]، وعلـي بـن أبي طالـب رضي الله عنه [١٢]، وابن عباس رضي الله عنهما [١٣]، ومجاهد [١٤]، ومنه قول الشاعر[١٥]:

مِـنْ كُـلِّ مَرْجَانَـةٍ فِـيْ الْبَحْـرِ أَخْرَجَهَـا ... غوَّاصُـهَا وَوَقَاهَــا طِيْنَهَــا الــصَّدَفُ

القـول الخـامس : أنـه الجـوهر المخـتلط ، مـأخوذ مـن مَرَجـت الـشيء إذا خلطته ، حكاه الماوردي [١٦].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٦) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) لابن أبي الدنيا في الوقف والابتداء .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٦٧) ، والطبري (٢٢/٢٠٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٦) .

(٧) معاني القرآن للفراء (٣/١١٣) .

(٨) معاني القرآن للزجاج (٥/٧٩) .

(٩) المفردات في غريب القرآن (٤٦٨) .

(١٠) انظر : بحر العلوم (٣/٣٨١) ، الكشف والبيان (٩/١٨١) ، معالم التنزيل (٤/٣٣٤) ، الكشاف (١٠٧٠) ، وحكاه عن الأكثرين في زاد المسير (١٣٧٩) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٢) ، مدارك التنزيل (٢/٦٢٩) ، التسهيل (٤/١٦١) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٨٧) ، روح المعاني (٢٧/١٦٢) ، فتح القدير (٥/١٦٦) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٠) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٦) .

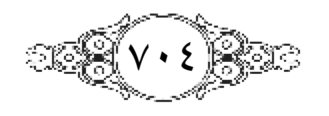
(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) عزوه لعبد بن حميد.

(١٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) عزوه للفريابي ، وهناد بن السري ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١٤) تفسير مجاهد (٢٧٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٠٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٩٧) عزوه لعبد بن حميد.

(١٥) **البيت للأعشى** ، وانظر ديوانه (٢١٠) ، وذكره أبو الفرج في كتاب الأغاني (٢٤/٧٥) ، وابن عبد ربه في العقد الفريد (٥/٢٣١) .

(١٦) النكت والعيون (٥/٤٣١) .



الجمع أو الترجيح :

الأقوال في مجملها وصفية ، تذكر أوصافاً للمرجان ، ويُجمع بينها بأن يقال : المرجان حجر أحمر ، أو الخرز الأحمر ، منه صغار وكبار في الحجم، وهو جنسٌ من اللؤلؤ قد يكون أجوده .

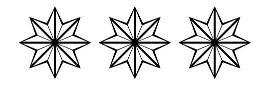
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [1].

والأولى أن يقال : اللؤلؤ غير المرجان ، عملاً بالقاعدة التفسيرية : جعل الاسمين لمعنيين أولى من أن يكونا لمعنى واحد [2].

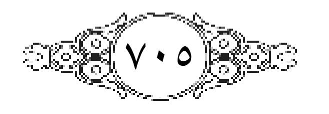
قال الطبري ﵀ : (وأمَّا المرجان ، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة ، وأنه الصغار من اللؤلؤ ، قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم ، والله أعلم بصواب ذلك) [3].

ومن أحسن من ضبطه ابن عاشور ﵀ حين قال : (والمرجان : حيوان بحري ذو أصابع دقيقة ينشأ ليِّناً ثُمَّ يتحجَّر ، ويتلوَّن بلون الحمرة ، ويتصلَّب كلما طال مكثه في البحر ، فيستخرج منه كالعروق تتخذ منه حِلْية ، ويسمى بالفارسية (بسَذ) ، وقد تتفاوت البحار في الجيّد من مرجانها ، ويوجد ببحر طَبرقَة على البحر المتوسط في شمال البلاد التونسية . والمرجان لا يخرج من ملتقى البحرين الملح والعذب بل من البحر الملح) [4].

والله أعلم ،،



(١) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .
(٢) المصدر السابق (١/٤٢٦) .
(٣) جامع البيان (٢٢/٢٠٨) .
(٤) التحرير والتنوير (٢٧/٢٥٠) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن : ٣٥] [(١)].

١٦٧- **قال عطاء الخراساني** : النُّحاس : الصِّفر يذاب فيصبُّ على رؤوسهم فيعذَّبون به [(٢)].

الدراسة :

* هذه الآية في سياق التهديد للإنس والجنِّ أنَّهم إن استطاعوا أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض فإنَّ الله سيرسل عليهما شواظ من نار ونحاس . وقد فسَّر عطاء الخراساني النّحاس في هذه الآية بالصِّفر المذاب .

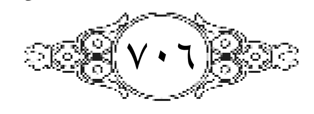
الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : النّحاس : الصّفر يذاب فيصبُّ على رؤوسهم فيعذَّبون به ، قاله عطاء الخراساني رحمه الله ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وقتادة[(٦)]، وعكرمة [(٧)]، وهو قول السمرقندي [(٨)]، والبيضاوي [(٩)].

القول الثاني : أنه دخان النار ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(١٠)]، وسعيد بن جبير[(١١)]، والفرَّاء [(١٢)]، ورجَّحه الطبري [(١٣)]، وجماعة من المفسِّرين [(١٤)]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥﴾ .
(٢) ذكره عنه ابن رجب في التخويف من النار (١٤٤) .
(٣) انظر : الكشف والبيان (١٨٧/٩) ، النكت والعيون (٤٣٥/٥) ، معالم التنزيل (٣٣٧/٤) ، المحرر الوجيز (١٨٠٣) ، زاد المسير (١٣٨٠) ، التفسير الكبير (١١٠/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦١/٢) ، البحر المحيط (٢٧٧/٨) ، فتح القدير (١٧١/٥) .
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٥/٢٢) .
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠١/٧) عزوه لهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٥/٢٢) .
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠١/٧) لعبد بن حميد .
(٨) بحر العلوم (٣٨٤/٣) .
(٩) أنوار التنزيل (١٧٣/٥) .
(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٤/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٢٥/١٠) برقم : (١٨٧٣٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠١/٧) عزوه لابن المنذر .
(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٤/٢٢) .
(١٢) معاني القرآن للفراء (١١٤/٣) .
(١٣) جامع البيان (٢٢٦/٢٢) .
(١٤) انظر : الوسيط (٢٢٣/٤) ، الكشاف (١٠٧٠) ، مدارك التنزيل (٦٣١/٢) ، التسهيل (١٦٢/٤) ، تفسير



ومنه قول الشاعر [(١)]:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيْطِ ... لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيْهِ نُحَاسَاً

القول الثالث : اللهيب بلا دخان ، وذلك تشبيه في اللون بالنُّحاس ، قاله الراغب [(٢)].

وبنحوه قال السعدي رحمه الله : (اللَّهب الذي خالطه الدخان) [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها متقاربة ، والاختلاف فيها من باب التنوُّع لا التضاد، ويمكن حمل المعنى عليها جميعاً لثبوت هذه المعاني في اللغة العربية .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٤)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٥)].

فالنُّحاس يطلق على الصِّفر نفسه ، ويطلق على الدخان الذي لا لهب فيه، ويطلق على اللهيب الذي يصعد من النار [(٦)].

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح ، داخل في المعنى .

والله أعلم ،،

***

ابن كثير (٤/٢٨٩) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٧٩) ، روح المعاني (٢٧/١٧٣) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٥).

(١) **البيت للنابغة الجعدي** ، انظر ديوانه ص(٨١) ، وسراج الذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة ، والمقصود هنا : الزيت الجيد ، أو هو دهن السمسم ، وقد استدلَّ بهذا البيت على أنَّ معنى السليط : الزيت لا الشيرج ، لقوله بعده : لم يجعل الله فيه نحاسا . أي دخاناً مفسداً ، ولهذا كان لا يوقد في المساجد إلا الزيت .

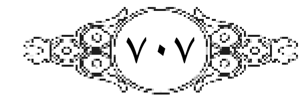
(٢) المفردات في غريب القرآن (٤٨٧) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨٣١) .

(٤) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .

(٥) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٦) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٨٧) ، لسان العرب (١٤/٢١٠) ، التحرير والتنوير (٢٧/٢٦٠) .



الموضع السادس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن : ٣٧] [١] .

١٦٨- **قال عطاء الخراساني** : كلون دُهْن الوَرْد في الصفرة [٢] .

وفي لفظ : صفراء كلون الدُّهن [٣] .

وفي لفظ : تصير كلون زهى الورْد في الصّفْرة [٤] .

الدراسة :

* يبيِّن عطاء الخراساني رحمه الله أنَّ لون السماء يوم القيامة سيصير مثل لون دهن الورد في الصفرة .

والورد : هو زهر أحمر من شجرة دقيقة ، ذات أغصان شائكة ، تظهر في فصل الربيع ، وهو مشهور [٥] .

الأقوال في الآية [٦] :

القول الأول : صفراء كلون الدُّهن ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وأبو الجوزاء [٧] [٨] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه أبو الشيخ في العظمة (١٠٣٧/٣) قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، قال : قرأت على عبيد بن آدم ، أن أباه أخبره ، عن ابن أبي شيبة ، عن عطاء رحمه الله قال ... وكذا عزاه السيوطي لأبي الشيخ في العظمة (٧٠٣/٧) ، وهو لم يصرِّح بأنه عطاء الخراساني لكن من خلال دراسة السند نجد أنَّ الراوي عنه هو ابن أبي شيبة ، وقد سبق معنا أنه من تلاميذ عطاء الخراساني ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه في تفسير الموضع الرابع من سورة الذاريات القول رقم : (١٥٤) ص(٦٦١) .
وقد ذكره عنه بهذا اللفظ أيضاً : ابن كثير في تفسيره (٢٩٠/٤) ، والحكمي في معارج القبول (٧٩٠/٢) .

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٦/٥) .

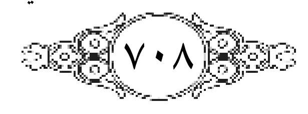
(٤) ذكره عنه بهذا اللفظ : السيوطي في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، وعزاه لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – ، انظر : مخطوطة المهذب صحيفة (٢٠) نسخة : عبد الرحمن أبو الحبايب المالكي ، والمطبوع ص(١٥٩) .

(٥) انظر : التحرير والتنوير (٢٦١/٢٧) .

(٦) انظر : بحر العلوم (٣٨٤/٣) ، الكشف والبيان (١٨٧/٩) ، النكت والعيون (٤٣٦/٥) ، المحرر الوجيز (١٨٠٣)، زاد المسير (١٣٨٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦٢/٢) ، البحر المحيط (٢٧٧/٨).

(٧) **أبو الجوزاء = أوس بن عبد الله الرَبعي** ، أبو الجوزاء ، بصري يرسل كثيراً ، ثقة من الثالثة ، روى عن عائشة، وصفوان بن عسال ، وعدة . وروى عنه : قتادة ، وأبو الأشهب ، وعدة . قتل يوم الجماجم مات سنة ثلاث وثمانين . انظر : الكاشف (٢٥٧/١) ، تقريب التهذيب (١١٦) .

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٦/٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٣/٧) لعبد بن حميد.



القول الثاني : تغيَّر لونها ، فصارت كالفَرَس الوَرْد ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[1]، وبنحوه قال أبو صالح[2]، والضحاك[3]، وقتادة[4]، وجماعة من المفسِّرين[5].

القول الثالث : كالدّهن قاله مجاهد[6]، وبنحوه قال الضَّحاك[7]، وابن زيد[8].

القول الرابع : أنَّ الحركة التي يحصل الانشقاق بها كانت وردة واحدة، وتزلزل الكلُّ وخرب دفعة واحدة ، والحركة معلومة بالانشقاق . وهذا قول الرازي[9].

القول الخامس : الدهان الأديم الأحمر ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما[10]، قال الأعشى[11]:

وَأَجْرَدُ مِنْ فُحُولِ الخَيْلِ طَرْفٌ كَأَنَّ عَلَى شَوَاكِلِه دِهَانَا

القول السادس : أصل لون السماء الحمرة ، ولكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق ، وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمراء كحمرة الدم

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٢/٧) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٧/٢٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٢/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٦٩/٣) ، والطبري (٢٢٨/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٣/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر.

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (١١٥/٣) ، معاني القرآن للزجاج (٨٠/٥) ، الوسيط (٢٢٣/٤) ، معالم التنزيل (٣٣٧/٤) ، أنوار التنزيل (١٧٣/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٢/٢) ، التسهيل (١٦٣/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٧٩/٦) ، روح المعاني (١٧٣/٢٧) ، فتح القدير (١٧١/٥) .

(٦) تفسير مجاهد (٢٧٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٩/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٣/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر.

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٩/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٣/٧) عزوه لابن المنذر ، ولفظه : خالصة صافية كصفاء الدِّهن .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢٨/٢٢) ، ولفظه : مشرقة كالدِّهن .

(٩) التفسير الكبير (١١٢/٢٩) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٢/٧) لابن جرير – ولم أقف عليه عنده – .

(١١) **البيت للأعشى** ، انظر ديوانه ص(١٣٩) . وهو من شواهد اللسان (٣٢١/٥) مادة دهن .



وترى بالحائل زرقاء ، فإن كان هذا صحيحاً فإنَّ السماء لِقُرْبها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها ، ذكره الماوردي [(١)].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح - والله أعلم - أنَّ هذا تشبيه لحال السماء يوم القيامة حين تنشقُّ بالوردة ، وهو تشبيه بليغ ، ووجه الشبه : لشدة الحمرة حينئذ ، فيتغير لون السماء المعروف أنه أزرق إلى البياض ، ليصير لونها أحمر ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم : ٤٨]. وكذلك وجه الشبه بالوردة لكثرة الشقوق كأوراق الوردة ، لأنَّ الوردة تنشقُّ من أعلاها حين ينفتح بُرْعُومُها ، فإذا انشقَّت صارت كالدِّهان ، وهذا تشبيه ثان للسماء في انحلال أجزائها بالزيت ، بجامع الذوبان والتموُّج والاضطراب فيهما ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾[المعارج : ٨] [(٢)]، والدهن المذاب ينصبُّ انصبابة واحدة ، ويذوب دفعة ، والحديد والرصاص لا يذوب غاية الذوبان ، فتكون حركة الدهن بعد الذوبان أسرع من حركة غيره فكأنه قال : حركتها تكون وردة واحدة كالدهان المصبوبة صباً لا كالرصاص الذي يذوب منه ألطفه وينتفع به ويبقي الباقي ، وكذلك الحديد والنحاس ، وجمع الدهان لعظمة السماء وكثرة ما يحصل من ذوبانها لاختلاف أجزائها ، فإنَّ الكواكب تخالف غيرها [(٣)].

قال ابن كثير ﷺ : (أي : تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم) [(٤)].

والدهان هو درديُّ الزَّيت [(٥)].

وقول عطاء الخراساني هنا غير جامع للمعنى ، لأنه اقتصر على اللون ،

---

(١) النكت والعيون (٥/٤٣٦) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٢٥/٣٠) .

(٣) انظر : التفسير الكبير (٢٩/١١٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٠) .

(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٨٠) ، الكشاف (١٠٧٢) ، التحرير والتنوير (٢٧/٢٦١) .



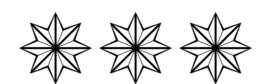
بينما سياق الآية يشهد لما ذكرت من معنى ، من أنَّ المقصود الذوبان والتلوُّن، وهذا هو الظاهر من النصّ .

والقاعدة التفسيرية : أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرّجوع إليه [1].

قال المراغي ﷺ : (فإذا جاء يوم القيامة تصدَّعت السماوات واختلَّت نظُمها، وتبعثرت أجرامها وكواكبها عن مداراتها ، واحمرَّ لونها ، وأذيبت حتى صارت كأنها الزّيت ونحوه مما يدّهن به) [2].

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنَّ بعض النجوم إذا انفجرت صارت حمراء كلون الوردة [3].

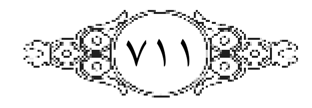
والله أعلم ، ،



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

(٢) تفسير المراغي (٢٩٧/٩) .

(٣) انظر : الصورة رقم : (١٧-١٨) ص(١٠٠٥) من ملحق الصور ، ويظهر فيها صورة دقيقة لما يحصل عند موت النجوم والكواكب في الدنيا ، وهو مثال يقرِّب الصورة للأذهان ليس إلا .



الموضع السابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

١٦٩- **قال عطاء الخراساني** : إنَّ أبا بكر ﷺ ذكر ذات يوم ، وفكَّر في يوم القيامة ، والموازين ، والجنة حيث أزلفت ، وفي النار حين أبرزت ، وصفوف الملائكة وطيِّ السماوات والأرض ، ونسف الجبال ، وتكوير الشمس ، وانتثار الكواكب ، فقال : وددت أني كنت خضرا من هذه الخضراء تأتي عليَّ بهيمة فتأكلني ، وأني لم أخلق ، فنزلت هذه الآية ... [(١)].

وفي لفظ : نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ [(٢)] .

---

(١) أخرجه عنه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣٠٨/١) بسنده قال : حدثنا الوليد ، حدثنا أحمد بن يحيى بن نصر ، حدثنا أبو حجر ، حدثنا كنانة بن جبلة ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ... وذكر الأثر . .

دراسة الإسناد :

الوليد هو : الوليد بن أبان بن توبة ، الحافظ الثقة ، أبو العباس الأصبهاني ، صاحب التفسير والمسند الكبير وغير ذلك ، سمع أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، وعباس الدوري ، وطبقتهم ، حدَّث عنه : أبو الشيخ والطبراني ، وأهل أصبهان ، مات سنة عشر وثلاث مائة . انظر : تذكرة الحفاظ (٧٨٤/٣) .

أحمد بن يحيى بن نصر هو : أحمد بن يحيى بن نصر العسال ، شيخ ثقة كثير الحديث ، أبو جعفر ، حدَّث عن هدبة بن خالد ، وعمرو بن رافع القزويني ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، وطائفة ، وكان واسع الرحلة ، روى عنه أبو الشيخ ، وعبد الرحمن بن محمد المذكر ، وأحمد بن بندار الشعار ، وقال أبو الشيخ ثقة ، توفي سنة ست وثمانين ومائتين . انظر : تاريخ أصبهان (١٣٧/١) ، تاريخ الإسلام (٩٢/٢١) .

أبو حجر هو : **عمرو بن رافع بن الفرات** بن رافع البجلي ، أبو حجر القزويني الحافظ ، روى عن جرير بن عبد الحميد ، والفضل بن موسى ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، وهشيم ، وعمر بن هارون البلخي ، وابن عليه ، وعدة ، وروى عنه : ابن ماجة ، وأبو زرعة ، وابن الضريس ، وأحمد بن جعفر بن نصر الحمال ، قال أبو حاتم قلَّ من كتبنا عنه أصدق لهجة وأصح حديثاً منه ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : مستقيم الحديث جداً ، توفي سبع وثلاثين ومائتين . انظر : الكاشف (٧٦/٢) ، تقريب التهذيب (٤٢١) .

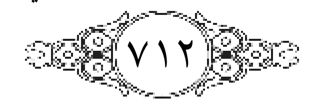
كنانة بن جبلة هو : كنانة بن جبلة الهروي ، سكن هراة ، قيل اسمه : كنانة بن جبلة بن المعلى بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن الصلت بن العباس بن مرداس السلمي الشاعر ، روى عن عثمان بن عطاء ، وإبراهيم بن طهمان ، وسهيل بن أبي حزم ، روى عنه عيسى بن أبي فاطمة ، وقال عنه يحيى بن معين : كذاب خبيث ، وقال السعدي : ضعيف الأمر جداً ، وقال ابن حبان : كان يتفرد عن الثقات بالأشياء المعضلات . انظر : الجرح والتعديل (١٦٩/٧) ، الضعفاء والمتروكين (٢٦/٣) .

عثمان بن عطاء : هو ابن عطاء الخراساني ، وهو ضعيف جداً كما سبقت دراسة ترجمته .

وهذا الأثر بهذا السند ضعيف جداً عن عطاء الخراساني . انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٣١٤/٣) .

وقد ذكره السيوطي في لباب النقول (٢٦٣) ، وفي الدر المنثور (٧٠٦/٧) ، وزاد عزوه لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٧/٥) ، وابن كثير في تفسيره (٢٩١/٤) .



الدراسة :

* في هذه الآية يذكر عطاء الخراساني أنها نزلت في أبي بكر الصدِّيق ، وقد اختلف المفسِّرون فيها على أقوال .

الأقوال في الآية[١] :

القول الأول : نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ، وهذا قول عطاء الخراساني ، وكذا قال ابن الزبير [٢]، وابن شوذب[٣] [٤].

القول الثاني : نزلت في الذي قال : أحرقوني بالنار لعلي أضل الله ، قال : تاب يوماً وليلة بعد أن تكلَّم بهذا ؛ فقبل الله منه وأدخله الجنة . قاله عطية بن قيس[٥] [٦].

القول الثالث : أنها تشمل كلَّ من خاف ثمَّ اتَّقى ، والخائف من ركِب طاعة الله وترك معصيته ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٧]، وبنحوه قال ابن مسعود رضي الله عنه [٨]، وقتادة [٩].

وقال مجاهد : هو من يهمّ بذنب فيذكر مقام ربه فيتركه [١٠].

---

(١) انظر : الكشف والبيان (١٨٩/٩) ، النكت والعيون (٤٣٧/٥) .

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٨/٨) .

(٣) ابن شوذب = هو عبد الله بن شوذب الخراساني ، أبو عبد الرحمن ، سكن البصرة ثم الشام ، صدوق عابد من السابعة ، روى عن الحسن ، ومحمد ، ومكحول . وروى عنه : ابن المبارك ، وضمرة . وثَّقه جماعة ، كان إذا رئي ذكرت الملائكة ، مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . انظر : الكاشف (٥٦١/١) ، تقريب التهذيب (٥٦١) .

(٤) عزاه السيوطي في لباب النقول (٢٦٣) وفي الدر المنثور (٧٠٦/٧) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه عنده – .

(٥) **عطية بن قيس** = الكلابي ، أبو يحيى الشامي ، ثقة مقرئ من الثالثة ، أرسل عن أبيّ ونحوه ، وغزا مع أبي أيوب ، وسمع معاوية ، وقرأ القرآن على أم الدرداء ، وروى عنه سعيد بن عبد العزيز ، وطائفة ، وكانوا يصلحون مصاحفهم على قراءته ، عمِّر دهراً وجاوز المائة ، مات سنة إحدى وعشرين ومائة . انظر : الكاشف (٢٧/٢) ، تقريب التهذيب (٣٩٣) .

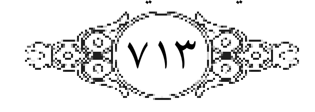
(٦) عزاه عنه ابن كثير في تفسيره (٢٩١/٤) لابن أبي حاتم ، والسيوطي في الدر المنثور (٧٠٦/٧) – ولم أقف عليه عنده – .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٥/٢٢) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٦/٧) لعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٦/٧) عزوه لعبد بن حميد.

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٦/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٦/٧) عزوه لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن أبي الدنيا في التوبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .



وبنحوه قال إبراهيم النخعي ، وابن زيد [(١)]، والزجاج [(٢)]، وعلى هذا المعنى جمهور المفسِّرين[(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الصحيح - والله أعلم - أنَّ الآية عامة ، يدخل فيها كلُّ من خاف مقام ربه ، ومنع نفسه من المعصية خوفاً من عقاب الله ، وامتثل أوامر الله وفرائضه، ويدلُّ على ذلك التعبير باسم الموصول : (مَنْ) وهو من صيغ العموم ، ولأنَّ العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السبب .

ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] فإنَّ قوله : ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ، قرينة دالة على أنَّه خاف عاقبة الذَّنب حين يقوم بين يدي ربه ، فنهى نفسه عن هواها[(٤)].

ويشهد له أيضاً : ما ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُصُّ عَلَى الْمِنْبَرِ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ، فَقُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الثَّانِيَةَ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ، فَقُلْتُ الثَّانِيَةَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الثَّالِثَةَ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ، فَقُلْتُ الثَّالِثَةَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، فَقَالَ : « نَعَمْ ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ » [(٥)].

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٢/٢٣٧-٢٣٩) .

(٢) معاني القرآن (٥/٨١) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣/٣٨٦) ، الوسيط (٤/٢٢٥) ، معالم التنزيل (٤/٣٣٨) ، الكشاف (١٠٧٣) ، المحرر الوجيز (١٨٠٤) ، زاد المسير (١٣٨١) ، التفسير الكبير (٢٩/١١٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٦٣)، أنوار التنزيل (٥/١٧٤) ، مدارك التنزيل (٢/٦٣٢) ، التسهيل (٤/١٦٤) ، البحر المحيط (٨/٢٧٨) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٩١) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٨٠) ، روح المعاني (٢٧/١٧٧) ، فتح القدير (٥/١٧٤) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣١) .

(٤) انظر : أضواء البيان (٧/٤٩٧) .

(٥) **صحيح** . أخرجه أحمد في مسنده (٨٤٦٨) في كتاب : باقي مسند المكثرين ، والطبري في تفسيره (٢٢/٢٣٧) ، وصححه ابن خزيمة في التوحيد (٢/٨١٠) ، والعراقي في تخريج الإحياء (٥/٣١٥) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٢١) ، وحسَّنه ابن عبد البر في الاستذكار (٧/٢٨٨) ، وصححه الألباني في كتاب السنة (٩٧٥) ، وقال في مشكاة المصابيح (٢٣١٤) : إسناده صحيح على شرط مسلم .

قال ابن كثير ﵀ : (والصحيح : أنَّ هذه الآية عامة كما قاله ابن عبَّاس وغيره ، يقول الله تعالى : ولمن خاف مقام ربه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، ونهى النفس عن الهوى ، ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا ، وعلم أنَّ الآخرة خير وأبقى فأدَّى فرائض الله ، واجتنب محارمه ، فله يوم القيامة عند ربه جنتان)[1].

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص[2].

وأيضاً : فإنَّ (مَنْ) اسم موصول في الآية يفيد العموم ، فيدخل فيها عموم الجنِّ والإنس .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ كلَّ اسم معرفة ذي أفراد يفيد العموم[3].

وأما قول عطاء الخراساني فقد سبق أنَّ قول المفسِّرين : نزلت الآية في كذا ؛ هو من باب التفسير ، ولا يعني بالضرورة أنه سبب النزول الذي نزلت الآية بسببه[4].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول في الأسباب موقوف على النَّقل والسماع[5].

وعليه فقوله أنها نزلت في أبي بكر الصديق ﵁ ؛ يحمَلُ على التمثيل لمن خاف مقام ربه ، والتوضيح له .

قال الطاهر ابن عاشور ﵀ : (واللام في : ﴿ لمن خاف ﴾ لام المُلك ، أي يعطي من خاف ربه ويملك جنتين ، ولا شبهة في أنَّ من خاف مقام ربه جنس الخائفين لا خائف معيّن فهو من صيغ العموم البدلي بمنزلة قولك : وللخائف مقام ربه)[6].

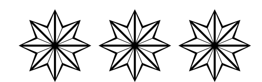
وقد ورد في وصف الجنتين أنَّ رسول الله ﷺ قال : « جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ ؛

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩١) .
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .
(٣) قواعد التفسير (٢/٥٤٩) .
(٤) انظر صفحة (٢٩٩-٣٠٠) .
(٥) قواعد التفسير (١/٥٤) .
(٦) التحرير والتنوير (٢٧/٢٦٤) .

آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ » [1].

والله أعلم ..



(١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٨٧٨) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ وبرقم : (٤٨٨٠) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ ، وبرقم : (٧٤٤٤) في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٨٠) في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سبحانه . من حديث عبد الله بن قيس .

الموضع الثامن :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٨] .

١٧٠- **قال عطاء الخراساني** : ألوان [(١)] .

١٧١- **وقال** : الأفنان أغصان الشجر يمسُّ بعضها بعضاً [(٢)].

الدراسة :

* أفنان : جمع فنن ، وهو الغصن الغضُّ الورِق ، ويقال ذلك للنوع من الشئ ، وجمعه فنون [(٣)]، والمقصود هنا : أفنان عظيمة كثيرة الإِيراق والإِثمار، بقرينة أنّ الأفنان لا تخلو عنها الجنات فلا يحتاج إلى ذكر الأفنان لولا قصد ما في التنكير من التعظيم [(٤)].

الأقوال في الآية[(٥)] :

القول الأول : ذواتا ألوان ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٦)]، وسعيد بن جبير [(٧)]، ومجاهد[(٨)]، والضحاك [(٩)]، وأبو سنان [(١٠)]، وقوّاه الرازي [(١١)]، وأبو حيَّان [(١٢)].

القول الثاني : أغصان الشجر يمسُّ بعضها بعضاً ، وهو رواية أخرى عن

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٠) ص١١٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٢٩٢/٤) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٨٧) .

(٤) انظر : التحرير والتنوير (٢٦٦/٢٧) .

(٥) انظر : الكشف والبيان (١٨٩/٩) ، النكت والعيون (٤٣٨/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦٤/٢) ، فتح القدير (١٧٤/٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٨/٧) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٨/٧) لعبد بن حميد .

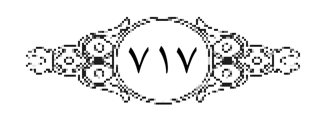
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٢) .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠٨/٧) لهناد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٢) .

(١١) التفسير الكبير (١١٨/٢٩) .

(١٢) البحر المحيط (٢٧٩/٨) .



عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(١)]، وبنحوه قال مجاهد [(٢)]، والزجاج [(٣)].

والأفنان جمع ؛ واحده فَنَن ، ومنه قول الشاعر [(٤)]:

ما هَاجَ سُوقُكِ مِنْ هَدِيْلِ حَمَامَةٍ تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الغُصُونِ حَمَامَا

قال الزمخشري رحمه الله : (خصَّ الأفنان بالذكر : وهي الغُصنة التي تتشعب من فروع الشجرة ؛ لأنها هي التي تورق وتثمر ، فمنها تمتد الظلال ، ومنها تجتنى الثمار) [(٥)].

<u>**القول الثالث**</u> : ذواتا فضل وسَعَةٍ على ما سواهما ، قاله الربيع بن أنس[(٦)]، وقتادة [(٧)].

<u>**القول الرابع**</u> : ذواتا أنواع من الفاكهة ، قاله الضحاك [(٨)]، واحتمله ابن جزي [(٩)].

<u>**القول الخامس**</u> : ظلُّ الأغصان على الحيطان ، قاله عكرمة [(١٠)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، ويمكن حمل المعنى عليها جميعاً ، فيقال : الأفنان هي الأغصان التي تتشعب من فروع الشجرة ؛ فتورق وتثمر أنواعاً من الفاكهة ،

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤١/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٨/٧) عزوه لابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤١/٢٢) .

(٣) معاني القرآن للزجاج (٨١/٥) .

(٤) **البيت منسوب لثابت بن كعب** – قطنة – ولم أقف على ديوان له ، والبيت من شواهد : تاج العروس (١١٩/٣١) مادة هدل ، وكذلك اللسان (٣٨/١٥) ، واستشهد به جمع من المفسِّرين ، انظر : جامع البيان (٢٤٠/٢٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦٤/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٩٢/٤) .

(٥) الكشاف (١٠٧٣) .

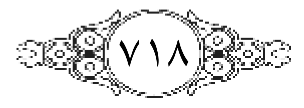
(٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٨/٥) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٠/٣) ، والطبري (٢٤١/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٩/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٢) .

(٩) التسهيل (١٦٤/٤) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٠/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٢٦/١٠) برقم : (١٨٧٤٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٠٩/٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبو بكر بن حبان في الفنون ، وابن الأنباري في الوقف والابتداء .



وتتلوّن بألوان متعددة ، ويكون لها ظلٌّ على الحيطان .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [1].

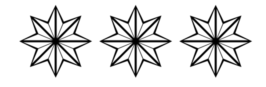
وأكثر المفسِّرين على احتمال القولين الأولين [2].

قال ابن عطية ﷺ : (والأفنان يحتمل أن يكون جمع فنن ، وهو فنن الغصن، وهذا قول مجاهد ، فكأنه مدحها بظلالها وتكاثف أغصانها ، ويحتمل أن يكون جمع فن ، وهو قول ابن عباس ، فكأنه مدحها بكثرة أنواع فواكهها ونعيمها) [3].

وقال ابن كثير ﷺ : (أي أغصان نضرة حسنة ، تحمل من كلِّ ثمرة نضيجة فائقة) وذكر الأقوال في معنى الآية ثمَّ قال : (وكلُّ الأقوال صحيحة ، ولا منافاة بينها) [4].

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح في المعنى .

والله أعلم ،،

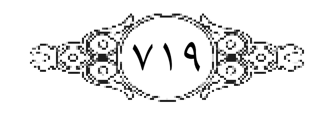


(١) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٣/٣٨٦) ، الوسيط (٤/٢٢٦) ، المفردات في غريب القرآن (٣٨٧) ، معالم التنزيل (٤/٣٤٠) ، المحرر الوجيز (١٨٠٤) ، زاد المسير (١٣٨١) ، التفسير الكبير (٢٩/١١٨) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٤) ، مدارك التنزيل (٢/٦٣٢) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٨١) ، روح المعاني (٢٧/١٧٩) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣١) .

(٣) المحرر الوجيز (١٨٠٤) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٢) .



الموضع التاسع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ [الرحمن : ٥٦] [١].

١٧٢- **قال عطاء الخراساني** : أي غضيضات عن غير أزواجهنَّ ، فلا يرَينَّ شيئاً أحسن في الجنة من أزواجهن [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله وصفاً للحور العين اللاتي خلقهنَّ الله ليكنَّ من زوجات المؤمنين في الجنَّة ، بأنهنَّ غضيضات عن غير أزواجهنَّ فلا يرَينَّ شيئاً أحسن منهم في الجنة ، وقاصرةُ الطَّرف : هي التي لا تمدُّ طرفها إلى ما لا يجوز [٣] .

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : قول المسألة الذي قاله عطاء الخراساني ، وبنحوه قول ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، مجاهد [٦] ، وقتادة[٧] ، وابن زيد [٨] ، وعلى هذا عامة المفسِّرين[٩] .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦ ﴾ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٢٩٣) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٠٦) .

(٤) زاد المسير (١١٨٦) ، روح المعاني (٢٧/١٨١) .

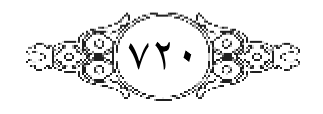
(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٢٦) برقم : (١٨٧٤٦) ، ولفظه : قاصرات الطرف على أزواجهنَّ لا يرين غيرهم ، والله ما هنَّ متبرِّجات ولا متطلِّعات ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٠) عزوه لابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر ، والبيهقي في البعث .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٥) ، ولفظه : قصر طرفهنَّ عن الرجال، فلا ينظرن إلاَّ إلى أزواجهنَّ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٠) عزوه لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٦) ، ولفظه : قصر طرفهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يردن غيرهم ، وعزا السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٠) نحوه لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٦) ، ولفظه : لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ، تقول : وعزّة ربي وجلاله وجماله ، إن أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، فالحمد لله الذي جعلك زوجي ، وجعلني زوجَك .

(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/٨١) ، بحر العلوم (٣/٣٨٧) ، الكشف والبيان (٩/١٩١) ، الوسيط (٤/٢٢٧)، معالم التنزيل (٤/٣٤١) ، الكشاف (١٠٧٣) ، المحرر الوجيز (١٨٠٥) ، التفسير الكبير (٢٩/١٢٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٦٥) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٤) ، مدارك التنزيل (٢/٦٣٣) ، التسهيل (٣/٣١٦) ، البحر المحيط (٨/٢٨٠) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٩٣) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٨١) ، روح المعاني (٢٧/١٨١) ، فتح القدير (٥/١٧٦) ، تفسير المراغي (٩/٢٩٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣١) ، أضواء البيان (٦/٤٤٤) .



وقد ورد أنَّ النبي ﷺ قال : ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ قال : « لاَ يَنْظُرْنَ إلاَّ لأَزْوَاجِهِنَّ » [(١)].

قال الرازي رحمه الله : (والظاهر أنَّه من القَصر ؛ إذ القصْر مدح ، والقصور ليس كذلك ، ويحتمل أن يقال : هو من القصر بمعنى أنهن قصرن أبصارهن ؛ فأبصارهن مقصورة ، وهنَّ قاصرات ، فيكون من إضافة الفاعل إلى المفعول، والدليل عليه : هو أنَّ القَصر مدح والقصور ليس كذلك ، وعلى هذا ففيه لطيفة وهي أنه تعالى قال من بعد هذه : ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ ﴾ [الرحمن : ٧٢]) [(٢)].

القول الثاني : أنَّهنَّ قد قصَرْن طرف الأزواج عن غيرهنَّ لكمال حسنهنَّ ، حكاه ابن الجوزي عن الشيخ أبي محمد بن الخشَّاب النحوي [(٣)] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الصافات : ٤٨] [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم - هو القول الأول ؛ الذي عليه عطاء الخراساني ، وعامة المفسِّرين ، وهو المشهور الواضح من ظاهر الآية .

والقاعدة التفسيرية : أنه عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [(٥)].

---

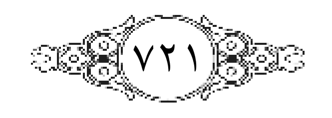
(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٠) لابن مردويه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، ولم أقف عليه عند غيره ، ولم يظهر لي فيه حكم .

(٢) التفسير الكبير (٢٩/١٢٣) .

(٣) **أبو محمد بن الخشاب النحوي** = عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر ، العلامة ، شيخ بغداد ، ونحوي البلاد ، يقال إنه بلغ في النحو درجة أبي علي الفارسي ، وكانت له معرفة تامة بالحديث واللغة والهندسة والفلسفة وغير ذلك ، كان مولده سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . طلب بنفسه وقرأ الكثير ، وقرأ العالي والنازل ، إلى أن قرأ على أقرانه ، وكان له كتب كثيرة إلى الغاية ، وروى الكثير وتخرج به خلق في النحو ، وكان ظريفاً مزاحاً على عادة الأدباء ، وقد صنَّف الرد على الحريري في موضع من المقامات ، وشرح اللمع لابن جني ولم يتمه ، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو ، شرح الجمل للجرجاني وترك أبواباً في وسط الكتاب ، قال ابن الجوزي : دخلت عليه في مرضه وقد يئس من نفسه فقال لي : عند الله أحتسب نفسي ، وتوفي يوم الجمعة ثالث رمضان ودفن يوم السبت . انظر : تاريخ الإسلام (٣٩/٢٦٧) .

(٤) زاد المسير (١١٨٦) .

(٥) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .



وإذا صحَّ الحديث الوارد في ذلك فهو نصٌّ في التفسير ، لا يلتفت إلى غيره .

وهو الأنسب للغة ، فالمعنى : قصرت إحداهنَّ طرفها وحفظته عن غير زوجها .

وهو كذلك ظاهر الآية ، والقاعدة التفسيرية : أنّه لا يجوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجَّة يجب التسليم لها [(١)].

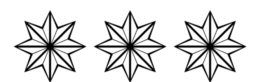
قال الرازي ﷺ : (فيها دلالة على عفَّتهن ، وعلى حسنِ المؤمنين في أعينهن ، فيُحببن أزواجهن حباً يشغلهنَّ عن النظر إلى غيرهم ، ويدلُّ أيضاً على الحياء ؛ لأنَّ الطَّرْف حركة الجفن ، والحورية لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها) [(٢)].

وقال ابن عاشور ﷺ : (و ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ : صفة لموصوف محذوف تقديره نساء ، وشاع المدح بهذا الوصف في الكلام حتى نُزّل منزلة الاسم فـ ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ نساء في نظرهن مثل القصور ، والغضُّ خِلقة فيهن ، وهذا نظير ما يقول الشعراء من المولَّدين مراض العيون ، أي : مثل المراض خِلقة . والقصور : مثل الغضِّ ؛ من صفات عيون المها والظباء ، قال كعب بن زهير[(٣)] :

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوْا إلاّ أَغَنٌّ غَضِيْضُ الطَّرْفِ مَكْحُوْلُ

أي : كغضيض الطرف وهو الظبي) [(٤)].

اللهم إنا نسألك من فضلك ، ،

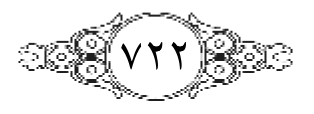


(١) قواعد التفسير (٢/٨٥٨) .

(٢) التفسير الكبير (٢٩/١٢٤) .

(٣) البيت لكعب بن زهير ، وانظر ديوانه ص(٦٠) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٧/٢٦٩-٢٧٠) .



الموضع العاشر:

* وفي قول الله تعالى : ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٤] .

١٧٣- **قال عطاء الخراساني** : كثرة الشجر وخضرته [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية وصْفٌ لشجر الجنَّتين اللتين ذكرهما الله ، وقد فسَّر عطاء الخراساني المدهامة هنا أنها كثرة الشَّجر وخضرته .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : كثرة الشجر وخضرته ، وهو قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : أي خضراوان من الريّ ، قاله أبو أيوب الأنصاري [٣]، وابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وعبد الله بن الزبير[٥]، وأبو صالح ، وسعيد بن جبير[٦]، ومجاهد[٧]، وعكرمة [٨]، وعطية [٩]، وعطاء بن أبي رباح [١٠]، وقتادة [١١].

وقد ورد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : سألت النبي ﷺ عن قوله:

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣١) ص١١٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) النكت والعيون (٥/٤٤١) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) لهناد ، وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٥) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٢٧) برقم : (١٨٧٥٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) عزوه لهناد ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، هناد ، وعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٦-٢٥٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) عزوه عنهما لعبد بن حميد .

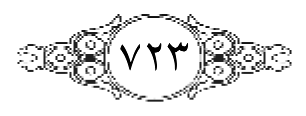
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) لعبد بن حميد .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) للخطيب في المتفق والمفترق .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٦) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٥) لابن أبي شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٥٧) .



﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ قال : « خَضْرَاوَانْ » [1].

القول الثالث : سوداوان من الري ، قاله مجاهد [2]، وأبو سنان [3]، وعكرمة [4].

القول الرابع : علاهما من الريّ السواد والخضرة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [5]، وسعيد بن جبير [6]، والضَّحاك [7]، وابن زيد [8]، وقال قتادة : خضراوان من الري إذا اشتدَّت الخضرة ضربت إلى السواد [9].

القول الخامس : ناعمتان ، قاله الحسن [10].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، ويمكن حمل المعنى عليها جميعاً ، فيقال : هاتان الجنَّتان اللتين وصفهما الله ؛ هما ناعمتان كثيرتا الشَّجر ، وشديدة الخضرة حتى إنها لتميل إلى السواد من شدَّتها ، وكل نبت أخضر فتمام خضرته وريِّه أن يضرب إلى سواد ، وقد يكون هذا لكثرته وشدَّته .

وبنحو هذا المعنى قال عامة المفسِّرين مع تنوع في عباراتهم [11].

---

(١) **ضعيف** . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٠/٤) ، برقم : (٤٠٧٤) ، وزاد السيوطي عزوه في الدر المنثور (٧١٥/٧) لابن مردويه ، فيه واصل بن السائب قال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣٧٢/٨): أحاديثه لا تشبه الثقات ، وقال عنه ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (١٤٤١/٣) ، والذهبي في ميزان الاعتدال (٣٢٩/٤) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٧) : متروك .

(٢) تفسير مجاهد (٢٨٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧١٥/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٧/٢٢) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧١٥/٧) لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٣٢٧/١٠) برقم : (١٨٧٥١) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٦/٢٢) .

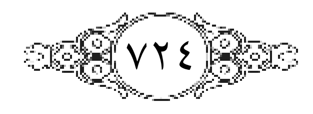
(٧) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٧١٦/٧) لهناد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٨/٢٢) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧١/٣) ، والطبري (٢٥٧/٢٢) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٧/٢٢) .

(١١) انظر : معاني القرآن للفراء (١١٧/٣) ، مجاز القرآن (٢٤٦/٢) ، معاني القرآن للزجاج (٨٢/٥) ، بحر العلوم (٣٨٨/٣) ، الكشف والبيان (١٩٣/٩) ، الوسيط (٢٢٨/٤) ، المفردات في غريب القرآن (١٥٦) ، معالم التنزيل (٣٤٤/٤) ، الكشاف (١٠٧٣) ، المحرر الوجيز (١٨٠٦)، زاد المسير (١٣٨٣) ، التفسير

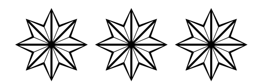


والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [١].

وقول عطاء الخراساني : كثرة الشجر وخضرته ، قول صحيح يجمع هذا المعنى .

قال ابن عاشور ﷺ : (ووصف الجنتين بالسواد مبالغة في شدة خضرة أشجارهما حتى تكونا بالتفاف أشجارها وقوة خضرتها كالسوداوين ، لأنَّ الشجر إذا كان ريّان اشتدت خضرة أوراقه حتى تقرب من السواد) [٢].

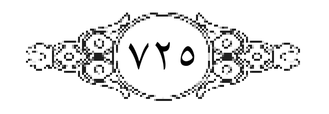
والله أعلم ،،



الكبير (١٢٧/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦٧/٢) ، أنوار التنزيل (١٧٥/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٣/٢) ، التسهيل (١٦٥/٤) ، البحر المحيط (٢٨١/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٩٤/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٨٢/٦) ، روح المعاني (١٨٦/٢٧) ، فتح القدير (١٧٧/٥) ، تفسير المراغي (٣٠١/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣١) .

(١) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٢/٢٧) .



الموضع الحادي عشر:

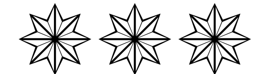
* وفي قول الله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن : ٧٢] .

١٧٤- **قال عطاء الخراساني** : الحور : السود الحدق [(١)] .

الدراسة :

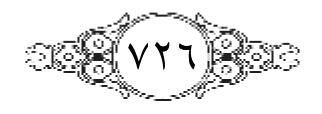
مرَّ معنا دراسة معنى الحور ، في الموضع الخامس من سورة الدخان ، تحت دراسة قول عطاء الخراساني رحمه الله رقم : (١٢٩) [(٢)] .

والحمد لله ،،



(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٢) ص١١٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : صفحة (٥٧٢) .



الموضع الثاني عشر:

* وفي قول الله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن : ٧٢] .

١٧٥- **قال عطاء الخراساني** : مقصورات : محبوسات [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية وصف آخر للحور العين ، أنهنَّ مقصورات في الخيام ، وهنا يفسِّر عطاء الخراساني المقصورات بالمحبوسات .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : أنَّ المقصورات : هنَّ المحبوسات ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٣]، وأبو العالية[٤]، ومجاهد[٥]، والضحاك[٦]، والحسن[٧]، والربيع، ومحمد بن كعب[٨]، وعليه جماعة من المفسِّرين[٩].

القول الثاني : المخدَّرات المصونات ، ولا متعطلات ولا متشوِّفات ، قاله زيد بن الحارث[١٠][١١]، وبنحوه قال أبو عبيدة[١٢]، وابن عطية[١٣]،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٣) ص١١٣ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢٢/٢٦٤-٢٦٧) ، النكت والعيون (٥/٤٤٢) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٨٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٦٦) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٢٨) برقم (١٨٧٥٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٦٦) .

(٥) تفسير مجاهد (٢٨٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٨) لعبد بن حميد بنحوه .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٦٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٩) لهناد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٦٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١٨) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٢/٢٦٦) .

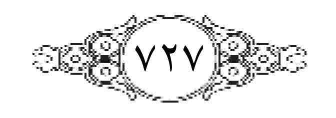
(٩) انظر : بحر العلوم (٣/٣٨٨) ، الكشف والبيان (٩/١٩٥) ، الوسيط (٤/٢٢٩) ، معالم التنزيل (٤/٣٤٥)، الكشاف (١٠٧٤) ، زاد المسير (١٣٨٣) ، التفسير الكبير (٢٩/١٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٦٩)، فتح القدير (٥/١٧٧) ، تفسير المراغي (٩/٣٠٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٢) .

(١٠) **زيد بن الحارث** = ابن قيس بن مالك بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، أخو زيد بن الحارث ، صحابي جليل ، شهد أحداً ، قاله العدوي وتبعه الطبري . انظر : الإصابة (٢/٥٩٧) .

(١١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٤٢) .

(١٢) مجاز القرآن (٢/٢٤٦) .

(١٣) المحرر الوجيز (١٨٠٦) .



والنسفي[1]، وابن جزي [2]، والألوسي [3].

القول الثالث : مقصورات الطَّرف على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً ، ولا يرفعن طرفاً إلى غيرهم من الرجال ، قاله الربيع[4]، ومجاهد [5]، واختاره الفراء [6]، والزَّجاج [7]، والقرطبي [8]، ورجَّحه الطبري [9].

القول الرابع : أنهن المسكَّنات في القصور ، قاله الحسن [10]، والراغب[11].

القول الخامس : أن يريد بالمَقصورات البيض ، مأخوذ من قصارة الثوب الأبيض ، لأنَّ وقوع الفرْق بين المقصورات والقاصرات يقتضي وقوع الفرق بينهما في التأويل ، احتمله الماوردي [12].

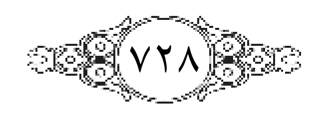
الجمع أو الترجيح :

القولان الأولان معناهما واحد ، وهو أنهنَّ محبوسات مخدرات مصونات، وذلك لأنَّ هناك فرق بين قوله تعالى : ﴿قَٰصِرَٰتُ ﴾ التي سبقت ، وبين قوله هنا : ﴿مَّقۡصُورَٰتٌ ﴾ .

فالأول سبق بيان معناه في موضعه ، وهو اسم فاعل من القصْر ، والمقصورات هنا اسم مفعول ، ومعناه : المحبوسات، والمخدَّرات المصونات ، اللاتي هيَّأهنَّ الله وأعدَّهنَّ لأزواجهنَّ في خيام اللؤلؤ في الجنة ،

---

(١) مدارك التنزيل (٦٣٤/٢) .
(٢) التسهيل (١٦٦/٤) .
(٣) روح المعاني (١٨٨/٢٧) .
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٥/٢٢) .
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧١٩/٧) عزوه لابن أبي شيبة، وهناد بن السري .
(٦) معاني القرآن للفراء (١١٧/٣) .
(٧) معاني القرآن للزجاج (٨٣/٥) .
(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦٧/٢) .
(٩) جامع البيان (٢٦٧/٢٢) .
(١٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٤٢/٥) .
(١١) المفردات في غريب القرآن (٤٠٥) .
(١٢) النكت والعيون (٤٤٢/٥) .



وهذه من صفات المدح للحور العين .

قال ابن جزي ﵀ : (مقصورات : أي محجوبات ، لأنَّ النساء يُمدحن بملازمة البيوت ويُذمَمْن بكثرة الخروج)[1]. وبنحوه قال أبو حيان[2].

وقال ابن كثير ﵀ : (ولا شكَّ أنَّ التي قصرت طَرفها بنفسها أفضل ممن قُصرَت ، وإن كان الجميع مخدَّرات)[3].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها، أولى بتفسير الآية[4].

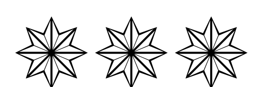
والقاعدة الأخرى : أنَّه لا يخالَف بين الألفاظ إلا لاختلاف المعاني[5].

وقول عطاء الخراساني هنا داخل في المعنى الصحيح .

قال الطاهر بن عاشور ﵀ : (والمقصورات : اللاَّءِ قُصِرت على أزواجهن لا يعْدُون الأُنس مع أزواجهنَّ ، وهو من صفات التَّرف في نساء الدنيا ، فهنّ اللاءِ لا يحتجن إلى مغادرة بيوتهن لخدمة أو وِرد أو اقتطاف ثمار، أي هن مخدومات مكرَمات)[6].

وكلام ابن عاشور هنا من أحسن ما قيل .

والله أعلم ، ،



(١) التسهيل (٤/١٦٦) .

(٢) البحر المحيط (٨/٢٨٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٥) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥١١) .

(٥) قواعد التفسير (٢/٧٠٥) .

(٦) التحرير والتنوير (٢٧/٢٧٤) .



الموضع الثالث عشر:

* وفي قول الله تعالى : ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمن : ٧٤] .

١٧٦- **قال عطاء الخراساني** : لم يضاجعهم إنسٌ قبلهم ولا جان [١] .

الدراسة :

* في الآية وصف آخر من أوصاف الحور العين في الجنَّة ، وهو أنهنَّ لم يطمثن من قبل ، وفسَّر عطاء الخراساني رحمه الله الطَّمث هنا بالمضاجعة ، وهي الجماع ، ويقال : طمثَ المرأة إذا افتضَّها [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : لم يضاجعهم إنسٌ قبلهم ولا جان ، قاله عطاء الخراساني ، وعكرمة [٤]، وسعيد بن جبير [٥]، والمعنى لم يجامعهنَّ ويطأهنَّ أحد قبل أزواجهنَّ .

القول الثاني : لم يمسَسْهن ، وهو قول ابن زيد [٦]، ومجاهد [٧] ، قال أبو عمرو : الطمث المس ، وذلك في كل شيء يمس [٨].

القول الثالث : لم يُدْمِهِنَّ إنس ولا جان ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٩]، ولذلك قيل للحيض طمث ، والمعنى أبكار لم يُفتضَضْن ، قال الفرزدق [١٠]:

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٦) ص١١٤، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٠٩) .

(٣) النكت والعيون (٥/٤٣٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١١) لابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١١) لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

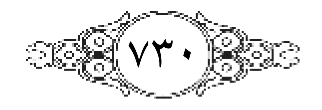
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٧) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧/٧١١) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٣٩) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٤٧) .

(١٠) **البيت للفرزدق** ، انظر ديوانه ص(١٣٨) ، وهو من شواهد تهذيب اللغة (٣١/٢١٦) مادة : طمث ، وكذلك: لسان العرب (٩/١٤٣) ، وتاج العروس (٥/٢٩٤) ، وجاء في كتاب الأغاني (١٦/١٧٥) ، وفي مجمع الأمثال (١/٤١٤) ، واستشهد به جمع من المفسِّرين ، انظر : الكشف والبيان (٩/١٩١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٦٥) ، الدر المنثور (٧/٧١١) .



مَــشَيْنَ إليَّ لَــمْ يُطْمَــثْنَ قَبْلِــي   فهُــنَّ أَصَــحُّ مــن بَــيْضِ النَّعــامِ

القـول الرابـع : لم يذللـهن إنـس قبلـهم ولا جـان ، والطمـث : التـذليل ، قالـه المبرد [1].

الجمع أو الترجيح :

الأقــوال متقاربــة ، والاخــتلاف هنــا اخــتلاف تنــوّع لا تــضادّ ، والمعــنى المقـصود أنهـنَّ أبكـار لم يفتضـضهنَّ أحـد قَبْـل أزواجهـنَّ مـن الإنـس أو الجـنّ ، ولم يطأهنَّ أحد ، وهذا ما عليه جمهور المفسِّرين مع تنوّع عباراتهم [2].

وعبارات أصحاب الأقـوال الـسابقة كلـها تـدلّ علـى المعـنى المـراد فقـد عبَّـروا بكنايات عن الجماع والوطء .

والطَّمْـث جمـاع بتدميـة ، إذ الطمـث دم الفـرج ، فيطلـق علـى دم الحـيض ، وأطلق على جماع البِكر لأنها تدمي به .

قال الطبري ﷺ : (لم يمسَّهنّ إنس قبلهم بنكاح فيدميهن ، ولا جانّ)[3].

والقاعــدة التفــسيرية : أنَّــه إذا احتمــل اللَّفــظ معــاني عــدة ، ولم يمتنــع إرادة الجميع حُمل عليها [4].

وقول عطاء الخراساني ومن معه هو القول الذي عليه عامة المفسِّرين .

قــال ابــن القــيم ﷺ : (ظــاهر القــرآن أنَّ هــؤلاء النــسوة لــسنَ مــن نــساء الــدنيا وإنمــا هــنَّ مــن الحــور - حــور العــين - ، وأمــا نــساء الــدنيا فقــد طمــثهنَّ الإنــس ،

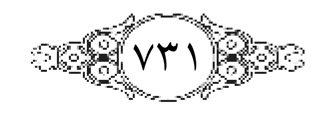
---

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٣٩/٥) ، ولم أقف عليه في الكامل للمبرد .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (١١٦/٣) ، معاني القرآن للزجاج (٨١/٥) ، بحر العلوم (٣٨٩/٣) ، الكشف والبيان (١٩٦/٩) ، الوسيط (٢٢٧/٤) ، معالم التنزيل (٣٤١/٤) ، الكشاف (١٠٧٣) ، المحرر الوجيز (١٨٠٥)، زاد المسير (١٣٨٢) ، التفسير الكبير (١٢٤/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦٩/٢) ، أنوار التنزيل (١٧٤/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٣/٢) ، التسهيل (١٦٤/٤) ، البحر المحيط (٢٨٠/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٩٣/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٨١/٦) ، روح المعاني (١٨٢/٢٧) ، فتح القدير (١٧٦/٥) ، تفسير المراغي (٣٠٠/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣١) .

(٣) جامع البيان (٢٧٢/٢٢) .

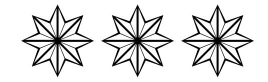
(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



ونساء الجنِّ قد طمثهنَّ الجن)[1].

وقال ابن عاشور ﵀ : (والطَمْث : مسيس الأنثى البِكر ، أي من أبكار . وعُبِّر عن البكارة بـ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ إطناباً في التحسين ، وقد جاء في الآية الأخرى : ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾[الواقعة : ٣٦]. وهؤلاء هنَّ نساء الجنة لا أزواج المؤمنين اللآئي كُنَّ لهم في الدنيا ، لأنهنَّ قد يكنَّ طمَثهم أزواج ، فإنَّ الزوجة في الجنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا [2]) [3].

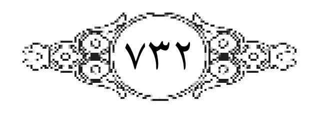
والله أعلم ، ،



(١) حادي الأرواح (١٥٣) .

(٢) **دليل ذلك** : ما ورد عن عائشة وأبو الدرداء ﵄ أنَّ النبي ﷺ قال : « المَرْأَةُ لآخِرِ أَزْوَاجِهَا » ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩١) .
وما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٩/٧) برقم : (١٣١٩٩) أنَّ حذيفة ﵁ قال لامرأته : " إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي ، فإنَّ المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا ، فلذلك حرَّم الله على أزواج النبي أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة " .

(٣) التحرير والتنوير (٢٧٠/٢٧) .



الموضع الرابع عشر :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ [الرحمن : ٧٦] .

١٧٧- **قال عطاء الخراساني** : الرفرف : فضول الفرش والمحابس[١] [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية يذكر الله نوعاً من نعيم أهل الجنة ، وهو أنهم متكئون على فرش ناعمة رقيقة النَّسج من الديباج ، ووسائد عظيمة ، وبسُط لها أطراف فاخرة ، غاية في جمال الصنعة وحسن المنظر [٣]، والرفرف في الأصل : ضرْب من الثياب مشبَّه بالرياض ، أو يقال : هي الرياض ، أو هي البُسُط ، ويقال : الرفرف ثياب خضْر [٤].

الأقوال في الآية[٥] :

القول الأول : فضول الفرش والمحابس ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٦]، وابن عباس رضي الله عنهما [٧]، وبنحوه قال غزوان[٨][٩]، ومجاهد [١٠]، وقتادة [١١]، والضحاك [١٢]، وابن زيد [١٣].

---

(١) **المحابس** : جمع محبس ، كمقعد : وهي المقرمة التي تبسط على وجه الفراش للنوم عليه . انظر : لسان العرب (١٤/٤) مادة : حبس ، وتاج العروس (٥٢١/١٥) ، والقاموس المحيط (٦٩٢) .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٤) ص١١٤، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تفسير المراغي (٣٠٢/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٢) .

(٤) انظر : معجم المقاييس في اللغة (٣٩٦) ، المفردات في غريب القرآن (٢٠٥) .

(٥) انظر : الكشف والبيان (١٩٧/٩) ، النكت والعيون (٤٤٣/٥) ، معالم التنزيل (٣٤٦/٤) ، زاد المسير (١٣٨٤) ، البحر المحيط (٢٨٣/٨) ، تفسير ابن كثير (٢٩٦/٤) ، روح المعاني (١٩٠/٢٧) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٥/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٢٨/١٠) برقم : (١٨٧٦٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) **غزوان = أبو مالك الغفاري** ، تابعي كوفي ثقة ، روى عن : ابن عباس ، والبراء ، وروى عنه : السدي ، وحصين . انظر : الكاشف (١١٦/٢) ، رجال تفسير الطبري (٤٣٩) .

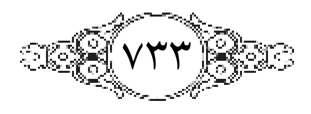
(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٥/٢٢) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) لابن أبي شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٣/٣) ، والطبري (٢٧٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) عزوه لابن أبي شيبة، وهناد .

(١٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٥/٢٢) .



القول الثاني : مَرَافق خضر ، قاله الحسن [1].

القول الثالث : أنها الوسائد ، قاله الحسن [2]، وعاصم الجحدري [3].

القول الرابع : الرفرف البسط ، قاله الحسن [4].

القول الخامس : ما تدلَّى من الأسرَّة من غالي الثياب والبُسُط ، قاله ابن عطية [5]، ووافقه أبو السعود [6].

القول السادس : رياض الجنة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [7]، وسعيد بن جبير [8]، واختاره الرازي [9].

الجمع أو الترجيح :

عامة كلام المفسِّرين يدور على أنَّ الرفرف هو : الوسائد أو النمارق والمجالس والسرر والبُسُط والمحابس ، والثياب الخضْر ، وكل ثوب عريض [10]، وهي أقوال متقاربة كما قال القرطبي رحمه الله [11].

والأقرب – والله أعلم – أنَّ يقال : الرفرف هو ما جعله الله تعالى لأهل الجنة يتكئون عليه ويفترشونه ؛ سواء كان فُرُشاً أو وسائد أو بسُط ، وهو لا يشترك مع رفرف الدنيا إلا في الاسم فقط ، ولا تصل العقول لتخيّل وصفه الحقيقي ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن زيد ، وجماعة : " ليس في الدنيا

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٧٦) .

(٢) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٤٣) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٨٤) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧٢٢) لابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧٢٢) لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) المحرر الوجيز (١٨٠٦) .

(٦) إرشاد العقل السليم (٦/١٨٢) .

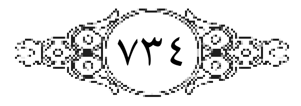
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٧٢٢) لعبد بن حميد .

(٨) تفسير مجاهد (٢٨٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٢٧٣) .

(٩) التفسير الكبير (٢٩/١٢٩) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١١٨) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٨٣) ، بحر العلوم (٣/١٧٠) ، الوسيط (٤/٢٣٠) ، الكشاف (١٠٧٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٧٠) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٥) ، مدارك التنزيل (٢/٦٣٤) ، التسهيل (٤/١٦٦) .

(١١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٧٠) .



من الجنة شيء إلاَّ الأسماء " [١].

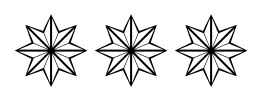
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلِّقاً : (يعنى أنَّ موعود الله في الجنة من الذهب والحرير والخمر واللبن ؛ تخالف حقائقه حقائق هذه الأمور الموجودة في الدنيا) [٢].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » [٣].

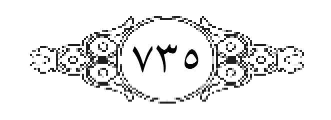
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [٤].

قال القرطبي رحمه الله : (فهذا الرَّفرَف الذي سخَّره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما ، يرفرف بالوليِّ على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان) [٥].

وقال ابن عاشور رحمه الله : (والرفرف : ضرْب من البسط ، وهو اسم جمع رَفرفة ، وهي ما يبسط على الفراش ليُنام عليه ، وهي تنسج على شبه الرياض ويغلب عليها اللون الأخضر ... فوصفها في الآية بأنها ﴿خُضْرٍ﴾ وصف كاشف لاستحضار اللون الأخضر لأنه يسرُّ الناظر . وكانت الثياب الخضر عزيزة وهي لباس الملوك والكبراء) [٦]. والله أعلم ، ،



(١) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١/٤١٦) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٧٩) .
(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٢٤٤) في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، وأخرجه برقم : (٤٧٧٩) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ، وأخرجه برقم : (٧٤٩٨) في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٨٢٤) ، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .
(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٧٠) .
(٦) التحرير والتنوير (٢٧/٢٧٤) .



الموضع الخامس عشر :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن : ٧٦] .

١٧٨- **قال عطاء الخراساني** : عبقري : الزرابي[(١)] [(٢)] .

الدراسة :

* يذكر الله أيضاً شيئاً آخر مما يتَّكئ عليه أهل الجنَّة فيها ، وهو العبقري الحِسان ، وهي على تفسير عطاء الخراساني : الزرابي .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : العبقري : الزرابي ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)] ، وسعيد بن جبير[(٥)] ، وقتادة[(٦)] .

القول الثاني : أنها الطنافس[(٧)] ، قاله الحسن[(٨)] ، وابن زيد[(٩)] ، والفراء[(١٠)] .

القول الثالث : الديباج ، قاله مجاهد[(١١)] .

القول الرابع : أنها ثياب في الجنة لا يعرفها أحد ، روي هذا القول عن

(١) **الزرابي** = البُسُط ، وقيل : كلّ ما بسط واتُّكئ عليه ، وقيل : هي الطنافس ، وفي الصحاح : النمارق ، والواحد من كل ذلك زَرْبِيَّة . انظر : لسان العرب (٢٤/٧) مادة : زرب .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٥) ص١١٤، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٤٤٤/٥) ، زاد المسير (١٣٨٤) ، تفسير ابن كثير (٢٩٦/٤) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٦/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٢٨/١٠) برقم : (١٨٧٦٤) .

(٥) تفسير مجاهد (٢٨٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٦/٢٢) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٣/٣) ، والطبري (٢٧٦/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) **الطنافس** = جمع طِنْفِسة ، وهي النَّمرقة فوق الرَّحل ، وقيل هي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق . انظر : لسان العرب (١٥٠/٩) ، المعجم الوسيط (٥٦٨) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٧/٢٢) .

(١٠) معاني القرآن للفراء (١١٨/٣) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٧٢٢/٧) لابن أبي شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .



مجاهد أيضاً [(١)].

وهي منسوبة لعبقر [(٢)]، قيل : نسبة لقرية ينسب إليها صنع البسُط المنقوشة ، سمِّيت بذلك لكثرة الجن فيها ، أو لكثرة رملها ويكون المراد بذلك أنها تكون مثل العبقري ؛ لأنَّ ما يُنسج بعبْقر لا يكون في الجنة إذا قيل إن عبقر اسم أرض [(٣)].

قال الرازي ﷺ : (العبقري منسوب إلى عبقر ؛ وهو عند العرب موضع من مواضع الجن ، فالثياب المعمولة عملاً جيداً يسمونها عبقريات مبالغة في حسنها ؛ كأنها ليست من عمل الإنس ، ويستعمل في غير الثياب أيضاً حتى يقال للرجل الذي يعمل عملاً عجيباً : هو عبقري أي من ذلك البلد ، قال ﷺ في المنام الذي رآه : « فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ »[(٤)]) [(٥)].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - أن يقال : العبقري فرُش حِسان ، يتمتَّع أهل الجنة بحسْنها ويتكئون عليها ، وهي ضرْب من الفرُش جعله الله مثلاً لفرُش الجنة .

وبنحو هذا قال الراغب [(٦)]، وهو معنى قول ابن عطية [(٧)]، والقرطبي [(٨)]،

---

(١) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٤٤) .

(٢) عَبْقَر = وهو البَرَد ، للماء الجامد الذي ينزل من السحاب ، قالوا : وهي أرض كان يسكنها الجن ، يقال : في المثل كأنهم جن عبقر . وقيل : أنَّ عبقر من أرض اليمن ، وهذا يدلُّ على أنه موضع مسكون ، وبلد مشهور به صيارف ، وإذا كان فيه صيارف كان أحرى أن يكون فيه غير ذلك من الناس ، وقيل أيضاً : عبقر موضع بنواحي اليمامة . ولعل هذا بلد كان قديماً وخرب كان ينسب إليه الوشي فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجن ، والله أعلم . انظر : معجم البلدان (٤/٧٩) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/٨٣) ، الكشاف (١٠٧٤) ، أنوار التنزيل (٥/١٧٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٨٣) ، روح المعاني (٢٧/١٩٠) .

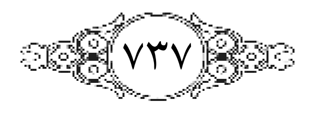
(٤) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٦٣٣) في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام، وأخرجه برقم : (٣٦٧٦) في كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً ... » ، وأخرجه برقم : (٣٦٨٢) في كتاب المناقب ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ، وأخرجه برقم : (٧٠١٩) في كتاب التعبير ، باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٣٩٣) ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر ﷺ .

(٥) التفسير الكبير (٢٩/١٣٠) .

(٦) المفردات في غريب القرآن (٣٢٤) .

(٧) المحرر الوجيز (١٨٠٦) .

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٧٠) .



وأبو حيَّان[1].

والـزرابي والطنـافس همـا شـيءٌ واحـدٌ عنـد أكثـر المفـسِّرين [2]، غـير أنَّ الرفرف الخضر ليس هو العبقري الحسان مع اشتراكهما في الاتِّكاء عليهما .

والقاعـدة التفـسيرية : العطـف يقتـضي المغـايرة بـين المعطـوف ، والمعطـوف عليه ، مع اشتراكهما في الحكم الذي ذُكر لهما [3].

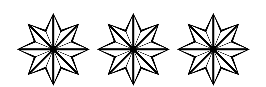
قـال القـرطبي ﵀ : (فـالعبقري ثيـاب منقوشـة تبـسط ، فـإذا قـال خـالق النقوش إنها حسان فما ظنك بتلك العباقر !) [4].

وقـال الـسعدي ﵀ : (العبقـري : نـسبة لكـل منـسوج نـسجاً حـسناً فـاخراً ، ولهـذا وصـفها بالحـسن الـشامل ، لحـسن الـصنعة ، وحـسن المنظـر ، ونعومـة الملْمَس) [5].

ويقال هنا ما قيـل في الموضـع الـسابق مـن أنَّ هـذا النَّعـيم لا يـشترك مـع مـا في الدنيا إلا في الأسماء فقط ، وإلا فهو مختلف تماماً – كما مرَّ معنا – .

وقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح .

والله أعلم ،،



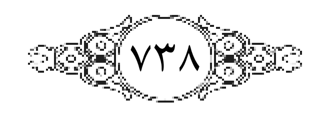
(١) البحر المحيط (٨/٢٨٣) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١١٨) ، بحر العلوم (٣/٣٨٩) ، الكشف والبيان (٩/١٩٧) ، الوسيط (٤/٢٣٠) ، معالم التنزيل (٤/٣٤٦) ، مدارك التنزيل (٢/٦٣٤) ، التسهيل (٤/١٦٦) ، فتح القدير (٥/١٧٨) .

(٣) قواعد التفسير (١/٤٣٤) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٧٠) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٣٢) .



سورة الواقعة

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة : ٦] .

١٧٩- **قال عطاء الخراساني** : ما تذروه الريح وتبثه [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله شيئاً من أحوال يوم القيامة وأهوالها ، وهو أنَّ الجبال تبسُّ بسّاً حتى تصير هباءً ، والهباء هو دُقَاقُ التراب وما انبثَّ في الهواء، وقد لا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس من الكوَّة [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : ما تذروه الريح وتبثُّه وتفرقه ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول قتادة : الهباء ما تذروه الرياح من حطام هذا الشَّجر [٤].

القول الثاني : شعاع الشمس الذي يدخل من الكوَّة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، وأبو مالك [٦]، وسعيد بن جبير [٧]، ومجاهد [٨]، والحسن [٩]، والمقصود : ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا يكاد يُرى إلا في الشِّمس إذا دخلت من كوَّة ، وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [١٠].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٩) ص١١٠، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٥١٤) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٢٠١/٩) ، النكت والعيون (٤٤٧/٥) ، زاد المسير (١٠١٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧٣/٢) ، تفسير ابن كثير (٢٩٨/٤) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٦/٣) بهذا اللفظ ، وبنحوه أخرجه الطبري (٢٨٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٤/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٨) عزوه لابن المنذر .

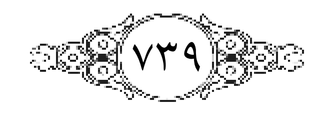
(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٨) لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٤/٢٢) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٨) لعبد بن حميد .

(١٠) انظر : معاني القرآن للزجاج (٨٦/٥) ، بحر العلوم (٣٩٠/٣) ، الوسيط (٢٣٢/٤) ، معالم التنزيل (٥/٥)، الكشاف (١٠٧٥) ، المحرر الوجيز (١٨٠٨) ، التفسير الكبير (١٣٦/٢٩) ، أنوار التنزيل



القول الثالث : أنه الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت ، فإذا وقع لم يكن شيئاً ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [١].

القول الرابع : أنه الرَّهج الذي يسطَع من حوافر الدَّواب ثمَّ يذهب ، وهذا قول علي رضي الله عنه [٢].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال مترادفة ، وهي أوصاف لموصوف واحد ، فيقال : الهباء هو الغبار أو الأجزاء الدقيقة التي تتطاير في الهواء ، حتى لا تكاد ترى من تفرِّقها وانتشارها ، وسواء كانت من حطام الشَّجر ، أو مما تثيره الدواب بحركة حوافرها ، وكلّ هذه يصحُّ أن تكون أمثلة لتقريب المعنى في الأذهان .

وجميع الأقوال تفيد المعنى المراد ، وهو وصْف زوال الجبال يوم القيامة مِن على الأرض ، وتأكيد على أنها ستصير أجزاءً في الغبار صغيرة جداً لا تكاد تُرى بالعين المجرَّدة من دقَّتها .

قال ابن كثير رحمه الله : (وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة ، وذهابها وتسييرها ونسفُها - أي قلعها - وصيرورتها كالعهن المنفوش) [٣].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [٤].

وعليه فقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح .

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (وتفريع ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ على ﴿وَبُسَّتِ

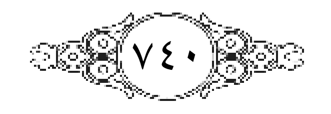
(١٧٧/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٥/٢) ، التسهيل (١٦٨/٤) ، البحر المحيط (٢٩٠/٨) ، إرشاد العقل السليم (١٨٦/٦)، روح المعاني (٢٠٠/٢٧) ، فتح القدير (١٨٤/٥) ، تفسير المراغي (٣٠٣/٩) ، أضواء البيان (٥٠٢/٧) .

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٥/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٢٩/١٠) برقم : (١٧٨٦٨) .

(٢) تفسير مجاهد (٢٨١) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٦/٣) ، والطبري (٢٨٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر بلفظ : الهباء المنبث رهج الدواب ، والهباء المنثور : غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوة .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٩٨/٤) .

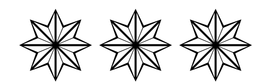
(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



﴿ٱلْجِبَالُ﴾ لائق بمعنيي البسِّ ، لأنَّ الجبال إذا سيّرت فإنما تُسيَّر تسييراً يفتتها ويفرقها ، أي تسييرَ بَعْثَـرَة وارتطام . والهباء : ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار ... والمنْبَثُّ : اسم فاعل انبثَّ ، مطاوع بثَّه ، إذا فرّقه . واختير هذا المطاوع لمناسبته مع قوله : ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ في أنَّ المبني للنائب معناه كالمطاوعة ، وقوله : ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ تشبيه بَلِيْغ [1]، أي فكانت كالهباء المنبثّ) [2].

وقال الشنقيطي رحمه الله : (ووصْفها بالهباء المنبثّ أنسب لتكون البس بمعنى التفتيت والطَّحن) [3].

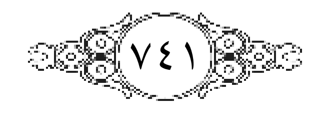
والله أعلم ،،



(١) **التشبيه البليغ** = هو التشبيه الذي ذكر فيه الطرفان فقط ، وحذف منه الوجه والأداة ، وسبب تسميته بذلك : أنَّ حذف الوجه والأداة يوهم اتّحاد الطرفين وعدم تفاضلهما فيعلو المشبَّه إلى مستوى المشبَّه به ، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه . انظر : علوم البلاغة (٢٣٣) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/٢٨٤) .

(٣) أضواء البيان (٧/٥٠٢) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة : ٢٨] .

١٨٠- **قال عطاء الخراساني** : ليس فيه شوك [١] .

الدراسة :

* السِّدر المخضود هو : الذي ليس فيه شوك ، كما فسَّره عطاء الخراساني ، ويقال في المخضود : مكسور الشوك ، يقال : خضَدْتُه فانخَضَد فهو مخضُود وخَضِيد ، والخَضد المخْضُود كالنَّقْض في المنقُوض ، ومنه استعير : خُضِد عنق البعير أي كسر [٢] .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : الذي ليس فيه شوك ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وأبو الأحوص [٥]، وقسامة بن زهير[٦]، وعكرمة [٧]، وقتادة[٨]، والسِّفر بن نُسَيْر [٩] [١٠]، وجمهور المفسِّرين [١١] .

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢٠) ص١١٠، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٥٦) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٥/٤٥٣) ، زاد المسير (١٣٨٨) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٠٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٢) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٠٨) .

(٦) **قسامة بن زهير** = المازني التميمي البصري ، روى عن : أبي موسى الأشعري ، وأبي هريرة ، روى عنه : قتادة ، وعوف الأعرابي ، بصري تابعي ثقة ، توفي في ولاية الحجاج على العراق بعد الثمانين . انظر : تهذيب التهذيب (٨/٣٣٨) .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٢/٣٠٧) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٧٧) ، والطبري (٢٢/٣٠٨) .

(٩) **السِّفر بن نسير** = الأزدي الحمصي ، روى عن : يزيد بن شريح ، وضمرة بن حبيب ، وروى عنه عمر بن عمرو الأحموسي ، ومعاوية بن صالح الحضرمي ، وعبد الله بن رجاء الشيباني ، الحمصيون ، قال الدارقطني : لا يعتبر به ا.هـ ، وروى له ابن ماجة حديثاً واحداً ، مات سنة ثلاث وستين ومائة . انظر : الثقات (٤/٣٤٩) ، تهذيب التهذيب (٤/٩٤) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٠٧) .

(١١) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١٢٢) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٨٩) ، بحر العلوم (٣/٣٩٣) ، الكشف



والمقصود أنه قد خُضِد من الشَّوك فصار ليِّناً لا شوك فيه ؛ يقال خضدت الشجرة إذا حذقت شوكها .

القول الثاني : أنه المُوقِرُ[1] حَملاً ، قاله مجاهد[2]، والضحاك[3].

وبنحوه قول من قال : ثمرها أعظم من القِلال[4]، قاله سعيد بن جبير[5]، ويزيد الرَّقاشي[6].

وكذلك من قال : المدلاة الأغصان ، حكاه الماوردي[7]، والرازي[8].

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر القولين الأولين : (والظاهر أنَّ المراد هذا وهذا، فإنَّ سِدْر الدنيا كثير الشوك قليل الثَّمر ، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذي أثقَل أصله)[9].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني ومن معه من جمهور المفسِّرين ، وهو الذي تشهد له السنَّة .

فقد ورد في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: إنَّ الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ أقبل أعرابي يوماً ، فقال : يا

والبيان (٢٠٦/٩) ، الوسيط (٢٣٤/٤) ، المفردات في غريب القرآن (١٥٦) ، معالم التنزيل (٨/٥) ، الكشاف (١٠٧٦) ، المحرر الوجيز (١٨١١) ، التفسير الكبير (١٣٦/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧٧/٢) ، أنوار التنزيل (١٧٩/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٧/٢) ، التسهيل (١٧١/٤) ، البحر المحيط (٢٩٣/٨) ، إرشاد العقل السليم (١٨٩/٦) ، روح المعاني (٢١٣/٢٧) ، فتح القدير (١٨٩/٥) ، تفسير المراغي (٣٠٧/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٣) ، التحرير والتنوير (٢٩٩/٢٧) ، أضواء البيان (٥٠٢/٧) .

(١) **الموقِر** = من الوِقر ، وهو الحِمل الثقيل ، يقال : نخلة موقرة أي كثر حملها . انظر : لسان العرب (٢٥٦/١٥) مادة : وقر .

(٢) تفسير مجاهد (٢٨٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٠٨/٢٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٠٩/٢٢) .

(٤) **القِلاَل** = جمع قُلَّة : إناء للعرب كالجرَّة الكبيرة . انظر : لسان العرب (١٨٠/١٢) .

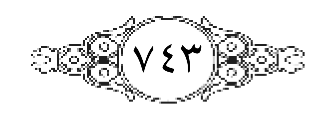
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٠٩/٢٢) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) النكت والعيون (٤٥٣/٥) .

(٨) التفسير الكبير (١٥٦/٢٩) .

(٩) تفسير ابن كثير (٣٠٤/٤) .



رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية ، وما كنت أرى أنَّ في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ، فقال رسول الله ﷺ : « ومَا هِي ؟ » ، قال : السِّدر فإنَّ لها شوكاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أَلَيْسَ يَقُولُ الله : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ يَخْضُدُه الله مِنْ شَوْكِه فَيَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَة ثَمَرَة ؛ إِنَّهَا تُنْبِتُ ثَمَراً ؛ يُفَتَقُ الثَّمَرُ مِنْهَا عَنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنَاً مِنَ الطَّعَامِ مَا مِنْهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ الآخَرَ » [(١)].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه [(٢)].

قال السعدي رحمه الله : (مخضود ، أي : مقطوع ما فيه من الشَّوك والأغصان الرديئة المضرَّة ، مجعول مكان ذلك الثمر الطيب ، وللسدر من الخواص ، الظل الظليل ، وراحة الجسم فيه) [(٣)].

وخصَّ السِّدر بالذِّكر لأنَّ ثمره من أشهى الثَّمر إلى النفوس طعماً ، وألذّه ريحاً .

قال ابن عاشور رحمه الله : (ولما كان السِّدر من شجر البادية ، وكان محبوباً للعرب ، ولم يكونوا مستطيعين أن يجعلوا منه في جناتهم وحوائطهم لأنه لا يعيش إلا في البادية ، فلا ينبت في جناتهم ؛ خُصَّ بالذكر من بين شجر الجنة إغراباً به وبمحاسنه التي كان محروماً منها من لا يسكن البوادي ، وبوفرة ظله، وتهدل أغصانه ، ونكهة ثمره . ووصف بالمخضود ، أي المزال شوكه فقد كملت محاسنه بانتفاء ما فيه من أذىً) [(٤)].

والله أعلم ، ،

❋ ❋ ❋

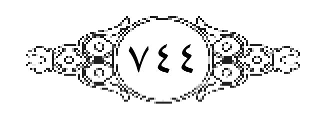
---

(١) **حسن** . أخرجه الحاكم في المستدرك برقم : (٣٧٧٨) وصححه ، والبيهقي في البعث والنشور (٢٦٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٨) ، وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٣/٤) ، والحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٤/٥) وقال عنه : مرسل ، والهيتمي المكي في الزواجر (٢٦٠/٢) ، والألباني في صحيح الترغيب (٣٧٤٢) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨٣٣) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٩٩/٢٧) .



الموضع الثالث:

* وفي قول الله تعالى : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة : ٣٧] .

١٨١- **قال عطاء الخراساني** : العُرب : العواشق ، والأتراب : المستويات [١] .

الدراسة :

* في هذه الآية يصفُ الله الحور العين بأنهنَّ عرباً ، ويقال : امرأة عَرُوبَة أي : معرِبة بحالها عن عفَّتها ومحبَّة زوجها ، وجمعها عُرُب [٢]، والأتراب : هنَّ المستويات في سنٍّ واحدة ، لدات تنشَّأن معاً ، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

* اختلف المفسِّرون في معنى العُرُب على أقوال أشهرها :

القول الأول : العُرب : العواشق ، قاله عطاء الخراساني ؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، والحسن [٦]، وسعيد بن جبير [٧]، والربيع بن أنس رضي الله عنه [٨]، ومجاهد [٩]،وعكرمة [١٠]، وقتادة [١١]، والأوزاعي [١٢].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢١) ص١١١، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٣٢) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٨١) .

(٤) انظر : الكشف والبيان (٢٠٩/٩) ، النكت والعيون (٤٥٥/٥-٤٥٦) ، زاد المسير (١٣٨٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧٩/٢) ، البحر المحيط (٢٩٤/٨) ، تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤).

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٤/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٣٢/١٠) برقم : (١٨٧٨٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٦/٨) عزوه لابن المنذر ، والبيهقي ، والطستي .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٤/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨/٨) عزوه لهناد بن السري، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) لسعيد بن منصور ، وابن المنذر .

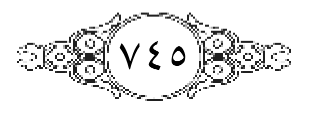
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨/٨) لعبد بن حميد .

(٩) تفسير مجاهد (٢٨٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) عزوه لهناد بن السري ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٥/٢٢) .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٩/٣) ، والطبري في تفسيره (٣٢٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٨/٢٢) .



والمرأة العاشقة لزوجها يزيده عشقها له ميلاً إليها وشغفاً بها .

القول الثاني : المَلِقات[1] المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وسعيد بن جبير[3]، ومجاهد[4]، وعكرمة[5]، والضَّحاك[6]، والزَّجاج[7].

قال الفرَّاء رحمه الله : (واحدها عَرُوب ، وهي المتحبِّبة إلى زوجها الغَنِجَة)[8].

القول الثالث : المشتهية لزوجها ، وهو قول سعيد بن جبير[9]، والحسن[10]، وعبد الله بن عبيد بن عمير[11].

والناقة التي تشتهي الفحل يقال لها : عربة ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[12].

القول الرابع : الشَّكلة[13] بلغة أهل مكة ، والغنِجَة بلغة أهل المدينة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[14]، وسعيد بن جبير[15]، ومجاهد[16]، وعكرمة[17]،

---

(١) **المَلِقَات** = من ملقته مَلَقَاً ، وملِقْتُ له : تَودَّدْتُهُ ، والمَلَق : الودّ واللطف الشديد . انظر : لسان العرب (١٤/١٢٤) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٤) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٣٢) برقم : (١٨٧٨٩) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٦) .

(٤) تفسير مجاهد (٢٨٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٦) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٧) .

(٧) معاني القرآن للزجاج (٥/٨٩) .

(٨) معاني القرآن للفراء (٣/١٢٣) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٧) عزوه لهناد بن السري، وعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٦) .

(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٧) عزوه لابن المنذر .

(١٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٦) لسفيان ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر .

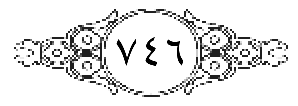
(١٣) **الشَّكَل** : غنج المرأة وغزلها وحسن دلِّها ، شكِلَت شكْلاً ، فهي شَكِلة ، وفي تفسير المرأة العربة أنها الشَّكِلة، وهي ذات الدلّ ، والشكل للمرأة ما تتحسن به من الغنج يقال امرأة ذات شكَل . انظر : لسان العرب (٨/١٢٠) مادة : شكل .

(١٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٦) عزوه لهناد من طريق الكلبي عن أبي صالح .

(١٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٦) لسعيد بن منصور .

(١٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٦) لعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .



وابن بريدة [(١)]، وبنحوه قال زيد بن أسلم[(٢)]، وابنه عبد الرحمن[(٣)]، ومنه قول الشاعر [(٤)]:

وفي الحُدوجِ عَرُوبٌ غيرُ فاحشةٍ رَيَّا الرَّوادِفِ يَعْشَى دُوْنَهَا البَصَرُ

القول الخامس : أنها حسنة التبعُّل ، وهو قول تميم بن حذْلَم [(٥)] [(٦)]، وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعُّل : إنها لعرِبَة .

القول السادس : أنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على إشاعته ، قاله عكرمة [(٧)].

القول السابع : كلامهنَّ عربَي ، رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرُباً : كَلاَمُهُنَّ عَرَبِّي » [(٨)].

* والأتراب : المستويات في سنٍّ واحدة ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما[(٩)]، والرَّبيع بن أنس رضي الله عنه [(١٠)]، والحسن [(١١)]، ومجاهد [(١٢)]،

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٥/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) عزوه لابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٥/٢٢) ، وابن أبي حاتم (٣٣٣٢/١٠) برقم : (١٨٧٩٢) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٧/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) عزوه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد .

(٤) **البيت للبيد بن ربيعة العامري** ، انظر ديوانه ص(٣٨) ، **والحُدُوج** والأحداج والحدائج : مراكب النساء، واحدها حِدْج وحِداَجَة . انظر : لسان العرب (٥٤/٤) مادة : حدج .

(٥) **تميم بن حذلم** = الضبي ، أبو سلمة الكوفي ، من أصحاب ابن مسعود ، وأدرك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، روى عنه : إبراهيم النخعي ، وسماك بن سلمة الضبي ، وابنه أبو الخير بن تميم وغيرهم، كان ثقة قليل الحديث ، وقيل : أنَّ كنيته أبو حذلم . انظر : تهذيب التهذيب (٤٤٩/١) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٥/٢٢) .

(٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٤٥٥/٥) .

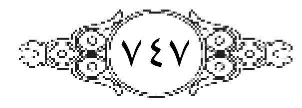
(٨) **ضعيف** . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٣٢/١٠) برقم : (١٨٧٩٠) ، وأورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧٩/٢) ، وابن كثير في تفسيره (٣٠٨/٤) ، والألوسي في روح المعاني (٢١٧/٢٧) وقال : ولا أظن لهذا صحة ، والتفسير بالمتحببات هو الذي عليه الأكثر . والحديث ضعيف ، قال عنه ابن حجر في فتح الباري (٣٨٨/٦) : وهو ضعيف منقطع .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٩/٢٢) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨/٨) لعبد بن حميد .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨/٨) عزوه لهناد بن السري ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٢) تفسير مجاهد (٢٨٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٩/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) عزوه لهناد بن السري ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .



وقتادة [1]، والضَّحاك [2]، وعامة المفسِّرين عليه [3]، والسنَّ التي هنَّ عليها ثلاث وثلاثون عاماً [4].

قال الراغب ﷺ : (أي لدات تنشَّأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ، أو لوقوعهن معاً على الأرض ، وقيل لأنهنَّ في حال الصبا يلعبن بالتراب معاً) [5].

وقال ابن عطية ﷺ: (أتراباً في الشَّكل والقدِّ ، حتى يقول الرائي : هم أتراب ، والترْب هو الذي مسَّ التراب مع تِرْبه في وقت واحد) [6].

وزاد الرازي ﷺ وجوهاً في معنى الأتراب فقال : (يحتمل وجوهاً : أحدها : مستويات في السن فلا تفضل إحداهن على الأخرى بصغر ولا كبر كلهن خلقن في زمان واحد ، ولا يلحقهن عجز ولا زمانة ولا تغير لون ، وعلى هذا إن كن من بنات آدم فاللفظ فيهن حقيقة ، وإن كن من غيرهن فمعناه ما كبرن سمّين به لأنَّ كلاً منهن تمسّ وقت مسّ الأخرى لكن نسي الأصل ، وجعل عبارة عن ذلك كاللذة للمتساويين من العقلاء ، فأطلق على

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٧٩/٣) ، والطبري في تفسيره (٣٢٩/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٧/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

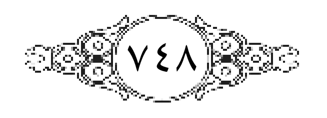
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٢٩/٢٢) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣٩٤/٣) ، الكشف والبيان (٢٠٩/٩) ، الوسيط (٢٣٥/٤) ، معالم التنزيل (١١/٥) ، الكشاف (١٠٧٧) ، المحرر الوجيز (١٨٢١) ، زاد المسير (١٢١٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٧٩/٢) ، أنوار التنزيل (١٧٩/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٨/٢) ، التسهيل (١٧٢/٤) ، البحر المحيط (٢٩٤/٨) ، تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٩٠/٦) ، روح المعاني (٢١٧/٢٧) ، فتح القدير (١٩٠/٥) ، تفسير المراغي (٣٠٨/٩) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٤) ، أضواء البيان (٥٠٩/٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٣٢/١٠) برقم : (١٨٧٨٨) عن ابن عباس . وقاله جماعة من المفسِّرين، انظر : أنوار التنزيل (١٧٩/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٨/٢) ، روح المعاني (٢١٨/٢٧) . ولعلَّ حجَّتهم في ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه برقم : (٢٥٤٥) ، في كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في سنِّ أهل الجنَّة ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ ، أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ أَوْ ثَلاث وَثَلاثِينَ سَنَةً » . قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وَبَعْضُ أَصْحَابِ قَتَادَةَ رَوَوْا هَذَا عَنْ قَتَادَةَ مُرْسَلاً وَلَمْ يُسْنِدُوهُ .ا.هـ .وقد حسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٤٥) ، وصححه في صحيح الجامع (٨٠٧٢) . وفيه دليل على أنَّ أهل الجنَّة يدخلونها على هذا السنّ ، ولا يدلُّ على أنَّ الحور في الجنَّة على هذا السنِّ ، والأولى حمل المعنى على إطلاقه ، فيقال : مستويات على سنٍّ واحدة . والله أعلم .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٨١) .

(٦) المحرر الوجيز (١٨١٢) .



حور الجنة أتراباً .

ثانيها : أتراباً متماثلات في النظر إليهن كالأتراب سواء وجدن في زمان أو في أزمنة ، والظاهر أنه في أزمنة لأنَّ المؤمن إذا عمل عملاً صالحاً خلق له منهن ما شاء الله .

ثالثها : أتراباً لأصحاب اليمين ، أي على سنهم ، وفيه إشارة إلى الاتفاق، لأنَّ أحد الزوجين إذا كان أكبر من الآخر فالشاب يعيره) [1].

الجمع أو الترجيح :

- الأقوال في معنى العُرُب متقاربة ، ويجمع بينها بأنَّ الله جعل نساء الجنة عواشق متحببات إلى أزواجهنَّ ؛ يحسنَّ التبعُّل ، وهنَّ في شوق دائم لأزواجهنَّ ، كلامهنَّ فيه غنجة ودلال ، وحديثهن يمتِع السامعين . والعرُب جمع ، واحدهن عَرُوب ، كما واحد الرُّسُل رسول ، وواحد القطف قطوف .

وهذا هو المعنى الذي عليه جمهور المفسرين [2]، وهو يجمع الأقوال الخمسة الأولى .

- وأما الأتراب فهنَّ المستويات في سنٍّ واحدة ، ويقال عنهنَّ أيضاً : أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد .

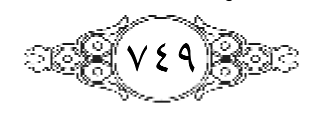
ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه الطبري في تفسيره عن أمّ سلمة أنَّها قالت : يا رسول الله ، أخبرني عن قوله : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ؟ قال : « عُرُباً : مُتَعَشِّقَاتٍ مُتَحَبِّبَاتٍ ، أَتْرَابَاً : عَلَى مِيْلَادٍ وَاحِدْ » [3].

---

(١) التفسير الكبير (١٥٩/٢٩) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٣٩٤/٣) ، الوسيط (٢٣٥/٤) ، معالم التنزيل (١١/٥) ، الكشاف (١٠٧٧) ، المحرر الوجيز (١٨٢١) ، أنوار التنزيل (١٧٩/٥) ، مدارك التنزيل (٦٣٨/٢) ، التسهيل (١٧٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (١٩٠/٦) ، روح المعاني (٢١٧/٢٧) ، فتح القدير (١٩٠/٥) ، تفسير المراغي (٣٠٨/٩) ، أضواء البيان (٥٠٩/٧) .

(٣) **ضعيف** . أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٨/٢٢) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٩/٣) برقم : (٣١٤١)، وفي المعجم الكبير (٣٦٨/٢٣) برقم : (٨٧٠) . والحديث ضعيف قال عنه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٠/٤) : لا يتطرَّق إليه احتمال التحسين ا.هـ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٧/١٠) : في إسناده سليمان بن أبي كريمة ، وهو ضعيف . وضعَّفه ابن القيم في حادي الأرواح (١٥٨) ، وقال عنه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٢٣٠) : منكر .



وجمع السعدي رحمه الله بعبارته الجميلة فقال : (والعَروب : هي المرأة المتحببة إلى بعلها بحسن لفظها ، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها ، فهي التي إن تكلَّمت سبت العقول ، وودَّ السامع أنَّ كلامها لا ينقضي ، خصوصاً عند غنائهنَّ بتلك الأصوات الرخيمة والنغمات المطربة ، وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ؛ ملأت قلب بعلِها فرَحاً وسروراً ، وإن برزت من محل إلى آخر ؛ امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيِّباً ونوراً ، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع .

والأتراب : اللاتي على سن واحدة ، ثلاث وثلاثين سنة ، التي هي غاية ما يتمنى ونهاية سن الشباب ، فنساؤهم عرب أتراب ، متفقات مؤتلفات ، راضيات مرضيات ، لا يَحزَنَّ ولا يُحْزِنَّ ، بل هنَّ أفراح النفوس ، وقرَّة العيون ، وجلاء الأبصار) [1].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [2].

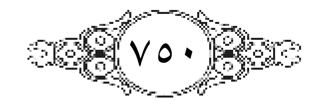
وقول عطاء الخراساني قول صحيح في معنى الآية .

قال ابن عاشور رحمه الله : (والعُرُب : جمع عَروب بفتح العين ، ويقال : عَرِبة - بفتح فكسر - فيجمع على عَرِبات كذلك ، وهو اسم خاص بالمرأة . وقد اختلفت أقوال أهل اللغة في تفسيره . وأحسن ما يجمعها أنَّ العَروب : المرأة المتحببة إلى الرجل ، أو التي لها كيفية المتحببة ، وإن لم تقصد التحبّب، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل ، أو المزاحَ أو اللهو ، أو الخضوع في القول ، أو اللثغ في الكلام بدون علَّة ، أو التغزُّل في الرجل ، والمساهلة في مجالسته ، والتدلُّل وإظهار معاكسة أميال الرجل لعِباً لا جِدًّا ، وإظهار أذاه كذلك كالمغاضبة من غير غضب ، بل للتورك على الرجل ... وإنما فسروها بالمتحببة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة ظنوا أنَّ المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل . ولذلك فسَّر بعضهم العَروب بأنها المغتلمة ، وإنما تلك حالة من أحوال بعض العروب . وعن عكرمة العروب : الملِقة .

---

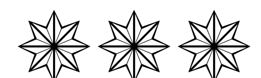
(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٣٤) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

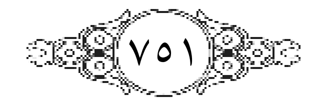


والعَروب : اسم لهذه المعاني مجتمعة أو مفترقة أجرَوْه مجرى الأسماء الدالة على الأوصاف دون المشتقة من الأفعال ، فلذلك لم يذكروا له فعلاً ولا مصدراً ، وهو في الأصل مأخوذ من الإِعراب والتعريب ، وهو التكلّم بالكلام الفحش) [١].

والله أعلم ، ،



(١) التحرير والتنوير (٢٧/٣٠١-٣٠٢) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

١٨٢- **قال عطاء الخراساني** : كان ناس يُمطَرون ؛ فيقولون : مُطِرنا بنوء[١] كذا ، مُطرنا بنوء كذا [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية يقرِّع الله عباده الذين كذّبوا فيقول لهم : أفأنتم شاكون في ما يقال لكم عن النشأة الآخرة ؛ مكذِّبون بالقرآن وما يقصّه عليكم من شأنها ، وما يقرره لكم من أمور التوحيد والعقيدة ؟ ، وتجعلون التكذيب هو رزقكم الذي تحصلون عليه في حياتكم وتدَّخرونه لآخرتكم ؟ وما أسوأه من رزق! فكيف تجعلون نصيبكم من النِّعمة تحرِّي الكذب [٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : أنه كان ناس يُمطَرون ؛ فيقولون : مُطرنا بنوء كذا ، مُطرنا

---

(١) **النوء** = سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رَقِيْبِه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، ما خلا الجبهة فإنَّ لها أربعة عشر يوماً فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة . وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقيل إلى الطالع منها لأنه سلطانه ، وجمعه أنواء . انظر : لسان العرب (٣٧٦/١٤) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٢٨٤/٣) عن معمر عن قتادة ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالصحة عند القول رقم : (٩٧) ص(٤٧٦) ، وكذا أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧١/٢٢) بسنده قال : حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني . **ودراسة الإسناد** :

ابن عبد الأعلى هو : محمد بن عبد الأعلى الصنعاني البصري ، ثقة من العاشرة ، روى عن : سفيان بن عيينة، ومعتمر . وروى عنه : مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابن بجير ، وثقه أبو حاتم ، مات سنة خمس وأربعين ومائتين . انظر : الكاشف (١٩١/٢) ، تقريب التهذيب (٤٩١) .

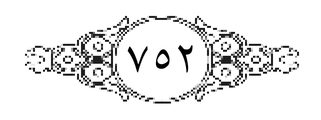
ابن ثور هو : محمد بن ثور الصنعاني ، أبو عبد الله العابد ، روى عن : معمر ، وابن جريج ، وعوف الأعرابي . وروى عنه : ابنه عبد الجبار ، وفضيل بن عياض ، وهو من أقرانه ، وعبد الرزاق ، وزيد بن المبارك ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانيون ، وغيرهم ، وثَّقه ابن معين ، كان صوَّاماً قوَّاماً ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة تسعين ومائة تقريباً . انظر : تهذيب التهذيب (٧٦/٩) .

معمر : سبقت دراسته .

وقد عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٣٢/٨) . **والأثر بهذا الإسناد صحيح عن عطاء الخراساني** .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٠٠) ، في ظلال القرآن (٣٤٧١/٦) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٤٦٥/٥) .



بنوء كذا ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول علي بن أبي طالب [1]، وابن عباس رضي الله عنهما [2]، ومجاهد[3]، والضحاك [4]، وعلى هذا المعنى جمهور المفسِّرين [5].

وهو الصحيح من سبب النزول ، فقد ثبت من حديث ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَصْبَحَ مِنْ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ؛ قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وكَذَا» قَالَ : فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ » [6].

وقد روي عن علي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قرأ : ﴿ وَتَجۡعَلُونَ شُكۡرَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [7].

وعن أبي حرزة رضي الله عنه [8] قال : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك ، قال : إنما مطرنا بنوء كذا وكذا [9].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٦٩) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٣٤) برقم : (١٨٨٠٦-١٨٨٠٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٩) عزوه لأحمد ، وابن منيع ، وعبد بن حميد ، والترمذي وحسنه ، وابن المنذر ، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ، وابن مردويه، والضياء في المختارة .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٨٤) ، والطبري (٢٢/٣٧٠) .

(٣) تفسير مجاهد (٢٨٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٧٢) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٧٢) .

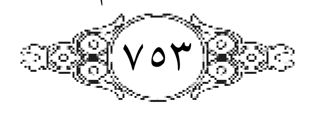
(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١٢٧) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٩٣) ، بحر العلوم (٣/٣٩٨) ، الكشف والبيان (٩/٢٢١) ، الوسيط (٤/٢٤٠) ، معالم التنزيل (٥/٢١) ، الكشاف (١٠٨٠) ، وحكى الإجماع في المحرر الوجيز (١٨١٧) ، زاد المسير (١٣٩٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٨٦) ، أنوار التنزيل (٥/١٨٣) ، مدارك التنزيل (٢/٦٤٢) ، التسهيل (٤/١٧٧) ، البحر المحيط (٨/٣٠٣) ، تفسير ابن كثير (٤/٣١٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٩٥) ، روح المعاني (٢٧/٢٣٨) ، فتح القدير (٥/٢٠٠) ، تفسير المراغي (٩/٣١٦) .

(٦) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٧٣) ، في كتاب الإيمان ، باب كفر من قال : مطرنا بالنَّوء .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٣٧١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٠) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) **أبو حِرْزة = يعقوب بن مجاهد القاص** ، يكنى أبا حَزْرة ، ويقال : أبا حِرْزَة ، وهو بها أشهر ، صدوق من السادسة ، روى عن : القاسم ، وعبادة بن الوليد ، وروى عنه : حسين الجعفي ، والقطان ، مات سنة تسع وأربعين أو خمسين بعد المائة . انظر : الكاشف (١/٦٠٨) ، تقريب التهذيب (٦٠٨) .

(٩) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٣٥) ، برقم : (١٨٨٠٧) .



وهذا كله من الاستسقاء بالأنواء الذي كان يفعله مشركوا العرب ، فيكون المعنى : أنَّكم تجعلون شكرَ الله على رزقِه إياكم نسبة النعمة إلى غيره ، وهذه صورة من صور التكذيب .

القول الثاني : هو أن يجعلوا شكر الله على ما رزقهم تكذيب رسوله ﷺ والكفر به ، وهو معنى قول الحسن البصري [(١)]، وقال الرازي رحمه الله : (فيكون المراد جميع ما صدر منهم من التكذيب ، وهو أقرب إلى اللفظ) [(٢)].

القول الثالث : الاكتساب بالسحر ، قاله عكرمة [(٣)].

القول الرابع : أنه ما يأخذه الأتباع من الرؤساء على تكذيب النبي ﷺ والصد عنه ، احتمله الماوردي [(٤)].

الجمع أو الترجيح :

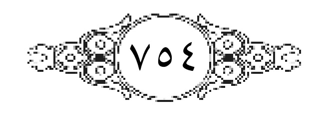
القول الأول هو سبب نزول الآية ، وهو الصحيح فيها ، وبقية الأقوال تحكي الخلاف في معناها ، فيقال : الآية عامة في مقابلة النِّعمة بالتكذيب والجحود والنكران للمنعِم المتفضِّل بها سبحانه ، ولثبوت سبب نزول الآية في السنَّة الصحيحة كان جمهور المفسِّرين على بيان أنَّ التكذيب هنا هو الاستسقاء بالأنواء ، وهو نوع من أنواع التكذيب .

قال السَّعدي رحمه الله : (وقوله : ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي : تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله ، فتقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وتضيفون النعمة لغير مسديها ومُوليها ، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه ، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله ، فإنَّ التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم) [(٥)].

والأصل أنَّ الآية عامة ، تشمل كلَّ تكذيب منهم ، سواءٌ كان بالاستسقاء بالأنواء ، أو بتكذيب رسول الله ﷺ ، أو غير ذلك .

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٨٤) ، والطبري (٢٢/٣٧٢) .
(٢) التفسير الكبير (٢٩/١٨٨) .
(٣) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٥/٤٦٥) .
(٤) النكت والعيون (٥/٤٦٥) .
(٥) تيسير الكريم الرحمن (٨٣٦) .



والقاعدة التفسيرية : أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [1].

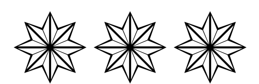
وقول عطاء الخراساني هو بيان لسبب نزول الآية ، وليس تفسيراً لها ، وقد وافق ابن عباس في ذلك .

قال ابن عاشور ﷺ : (وإذ كان التكذيب لا يصح أن يجعل رزقاً ؛ تعيَّن بدلالة الاقتضاء [2] تقدير محذوف يفيده الكلام ، فقدَّره المفسِّرون : شُكْر رزقكم، أو نحوه ، أي تجعلون شكر الله على رزقه إياكم أن تكذبوا بقدرته على إعادة الحياة ، لأنهم عدلوا عن شكر الله تعالى فيما أنعم به عليهم فاستنقصوا قدرته على إعادة الأجسام ، ونسَبوا الزرع لأنفسهم ، وزعموا أنَّ المطر تمطره النجوم المسماة بالأنواء ، فلذلك قال ابن عباس : نزلت في قولهم : مُطرنا بنوء كذا ، أي لأنهم يقولونه عن اعتقاد تأثير الأنواء في خَلْق المطر ، فمعنى قول ابن عباس : نزلت في قولهم : مطرنا بنوء كذا ، أنه مراد من معنى الآية) [3].

وأطال ﷺ النقاش في قول ابن عباس : " فنزلت هذه الآية " ، وأنها من مقول ابن عباس بعد زمن نزول الآية ، وانتصر لذلك .

وعلى كلِّ حال : فالآية عامة ، تفيد مقابلة النعم بالجحود ، وعدم الشكر للمنعم بها سبحانه وتعالى .

والحمد لله ، ،



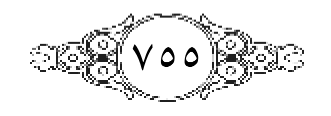
---

(١) قواعد التفسير (٢/٥٩٣) ، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٤٥) .

(٢) **دلالة الاقتضاء** = هي ما كان على محذوف دلَّ المقام عليه ، وتقديره لابدَّ منه ، لأنَّض الكلام دونه لا يستقيم لتوقُّف الصدق أو الصحة عليه . ومثال توقف الصدق عليه قوله ﷺ : " رُفِعَ عَنْ أُمَّتِيْ الخَطَأ والنِّسْيَانُ " . إذ لا بدَّ من تقدير محذوف ، أي : ذنب الخطأ والنسيان ، ولولا هذا التقدير لكان الخبر كاذباً لأنَّ الخطأ نفسه واقع ، وإنما رفع المؤاخذة عليه .

ومثال توقف الصحة شرعاً عليه قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي : فأفطر ، ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة : ١٨٤] . انظر : مذكرة في أصول الفقه (٢٨٢) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/٣٤٠) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة : ٩١] .

١٨٣- **قال عطاء الخراساني** : يسلِّم عليه الملائكة وجيرانه من أصحاب اليمين[١] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الآية أنَّ الملائكة وأصحاب اليمين يسلِّمون على المؤمن الذي من أصحاب اليمين ، وفيه بيان لفضلهم .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : يسلِّم عليه الملائكة وجيرانه من أصحاب اليمين ، وهذا قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : تأتيه الملائكة بالسلام من قبَل الله ، تسلِّم عليه ، وتخبره أنَّه من أصحاب اليمين ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٣] ، وقتادة [٤] ، واستحسنه ابن كثير [٥] ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢] .

القول الثالث : سلِم مما يكره ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد [٦] .

القول الرابع : يقال : سِلْمٌ لك ، حكاه الطبري عن بعض نحويي

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٢٢) ص١١١، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

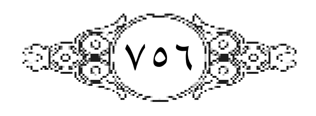
(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (١٢٩/٣) ، جامع البيان (٣٨٠/٢٢) ، بحر العلوم (٣٩٩/٣) ، الكشف والبيان (٢٢٥/٩) ، النكت والعيون (٤٦٧/٥)، زاد المسير (١٣٩٤) ، التفسير الكبير (١٩٣/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨٩/٢) ، التسهيل (١٧٩/٤) ، فتح القدير (٢٠٢/٥) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٨) لابن جرير – ولم أقف عليه عنده - ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٠/٢٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، ولفظه : سلام من عذاب الله ، وسلّمت عليه ملائكة الله .

(٥) تفسير ابن كثير (٣١٧/٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٠/٢٢) .



البصرة[1].

القول الخامس : فذلك مسلَّم لك أنَّك من أصحاب اليمين ، حكاه الطبري عن بعض نحويي الكوفة [2].

القول السادس : أنه كالدعاء له والمعنى : فسلامٌ لك ، أنَّك من أصحاب اليمين [3].

وهذا ما رجَّحه الطبري ﷺ وقال : (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فسَلام لك ، أنك من أصحاب اليمين ، ثم حُذفت أنْ ، واجتزئ بدلالة مِنْ عليها منها ، بمعنى : فسلمت من عذاب الله ، ومما تكره؛ لأنَّك من أصحاب اليمين) [4].

وبنحوه قول من قال : فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين يسلِّمون عليك ، قاله الزمخشري [5]، والبيضاوي [6]، وجماعة [7].

القول السابع : ترى فيهم يا محمد ما تحبُّ من السَّلامة ، وقد علمتَ ما أعدَّ لهم من الجزاء ، وهو قول الزجاج [8]، والواحدي [9]، والبغوي [10].

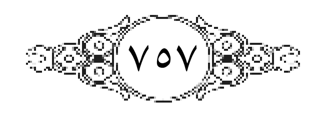
قال ابن عاشور : (فهذه محامل لهذه الآية يستخلص من مجموعها معنى الرفعة والكرامة) [11].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها محتملة ، ويمكن حمل المعنى عليها جميعاً ، إذ يمكن أن

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (٢٢/٣٨٠) .
(٢) المصدر السابق (٢٢/٣٨١) .
(٣) المصدر السابق (٢٢/٣٨١) .
(٤) المصدر السابق (٢٢/٣٨١) .
(٥) الكشاف (١٠٨١) .
(٦) أنوار التنزيل (٥/١٨٤) .
(٧) انظر : مدارك التنزيل (٢/٦٤٣) ، البحر المحيط (٨/٣٠٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/١٩٦) ، روح المعاني (٢٧/٢٤٥) ، تفسير المراغي (٩/٣١٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٦) .
(٨) معاني القرآن (٥/٩٤) .
(٩) الوسيط (٤/٢٤٢) .
(١٠) معالم التنزيل (٥/٢٢) .
(١١) التحرير والتنوير (٢٧/٣٤٩) .



يكون هذا التسليم من الملائكة له ، أو من أصحاب اليمين ، ويمكن أنه دعاء له بالسلامة من كل ما يكره ، أو بشارة له أنه من أصحاب اليمين .

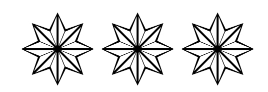
والمخاطب في ذلك يحتمل أن يكون النبي ﷺ لتنزّل الوحي عليه ، وإما أنَّ المخاطب هو المؤمن الذي صار من أصحاب اليمين .

وعلى كل حال فالمقصود كما قال الراغب رحمه الله : (فهذا لا يكون لهم بالقول فقط ، بل ذلك بالقول والفعل جميعاً) [١].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [٢].

قال ابن عطية رحمه الله : (﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ عبارة تقتضي جملة مدح ، وصفة تخلّص ، وحصول في عالٍ من المراتب ليس في أمرهم إلا السلام والنجاة من العذاب ، وهذا كما تقول في مدح رجل : أما فلان فناهيك به ، أو فحسبك أمره ، فهذا يقتضي جملة غير مفصَّلة من مدحه ، وقد اضطربت عبارات المتأولين في قوله تعالى : ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ ﴾ فقال قوم : المعنى : فيقال له مسلَّم لك إنك من أصحاب اليمين ، وقال الطبري المعنى : ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ ﴾ أنت ﴿ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ ، وقيل المعنى ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ ﴾ يا محمد ، أي لا ترى فيهم إلا المسالمة من العذاب ، فهذه الكاف في ذلك إما أن تكون للنبي عليه السلام وهو الأظهر ، ثمَّ لكل معشرٍ فيها من أمته ، وإما أن تكون لمن يخاطَب من أصحاب اليمين ، وغير هذا مما قيل تكلُّف) [٣].

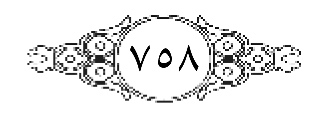
والله أعلم ،،



(١) المفردات في غريب القرآن (٢٤٦) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٣) المحرر الوجيز (١٨١٨) .



سورة المجادلة

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة : ٤] [(١)].

١٨٤- **قال عطاء الخراساني** : إذا أفطر من مرض فإنه يستقبل [(٢)] .

الدراسة :

* اتفق العلماء على أنه إذا أفطر في صيام كفارة الظّهار يوماً بغير عذر فإنَّ عليه أن يستقبل ؛ واختلفوا فيمن أفطر لمرض أو عذر أو غيره على أقوال :

الأقوال في المسألة [(٣)]:

القول الأول : أنَّ من أفطر بعذر من مرض ونحوه في صيام الكفارة في الظهار فإنه يجب عليه الاستئناف في الصيام لزوال التتابع المشروط ، ويستقبل الصيام من جديد عملاً بظاهر الآية ، وهذا قول عطاء الخراساني ، والنخعي [(٤)]، والزهري ، والحكَم بن كيسان [(٥)(٦)]، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، وروي عن الشافعي رحمه الله .

القول الثاني : أنه لا يستأنف ، ويبني على ما صام قبل حصول العذر ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعطاء بن أبي رباح ،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) ﴾ .

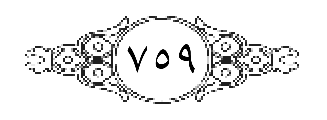
(٢) ذكره عنه السمرقندي في بحر العلوم (٣/٤١٤) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٩/٢٥٦) ، المغني (٢/١٨٩٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٠١١) ، روح المعاني (٢٨/٢١) ، فتح القدير (٥/٢٢٧) ، أضواء البيان (٦/٣٦٤) ، تفسير آيات الأحكام (٢/٥١١) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٦٤) .

(٥) **الحكم بن كيسان** = مولى هشام بن المغيرة المخزومي - والد أبي جهل - ، أسر في أول سرية جهزها رسول الله ﷺ من المدينة ، وأميرها عبد الله بن جحش ، فأسر الحكم المذكور ، فقدموا به على رسول الله ﷺ ، والقصة مشهورة في السير لابن إسحاق ، وروى الواقدي عن المقداد بن عمرو وقال : أنا الذي أسرت الحكَم، فأراد عمر قتله فأسلم عند رسول الله ﷺ ، وقتل شهيداً ببئر معونة . انظر : الإصابة (٢/١٠٩) .

(٦) بحر العلوم (٣/٤١٤) .



وعمرو بن دينار [(١)]، وعامر الشعبي [(٢)]، وهو مذهب الإمام أحمد ، والصحيح من مذهب الشافعي [(٣)]، واختيار القنوجي [(٤)]، وجماعة من العلماء.

قال ابن قدامة ﷺ في المغني : (وإن أفطر لمرض مخوف لم ينقطع التتابع أيضاً ، روي ذلك عن ابن عباس ، وبه قال ابن المسيب ، والحسن ، وعطاء، والشعبي ، وطاوس ، ومجاهد ، ومالك ، وإسحاق ، وأبو عبيد ، وأبو ثور ، وابن المنذر ، والشافعي في القديم ، وقال في الجديد : ينقطع التتابع ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والنخعي ، والحكم ، والثوري ، وأصحاب الرأي، لأنه أفطر بفعله فلزمه الاستئناف كما لو أفطر لسفر . ولنا : إنه أفطر لسبب لا صنع له فيه فلم يقطع التتابع كإفطار المرأة للحيض وما ذكروه من الأصل ممنوع) [(٥)].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – أنَّ من أفطر في صيام كفارة الظِّهار بعذر شرعي فإنه يبني على ما سبق ، ولا يعيد ، وهذا القول هو الذي عليه المحققون من أهل العلم .

قال الطبري ﷺ : (وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال : يبني المفطر بعذر ، ويستقبل المفطر بغير عذر ، لإجماع الجميع على أنَّ المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر ، فمثله ، لأنَّ إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قِبل الله ، فكلّ عذر كان من قِبل الله فمثله) [(٦)] .

وقال الشنقيطي ﷺ : (الأظهر عندي في هذا الفرع : أنَّ قطع تتابع صوم كفارة الظهار بالإفطار في أثناء الشهرين إن كان لسبب لا قدرة له على التحرُّز

---

(١) **عمرو بن دينار** = أبو محمد ، مولى قريش ، مكي إمام ، روى عن بن عباس ، وابن عمر، وجابر ، وابن الزبير رضي الله عنهم ، ورأى عبد الله بن جعفر بن محمد ، وروى عنه : شعبة ، والسفيانان ، مات سنة ست وعشرين ومائة للهجرة ، في أولها عن ثمانين سنة. انظر : الكاشف (٢/٧٥) .

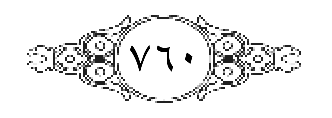
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٦٢-٤٦٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٠١١) .

(٤) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (٤٣٤) .

(٥) المغني (٢/١٨٩٤) .

(٦) جامع البيان (٢٢/٤٦٥) .



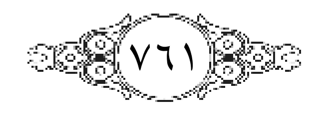
عنه ، كالمرض الشديد الذي لا يقدر معه على الصوم أنه يعذر في ذلك ولا ينقطع حكم التتابع ، لأنه لا قدرة له على التحرز عنه ، كالمرض الشديد الذي لا يقدر معه على الصوم أنه يعذر في ذلك ولا ينقطع حكم التتابع ، لأنه لا قدرة له على التحرز عن ذلك والله جل وعلا يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ويقول : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] ، والنبي ﷺ يقول : « ... وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » [(١)]، وإن كان يمكنه التحرز عن الإفطار الذي قطع به التتابع كالإفطار للسفر في أثناء صوم الكفارة، وكما لو كان ابتداء صومه الكفارة من شعبان ، لأنَّ شهره الثاني رمضان ، وهو لا يمكن صومه عن الكفارة ، وكما لو ابتدأ الصوم في مدة يدخل فيها يوم النحر أو يوم الفطر أو أيام التشريق ، فإنَّ التتابع ينقطع بذلك ، لأنه قادر على التحرز عن قطعه بما ذكر لقدرته على تأخير السفر عن الصوم كعكسه ، ولقدرته أيضاً على الصوم في مدة لا يتخللها رمضان ، ولا العيدان ، ولا أيام التشريق كما لا يخفى ، وإذا قطع التتابع فإفطار هو قادر على التحرز عنه بما ذكر ، فكونه يستأنف صوم الشهرين من جديد ظاهر لقوله تعالى : ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [المجادلة : ٤] ، وقد ترك التتابع مع قدرته عليه ، هذا هو الأظهر عندنا ، والعلم عند الله تعالى) [(٢)].

قال شيخنا محمد العثيمين رحمه الله : (والصحيح : أنَّ المرض إذا كان يبيح الفطر ، - سواء أكان مخوفاً أم غير مخوف - عذرٌ في إسقاط التتابع ... إلى أن قال : والدليل على أنَّ السفر لا يقطع التتابع في الصوم : أنَّ الله تعالى أباح للإنسان إذا سافر في نهار رمضان أن يفطر ، وهو أوكد من صيام الكفارة ، وركن من أركان الإسلام ، والتتابع فيه ظاهر ؛ لأنه لا يجوز أن يفطر يوماً من رمضان بدون عذر ، فهذا أيضاً مثله فلا ينقطع التتابع ، فإذا كان قد صام شهراً

---

(١) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٧٢٨٨) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٣٣٧) في كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أضواء البيان (٦/٣٦٤) .



وسافر عشرة أيام ورجع إلى بلده فإنه يكمل ، فيصوم شهراً ولا حرج عليه . فالضابط أنه إذا تخلل صومَه صومٌ يجب ، أو فطر يجب ، أو فطر مباح ، فإنه لا ينقطع التتابع ، فإن تخلله صوم مستحب أو صوم مباح ينقطع التتابع) [(١)].

ومقصود الشَّرع في الكفارة أن يؤدَّب المظاهر ؛ ولذلك جعل الشهرين متتابعين حتى أنَّ الصحيح القوي في صيامه للشهرين المتتابعين يجد المشقة والعناء ، زجراً من الله له عن ارتكاب ما يوجب الكفارة مرةً ثانية ، وزجراً من الله عز وجل لعبده عن الوقوع فيما نهاه عنه ، وزجره عنه لما حرمه ، وإلا كانت الكفارات لا تؤدي ولا تحقق مقصود الشرع .

والله أعلم ، ،

❋❋❋

(١) الشرح الممتع (١٣/٢٧٢) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة : ٤] .

١٨٥- **قال عطاء الخراساني** : أعان النبي ﷺ زوجَ خولة بنت ثعلبة [١] بخمسة عشر صاعاً [٢] [٣] .

الدراسة :

* زوج خولة بنت ثعلبة هو أوس بن الصامت [٤]، وقد ظاهر من زوجته، فجاءت تشكي حالها إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله أحكام الظهار صدر هذه السورة ، قال ابن عبد البر رحمه الله : (فأمره رسول الله ﷺ أن يكفِّر بخمسة عشر صاعاً من شعير على ستين مسكيناً) [٥] .

ولم يكن أوس بن الصامت يقدر على العتق والصيام والإطعام فأعانه النبي ﷺ بما يتصدَّق به ، واختلفوا في المقدار الذي أعانه به النبي ﷺ على أقوال .

الأقوال في المسألة [٦] :

القول الأول : أنَّ النبي ﷺ أعانه بخمسة عشر صاعاً ، قاله عطاء

---

(١) **خولة بنت ثعلبة** = الصحابية الجليلة : خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصارية الخزرجية ، ويقال : خولة بنت ثعلبة بن مالك ، ويقال : بنت مالك بن ثعلبة، ويقال : دليج ، ويقال : بنت الصامت ، وهي المجادلة التي ظاهر منها زوجها ، ويقال لها : خويلة بنت ثعلبة . انظر : تهذيب التهذيب (١٢/٤٤٣) .

(٢) **الصاع** = مِكْيَالٌ لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد ، وصاع النبي ﷺ الذي بالمدينة أربعة أمداد بمدهم المعروف عندهم ، والمد مختلف فيه ؛ فقيل هو : رطل وثلث بالعراقي ، وبه يقول الشافعي وفقهاء الحجاز ، فيكون الصاع خمسة أرطال وثلثا على رأيهم . انظر : لسان العرب (٨/٣٠٦) .

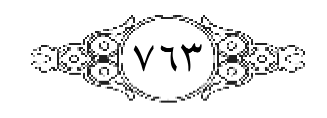
والرِّطل : - بالفتح والكسر ، والكسر أشهر – وهو اثنتا عشرة أوقية بأواقي العرب ، والأوقية أربعون درهماً انظر : لسان العرب (٦/١٧٠) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٧٣) لعبد بن حميد .

(٤) **أوس بن الصامت** = الصحابي الجليل : أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج الأنصاري ، أخو عبادة ، شهد بدراً ، وأحداً ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، مات أيام عثمان رضي الله عنه وله خمس وثمانون سنة . انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١١٨) ، تقريب التهذيب (١١٦) .

(٥) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١١٨) .

(٦) انظر : الدر المنثور (٨/٧٢-٧٤) .



الخراساني، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[1] ، ويزيد بن زيد الهمداني[2][3]، وابن أبي ليلى[4][5]وزاد : من شعير .

وقد جاء معنى العَرَق بأنه خمسة عشر صاعاً في حديث أبي سلمة ، ومحمد بن ثوبان عند الترمذي أَنَّ سَلْمَانَ بْنَ صَخْرٍ الأَنْصَارِيَّ أَحَدَ بَنِي بَيَاضَةَ جَعَلَ امْرَأَتَهُ عَلَيْهِ كَظَهْرِ أُمِّه حَتَّى يَمْضِيَ رَمَضَانُ فَلَمَّا مَضَى نِصْفٌ مِنْ رَمَضَانَ وَقَعَ عَلَيْهَا لَيلاً فَأَتَى رَسُولَ اللَّه ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « أَعْتِقْ رَقَبَةً » ، قَالَ: لا أَجِدُهَا ، قَالَ : « فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ » ، قَالَ : لا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : « أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا » ، قَالَ : لا أَجِدُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لِفَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو: « أَعْطِه ذَلِكَ الْعَرَقَ » ، وَهُوَ مِكْتَلٌ يَأْخُذُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ صَاعًا إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا [6].

القول الثاني : أنَّ النبي ﷺ أعانه بشطر وسَق من شعير ، وهذا قول أبو يزيد المدني [7][8].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٧٢) لابن مردويه .

(٢) **يزيد بن زيد الهمداني** = شيخ يروي عن خولة بنت الصامت ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي لا يعرف بعدالة ولا جرح إلا أنه روى أشياء مناكير لم يتابع عليها ، على قلة روايته ، فهو يتنكب عن الاحتجاج بما انفرد من الروايات لأن الله جل وعلا لم يكلف عباده أخذ دينه عمن ليس يعرف بعدالة .انظر : المجروحين (٣/١٠٣).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٧٤) لعبد بن حميد .

(٤) **ابن أبي ليلى** = هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، عالم الكوفة ، روى عن أبيه ، وعمر ، ومعاذ ، وروى عنه : ابنه عيسى ، وحفيده عبد الله ، وثابت ، كان أصحابه يعظمونه كأنه أمير ، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين ، وقيل إنه غرق . انظر : الكاشف (١/٦٤١) ، تقريب التهذيب (٣٤٩) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٧٣) لعبد بن حميد .

(٦) **حسن** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (١٢٠٠) في كتاب الطلاق ، باب ما جاء في كفارة الظهار ، قال الترمذي : (هذا حديث حسن .. والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم في كفّارة الظِّهار) ، قال المباركفوري (٤/٣٢١) : (وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ الْجَارُود وَقَدْ أَعَلَّهُ عَبْدُ الْحَقِّ بِالانْقِطَاعِ ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَارٍ لَمْ يُدْرِكْ سَلَمَةَ . وَقَدْ حَكَى ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ الْبُخَارِيِّ وَفِي إِسْنَادِه مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) . والحديث حسّنه البيهقي في السنن الصغير (٣/١٣٩) وقال : له متابعة ، وكذا ابن الملقن في تحفة المحتاج (٢/٤٠٦) قال : صحيح أو حسن . وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٣٣) : حسن أو أعلى .

(٧) **أبو يزيد المدني** = في أهل البصرة ، روى عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأسماء بنت عميس ، وأم أيمن ، وعكرمة مولى بن عباس ، وغيرهم ، وروى عنه : أيوب ، وأبو الهيثم قطن بن كعب ، وأبو عامر الخزاز ، وجرير بن حازم ، وغيرهم قال أبو داود : سألت أحمد عنه فقال : تسأل عن رجل روى عنه أيوب ، وقال ابن أبي حاتم : يروي عن بن عباس ، وتارة يدخل بينه وبين ابن عباس عكرمة ، قال : وسألت أبي عنه فقال : يكتب حديثه ، قلت ما اسمه ؟ قال : لا يسمى . انظر : تهذيب التهذيب (١٢/٣٠٦) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٧٣) لعبد بن حميد ، عن أبي زيد المدني ، والصواب : يزيد ، وهو من

والوسق : ستون صاعاً [1].

القول الثالث : أنّ النبي ﷺ أعانه بعرَق ستون صاعاً ، وقيل : العرق مكتل يسع ثلاثين صاعاً ، وصححه أبو داود ، وقال : (وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ آدَمَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا أَبَانُ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : يَعْنِي بِالْعَرَقِ زِنْبِيلاً يَأْخُذُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا) [2].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – أنَّ النبي ﷺ أعطى الرجل الذي ظاهر وهو أوس بن الصامت عرَقاً ، فقد روى أبو داود في سننه عَنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ : ظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشْكُو إِلَيْهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَادِلُنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ : « اتَّقِي اللَّهَ فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ » ، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إِلَى الْفَرْضِ ، فَقَالَ : « يُعْتِقُ رَقَبَةً » ، قَالَتْ : لا يَجِدُ ، قَالَ : « فَيَصُومُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ »، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ ، قَالَ : « فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِيناً » ، قَالَتْ : مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ ، قَالَتْ : فَأُتِيَ سَاعَتَئِذٍ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَإِنِّي أُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ ، قَالَ : « قَدْ أَحْسَنْتِ اذْهَبِي فَأَطْعِمِي بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَارْجِعِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ » ، قَالَ : وَالْعَرَقُ سِتُّونَ صَاعًا [3].

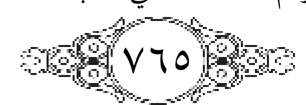
قَالَ أَبُو دَاوُد : (وَهَذَا أَخُو عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ

رجال البخاري في صحيحه ، وقد ذكر عنه الأثر ابن قدامة في المغني (٢/١٨٩٥) .

(١) **الوَسَق** = بالفتح كما ضبطه غير واحد وهو المشهور ، وفيه لغة أخرى بكسر الواو . نقله ابن الأثير وعياض وابن قرقول والفيومي وهو مكيلة معلومة وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ ، وهو خمسة أرطال وثلث . فالوسق على هذا الحساب مائة وستون منا . وقال الزجاج : كل وسق بالملجم ثلاثة أقفزة . قال : وستون صاعاً : أربعة وعشرون مكوكاً بالملجم وذلك ثلاثة أقفزة . وفي التهذيب : الوسق بالفتح : ستون صاعا وهو ثلثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز ، وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد ، انظر : لسان العرب (١٥/٢١٢) ، والمعروف عند العرب أنَّ الوسق ستون صاعاً ، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : مجموع الفتاوى (١٩/٢٤٩) ، (٢٥/٢٣) ، (٢٥/٥١) .

(٢) ذكره أبو داود بعد الحديث رقم : (٢٢١٤) وسيأتي ذكره .

(٣) **صحيح** . أخرجه أبو داود في سننه برقم : (٢٢١٤) في كتاب الطلاق ، باب في الظهار .



حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى أَبُو الأصبغ الْحَرَّانِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ابْنِ إِسْحَقَ بِهَذَا الإِسْنَادِ نَحْوَهُ إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ وَالْعَرَقُ مِكْتَلٌ يَسَعُ ثَلاثِينَ صَاعاً) .

والعرق هو مكتَل تكال به الأشياء ، وقد ورد ذكره في السنة الصحيحة فيما أخرج البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّهُ احْتَرَقَ ! ، قَالَ « مَا لَكَ ؟ » ، قَالَ : أَصَبْتُ أَهْلِي فِي رَمَضَانَ ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ **بِمِكْتَلٍ يُدْعَى الْعَرَقَ** ، فَقَالَ : « أَيْنَ الْمُحْتَرِقُ ؟ » ، قَالَ : أَنَا ، قَالَ : « تَصَدَّقْ بِهَذَا » [(1)].

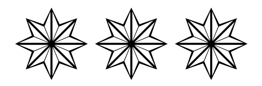
وكذلك أخرجه من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : هَلَكْتُ ، وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ ، قَالَ : « أَعْتِقْ رَقَبَةً » ، قَالَ : لَيْسَ لِي، قَالَ : « فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ » ، قَالَ : لا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : « فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا » قَالَ : لا أَجِدُ ، فَأُتِيَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ - أحد رواة الحديث - : **الْعَرَقُ الْمِكْتَلُ** - ، فَقَالَ : « أَيْنَ السَّائِلُ تَصَدَّقْ بِهَا » ، قَالَ : عَلَى أَفْقَرَ مِنِّي ؟ وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنَّا ! ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ قَالَ : « فَأَنْتُمْ إِذًا » [(2)].

ومما سبق يظهر لي – والله أعلم – أنَّ العَرَق بفتح العين والراء ويسكَّن ، هو مِكتَل منسوج من خوص ، يسع خمسة عشر صاعاً [(3)].

وقد يكون الغالب على العرق هذا أنه يسع خمسة عشر صاعاً ، وقد تزيد بحسب حجمه ، ولا تعارض في ذلك بسبب التسمية .

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح ، مستنبط من الأدلة الصحيحة .

والحمد لله ، ،

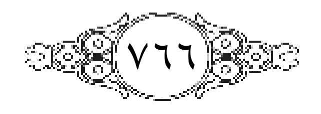


---

(1) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (١٩٣٥) في كتاب الصوم ، باب إذا جامع في رمضان . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١١١٢) في كتاب الصيام ، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم .

(2) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٦٠٨٧) في كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك .

(3) انظر : تحفة الأحوذي (٤/ ٣٢١) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة : ٨] [(١)].

١٨٦- **قال عطاء الخراساني** : كانوا يقولون إذا جاءوا إلى النبي ﷺ : سام عليك[(٢)].

الدراسة :

* قول عطاء الخراساني في هذه الآية قال به أنس بن مالك [(٣)]، وابن عباس[(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وقتادة [(٦)]، وابن زيد [(٧)]، وهو الموافق لما ثبت في السنة الصحيحة من حديث عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكَ ، فَلَعَنْتُهُمْ ، فَقَالَ : « مَا لَكِ ؟! » ، قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟! قَالَ : « فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ » [(٨)]. والسام هو : الموت .

وفي لفظ عند مسلم : فَفَطِنَتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَهْ يَا عَائِشَةُ ! ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ » ، وَزَادَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [(٩)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٠) ، ص١١٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٦٩٢٦) في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب إذا عرَّض الذمي وغيره بسبِّ النبي ﷺ ولم يصرِّح ، والطبري في تفسيره (٢٢/٤٧٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٧٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٤٣) برقم : (١٨٨٤٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٨٠) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وابن مردويه .

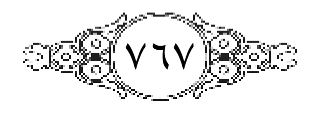
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٧٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٨٠) لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٢٩٢) ، والطبري (٢٢/٤٧٢) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٤٧٣) .

(٨) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٩٣٥) في كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، وبرقم : (٦٠٢٤) في كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، وبرقم : (٦٠٣٠) في كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ، وبرقم : (٦٣٩٥) في كتاب الدعوات ، باب الدعاء على المشركين ، وبرقم : (٦٤٠١) في كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ يستجاب ، وبرقم : (٦٩٢٧) في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب إذا عرَّض الذمي وغيره بسبِّ النبي ﷺ ولم يصرِّح .

(٩) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢١٦٥) في كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، وكيف يُردُّ عليهم .



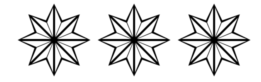
وجمهور المفسِّرين على هذا المعنى [١].

وعلى هذا فالآية نزلت في اليهود ، كما يتَّضح من هذه القصة .

وقيل : إنها نزلت في المنافقين ، رواه عطية عن ابن عباس [٢].

والأول هو الصحيح ، لأنَّ الحديث صريح صحيح ، والقاعدة التفسيرية: أنه إذا ثبت الحديث ، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره [٣].

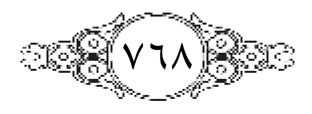
والحمد لله ، ،



(١) انظر : تفسير مجاهد (٢٨٩) ، معاني القرآن للفراء (١٣٩/٣) ، جامع البيان (٤٧٠/٢٢) ، معاني القرآن للزجاج (١٠٨/٥) ، تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٤٣/١٠) ، بحر العلوم (٤١٦/٣) ،الكشف والبيان (٢٥٧/٩) ، النكت والعيون (٤٩١/٥) ، الوسيط (٢٦٤/٤) ، معالم التنزيل (٤٣/٥) ، الكشاف (١٠٨٩)، المحرر الوجيز (١٨٣٣) ، زاد المسير (١٤٠٧) ، التفسير الكبير (٢٥١/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٠١٥/٢)، أنوار التنزيل (١٩٤/٥) ، مدارك التنزيل (٦٥٧/٢) ، التسهيل (١٩٦/٤) ، البحر المحيط (٣٣٠/٨) ، تفسير ابن كثير (٣٤١/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢١٧/٦) ، روح المعاني (٣٧/٢٨)، الدر المنثور (٨٠/٨) ، فتح القدير (٢٣٢/٥) ، تفسير المراغي (٩/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٤٦) .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٠٧) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١) .



سورة الحشر

* في قول الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ [الحشر : ٥] [(١)].

١٨٧- **قال عطاء الخراساني** : لما وجه أبو بكر الجيش إلى الشام كان فيما أوصاهم به ولا تقطع شجرة مثمرة [(٢)] .

الدراسة :

* يروي عطاء الخراساني في هذا الموضع قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه للجيش حينما أرسله إلى الشام ، وهي وصية مشهورة في كتب التاريخ ، قال فيها : (أوصيكم بتقوى اللّه ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثِّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً) [(٣)].

ولعلَّ مراد عطاء الخراساني من ذكر قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند هذه الآية هو ضرب المثل في تفسير الآية بفعل أبي بكر رضي الله عنه .

قال الجصَّاص رحمه الله : (تأوله محمد بن الحسن على أنهم قد علموا أن الله سيغنمهم إياها وتصير للمسلمين إذا غزوا أرض الحرب ، وأرادوا الخروج فإن الأولى أن يحرقوا شجرهم وزروعهم وديارهم ، وكذلك قال أصحابنا في مواشيهم : إذا لم يمكنهم إخراجها ذبحت ثم أحرقت ، وأما ما رجوا أن يصير فيئاً للمسلمين فإنهم إن تركوه ليصير للمسلمين جاز ، وإن أحرقوه غيظاً للمشركين جاز استدلالاً بالآية ، وبما فعله النبي ﷺ في أموال بني النضير)[(٤)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ .

(٢) ذكره عنه الجصاص في أحكام القرآن (٣/٦٤٢) ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال : .. وقد سبقت دراسة عثمان بن عطاء الخراساني وأنه ضعيف جداً . وبناءً عليه فهذا الأثر ضعيف .

(٣) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/٢٤٦) ، تاريخ مدينة دمشق (٢/٥٠) ، المنتظم (٤/١١٦) ، الكامل في التاريخ (٢/٢٠٠) .

(٤) أحكام القرآن (٣/٦٤٢) .



سورة الممتحنة

* في قول الله تعالى : ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[الممتحنة : ٤] [(١)].

١٨٨- **قال عطاء الخراساني** : الأسوة لكم في هذا الوجه لا في هذا الآخر ، لأنه كان في علَّة [(٢)] ليست في نازلتكم [(٣)] .

وفي لفظ : يعني تأسَّوا بإبراهيم ؛ إلاَّ في استغفاره لأبيه فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين ، لأنَّ استغفاره إنما كان عن موعدة وعدها إياه [(٤)] .

الدراسة :

* الأسْوة : هي القُدوة التي يقتدَى بها في فعل ما ، فوصفت في الآية بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ وصفاً للمدح لأنَّ كونها حسنة قد علم من سياق ما قبله وما بعده[(٥)].

الأقوال في الآية[(٦)] :

القول الأول : تأسوا بإبراهيم في البراءة من المشركين واقتدوا به ، إلا في استغفاره لأبيه فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين ، لأنَّ استغفاره إنما كان عن موعدة وعدها إياه ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)] ، ومجاهد [(٨)]، وقتادة [(٩)]، وابن زيد [(١٠)]، وعليه جمهور المفسِّرين [(١١)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ .

(٢) في البحر المحيط (٣٢٦/٨) بلفظ : لأنه كان لعلمه ليست في نازلتكم .

(٣) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٨٤٧) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣٢٦/٨) .

(٤) ذكره عنه بهذا اللفظ : الثعالبي في الجواهر الحسان (٣٢٤/٣) .

(٥) انظر : التحرير والتنوير (١٤٣/٢٨) .

(٦) النكت والعيون (٥١٨/٥) .

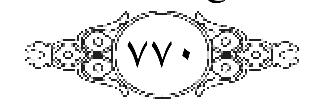
(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٤٩/١٠) برقم : (١٨٨٦١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٨) عزوه لابن المنذر ، والحاكم وصححه .

(٨) تفسير مجاهد (٢٩٣) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٧/٢٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٨) لعبد بن حميد.

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٠٣/٣) ، والطبري في تفسيره (٥٦٨/٢٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٨) لعبد بن حميد.

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦٨/٢٢) .

(١١) انظر : معاني القرآن للفراء (١٤٨/٣) ، جامع البيان (٥٦٧/٢٢) ، معاني القرآن للزجاج (١٢٤/٥) ، بحر



القول الثاني : معناه إلا إبراهيم فإنه استثنى أباه من قومه في الاستغفار له، حكاه الكلبي [(١)]؛ فهو استثناء منقطع ، أي : لكن قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك ، إنما جرى لأنه ظن أنه أسلم ، فلما بان له أنه لم يسلم تبرأ منه [(٢)] [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الراجح هو القول الأول الذي قاله عطاء الخراساني ، وهو قول الجمهور ، وهو الذي تشهد له عموم الأدلة ، والظاهر من معنى الآية ، أنه استثناء من الأمور التي أمر الله فيها بالتأسي بإبراهيم ﷺ والذين معه ، والقاعدة التفسيرية : يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق ، والموافقة لأدلة الشرع [(٤)].

والقاعدة الأخرى : إذا ورد الاستثناء بعد مفردات أو جمل متعاطفة ، عاد إلى جميعها إلا بقرينة [(٥)].

قال الشنقيطي رحمه الله : (لم يبين هنا سبب هذا الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا ؟ وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال

العلوم (٤٣٧/٣) ،الكشف والبيان (٢٩٣/٩) ، الوسيط (٢٨٤/٤) ، معالم التنزيل (٧٠/٥) ، الكشاف (١٠٩٨)، المحرر الوجيز (١٨٤٧) ، زاد المسير (١٤٢٥) ، التفسير الكبير (٢٧٩/٢٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤٨/٢) ، أنوار التنزيل (٢٠٥/٥) ، مدارك التنزيل (٦٧٣/٢) ، التسهيل (٢١٤/٤) ، البحر المحيط (٣٥٦/٨) ، تفسير ابن كثير (٣٦٧/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٣٦/٦) ، روح المعاني (١٠٤/٢٨) ، فتح القدير (٢٦٣/٥) ، تفسير المراغي (٤٢/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٥٦) ، أضواء البيان (٩٣/٨) .

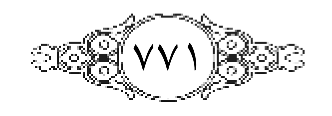
(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٥١٨/٥) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤٨/٢) .

(٣) فائدة : قال القرطبي رحمه الله : (وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ، لأنا حين أمرنا بالاقتداء به أمرنا أمراً مطلقاً في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] ، وحين أمرنا بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام استثنى بعض أفعاله) ، انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤٨/٢) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٣٥/٢) .

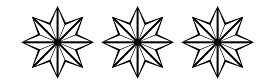
(٥) قواعد التفسير (٦١١/٢) .



لـه أبـوه : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ [مريم : ٤٦ - ٤٧] ، فكـان قـد وَعـده ووفَّى بعهده ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذه التبرؤ من أبيه، لما تبين له أنه عدو لله) [1].

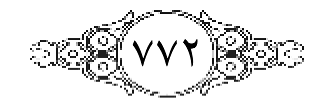
وقال ابن عاشور رحمه الله : (الأظهر أنَّ هذه الجملة معترضة بين جمـل حكايـة مقـال إبـراهيم والـذين معـه ، وجملـة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الممتحنة : ٦] ، والاسـتثناء منقطع إذ ليس هذا القول من جنس قولهم : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ ﴾ الخ ، فإنَّ قـول إبـراهيم لأبيه : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ رفقٌ بأبيه ؛ وهو يغاير التـبرُّؤ منـه ، فكـان الاسـتثناء في معـنى الاسـتدراك عـن قولـه : ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ ﴾ الـشامل لمقالـة إبـراهيم معهـم لاختلاف جنسي القولين) [2].

والله أعلم ، ،



(١) أضواء البيان (٨/٩٣-٩٤) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/١٤٥) .



سورة الصفّ

* في قول الله تعالى : ﴿بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف : ٤] [(١)].

١٨٩- **قال عطاء الخراساني** : ملصق بعضه ببعض [(٢)].

الدراسة :

* في هذه الآية حثٌّ من الله لعباده على الجهاد في سبيله ، وأنه ينبغي لهم أن يصفّوا في الجهاد صفاً متراصاً متساوياً ، من غير خلل يقع في الصفوف ، ويحصل بذلك المساواة بين المجاهدين والتعاضد ، وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضاً [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : ملصق بعضه ببعض ، فهو محكم متقن ، لا ترى فيه كوَّة ولا ثقباً ، لأنَّ ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف ، وهذا معنى قول عطاء الخراساني ، وابن عباس رضي الله عنهما[(٥)] ، وسعيد بن جبير [(٦)]، وقتادة[(٧)]، واختاره الطبري [(٨)]، والزجاج [(٩)]، وهو قول الجمهور [(١٠)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٦) ، ص١٢٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٨٥٨) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٥/٥٢٨) ، زاد المسير (١٤٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٠٥٩) ، البحر المحيط (٨/٣٦٢) .

(٥) أخرجه عنه البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب تفسير القرآن ، عند أبواب سورة الصف (٦/١٨٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٥٤) برقم : (١٨٨٨٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٤٧) عزوه لابن المنذر .

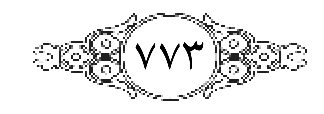
(٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٥/٥٢٨) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٢/٦١١) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٥٤) برقم : (١٨٨٨٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٤٧) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) جامع البيان (٢٢/٦١١) .

(٩) معاني القرآن للزجاج (٥/١٢٩) .

(١٠) انظر : الكشف والبيان (٩/٣٠٣) ، الوسيط (٤/٢٩١) ، معالم التنزيل (٥/٧٩) ، الكشاف (١١٠٢) ، المحرر الوجيز (١٨٥٢) ، زاد المسير (١٤٣١) ، التفسير الكبير (٢٩/٢٨٨) ، أنوار التنزيل (٥/٢٠٨) ،



والمقصود من الآية : بيان أنَّ الله يحبّ من يثبت في القتال ، ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص .

القول الثاني : المرصوص : المبني بالرصاص ، قاله الفراء [(١)].

الجمع أو الترجيح :

القولان متقاربان ، والمقصود : أنَّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله وهم على قلب رجل واحد ، ويثبتون في المعركة ولا يتقهقرون ، فهو تشبيه لهم في تلاحمهم وقوتهم بالبنيان المرصوص .

قال الراغب : (مُحكَم كأنما بني من الرصاص) [(٢)]، وبنحوه قال السمرقندي [(٣)].

وقال ابن عطية ﷺ : (وهذا يحتمل أن يكون أصل اللفظة) [(٤)].

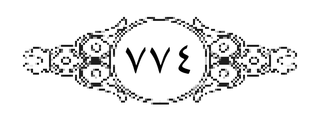
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٥)].

قال الشنقيطي ﷺ : (والواقع أنَّ المراد بالتشبيه هنا هو وجه الشبه ، ولا يصح أن يكون هنا هو شكل البناء لا في تلاحمه بالرصاص ، وعدم انفكاكه ولا تساويه وتراصه ، لأنَّ ذلك يتنافى وطبيعة الكرِّ والفرِّ في أرض المعركة ، ولكلِّ وقعة نظامها حسب موقعها ، والذي يظهر والله تعالى أعلم : أنَّ وجه الشبهة المراد هنا هو عموم القوة والوحدة) [(٦)].

قال الزمخشري ﷺ : (وقيل : يجوز أن يريد استواء نيَّاتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص) [(٧)].

مدارك التنزيل (٦٧٩/٢) ، التسهيل (٢٢١/٤) ، تفسير ابن كثير (٣٧٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٤٢/٦) ، روح المعاني (١٢٤/٢٨) ، فتح القدير (٢٧٢/٥) ، تفسير المراغي (٥١/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٥٨) ، التحرير والتنوير (١٧٦/٢٨) .

(١) معاني القرآن (١٥٢/٣) .
(٢) المفردات في غريب القرآن (٢٠٢) .
(٣) بحر العلوم (٤٤٢/٣) .
(٤) المحرر الوجيز (١٨٥٢) .
(٥) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .
(٦) أضواء البيان (١١٤/٨) .
(٧) الكشاف (١١٠٢) .



ويدلُّ لهذا الآتي :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ [آل عمران : ١٢١] .

فالمقاعد هنا هي المواقع للجماعات من الجيش ، وهي التعبئة حسب ظروف الموقعة ، كما فعل ﷺ في وضع الرماة في غزوة أحد حماية لظهورهم من التفاف العدو بهم لطبيعة المكان ، وكما فعل في غزوة بدر ورصَّهم وسوَّاهم بقضيب في يده أيضاً لطبيعة المكان .

وهكذا ، فلا بد في كل وقعة من مراعاة موقعها ، بل وظروف السلاح والمقاتلة .

وثانياً : قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال : ٤٥ – ٤٦] .

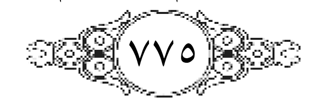
فذكر تعالى من عوامل النصر : الثبات عند اللقاء ، وذكر الله والطاعة ، والامتثال ، والحفاظ عليها بعدم التنازع والصبر عند الحملة والمجالدة ، فتكون حملة رجل واحد ، وكلها داخلة تحت معنى البنيان المرصوص في قوته وحمايته وثباته ، وقد عاب تعالى على اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ﴾ [الحشر : ١٤] ، وامتدح المؤمنين في قتالهم بوحدتهم كأنهم بنيان مرصوص .

وقد جاءت السنة بهذا التشبيه للتعاون في قوله ﷺ : « المسلِمُ للمُسْلِمِ كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً » [(١)].

وإنَّ المسلمين اليوم لأحوج ما يكونون إلى الالتزام بهذا التوجيه القرآني

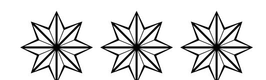
---

(١) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٨١) في كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، وبرقم : (٢٤٤٦) في كتاب المظالم والغصب ، باب نصر المظلوم ، وبرقم : (٦٠٢٧) في كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٥٨٥) في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

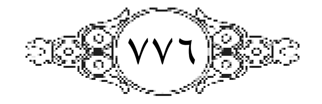


الكريم ، إزاء قضيتهم العامة مع عدوهم المشترك ، ولا سيما وقد مرَّ العالم الإسلامي بعدَّة تجارب في تاريخهم الطويل وكان لهم منها أوضح العبر ، ولهم في هذا المنهج القرآني أكبر موجب لاسترجاع حقوقهم ، والحفاظ على كيانهم ، فضلاً عن أنه العمل الذي يحبه الله من عباده [١].

والله أعلم ،،



(١) انظر : أضواء البيان (٨/١١٤-١١٥) .



سورة التغابن

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن : ٩] [١].

١٩٠- **قال عطاء الخراساني** : يوم يغبن الرجل نفسه وأهله ويخسرهم [٢] [٣].

وفي لفظ : غبن الرجل أهله ونفسه وماله [٤].

الدراسة :

* في هذه الآية يذكِّر الله عباده بشيء من أخبار يوم القيامة ، أنه يجمع به الأولين والآخرين ، ويقفهم موقفاً هائلاً عظيماً ، وينبئهم بما عملوا ، فحينئذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق [٥].

الأقوال في الآية [٦] :

القول الأول : يوم يغبن الرجل نفسه وأهله ويحسرهم ، وهو قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : أنه من أسماء يوم القيامة ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٧] ، ومنه قول الشاعر [٨] :

وَمَا أَرْتَجِيْ بِالْعَيْشِ مِنْ دَارِ فُرْقَةٍ ألاَ إِنَّمَا الرَّاحَاتُ يَوْمُ التَغَابُنِ

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

(٢) في الأصل : ويحسرهم . ولعلَّه تصحيف من الطابع ، والصواب ما أثبته والله أعلم ، ويشهد لما أثبتُّه قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر : ١٥] .

(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٥) ، ص١٢٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

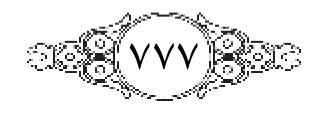
(٤) ذكره عنه بهذا اللفظ إبراهيم الحربي في غريب الحديث (٢٩/١) .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧) .

(٦) النكت والعيون (٢٣/٦) ، زاد المسير (١٤٤٢).

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٠/٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٥٨/١٠) برقم : (١٨٩٠٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٨) عزوه لابن المنذر .

(٨) **لم أقف على قائله** ، وهو من شواهد الماوردي في النكت والعيون (٢٣/٦) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨٣/٢) .



القول الثالث : أنه يوم يغبن أهل الجنة أهل النار ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما[1] ، مجاهد [2] ، وقتادة [3] ، والطبري [4].

قال ابن حجر رحمه الله : (أي لكون أهل الجنَّة بايعوا على الإسلام بالجنَّة فربحوا ، وأهل النار امتنعوا من الإسلام فخسروا ، فشبِّهوا بالمتبايعين يغبنُ أحدهما الآخر في بيعه) [5].

القول الرابع : أنه يومٌ غَبَنَ فيه المظلومُ الظالمَ ، لأنَّ المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غابناً .

القول الخامس : لأنه اليوم الذي أخفاه اللّهُ عن خَلْقه ، والغبن الإخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه ، ولذلك قيل : مَغابِن الجسد ، لما خفي منه ، وهذا القول احتمله الماوردي [6].

الجمع أو الترجيح :

جميع الأقوال محتملة ، والمعاني فيها متقاربة .

وقد بيَّن تعالى موجب الغبن للغابن والمغبون فقال : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، وبيَّن حال المغبون بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾[التغابن : ٩-١٠] [7].

وأيضاً : يشهد لذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْراً ، ولا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً » [8].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد (٢٩٩) ، وأخرجه عنه البخاري في صحيحه تعليقاً (١٩٣/٦) في كتاب تفسير القرآن ، عند باب سورة التغابن ، والطبري في تفسيره (١٠/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٨) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٠/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٨) لعبد بن حميد .

(٤) جامع البيان (١٠/٢٣) .

(٥) فتح الباري (٨٣٢/٨) .

(٦) النكت والعيون (٢٣/٦) .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٥/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧) ، أضواء البيان (٢١٥/٨) .

(٨) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٦٥٦٩) في كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .



وعليه ؛ فيوم القيامة هو يوم التغابن ، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل ، ويغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر ، وأهل الطاعة أهل المعصية ، ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ، فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار ، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشرّ ، والجيِّد بالرديء ، والنعيم بالعذاب ، وأهل الجنة على العكس من ذلك ، فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة ، وهذا هو التغابن الحقيقي ، لا التغابن في أمور الدنيا .

وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [(١)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٢)].

والقاعدة الأخرى : أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك [(٣)].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح في المعنى .

قال الراغب ﵀ : (ويوم التغابن يوم القيامة ، لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] وبقوله : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١١] الآية ، وبقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران : ٧٧] ، فعلموا أنهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوه من ذلك جميعاً)[(٤)].

والله أعلم ..

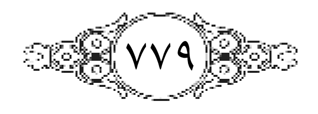
---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (١٤١/٥) ، بحر العلوم (٤٥٦/٣) ، الكشف والبيان (٣٢٨/٩) ، الوسيط (٣٠٧/٤)، معالم التنزيل (١٠٤/٥) ، الكشاف (١١١٣) ، المحرر الوجيز (١٨٦٤) ، التفسير الكبير (٢٢/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨٣/٢) ، أنوار التنزيل (٢١٨/٥) ، مدارك التنزيل (٦٩٢/٢) ، التسهيل (٢٣٢/٤) ، البحر المحيط (٣٨٨/٨) ، تفسير ابن كثير (٣٩٥/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٥٧/٦) ، روح المعاني (١٨٢/٢٨) ، فتح القدير (٢٩٤/٥) ، تفسير المراغي (٨٠/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧) ، أضواء البيان (٢١٥/٨) .

(٢) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١) .

(٤) المفردات في غريب القرآن (٣٥٩) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [التغابن : ١٤][1].

١٩١- **قال عطاء الخراساني** : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه وقالوا : إلى من تكلنا وتدعنا ؛ فيرقّ ويقيم فأنزل اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [2].

الدراسة :

* اختلف المفسِّرون في سبب نزول هذه الآية على أقوال .

الأقوال في الآية[3] :

القول الأول : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ، وهو قول عطاء الخراساني ، وعطاء بن يسار [4][5]، وروي عن ابن عباس أنه شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله وولده [6].

القول الثاني : نزلت في رجال أسلموا ، وأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فرأوا الناس قد

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ .

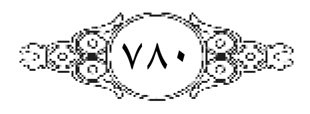
(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/٣٣٠) .

(٣) جامع البيان (٢٣/١٤) ، الكشف والبيان (٩/٣٢٩-٣٣٠) .

(٤) **عطاء بن يسار** = أبو محمد ، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، سمع أبا سعيد ، وأبا هريرة ، ويقال : ابن مسعود، وابن عمر رضي الله عنهم ، روى عنه : محمد بن عمرو بن عطاء ، قال هشام بن عروة : ما رأيت قاضياً خيراً من عطاء بن يسار ، هو أخو سليمان وعبد الله وعبد الملك . مات سنة مائة وثلاثة . انظر : التاريخ الكبير (٦/٤٦١) ، الكاشف (٢/٢٥) .

(٥) **ضعيف جداً** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/١٥) ، قال : ثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه عنه به ، وذكره السيوطي في لباب النقول (٢٧٩) . وسنده ضعيف جداً أعلّ بالإرسال ، وجهالة الأصحاب مع ملاحظة أنّ ابن إسحاق مدلس ، وابن حميد ضعيف اتّهم بالكذب ، انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٣/٤٢٢) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٨١) للنحاس .



فقهوا في الدين ، فهُّموا أن يعاقبوهم ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما[(١)] ، وعكرمة [(٢)] .

القول الثالث : كان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده ، ولم يألُوا يثبطوه عن ذلك ، فقال الله: إنهم عدوّ لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا ، وامضُوا لشأنكم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا مُنع وثبط مرّ بأهله وأقسم ، والقسم يمين ليفعلنّ وليعاقبنّ أهله في ذلك ، فقال الله جلّ ثناؤه : ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما[(٣)].

القول الرابع : هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحيّ، فيخرجون من عشائرهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبيّ ﷺ فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم ، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم ، ولا يؤثروا عليهم غيرهم ، فمنهم من يَرقّ ويرجع إليهم ، ومنهم من يمضي حتى يلحق بنبيّ الله ﷺ ، وهو قول الضحاك[(٤)].

القول الخامس : كان الرجل يسلم ، فيلومه أهله وبنوه ، فنزلت : ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما[(٥)] ،

---

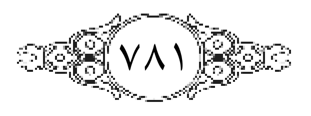
(١) **ضعيف** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٥٨/١٠) برقم : (١٨٩٠٤) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (٣٦٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٤/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن المنذر ، والطبراني، والحاكم وصححه ، وابن مردويه . وذكره السيوطي في لباب النقول (٢٧٩) . والأثر روي من طريق إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف لأنَّ رواية سماك عن عكرمة على وجه الخصوص فيها اضطراب ، انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٢١/٣) .

(٢) **ضعيف** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤/٢٣) قال : ثنا هناد السري ، ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة وسنده ضعيف ، لأنَّ رواية سماك عن عكرمة على وجه الخصوص فيها اضطراب كما سبق ، انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٢١/٣) .

(٣) **ضعيف جداً** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٥/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٤/٨) لعبد بن حميد ، وابن مردويه . وسنده ضعيف جداً مسلسل بالعوفيين الضعفاء ، انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٢٢/٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٣) .

(٥) ذكره عنه الواحدي في أسباب النزول (٣٦٩) .



وإسماعيل ابن أبي خالد [١].

القول السادس : أنهما يحملانه على قطيعة رحمه ، وعلى معصية ربه ، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه ، وهذا قول مجاهد [٢] .

القول السابع : منهم من لا يأمر بطاعة الله ، ولا ينهى عن معصيته ، وكانوا يبطِّئون عن الهجرة إلى رسول الله ﷺ وعن الجهاد ، وهذا قول قتادة[٣].

الجمع أو الترجيح :

مجمل ما ورد من أسباب النزول في هذه الآية ضعيف الإسناد .

والقاعدة التفسيرية : القول في الأسباب موقوف على النَّقل والسماع [٤].

وعليه فقول عطاء الخراساني ضعيف ، وتحمل الآية على عمومها ، فتشمل ما ذكره مجاهد وقتادة وغيرهم من أنَّ فيها تحذيراً للإنسان من بعض الأزواج والأولاد بأن يكونا عدواً له ؛ حيث يحملانه على قطيعة رحمه ، وعلى معصية ربه ، فيتأثَّر بسبب محبته لهم ، ومنهم من لا يأمر بطاعة الله ، ولا ينهى عن معصيته، وكانوا يبطِّئون عن الهجرة إلى رسول الله ﷺ وعن الجهاد ، فعلى المؤمن أن يحذر من هذه الفتنة التي أخبر الله عنها بقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن : ١٥] .

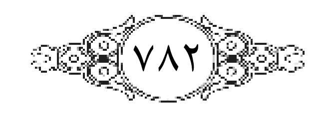
قال الطاهر بن عاشور رحمه الله : (وإذا كانت السورة كلها مكية كما هو قول الضحاك كانت الآية ابتداء إقبال على تخصيص المؤمنين بالخطاب بعد قضاء حق الغرض الذي ابتدئت به السورة على عادة القرآن في تعقيب الأغراض بأضدادها من ترغيب أو ترهيب ، وثناء أو ملام ، أو نحو ذلك ليوفَّى الطرفان حقيهما ، وكانت تنبيهاً للمسلمين لأحوال في عائلاتهم قد تخفى عليهم ليأخذوا حِذرهم ، وهذا هو المناسب لما قبل الهجرة ؛ كان المسلمون بمكة

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٣) ، وأخرجه عنه الواحدي في أسباب النزول (٣٦٩) . وهو مرسل صحيح الإسناد ، انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب (٤٢٢/٣) .

(٢) تفسير مجاهد (٢٩٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٦/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٤/٨) لعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣١٤/٣) ، والطبري (١٦/٢٣) .

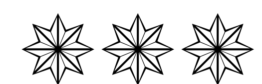
(٤) قواعد التفسير (٥٤/١) .



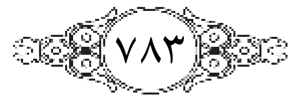
ممتزجين مع المشركين بوشائج النسب والصهر والولاء ، فلما ناصبهم المشركون العداء لمفارقتهم دينهم وأضمروا لهم الحقد وأصبحوا فريقين كان كل فريق غير خال من أفراد متفاوتين في المضادة تبعاً للتفاوت في صلابة الدين ، وفي أواصر القرابة والصِّهر ، وقد يبلغ العداء إلى نهاية طرفه فتندحض أمامه جميع الأواصر ؛ فيصبح الأشدُّ قرباً أشدُّ مضرَّة على قريبه من مضرة البعيد .

فأيقظت هذه الآية المؤمنين لئلا يغرّهم أهل قرابتهم فيما توهِّم من جانب غرورهم ، فيكون ضرُّهم أشد عليهم ، وفي هذا الإيقاظ مصلحة للدين وللمسلمين ولذلك قال تعالى : ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ ولم يأمر بأن يضرُّوهم ، وأعقبه بقوله : ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ ، جمعاً بين الحذر وبين المسالمة ، وذلك من الحزم)[1].

والله أعلم ،،



(١) التحرير والتنوير (٢٨/٢٨٣-٢٨٤) .



سورة الطلاق

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق : ١] [١].

١٩٢- **قال عطاء الخراساني :** طاهراً من غير جماع [٢].

الدراسة :

* هذه الآية تبيِّن زمان الطلاق السنِّي[٣]؛ الذي يُشرَع للرجل أن يطلِّق زوجته فيه ، وذلك في وقت طهرها من الحيض ، بشرط عدم جامعها في ذلك الطهر .

وقول عطاء الخراساني هنا وافق فيه : عبد الله بن مسعود [٤]، وابن عباس[٥]، وابن عمر [٦]، ومجاهد [٧]، والضّحاك ، والحسن ، وابن سيرين[٨]، وقتادة [٩]، والسدي [١٠]، وطاووس [١١]، وسعيد بن عبد

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٤) ، ص١١٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) **الطلاق السنِّي** = هو الواقع على الوجه الذي نَدَب إليه الشَّرع ، وهو أن يطلِّق الزوج المدخُول بها طلقة واحدة في طهر لم يمسَسْها فيه ، لقول الله تعالى : ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، ولقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق : ١] .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٨) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه -، وعبد بن حميد ، والطبراني ، والبيهقي ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٨) عزوه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - ، وابن مردويه من طرق .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٨) لابن مردويه ، وعبد بن حميد .

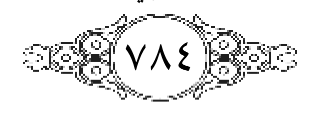
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٣/٢٥-٢٦) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣١٥/٣) ، والطبري (٢٦/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٨) لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٧/٢٣) .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣١٦/٣) ، والطبري (٢٧/٢٣) .



العزيز[١]، وهو الذي عليه جمهور المفسِّرين[٢].

قال البخاري ﷺ: (وطلاقُ السنَّة أن يطلقها طاهراً من غير جماع، ويُشهِد شاهدين) [٣].

ويدلُّ لذلك من السنة قصَّة عبد اللَّه بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ » [٤].

والطلاق البدعي : إذا طلَّقها في حيض، أو في طهر جامعها فيه، ففي هذه الحالة يقع الطلاق عند الجمهور، وصاحبه آثم [٥].

ومما سبق يتَّضح أنَّ القول الذي اختاره عطاء الخراساني في المسألة هو الصحيح الذي وافق عليه جماهير العلماء.

والله أعلم،،

❋❋❋

---

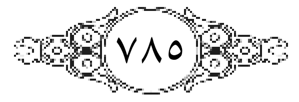
(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩/٢٣).

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (١٦٢/٣)، معاني القرآن للزجاج (١٤٣/٥)، بحر العلوم (٤٥٩/٣)، الكشف والبيان (٣٣٢/٩)، النكت والعيون (٢٨/٦)، الوسيط (٣١٠/٤)، معالم التنزيل (١٠٦/٥)، الكشاف (١١١٤)، المحرر الوجيز (١٨٦٦)، زاد المسير (١٤٤٤)، التفسير الكبير (٢٧/٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨٨/٢)، أنوار التنزيل (٢٢٠/٥)، مدارك التنزيل (٦٩٤/٢)، التسهيل (٢٣٥/٤)، البحر المحيط (٣٩٤/٨)، تفسير ابن كثير (٣٩٩/٤)، إرشاد العقل السليم (٢٦٠/٦)، روح المعاني (١٩١/٢٨)، فتح القدير (٢٩٨/٥)، تفسير المراغي (٨٦/١٠)، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٩)، أضواء البيان (٢٢٤/٨).

(٣) صحيح البخاري . كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾.

(٤) **صحيح** أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٥٢٥٢) في كتاب الطلاق، باب قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾، ومسلم في صحيحه برقم : (١٤٧١) في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها.

(٥) وذهب ابن عمر، وسعيد بن المسيب، وطاووس، وأبو قلابة، وجماعة من العلماء إلى أنَّ الطلاق البدعي لا يقع . وهو اختيار ابن عقيل من أئمة الحنابلة، والظاهرية، وأحد الوجهين في مذهب أحمد، واختاره ابن تيمية، وابن القيم . وانظر المسألة بتوسُّع في : المغني لابن قدامة (١٧٧٠/٢)، سبل السلام للصنعاني (٢٦٧/٣).



الموضع الثاني :

* وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق : ١] .

١٩٣- **قال عطاء الخراساني** : كان ذلك قبل أن تنزل الحدود ، وكانت المرأة إذا أتت بفاحشة أخرجت [(١)] .

١٩٤- **وقال** : الفاحشة المبينة : هي الزنا [(٢)] .

الدراسة :

* يبيِّن عطاء الخراساني ﷺ في قوله الأول أنَّ هذه الآية كانت قبل أن تنزل الحدود ، ويبيِّن أيضاً أنَّ المرأة كانت إذا أتت بفاحشة أخرجت من بيتها .

وقد كانت إذا زنت وهي محصنة حُبست في البيت ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [النساء : ١٥] ، ثمَّ نسخ ذلك ، وجعل الله لهنَّ سبيلاً بما جاء من الجلد والتغريب للبكر ، والرجم للثيب [(٣)] .

وأما الفاحشة المبينة فقد اختلف المفسِّرون في المراد بها على أقوال .

الأقوال في الآية[(٤)] :

<u>**القول الأول**</u> : الفاحشة المبينة هي الزنا ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)] ، وسعيد بن المسيب [(٦)] ، ومجاهد [(٧)] ، والحسن ،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٨) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٣٩٩/٤) .

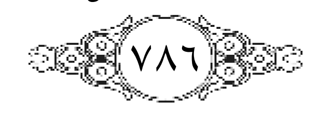
(٣) وذلك ما صحَّ عند مسلم في صحيحه برقم : (١٦٩٠) في كتاب الحدود ، باب حد الزنى ، أنَّ النبي ﷺ قال في حديث عبادة بن الصامت : « خُذُوا عَنِّي ، خُذُوا عَنِّي ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً .. الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ » .

(٤) انظر : بحر العلوم (٤٦٠/٣) ، النكت والعيون (٢٩/٦) معالم التنزيل (١٠٨/٥) ، المحرر الوجيز (١٨٦٧)، زاد المسير (١٤٤٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٩٢) ، أنوار التنزيل (٢٢٠/٥) ، التسهيل (٢٣٦/٤) ، البحر المحيط (٣٩٤/٨) ، إرشاد العقل السليم (٢٦٠/٦) ، روح المعاني (١٩٨/٢٨) ، فتح القدير (٢٩٩/٥) ، تفسير المراغي (٨٨/١٠).

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٨) لعبد بن حميد .

(٧) تفسير مجاهد (٣٠٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٣/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٨) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد .



وعامر[١]، وابن زيد[٢]، وعليه جمهور المفسِّرين [٣].

قالوا : والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد .

القول الثاني : كل معصية للَّه ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً [٤]، ورجَّحه الطبري [٥]، وابن كثير [٦].

القول الثالث : أنَّ الفاحشة خروجها من بيتها ، ويكون تقدير الآية : إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن ، قاله السدي [٧]، وقول ابن عمر رضي الله عنهما : خروجها قبل انقضاء عدَّتها فاحشة [٨].

القول الرابع : أن الفاحشة نشوزها على زوجها ، فيطلِّقها على النشوز فيكون لها التحوُّل حينها من بيتها ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير[٩]، وقتادة [١٠]، وبنحوه قول عكرمة : الفاحشة المبينة السوء في الخلُق[١١].

القول الخامس : أنه البذاء على أحمائها ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما[١٢]، والشافعي [١٣].

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/٣٢-٣٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٩٣) لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٣) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/١٤٤) ، الكشف والبيان (١٠/٣٣٤) ، الوسيط (٤/٣١٢) ، المفردات في غريب القرآن (٣٧٦) ، الكشاف (١١١٥) ، التفسير الكبير (٣٠/٣٠) ، مدارك التنزيل (٦٩٥) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٤) .

(٥) جامع البيان (٢٣/٣٦) .

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٩) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٥) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٩٣) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه.

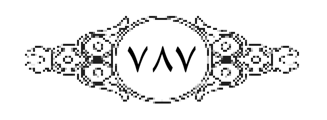
(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٩٣) لعبد بن حميد ، عن سعيد قال : كان ابن عباس يقول ....

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٩٤) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٩٤) لعبد بن حميد ، وعزاه لابن المنذر بلفظ : بفحش ، لو زنت لرجمت .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/١٩٣) عزوه لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وسعيد بن منصور ، وابن راهويه ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه من طرق .

(١٣) كتاب الأم (٥/٢٣٦) .



قال ابن العربي رحمه الله : (فأما من قال إنه الخروج للزنا فلا وجه له لأنَّ ذلك الخروج هو خروج القتل والإعدام وليس ذلك بمستثنى في حلالٍ ولا حرام ، وأما من قال إنه البذاء فهو معتبر في حديث فاطمة بنت قيس ، وأما من قال إنه كل معصية فوهِم لأنَّ الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الإخراج ولا الخروج، وأما من قال إنه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعاً إلا أن يخرجن تعدِّياً) (١).

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - الجمع بين الأقوال بأنَّ يقال : المقصود بالفاحشة هنا عموم المعاصي الكبيرة التي تخوّل إخراج المرأة من بيتها سواء أترتَّب عليها حدّ أم لا ، وقد جاءت اللفظة هنا نكرة فتعمّ كل ما استفحش ، وتعارف الناس على فحشه .

وعلى ذلك فالفاحشة المبينة هنا : تشمل الزنا ، والنشوز ، وخروجها في عدَّتها بغير حقّ ، ونحو ذلك .

قال السعدي رحمه الله : (أي : بأمر قبيح واضح ، موجب لإخراجها ، بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها ، كالأذى بالأقوال والأفعال الفاحشة ، ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها ، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها ، والإسكان فيه جبر لخاطرها ، ورفق بها ، فهي التي أدخلت الضرر على نفسها ، وهذا في المعتدة الرجعية) (٢).

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه (٣).

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح ؛ داخل في المعنى المختار .

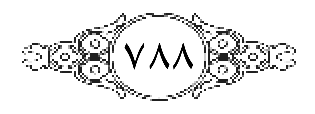
قال الأستاذ ابن عاشور رحمه الله : (والفاحشة : الفِعلة الشديدة السوء ، بهذا غلب إطلاقها في عرف اللغة فتشمل الزنا كما في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/٢٧٨) .

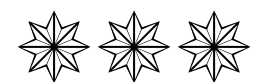
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٨٦٩) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .

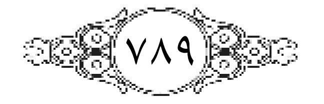


ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ الآيـة [النساء : ١٥] ، وشَمل غيره من الأعمال ذات الفساد كما في قوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾[الأعراف : ٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف : ٣٣]) [1].

والله أعلم ، ،



(١) التحرير والتنوير (٢٨/٣٠٠) .



المَوضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [الطلاق : ٩] [١].

١٩٥- **قال عطاء الخراساني** : فذاقت جزاء أمرها [٢].

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله أنَّ القرية التي عتت عن أمر ربِّها ورسله ، عاقَبها وأذاقها جزاء عملها ، وعاقبة كفرها به سبحانه وتعالى .

الأقوال في الآية :

القول الأول : جزاء أمرها ، وهو قول عطاء الخراساني ، وابن عباس رضي الله عنهما [٣]، ومجاهد [٤].

القول الثاني : ذاقت عاقبة أمرها ، وهو قول قتادة [٥]، والسدي ، وابن زيد [٦].

الجمع أو الترجيح :

القولان معناهما واحد ، فوبال أمرهم هو الجزاء والعقوبة التي لحقتهم بسبب سوء عملهم ، ومعصيتهم ، وكفرهم بربِّهم سبحانه .

وقد تنوَّعت عبارات المفسِّرين ، وكلها تدور حول هذا المعنى [٧]، أنَّ معنى الوبال ، العقوبة والجزاء وغبَّ المخالفة حين خالفوا أوامر الله تعالى .

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٥) ، ص١١٦ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

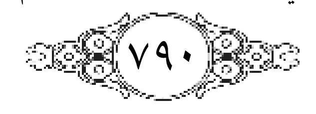
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٤/٢٣) .

(٤) تفسير مجاهد (٣٠٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٤/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٠٩/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٤/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٠٩/٨) لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٧٣/٢٣) .

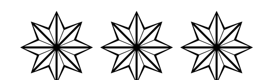
(٧) انظر : جامع البيان (٧٣/٢٣) ، معاني القرآن للزجاج (١٤٦/٥) ، بحر العلوم (٤٦٤/٣) ، الوسيط (٣١٦/٤) ، معالم التنزيل (١١٤/٥) ، زاد المسير (١٤٤٨) ، التفسير الكبير (٣٤/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٩٩/٢) ، أنوار التنزيل (٢٢٢/٥) ، تفسير ابن كثير (٤٠٦/٤) ، روح المعاني (٢٠٨/٢٨) ، فتح القدير (٣٠٦/٥) ، تفسير المراغي (٩٦/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٢) .



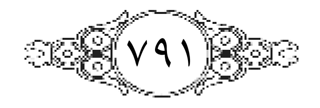
قال الراغب رحمه الله : (قيل للأمر الذي يُخاف ضرره وبال) [1].

وقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح .

والله أعلم ، ،



(١) المفردات في غريب القرآن (٥٢٦) .



سورة التحريم

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم : ١] (١) .

١٩٦- **قال عطاء الخراساني** : إنَّ التي كانت تسقي رسول الله ﷺ أمَّ سلمة (٢) .

الدراسة :

* اختلف المفسِّرون في سبب نزول الآية على أقوال :

الأقوال في الآية(٣) :

القول الأول : أنَّ النبي ﷺ كان يحب الحَلْواء والعسل ، فدخل مـرَّة علـى إحـدى نسائه ، واحتبس عندها ، وكانت تسقيه عسلاً ، فغارت بعض نسائه ، فاتَّفقن علـى أن يقلن له إذا جاء إلى كلّ واحدة منهنَّ : يا رسول الله أكلتَ مغافير (٤) ؟! فإذا قال : لا ، قالت له : جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرُفُطَ (٥)، حتى إذا دار إلى التي سقته قالت له : يا رسول الله أسقيك منه ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، فحرَّمه على نفسه .

وممن ذهب إلى هذا المعنى : عبد الله بن شداد ، وابن أبي مليكة (٦)، وغيرهما.

وقد وردت روايات متعددة لهذه القصة ، واختلف العلماء فيمن سقته العسل على روايات :

الرواية الأولى : أنَّ التي كانت تسقي رسول الله ﷺ العسل هي أمَّ سلمة ، وهو قول عطاء الخراساني ، والسدِّي (٧)، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٩/٣٤٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٠٢) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٩/٣٤٤) ، النكت والعيون (٦/٣٩) ، زاد المسير (١٤٥٠-١٤٥١) .

(٤) **المغافير** : واحدها مُغْفُور ، ويقال لها مغثور أيضا كما يقال ثوم وفوم وجدث وجدف ، وهو شيء ينضحه العرفط ، حلو كالناطف وله ريح منكرة ، والعرفط شجر من العضاه كل شجر له شوك ، وهو من الكمأة . انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (١/٣١٥) .

(٥) **جرست نحله العرفط** : أي أكلت ، يقال للنحل الجوارس والجرس في الأصل الصوت الخفي ، والعُرْفُط : شجر الطلح ، وله صمغ كريه الرائحة يقال له : المغاثير ، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه . انظر : غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٨٧) ، النهاية في غريب الأثر (١/٢٦٠) ، (٣/٢١٨) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/٨٩) .

(٧) رواه عنه أسباط ، كما ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/٣٩) ، وعزاه ابن حجر في فتح الباري (٩/٤٦٧) للطبري – ولم أقف عليه عنده - .



وروي عن عبد الله بن رافع [(١) (٢)].

الرواية الثانية : أنَّ التي سقته العسل زينب بنت جحش ، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولا له ذلك القول ، رواه عبيد بن عمير عن عائشة [(٣)].

الرواية الثالثة : أنها حفصة بنت عمر ، وتواطأت عائشة وسودة وصفية على القول، رواه عروة عن عائشة [(٤)].

---

(١) **عبد الله بن رافع** = المخزومي ، أبو رافع المدني ، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ ، سمع أم سلمة وأبا هريرة رضي الله عنهما ، روى عنه : سعيد المقبري ، وأفلح بن سعيد ، وابن إسحاق . انظر : التاريخ الكبير (٩٠/٥) ، تقريب التهذيب (٣٠٢) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٤/٨) لابن سعد ، وفيه : قال عبد الله بن رافع : سألت أمَّ سلمة عن هذه الآية قالت : كانت عندي عكَّة من عسل أبيض ، فكان النبي ﷺ يلعق منها ، وكان يحبسه ، فقالت له عائشة : نحلها تجرش عرفطاً ، فحرّمها ، فنزلت هذه الآية ، وهذا ضعيف جداً لأنَّ شيخ ابن سعد هو الواقدي ، انظر : الاستيعاب (٤٣٨/٣) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٩١٢) في كتاب تفسير القرآن ، باب قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ ، و برقم : (٥٢٦٧) في كتاب الطلاق ، باب لم تحرِّم ما أحلَّ الله لك ، وبرقم : (٦٦٩١) في كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا حرَّم طعامه ، **ومسلم** في صحيحه برقم : (١٤٧٤) في كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينو الطلاق ، ولفظ الحديث : عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ ! قَالَ : « لا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا » ، فَنَزَلَتْ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ .

(٤) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٥٢٦٨) في كتاب الطلاق ، باب لم تحرِّم ما أحلَّ الله لك ، وبرقم : (٦٩٧٢) في كتاب الحيل ، باب ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر ، **ومسلم** في صحيحه برقم : (١٤٧٤) في كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينو الطلاق ، ولفظه : عن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِه فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ فَغِرْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي : أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً ، فَقُلْتُ أَمَا وَاللَّه لَنَحْتَالَنَّ لَهُ ! ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ : إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْك ، فَإِذَا دَنَا مِنْك فَقُولِي : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟! فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَك : لا، فَقُولِي لَهُ : مَا هَذِه الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ : سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ ، فَقُولِي لَهُ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ ، وَسَأَقُولُ ذَلِك ، وَقُولِي أَنْت يَا صَفِيَّةُ ذَاك ، قَالَتْ تَقُولُ سَوْدَةُ : فَوَاللَّه مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتِنِي بِهِ فَرَقًا مِنْك ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ : يَا رَسُولَ اللَّه أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟! قَالَ : « لا » قَالَتْ : فَمَا هَذِه الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ ؟! قَالَ : «سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ » ، فَقَالَتْ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ

الرواية الرابعة : أنها سَوْدَة بنت زمعة ، والتي تواطأت : عائشة وحفصة على القول، وفيه أنه قال : « إِنِّي أَرَاهُ مِنْ شَرَابٍ شَرِبْتُهُ عِنْدَ سَوْدَة ، والله لاَ أَشْرَبُهُ » ، فنزلت هذه الآية . رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما [(١)].

قال القاضي عياض رحمه الله : (الصحيح أنه في أمر العسل ، لا في قصَّة أم إبراهيم ، كما جاء في غير الصحيحين ، ولم يأت بتلك القصَّة طريق صحيح ، قال النسائي : حديث عائشة في العسل إسناده جيد صحيح غاية ا..هـ) [(٢)].

القول الثاني : أنه أراد بذلك المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها لأجل أزواجه ، قاله ابن عباس [(٣)]، وعكرمة .

وضعَّف ابن العربي رحمه الله هذا القول ، وقال : (أما من روى أنَّ الآية نزلت في الموهوبة فهو ضعيف في السند وضعيف في المعنى ، أما ضعفه في السند : فلعدم عدالة رواته ، وأما ضعفه في معناه : فلأنَّ رد النبي ﷺ للموهوبة ليس تحريماً لها ، لأنَّ من وهب له لم يحرم عليه ، وإنما حقيقةُ التحريم بعد التحليل) [(٤)].

ووافقه القرطبي [(٥)]، والشوكاني [(٦)]، وقال عنه ابن كثير : (وهذا قول غريب) [(٧)].

القول الثالث : أنَّ حفصة ذهبتْ إلى أبيها تَتَحَدَّثُ عنده ، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته ، فظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة ، فرجعت حفصة ، فوجدتها في بيتها ، فجعلت تنتظر خروجها ، وغارت غَيْرةً شديدةً . فلما دخلت حفصة قالت : قد رأيت من كان عندك . والله لقد سُؤْتَني ، فقال النبي ﷺ : « والله لأُرْضِيَنَّك ، وَإني مُسِرٌّ إليك سراً فاحفظيه »، قالت : وما هو ؟ قال : « إِني

قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّه : أَلا أَسْقِيكَ مِنْهُ ، قَالَ : « لا حَاجَةَ لِي فِيهِ » ، قَالَتْ : تَقُولُ سَوْدَةُ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ ! ، قُلْتُ لَهَا : اسْكُتِي ! .

(١) عزاه ابن حجر في فتح الباري (٩/٤٦٦) لابن مردويه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢١٣) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه بسند صحيح .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥/٢٩) .

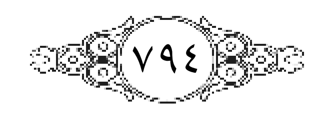
(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٦٢) ، برقم : (١٨٩٢١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢١٧) لابن مردويه وضعَّفه .

(٤) أحكام القرآن (٤/٢٩٣) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٠٢) .

(٦) فتح القدير (٥/٣١٣) .

(٧) تفسير ابن كثير (٤/٤٠٧) .



أشهدكِ أن سرِّيَّتي هذه عليَّ حرام رضىً لَكِ » ، وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي ﷺ ، فانطلقت حفصة إلى عائشةَ ، فقالت لها : أبشري ، إنّ النبي ﷺ قد حرَّم عليه فتاته ، فنزلت هذه الآية ..

وإلى هذا المعنى : ذهب أنس بن مالك [(١)]، وابن عباس [(٢)]، وأبو هريرة [(٣)]، وابن عمر [(٤)]، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء[(٥)]، وقتادة [(٦)]، والشعبي [(٧)]، والضحاك [(٨)]، وعامر[(٩)]، ومسروق[(١٠)]، وزيد بن أسلم [(١١)]، واختاره الفراء [(١٢)]، وابن عطية [(١٣)]، والأكثرون [(١٤)].

قال ابن عطية ﷺ : (والقول أنَّ الآية نزلت بسبب مارية أصحُّ وأوضح ، وعليه تفقَّه الناس في الآية) [(١٥)].

---

(١) أخرجه عنه النسائي في سننه برقم: (٣٩٥٩) في كتاب عشرة النساء ، باب الغيرة ، قال ابن حجر في الفتح (٤٦٦/٩) : (وهذا أصحّ طرق هذا السبب) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٤/٨) عزوه للحاكم وصححه ، وابن مردويه .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٦/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٤/٨) عزوه لابن المنذر ، والترمذي والطبراني بسند حسن صحيح .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٨) للطبراني في الأوسط ، وابن مردويه بسند ضعيف .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٨) للهيثم بن كليب في مسنده ، والضياء المقدسي في المختارة من طريق نافع .

(٥) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥٠) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٨/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٥/٨) عزوه لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٤/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٨) عزوه لعبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٥/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٨) عزوه لسعيد بن منصور، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٥/٢٣) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٤/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٨) عزوه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد .

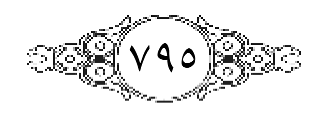
(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٨٣/٢٣-٨٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢١٦/٨) عزوه لابن سعد .

(١٢) معاني القرآن (١٦٥/٣) .

(١٣) المحرر الوجيز (١٨٧١) .

(١٤) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥١) ، والشوكاني في فتح القدير (٣٠٩/٥) .

(١٥) المحرر الوجيز (١٨٧١) .



الجمع أو الترجيح :

الترجيح هنا لمسألتين :

المسألة الأولى : سبب نزول الآية ، الأصحُّ فيها أن يقال : أنها نزلت لسببين : لقصة مارية جارية النبي ﷺ ، ولقصة شرب العسل التي وردت في الصحيحين ، وأكثر المفسِّرين على ذكر القصتين في سبب الآية [١].

قال الطبري رحمه الله : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : كان الذي حرَّمه النبيُّ ﷺ على نفسه شيئًا كان الله قد أحلَّه له ، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة ، وجائز أن يكون كان غير ذلك ، غير أنه أيّ ذلك كان ، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه) [٢].

وقال ابن العربي رحمه الله : (وأما من روى أنه حرم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب إلى المعنى ، لكنه لم يدوَّن في الصحيح ، وروي مرسلاً ...) [٣].

وقال الشوكاني رحمه الله : (والجمع ممكن بوقوع القصتين : قصة العسل ، وقصة مارية ، وأنَّ القرآن نزل فيهما جميعاً ، وفي كل واحد منهما أنه أسرّ الحديث إلى بعض أزواجه) [٤].

وهذه المسألة تعددت فيها أسباب النزول ، والمقرر في علوم القرآن أنه إذا ثبت نزول الآية في شيء معين ، ثم ثبت بسند آخر صحيح أنها نزلت في شيء آخر معين غير الأول ، وجب حملها على أنها نزلت فيهما معاً ، فيكون لنزولها سببان [٥].

---

(١) انظر : جامع البيان (٢٣/٨٩) ، معاني القرآن للزجاج (٥/١٤٨) ، بحر العلوم (٣/٤٦٦) ، الكشف والبيان (٩/٣٤٤) ، الوسيط (٤/٣١٧) ، معالم التنزيل (٥/١١٥) ، الكشاف (١١١٩) ، التفسير الكبير (٣٠/٣٧)، أنوار التنزيل (٥/٢٢٤) ، مدارك التنزيل (٢/٧٠٠) ، التسهيل (٤/٢٤٢) ، البحر المحيط (٨/٤٠٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٦٧) ، روح المعاني (٢٨/٢١٨) ، فتح القدير (٥/٣٠٩-٣١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٢) ، أضواء البيان (٨/٢٣١) .

(٢) جامع البيان (٢٣/٨٩) .

(٣) أحكام القرآن (٤/٢٩٤) .

(٤) فتح القدير (٥/٣١٣) .

(٥) انظر : أضواء البيان (٦/٣٤٦) ، قواعد التفسير (٢/٨٣٠) .



ويؤيِّد ذلك قول ابن حجر ﷺ : (فيُحتَمَل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً) [(١)].

والمسألة الثانية : الراجح فيها : أنَّ التي سقت النبي ﷺ العسلَ هي زينب بنت جحش ، واختار هذا القول جَمع من المحققين ؛ كالقاضي عياض [(٢)]، والقرطبي [(٣)]، وابن حجر [(٤)]، وغيرهم .

قال ابن العربي ﷺ : (الصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب ، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه ، وجرى ما جرى فحلف ألا يشربه وأسرَّ ذلك ، ونزلت الآية في الجميع) [(٥)].

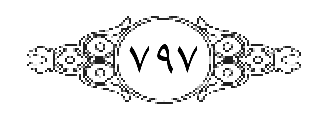
وقال الحافظ ابن حجر ﷺ : (والرَّاجح أيضاً أنَّ صاحبة العسل زينب لا سودة لأنَّ طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير ، ولا جائز أن تتحد بطريق هشام بن عروة ؛ لأنَّ فيها : أنَّ سودة كانت ممن وافق عائشة على قولها : " أجد ريح مغافير " ، ويرجِّحه أيضاً : ما مضى في كتاب الهبة عن عائشة : " أنَّ نساء النبي ﷺ كنَّ حزبين: أنا وسودة وحفصة وصفية في حزب ، وزينب بنت جحش وأمّ سلمة والباقيات في حزب " [(٦)]، فهذا يرجِّح أنَّ زينب هي صاحبة العسل ولهذا غارت عائشة منها لكونها من غير حزبها .. والله أعلم) [(٧)].

ومما سبق يتَّضح أنَّ قول عطاء الخراساني في هذه المسألة قولٌ مرجوح ، وقد قال عنه ابن حجر ﷺ : (ووقع في تفسير السُّدِّي أنَّ شُرب العسل كان عند أمِّ سلمة ، أخرجه الطبري وغيره [(٨)]، وهو مرجوح لإرساله وشذوذه)[(٩)].

والله أعلم ،،

---

(١) فتح الباري (٨/٨٣٨) .
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥/٢٩) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٠٢) .
(٤) فتح الباري (٩/٤٦٧) .
(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٤/٢٩٤) .
(٦) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٥٨١) في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، في باب من أهدى إلى صاحبه ، وتحرَّى بعضَ نسائه دون بعض .
(٧) فتح الباري (٩/٤٦٦-٤٦٧) .
(٨) لم أقف عليه في تفسير الطبري .
(٩) فتح الباري (٩/٤٦٧) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ [التحريم : ٣] [(١)].

١٩٧- **قال عطاء الخراساني** : ما استَعصى حكيم قط ، ألم تسمع إلى قوله : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ [(٢)].

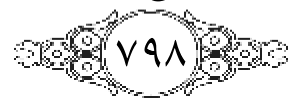
وفي لفظ : ما استقصى حليم قط [(٣)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٦/٦) قال : أخبرنا أبو محمد السكري ، أنا أبو بكر الشافعي ، نا جعفر بن محمد بن الأزهر ، نا الغلابي ، نا شيخ ، عن عطاء الخرساني ... وذكر الأثر . **ودراسة الإسناد** :
أبو محمد السكري هو : عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار ، أبو محمد السكري ، يعرف بوجه العجوز ، سمع إسماعيل بن محمد الصفار ، وأحمد بن سلمان النجاد ، وجعفر الخلدي ، وأبا بكر الشافعي ، وأحمد بن ثابت بن بقية الكاتب ، كان صدوقاً يسكن قطيعة الصفار ، قال عنه البرقاني : عبد الله بن يحيى السكري شيخ وحسُن أمره ، مات السكري في يوم الأربعاء ودفن يوم الخميس سلخ صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة . انظر : تاريخ بغداد (١٩٩/١٠) .
أبو بكر الشافعي هو : الإمام الحجَّة المفيد ، محدِّث العراق ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي الشافعي البزار ، مولده بجبل في سنة ستين ومائتين ، وأول سماعه سنة ست وسبعين ، فسمع من موسى الوشاء ؛ خاتمة أصحاب بن علية ، ومحمد بن شداد المسمعي ؛ خاتمة أصحاب يحيى القطان ، وأبا قلابة الرقاشي ، ومحمد بن الفرج الأزرق ، وأبا بكر بن أبي الدنيا ومن بعدهم ، فأكثر وارتحل في الحديث إلى الجزيرة والى مصر وغير ذلك ، حدَّث عنه : الدارقطني ، وعمر بن شاهين ، وأبو علي بن شاذان ، وخلق كثير ، كان ثقة ثبتاً حسن التصانيف ، ما كان في ذلك الوقت أحد أوثق منه ، مات في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلاث مائة . انظر : تذكرة الحفاظ (٨٨٠/٣) .
جعفر بن محمد بن الأزهر هو : أبو أحمد البزاز ، ويعرف بالباوردي وبالطوسي ، روى عن : المفضل بن غسان الغلابي عن أبيه تاريخ يحيى بن معين ، وحدَّث أيضاً عن وهب بن بقية ، ومحمد بن خالد بن عبد الله الواسطيين ، روى عنه : أحمد بن عثمان والد أبي حفص بن شاهين ، وأحمد بن سلمان النجاد ، وأبو بكر الشافعي ، وأحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني ، وكان ثقة ، توفي في رجب سنة تسع وتسعين ومائتين. انظر : تاريخ بغداد (١٩٧/٧) .
الغلابي هو : المفضل بن غسان بن المفضل الغلابي ، أبو عبدالرحمن الغساني البصري ، سكن بغداد ، وحدَّث بها عن أبيه ، وعبدالله بن داود الجويني ، وعبدالرحمن بن مهدي ، والإمام أحمد في آخرين ، روى عنه جماعة منهم : أبو بكر بن أبي الدنيا ، وكان ثقة . انظر : طبقات الحنابلة (٣٤١/١) .
شيخ : مجهول لم يعرف .
وبناء على ما سبق فإنَّ هذا الأثر منقطع عن عطاء الخراساني لجهالة راويه عنه .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٩/٨) للبيهقي في شعب الإيمان أيضاً بهذا اللفظ ، ويظهر لي أنه الصواب، ولعلَّ في اللفظ الأول تصحيفاً من النسَّاخ .



الدراسة :

❖ القراءات في الآية [1] :

* قرأ عامة القرَّاء : ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ مشدَّدة الراء ، ويكون المعنى : أنَّ النبي ﷺ لمَّا عرف أنَّ حفصة رضي الله عنها أفشت السرَّ ، عرَّفها بعض الحديث ، وترك بعضاً ، والإعراض لا يكون إلا عمَّا يعرف ، وهذا من حلمه وكرمه وحكمته ﷺ ، ومن هنا قيل : إنَّ الكريم لا يبالغ في العتاب ، ومن عادة الفضلاء التغافل عن الزلاَّت ، والتقصير في العتاب ، وهذا بمجمله معنى قول عطاء الخراساني ، وهو من التفسير الإشاري ، ولفظ قول عطاء الخراساني هو بنحو ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه [2]، والحسن البصري [3]، وغيرهما .

* وقرأ الكسائي وحده : ﴿ عَرَفَ بَعْضَه ﴾ ، مخففة الراء ، والمعنى على هذه القراءة : أي غضب من ذلك وجازى عليه ، كما تقول للرَّجل يسيء إليك: أما والله لأعرفنَّ لك ذلك ، وقد لعَمْري جازى حفصة بطلاقها ، وهو وجه حسن .

وبنحو هذا المعنى قال عامَّة المفسِّرين في توجيه القراءتين [4] .

وزاد بعض المفسِّرين تفصيلاً حول ما نبَّأ به النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها ، وما سكت عنه ، مثل قول مجاهد : الذي عرَّف أمر مارية ، والذي أعرض عنه : أنَّ أباك وأباها – يعني حفصة وعائشة – يليان الناس بعدي [5]، وهذا كله من التكلُّف ، لأنَّ القرآن أطلق ، ولم يحدد لنا ما عرّفها به ، وما أعرض عنه ، فما سكت عنه القرآن لا ينبغي الخوض فيه ، وعن ذلك قال الشوكاني رحمه الله :

---

(١) المبسوط (٣٧٥) ، البدور الزاهرة (٣٧٦/٢) .

(٢) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٩/٨) لابن مردويه .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (٣٤٦/٩) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (١٦٦/٣) ، جامع البيان (٩٢/٢٣) ، معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٥) ، بحر العلوم (٤٦٧/٣) ، الكشف والبيان (٣٤٥/٩) ، الوسيط (٣١٩/٤) ، معالم التنزيل (١١٨/٥) ، الكشاف (١١٢٠) ، المحرر الوجيز (١٨٧٢) ، زاد المسير (١٤٥٢) ، التفسير الكبير (٣٩/٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٣١٠٦/٢) ، أنوار التنزيل (٢٢٤/٥) ، مدارك التنزيل (٧٠١/٢) ، التسهيل (٢٤٤/٤) ، البحر المحيط (٤٠٩/٨) ، إرشاد العقل السليم (٢٦٧/٦) ، روح المعاني (٢٣٣/٢٨) ، فتح القدير (٣١٠/٥) ، تفسير المراغي (١٠٠/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٣) ، التحرير والتنوير (٣٥٥/٢٨).

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٢/١٠) برقم : (١٨٩٢٢) .



(وللمفسِّرين هاهنا خبْط وخلْط ، وكل جماعة منهم ذهبوا إلى تفسير الإعراض بما يطابق بعض ما ورد في سبب النزول) [1].

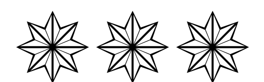
والحاصل : أنَّ القولين في تفسير الآية بُنيا على القراءة فيها ؛ والقراءتان سبعيَّتان صحيحتان ، لا ترجَّح إحداهما على الأخرى .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجَّح إحداهما – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ... كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى [2] .

وقول عطاء الخراساني هنا هو من استنباطاته اللطيفة ، وفيه تربية وتهذيب؛ حيث يقرر أنَّ الحكيم والحليم لا يستقصي في نقاشه وعتابه مع زوجته أو ولده أو خادمه أو مجادِله كلَّ كلمة ، ولا يحاسب على كلّ لفظ ، إنما هو يذكر البعض ويحاسب عليه ، ويترك البعض الآخر حِلماً وكرماً ، كما فعل النبي ﷺ في هذه القصة ، فقد ترك بعض الكلام حياءً وكرماً وحلماً وحسن عشرة منه ﷺ ، وهذا داخلٌ في ترك المراء بالباطل الذي وعد النبي ﷺ صاحبه ببيت في ربض الجنة ، حين قال : « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا » [3] .

قال الطاهر بن عاشور ﵀ : (وإعراض الرسول ﷺ عن تعريف زوجه ببعض الحديث الذي أفشته من كرم خلقه ﷺ في معاتبة المفشية وتأديبها ؛ إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعضَ ما أفشته فتوقن أنَّ الله يغار عليه ... وما زاد على المقصود يقلب العتاب من عتاب إلى تقريع) [4].

ولو أنَّ الناس التزموا هذا المنهج النبوي في بيوتهم ، لما انتهت كثير من المناقشات والحوارات في زماننا هذا بالطلاق والشقاق . والله المستعان ..

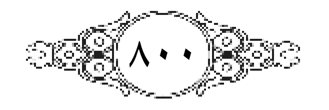


(١) فتح القدير (٥/٣١٠-٣١١) .

(٢) قواعد التفسير (١/٨٩ ، ٩٧) .

(٣) **حسن** . أخرجه أبو داود في سننه برقم : (٤٨٠٠) في كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق . وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٨/٣٥٣) .



الموضع الثالث:

* وفي قول الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: ٤] (١).

١٩٨- **قال عطاء الخراساني**: مالَت قلوبكما (٢).

الدراسة:

* الخطاب للزَّوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ عائشة وحفصة رضي الله عنهما، حيث كانتا سبباً لتحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحب، فعرض الله عليهما التوبة، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن من الورع والأدب مع الرسول ﷺ واحترامه، وأن لا يشقُقن عليه (٣).

الأقوال في الآية (٤):

القول الأول: أي مالت، قاله عطاء الخراساني، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما (٥)، وقتادة (٦)، وبنحوه قال جمهور المفسِّرين (٧).

القول الثاني: صغت يعني: أثمت، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما (٨).

القول الثالث: أي زاغت، وهو قول مجاهد (٩)، والضحاك، وسفيان

---

(١) الآية بتمامها: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾.

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٣)، ص١١٩، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٧٣)

(٤) جامع البيان (٢٣/٩٣)، النكت والعيون (٦/٤٠).

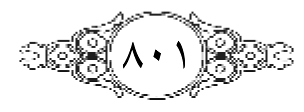
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢١٩) لابن المنذر.

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٢٢)، والطبري (٢٣/٩٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢١٩) لعبد بن حميد.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/١٦٦)، معاني القرآن للزجاج (٥/١٥٠)، بحر العلوم (٣/٤٦٧)، الكشف والبيان (٩/٣٤٦)، الوسيط (٤/٣١٩)، معالم التنزيل (٥/١١٩)، الكشاف (١١٢٠)، المحرر الوجيز (١٨٧٣)، زاد المسير (١٤٥٢)، التفسير الكبير (٣٠/٣٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٠٦)، أنوار التنزيل (٥/٢٢٤)، مدارك التنزيل (٢/٧٠١)، التسهيل (٤/٢٤٤)، البحر المحيط (٨/٤٠٩)، إرشاد العقل السليم (٦/٢٦٨)، روح المعاني (٢٨/٢٢٦)، فتح القدير (٥/٣١١)، تفسير المراغي (١٠/١٠٢)، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٣)، التحرير والتنوير (٢٨/٣٥٦)، أضواء البيان (٨/٢٣٢).

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٩٣)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢١٩) عزوه لابن مردويه.

(٩) تفسير مجاهد (٣٠١)، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٩٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢١٩) لعبد بن حميد.



الثوري[1].

الجمع أو الترجيح :

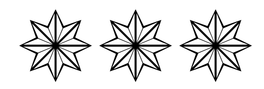
الأقرب للمعنى – والله أعلم – هو القول الأول ، ويمكن أن يحمل الميل فيه على الميل إلى الصواب بعد التوبة ، باعتبار أنَّ التوبة تحقق ذلك ، أو يحمل على أنَّ القلوب قد مالت عن الصواب وزاغت بمجانبة الأسلوب اللائق في التعامل مع النبي الكريم ﷺ فتؤمر بالتوبة إلى الله لمحو ذلك .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه [2].

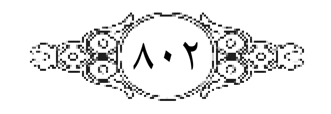
وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح في المعنى .

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (و ﴿صَغَتْ﴾ : مالت ، أي مالت إلى الخير وحق المعاشرة مع الزوج ، ومنه سمي سماع الكلام إصغاء لأن المستمع يُميل سمعه إلى من يكلمه ... وفيه إيماء إلى أن فيما فعَلَتَاه انحرافاً عن أدب المعاشرة الذي أمر الله به ، وأنَّ عليهما أن تتوبا مما صنعتاه ليقع بذلك صلاح ما فسد من قلوبهما) [3] .

والله أعلم ، ،



(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/٩٤) .
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .
(٣) التحرير والتنوير (٢٨/٣٥٦) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ [التحريم : ٥][١] .

١٩٩- **قال عطاء الخراساني** : الصائمات [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية تحذير لأزواج النبي ﷺ أنه إن طلقهنَّ أن يبدله أزواجاً خيراً منهنَّ ديناً وجمالاً ، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد ، ولا يلزم وجوده ، فإنه ما طلقهن ، ولو طلقهن ، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات ، الجامعات بين الإسلام والإيمان . فلما سمعن -رضي الله عنهن- هذا التخويف والتأديب ، بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ ، فكان هذا الوصف منطبقًا عليهن ، فصرن أفضل نساء المؤمنين ، وفيه دليل على أنَّ الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأفضلها ، ولما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دلَّ على أنهن خير النساء وأكملهن [٣] .

الأقوال في الآية[٤] :

اختلف أهل العلم في معنى السائحات على قولين :

القول الأول : الصائمات ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٥] ، وقتادة [٦] ، والضحاك [٧] ، وعكرمة ، وأبو مالك [٨] ، وهو قول الفراء [٩] ، والزجاج [١٠] ، والسمرقندي [١١] ، والواحدي [١٢] ، ....

---

(١) الآية بتمامها : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٦٤) ، ص١٢٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٨٧٣-٨٧٤) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٦/ ٤٢) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٠١) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/ ٣٢٣) ، والطبري (٢٣/ ١٠١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٢٤) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٠٢) .

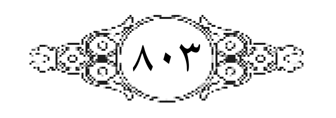
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٢٤) لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٩) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦٧) .

(١٠) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٥١) .

(١١) بحر العلوم (٣/ ٤٦٩) .

(١٢) الوسيط (٤/ ٣٢١) .



والراغب [(١)]، واختاره ابن كثير[(٢)].

قال الزجاج رحمه الله: (وقال أهل اللغة : إنما قيل للصائم سائح لأنَّ الذي يسيح متعبِّدٌ ولا زاد معه ، فحين يجد الزاد يُطْعَم ، والصائم كذلك ؛ يمضي النهار ولا يَطْعَم شيئاً ، فلشبهه به سمِّي سائحاً) [(٣)] .

القول الثاني : سائحات أي مهاجرات ، قاله زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن ، وقال : " ليس في القرآن ولا أمة محمد ﷺ سياحة إلا الهجرة " [(٤)].

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (والسائحات : المهاجرات ؛ وإنما ذكر هذا الوصف لتنبيههن على أنهنّ إن كنّ يمتُنّ بالهجرة فإن المهاجرات غيرَهن كثير، والمهاجرات أفضل من غيرهن) [(٥)].

الجمع أو الترجيح :

أكثر المفسِّرين على ذكر القولين دون ترجيح في معنى السائحات [(٦)].

والأقرب – والله أعلم – هو القول الأول ، الذي عليه المفسِّرون وأهل اللغة أنَّ السائحات هنَّ الصائمات .

ويشهد لذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « السَّآئِحُوْنَ هُمُ الصَّآئِمُوْنْ»[(٧)].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٢٢٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٣١) ، (٤/٤١٢) .

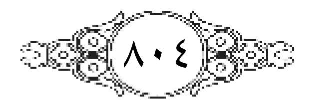
(٣) معاني القرآن (٥/١٥١) .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/١٠٢) .

(٥) التحرير والتنوير (٢٨/٣٦١) .

(٦) انظر : الكشف والبيان (٩/٣٤٩) ، معالم التنزيل (٥/١٢٢) ، الكشاف (١١٢٠) ، المحرر الوجيز (١٨٧٣)، زاد المسير (١٤٥٣) ، التفسير الكبير (٣٠/٤٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٠٩) ، أنوار التنزيل (٥/٢٢٥)، مدارك التنزيل (٢/٧٠٢) ، التسهيل (٤/٢٤٥) ، البحر المحيط (٨/٤١١) ، تفسير ابن كثير (٤/٤١٢) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٦٨) ، روح المعاني (٢٨/٢٣٠) ، فتح القدير (٥/٣١١) ، تفسير المراغي (١٠/١٠٠) .

(٧) **ضعيف** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٢/١٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٩٧) عزوه للفريابي ، ومسدد في مسنده ، والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عبيد بن عمير عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال عنه ابن كثير في تفسيره (٢/٤٣١) : (وهذا مرسل جيد) ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٧٠٧٣) ، وتكلم عنه عند الحديث رقم : (٣٣٣٠) .



ولفظ السياحة من الألفاظ الكلية المطَّردة في القرآن الكريم [1]، وقد ورد عن ابن عباس والضحاك أنَّ كلُّ ما ذَكَر الله في القرآن من السياحة فالمقصود به الصائمون [2].

قال الراغب : (﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾ أي صائمات ، قال بعضهم : الصوم ضربان : حقيقي وهو ترك المطعم والمنكح ، وصوم حكمي ؛ وهو حفظ الجوارح عن المعاصي كالسمع والبصر واللسان ، فالسائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الصوم الأول ، وقيل : السائحون هم الذين يتحرَّون ما اقتضاه قوله : ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ﴾ [الحج : ٤٦]) [3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ : (وأما السياحة المذكورة في القرآن فليس المراد بها هذه السياحة المبتدعة فإنَّ الله قد وصف النساء اللاتي يتزوجهن رسوله بذلك ، والمرأة المزوَّجة لا يشرع لها أن تسافر في البراري سائحة بل المراد بالسياحة شيئان : أحدهما : الصيام) [4].

وقال ابن كثير ﷺ : (وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري ، فإنَّ هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتَن والزلازل في الدين ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « يُوْشِكُ أَنْ يَكُوْنَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ ، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِيْنِه مِنَ الفِتَنْ »[5]) [6].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى

---

(١) انظر : كليات الألفاظ في التفسير (١/٤١٠) .

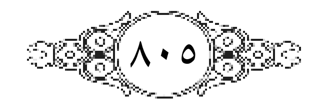
(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٢/١٣-١٤) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٢٢٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٦٤٣) .

(٥) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (١٩) في كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن ، وبرقم : (٣٣٠٠) في كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، وبرقم : (٧٠٨٨) في كتاب الفتن ، باب التعرّب في الفتنة .

(٦) تفسير ابن كثير (٢/٤٣١) .



قول من بعده [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ومما ينبغي أن يعلم أنَّ الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرِف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم) [2].

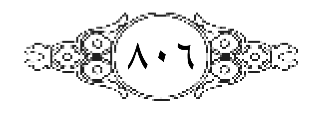
والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أنه يُستأنس به هنا ، لأنه شاهد على معنى لغوي ، وعليه فقول عطاء الخراساني وافق القول الصحيح في المسألة .

ويمكن أن يقال : أعمُّ من ذلك ما قاله ابن القيم رحمه الله : (وصف الله سبحانه نساء النبي ﷺ اللاتي لو طلَّق أزواجه بدَّله بهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طلب علم ، ولا إدامة صيام ، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته ، والإنابة إليه وذكره) [3].

والله أعلم ، ،

❊❊❊

(١) قواعد التفسير (١/١٤٩) .
(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٨٦) .
(٣) حادي الأرواح (٥٩) .



سورة الملك

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك : ٣] [١].

٢٠٠- **قال عطاء الخراساني** : يقال : لا يفوت بعضه بعضاً [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية يبيِّن الله نعمة من نعمه ، وآية من آياته ، وهي السماوات السبع التي أحكم خلقها وأتقنه سبحانه وتعالى ، كل واحدة فوق الأخرى ، وخلقها في غاية الحسن والإتقان ، ليس فيها اختلاف ولا خلل ولا نقص .

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : لا يفوت بعضه بعضاً ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤].

القول الثاني : من اختلاَف ، قاله قتادة [٥]، ووافقه الطبري [٦]، والزجاج[٧].

القول الثالث : من تشقق ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٨].

القول الرابع : من عيب ، قاله السدي [٩].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٥٦) ، ص٩٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكر هذا الأثر عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٥١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٥١) .

(٤) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٣٤) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

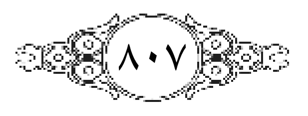
(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٢٦) ، والطبري (٢٣/١١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٣٤) عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٦) جامع البيان (٢٣/١١٩) .

(٧) معاني القرآن للزجاج (٥/١٥٥) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٦٣) برقم : (١٨٩٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٣٥) عزوه لابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن مردويه .

(٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٥١) .



الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة في المعنى ، وهي تدلُّ في مجملها على معنى واحد ، وهو أنه ليس في خلق السماوات من اختلاف ولا عيب ؛ لا يتقدَّم بعضها على بعض ، خلْقُها متناسب محكم ، لا خلل فيه ولا نقص ، وإنما مستقيمة مستوية تدلّ على عظمة خالقها جلَّ وعزَّ . وإذا انتفى النقص من كل وجه ، صارت حسنة كاملة ، متناسبة من كل وجه ، في لونها وهيئتها وارتفاعها ، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات ، الثوابت منهن والسيارات .

وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [(١)].

قال الراغب ﷺ : (أي ليس فيها ما يخرج عن مقتضى الحكمة) [(٢)].

وعلى هذا فقول عطاء الخراساني قول صحيح في الآية .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٣)].

قال الطاهر ابن عاشور ﷺ : (والمقصود منه التعريض بأهل الشرك إذ أضاعوا النظر والاستدلال بما يدلُّ على وحدانية الله تعالى بما تشاهده أبصارهم من نظام الكواكب ، وذلك مُمكن لكل من يبصر ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق : ٦]) [(٤)].

والله أعلم ،،

✵ ✵ ✵

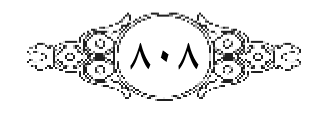
---

(١) انظر : بحر العلوم (٣/٤٧٤) ، الكشف والبيان (٩/٣٥٦) ، الوسيط (٤/٣٢٦) ، معالم التنزيل (٥/١٢٥)، الكشاف (١١٢٥) ، المحرر الوجيز (١٨٧٧) ، زاد المسير (١٤٥٦) ، التفسير الكبير (٣٠/٥١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١١٥) ، أنوار التنزيل (٥/٢٢٨)، مدارك التنزيل (٢/٧٠٦) ، التسهيل (٤/٢٤٩) ، البحر المحيط (٨/٤١٨) ، تفسير ابن كثير (٤/٤١٨) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٧٥) ، روح المعاني (٢٩/١٠) ، فتح القدير (٥/٣٢١) ، تفسير المراغي (١٠/١١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٥) ، التحرير والتنوير (٢٩/١٧) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٣٨٨) .

(٣) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٩/١٧) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك : ٣] (١).

٢٠١- **قال عطاء الخراساني** : يقال : هل ترى من تشقق أو خلل (٢) .

الدراسة :

* يأمر الله عباده في هذه الآية بالتدبُّر في خلق السماوات ، ومن أعاد النَّظر معتبراً متدبِّراً لن يجد خللاً أو نقصاً في هذا الخلق العظيم ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

الأقوال في الآية(٣) :

القول الأول : هل ترى من تشقق أو خلل ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما(٤)، وسفيان الثوري (٥)، ومنه قول الشاعر (٦):

بَنَى لَكُمُ بِلاَ عَمَدٍ سَمَاءً   وَزَيَّنَهَا فَمَا فِيهَا فُطُورُ

القول الثاني : من خلل ، قاله قتادة (٧)، والسدي (٨).

القول الثالث : من خروق ، قاله السدِّي (٩).

القول الرابع : من وهيٍ ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما(١٠).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٥٨) ، ص٩٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٥١) .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٣٦٣) برقم : (١٨٩٣٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٣٥) عزوه لابن جرير – ولم أقف عليه - ، وابن مردويه .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/١٢١) .

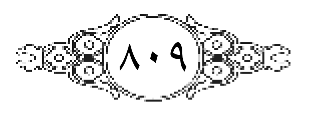
(٦) **لم أقف على قائله** ، وهو من شواهد كشف البيان (٩/٣٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٢/٣١١٦) ، والبحر المحيط (٨/٤١٩) ، وفتح القدير (٥/٣٢١) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٢٦) ، والطبري (٢٣/١٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٣٤) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٣٥) لابن المنذر .

(٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٥١) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/١٢٠) .



الجمع أو الترجيح :

الأقـوال متقاربـة في المعـنى ، وهـي تـدلُّ علـى معـنى واحـد ، وهـو أنَّ مـن رجَّع البصر في خلق الـسماوات وجـد مـن عظـيم الـصنعة الإلهيـة أنـه لـيس في هـذه الـسماء تـشقق أو خلـل ، أو خـروق أو وهـن ، بـل هـي محكمـة الخلـق ، عظيمـة الصنع ، أتقنها الله الذي أتقن كلَّ شيء .

قال ابن كثير ﷺ بعد ذكر الأقوال : (وهذه كلها متقاربة) [(١)].

وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [(٢)].

قـال الراغـب ﷺ : (أي اخـتلال ووهـيٌ فيـه ، وذلـك قـد يكـون علـى سـبيل الفـساد ، وقـد يكـون علـى سـبيل الـصلاح ، قـال : ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ [المزّمل : ١٨]) [(٣)].

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [(٤)].

وعلى هذا فقول عطاء الخراساني قول صحيح في الآية .

قـال ابـن عاشـور ﷺ : (والفطـور : جمـع فَطْـر بفـتح الفـاء وسـكون الطـاء ، وهــو الــشَقّ والــصَّدع ، أي لا يــسعك إلاّ أن تعتــرف بانتفــاء الفطــور في نظــام الـسماوات ، فتراهـا ملتئمـة محبوكـة لا تـرى في خلالهـا انـشقاقاً ، ولـذلك كـان انفطار السماء وانشقاقها علامة على انقراض هذا العالم ونظامِه الشمسي) [(٥)].

---

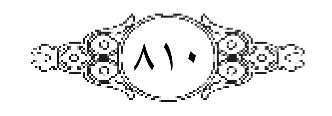
(١) تفسير ابن كثير (٤/٤١٨) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١٧٠) ، جامع البيان (٢٣/١٢٠) ، معاني القرآن للزجاج (٥/١٥٥) ، بحر العلوم (٣/٤٧٤) ، الكشف والبيان (٩/٣٥٧) ، الوسيط (٤/٣٢٦) ، معالم التنزيل (٥/١٢٥) ، الكشاف (١١٢٥) ، المحرر الوجيز (١٨٧٧) ، زاد المسير (١٤٥٦) ، التفسير الكبير (٣٠/٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١١٦) ، أنوار التنزيل (٥/٢٢٨)، مدارك التنزيل (٢/٧٠٦) ، التسهيل (٤/٢٤٩) ، البحر المحيط (٨/٤١٩) ، تفسير ابن كثير (٤/٤١٨) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٧٥) ، روح المعاني (٢٩/١١)، فتح القدير (٥/٣٢١) ، تفسير المراغي (١٠/١١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٥) ، التحرير والتنوير (٢٩/١٩) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٣٨٤) .

(٤) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٥) التحرير والتنوير (٢٩/١٩) .



سورة القلم

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿نٓ﴾ [القلم : ١] .

٢٠٢- **قال عطاء الخراساني** : هو الحوت الذي يحمل الأرض (١) .

الدراسة :

* هذه السورة افتتحت بحرف من الحروف المقطعة ، وهي أوَّل سورة نزلت بحرف مقطَّع من حروف الهجاء (٢) .

❖ القراءات في الآية (٣) :

* قرأ الكسائي ، ويعقوب ، وخلف ، وهشام : بإدغام النون في الواو، واختلف فيه عن ورش ، وعاصم ، والبزي ، وابن ذكوان .

* وقرأ الباقون بالإظهار ، وهما لغتان معناهما واحد .

الأقوال في الآية(٤) :

القول الأول : أن النون الحوت الذي عليه الأرض ، قاله عطاء الخراساني، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما (٥)، ومجاهد (٦)، وابن جريج(٧).

القول الثاني : أنه حرف من حروف الرحمن ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما (٨)، يعني من الحروف المقطَّعة .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣١٢١/٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٣٣١/٥) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٥٩/٢٩) .

(٣) انظر : المبسوط (٣١٠) ، البدور الزاهرة (٣٨٢/٢) .

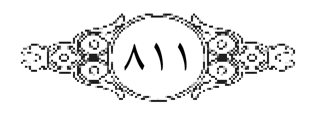
(٤) انظر : جامع البيان (١٤٠/٢٣-١٤٤) ، النكت والعيون (٥٩/٦-٦٠) ، زاد المسير (١٤٥٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٢١/٢-٣١٢٢).

(٥) تفسير مجاهد (٣٠٤) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٢٩/٣) ، والطبري (١٤١/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٤٠/٨) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – ، وأبو الشيخ في العظمة ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، والخطيب في تاريخه ، والضياء في المختارة .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤٢/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٢/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٢/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٤٢/٢٣) .



القول الثالث : أنَّ النون الدواة ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ [(١)]، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)]، والحسن ، وقتادة [(٣)].

القول الرابع : هو لوح من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة ، رواه معاوية بن قرة ، عن أبيه [(٤)]، عن النبي ﷺ [(٥)].

القول الخامس : أنه قَسَم أقسم اللَّه به ، وللَّه تعالى أن يقسِم بما يشاء ، قاله قتادة ، وابن زيد [(٦)].

القول السادس : أنه اسم من أسماء السورة ، وهو مأثور .

القول السابع : أنه حرف من حروف المعجم [(٧)].

القول الثامن : أن نون بالفارسية أيذون كن ، قاله الضحاك [(٨)].

القول التاسع : أنَّ نون نهر في الجنَّة ، قاله جعفر الصادق .

القول العاشر : أنه قسَمٌ بنصرة المؤمنين ، وهو قول القرظي [(٩)].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم - أنَّ ﴿نٓ﴾ من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن الكريم ، وأنَّ الخلق عاجزون عن معارضته . وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [(١٠)].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٤١) للحكيم الترمذي – ولم أقف عليه – .

(٢) تفسير مجاهد (٣٠٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/١٤٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٤١) عزوه لابن المنذر ، وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٣/٣٢٩) ، والطبري (٢٣/١٤٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٤١) عزوه لابن المنذر .

(٤) **قرة بن إياس بن هلال المزني** = أبو معاوية ، صحابي نزل البصرة ، وهو جد إياس القاضي ، روى عنه ابنه معاوية ، مات سنة أربع وستين . انظر : التاريخ الكبير (٧/١٨٠) ، تقريب التهذيب (٤٥٥) . وتقدمت ترجمة ابنه معاوية بن قرة .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/١٤٤) .

(٦) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/١٤٤) .

(٧) ذكر القولين السادس والسابع الطبري في تفسيره (٢٣/١٤٤) .

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/٦٠) .

(٩) ذكر القولين التاسع والعاشر : الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/٦) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/١٥٨) ، المفردات في غريب القرآن (٥١١) ، الكشاف (١١٢٨) ، المحرر



قالوا : ويؤيد هذا سكونه وكتبه بصورة الحرف [١].

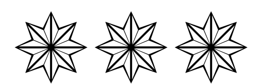
وقد ناقش الزمخشري ﷺ الأقوال الأخرى فقال : (وأمَّا قولهم : هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي؟ ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو علماً ، فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين ! ، وإن كان علماً فأين الإعراب ، وأيهما كان فلا بد له من موقف في تأليف الكلام . فإن قلت : هو مقسم به وجب إن كان جنساً أن تجرّه وتنوّنه ، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة ، كأنه قيل : ودواة والقلم ، وإن كان علماً أن تصرفه وتجرّه ، أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث ، وكذلك التفسير بالحوت : إما أن يراد نون من النينان ، أو يجعل علماً للبهموت الذي يزعمون ، والتفسير باللوح من نور أو ذهب ، والنهر في الجنة نحو ذلك) [٢].

وقال الألوسي ﷺ : (وللبحث في البعض مجال ، وللقصاص هذا الفصل روايات لا يعول عليها ولا ينبغي الإصغاء إليها) [٣].

والقاعدة التفسيرية : أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه [٤].

ومما سبق يتَّضح أن قول عطاء الخراساني قول ضعيف في المعنى لا يعوَّل عليه ، وهو من الإسرائيليات في التفسير .

والله أعلم ، ،



الوجيز (١٨٨١) ، التفسير الكبير (٦٩/٣٠) ، أنوار التنزيل (٢٣٣/٥) ، مدارك التنزيل (٧١١/٢) ، التسهيل (٢٥٤/٤) ، البحر المحيط (٤٣١/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٢٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٨٤/٦) ، روح المعاني (٤٠/٢٩) ، فتح القدير (٣٣٢/٥) ، تفسير المراغي (١٢٥/١٠) .

(١) وقد تقدّم الكلام على تفسير الحروف المقطعة في بداية السور أول سورة غافر .

(٢) الكشاف (١١٢٨) .

(٣) روح المعاني (٤٠/٢٩) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القلم : ٢٨] .

٢٠٣- **قال عطاء الخراساني** : يقول أفضلهم وأعدلهم [١] .

الدراسة :

* هذه الآية في سياق قصة أصحاب الجنة الذين منعوا منها المساكين ، وتفسير عطاء الخراساني أوسطهم بأنه : أفضلهم وأعدلهم ، هو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما : أعدلهم[٢] ، وبنحوه قال سعيد بن جبير [٣]، ومجاهد[٤]، وعكرمة[٥]، والضحاك [٦]، وقتادة [٧]، ومحمد بن كعب ، والربيع بن أنس[٨].

وعامة أقوال المفسِّرين تدور في أنَّ المقصود بأوسطهم : أعقلهم وأعدلهم وخيرهم ، وأفضلهم ، وأرجحهم عقلاً ، وأقربهم إلى الخير [٩].

قال الراغب رحمه الله : (والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان ، يقال هذا أوسطهم حَسباً إذا كان في واسطة قومه ، وأرفعهم محلاً ، وكالجود الذي هو

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٧٥) ، ص١٢٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه بالضعف ص(١٧١) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨٠/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٦٦/١٠) برقم : (١٨٩٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٥٣/٨) عزوه لابن المنذر.

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨١/٢٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨١/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٨) لعبد بن حميد.

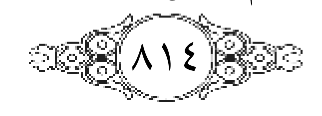
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٨) لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨٢/٢٣) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٣٥/٣) ، والطبري (١٨١/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) ذكره عنهما ابن كثير في تفسيره (٤٢٩/٤) .

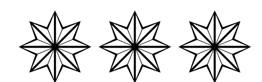
(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج (١٦٢/٥) ، بحر العلوم (٤٨٣/٣) ، الكشف والبيان (١٧/١٠) ، النكت والعيون (٦٩/٦) ، الوسيط (٣٣٨/٤)، معالم التنزيل (١٣٨/٥) ، الكشاف (١١٣١) ، المحرر الوجيز (١٨٨٦) ، زاد المسير (١٤٦٣)، التفسير الكبير (٨٠/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٣٠/٢) ، أنوار التنزيل (٢٣٥/٥) ، مدارك التنزيل (٧١٤/٢) ، التسهيل (٢٥٩/٤) ، البحر المحيط (٤٤١/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٢٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٨٨/٦) ، روح المعاني (٥٣/٢٩) ، فتح القدير (٣٣٨/٥) ، تفسير المراغي (١٢٩/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٨٠) ، التحرير والتنوير (٨٦/٢٩) .



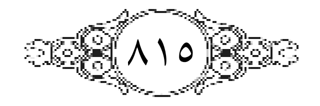
بين البخل والسَّرف ، فيستعمل استعمال القصد المَصُون عن الإفراط والتفريط ، فيمدح به نحو : السَّواء والعَدل والنَّصَفة ، نحو : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وعلى ذلك : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾) [(١)].

وبهذا يتَّضح المقصود ..

والله أعلم ، ،



(١) المفردات في غريب القرآن (٥٣٧) .



الموضع الثالث :

* وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم : ٤٨] [١] .

٢٠٤- قال عطاء الخراساني : مكروب [٢] .

الدراسة :

* في هذه الآية يأمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أذى قومه ، وألا يكن كصاحب الحوت وهو يونس عليه السلام إذ ضجر من تكذيب قومه له ، والمعنى : أي لا يكن منك ما يلجئك إلى مثل ندائه ، ففيه التحذير من الوقوع في كرب من قبيل كرب يونس ثمَّ لا يدري كيف يكون انفراجه [٣] .

الأقوال في الآية[٤] :

اختلف المفسِّرون في معنى المكظوم على أقوال :

القول الأول : مكروب ، قاله عطاء الخراساني ، وأبو مالك [٥]، وبنحوه قال السمرقندي [٦]، وقال ابن جزيّ : (الشديد الحزن) [٧].

القول الثاني : مغموم ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٨]، ومجاهد [٩]، وعبارة جمع من المفسِّرين : مملوء غمّاً [١٠].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٧٦) ص١٢٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٧٣/٦) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣١٣٤/٢) ، وابن كثير في تفسيره (٤٣٢/٤) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (١٠٥/٢٩) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٧٣/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٣٤/٢) ، تفسير ابن كثير (٤٣٢/٤).

(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٧٣/٦) ، وابن كثير في تفسيره (٤٣٢/٤) .

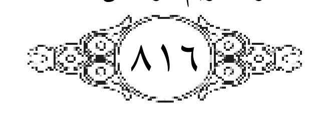
(٦) بحر العلوم (٤٨٦/٣) .

(٧) التسهيل (٢٦١/٤) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٠/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/٨) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٠/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/٨) لعبد بن حميد .

(١٠) انظر : معاني القرآن للزجاج (١٦٤/٥) ، الكشف والبيان (٢٣/١٠) ، الوسيط (٣٤١/٤) ، معالم التنزيل (١٤٢/٥) ، زاد المسير (١٤٦٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٨١).



وقيل في الفرق بين الكرب والغمِّ : أنَّ الغمَّ في القلب ، والكرب في الأنفاس[(١)] .

القول الثالث : المملوء غيظاً ، قاله جماعة من المفسِّرين [(٢)] .

والمكظوم : من أثقله الهمُّ وكظمه ، والمملوء غمَّاً وكرباً [(٣)] .

قال أبو حيان ﷺ : (﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ : مملوء غيظاً على قومه ، إذ لم يؤمنوا لما دعاهم إلى الإيمان ، وأحوجوه إلى استعجال مفارقته إياهم)[(٤)] .

ومنه قول الشاعر [(٥)] :

وَأَنْتَ مِنْ حُبِّ مَيٍّ مُضْمِرٌ حُزْنَاً　　عَانِيْ الفُؤَادِ قَرِيْحَ القَلْبِ مَكْظُوْمِ

القول الرابع : المكظوم : المحبوس المسدود عليه ، يقال : كظم الباب أغلقَه وكظَم النهر إذا سده ، والمعنى : نادى في حال حبسه في بطن الحوت، وجيء بهذه الحال جملة اسمية لدلالتها على الثبات ، أي هو في حبس لا يرجى لمثله سراح ، وهذا تمهيد للامتنان عليه بالنجاة من مثل ذلك الحبس . ذكره الأستاذ الطاهر ابن عاشور [(٦)] .

قال الرَّاغب ﷺ: (وكظَم فلان حبَس نَفَسُه) [(٧)] .

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، وتدل على معنى واحد ، وهو الشدّة والكرب والغمّ من

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/٧٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٣٤) .

(٢) انظر : الكشاف (١١٣٣) ، المحرر الوجيز (١٨٨٨) ، التفسير الكبير (٣٠/٨٨) ، أنوار التنزيل (٥/٢٣٧) ، مدارك التنزيل (٢/٧١٧) ، البحر المحيط (٨/٤٤٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٩٠) ، روح المعاني (٢٩/٦٣) ، فتح القدير (٥/٣٤٣) ، تفسير المراغي (١٠/١٣٤) .

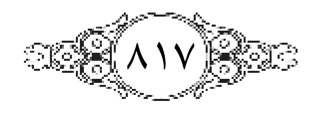
(٣) انظر : جامع البيان (٢٣/١٩٩) ، معاني القرآن للزجاج (٥/١٦٤) .

(٤) البحر المحيط (٨/٤٤٦) .

(٥) **البيت منسوب لذي الرمة** ، ولم أقف عليه في ديوانه ، وهو من شواهد ابن عطية في المحرر الوجيز (١٨٨٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٨/٤٤٦) ، والألوسي في روح المعاني (٢٩/٦٣) ، والشوكاني في فتح القدير (٥/٣٤٣) .

(٦) انظر : التحرير والتنوير (٢٩/١٠٥) .

(٧) المفردات في غريب القرآن (٤٣٤) .



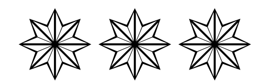
إعـراض قومـه ، أو مـن حبـسه في بطـن الحـوت . ولا مـانع مـن حمـل المعـنى عليها جميعاً .

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [1].

وعليه فقـول عطـاء الخراسـاني قـول صـحيح داخـل في المعـنى المـراد ، وهـو الأقرب من حيث اللغة .

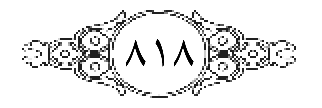
قال ابن منظور : (مكظوم : مكروب قد أخذ الهمّ بكَظَمه) [2].

والله أعلم ، ،



(١) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٢) لسان العرب (١٣/٧٥) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [القلم : ٥١] [(١)].

٢٠٥- **قال عطاء الخراساني** : ليزيلونك بأبصارهم [(٢)].

الدراسة :

* في هذه الآية يُطلِع الله رسوله ﷺ على بعض ما تنطوي عليه نفوس المشركين نحوه ﷺ ؛ من الحقد والغيظ وإضمار الشرّ عندما يسمعون القرآن .

فكادوا يصيبونه ويزيلونه بأعينهم ، من شدة حسدهم وغيظهم وحنقهم ، وهذا منتهى ما قدِروا عليه من الأذى الفعلي ، والله حافظه وناصره منهم .

والزلَق : المكان المزلقة لا يثبت عليها قدم . أو : زَلل الرجل من مَلاَسَةِ الأرض من طين عليها أو دهن [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

تنوعت عبارات المفسِّرين في معنى هذه الآية واختلفت ، ويجمع هذه الأقوال قولان :

القول الأول : أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك ، من قولهم : نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني ، ويكاد يأكلني ، أي : لو أمكنه بنظره الصراع أو الأكل لفعله، ومنه قول الشاعر [(٥)]:

يَتَقَارَضُوْنَ إِذَا التَقَوْا فِيْ مَوْطِنٍ ... نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأَقْدَامِ

وتنوعت فيه عبارات المفسِّرين على أقوال :

---

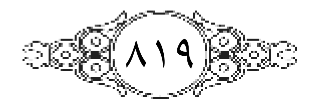
(١) الآية بتمامها : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٧٧) ، ص١٢٢ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : لسان العرب (٧/٥٠) مادة : زلق ، التحرير والتنوير (٢٩/١٠٨) .

(٤) النكت والعيون (٦/٧٤) ، زاد المسير (١٤٦٥).

(٥) **لم أقف على قائله** ، ومعنى البيت : أي ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء ، يزيل الأقدام عن مواطئها . والبيت من شواهد : تهذيب اللغة (٨/٢٦٨) ، لسان العرب (١٢/٧١) مادة : قرض ، تاج العروس (٢٥/٤١٣) ، ومن التفسير : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١٧١) ، الكشف والبيان (١٠/٢٤) ، الكشاف (١١٣٣) ، زاد المسير (١٤٦٥) ، التفسير الكبير (٣٠/٨٩) ، روح المعاني (٢٩/٦٤) .



الأول : ليزيلونك بأبصارهم ، قاله عطاء الخراساني .

الثاني : لينفِذونك بأبصارهم من شدة النظر ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(١)]، ومجاهد ، وقتادة [(٢)]، والضحاك [(٣)].

الثالث : ليمسُّونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك ، قاله السدي [(٤)].

قال الزجاج رحمه الله : (فأما مذهب أهل اللغة فالتأويل عندهم أنه من شدَّة إبغاضهم لك ، وعدوانهم يكادون بنظَرِهم نظَر البغضاء أن يضرُّوك) [(٥)].

وقال ابن قتيبة رحمه الله : (يريد أنَّهم ينظرون إليك بالعداوة نظراً شديداً يكاد يزلقك من شدَّته ؛ أي يسقطك) [(٦)].

قال ابن الجوزي رحمه الله معلِّقاً : (ويدلُّ على صحَّته أنَّ الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله تعالى : ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ ، والقوم كانوا يكرهون ذلك أَشَدَّ الكراهة ، فيُحِدُّون النظر إليه بالبغضاء) [(٧)].

وإلى هذا القول مال الواحدي [(٨)]، والبغوي [(٩)]، وابن الجوزي [(١٠)]، والشوكاني [(١١)]، وغيرهم .

القول الثاني : أنَّ الكفار قصدوا أنْ يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين ، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً ، ثم يرفع جانب خبائه ، فتمرُّ به النَّعم ، فيقول : لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه ، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عدة ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٢/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/٨) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – ، وابن مردويه .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/٨) لعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٣) .

(٤) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٧٤/٦) .

(٥) معاني القرآن للزجاج (١٦٥/٥) .

(٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (١٧٠) .

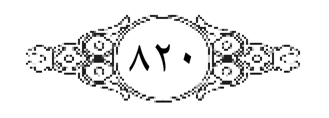
(٧) زاد المسير (١٤٦٥) .

(٨) الوسيط (٣٤٢/٤) .

(٩) معالم التنزيل (١٤٣/٥) .

(١٠) زاد المسير (١٤٦٥) .

(١١) فتح القدير (٣٤٤/٥) .



بالعين ، فعصم الله نبيَّه ، وأنزل هذه الآية ، قاله الكلبي ، وتابعه قوم من المفسِّرين تلقَّفوا ذلك من تفسيره ، منهم الفراء [(١)]، والسمرقندي [(٢)].

وتنوَّعت عبارات المفسِّرين تحت هذا المعنى على أقوال أشهرها :

الأول : ليعتانونك ، أي لينظرونك بأعينهم ، قاله الفراء [(٣)].

الثاني : ليصرعونك ، قاله الكلبي [(٤)].

الثالث : ليرمقونك ، قاله قتادة [(٥)].

الرابع : ليزهقونك ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٦)]، وكذلك كان يقرؤها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [(٧)]، وقتادة [(٨)].

واعترض بعضهم على هذا القول بأنَّ فيه نظراً ؛ لأنَّ الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان والإعجاب لا مع الكراهية والبغض ، ولهذا قال : ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ أي ينسبونك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن [(٩)].

قال الرازي رحمه الله مناقشاً هذا الرد : (واعلم أنَّ هذا السؤال ضعيف ، لأنهم وإن كانوا يبغضونه من حيث الدين ، لعلَّهم كانوا يستحسنون فصاحته ، وإيراده للدلائل) [(١٠)].

وقال القرطبي رحمه الله : (أقوال المفسرين واللغويين تدلُّ على ما ذكرنا ، وأنَّ مرادهم بالنظر إليه قتله ، ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك) [(١١)].

---

(١) معاني القرآن (٣/١٧٩) .

(٢) بحر العلوم (٣/٤٨٦) .

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/١٧٩) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٣٧) ، والطبري (٢٣/٢٠٣) .

(٥) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٦/٧٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٠٣) .

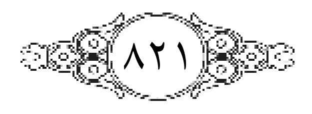
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٠٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٦٢) عزوه لأبي عبيد في فضائله .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٣٧) ، والطبري (٢٣/٢٠٣) .

(٩) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٦٥) ، وأورده الرازي في التفسير الكبير (٣٠/٩٠) عن الجبائي .

(١٠) التفسير الكبير (٣٠/٩٠) .

(١١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٣٥) .



وقال ابن كثير رحمه الله : (والمعنى : يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم . وفي هذه الآية دليل على أنَّ العين إصابتها وتأثيرها حقّ ، بأمر الله عز وجلَّ ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة)[1].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – الجمع بين القولين ، فيقال : أنَّ الذين كفروا أرادوا بالنبي ﷺ سوءاً ، فهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك ، إما بنظر الحقد والكره ، أو بقصد أن يصيبوه ﷺ بالعين ، وكلٌّ ذلك داخل في الآية .

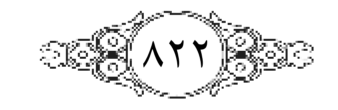
قال القرطبي رحمه الله بعد ذكر الأقوال كلِّها : (وهذا كله راجع إلى ما ذكرنا، وأنَّ المعنى الجامع : يصيبونك بالعين . والله أعلم)[2].

وقال أبو حيان رحمه الله : (﴿لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ﴾ : من يقول : لَّما ، ظرف ؛ يكون العامل فيه : ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾، وإن كان حرف وجوب لوجوب ، وهو الصحيح ، كان الجواب محذوفاً لدلالة ما قبله عليه ، أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك)[3].

وقد أورد جمع من المفسِّرين القولين في الآية ، دون ترجيح[4].

قال السعدي رحمه الله : (فجعل الله له العاقبة : ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ولم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوءهم ، حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم أي: يصيبوه بأعينهم ، من حسدهم وغيظهم وحنقهم ، هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي ، والله حافظه وناصره ، وأما الأذى القولي : فيقولون فيه أقوالاً بحسب ما توحي إليهم قلوبهم ، فيقولون تارة "مجنون" وتارة

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٣٥) .
(٣) البحر المحيط (٨/٤٤٧) .
(٤) انظر : الكشف والبيان (١٠/٢٣) ، الكشاف (١١٣٣) ، المحرر الوجيز (١٨٨٩) ، التفسير الكبير (٣٠/٨٩-٩٠)، أنوار التنزيل (٥/٢٣٨) ، مدارك التنزيل (٢/٧١٧) ، التسهيل (٤/٢٦٢)

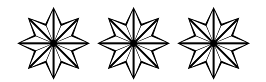


"ساحر" وتارة "شاعر") [(١)] .

والقاعـدة التفـسيرية : أنـه إذا دار اللفـظ بـين أن يكـون مقيَّـداً أو مطلقـاً فإنـه يحمل على إطلاقه [(٢)].

وقال ابن عاشـور ﷺ بعـد ذكـر الخـلاف : (وعلـى جميـع الوجـوه فقـد جعـل الإِزلاق بأبـصارهم علـى وجـه الاسـتعارة المكنيـة ، شـبّهت الأبـصار بالـسهام، ورمز إلى المشبه بـه بمـا هـو مـن روادفـه وهـو فعـل : يزلِقونـك ، وهـذا مثـل قولـه تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾ [آل عمران : ١٥٥]) [(٣)].

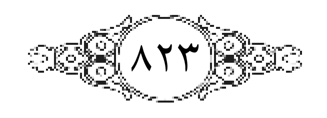
والله أعلم ، ،



(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٨٢) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/١٠٨) .



سورة الحاقة

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٦][1].

٢٠٦- **قال عطاء الخراساني** : صرصر باردة شديدة [2].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني الصرصر أنها الباردة الشديدة ، وذلك يرجع إلى الشدِّ لما في البرودة من التعقُّد [3].

الأقوال في الآية[4] :

القول الأول : الصرصر الريح الباردة الشديدة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [5]، وعكرمة [6]، والضَّحاك [7]، والحسن [8]، وقتادة [9]، وعلى ذلك جماعة من المفسِّرين [10]، مأخوذ من الصِّرِّ وهو البرد الشديد المحرق .

ومنه قول الشاعر [11]:

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرُّ ... وَالرِّيْحُ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرُّ

عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ ... إنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً فأنْتَ حُرُّ

---

(١) الآية بتمامها : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٢١) ، ص٩١ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٨٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٨٢) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٦/٧٧) ، الكشاف (١١٣٤) ، زاد المسير (١٢٥٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢١٠) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٦٥) لعبد بن حميد .

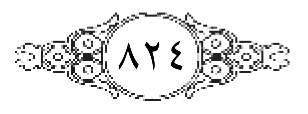
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢١١) .

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٧٧) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢١٠) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/١٦٧) ، بحر العلوم (٣/٤٨٨) ، الوسيط (١/٤٨٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٣٦) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٣٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٢٨٨) ، روح المعاني (٢٩/٥٣)، فتح القدير (٥/٣٣٨) .

(١١) **البيت لحاتم الطائي** ، وانظر ديوانه ص(٥٩) .



فقوله : ريح صرّ ، أي باردة شديدة البرد .

القول الثاني : أنها الشديدة ، قاله مجاهد [(١)]، وابن زيد [(٢)]، والمقصود : الشديدة الهبوب ، التي يسمع لهبوبها صوت شديد ، وعلى هذا فالصرصر من الصَّرَّة ، التي هي الصيحة المزعجة ، وهذا المعنى اختاره المراغي [(٣)]، والسعدي [(٤)]، وابن عاشور [(٥)].

قال السعدي رحمه الله : (قوية شديدة الهبوب ، لها صوت أبلغ من صوت الرَّعد القاصف) [(٦)].

القول الثالث : أنها الشديدة السموم ، فهو من الصَّرّ - بفتح الصاد - بمعنى الحرِّ ، قاله مجاهد [(٧)]، وهذا أنسب لديار العرب ، كما قال الألوسي[(٨)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها محتملة ، موافقة للغة ؛ لكنَّ الأقرب – والله أعلم – حمل الآية على المعنيين الأولين جميعاً ، لأنهما المعنيان المشهوران عند المفسِّرين، وقد احتملهما جماعة من المفسِّرين كالزمخشري [(٩)]، وابن عطية[(١٠)]، والقرطبي[(١١)]، والرازي[(١٢)]، وغيرهم [(١٣)].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١١/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٥/٨) لأبي الشيخ في العظمة .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢١١/٢٣) .

(٣) تفسير المراغي (١٣٨/١٠) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٨٨٢) .

(٥) التحرير والتنوير (١١٦/٢٩) .

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٨٨٢) .

(٧) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣١٣٧/٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٣٤٧/٥) .

(٨) روح المعاني (١٧٣/٢٤) .

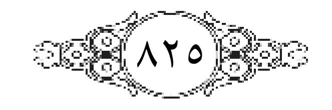
(٩) الكشاف (١١٣٤) .

(١٠) المحرر الوجيز (١٨٩٠) .

(١١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٣٦/٢) .

(١٢) التفسير الكبير (٩٢/٣٠) .

(١٣) انظر : أنوار التنزيل (٢٣٩/٥) ، مدارك التنزيل (٧٢٠/٢) ، التسهيل (٢٤/٤) ، البحر المحيط (٢٥٤/٨)، إرشاد العقل السليم (٢٩٤/٦) .

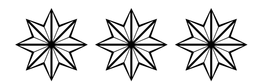


قال الشنقيطي ﷺ : (والأظهر أنَّ كلا القولين صحيح ، وأنَّ الريح المذكورة جامعة بين الأمرين ، فهي عاصفة شديدة الهبوب ، باردة شديدة البرد) [١].

وقد اخترت احتمال هذين القولين دون الثالث ، عملاً بالقاعدة التفسيرية: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [٢].

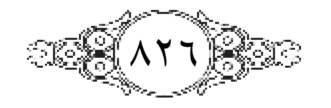
ومما سبق يتضح أنَّ قول عطاء الخراساني ﷺ صحيح في المعنى .

والله أعلم ، ،



(١) أضواء البيان (٧/٧٧) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾ [الحاقة : ١١] .

٢٠٧- **قال عطاء الخراساني** : طغا الماء : كثرة الماء وارتفاعه [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية يمتنُّ الله تعالى على عباده ، ويذكِّرهم بنعمة من نعمه ، حين أغرق قوم نوح في البحر ، فطغى الماء على وجه الأرض ، وعلا على مواضعها الرفيعة ، فامتن الله على الخلق الموجودين بعدهم أنَّه سبحانه حملهم في السفينة في أصلاب آبائهم وأمهاتهم الذين نجاهم ليحمدوه على أن نجاهم حين أهلك الطاغين ، وليعتبروا بآياته الدالة على توحيده [(٢)] .

الأقوال في الآية[(٣)] :

اختلف المفسِّرون في المراد بطغيان الماء في الآية على أقوال .

القول الأول : كثرة الماء وارتفاعه ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، والضَّحاك [(٦)].

القول الثاني : زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعاً ، قاله قتادة [(٧)].

القول الثالث : أنه طغى على خُزَّانه من الملائكة ، غضباً لربه فلم يقدروا على حبسه ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٨)]، وسعيد بن جبير [(٩)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٥٧) ، ص٩٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٨٨٢) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٧٩) ، بحر العلوم (٣/٤٨٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٣٨) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢١٩) .

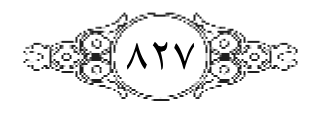
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٢٠) ، وعزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٦٦) لعبد بن حميد، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢٢٠) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٣٩) ، والطبري (٢٣/٢١٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٦٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٦٦) لسعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٢١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٦٧) لابن المنذر ، وأبو الشيخ .



الجمع أو الترجيح :

الصحيح - والله أعلم - هو أنَّ طغيان الماء هنا عبارة عن كثرته ، ومجاوزته الحد بارتفاعه وعلوه .

قال ابن عطية ﷺ : (والطغيان : الزيادة على الحدود المتعارفة في الأشياء، ومعناه طغا على خزَّانه في خروجه ، وعلى البشر في أن أغرقهم)[1].

وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [2].

والقاعدة التفسيرية : تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب [3].

وقول عطاء الخراساني في الآية صحيح يدلُّ على المقصود .

وطغيان الماء هنا إنما حصل بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه ﷺ فيما أوحى إليه من الأحكام التي من جملتها أحوال القيامة [4].

قال الطاهر بن عاشور ﷺ : (والطغيان : مستعار لشدته الخارقة للعادة تشبيهاً لها بطغيان الطاغي على الناس تشبيه تقريب فإنَّ الطوفان أقوى شدة من طغيان الطاغي) [5].

ولعلَّ في قول جماعة من المفسِّرين غفر الله لهم أنَّ الماء طغى على خُزَّانه من الملائكة فلم يقدروا على حبسه ، شيئاً من تنقيص قدر الملائكة الكرام ، ولم أجد دليلاً يدلُّ عليه ، بل عموم الأدلة عن الملائكة تدلُّ على أنهم قادرون منفِّذون مطيعون لكلِّ ما

---

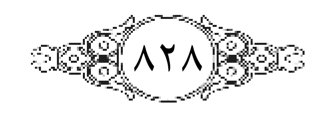
(١) المحرر الوجيز (١٨٩١) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (١٦٨/٥) ، الكشف والبيان (٢٧/١٠) ، الوسيط (٣٤٥/٤)، المفردات في غريب القرآن (٣٠٧) ، معالم التنزيل (١٤٥/٥) ، المحرر الوجيز (١٨٩١) ، زاد المسير (١٤٦٧)، التفسير الكبير (٩٥/٣٠) ، أنوار التنزيل (٢٤٠/٥) ، مدارك التنزيل (٧٢٠/٢) ، التسهيل (٢٦٥/٤) ، البحر المحيط (٤٥٢/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٣٦/٤) ، روح المعاني (٧٢/٢٩) ، فتح القدير (٣٤٩/٥) ، تفسير المراغي (١٣٩/١٠) ، التحرير والتنوير (١٢٣/٢٩) .

(٣) قواعد التفسير (٢١٧/١) .

(٤) انظر : إرشاد العقل السليم (٢٩٤/٦) ، روح المعاني (٧٣/٢٩) ، فتح القدير (٣٤٩/٥) .

(٥) التحرير والتنوير (١٢٣/٢٩) .

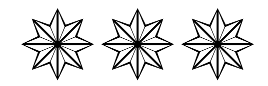


أمرهم الله به ، وقد قال تعالى عنهم : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠) ﴾ [النحل : ٤٩-٥٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾ [الأنبياء : ١٩-٢٠] .

فدلَّت هذه النصوص على قدرة الملائكة لتنفيذ كل ما أمرهم الله تعالى به ، فهم قادرون مطيعون : ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم : ٦] ، فمن كان هذا وصفهم فكيف يعجزهم حبس الماء الذي كلَّفهم الله به ، وهم خزَّانه ؟! .

والله أعلم ،،





الموضع الثالث:

* وفي قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) ﴾ [الحاقة : ٤٦] .

٢٠٨- **قال عطاء الخراساني** : نياط القلب [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية تصوير لإهلاك من يُفرَض تقوّله على الله بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه ، وهو أن يأخذ المقتول بيمينه ويكفحه بالسيف ، ويضرب به جيده ، ونظيره قوله ﷺ: « مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي ، فَهَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ أَبْهَرِي » [(٢)]، والأبهر عرق يتصل بالقلب ، فإذا انقطع مات صاحبه فكأنه قال : هذا أوان يقتلني السم ، وحينئذ صرت كمن انقطع أبهره [(٣)].

الأقوال في الآية [(٤)] :

اختلف المفسِّرون بالمراد من الوتين في الآية على أقوال .

القول الأول : أنَّ الوتين هو نياط القلب قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، وعكرمة [(٦)] ، وابن زيد [(٧)].

وهو عِرْق يكون في القلب ، فإذا انقطع مات الإنسان ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٨)]، والضحَّاك [(٩)].

ويقال أيضاً : حبْل القلب الذي في الظهر ، وهو الذي علِّق به القلب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(١٠)]، ومجاهد ، وقتادة [(١١)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٥٩) ، ص٩٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً ، في كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(٣) انظر : التفسير الكبير (١٠٦/٣٠) ، أنوار التنزيل (٢٤٣/٥) ، إرشاد العقل السليم (٢٩٨/٦) ، روح المعاني (٩٢/٢٩) ، فتح القدير (٣٥٥/٥) .

(٤) النكت والعيون (٨٧/٦) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٣/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٧٢/١٠) برقم : (١٨٩٨١) .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٧٦/٨) لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٥/٢٣) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٤/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٧٦/٨) لابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٥/٢٣) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٤/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٧٢/١٠) برقم : (١٨٩٨٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٧٦/٨) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه .

(١١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٤٤/٢٣-٢٤٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٧٦/٨) لعبد بن



وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين (١).

القول الثاني : أنه القلب ومراقُّه وما يليه ، قاله محمد بن كعب (٢).

وفي الإشارة إلى قطع ذلك إرادة لقتله وتلفه ، ومنه قول الشاعر (٣):

إذا بلَّغْتِني وحَمَلْتِ رَحلي   عَرابةَ فاشْرَقي بِدمِ الوَتينِ

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (إذا احتضر الإنسان أتاه ملك الموت فغمز وتينه ، فإذا انقطع الوتين ، خرج روحه فهناك حين يشخص بصره ويتبعه روحه) (٤).

الجمع أو الترجيح :

القول الراجح – والله أعلم – هو قول عطاء الخراساني ، وعليه جمهور المفسِّرين ؛ أنَّ الوتين هو نياط القلب ، وهو عرْق متَّصل بالقلب .

وهذا هو التفسير الموافق للغة العربية ، وهو المشهور من كلام العرب .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها (٥).

قال السعدي رحمه الله : (فلو قدِّر أنَّ الرسول - حاشا وكلا - تقوَّل على الله لعاجله بالعقوبة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر ، لأنه حكيم ، على كل شيء قدير ، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه ، الذي يزعم أنَّ الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم ، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة ، ومن خالفه فله

حميد .

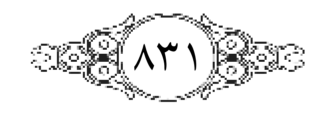
(١) انظر : معاني القرآن للزجاج (١٧٠/٥) ، بحر العلوم (٤٩٣/٣) ، الكشف والبيان (٣٣/١٠) ، الوسيط (٣٤٩/٤)، المفردات في غريب القرآن (٥٢٧) ، معالم التنزيل (١٥٠/٥) ، الكشاف (١١٣٨) ، المحرر الوجيز (١٨٩٥) ، زاد المسير (١٤٦٩)، التفسير الكبير (١٠٦/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٤٤/٢) ، أنوار التنزيل (٢٤٣/٥) ، مدارك التنزيل (٧٢٣/٢) ، التسهيل (٢٦٩/٤) ، البحر المحيط (٤٦١/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٤١/٤) ، إرشاد العقل السليم (٢٩٨/٦) ، روح المعاني (٩٢/٢٩) ، فتح القدير (٣٥٥/٥) ، تفسير المراغي (١٤٦/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٨٥) ، التحرير والتنوير (١٤٦/٢٩) .

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٨٧/٦) ، وابن كثير في تفسيره (٤٤١/٤) .

(٣) البيت **للشماخ بن ضرار التغلبي** رضي الله عنه ، انظر : ديوانه ص(٩٢) . وهو من شواهد : جامع البيان (٢٤٥/٢٣) ، المحرر الوجيز (١٨٩٥) ، زاد المسير (١٤٧٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٤٤/٢) ، البحر المحيط (٤٥٠/٨) ، روح المعاني (٩٢/٢٩) ، فتح القدير (٣٥٥/٥) ، مقاييس اللغة (٢٣٦/٢) .

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧٢/١٠) برقم : (١٨٩٨٢) .

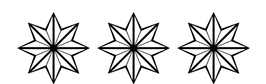
(٥) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .



الهلاك . فإذا كان الله قد أيَّد رسوله بالمعجزات ، وبَرْهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات ، ونصره على أعدائه ، ومكَّنه من نواصيهم ، فهو أكبر شهادة منه على رسالته) [1].

وقال ابن عاشور رحمه الله : (والوتين : عِرق معلَّق به القلب ، ويسمَّى النياط، وهو الذي يسقي الجسد بالدم ، ولذلك يقال له : نَهرُ الجسد ، وهو إذا قطع مات صاحبه وهو يقطع عند نحر الجزور . فقطع الوتين من أحوَال الجزور ونحرها ، فشبَّه عقاب من يُفرض تَقوُّله على الله بجزور تنحر فيقطع وتينها . ولم أقف على أنَّ العرب كانوا يكنّون عن الإِهلاك بقطع الوتين ، فهذا من مبتكرات القرآن) [2].

والله أعلم ، ،



(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٨٥) .

(٢) التحرير والتنوير (١٤٦/٢٩) .



سورة المزمل

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل : ١] .

٢٠٩- **قال عطاء الخراساني** : المزَّمل نزلت قبل المدَّثر [١] .

الدراسة :

* **المزمل** : هو المتغطِّي بثيابه المتلفِّف . **والمدَّثر** : المضاعف للثياب ، أصله المتدثِّر وهو المتدرِّع دثاره ، يعني : مضاعف الثياب [٢].

والوصف بهما حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته ، وابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل عليه السلام إليه ، فرأى أمراً لم يرَ مثله ، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون ، فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج وخوف ، فأتى أهله فتزمَّل [٣].

وقد وقع الخلاف في السورتين أيهما نزل أولاً ؟ سورة المزَّمل أم المدَّثر، على قولين :

الأقوال في الآية :

القول الأول : أنَّ المزَّمل نزلت قبل المدَّثر ، قاله عطاء الخراساني ، ورواه ابن الضريس عن ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وروي عن جابر ابن زيد [٥][٦]، وقال به السيوطي [٧]، والزركشي [٨]، والمراغي [٩].

---

(١) ذكره عنه ابن حجر في فتح الباري (٨/٨٦٥) عند شرح الحديث رقم : (٤٩٢٤) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٧٢) ، (٢٢٠) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٨٩٢) .

(٤) فضائل القرآن لابن الضريس (٣٣) وسنده ضعيف جداً ، فيه عمر بن هارون بن يزيد الثقفي ، وهو متروك . انظر : الكاشف (٢/٧٠) ، تقريب التهذيب (٤١٧) ، وفيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف كما مرَّ .

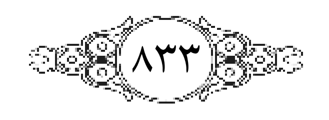
(٥) **جابر بن زيد = أبو الشعثاء الأزدي** ، ثم الجَوْفي ، البصري الإمام ، صاحب ابن عباس ، روى عنه : قتادة وأيوب وخلق ، قال ابن عباس : لو نزل أهل البصرة عند قوله لأوسعهم علماً من كتاب الله .أ.هـ ، مشهور بكنيته ، ثقة فقيه من الثالثة ،مات سنة ثلاث وتسعين . انظر : الكاشف (١/٢٨٧) ، تقريب التهذيب (١٣٦).

(٦) ذكره السيوطي في الإتقان (٧٧) عن محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور ، وأشار إليه في أسرار ترتيب القرآن (١٤٤) .

(٧) الإتقان في علوم القرآن (٣٩) ، (٧٧) .

(٨) البرهان في علوم القرآن (١/١٩٣) .

(٩) تفسير المراغي (١٠/١٨٥) .



القول الثاني : أنَّ المدَّثر نزلت قبل المزَّمل ، وهذا قول الجمهور [١].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – أنَّ سورة المدَّثر نزلت قبل سورة المزَّمل ، لما دلَّت عليه السنة الصحيحة ، فقد روى البخاري عن يَحْيَى بن أبي كثير قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ : أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ ؟ ، فَقَالَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ، فَقُلْتُ : أُنْبِئْتُ أَنَّهُ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾؟ ، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ : أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ ؟ ، فَقَالَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ، فَقُلْتُ أُنْبِئْتُ أَنَّهُ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ ، فَقَال : لا أُخْبِرُكَ إِلاَّ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِيَ ، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْض فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا وَأُنْزِلَ عَلَيَّ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾ » [٢].

ومما يفهم مما جرى بين يحيى بن أبي كثير ، وأبو سلمة أنَّ الخلاف المعروف عندهم كان بين سورتي المدَّثر واقرأ أيهما أنزل أولاً ، ولا ذكر للمزَّمل هنا ، فدلَّ على أنَّ المدَّثر نزلت قبل المزَّمل .

قال ابن عطية ﷺ : (وهذا هو الأصحّ ، وحديث صدر البخاري نصٌّ في ذلك) [٣]. وبنحوه قال ابن جزي [٤].

وقال النووي ﷺ : (قوله : إنَّ أوَّل ما أنزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾

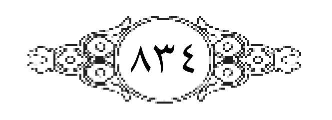
---

(١) انظر : بحر العلوم (٣/٥١٤) ، الكشف والبيان (١٠/٦٧) ، معالم التنزيل (٥/١٧٣) ، الكشاف (١١٥٤) ، المحرر الوجيز (١٩١١) ، زاد المسير (١٤٨٦)، التفسير الكبير (٣٠/١٦٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٨٦) ، أنوار التنزيل (٥/٢٥٩) ، مدارك التنزيل (٢/٧٤٥) ، التسهيل (٤/٢٩٧) ، البحر المحيط (٨/٥٠٢) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٦٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٢٦) ، روح المعاني (٢٩/١٧٤) ، فتح القدير (٥/٤٠٢) ، التحرير والتنوير (٢٩/٢٥٤) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٩٢٤) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله :﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٦١) في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

(٣) المحرر الوجيز (١٩١٦) .

(٤) التسهيل (٤/٢٩٧) .



ضعيف بل باطل ، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها . وأما ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر . والدلالة صريحة فيه في مواضع منها قوله : (وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال : فَأنزَلَ الله تَعَالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ، ومنها قوله ﷺ : « فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِيْ جَاءَنِيْ بِحِرَاْءٍ » . ثم قال : فأنزل الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ، ومنها قوله : « ثُمَّ تَتَاْبَعَ الْوَحْيُ » يعني بعد فترته . فالصواب أن أول ما نزل : ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ، وأما قول من قال من المفسرين : أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر ، والله أعلم)[1].

وكذلك يؤيده ما ورد في حديث بدء الوحي ، عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِه وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ : « بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ »[2].

فدلَّ على أنَّ المدَّثر هي أول ما نزل بعد فترة الوحي ، بعد نزول أول العلق في غار حراء[3].

وأجيب للجمع بين الحديثين بأجوبة منها :

الأول : أنَّ سورة المدَّثر أول ما نزل بعد فترة الوحي ، أما اقرأ فهي أوَّل

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٣٨٢) في شرح الحديث رقم : (١٦١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤) في كتاب بدء الوحي ، باب بدء الوحي ، وبرقم : (٣٢٣٨) في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وبرقم : (٤٩٢٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ ، وبرقم : (٤٩٢٦) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ ، وبرقم : (٦٩٨٢) في كتاب التعبير ، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٠) في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤٦٥) .

ما نزل على الإطلاق .

الثاني : أنَّ أوَّل سورة المدَّثر مقيَّد بما نزل متعلِّقاً بالإنذار ، ولذلك دعا النبي ﷺ بعدها إلى الله ، بخلاف صدر سورة العلق فهو مطلق غير مقيَّد بشيء خاص [(١)]، وعبَّر بعضهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوة : اقرأ باسم ربك ، وأول ما نزل للرسالة : يا أيها المدثر [(٢)].

الثالث : أنَّ السؤال في حديث جابر كان عن نزول سورة كاملة ؛ فبيَّن أنَّ سورة المدثر نزلت بكمالها قبل تمام سورة اقرأ ، فإن أول ما نزل منها صدرها.

الرابع : إن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة .

الخامس : أنَّ المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب ، وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم ، ولا يخفى بعد هذا الاحتمال ، قاله ابن حجر [(٣)].

السادس : أنَّ جابر استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روت عائشة رضي الله عنها [(٤)].

ومن الأدلَّة أيضاً على نزول المدَّثر أولاً : أنَّ النبي ﷺ أول ما أمر بالإنذار وتبليغ الرسالة ، وكان ذلك قبل أمره بالصلاة ، بدلالة زيادة في إحدى الروايات لحديث جابر السابق وفيه : « قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ » [(٥)]، ومعلوم أنَّ سورة المزَّمل فيها الأمر بقيام الليل حيث كان مفروضاً أوَّل الأمر ، كما

---

(١) انظر : المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٠٥) .

(٢) وهذا مشهور عند الكثير من العلماء . قال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود : (فقولهم : إنه نبئ بإقرأ ، وأرسل بالمدثر كما قاله ابن كثير ليس بصحيح ، والصحيح : أنه نبئ وأرسل بإقرأ وبالمدثر وبجميع القرآن، وإنما الأمر بالجهر بالدعوة وتبليغ الرسالة بعد نزول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٥)﴾ ، وذلك من بعد الفترة المتخللة لما بين نزول اقرأ ، ونزول المدثر) . انظر : الإيمان بالأنبياء بجملتهم ، ص(٦) .

(٣) فتح الباري (٨/٨٦٥) في شرح الحديث رقم : (٤٩٤٢) في كتاب تفسير القرآن ، باب : وربك فكبر .

(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٧٥) .

(٥) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٩٢٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (١٦١) في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .



ثبت عن عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن قيام رسول الله ﷺ قالت : أَلَسْتَ تَقْرَأُ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَتْ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلاً ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ[(١)].

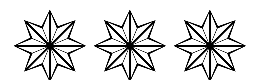
ومن الأدلَّة أيضاً : أنَّ من الصحابة من رتَّب مصحفه على حسب النزول ، كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حيث كان أول مصحفه سورة اقرأ ، ثمَّ المدَّثر ، ثم نون ، ثمَّ المزَّمل ، ثمَّ تبَّت ، ثمَّ التكوير ، وهكذا إلى آخر المكي والمدني[(٢)].

والقاعدة : أنَّ الترتيب توقيفي في الآيات دون السور [(٣)]، لكن إذا ثبت الحديث وكان نصّاً في المسألة فلا يصار إلى غيره [(٤)].

فاتَّضح بذلك ضعف قول عطاء الخراساني ومن معه في المسألة .

قال الألوسي رحمه الله : (والظاهر ضعف هذا القول ... ثم ساق حديث جابر رضي الله عنه ، وقال : ولو كانت يا أيها المزمل هي النازلة قبل فيها لذكرت ! ، نعم ظاهر هذا الخبر يقتضي أنَّ يا أيها المدثر نزل قبل : اقرأ باسم ربك ، والمروي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة : أن ذاك أول ما نزل من القرآن ، وهو الذي ذهب إليه أكثر الأئمة حتى قال بعضهم : هو الصحيح) [(٥)].

والله أعلم ، ،



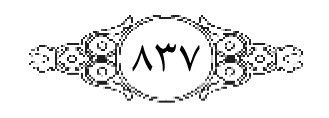
(١) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٧٤٦) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه ومرض .

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن (١٦٤) .

(٣) قواعد التفسير (١/١٠٢) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٩١) .

(٥) روح المعاني (٢٩/١٩٨-١٩٩) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ﴾ [المزمل : ٣-٤] .

٢١٠- **قال عطاء الخراساني** : في الآية تخيير بين قيام النِّصف بتمامه ، أو قيام أنقص منه أو أزيَد (١) .

الدراسة :

* في هذه الآيات أمر للنبي ﷺ بأشرف العبادات ، وهي الصلاة ، وبآكد الأوقات وأفضلها ، وهو قيام الليل؛ ومن رحمته سبحانه أنه لم يأمره بقيام الليل كله ، بل قال : ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، وبيَّن هذا القيام بأنه قيام نصف الليل تاماً ، أو أنقص منه قليلاً ، أو أزيد (٢).

الأقوال في الآية(٣) :

القول الأول : أنَّ الاستثناء من الليل ، وقوله : ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ ﴾ بدل من الليل، أو من قليلاً ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع ، والضميران في قوله : أو انقص منه أو زد عليه عائدان على النصف ، والمعنى : أنَّ الله خيره بين ثلاثة أحوال : قيام النِّصف بتمامه ، أو قيام أنقص منه أو أزيَد ، وهذا معنى قول عطاء الخراساني ، وبه قال جمهور المفسِّرين (٤).

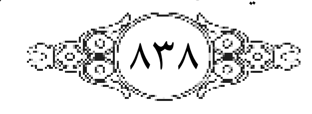
قال الطبري ؒ : (خَيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣٠/٣) بمعناه معزواً لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – ، عند تعليقه على أول سورة المزمل ، من باب قيام النبي ﷺ بالليل من نومه ومن نسخ من قيام الليل ، من كتاب التهجد ، ولفظه : (وأسند ابن أبي حاتم معناه عن عطاء الخراساني) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٨٩٢) .

(٣) انظر : الكشاف (١١٥٠) ، التسهيل (٢٩١/٤) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (١٩٨/٣) ، معاني القرآن للزجاج (١٨٦/٥) ، بحر العلوم (٥٠٩/٣) ، الكشف والبيان (٥٩/١٠) ، الوسيط (٣٧١/٤) ، معالم التنزيل (١٦٤/٥) ، الكشاف (١١٥٠) ، المحرر الوجيز (١٩١٢) ، زاد المسير (١٤٨٢) ، التفسير الكبير (١٥٤/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٧٥/٢) ، أنوار التنزيل (٢٥٥/٥) ، مدارك التنزيل (٧٤٠/٢) ، التسهيل (٢٩١/٤) ، البحر المحيط (٥٠٣/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٥٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٦) ، روح المعاني (١٧٦/٢٩) ، فتح القدير (٣٩٣/٥) ، تفسير المراغي (١٧٧/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣) ، التحرير والتنوير (٢٥٩/٢٩) ، أضواء البيان (٣٦٨/٨) . وقد رجَّح الألوسي والشوكاني وابن عاشور أنَّ قوله : ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ ﴾ بدل من ﴿ قَلِيلًا ﴾ .



هـذه المنـازل أي ذلـك شـاء فعـل ، فكـان رسـول الله ﷺ وأصـحابه فيمـا ذُكـر يقومـون الليـل ، نحـو قيـامهم في شـهر رمـضان فيمـا ذُكـر حـتى خفـف ذلـك عنهم)[1].

القـول الثـاني : أَنْ قَوْلَـه : ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بَـدَلاً مِـنْ اللَّيْـل ، و ﴿ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ اسْتِثْنَاء مِـنْ النِّـصْف ، حَكَـاهُ الزَّمَخْشَرِيّ[2] ، كأنـه قـال : نـصف الليـل إلا قلـيلاً ، فخيَّره على هذا بين حالتين وهما : أن يقوم أقلَّ من النصف أو أكثر منه .

قـال ابـن جـزي ؒ : (وهـذا ضـعيف ؛ لأنَّ قولـه : ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ تـضمَّن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف)[3].

قال أبو حيـان ؒ مناقـشاً قـول الزمخـشري : (فلـم يتنبَّـه للتكـرار الـذي يلزمـه في هـذا القـول ، لأنـه علـى تقـديره : قـم أقـل مـن نـصف الليـل ، كـان قولـه : أو انقص مـن نـصف الليـل تكـراراً . وإذا كـان ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بـدلاً مـن قولـه : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فالـضمير في نـصفه إمـا أن يعـود علـى المبـدل منـه ، أو علـى المـستثنى منـه وهـو الليـل ، لا جـائز أن يعـود علـى المبـدل منـه ، لأنـه يـصير اسـتثناء مجهـول مـن مجهـول ، إذ التقـدير إلا قلـيلاً نـصف القليـل ، وهـذا لا يـصح لـه معنـى البتـة . وإن عاد الـضمير علـى الليـل ، فـلا فائـدة في الاسـتثناء مـن الليـل ، إذ كـان يكـون أخـصر وأوضـح وأبعـد عـن الإلبـاس أن يكـون التركيـب قـم الليـل نـصفه . وقـد أبطلنا قول مـن قـال : إلا قلـيلاً اسـتثناء مـن البـدل وهـو ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ ، وأنَّ التقـدير: قـم الليـل نـصفه إلا قلـيلاً منـه ، أي مـن النـصف ، وأيـضاً ففـي دعـوى أن نـصفه بـدل مـن إلا قلـيلاً ، والـضمير في نـصفه عائـد علـى الليـل ، إطـلاق القليـل علـى النـصف ، ويلـزم أيـضاً أن يـصير التقـدير : إلا نـصفه فـلا تقمـه ، أو انقـص مـن النـصف الـذي لا تقومـه ، أو زد عليـه النـصف الـذي لا تقومـه ، وهـذا معنـى لا يصح ، وليس المراد من الآية قطعاً)[4].

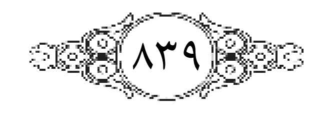
---

(١) جامع البيان (٢٣/٣٥٨) .

(٢) الكشاف (١١٥٠) .

(٣) التسهيل (٤/٢٩١) .

(٤) البحر المحيط (٨/٥٠٣) .



القول الثالث : أنه يجوز أن يريد بقوله : ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ ، نصف النصف وهو الربع ، ويكون الضمير في قوله : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ، يعود على ذلك أي : زد على الربع فيكون ثلثاً ، فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، قاله الزمخشري أيضاً .

قال ابن جزي رحمه الله : (وهذا أيضاً بعيد) [(١)].

القول الرابع : يحتمل أن يكون معنى : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس . ذكره ابن عطية[(٢)].

قال ابن جزي رحمه الله : (وهذا بعيد ؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل ، أو النقص منه ، أو الزيادة عليه ، قيل ذلك على أنَّ المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي ، فإن قيل لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو أنقص منه قليلا وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا فالجواب أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيراً) [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح - والله أعلم - هو القول الأول قول عطاء الخراساني الذي عليه جمهور المفسِّرين .

والآية تفيد وجوب قيام الليل ؛ إذ لم يكن زمن القيام محدوداً ، فقام الناس فترة طويلة حتى ورِمت أقدامهم .

ثم خفَّف الله حكم الوجوب بقوله تعالى في آخر السورة : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل : ٢٠] [(٤)(٥)].

---

(١) التسهيل (٤/٢٩١) .

(٢) المحرر الوجيز (١٩١٢) .

(٣) التسهيل (٤/٢٩١) .

(٤) انظر : كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٥٤) .

(٥) قال الشيخ محمد الخضري رحمه الله : (الآية الأولى نصٌّ صريح في طلب قيام جزء من الليل قريب من نصفه ، وبيَّنت السبب في هذا الإيجاب ، والخطاب فيها موجَّه إلى النبي ﷺ . والنصُّ الثاني دال على أنَّ الرسول ﷺ

روت عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا ، وكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْه صَاحِبُهُ »[(١)].

وفي رواية عنها قالت : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ ، قَالَ : « أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » ، وَقَالَ : « اكْلَفُوا مِنْ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ »[(٢)].

وقد مرَّ حديث عائشة رضي الله عنها وفيه أنها قَالَتْ : (فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِه السُّورَة ، فَقَامَ نَبِيُّ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلاً ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً فِي السَّمَاء ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعاً بَعْدَ فَرِيضَة)[(٣)].

فعلم من هذا أنَّ آخر السورة نزل بعد أولها بفترة طويلة ، وقد بيَّن الله فيها حال قيامهم فقال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل : ٢١]. وفيه بيان للنصف ، وأكثر منه وهو الثلثين ، وأقل منه وهو الثلث ، فدلَّ على أنه المقصود في الآية ، وهو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول .

قال ابن جزي رحمه الله : (وهو الأشهر والأظهر)[(٤)].

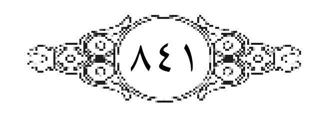
كان يقوم بهذا التكليف ، وكذلك طائفة من الذين معه ، ثمَّ ذكر أنَّ هناك سبباً يقتضي التخفيف عن الأصحاب ، وهو علم الله بأن سيكون منهم الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم ، ومن أجل ذلك كان التكليف مقصوراً على قراءة ما تيسَّر من القرآن ، فإذا كان النصُّ الأول قاصراً على النبي ﷺ والأصحاب إنما قاموا بقيام الليل اقتداءً به ﷺ والتخفيف قاصراً عليهم للأسباب المذكورة **لم يكن النصُّ الأول منسوخاً** بل حكمه باق بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ، وهذا رأي ابن عباس . وإن قلنا إنَّ الأول عام والتخفيف عام كان النصُّ الأول منسوخاً وهو بعيد) . انظر : تاريخ التشريع الإسلامي (٢٧) .

(١) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٤٣) في كتاب الإيمان ، باب أحبّ الدين إلى الله عزَّ وجلَّ أدومه ، وبرقم : (١١٥١) في كتاب الجمعة ، باب ما يكره من التشدد في العبادة ، وبرقم : (١٩٧٠) في كتاب الصوم ، باب صوم شعبان ، وبرقم : (٥٨٦٢) في كتاب اللباس ، باب الجلوس على الحصير ونحوه، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٧٨٢) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، وبرقم : (٧٨٥) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (٦٤٦٥) في كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل.

(٣) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٧٤٦) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه ومرض .

(٤) التسهيل (٤/٢٩١) .



ففي الآية تخيير بين ما ذُكِر من مقدار في قيام الليل ، وهو لا يقتضي المساواة بينها في الحكم .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ التخيير لا يقتضي التسوية [1].

قال ابن عطية رحمه الله : (وكيف ما تقلَّب المعنى ، فإنه أمر بقيام نصف الليل أو أكثر شيء أو أقل شيء ، فالأكثر عند العلماء لا يزيد على الثلثين ، والأقل لا ينحطُّ عن الثلث ، ويقوِّي هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بيت ميمونة قال: فلما انتصف الليل أو قبله بقليل قام رسول الله ﷺ [2]، ويلزم على هذا الذي ذكرناه أن يكون نصف الليل قد وقع عليه الوصف بقليل ، وقد يحتمل عندي قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، أن يكون استثناء من القيام ، فيجعل الليل اسم جنس ، ثم قال : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي الليالي التي تخل بقيامها عند العذر البين ، وهذا النظر يحسن مع القول مع الندب جداً) [3].

والله أعلم ، ،

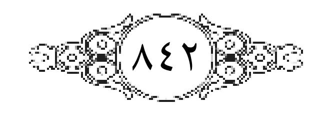
❊❊❊

---

(١) قواعد التفسير (٢/٨٧٤) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه برقم : (١٨٣) في كتاب الوضوء ، باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، وبرقم : (٩٩٢) في كتاب الجمعة ، باب ما جاء في الوتر ، وبرقم : (١١٩٨) في كتاب الجمعة ، باب استعانة اليد في الصلاة إذا كان من أمر الصلاة ، وبرقم : (٤٥٧١) في كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ ، وبرقم : (٤٥٧٢) في كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٧٦٣) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه . وعبارة الحديث : (حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) .

(٣) المحرر الوجيز (١٩١٢) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل : ٦] [(١)].

٢١١- **قال عطاء الخراساني** : بدوّ الليل [(٢)].

الدراسة :

* اختلف المفسِّرون في معنى ناشئة الليل على أقوال :

الأقوال في الآية[(٣)] :

* **القول الأول** : هي قيام الليل بلسان الحبشة [(٤)]، يقال للرجل إذا قام : نشأ، قاله ابن مسعود [(٥)]، وابن عباس[(٦)].

واختلفوا هل هي في وقت مخصوص من الليل ، أم في جميعه ؟ على أقوال :

الأول : أنها في وقت مخصوص من الليل ، وفي تحديده خمسة أقوال :

أولها : أنها بدوُّ الليل ، قاله عطاء الخراساني ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، وعكرمة [(٨)].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٠) ، ص١٠٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره عنه الشوكاني في فتح القدير (٣٩٣/٥) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٢٧/٦) ، زاد المسير (١٤٨٣) ، التفسير الكبير (١٥٧/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٧٧/٢) ، أنوار التنزيل (٢٥٦/٤) ، مدارك التنزيل (٧٤١/٢) ، التسهيل (٢٩٢/٤) ، البحر المحيط (٥٠٥/٨) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٢/٦) ، روح المعاني (١٨١/٢٩) ، فتح القدير (٣٩٣/٥-٣٩٤) .

(٤) قال القرطبي في تفسيره (٣١٧٧/٢) : (فلعله أراد أنَّ الكلمة عربية ، ولكنها شائعة في كلام الحبشة ، غالبة عليهم ، وإلا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٠/١٠) برقم : (١٩٠٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٦/٨) عزوه لابن أبي شيبة ، والحاكم وصححه .

(٦) تفسير مجاهد (٣٠٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٨٦/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٨٠/١٠) برقم : (١٩٠١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٦/٨) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن نصر ، وابن المنذر ، والبيهقي في سننه . وعزاه أيضاً لابن المنذر ، وابن الضريس .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٦/٨) للبيهقي .

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (١٢٧/٦) .



ثانيها : أنها ما بين المغرب والعشاء ، قاله أنس بن مالك [1]، وسعيد بن جبير [2]، وعلي بن الحسين [3][4].

ثالثها : أنها ما بعد العشاء الآخرة ، قاله الحسن [5]، ومجاهد [6]، وقتادة[7]، وأبو مجلز [8]، وأبو رجاء [9] [10].

رابعها : أنها القيام بعد النوم ، روي عن عبيد بن عمير : قلت لعائشة رضي الله عنها : رجل قام من أوّل الليل ، أتقولين له قام ناشئة ؟ قالت : لا ؛ إنما الناشئة القيام بعد النوم [11]، وكذا قال ابن الأعرابي ، وقد نصَّ عليه أحمد في رواية المرودي [12]، واختاره السعدي [13].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ناشئة الليل عند أكثر العلماء هو إذا قام الرجل بعد نوم ، ليس هو أول الليل ، وهذا هو الصواب ، لأنَّ النبي ﷺ هكذا كان يصلي ، والأحاديث بذلك متواترة عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٧/٨) لابن أبي شيبة في المصنَّف ، وابن نصر ، والبيهقي في سننه .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٧/٨) لابن أبي شيبة .

(٣) **علي بن الحسين** = **ابن علي بن أبي طالب** الهاشمي ، زين العابدين ، ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور ، روى عن أبيه ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وجمع ، وروى عنه : بنوه محمد وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد ، قال بن عيينة عن الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، مات سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك. انظر : الكاشف (٣٧/٢) ، تقريب التهذيب (٤٠٠) .

(٤) تفسير مجاهد (٣٠٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٧/٨) لابن نصر ، والبيهقي .

(٥) تفسير مجاهد (٣٠٩) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٥٨/٣) ، والطبري (٣٦٩/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٦/٨) لعبد بن حميد ، وابن نصر ، والبيهقي في سننه .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٧/٢٣) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٩/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٦/٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٩/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٧/٨) لعبد بن حميد ، وابن نصر .

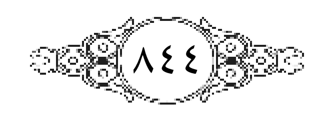
(٩) **أبو رجاء** = محمد بن سيف الأزدي الحُدَّاني ، أبو رجاء البصري ، ثقة ، من السادسة ، روى عن الحسن ، وروى عنه : شعبة ، ومحمد بن دينار ، وابن علية . انظر : التاريخ الكبير (١٠٤/١) ، تقريب التهذيب (٤٨٣) ، وتقدَّمت ترجمته في الباب الأول .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٩/٢٣) .

(١١) ذكره عنها الثعلبي في الكشف والبيان (٦١/١٠) ، والبغوي في معالم التنزيل (١٦٨/٥) .

(١٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٨٣) .

(١٣) تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣) .



يقوم بين العشاءين) [١].

وقال في موضع آخر : (وناشئة الليل في أصح القولين إنما تكون بعد النوم ، يقال نشأ إذا قام بعد النوم ، فإذا قام بعد النوم كانت مواطأة قلبه للسانه أشد ؛ لعدم ما يشغل القلب ، وزوال أثر حركة النهار بالنوم) [٢].

خامسها : أنها القيام من آخر الليل ، قاله يمان [٣]، وابن كيسان [٤][٥].

الثاني : أنها في جميع الليل ، لأنَّ الليل كله ناشئة ، وبهذا قال ابن مسعود [٦]، وابن عباس[٧]، وابن الزبير [٨]، ومجاهد [٩]، وعكرمة ، والضحاك[١٠] ، وأبو مالك [١١]، وأبو ميسرة [١٢]، وابن أبي نجيح ، وابن

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٧٤) .

(٢) المصدر السابق (٢٢/٤٩٥) .

(٣) **يمان** = اليمان بن رباب البصري ، من جلة الخوارج ورؤسائهم ، وكان أولاً ثعلبياً ثم انتقل إلى قول البيهسية، وكان نظاراً متكلماً مصنفاً للكتب ، وله في ذلك : كتاب المخلوق ، كتاب التوحيد ، كتاب أحكام المؤمنين ، كتاب الرد على المعتزلة في القدر ، كتاب المقالات ، كتاب إثبات إمامة أبي بكر ، كتاب الرد على المرجئة ، كتاب الرد على حماد بن أبي حنيفة . انظر : الفهرست (٢٥٨) ، هدية العارفين (٦/٥٤٨) .

(٤) **صالح بن كيسان المدني** = أبو محمد أو أبو الحارث ، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز ، رأى ابن عمر ، وسمع عروة والزهري ، وروى عنه : ابن عيينة ، وإبراهيم بن سعد ، والدراوردي ، ثقة ثبت جامع للفقه والحديث والمروءة ، من الرابعة ، مات بعد الأربعين ومائة . انظر : الكاشف (١/٤٩٨) ، تقريب التهذيب (٢٧٣) .

(٥) ذكره عنهما ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٨٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٧٧) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٨٠) برقم : (١٩٠٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٦) عزوه لابن أبي شيبة ، والحاكم وصححه .

(٧) تفسير مجاهد (٣٠٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٨٦) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٨٠) برقم : (١٩٠١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٦) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن نصر ، وابن المنذر ، والبيهقي في سننه . وعزاه أيضاً لابن المنذر ، وابن الضريس .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٨٦) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٨٠) برقم : (١٩٠١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٦) عزوه للفريابي ، والبيهقي في سننه .

(٩) تفسير مجاهد (٣٠٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٦٨) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٧) للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن نصر .

(١٠) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/٣٦٧-٣٦٨) .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٦) لعبد بن حميد .

(١٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٣٦٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٦) لعبد بن حميد ، وابن نصر .



زيد[(١)]، وإلى هذا ذهب أهل اللغة [(٢)]، وقال به جمهور المفسِّرين [(٣)].

* **القول الثاني** : أنها النَّفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة ، أي : تنهض وترتفع ، من نشأت السَّحابة : إذا ارتفعت ، ونشأ من مكانه ونشز : إذا نهض ، واستعماله لقيام الليل ، على أنَّ الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة : كالعاقبة ، قاله الزمخشري [(٤)].

قال الرازي رحمه الله : (فالمراد من ناشئة الليل تلك الواردات الروحانية والخواطر النورانية ، التي تنكشف في ظلمة الليل بسبب فراغ الحواس ، وسمَّاها ناشئة الليل لأنها لا تحدث إلا في الليل بسبب أنَّ الحواس الشاغلة للنفس معطلة في الليل ومشغولة في النهار ، ولم يذكر أنَّ تلك الأشياء الناشئة منها تارة أفكار وتأملات ، وتارة أنوار ومكاشفات ، وتارة انفعالات نفسانية من الابتهاج بعالم القدس أو الخوف منه ، أو تخيلات أحوال عجيبة ، فلما كانت تلك الأمور الناشئة أجناساً كثيرة لا يجمعها جامع إلا أنها أمور ناشئة حادثة لا جرم لم يصفها إلا بأنها ناشئة الليل) [(٥)].

الجمع أو الترجيح :

الراجح – والله أعلم – أنَّ المقصود بالناشئة قيام الليل ، في أي وقت منه، وأفضله وقت السَّحر ، وقد ثبت أنَّ النبي ﷺ كان يقوم من الليل ثمَّ ينام ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة مبيته ببيت خالته ميمونة بنت الحارث، أنَّه ﷺ صلَّى ثلاث عشرة ركعة ، ثمَّ نام حتى نفخ [(٦)].

---

(١) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/٣٦٧-٣٦٨) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١٩٨) ، معاني القرآن للزجاج (٥/١٨٧) ، المفردات في غريب القرآن (٤٩٤) .

(٣) انظر : جامع البيان (٢٣/٣٦٦) ، بحر العلوم (٣/٥١٠) ، الكشف والبيان (١٠/٦١) ، الوسيط (٤/٣٧٣)، معالم التنزيل (٥/١٦٨) ، المحرر الوجيز (١٩١٢) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٦٠) ، تفسير المراغي (١٠/١٧٨) ، أضواء البيان (٨/٣٧٢).

(٤) الكشاف (١١٥١) .

(٥) التفسير الكبير (٣٠/١٥٧) .

(٦) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (١٣٨) في كتاب الوضوء ، باب التخفيف في الوضوء ، وبرقم: (٦٩٨) في كتاب الأذان ، باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام فحوَّله الإمام ، وبرقم : (٨٥٩) في كتاب الأذان ، باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور ، وبرقم : (٦٣١٦) في كتاب

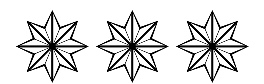
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه [1].

وعليه فقول عطاء الخراساني مرجوح في هذه المسألة .

قال الراغب ﷺ : (يريد القيام والانتصاب للصلاة ، ومنه نشأ السَّحاب لحدوثه في الهواء ، وتربيته شيئاً فشيئاً) [2].

وقال ابن عاشور : (ووصف الصلاة بالناشئة لأنها أنشأها المصلي فنشأت بعدَ هدأة الليل فأشبهت السحابة التي تتنشأ من الأفق بعد صحو ، وإذا كانت الصلاة بعد نوم فمعنى النشْء فيها أقوى ... وإيثار لفظ ﴿نَاشِئَةَ﴾ في هذه الآية دون غيره من نحو : قيامَ أو تَهَجُدَ ، لأجل ما يحتمله من هذه المعاني ليأخذ الناس فيه بالاجتهاد) [3].

والله أعلم ،،

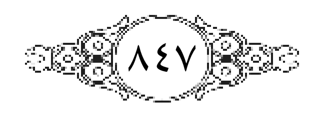


الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٧٦٣) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٠٦) .

(٢) المفردات في غريب القرآن (٤٩٤) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/٢٦٢) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾ [المزمل : ٧] .

٢١٢- **قال عطاء الخراساني** : النوم والفراغ [١] .

الدراسة :

* أصل السَّبْح : سرعة الذهاب ، ومنه السَّباحة في الماء [٢] ، وفي هذه الآية يبيِّن الله سبحانه أنَّ في النَّهار وقتاً طويلاً يتردد فيه الإنسان على حوائجه ومعاشه ، وينشغل فيه قلبه وفكره ، فكان الليل هو أفضل الأوقات لصفاء البال ، وعدم انشغاله فيغتنمه بالطاعة والعبادة والقيام .

الأقوال في الآية[٣] :

اختلف المفسِّرون في المراد بالسبح في الآية على أقوال .

القول الأول : النوم والفراغ ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما [٤] ، وأبو مالك ، والربيع [٥] ، ومجاهد [٦] ، وقتادة [٧] ، والضَّحاك ، وابن زيد [٨] ، والمعنى : إنَّ لك في النهار سعة للتصرف والتقلب في مهماتك وشواغلك وقضاء حوائجك ونومك ، فاجعل ناشئة الليل

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩١) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) ، وذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (١٢٧/٦) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٤٨٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣١٧٩/٢) ، وابن كثير في تفسيره (٤٦٠/٤) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٢٧) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٢٧/٦-١٢٨) .

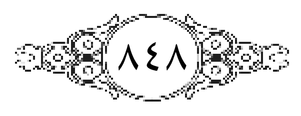
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٥/٢٣) ، ولفظه : فراغاً طويلاً ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عنه (٣٣٨٠/١٠) برقم : (١٩٠٢١) قال : (السبح الفراغ للحاجة والنوم) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٧/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن نصر ، وابن المنذر ، والحاكم في الكنى .

(٥) عزاه عنهما السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٨) لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٥/٢٣) ، ولفظه : متاعاً طويلاً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٨) بلفظ : فراغاً ، لعبد بن حميد ، وابن نصر .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٥٨/٣) ، والطبري في تفسيره (٣٧٥/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن نصر ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٣٧٥/٢٣-٣٧٦) .



لعبادتك، وبهذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [١].

القول الثاني : يعني أنَّ لك أن تقضي ما فاتك من الليل من عبادة وصلاة بالنهار ، وهذا القول أورده جمع من المفسِّرين [٢].

القول الثالث : لك في النهار دعاء كثيراً ، قاله السدّي ، وابن زيد [٣].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم – القول الأول ، الذي عليه جمهور المفسِّرين ، لأنَّه المناسب للمعنى اللغوي ، وهو الذي يشهد له سياق الآية .

قال الألوسي ﷺ : (لكن الأوَّل أوفق لمعنى قولهم : سبح في الماء ، وأنسب للمقام) [٤].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجَّح على ما خالفه [٥].

وأيضاً : القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [٦].

قال الزمخشري ﷺ : (لانتشار الهمِّ وتفرُّق القلب بالشواغل ، كلَّفه قيام الليل، ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه : وهو أنَّ الليل أعون على المواطأة ، وأشد للقراءة ، لهدوّ الرجل وخفوت الصوت ، وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار ؛ لأنه وقت تفرق الهموم ، وتوزّع الخواطر ، والتقلب

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/١٩٩) ، جامع البيان (٢٣/٣٧٦) ، معاني القرآن للزجَّاج (٥/١٨٧) ، بحر العلوم (٣/٥١٠) ، الكشف والبيان (١٠/٦٢) ، الوسيط (٤/٣٧٤) ، معالم التنزيل (٥/١٦٩) ، الكشاف (١١٥١) ، المحرر الوجيز (١٩١٣) ، زاد المسير (١٤٨٣) ، التفسير الكبير (٣٠/١٥٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٧٩) ، أنوار التنزيل (٥/٢٥٦) ، مدارك التنزيل (٢/٧٤١) ، التسهيل (٤/٢٩٣) ، البحر المحيط (٨/٥٠٦) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٦٠) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٢٢) ، روح المعاني (٢٩/١٨٢) ، فتح القدير (٥/٣٩٤) .

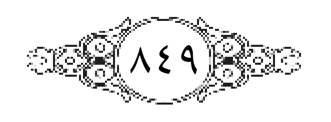
(٢) انظر : الكشاف (١١٥١) ، المحرر الوجيز (١٩١٣) ، التفسير الكبير (٣٠/١٥٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣١٧٩) ، التسهيل (٤/٢٩٣) ، البحر المحيط (٨/٥٠٦) ، روح المعاني (٢٩/١٨٢) .

(٣) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (٦/١٢٨) .

(٤) روح المعاني (٢٩/١٨٢) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩) .

(٦) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .

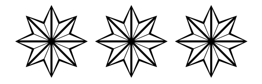


في حوائج المعاش والمعاد)[1].

وقال ابن عاشور ﵀ : (فصل هذه الجملة دون عطف على ما قبلها يقتضي أن مضمونها ليس من جنس حكم ما قبلها ، فليس المقصود تعيين صلاة النهار إذ لم تكن الصلوات الخمس قد فرضت يومئذٍ على المشهور ، ولم يفرض حينئذٍ إلاّ قيام الليل .

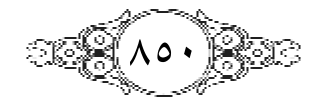
فالذي يبدو أنَّ موقع هذه الجملة موقع العلة لشيء مما في جملة ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل : ٦] ، وذلك دائر : بين أن يكون تعليلاً لاختيار الليل لفرض القيام عليه فيه ، فيفيد تأكيداً للمحافظة على قيام الليل لأن النهار لا يغني غَناءه فيتحصل من المعنى : قم الليل لأن قيامه أشد وقعاً وأرسخ قولاً ، لأنَّ النهار زمن فيه شغل عظيم لا يترك لك خلوة بنفسك . وشغل النبي ﷺ في النهار بالدعوة إلى الله وإبلاغ القرآن وتعليم الدين ومحاجة المشركين وافتقادَ المؤمنين المستضعفين ، فعبَّر عن جميع ذلك بالسبح الطويل، وبيْن أن يكون تلطفاً واعتذاراً عن تكليفه بقيام الليل ، وفيه إرشاد إلى أنَّ النهار ظرف واسع لإيقاع ما عسى أن يكلفه قيامُ الليل من فتور بالنهار لينام بعض النهار وليقوم بمهامه فيه)[2].

والله أعلم ،،



(١) الكشاف (١١٥١) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/٢٦٣-٢٦٤) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٨] .

٢١٣- **قال عطاء الخراساني** : أخلِص إليه إخلاصاً [(١)] .

الدراسة :

* أصل التبتُّل : الانقطاع وترك الشيء ، وتمييز الشيء عن الشيء ، ومنه قيل للفسيلة من النخل التي بانت عن أمها : البتلة ، ونخلة مبتل إذا انفرد عنها صغيرة معها ، وفي هذه الآية جاء اسم المصدر فيه على غير طريق الفعل ، ومعناه : أخلص له إخلاصاً [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : أخلِص إليه إخلاصاً ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، والضحاك [(٦)]، والحسن [(٧)]، وقتادة [(٨)]، وأبو يحيى المكي[(٩)(١٠)]، والفراء [(١١)].

القول الثاني : انقطع إليه انقطاعاً ، وتفرَّغ لعبادته ، وتعبَّد له تعبداً ، وهو

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٢) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٧) ، لسان العرب (١٥/٢) .

(٣) انظر : النكت والعيون (١٢٨/٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٧/٢٣) .

(٥) تفسير مجاهد (٣٠٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٨/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن نصر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه –، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٩/٢٣) .

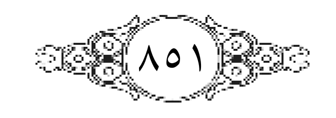
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٥٨/٣) بلفظ : أخلص له الدعاء والعبادة ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٩/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣١٨/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن نصر ، وابن المنذر .

(٩) **أبو يحيى المكي** = لم أعرفه ، ولعله : سمعان الأسلمي ، وهو مقبول ، روى عن أبي هريرة ، وروى عنه موسى بن أبي عثمان . انظر : الكاشف (٤٧٢/٢) ، تقريب التهذيب (٦٨٤) ، رجال تفسير الطبري (٢٥٢) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٨/٢٣) .

(١١) معاني القرآن للفراء (١٩٩/٣) .



معنى قول الحسن البصري [(١)]، وابن زيد [(٢)]، وبنحوه قال جمهور المفسِّرين[(٣)].

الجمع أو الترجيح :

القولان بمعنى واحد ، ويقال فيها : أخلص لله إخلاصاً يجعلك تنقطع له سبحانه بالعبادة والعمل ، والاجتهاد في الطاعة .

قال الراغب رحمه الله : (أي انقطع في العبادة وإخلاص النية انقطاعاً يختص به ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله عزَّ وجل : ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام : ٩١] ، وليس هذا منافياً لقوله ﷺ : « لاَ رَهْبَانِيَّةَ وَلاَ تَبَتُّلَ فِيْ الإِسْلاَمِ » [(٤)]، فإنَّ التبتل ههنا هو الانقطاع عن النكاح) [(٥)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٦)].

وعليه فقول عطاء الخراساني في هذه الآية صحيح معتبر .

قال ابن عاشور رحمه الله : (والمراد بالانقطاع المأمور به انقطاع خاص ؛ وهو

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٨/٢٣) ، ولفظه : بتِّل نفسك واجتهد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٩/٢٣) ، ولفظه : تفرَّغ لعبادته .

(٣) انظر : جامع البيان (٣٧٧/٢٣) ، معاني القرآن للزجَّاج (١٨٧/٥) ، بحر العلوم (٥١٠/٣) ، الكشف والبيان (٦٢/١٠) ، الوسيط (٣٧٤/٤) ، معالم التنزيل (١٦٩/٥) ، الكشاف (١١٥١) ، المحرر الوجيز (١٩١٣)، زاد المسير (١٤٨٣) ، التفسير الكبير (١٥٩/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٧٩/٢) ، أنوار التنزيل (٢٥٦/٥) ، مدارك التنزيل (٧٤١/٢) ، التسهيل (٢٩٣/٤) ، تفسير ابن كثير (٤٦٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٢/٦) ، روح المعاني (١٨٣/٢٩) ، فتح القدير (٣٩٥/٥) ، تفسير المراغي (١٧٩/١٠)، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣) ، التحرير والتنوير (٢٦٦/٢٩) .

(٤) **ضعيف** . لم أجد الحديث بهذا اللفظ في كتب الحديث ، ووجدته بلفظ : « لا زمام في الإسلام ، ولا خزام في الإسلام ، ولا رهبانية في الإسلام ، ولا سياحة في الإسلام ، ولا تبتل في الإسلام » في كتاب المراسيل لأبي داود (٢٨٧) ، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٠٢/١) : مرسل ، وقال ابن حجر في الفتح (١٤٠/٩) : (وأما حديث : « لا رهبانية في الإسلام » فلم أره بهذا اللفظ ، لكن في حديث سعد بن أبي وقاص عند الطبراني : « إنَّ اللَّه أَبْدَلَنَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْحَنِيفِيَّة السَّمْحَة » ، وَعَنْ ابْن عَبَّاس رَفَعَهُ : « لا صَرُورَة فِي الإِسْلام » أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم) وحديث ابن عباس ضعفه ابن حجر في هداية الرواة (٤٤/٣) ، والألباني في ضعيف أبي داود (١٧٢٩) ، وفي السلسلة الضعيفة (٦٨٥) .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٤٧) .

(٦) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

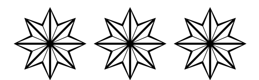
الانقطاع عن الأعمال التي تمنعه من قيام الليل ، ومهامِّ النهار في نشر الدعوة، ومحاجّة المشركين ، ولذلك قيل : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ، أي إلى الله ؛ فكل عمل يقوم به النبي ﷺ من أعمال الحياة فهو لدين الله ، فإنَّ طعامه وشرابه ونومه وشؤونه للاستعانة على نشر دين الله ، وكذلك منعشات الروح البريئة من الإِثم مثل الطِّيب ، وتزوج النساء ، والأنس إلى أهله وأبنائه وذويه ، وقد قال ﷺ : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ والطِّيْبُ » [1].

وليس هو التبتُّل المفضي إلى الرَّهبانية وهو الإِعراض عن النساء وعن تدبير أمور الحياة لأنَّ ذلك لا يلاقي صفة الرسالة .

وفي حديث سعْد في الصحيح : « ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذِن له لاختصينا » [2]، يعني ردّ عليه استشارته في الإِعراض عن النساء .

ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإِشراك ، وهو معنى الحنيفيَّة ، ولذلك عقب قوله : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ بقوله : ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3].

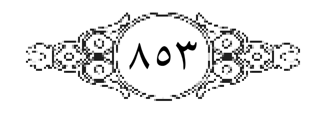
والله أعلم ،،



(١) **صحيح** . أخرجه **النسائي في سننه** برقم : (٣٩٣٩) في كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ، وأخرجه **أحمد** في مسنده برقم : (١١٨٨٥) ، كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤) ، وفي سنن النسائي (٧/٦١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٥٠٧٤) في كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والخصاء ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٤٠٢) في كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم .

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/٢٦٦) .



سورة المدَّثر

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ [المدّثر : ٥] .

٢١٤- **قال عطاء الخراساني** : الأوثان [(١)] .

الدراسة :

* قرأ أبو جعفر ، وحفص ، ويعقوب ؛ برفع الراء ، وقرأ الباقون : بالكسر ، ومعناهما واحد [(٢)].

وأصل الرِّجز في اللغة هو العمل الذي يؤدي إلى العذاب [(٣)]، وهو هنا من تسمية الشيء بما يؤول إليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ٥٩] ، وقوله تعالى: ﴿ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [العنكبوت : ٣٤] .

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : يعني الأوثان والأصنام ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول جابر [(٥)]، وابن عباس رضي الله عنهما [(٦)]، وأبو مالك [(٧)]، ومجاهد [(٨)]، وقتادة [(٩)]،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٣) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : المبسوط (٣٨٧) ، البدور الزاهرة (٣٩٧/٢) .

(٣) انظر : لسان العرب (١٠٥/٦) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٠٢/٣) ، بحر العلوم (٥١٤/٣) ، الكشف والبيان (٧٠/١٠) ، النكت والعيون (١٣٧/٦) ، معالم التنزيل (١٧٤/٥) ، المحرر الوجيز (١٩١٦) ، زاد المسير (١٤٨٧) ، التفسير الكبير (١٧٢/٣٠-١٧٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٨٩/٢) ، التسهيل (٢٩٨/٤) ، البحر المحيط (٥١٨/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٦٦/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٥) .

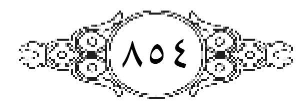
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٧/٨) للحاكم وصححه ، مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : هي الأوثان .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٠/٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠) برقم : (١٩٠٢٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٦/٨) عزوه لابن المنذر ، وابن مردويه .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٥/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، ولفظه : الشيطان والأوثان .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١١/٢٣) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١١/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٦/٨) للصنعاني – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .



وعكرمة [١]، والسدي [٢]، والزهري [٣]، وابن زيد [٤].

ويدلّ لهذا التأويل قوله تعالى : ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج : ٣٠] .

القول الثاني : المعصية والإثم ، قاله إبراهيم النخعي [٥]، والضحّاك [٦]، والحسن ، والسُّدي [٧].

قال الراغب رحمه الله : (وقوله : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قيل : هو صنم ، وقيل : هو كناية عن الذنب فسمّاه بالمآل كتسمية الندى شحماً) [٨].

القول الثالث : السَّخط والعذاب ، وهذا أصله في اللغة ، فمعناه : اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه من الشرك ، والمعاصي ، وعبادة الأوثان ، والظلم ، ونحو ذلك ، وهو أيضاً قول جماعة من المفسِّرين [٩].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - ، هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني ومن معه ، أنَّ المقصود بالرُّجز الأوثان .

ولهذا التفسير شاهد من السنة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١١/٢٣) .

(٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (١٣٧/٦) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٦١/٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١١/٢٣) .

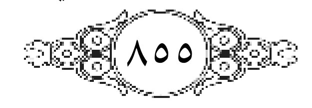
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٢/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٥/٨) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٢/٢٣) .

(٧) حكاه عنهما الماوردي في النكت والعيون (١٣٧/٦) .

(٨) المفردات في غريب القرآن (١٩٤) .

(٩) انظر : صحيح البخاري (٢٠٢/٦) ، معاني القرآن للزجاج (١٩١/٥) ، الوسيط (٣٨٠/٤-٣٨١) ، الكشاف (١١٥٤) ، أنوار التنزيل (٢٥٩/٤)، مدارك التنزيل (٧٤٦/٢) ، إرشاد العقل السليم (٣٢٦/٦) ، روح المعاني (٢٠٥/٢٩) ، فتح القدير (٤٠٣/٥) ، تفسير المراغي (١٨٥/١٠) .



جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَجُئِثْتُ [(١)] مِنْهُ فَرَقًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ وَهِيَ الأَوْثَانُ » [(٢)].

وفي رواية عند البخاري للحديث أنَّ الذي قال : " هي الأوثان "، هو أبو سلمة رضي الله عنه [(٣)].

وعند الحاكم قال جابر : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ برفع الراء ، وقال : « هِيَ الأَوْثَانُ » [(٤)].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث ، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره [(٥)].

ويمكن أن يقال جمعاً بين الأقوال : اهجر كلَّ عمل يوصل إلى العذاب ، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً هجر الأوثان ، وعبادة غير الله .

ولفظ الرِّجز هو من الكليات المطَّردة في القرآن إذا جاء عني به العذاب إلا في هذا الموضع ، فالمقصود به الأصنام والأوثان [(٦)].

والآيات التي ورد فيها الرّجز في القرآن لم ترد فيها إلا قراءة واحدة بالكسر ، أمَّا في هذه الآية فقد قرئت بالكسر وبالضمِّ .

والله أعلم ،،

---

(١) **جُئِثْت** = أي ذُعِرْت وخِفت . وقد جُئِثَ : إذا أُفْزِع ، فهو مجئوثٌ أي مذعور . انظر : لسان العرب (٦١/٣) مادة : جأث .

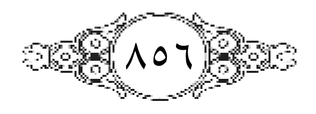
(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٩٢٥) في كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٦١) في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ واللفظ له .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٢٣٨) في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وبرقم : (٤٩٢٦) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ ، وفيه أيضاً برقم : (٤٩٥٤) .

(٤) **ضعيف** . أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه (٢٧٥/٢) برقم : (٢٩٩٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٧/٨) عزوه لابن مردويه . وهو ضعيف بهذا اللفظ ، قال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥٠١/٧) : فيه محمد بن كثير المصيصي لا يتابعه أحد عليه .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١) .

(٦) انظر : كليات الألفاظ في التفسير (٣١٢/١) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر : ٢٩] .

٢١٥- **قال عطاء الخراساني** : بشرة الإنسان تلوّح على النار [١] .

الدراسة :

* المقصود في الآية بيان أنَّ النار – أجارنا الله منها – تلفح أهلها ، وتغير ألوان بشرتهم من شدَّة حرقها لهم .

الأقوال في الآية[٢]:

القول الأول : بشرة الإنسان تلوّح على النار ، قاله عطاء الخراساني ، ومجاهد [٣]، والمقصود : أنَّ أجسادهم تتغيّر بلفح النار ، وتتأثر بالحرق لها ، فتتغير ألوانها ، وبهذا المعنى قال ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وأبو رزين [٥]، والضحاك ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن [٦]، وعليه جمهور المفسِّرين [٧].

القول الثاني : أنها تلوح أي تظهر للبشر - وهم الناس - من مسيرة خمسمائة عام من شدَّة هولها وزفيرها وعظمتها ، حتى تكون أشدَّ على من

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٤) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : النكت والعيون (١٤٣/٦) .

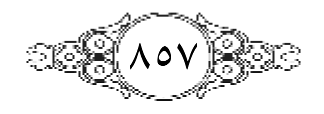
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٤/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٤/٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٣/١٠) برقم : (١٩٠٣٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٤/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣٢/٨) لابن أبي شيبة ، وأحمد .

(٦) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٤٣٤/٢٣-٤٣٥) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٠٤/٣) ، جامع البيان (٤٣٣/٢٣) ، معاني القرآن للزجاج (١٩٣/٥) ، بحر العلوم (٥١٧/٣) ، الكشف والبيان (٧٣/١٠) ، الوسيط (٣٨٤/٤) ، معالم التنزيل (١٧٧/٥) ، الكشاف (١١٥٦) ، زاد المسير (١٤٨٩) ، مدارك التنزيل (٧٤٨/٢) ، التسهيل (٣٠٠/٤) ، تفسير ابن كثير (٤٦٨/٤) ، فتح القدير (٤٠٧/٥) ، تفسير المراغي (١٩١/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٧) ، التحرير والتنوير (٣١٢/٢٩) .



سبق إليها، وأسرُّ لمن سلم منها ، وهذا المعنى ذكره جماعة من المفسِّرين [(١)].

القول الثالث : أنَّ اللواح شدة العطش ، والمعنى أنها معطشة للبشر ، أي لأهلها، قاله الأخفش ، وأنشد [(٢)]:

سَقَتْني عَلَى لَوْحٍ مِنَ المَاءِ شَرْبَةً ... سَقَاهَا بِهِ اللهُ الرِّهَامَ الغَوَادِيَا

يعني باللوح شدة العطش [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يظهر لي – والله أعلم – أنه يمكن حمل المعنى على الأقوال جميعاً، فيقال : هي تلوح وتظهر لهم من بعيد ، لشدَّة هولها وعظمتها ، فإذا دخلوها لوَّحت أبشار أهلها وسوَّتها وأحرقتها ، ثمَّ هم يعطشون فيها عطشاً شديداً .

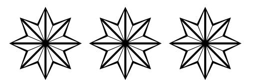
ومن الشواهد على المعنى الأول قوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الشعراء : ٩١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النازعات : ٣٦] .

ومن الآيات الدالة على المعنى الثاني قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [المعارج : ١٥-١٧] .

وعلى المعنى الثالث قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٤)]. والله أعلم ، ،



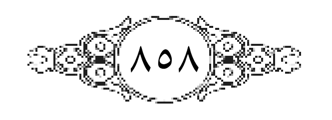
---

(١) انظر : النكت والعيون (١٤٣/٦) ، المحرر الوجيز (١٩١٨) ، التفسير الكبير (١٨١/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٩٤/٢) ، أنوار التنزيل (٢٦١/٤) ، البحر المحيط (٥٢٣/٨) ، إرشاد العقل السليم (٣٣٠/٦)، روح المعاني (٢١٥/٢٩-٢١٦) .

(٢) **لم أقف على قائله** . وهو من شواهد : تفسير السمعاني (٩٥/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٣١٩٤/٢) ، البحر المحيط (٥١٥/٨) . وكذلك هو من شواهد تاج العروس (٣٧٥/٦) مادة : ذرح .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (١٤٣/٦) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣١٩٤/٢) .

(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



سورة الإنسان

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان : ٢] [(١)].

٢١٦- **قال عطاء الخراساني** : الحمرة في البياض ، والبياض في الحمرة أو الصُّفرة [(٢)].

الدراسة :

* ذكر الله في هذه السورة الكريمة أوَّل حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها . فذكر أنه مرَّ عليه دهر طويل قبل وجوده ، وهو معدوم ليس له ذكر ولا أثر ، ثم لما أراد الله تعالى خلقه ، خلق أباه آدم من طين ، ثم جعل نسله متسلسلاً من ماء مهين ، حتى خلق هذا الإنسان من نطفة أمشاج ، فتبارك الله أحسن الخالقين [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

القول الأول : الحمرة في البياض ، والبياض في الحمرة أو الصّفرة ، قاله عطاء الخراساني ، والمقصود : أنَّ الأمشاج مختلفة الألوان ، وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، ومجاهد [(٦)].

القول الثاني : أنه الأخلاط ، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، والربيع بن أنس [(٨)]، ومجاهد [(٩)]، والحسن [(١٠)]،

---

(١) الآية بتمامها : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/٩٤) .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٠٠) .

(٤) انظر : النكت والعيون (٦/١٦٢-١٦٣) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٣٤) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٩٠) برقم : (١٩٠٧٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٦٨) عزوه لابن المنذر ، والفريابي .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٣٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٦٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر . ولفظه : نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، ونطفة المرأة خضراء وصفراء .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٣٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٩٠) برقم : (١٩٠٧٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٦٧) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٣٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٦٧) لعبد بن حميد.

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٣٣) .

(١٠) تفسير مجاهد (٣١٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٣٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور

وعكرمة [(١)]، والفرَّاء [(٢)]، والزجاج [(٣)]، وجمهور المفسِّرين [(٤)].

ومنه قول الشاعر [(٥)]:

.... يَقْذِفْنَ كُلَّ مُعْجَّلٍ نَشَّاجِ

لم يُكْسَ جِلْداً فِيْ دَمٍ أَمْشَاجِ فَرَّجَ عَنْهُ حَلَقَ الرِّتَاجِ

قال الراغب ﵀: (أي أخلاط من الدم ، وذلك عبارة عما جعله الله تعالى بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ ﴾ إلى قوله : ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤]) [(٦)].

القول الثالث : أنَّ الأمشاج : الأطوار ، وهو أنَّ الخلق يكون طوراً نطفة ، وطوراً علقة ، وطوراً مضغة ، ثم طوراً عظماً ، ثم يكسى العظم لحماً ، وهذا القول رواية عن ابن عباس ﵄ ، وقاله عكرمة [(٧)]، وقتادة [(٨)].

القول الرابع : أن الأمشاج هي العروق التي تكون في النطفة ، قاله ابن مسعود ﵁ [(٩)]، وزيد بن أسلم [(١٠)].

(٣٦٧/٨-٣٦٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١) تفسير مجاهد (٣١٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٢/٢٣) .

(٢) معاني القرآن (٢١٥/٣) .

(٣) معاني القرآن (٢٠٠/٥) .

(٤) انظر : جامع البيان (٥٣٦/٢٣) ، بحر العلوم (٥٢٥/٣) ، الكشف والبيان (٩٣/١٠) ، الوسيط (٣٩٨/٤)، معالم التنزيل (١٨٩/٥) ، الكشاف (١١٦٣) ، المحرر الوجيز (١٩٢٨) ، زاد المسير (١٤٩٦) ، التفسير الكبير (٢١٣/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢١٣/٢) ، أنوار التنزيل (٢٦٩/٤) ، مدارك التنزيل (٧٥٦/٢) ، التسهيل (٣١١/٤) ، البحر المحيط (٥٥٠/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٧٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٤٠/٦) ، روح المعاني (٢٦١/٢٩) ، فتح القدير (٤٢٨/٥) ، تفسير المراغي (٢٠٨/١٠) ، التحرير والتنوير (٣٧٣/٢٩) ، أضواء البيان (٣٩٠/٨) .

(٥) **البيت لرؤبة بن العجاج** ، انظر ديوانه (٣٢) ، وهو من شواهد : جامع البيان (٥٣١/٢٣) ، الكشف والبيان (٩٣/١٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢١٣/٢) .

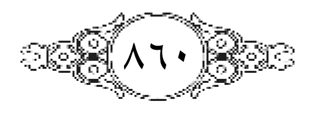
(٦) المفردات في غريب القرآن (٤٧١) .

(٧) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٣٣/٢٣-٥٣٤) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٧٣/٣) ، والطبري (٥٣٤/٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٨/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٣٥/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٩٠/١٠) برقم : (١٩٠٧٦) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وسعيد بن منصور .

(١٠) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٨/٨) لابن المنذر .



القول الخامس : الأمشاج : الذي يخرج على أثر البول كقطع الأوتار ، ومنه يكون الولد ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(١)].

الجمع أو الترجيح :

القولان الأولان معناهما واحد ، فيقال : الأمشاج الحمرة في البياض ، والبياض في الحمرة أو الصّفرة وهي الأخلاط ، والشيء المختلط بعضه إلى بعض ، وهو وصف للنطفة ، حينما يختلط ماء الرّجل الأبيض ، بماء المرأة الأصفر .

وهذا الذي يوافق اللغة ، وتشهد له الأدلة الصحيحة .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٢)].

ويفسِّر معنى الخلط الذي أشار الله إليه هنا قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس : ٣٦] [(٣)].

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ ، وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ ؛ فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلاَ أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ » [(٤)].

وما روي عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فسأله عَنْ الْوَلَدِ ، فقَالَ ﷺ : « مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلاَ مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِذَا عَلاَ مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ » [(٥)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو

---

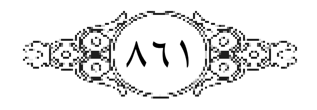
(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٩٠) برقم : (١٩٠٩٧) .

(٢) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (٢٩/٣٧٣) .

(٤) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٣١١) في كتاب الحيض ، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ، من حديث أم سليم رضي الله عنها .

(٥) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٣١٥) في كتاب الحيض ، باب بيان صفة منيِّ الرجل والمرأة ، من حديث ثوبان رضي الله عنه الطويل .



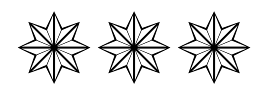
مرجِّح له على ما خالفه [1].

ومما سبق يتَّضح أنَّ قول عطاء الخراساني قولٌ صحيح .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ نطفة الرجل ونطفة المرأة ، لأنَّ الله وصف النطفة بأنها أمشاج ، وهي إذا انتقلت فصارت علقة ، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجاً وهي علقة ؟ وأما الذين قالوا : إنَّ نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، فإنَّ المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد ، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة ، وإذا كانت لوناً واحداً لم تكن ألواناً مختلفة ، وأحسب أنَّ الذين قالوا : هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى) [2].

وفي ملحق الصور آخر البحث صورٌ مكبَّرة للنطفة الأمشاج ، فتبارك الله أحسن الخالقين [3].

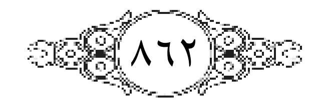
والله أعلم ،،



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

(٢) جامع البيان (٥٣٥/٢٣-٥٣٦) .

(٣) انظر : الصور رقم : (١٩-٢٠) ص(١٠٠٦) من ملحق الصور ، وتظهر فيها صور النطفة الأمشاج .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١﴾ [الإنسان : ١١] (١).

٢١٧- **قال عطاء الخراساني** : الزُّهْرَة(٢) في الوجْه ، والسُّرور في الصدر (٣) .

الدراسة :

* في هذه الآية يخبر الله تعالى أنه يمنح أهل الجنة نضرة في وجوههم ، وسروراً في قلوبهم ، مقابلة بعبوس الفجّار وحزنهم في النار .

وقد جرت العادة أنَّ القلب إذا سرَّ استنار الوجه وصار نضراً (٤)، قال كعب بن مالك رضي الله عنه : وكان رسول الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه كأنه فلقة قمر (٥).

وقالت عائشة رضي الله عنها : دخل عليَّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه... الحديث (٦).

وقول عطاء الخراساني هنا أنَّ الزُّهْرَة في الوجه ، والسرور في الصدر ؛ وافق فيه ابن عباس رضي الله عنهما (٧)، والحسن البصري (٨)، وقتادة (٩)، وعليه عامَّة المفسِّرين (١٠).

---

(١) الآية بتمامها : ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١﴾ .

(٢) **الزُّهرَة** = الحسن والبياض ، كأنَّ له بريقاً ونوراً يزهر كما يُزهِر النَّجم والسِّراج . انظر: لسان العرب (٦٩/٧).

(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٧) ، ص١١٤ .

(٤) انظر : تفسير المراغي (٢١١/١٠) .

(٥) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٥٥٦) في كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، وأخرجه برقم (٤٤١٨) في كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، وبرقم (٤٦٧٧) في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٧٦٩) في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

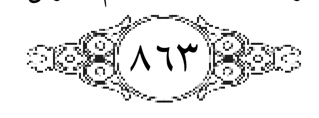
(٦) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٥٥٥) في كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، وأخرجه برقم (٦٧٧٠) في كتاب الفرائض ، باب القائف . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٤٥٩) في كتاب الرضاع ، باب العمل بإلحاق القائف الولد .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٢/٨) لابن المنذر .

(٨) تفسير مجاهد (٣١٤) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٠/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٢/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٠/٢٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٢/٨) لعبد بن حميد .

(١٠) انظر : جامع البيان (٥٥٠/٢٣) ، بحر العلوم (٥٢٧/٣) ، الكشف والبيان (١٠٢/١٠) ، الوسيط (٤٠٢/٤)، المفردات في غريب القرآن (٤٩٨) ، معالم التنزيل (١٩٢/٥) ، الكشاف (١١٦٥) ، المحرر

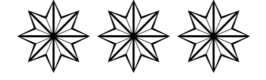


وهذه النضرة والزهرة تكون في وجوه أهل الإيمان يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) ﴾ [عبس : ٣٨ - ٣٩] .

والنضرة هي البياض والنقاء في الوجه ، أو الحسن والبهاء ، أو أثر نعمة الله على عبده [(١)].

قال الشيخ عطية سالم ﷺ في تتمة أضواء البيان : (والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أنَّ النضرة لما يرون من النعيم والسرور لما ينالونه من النظر إلى وجه الله الكريم كما تقدم : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ، فيكون السرور نتيجة النظر إلى وجه الله الكريم) [(٢)].

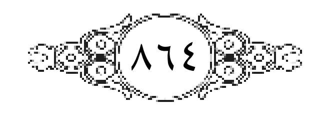
نسأل الله الكريم من فضله ، ،



الوجيز (١٩٣٠) ، زاد المسير (١٤٩٨) ، التفسير الكبير (٢٢٣/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢٠/٢)، أنوار التنزيل (٢٧٠/٤) ، مدارك التنزيل (٧٥٨/٢) ، البحر المحيط (٥٥٣/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٨١/٤)، إرشاد العقل السليم (٣٤٢/٦) ، روح المعاني (٢٦٩/٢٩) ، فتح القدير (٤٣٣/٥) ، تفسير المراغي (٢١١/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠١) ، التحرير والتنوير (٣٨٨/٢٩) .

(١) انظر : النكت والعيون (١٦٧/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢٠/٢) ، فتح القدير (٤٣٣/٥) .

(٢) تتمة أضواء البيان (٤٠٨/٨) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ [الإنسان : ١٣] [١] .

٢١٨- **قال عطاء الخراساني** : السُّرر [٢] .

الدراسة :

* الأرائك واحدتها أريكة وهي السرر في الحجال [٣]، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا [٤].

قال الراغب رحمه الله : (الأريكة حجَلة على سرير جمعها أرائك ، وتسميتها بذلك إما لكونها في الأرض متخذة من أراك وهو شجرة ، أو لكونها مكاناً للإقامة من قولهم : أرك بالمكان أروكا ، وأصل الأروك الإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في غيره من الإقامات) [٥].

الأقوال في الآية[٦] :

القول الأول : السُّرر ، كما قاله عطاء الخراساني ، وذكر بعضهم أنَّ الأريكة هي السرير بالحبشية [٧]، وعامة أقوال المفسِّرين على أنَّ الأرائك هي السُّرر عليها الحَجال ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد [٨]، وعكرمة ، والحسن [٩]، وقتادة [١٠]، وجمهور المفسِّرين[١١].

---

(١) الآية بتمامها : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

(٢) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٨) ، ص١١٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٣) **الحجال** = واحدها حَجَلة ، يقال حجلة العروس ، وهو ساتر للعروس كالقبة يزيَّن بالثياب والأسرَّة والستور، وستر يُضرب للعروس في جوف البيت ، انظر : معجم المقاييس في اللغة (٢٩٨) ، لسان العرب (٤٥/٤) ، المعجم الوسيط (١٥٨) .

(٤) التحرير والتنوير (٣٨٩/٢٩) .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٢٥) .

(٦) انظر : النكت والعيون (١٦٩/٦) ، المحرر الوجيز (١٩٣٠) .

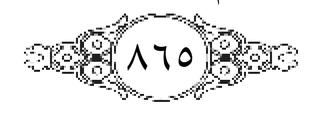
(٧) ذكر ذلك السيوطي في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (المخطوط صحيفة ٤ نسخة عبد الرحمن المالكي) ، وذكره أيضاً : الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٣٨٩/١٤) .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٥١/٢٣) .

(٩) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٤٦٦/١٩) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥١/٢٣) ، وعزا السيوطي في الدر المنثور (٣٧٢/٨) لعبد بن حميد عن قتادة قوله : الحجال على السرر .

(١١) انظر : جامع البيان (٥٥١/٢٣) ، بحر العلوم (٥٢٧/٣) ، الوسيط (١٤٧/٣) ، معالم التنزيل (١٩٢/٥) ،



قال السعدي رحمه الله: (السرر التي عليها اللباس المزيَّن) [(١)].

القول الثاني : كل ما يتَّكأ عليه ، ذكره الزجَّاج عن أهل اللغة[(٢)]، وقيل : كل ما يتوسّد ويفترش مما له حشو يسمى أريكة ، وإن لم تكن له حَجَلَة [(٣)].

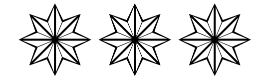
الجمع أو الترجيح :

القولان متداخلان ، فالقول الثاني أعم لشموله كلُّ ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منَصَّة [(٤)]، فيدخل القول الأول فيه ضمناً .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه [(٥)].

وعليه فقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح .

والله أعلم ، ،



المحرر الوجيز (١٩٣٠) ، زاد المسير (٨٥٠) ، التفسير الكبير (٢٢٣/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢١/٢) ، مدارك التنزيل (٧٥٨/٢) ، التسهيل (٣٦١/٢) ، تفسير ابن كثير (٤٨٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٤٣/٦) ، روح المعاني (٢٧٢/٢٩) ، فتح القدير (٤٣٤/٥) ، تفسير المراغي (٢١٢/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠١)، التحرير والتنوير (٣٨٩/٢٩) .

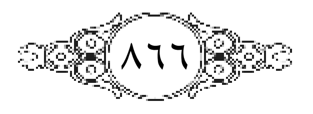
(١) تيسير الكريم الرحمن (٩٠١) .

(٢) معاني القرآن (٢٠٢/٥) .

(٣) ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير (٣٨٩/٢٩) .

(٤) انظر : النهاية في غريب الأثر (٤٠/١) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٥٥/٢) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان : ١٣] .

٢١٩- **قال عطاء الخراساني** : الزمهرير : البرد الشديد [١] .

الدراسة :

* الزَّمهرير : اسم للبرْد الشديد القوي في لغة الحجاز ، والزمهرير : اسم البرد . والمعنى : أنَّ هواء الجنة معتدل لا ألمَ فيه بحال . وفي كلام الرابعة من نساء حديث أمِّ زرع : « زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ ؛ لاَ حَرٌّ وَلاَ قُرٌّ ، وَلاَ مَخَافَةَ وَلاَ سَآمَةَ » [٢][٣].

والمقصود : أنَّ أهل الجنة – جعلنا الله منهم – سيكونون في جلسة مريحة مطمئنة ، والجو من حولهم رخاء ناعم دافئ في غير حر ، نديٌّ في غير برد ؛ فلا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهرير وهو البرد القارس ! وهم في عالم غيبي آخر ليست شمسه كشمسنا ، ولا برده كبردنا [٤].

الأقوال في الآية[٥] :

<u>**القول الأول**</u> : أنه البرد الشديد ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة [٨]، وعكرمة [٩]، وبه قال جمهور المفسِّرين [١٠].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٠) ، ص١١٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٥١٨٩) في كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٤٤٨) في كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر حديث أم زرع .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (٢٩/٣٨٩) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن (٦/٣٧٨٢) .

(٥) انظر : النكت والعيون (٦/١٦٩) .

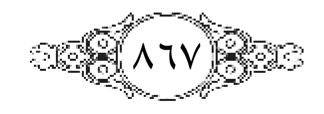
(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٢) للطستي .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٥٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٣) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٥٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٢) لعبد بن حميد .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٣) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٠) انظر : جامع البيان (٢٣/٥٥٢) ، بحر العلوم (٣/٥٢٧) ، الوسيط (٤/٤٠٣) ، معالم التنزيل (٥/١٩٣) ، الكشاف (١١٦٥) ، المحرر الوجيز (١٩٣٠) ، زاد المسير (١٤٩٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٢١) ،



القول الثاني : أنه لون من العذاب ، قاله ابن مسعود [(١)].

القول الثالث : أنَّ الزمهرير بلغة طيء : القمر ، قاله ثعلب [(٢)]، وأنشد[(٣)]:

وَلَيْلَةٍ ظَلاَمُهَا قَدْ اعتكَرْ   قَطَعْتُهَا والزَّمْهَرِيْرُ مَا زَهَرْ

ومعناه أنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ، لأنَّ ضوء النهار بالشمس ، وضوء الليل بالقمر ، أو أنَّ الجنَّة مضاءة بنور الله لا بحرارة الشمس ولا بنور القمر .

الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – القول الأول ؛ قول عطاء الخراساني ومن معه ، أنَّ الزَّمهرير هو البرد الشديد ، وهذا الذي عليه الجمهور ، وتشهد له السنة الصحيحة .

فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ؛ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ » [(٤)].

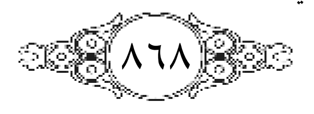
مدارك التنزيل (٧٥٨/٢) ، التسهيل (٣١٤/٤) ، البحر المحيط (٥٥٣/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٨٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٤٣/٦) ، روح المعاني (٢٧٢/٢٩) ، فتح القدير (٤٣٤/٥) ، تفسير المراغي (٢١٢/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠١)، التحرير والتنوير (٣٨٩/٢٩) .

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٥٢/٢٣) ، وابن أبي حاتم (٣٣٩١/١٠) برقم : (١٩٠٨٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٢) **ثعلب** = **أحمد بن يحيى بن يسار** ، أبو العباس ، ثعلب الشيباني ، مولاهم النحوي اللغوي ، إمام الكوفيين في النحو واللغة والفقه والديانة ، ولد فيما ذكره المرزباني عن مشايخه سنة مائتين ومات لثلاث . انظر : معجم الأدباء (٥٥/٢) .

(٣) **البيت لرجل من طيء لم أقف عليه** . وهو من شواهد : الكشف والبيان (٩٨/١٠) ، النكت والعيون (١٦٩/٦) ، الكشاف (١١٦٥) ، زاد المسير (١٤٩٩) ، التفسير الكبير (٢٢٤/٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٢١/٢) ، أنوار التنزيل (٢٧١/٤) ، البحر المحيط (٥٤٨/٨) ، روح المعاني (٢٧٢/٢٩) ، فتح القدير (٤٣٤/٥) .

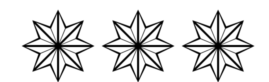
(٤) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٥٣٧) في كتاب مواقيت الصلاة ، باب الإبراد بالظهر في شدة الحرّ ، وأخرجه برقم (٣٢٦٠) في كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وانها مخلوقة . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٦١٧) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحرّ في طريقه .



والقاعدة التفسيرية : أنه إذا ثبت الحديث ، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره [(١)].

فأهل الجنة لا يجدون شمساً يؤذيهم حرُّها ، ولا برداً شديداً ، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل ، لا حر ولا برد ، بحيث تلتذ به الأجساد ، ولا تتألم هناك من حر أو برد [(٢)].

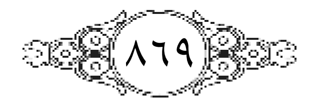
والله أعلم ، ،



---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٩١) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٠١) .



المَوضع الخامس:

* وفي قول الله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان: ١٥] [١].

٢٢٠- **قال عطاء الخراساني**: الأقساط [٢][٣].

الدراسة:

* الأكواب في كلام عامة أهل التفسير واللغة: جمع كوب، وهو القدح أو الكُوز أو القسط التي لا عروة لها ولا أذن، وهو قول مجاهد [٤]، وعامة المفسِّرين على هذا المعنى [٥].

ومنه قول الشاعر [٦]:

مُتَّكِئَاً تُقرَعُ أبوابُهُ ... يَسعَىْ عَلَيْهِ العَبْدُ بِالكُوبِ

قال ابن الجوزي رحمه الله: (وقال شيخنا أبو منصور اللغوي [٧]: وإنما كانت بغير عُرىً لِيَشرب الشارب من أين شاء، لأنَّ العُروة تَرُدُّ الشارب من بعض

---

(١) الآية بتمامها: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾.

(٢) **الأقساط** = جمع قسط، وهو الكوز عند أهل الأمصار. انظر: لسان العرب (١٢/١٠١).

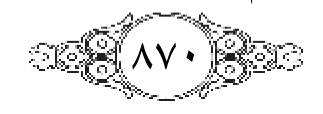
(٣) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤١) ص١١٥، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١).

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٥٥-٥٥٦).

(٥) انظر: بحر العلوم (٣/٥٢٨)، الوسيط (٤/٤٠٣)، المفردات في غريب القرآن (٤٤٤)، المحرر الوجيز (١٩٣٠)، زاد المسير (١٢٨٣)، التفسير الكبير (٣٠/٢٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٢٢)، أنوار التنزيل (٥/٢٧١)، مدارك التنزيل (٢/٧٥٨)، التسهيل (٤/١٧٠)، تفسير ابن كثير (٤/٤٨٢)، إرشاد العقل السليم (٦/٣٤٣)، روح المعاني (٢٩/٢٧٣)، فتح القدير (٥/٤٣٥)، تفسير المراغي (١٠/٢١٢)، التحرير والتنوير (٢٩/٣٩٢).

(٦) **البيت لعدي بن زيد**. ولم أقف على ديوانه، وانظر: جمهرة أشعار العرب (١٨)، تهذيب اللغة (١٠/٢١٧)، لسان العرب (١٣/١٢٩) مادة: كوب. والبيت من شواهد: زاد المسير (١٢٨٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٢٢)، فتح القدير (٥/٤٣٥).

(٧) **أبو منصور اللغوي** = هو العلامة الإمام اللغوي النحوي أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن الجواليقي، إمام الخليفة المقتفي، ولد سنة ٤٦٦هـ، سمع أبا القاسم بن البسري، وأبا طاهر بن أبي الصقر، والنقيب طراد ابن محمد الزينبي، وعدة، وطلب بنفسه مدة، ونسخ الكثير، حدث عنه: ابنته خديجة، والسمعاني، وابن الجوزي، والتاج الكندي، ويوسف بن كامل، وآخرون، كان إماماً في النحو واللغة، وهو ثقة ورع غزير الفضل، وافر العقل، مليح الخط، كثير الضبط، صنف التصانيف، وشاع ذكره، مات في المحرم سنة أربعين وخمس مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٩).



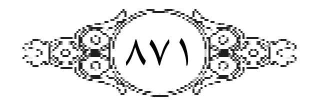
الجهات) [1].

وأما تعبير عطاء الخراساني ﷺ عن الكوب بالقسط فهي عبارة صحيحة ، ولم أجد من المفسِّرين غيره عبَّر بها في تفسير الآية .

والله أعلم ،،



(١) زاد المسير (١٢٨٣) .



الموضع السادس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإنسان : ١٦] .

٢٢١- **قال عطاء الخراساني** : يقال : بياض تلك القوارير مثل بياض الفضة ، وصفاؤها صفاء القوارير [١] .

الدراسة :

* المقصود في الآية : أنَّ تلك القوارير من فضَّة ، بياضها مثل بياض الفضة ، وصفاؤها كصفاء القوارير ، وهو قول عطاء الخراساني ، وبنحوه قال علي بن أبي طالب [٢]، وابن عباس رضي الله عنهما [٣]، ومجاهد ، والحسن البصري [٤]، وقتادة [٥]، والشعبي [٦]، وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (لو أخذت فضة من فضَّة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب ؛ لم تر الماء من ورائها ، ولكن قوارير الجنة في بياض الفضة ، في صفاء القارورة) [٨].

وقال أيضاً : (ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٣٩) ، ص١١٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٧٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٥٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٤) عزوه لابن المنذر ، والبيهقي في البعث من طريق العوفي .

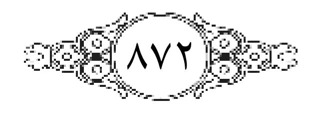
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٥٥-٥٥٧) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣/٥٥٥-٥٥٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٤) لعبد بن حميد .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٥) لعبد بن حميد .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢١٨) ، بحر العلوم (٢/٥٢٨) ، الكشف والبيان (١٠/١٠٣) ، الوسيط (٤/٤٠٣)، معالم التنزيل (٥/١٩٣) ، الكشاف (١١٦٦) ، المحرر الوجيز (١٩٣٠) ، زاد المسير (١٤٩٩)، التفسير الكبير (٣٠/٢٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٢٢) ، أنوار التنزيل (٥/٢٧١) ، مدارك التنزيل (٢/٧٥٨) ، التسهيل (٤/٣١٤) ، البحر المحيط (٨/٥٥٤) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٨٢) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٤٣) ، روح المعاني (٢٩/٢٧٣) ، فتح القدير (٥/٤٣٥) ، تفسير المراغي (١٠/٢١٣) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠٢) ، التحرير والتنوير (٢٩/٣٩٢) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٥) لعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، والبيهقي في البعث .

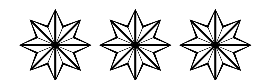


قوارير من فضة)[1].

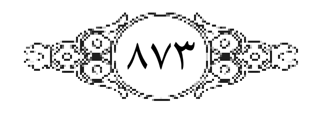
وقال : (قوارير كلّ أرض من تربتها ، وأرض الجنَّة الفضَّة فلذلك كانت قواريرها فضَّة)[2].

وقال قتادة : (لو اجتمع أهل الدنيا على أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه كما يرى في القوارير ما قدروا عليه)[3].

والله أعلم ، ،



(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٩١) برقم : (١٩٠٨٥) .
(٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/١٧٠) .
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٥) لابن المنذر .



الموضع السابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان : ١٨] .

٢٢٢- **قال عطاء الخراساني** : العين التي تمزج بها الخمر [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية يصف الله شراب أهل الجنة من كأس وهو الإناء المملوء من خمر كان خلطها وطعمها الزنجبيل ، من عين تسمَّى السلسبيل ؛ سمِّيت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها [(٢)] .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : أنَّ عين السلسبيل المقصودة في الآية هي التي تمزج بها الخمر ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول الضَّحاك [(٤)] .

القول الثاني : أنَّ الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها أهل الجنة ، ويمزج منها شرابهم ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة [(٥)] .

قال ابن عاشور رحمه الله : (ومعنى كون الزنجبيل عيناً : أنَّ منقوعه أو الشراب المستخرج منه كثير كالعين على نحو قوله تعالى : ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محمد : ١٥] ، أي هو كثير جداً وكان يعرف في الدنيا بالعزة) [(٦)] .

الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - القول الأول ، لموافقته وسياق الآية التي قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان : ١٧-١٨] ، فربط المزج الذي أخبر الله عنه في الآية بالعَين في الآية التي تليها ، ففهم منه أنَّ الزنجبيل الذي تمزج به الكأس – وهي الخمر - من عين

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٣) ، ص١١٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

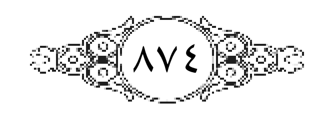
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٠١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/١٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٢٣) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٧٦) لابن المنذر .

(٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٣/٥٦٠-٥٦١) .

(٦) التحرير والتنوير (٢٩/٣٩٥) .



تسمى سلسبيل .

ويشهد لهذا المعنى أنَّ شراب أهل الجنة من عين السلسبيل ؛ ما صحَّ عن النبي ﷺ حينما سأله الحَبْر عن شراب أهل الجنة فقال : « مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً » [1].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجَّح على ما خالفه [2].

والقاعدة الأخرى : أنه إذا ثبت الحديث وكان نصّاً في تفسير الآية فلا يُصار إلى غيره [3].

قال الواحدي رحمه الله : (يمزج الخمرُ بالزنجبيل ، والزنجبيل من عين تسمَّى تلك العين سلسبيلاً) [4].

وبنحو هذا قال الزمخشري ، وأبو حيان [5].

ومما سبق يتَّضح رجحان قول عطاء الخراساني في الآية .

وقد كانت العرب تستطيب الزنجبيل جداً ، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة [6].

وقد عُرِف ذلك في أشعارهم ، ومنه قول المسيَّب يصف ثغر المرأة [7]:

وكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيْلِ بِهِ ... إِذْ ذُقْتُهُ وَسُلاَفَةُ الخَمْرِ

والله أعلم ، ،

---

(١) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٣١٥) في كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ، من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٩) .

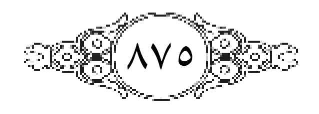
(٣) المصدر السابق (١/١٩١) .

(٤) الوسيط (٤/٤٠٣) .

(٥) انظر : الكشاف (١١٦٦) ، البحر المحيط (٨/٥٥٥) .

(٦) انظر : الكشف والبيان (١٠/١٠٣) ، الوسيط (٤/٤٠٣) ، معالم التنزيل (٥/١٩٣) ، الكشاف (١١٦٦) ، زاد المسير (١٤٩٩) ، التفسير الكبير (٣٠/٢٢٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٢٣) ، أنوار التنزيل (٥/٢٧١) ، مدارك التنزيل (٢/٧٥٩) ، البحر المحيط (٨/٥٥٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٤٣) ، روح المعاني (٢٩/٢٧٥) ، فتح القدير (٥/٤٣٦) ، تفسير المراغي (١٠/٢١٣) .

(٧) **البيت للمسيب بن علس** ، انظر : آخر ديوان الأعشى (مجموعة المسيب بن علس ، وهو خال الأعشى والأعشى راويته) ص(٣٥٢) .



سورة النَّبأ

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ [النبأ : ١٣] .

٢٢٣- **قال عطاء الخراساني** : الوهج : المنير [١].

الدراسة :

* في هذه الآية يمتنُّ الله تعالى على عباده بتذكيرهم ببعض نعمه عليهم في الدنيا ، ومن ذلك نعمة الشمس التي تضيء لهم ، وهذه الآية بنحو قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ [يونس : ٥] ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح : ١٦] .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : المنير ، قاله عطاء الخراساني رحمه الله ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٣] ، وقتادة [٤] ، واختاره ابن كثير في تفسيره [٥].

ويرادف هذا القول الرواية الأخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما : الوهَّاج هو المضيء [٦].

وقول مجاهد [٧] ، وسفيان الثوري [٨] : المتلألئ .

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (ويطلق الوهاج على المتلألئ المضيء ،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٠) ، ص٩٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢٤/١٠-١١) ، النكت والعيون (٦/١٨٤) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١١) .

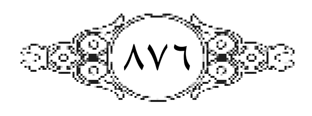
(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٨٢) ، والطبري (٢٤/١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩١) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والخرائطي في مكارم الأخلاق .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٤٨٨) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١١) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٩٤) برقم : (١٩٠٩٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٩) عزوه لابن المنذر .

(٧) تفسير مجاهد (٣١٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣١٩) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وعزاه عن أبي الشيخ في العظمة .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١١) .



وهـو المـراد هنـا ؛ لأنَّ وصـف وهَّـاج أُجـريَ علـى سـراج ، أي سـراجاً شـديد الإِضاءة ، ولا يقال : سراج ملتهب) [1].

القـول الثـاني : أنـه الـشديد الحـرارة ، مـن وهـج الحـر ، قالـه الحـسن [2]، والزجاج [3]، وابن عطية [4]، وأبو حيان [5].

الجمع أو الترجيح :

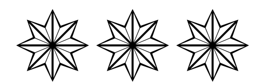
الأقـرب - والله أعلـم - الجمـع بـين القـولين ، فيقـال :المقـصود بالوهَّـاج أنَّ فيـه نـوراً وحـرَّاً ، فـالوهَج يجمـع بـين النـور والحـرارة ، فيكـون متوقِّـداً مـضيئاً ؛ يجمع بين الضياء والجمال ، وهذا هو الذي عليه جمهور المفسِّرين [6].

قـال الـسعدي ﷺ : (نبَّـه بالـسِّراج علـى النعمـة بنورهـا ، الـذي صـار كالـضرورة للخلـق ، وبالوهـاج الـذي فيـه الحـرارة علـى حرارتهـا ومـا فيهـا مـن المصالح) [7].

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [8].

وعليه فقول عطاء الخراساني داخل في المعنى الصحيح .

والحمد لله ،،



(١) التحرير والتنوير (٣٠/٢٤) .

(٢) حكاه الماوردي في النكت والعيون (٦/١٨٤) .

(٣) معاني القرآن (٥/٢١٢) .

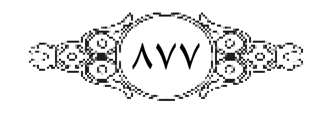
(٤) المحرر الوجيز (١٩٣٩) .

(٥) البحر المحيط (٨/٥٧٣) .

(٦) انظر : جامع البيان (٢٤/١٠) ، بحر العلوم (٣/٥٣٧) ، الكشف والبيان (١٠/١١٤) ، الوسيط (٤/٤١٢)، المفردات في غريب القرآن (٥٤٩) ، معالم التنزيل (٥/٢٠٠) ، الكشاف (١١٧٢) ، زاد المسير (١٥٠٧) ، التفسير الكبير (٣١/٨-٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٣٧) ، أنوار التنزيل (٥/٢٧٩) ، مدارك التنزيل (٢/٧٦٧) ، التسهيل (٤/٣٢٤) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٥٦) ، روح المعاني (٣٠/١٥) ، فتح القدير (٥/٤٥٣) ، تفسير المراغي (١٠/٢٣٠) .

(٧) تيسير الكريم الرحمن (٩٠٦) .

(٨) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ : ٣٤] .

٢٢٤- **قال عطاء الخراساني** : الدهاق : الممتلئ [(١)] .

الدراسة :

* في هذه الآية وصف لكأس أهل الجنة أنها مملوءة من رحيق ، لذة للشاربين ، ليس فيها ما يعكِّر عليهم لذَّتهم ، والكأس في القرآن عني بها الخمر – كما سبق بيانه – ، وهي من الألفاظ الكلية المطَّردة في القرآن [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : الدِّهاق : الممتلئ ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وسعيد بن جبير [(٥)]، ومجاهد [(٦)]، والضحاك [(٧)]، والحسن البصري [(٨)]، وقتادة [(٩)]، وابن زيد [(١٠)]، وهو قول أكثر أهل اللغة كأبي عبيدة[(١١)]، والزجاج [(١٢)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦١) ، ص٩٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : كليات الألفاظ في التفسير (٥٠٧/٢) .

(٣) انظر : جامع البيان (٣٩/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢١٤/٥) ، بحر العلوم (٥٣٩/٣) ، الكشف والبيان (١١٨/١٠) ، النكت والعيون (١٨٨/٦-١٨٩) ، معالم التنزيل (٢٠٢/٥) ، المحرر الوجيز (١٩٤١) ، زاد المسير (١٥٠٨) ، التفسير الكبير (٢٠/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤٢/٢) ، البحر المحيط (٥٧٨/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٩١/٤) ، روح المعاني (٣١/٣٠) ، فتح القدير (٤٥٨/٥) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في البعث .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٨) لعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٨) لعبد بن حميد .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٨) لعبد بن حميد .

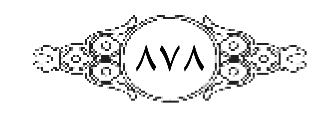
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٠/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٨) لعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٨٤/٣) ، والطبري (٤١/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٨/٨) لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١/٢٤) .

(١١) مجاز القرآن (٢٨٣/٢) .

(١٢) معاني القرآن للزجاج (٢١٤/٥) .



واختاره من المفسِّرين : الواحدي [١]، والراغب[٢]، والزمخشري [٣]، والبيضاوي [٤]، وغيرهم [٥]. ومنه قول الشاعر [٦]:

أَتَانَا عَامِرٌ يَبْغِي قِرَانَاً   فأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسَاً دِهَاقَاً

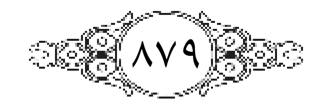
القول الثاني : كأساً صافية ، وهذا قول عكرمة [٧]، والدهاق على هذا القول يجوز أن يكون جمع داهق ، وهو خشبتان يعصر بهما .

القول الثالث : كأساً متتابعة يتبع بعضها بعضاً ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٨]، وأبو هريرة رضي الله عنه [٩]، وسعيد بن جبير [١٠]، ومجاهد [١١]، وعكرمة ، والضحاك[١٢]، وابن وهب [١٣].

وأصل هذا القول من قول العرب : أدهقت الحجارة إدهاقاً وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض [١٤].

القول الرابع : الملأى المتتابعة المترعة ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [١٥]،

(١) الوسيط (٤/٤١٥) .
(٢) المفردات في غريب القرآن (١٨٠) .
(٣) الكشاف (١١٧٤) .
(٤) أنوار التنزيل (٥/٢٨١) .
(٥) انظر : مدارك التنزيل (٢/٧٦٩) ، التسهيل (٤/٣٢٦) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٦١) .
(٦) **البيت لخداش بن زهير** . انظر : شعر خداش بن زهير العامري ص(٨٧) ، لسان العرب (٥/٣١٦) ، تاج العروس (٢٥/٣١٤) مادة : دهق . وهو من شواهد : الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٤٢) ، البحر المحيط (٨/٥٧١) ، الدر المنثور (٨/٣٩٨) .
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤١) .
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٢) .
(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٩) عزوه لعبد بن حميد ، ولفظه : **دُمادُم** ، ومعناها : متتابعة بالفارسية .
(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٨٤) ، والطبري (٢٤/٤٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٩) لعبد بن حميد .
(١١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٨) عزوه لعبد بن حميد .
(١٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٨-٣٩٩) لعبد بن حميد .
(١٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٠) .
(١٤) انظر : التفسير الكبير (٣١/٢٠) .
(١٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٠-٤٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٣٩٦) برقم : (١٩١٠٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٨) عزوه لابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث .



ومجاهد[1]، وعكرمة [2]، وعطية [3]رحمهم الله .

الجمع أو الترجيح :

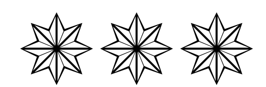
جميع الأقوال صحيحة ، وهي وصف لكأس الخمر التي يشربها أهل الجنة ، فهي مملوءة صافية ، يتبع بعضها بعضاً .

قال الطبري رحمه الله : (وكأساً ملأى متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدَّهْق : وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف ، وكذلك الكأس الدهاق : متابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء) [4].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح معتبر في الآية .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [5].

قال ابن عاشور رحمه الله : (والدهق والإدهاق ملء الإناء من كثرة ما صبّ فيه. ووصفُ الكأس بالدهق من إطلاق المصدر على المفعول كالخَلق بمعنى المخلُوق فإنَّ الكأس مدهقة لا داهقة ، ومركب (كأس دهاق) يَجري مجرى المثل قال عكرمة : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ : اسْقِنَا كَأْسًا دِهَاقًا) [6]، ولذلك أفرد كأساً ، ومعناه مملوءة خمراً ، أي دون تقتير لأنَّ الخمر كانت عزيزة فلا يكيل الحَانَوِي للشارب إلا بمقدار فإذا كانت الكأس ملأى كان ذلك أسر للشارب) [7]. والله أعلم ، ،



(١) تفسير مجاهد (٣١٨) .

(٢) أخرجه عنه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٨٤٠) في كتاب المناقب ، باب أيام الجاهلية .

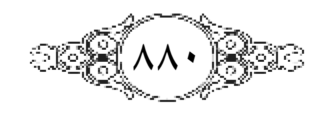
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٨) لهناد .

(٤) جامع البيان (٣٩/٢٤) .

(٥) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

(٦) أخرجه **عنه البخاري** في صحيحه برقم : (٣٨٤٠) في كتاب المناقب ، باب أيام الجاهلية .

(٧) التحرير والتنوير (٤٥/٣٠) .



سورة النازعات

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨﴾ [النازعات : ٨] .

٢٢٥- **قال عطاء الخراساني** : وجلة متحرِّكة [(١)].

الدراسة :

* يصف الله حال قلوب المشركين يوم القيامة ؛ الذين كانوا يجحدون البعث ، إذا قاموا وعلموا أنَّ ما وعدهم الرسول ﷺ به حق توقّعوا ما كان يحذِّرهم منه من عقاب إنكار البعث والشرك وغير ذلك من أحوالهم فهم حينها خائفون تضطرب قلوبهم وجلاً وخوفاً . أما قلوب المؤمنين فإن فيها اطمئناناً متفاوتاً بحسب تفاوتهم في التقوى [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

في معنى الواجفة أقوال ، أبرزها :

القول الأول : وجلة متحركة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وبنحوه : خائفة ، وجفت مما عاينت يومئذ ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٦)]، وقتادة [(٧)]، وابن زيد[(٨)].

القول الثاني : زائلة عن أماكنها ، قاله الضحاك [(٩)]، والسدّي .

القول الثالث : مستوفرة ، قاله قطرب .

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٢) ، ص٩٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٦٨/٣٠) .

(٣) الكشف والبيان (١٢٤/١٠-١٢٥) ، النكت والعيون (١٩٥/٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤٧/٢) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٦/٨) لابن المنذر .

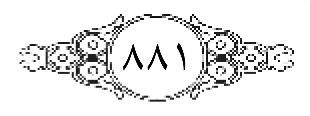
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٨٧/٣) ، والطبري (٦٩/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٦/٨) لعبد بن حميد ، وعزاه أيضاً (٤٠٧/٨) عن عبد بن حميد وابن المنذر بلفظ : وجفت مما عاينت.

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩/٢٤) .

(٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (١٩٥/٦) .



القول الرابع : غير هادئة ولا ساكنة ، قاله يمان .

القول الخامس : مرتكضة ، قاله أبو عمرو بن العلاء [(١)].

القول السادس : مضطربة ، قاله المبرد ، والزمخشري [(٢)]، وتبعه جمع من المفسِّرين [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الذي يترجّح عندي – والله أعلم – هو أنَّ الخلاف لفظي ، وجميع الأقوال مترادفة تدلّ على معنى واحد ، وهو أنَّ قلوب الناس يومئذ تكون خائفة من عظيم الهول النازل ، وتكون في غاية الذلّ والوجل والاضطراب الشديد ، لما تعاينه من أهوال يوم القيامة ، وتنزعج من شدَّة ما ترى وتسمع ، وهذه القلوب من شدَّة الفرَق والخوف تكاد تطير من أماكنها ، والخوف يومئذ وإن كان لا يخلو منه أحد إلا أنَّ أشدّه خوف الذين يوقنون بسوء المصير ، ويعلمون أنهم كانوا ضالين في الحياة الدنيا .

والمعاني كلها استعارات لبيان الحال العظيم في ذلك اليوم ، وبنحو هذا قال جمهور المفسِّرين [(٤)].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح معتبر في الآية .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٥)].

قال الرازي ﷺ : (اعلم أنه تعالى لم يقل : القلوب يومئذ واجفة ، فإنه

---

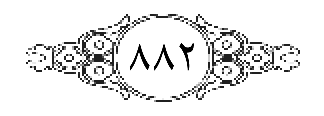
(١) الأقوال السابقة –من الثالث إلى الخامس- ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/١٢٤-١٢٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٤٧) .

(٢) الكشاف (١١٧٥) .

(٣) انظر : زاد المسير (١٥١١) ، أنوار التنزيل (٥/٢٨٣) ، مدارك التنزيل (٢/٧٧٢) ، التسهيل (٤/٣٣٠) ، البحر المحيط (٨/٥٨٥) ، روح المعاني (٣٠/٤٥)، فتح القدير (٥/٤٦٥) ، تفسير المراغي (١٠/٢٤٠) ، التحرير والتنوير (٣٠/٦٨) .

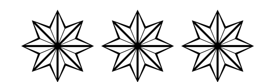
(٤) انظر : جامع البيان (٢٤/٦٨) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢١٦) ، بحر العلوم (٣/٥٤٢) ،الكشف والبيان (١٠/١٢٤-١٢٥) ، النكت والعيون (٦/١٩٥) ، الوسيط (٤/٤١٩) ، المفردات في غريب القرآن (٥٣٠)، معالم التنزيل (٥/٢٠٦) ، المحرر الوجيز (١٩٤٤) ، التفسير الكبير (٣١/٣٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٤٧) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٩٤) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٦٦) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠٨) .

(٥) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

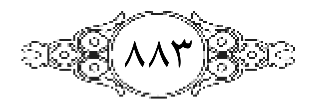


ثبت بالدليل أنَّ أهل الإيمان لا يخافون بل المراد منه قلوب الكفار ، ومما يؤكد ذلك أنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون : ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [النازعات : ١٠] ، وهذا كلام الكفار لا كلام المؤمنين) [1].

والله أعلم ..



(١) التفسير الكبير (٣١/٣٣) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ [النازعات : ١٠] .

٢٢٦- **قال عطاء الخراساني** : الحياة [١] .

الدراسة :

* يخبر الله تعالى عن حال الكفَّار الذين أنكروا البعث بعد الموت ، بأنهم يتساءلون مستنكرين : هل سنعاد للحياة بعد الموت ؟! إنكاراً واعتراضاً منهم على ذلك .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : أنَّ الحافرة هي الحياة ، قاله عطاء الخراساني ، - والمقصود الحياة بعد الموت - ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وأبو مالك[٤]، وقتادة [٥]، ومحمد بن كعب[٦]، والسدي ، وعطية[٧].

القول الثاني : أنها الرجوع إلى الحالة الأولى ، من قولهم رجع فلان على قومه ؛ إذا رجع من حيث جاء ، قاله قتادة [٨]، ومنه قول الشاعر[٩]:

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٣) ، ص٩٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : جامع البيان (٧٠/٢٤) ، النكت والعيون (١٩٥/٦) ، الكشف والبيان (١٢٥/١٠) ، المحرر الوجيز (١٩٤٤) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٥/٨) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - . وعزاه (٤٠٧/٨) لعبد بن حميد ، بلفظ : نبعث خلقاً جديداً .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٨) لعبد بن حميد .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣٨٨/٣) ، والطبري (٧٠/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، بلفظ : إننا لمبعوثون خلقاً جديداً .

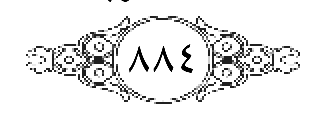
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧١/٢٤) .

(٧) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (١٩٥/٦) .

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (١٩٥/٦) .

(٩) **لم أعرف قائله** ، ونسبه الزمخشري في الكشاف (١١٧٦) لابن الأعرابي ، وكذا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤٨/٢) ، ونسبه بعضهم لعمران بن حطان ، كما ظنَّ ابن السيد البطليوسي في شرح أدب الكاتب – ولم أقف عليه - . انظر : التحرير والتنوير (٧٠/٣٠) .

والبيت من شواهد كتب اللغة : أدب الكاتب (٣٢٠) ، جمهرة الأمثال (٣١١/٢) ، المستقصي في أمثال العرب (١٥٥/٢) ، تهذيب اللغة (١٤/٥) ، لسان العرب (١٦٣/٤) ، تاج العروس (٦٣/١١) مادة : حفر.



أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وعَارِ

القول الثالث : أنها الأرض التي تحفر فيها قبورهم ، قاله مجاهد[1] ، فالحافرة أي : المحفورة ، والمعنى : أي أننا لمردودون في قبورنا أمواتاً .

القول الرابع : أنَّ الحافرة اسم من أسماء النار ، قاله ابن زيد [2] .

الجمع أو الترجيح :

القولان الأولان معناهما واحد ، فالحالة الأولى هي الحياة ، وهذا هو الراجح في معنى الحافرة ؛ إذ المقصود بيان إنكار المشركين للبعث للحياة بعد الموت ، ورجوعهم للحياة الأولى بعد تمزّق أجسامهم ، وتفتت عظامهم ونخورها في القبور ، فهم يتساءلون باستنكار : ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ !؟ فهم بهذا ينكرون وقوع البعث .

وعامة أقوال المفسِّرين على أنَّ الحافرة الرجوع إلى الأمر الأول ؛ وهو الحياة بعد الموت ، وهذه اللفظة عند العرب تعني اسماً لأوَّل الشيء وابتداء الأمر ، وكذا الرجوع في الطريق الذي جاء فيه [3] .

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح معتبر في تفسير لفظ الحافرة .

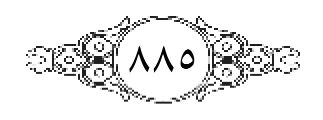
والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة

وهو من شواهد كتب التفسير : جامع البيان (٧٠/٢٤) ، الكشف والبيان (١٢٥/١٠) ، النكت والعيون (١٩٥/٦) ، تفسير السمعاني (١٤٨/٦) ، المحرر الوجيز (١٩٤٤) ، زاد المسير (١٥١١) ، البحر المحيط (٥٨٢/٨) ، روح المعاني (٤٧/٣٠) ، فتح القدير (٤٦٥/٥) ، أضواء البيان (١٥/٩) .

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧١/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٥/٨) عزوه لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧١/٢٤) .

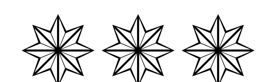
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٣٤/٢) ، معاني القرآن للزجاج (٢١٦/٥) ، بحر العلوم (٥٤٢/٣) ، الكشف والبيان (١٢٥/١٠) ، الوسيط (٤١٩/٤) ، المفردات في غريب القرآن (١٣١) ، معالم التنزيل (٢٠٦/٥) ، الكشاف (١١٧٥) ، المحرر الوجيز (١٩٤٤) ، زاد المسير (١٥١١) ، التفسير الكبير (٣٤/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤٨/٢) ، أنوار التنزيل (٢٨٣/٥) ، مدارك التنزيل (٧٧٢/٢) ، التسهيل (٣٣٠/٤) ، البحر المحيط (٥٨٦/٨) ، تفسير ابن كثير (٤٩٤/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٦٧/٦) ، روح المعاني (٤٧/٣٠) ، فتح القدير (٤٦٥/٥) ، تفسير المراغي (٢٤١/١٠) ، التحرير والتنوير (٧٠/٣٠) ، أضواء البيان (١٥/٩) .



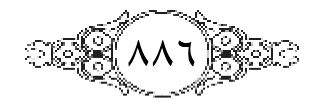
الجميع حُمل عليها [(١)].

ولا يظهر ما قاله أصحاب القول الثالث ، من أنَّ المعنى : أننا سنردُّ في قبورنا أمواتاً ، إذ معلوم أنهم لا ينكرون الموت ، وكذلك من قال أنَّ الحافرة اسم من أسماء النار ، قول لا دليل عليه .

والله أعلم ، ،



(١) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .



الموضع الثالث :

* في قول الله تعالى : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات : ١١] .

٢٢٧- **قال عطاء الخراساني** : بالية [١] .

الدراسة :

* لا يزال السياق في هذه الآية عن تساؤل المشركين في إنكار البعث ، فهم يتساءلون : كيف نرجع إلى الحياة بعد أن صرنا عظاماً بالية متفتتة !؟ .

❖ القراءات في الآية [٢] :

* قرأ عامة قرأة المدينة والحجاز والبصرة كأبي جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ، وروحٌ ، وزيد عن يعقوب : ﴿ نَّخِرَةً ﴾ .

* وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وحمزة ، والكسائي ، ورويس عن يعقوب ، وخلف : ﴿ نَاخِرَةً ﴾ بالألف ، وهي قراءة : عمر بن الخطاب [٣]، وابن مسعود [٤]، وابن عمر [٥]، وابن عباس [٦]، وابن الزبير رضي الله عنهم [٧]، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وإبراهيم النخعي [٨].

الأقوال في الآية [٩] :

اتفق العلماء على أنَّ الناخرة لغة صحيحة ، ثم اختلفوا في المعنى على قولين :

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٤) ، ص٩٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المبسوط (٣٩٤) ، البدور الزاهرة (٢/٤٠٨) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) لعبد بن حميد .

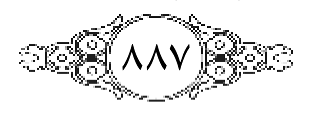
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) للطبراني .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٨٨) عن عمرو بن دينار ، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، عن مجاهد .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) لعبد بن حميد .

(٩) انظر : النكت والعيون (٦/١٩٥) ، التفسير الكبير (٣١/٣٤) .



القول الأول : أنَّ الناخرة والنخرة بمعنى واحد ، وأنهما لغتان أيهما قرأت فحسن [(١)].

قال الفرَّاء رحمه الله : (و﴿ نَاخِرَة ﴾ ، ﴿نَّخِرَةً﴾ سواء في المعنى [(٢)]؛ بمنزلة الطامِع والطَّمِع ، والباخِل والبخِل ، وقد فرَّق بعض المفسِّرين [(٣)] بينهما فقال: النخرة : البالية ، والناخرة : العظم المجوَّف الذي تمرّ فيه الريح) [(٤)].

ثمَّ اختلفوا في معناهما على معنيين :

الأول : البالية ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، وقتادة [(٦)]، والضحاك [(٧)]، والسدي [(٨)].

وقيل إنها العظام المرفوتة ، كما قال مجاهد [(٩)]، أخذاً من قوله تعالى : ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء : ٤٩] .

الثاني : العظم يبلى فتدخل الريح فيه ، فهي المصوّتة بالريح المجوَّفة ، قاله مجاهد [(١٠)]، ومنه قول الشاعر [(١١)]:

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٢/٢٣٣) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢١٦) ، الوسيط (٤/٤١٩) ، المفردات في غريب القرآن (٤٨٨) ، معالم التنزيل (٥/٢٠٧) ، الكشاف (١١٧٦) ، زاد المسير (١٥١٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٤٨) ، أنوار التنزيل (٥/٢٨٣) ، مدارك التنزيل (٢/٧٧٢) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٩٤)، إرشاد العقل السليم (٦/٣٦٧) ، روح المعاني (٣٠/٤٨) ، فتح القدير (٥/٤٦٦) ، تفسير المراغي (١٠/٢٤١) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠٩) ، التحرير والتنوير (٣٠/٧٠) ، أضواء البيان (٩/١٥).

(٢) علَّق ابن حجر رحمه الله على ذلك فقال : (وقوله : " سواء " أي في أصل المعنى ، وإلا ففي نخرة مبالغة ليست في ناخرة) . انظر : فتح الباري (٨/٨٨١).

(٣) قال ابن حجر رحمه الله : (والمفسِّر المذكور هو ابن الكلبي ، فقد قال أبو الحسن الأثرم الراوي عن أبي عبيدة : سمعت ابن الكلبي يقول : نخرة : بالية ، وناخرة : ينخر فيها الريح) . انظر : فتح الباري (٨/٨٨١).

(٤) معاني القرآن (٣/٢٣٣) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٧٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٧٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

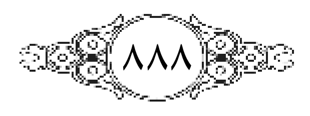
(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/١٩٥) .

(٩) تفسير مجاهد (٣٢٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٧٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٠٧) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر بلفظ : مدقوقة .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٩٨) برقم : (١٩١١٨) .

(١١) **البيت للحارثي** . انظر : ديوان الحماسة (٢/١٧٢) ، وجاء فيه بلفظ :



وأخليتـــها مـــن مخّهـــا فكأنهـــا قـــوارير في أجوافهـــا الـــرِّيح تنخـــر

القـــول الثـــاني : أنَّ النخـــرة غـــير النـــاخرة ، فـــالنخرة مـــن نخـــر العظـــم ينخـــر ، وذلك إذا بليَ وصار بحيث لو لمسته لتفتت .

وأما الناخرة فهي العظـام الفارغـة الـتي يحـصل مـن هبـوب الـريح فيهـا صـوت كـالنخير ، وعلـى هـذا النـاخرة مـن الـنخير بمعـنى الـصوت كـنخير النـائم لا مـن النخـر الـذي هـو البلـى ، وبنحـو هـذا المعـنى قـال الـسمرقندي [(١)]، والـثعلبي [(٢)]، وابن عطية [(٣)]، وأبو حيان [(٤)]رحمهم الله .

الجمع أو الترجيح :

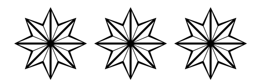
الـــذي يظهـــر لي - والله أعلـــم - تـــرجيح القـــول الأول ، أنَّ القـــراءتين بمعـــنى واحـــد ، عمـــلاً بالقاعـــدة التفـــسيرية : أنَّ اتّحـــاد معـــنى القـــراءتين أولى مـــن اختلافه[(٥)].

ولا مانع من حمـل هـذا المعنى الواحـد علـى المعنـيين جميعـاً فيقـال : النَّخـرة هي البالية المجوَّفة الفارغة التي تدخل الريح فيها فتحدث صوتاً .

والقاعـدة التفـسيرية : أنَّـه إذا احتمـل اللَّفـظ معـاني عـدة ، ولم يمتنـع إرادة الجميع حُمل عليها [(٦)].

والـــذي يظهـــر أنَّ عطـــاء الخراســـاني يقرؤهـــا : ﴿نَّخِرَةً﴾ ، ويفـــسِّر معناهـــا : بالية ، وهو قول صحيح معتبر في تفسير لفظ النَّخرة .

والله أعلم ،،



وأخليتها من مخها فتركتها أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وهو من شواهد : المحرر الوجيز (١٩٤٤) ، البحر المحيط (٥٨٢/٨) ، وأضواء البيان (١٥/٩) .

(١) بحر العلوم (٥٤٢/٣) .

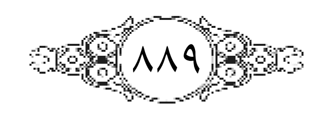
(٢) الكشف والبيان (١٢٦/١٠) .

(٣) المحرر الوجيز (١٩٤٤) .

(٤) البحر المحيط (٥٨٢/٨) .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسِّرين (١٠٠/١) .

(٦) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



الموضع الرابع :

* في قول الله تعالى : ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)﴾ [النازعات : ٢٩] .

٢٢٨- **قال عطاء الخراساني** : أغطش ليلها : أظلم ليلها [(١)] .

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني قوله : أغطش ليلها ، يعني : أظلم ليلها ، وهذا هو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)]، وسعيد بن جبير [(٣)]، ومجاهد [(٤)]، وقتادة [(٥)]، وعكرمة ، والضَّحاك ، وابن زيد [(٦)]، وجمهور المفسِّرين [(٧)].

وشاهد الغطش أنه الظلمة قول الأعشى [(٨)]:

عَقَرْتُ لهُمْ موْهِناً ناقَتِي وغَامِرُنَا مدلهِمٌّ غَطَشْ

يعني يغمرهم ليلهم لأنه غمرهم بسواده .

قال الراغب رحمه الله : (وأصله من الأغطش وهو الذي في عينه شبه عمش،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٥) ، ص٩٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) تفسير مجاهد (٣٢١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٩٠) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٩٨) برقم : (١٩١٢٤) بلفظ : العشاء ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤١١) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤١١) لعبد بن حميد .

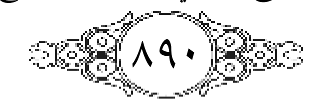
(٤) تفسير مجاهد (٣٢١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٩٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤١١) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٣٩١) ، والطبري (٢٤/٩٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤١١) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٤/٩٠-٩١) .

(٧) معاني القرآن للفراء (٢/٢٣٥) ، جامع البيان (٢٤/٨٩) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢١٧) ، بحر العلوم (٣/٥٤٤) ، الكشف والبيان (١٠/١٢٧) ، النكت والعيون (٦/١٩٨) ، الوسيط (٤/٤٢٠) ، المفردات في غريب القرآن (٣٦٤) ، معالم التنزيل (٥/٢٠٨) ، الكشاف (١١٧٧) ، المحرر الوجيز (١٩٤٦) ، زاد المسير (١٥١٣) ، التفسير الكبير (٣١/٤٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٥١) ، أنوار التنزيل (٥/٢٨٤)، مدارك التنزيل (٢/٧٧٣) ، التسهيل (٤/٣٣٢) ، البحر المحيط (٨/٥٨٨) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٩٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٧٠) ، روح المعاني (٣٠/٥٥) ، فتح القدير (٥/٤٧٠) ، تفسير المراغي (١٠/٢٤٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٠٩) ، التحرير والتنوير (٣٠/٨٥) .

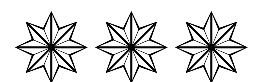
(٨) **البيت للأعشى** ، ميمون بن قيس ، انظر ديوانه ص(٢٤٦) . وهو من شواهد : المحرر الوجيز (١٩٤٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٥١) ، روح المعاني (٣٠/٥٥) ، فتح القدير (٥/٤٧٠) .



ومنه قيل : فلاة غطشى لا يهتدى فيها ، والتغاطش التعامي عن الشيء) [١].

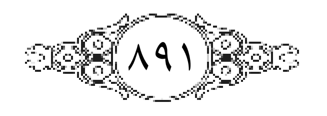
ويقال للأعمى : أغطش [٢].

والله أعلم ، ،



(١) المفردات في غريب القرآن (٣٦٤) .

(٢) المحرر الوجيز (١٩٤٦) .



سورة عبس

* في قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [عبس : ٣٨] .

٢٢٩- **قال عطاء الخراساني** : من طول ما اغبرَّت في سبيل الله [(١)].

الدراسة :

* هـذه مـن اللطـائف الإشـارية عنـد عطـاء الخراسـاني ، حيـث فـسَّر سـبب

---

(١) أخرجه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢٠٠) بسنده قال : حدثنا عبدالله بن محمد ، ثنا الصوفي وابن منيع، قالا ثنا أبو نصر التمار ، قال ثنا المعافى بن عمران ، عن ضرار بن عمرو المطلبي ، عن عطاء الخراساني .. وذكر الأثر ... **دراسة الإسناد** :

عبدالله بن محمد : **أبو الشيخ** حافظ أصبهان ، ومسند زمانه ، الإمام أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري . وسبقت ترجمته عند القول رقم : (١٠٦) من سورة ص ، صفحة (٤٩٩) .

الصوفي هو : أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، مشهور ، وثقه الدارقطني ، وسمع علي بن الجعد، وأبا نصر التمار ، ويحيى بن معين ، وأبا الربيع الزهراني ، وسويد بن سعيد ، وطبقتهم ، وعنه : أبو سهل بن زياد ، وابن الزيات ، وجماعة يتسع ذكرهم ، كان ثقة . انظر : لسان الميزان (١/١٥١) .

ابن منيع هو : أحمد بن منيع البغوي ، الحافظ ، أبو جعفر الأصم ، صاحب المسند ، ثقة من العاشرة ، روى عن : هشيم ، وعباد بن عباد ، وخلق ، وروى عنه الجماعة لكن البخاري بواسطة ، والبغوي سبطه ، وابن خزيمة ، توفي سنة مائتان وثنتان وأربعون ، وله أربع وثمانون سنة . انظر : الكاشف (١/٢٠٤) ، تقريب التهذيب (٨٥) .

أبو نصر التمار هو : عبد الملك بن عبد العزيز ، أبو نصر التمار النسوي ، روى عن جرير بن حازم ، ومالك ، وروى عنه : مسلم ، وأبو يعلى ، والبغوي ، ثقة عابد ، من صغار التاسعة ، مات ببغداد سنة مائتان وثمان وعشرون ،وهو ابن إحدى وتسعين سنة .انظر : الكاشف (١/٦٦٦) ، تقريب التهذيب (٣٦٣).

المعافى بن عمران هو : المعافى بن عمران الأزدي الفهمي ، أبو مسعود الموصلي ، كان ذا علم وضياء ، وبذل وعطاء ، ثقة عابد فقيه ، من كبار التاسعة ، روى عن : ثور ، وهشام بن حسان ، وابن أبي عروبة ، وروى عنه : بشر الحافي ، ومحمد بن عبد الله بن عمار ، قال عنه الثوري : هو ياقوتة العلماء توفي سنة خمس وثمانون ومائة . انظر : الكاشف (٢/٢٧٤) ، تقريب التهذيب (٥٣٧) .

ضرار بن عمرو المطلبي : الصواب : - الملطي -، يقال إنه من أهل ملطية ، يروي عن يزيد الرقاشي ، وعطاء الخراساني ، وأهل البصرة ، روى عنه الناس ، منكر الحديث جداً ، قال فيه يحيى بن معين : ليس بشيء ولا يكتب حديثه ا.هـ ، كثير الرواية عن المشاهير بالأشياء المناكير ، فلما غلب المناكير في أخباره بطل الاحتجاج بآثاره . انظر : الجرح والتعديل (٤/٤٦٥) ، المجروحين (١/٣٨٠) ، الكامل في الضعفاء (٤/١٠٠) .

وبناءً عليه فهذا الأثر عن عطاء الخراساني ضعيف ، لضعف ضرار بن عمرو .

وقد ذكره عنه السمعاني في تفسير القرآن (٦/١٦٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٦٠) ، وابن عادل في اللباب (٢٠/١٧٢) .



إسفار وجوه المؤمنين يوم القيامة لطول ما اغبرَّت في سبيل الله ، وهو من إثبات أنَّ الجزاء من جنس العمل ، فهم لمَّا اغبرَّت وجوههم في الدنيا في سبيل الله ؛ جعلها الله مشرقة مضيئة بنور الإيمان يوم القيامة ، وهؤلاء أهل الجنَّة كما قال ابن زيد [(١)].

والمُسْفرة : هي المشرقة المضيئة ، كما قال ابن عباس ﭭ[(٢)]، وهو قول جمهور المفسِّرين [(٣)].

الأقوال في الآية[(٤)] :

في سبب إسفار وجوههم يوم القيامة أقوال . أبرزها :

القول الأول : من طول ما اغبرَّت في سبيل الله ، وهو قول عطاء الخراساني .

القول الثاني : من آثار الوضوء ، قاله الضَّحاك [(٥)].

القول الثالث : من قيام الليل ، قاله ابن عباس ﭭ [(٦)]، أخذاً من قوله ﷺ : « مَنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ » [(٧)].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٢٦/٢٤) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٢٦/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٠١/١٠) برقم : (١٩١٣٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢٤/٨) عزوه لابن المنذر .

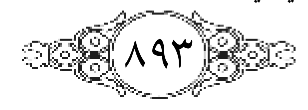
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٤٠/٢) ، جامع البيان (١٢٦/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٢٣/٥) ، بحر العلوم (٥٤٩/٣) ، الكشف والبيان (١٣٥/١٠) ، الوسيط (٤٢٦/٤) ، المفردات في غريب القرآن (٢٣٩)، معالم التنزيل (٢١٣/٥) ، الكشاف (١١٨١) ، المحرر الوجيز (١٩٥٠) ، زاد المسير (١٥١٨) ، التفسير الكبير (٦٠/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦٠/٢) ، أنوار التنزيل (٢٨٨/٥)، مدارك التنزيل (٧٧٨/٢)، التسهيل (٣٣٨/٤) ، البحر المحيط (٥٩٩/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٠١/٤) ، إرشاد العقل السليم (٣٨١/٦) ، روح المعاني (٨٦/٣٠) ، فتح القدير (٤٨٠/٥) ، تفسير المراغي (٢٥٦/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩١١) ، التحرير والتنوير (١٣٧/٣٠) ، أضواء البيان (٣٣/٩) .

(٤) النكت والعيون (٢٠٩/٦) .

(٥) ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦٠/٢) .

(٦) المرجع السابق .

(٧) **ضعيف** . أخرجه ابن ماجة في سننه برقم : (١٣٣٣) في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في قيام الليل ، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ .والحديث قال عنه الدارقطني في لسان الميزان (١٠٣/٣) : باطل ، وقال عنه ابن عبد البر في الاستذكار (٨١/٢) : منكر ، وقال عنه ابن الجوزي في الموضوعات (٤١٠/٢) لا يصح . وقال ابن كثير في تفسيره (٢١٥/٤) : الصحيح أنه موقوف ، وقال الزرقاني في مختصر المقاصد (١٠٦٩): لا أصل له . وضعَّفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٢٤٩) ، وفي ضعيف الجامع (٥٨١٦) .



الجمع أو الترجيح :

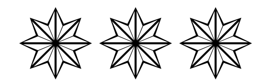
جميع الأقوال صحيحة ، فإنَّ من الوجوه يوم القيامة وجوه تكون مشرقة مضيئة فرحة متهللة ، قد علمت مالها من الفوز والنَّعيم الذي أعدَّه الله لهم ، وسبب ذلك هو الطاعة والإيمان عموماً ، ولا يقتصر المعنى على أحد الأقوال دون الآخر ، فكلها طاعات قد تكون سبباً في إسفار الوجوه يوم القيامة ، والآية عامة تشمل كلَّ طاعة أسفرت وجوههم ، كقيام الليل ، أو من آثار الوضوء كما قال النسفي [(١)] ، أو غيرها .

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص [(٢)] .

وقول عطاء الخراساني قول صحيح ، وقد أشار إلى سبب من الأسباب العظيمة التي جعل الله بها وجوههم مسفرة ؛ وهو اغبرارها في الدنيا في سبيل الله ، وهو صحيح ، لكن الوصف لا يقتصر على ذلك فقط ، بل يشمله وغيره من الأسباب التي ترضي الله تعالى عن العبد ، والأعمال التي يرى أثرها يوم القيامة .

قال الطبري ﷺ : (وجوه يومئذ مشرقة مضيئة ، وهي وجوه المؤمنين الذين قد رضي الله عنهم ، يقال: أسفر وجه فلان : إذا حَسُن ، ومنه أسفر الصبح : إذا أضاء ، وكلّ مضيء فهو مسفر) [(٣)] .

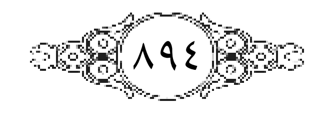
والله أعلم ،،



(١) مدارك التنزيل (٢/٧٧٨) .

(٢) قواعد التفسير (٢/٥٩٩) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٢٧) .

(٣) جامع البيان (٢٤/١٢٦) .



سورة الانفطار

* في قول الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار : ٩] .

٢٣٠- **قال عطاء الخراساني** : الدِّين : القضاء[(١)].

الدراسة :

* في هذه الآية توبيخ للكفَّار على جرم عظيم ؛ وهو التكذيب بالبعث والجزاء ، وإنكار البعث الذي هو جِماع الإِجرام ، وفي صيغة المضارع من قوله : ﴿تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ إفادة أنَّ تكذيبهم بالجزاء متجدد لا يقلعون عنه ، وهو سبب استمرار كفرهم[(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : الدِّين هو القضاء ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول عكرمة[(٤)]، وبنحوه قول من قال : بالحساب والجزاء ، قاله مجاهد[(٥)]، والواحدي[(٦)]، والبغوي[(٧)]، وابن الجوزي[(٨)]، والقرطبي[(٩)]، وابن كثير[(١٠)]، والسعدي[(١١)]، وابن عاشور[(١٢)]، رحمهم الله .

القول الثاني : بالدِّين والشرع الذي جاء به محمد ﷺ ، حكاه ابن

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٦) ، ص٩٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٣٠/١٧٨-١٧٩) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٢٢٣) .

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٢٣) .

(٥) تفسير مجاهد (٣٢٥) ، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١٨١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٠) لعبد بن حميد .

(٦) الوسيط (٤/٤٣٧) .

(٧) معالم التنزيل (٥/٢٢٠) .

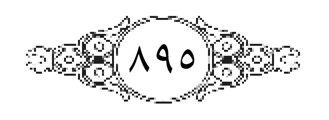
(٨) زاد المسير (١٥٢٣) .

(٩) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٧٠) .

(١٠) تفسير ابن كثير (٤/٥١٠) .

(١١) تيسير الكريم الرحمن (٩١٤) .

(١٢) التحرير والتنوير (٣٠/١٧٩) .



عيسى [1].

القول الثالث : تكذِّبون بأنَّكم مبعوثون يوم القيامة ، قاله السمرقندي [2].

القول الرابع : يوم شدَّة ، يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، قاله قتادة [3]، والمعنى : تكذِّبون بيوم الحساب .

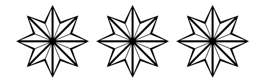
الجمع أو الترجيح :

الأقوال كلها متقاربة ، ولا مانع من الجمع بينها جميعاً فيقال : المراد بالدين هو دين الإسلام الذي من جملة عقيدته الإيمان بالبعث والنّشور ، والجزاء والحساب ، والقضاء بين الخلائق يوم القيامة ، فهم كذَّبوا بالثواب والعقاب ، والجزاء والحساب ، وأنهم سيجازون بأعمالهم [4].

وأكثر المفسِّرين على احتمال القولين الأولين [5].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [6].

قال أبو السعود رحمه الله : (وقوله تعالى : ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام كأنه قيل : بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأساً ، أو بدين الإسلام الذي هما من جملة أحكامه ؛ فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاباً) [7]. والله أعلم ، ،



(١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٢٣) .
(٢) بحر العلوم (٣/٥٥٥) .
(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٠٢) ، والطبري (٢٤/١٨١) .
(٤) انظر : جامع البيان (٢٤/١٨١) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٢٩) .
(٥) انظر : الكشاف (١١٨٦) ، المحرر الوجيز (١٩٥٥) ، التفسير الكبير (٣١/٧٥) ، أنوار التنزيل (٥/٢٩٢)، مدارك التنزيل (٢/٧٨٣)، التسهيل (٤/٣٤٥) ، البحر المحيط (٨/٦١٠) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٠١) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٩٠) ، روح المعاني (٣٠/١١٤) ، فتح القدير (٥/٤٩٣) .
(٦) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .
(٧) إرشاد العقل السليم (٦/٣٩٠) .



سورة المطففين

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين : ٧] .

٢٣١- **قال عطاء الخراساني** : سجِّين : هي الأرض السُّفلى ، وفيها إبليس وذرِّيته [١].

الدراسة :

* في هذه الآية استئناف ابتدائي بمناسبة ذكر يوم القيامة ، وهو تعريض بالتهديد للمطففين بأن يكون عملهم موجِباً كتْبه في كتاب الفجار ، وكتب أعمال الفجار مودعة في مكان اسمه ﴿سِجِّينٍ﴾ أو وصفه ﴿سِجِّينٍ﴾ ، وذلك يؤذن بتحقيره ، أي تحقير ما احتوى عليه من أعمالهم المكتوبة فيه [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : سجِّين : هي الأرض السُّفلى ، وفيها إبليس وذرِّيته ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحو قول عبد الله بن عمرو [٤]، وابن عباس [٥] ، وكعب الأحبار[٦] رضي الله عنهم ، وقاله مغيث بن سمّي [٧] [٨]، ومجاهد [٩]،

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٢/١٠) ، والواحدي في الوسيط (٤٤٤/٤) ، والسمعاني في تفسير القرآن (١٨٠/٦) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢٢٣/٥) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٩٥٧) ، والرازي في التفسير الكبير (٨٥/٣١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧٤/٢) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (١٩٤/٣٠) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٥٥٧/٣) ، الكشف والبيان (١٥٢/١٠) ، النكت والعيون (٢٢٧/٦) ، معالم التنزيل (٢٢٣/٥) ، المحرر الوجيز (١٩٥٧) ، زاد المسير (١٥٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧٤/٢) ، التسهيل (٣٤٩/٤) ، تفسير ابن كثير (٥١٣/٤) ، روح المعاني (١٢٦/٣٠) ، فتح القدير (٤٩٧/٥) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩٤/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٤/٨) لعبد بن حميد .

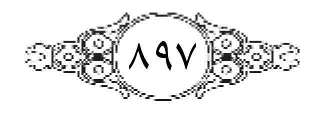
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩٤/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٠٩/١٠) برقم : (١٩١٧٩) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩٣/٢٤) .

(٧) **مغيث بن سمي** = الأوزاعي ، أبو أيوب ، كناه أبو مسهر ، سمع عبد الله بن عمر ، وروى عن كعب ، روى عنه زيد بن واقد ، ونهيك والحضرمي بن لاحق ، أدرك ألفا من أصحاب النبي ﷺ . انظر : التاريخ الكبير (٢٤/٨) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩٣/٢٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٩٤/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٤/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .



والضَّحاك [(١)]، وقتادة [(٢)]، وابن زيد [(٣)]، وفرقد [(٤)] [(٥)]، وابن جريج [(٦)]، وهو قول أكثر المفسِّرين [(٧)]، أنَّ سجِّين تحت الأرض السابعة .

وبنحوه قول مجاهد : السِّجين صخرة في الأرض السابعة ، يُجعل كتاب الفجَّار تحتها [(٨)].

واختار الفرَّاء أنَّ سجِّين صفة من صفاتها ، لأنه لو كان اسماً لها لم يجر [(٩)].

واستدلوا بحديث رواه البراء بن عازب مرفوعاً من حديث طويل ، وفيه : « ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى» [(١٠)].

قال الواحدي ﷺ : (والمعنى في الآية : إنَّ كتاب عملهم يوضع في

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٥) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٠٤) ، والطبري (٢٤/١٩٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٤) عزوه لعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٥) .

(٤) **فرقد** = لم أعرفه ، ولعله : فرقد بن يعقوب السبخي ، أبو يعقوب البصري ، من سبخة البصرة ، وقيل من سبخة الكوفة ، روى عن أنس ، وسعيد بن جبير ، وأبي العلاء بن عبد الله بن الشخير ، ومرة بن شراحيل ، وإبراهيم النخعي ، وشهر بن حوشب ، وغيرهم ، وروى عنه : همام ، ومغيرة بن مسلم ، والحمادان ، وعبد الواحد بن زياد ، وغيرهم . صالح ليس بقوي في الحديث ، قال البخاري : في حديثه مناكير . مات بالطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وكان من نصارى أرمينية حائكاً . انظر : تهذيب التهذيب (٨/٢٣٦) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٤) لعبد بن حميد .

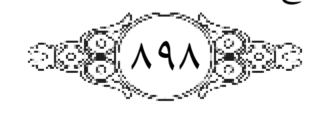
(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٤) لابن المبارك .

(٧) انظر : جامع البيان (٢٤/١٩٣) ، الوسيط (٤/٤٤٤) ، وحكاه الرازي في التفسير الكبير (٣١/٨٥) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٤) لأبي الشيخ في العظمة ، والمحاملي في أماليه .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٤٩) .

(١٠) **صحيح** . أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٦٣) في أول مسند الكوفيين ، أحاديث البراء بن عازب ﷺ ، وصححه البيهقي في شعب الإيمان (١/٣٠٠) ، وحسّنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٨٠) ، وقال عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/٢٩٠) : حسن ثابت ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٥٢) : رجاله رجال الصحيح ، وقال السيوطي في شرح الصدور (٩١) : له طرق صحيحة ، وأشار الشيخ أحمد شاكر في مقدمته في عمدة التفسير (٢/٢٢) إلى صحته ، وصححه الألباني في شرح الطحاوية (٣٩٦) ، وفي صحيح الجامع (١٦٧٦) ، وفي صحيح الترغيب (٣٥٥٨) .



الأرض السابعة ، وذلك علامة خسارهم ، ودليل على خسَّة منزلتهم ، ولا يُصعد به إلى السماء كما يُصعَد بكتاب المؤمن) [1].

القول الثاني : هو جبٌّ في جهنم ، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « الفَلَقُ جُبٌّ فِيْ جَهَنَّمَ مُغَطَّى ، وَسِجِّيْنٌ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مَفْتُوْح » [2].

قال الراغب ﷺ : (والسجِّين اسم لجهنم بإزاء عليين ، وزيد لفظه تنبيهاً على زيادة معناه ، وقيل : هو اسم للأرض السابعة) [3].

القول الثالث : أنه حدّ إبليس ، قاله كعب الأحبار [4]، وسعيد بن جبير [5].

القول الرابع : أنه من السِّجن والحبْس ، وهو فِعّيل من سجنته ، وفيه مبالغة ، قاله أبو عبيدة [6]، والزجَّاج [7]، وبعض أهل اللغة ، ولا يمتنع أن يكون هو الأصل واختلاف التأويلات في محله [8].

القول الخامس : السِّجِّين : كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين ، قاله البيضاوي [9].

القول السادس : في خسار ، قاله عكرمة [10].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ومحتملة ؛ يمكن حمل المعنى عليها جميعاً . وقد بيَّن الله المعنى بعد الآية بقوله : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ ﴾ [المطففين : ٨-٩] ،

(١) الوسيط (٤/٤٤٤) .

(٢) **منكر** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٦) ، وقال عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٥١٣) : غريب منكر لا يصح .

(٣) المفردات في غريب القرآن (٢٣١) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٣) لابن المبارك في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/١٩٦) .

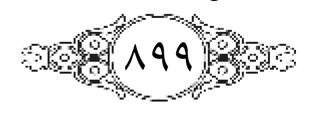
(٦) مجاز القرآن (٢/٢٨٩) .

(٧) معاني القرآن للزجاج (٥/٢٣١) .

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٢٧) .

(٩) أنوار التنزيل (٥/٢٩٤) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٥) لابن المنذر .



فبيَّن أنه كتاب مرقوم .

وكلُّ ما قال الله عنه : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ في القرآن ؛ فإنه قد أدراه نبيه ﷺ [(١)].

وحديث البراء بن عازب يفيد أنَّ مكان سجِّين في الأرض السفلى ، ولا يمنع هذا من كون سجين جبّ أو وادي في جهنَّم في أسفلها ، وأمر أصحابه في خسار ، وأنَّه حدُّ إبليس ، وهو مشتقٌّ من السِّجْن ، وكتاب الفجَّار الذي يكون في سجِّين جامعٌ لأعمال الفجرة من الثَّقلين .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٢)].

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح داخل في معنى الآية .

قال ابن عاشور ؒ : (وقد اختلف في معناه على أقوال أشهرها وأولاها : أنه عَلَم لواد في جهنم ، صيغ بزنة فِعِّيل من مادة السجن للمبالغة مثل : الملك الضِّليل ، ورجل سِكِّير ، وطعام حِرِّيف (شديد الحرافة وهي لذع اللسان) سمي ذلك المكان سجيناً لأنه أشدّ الحَبْس لمن فيه فلا يفارقه ، وهذا الاسم من مصطلحات القرآن لا يعرف في كلام العرب من قبل ولكن مادته وصيغته موضوعتان في العربية وضعاً نوعياً . وقد سمع العرب هذا الاسم ولم يطعنوا في عربيته) [(٣)].

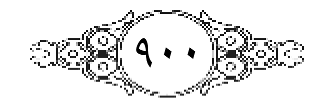
قال جماعة من المفسِّرين : (﴿سِجِّينٍ﴾ كتاب جامع ديوان الشر ؛ دوّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين ، وسمّى سجِّيناً : فِعِّيلاً من السجن ، وهو الحبس والتضييق ، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ، أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحش

---

(١) **قرَّر هذه القاعدة** الراغب الأصفهاني في المفردات فقال في مادة (درى) : (وكل موضع ذكر في القرآن : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ ، فقد عقب ببيانه ، نحو : ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ ، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ ، وكل موضع ذكر فيه : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ لم يعقبه بذلك نحو: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ ، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٧٦) .

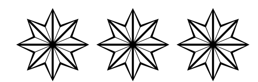
(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٧) .

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/١٩٥) .

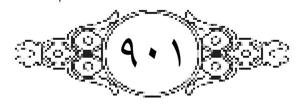


مظلم، وهو مسكن إبليس وذرّيته ؛ استهانة به وإذلاله ، وليشهده الشياطين المدحورون ، كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقرّبون ، وإنَّ الله تعالى أجرى أموراً مع عباده على ما تعارفوه من التعامل فيما بينهم وبين عظمائهم ، فالجنة موصوفة بالعلو والصفاء ، والفسحة وحضور الملائكة المقربين ، والسجِّين موصوف بالتسفُّل والظلمة والضيق وحضور الشياطين الملعونين ، ولا شك أنَّ العلو والصفاء والفسحة وحضور الملائكة المقربين ، كلّ ذلك من صفات الكمال والعزة ، وأضدادها من صفات النقص والذلة ، فلما أريد وصف الكفرة وكتابهم بالذلة والحقارة وصفوا بالسجين) [1].

والله أعلم ،،



(١) انظر : الكشاف (١١٨٧) ، التفسير الكبير (٨٦/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٧٥/٢) ، مدارك التنزيل (٧٨٥/٢) ، البحر المحيط (٦١٥/٨) ، إرشاد العقل السليم (٣٩٥/٦-٣٩٦) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

٢٣٢- **قال عطاء الخراساني** : طبع على قلوبهم [(١)] .

الدراسة :

* الرَّين في الأصل : هو صدأ يعلو الشَّئ الجليل ، والمعنى : غَطَّت على قلوبهم أعمالهم أن يدخلها فهمُ القرآن ، وصارت كصدأ على جلاء قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير من الشر [(٢)] .

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : طبع على قلوبهم ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، ومجاهد [(٥)].

القول الثاني : ورود الذنب على الذنب حتى تغشى الذُّنوب على القلب ، فيموت ويسودُّ ، وهذا معنى قول الحسن [(٦)]، ومجاهد [(٧)]، وقتادة [(٨)]، وإبراهيم التيمي [(٩)]، والفرَّاء [(١٠)].

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٩) ، ص١٠٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢١٤) ، التحرير والتنوير (١٩٩/٣٠) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٢٢٨/٦-٢٢٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٠٩/١٠) برقم : (١٩١٨٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٨) عزوه لابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٨) لعبد بن حميد بلفظ : الطابع ، وعزاه أيضاً بلفظ : الرَّين هو الطبع. لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان .

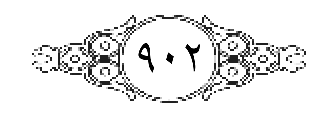
(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠١/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٨) لعبد بن حميد .

(٧) تفسير مجاهد (٣٢٦) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٠١/٢٤-٢٠٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٤/٣) ، والطبري (٢٠٤/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٨) لعبد بن حميد .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٦/٨) لابن المنذر .

(١٠) معاني القرآن للفراء (٢٤٩/٣) .



﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة : ٨١] .

القول الثالث : غلب على قلوبهم ذنوبهم ، فلا يخلص إليها معها خير ، قاله ابن زيد [(١)].

القول الرابع : القلب مثل الكف ، فيذنب الذنب فينقبض منه ، ثم يذنب الذنب فينقبض منه ، حتى يختم عليه ، فيسمع الخير ، فلا يجد له مساغاً يجمع ، فإذا أجتمع طبع عليه ، فإذا سمع خيراً ، دخل في أذنيه حتى يأتي القلب فلا يجد فيه مدخلاً ، فذلك قوله : ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾، قاله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه [(٢)]، وبنحوه قال مجاهد [(٣)].

القول الخامس : أنه كالصَّدأ يَغشى القلب كالغيم الرقيق ، وهذا قول الزجاج[(٤)].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والمعنى فيها واحد ، والاختلاف فيها خلاف تنوُّع لا اختلاف تضاد .

والمعنى أنَّهم لمَّا كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم وغطّت عليها فصارت كالصَّدأ ، فطمست بصائرهم حتى صاروا لا يقبلون الخير ولا يميلون إليه ، وعموا عن معرفة الحق من الباطل، وهذا المعنى هو ما عليه جمهور المفسِّرين [(٥)].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٠٤) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٠٩) برقم : (١٩١٨١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٤٦) للفريابي ، والبيهقي .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٠٢) .

(٤) معاني القرآن (٥/٢٣١) .

(٥) انظر : جامع البيان (٢٤/١٩٩) ، بحر العلوم (٣/٥٥٧) ، الكشف والبيان (١٠/١٥٣) ، الوسيط (٤/٤٤٥)، معالم التنزيل (٥/٢٢٥) ، الكشاف (١١٨٨) ، المحرر الوجيز (١٩٥٧) ، زاد المسير (١٥٢٥)، التفسير الكبير (٣١/٨٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٧٥) ، أنوار التنزيل (٥/٢٩٥)، مدارك التنزيل (٢/٧٨٥)، التسهيل (٤/٣٤٩) ، البحر المحيط (٨/٦١٧) ، تفسير ابن كثير (٤/٥١٣) ، إرشاد العقل السليم (٦/٣٩٦) ، روح المعاني (٣٠/١٢٩) ، فتح القدير (٥/٤٩٨) ، تفسير المراغي (١٠/٢٧٤)، تيسير الكريم الرحمن (٩١٥) ، التحرير والتنوير (٣٠/١٩٩) ، أضواء البيان (٩/٦٠) .

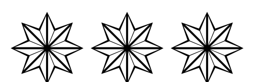
ويشهد لهذا المعنى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ » [(١)].

وحديث حُذَيْفَةُ ﷺ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً كَالْكُوزِ مُجَخِّياً ؛ لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ » [(٢)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٣)].

وعليه فقول عطاء الخراساني في المسألة قول صحيح معتبر .

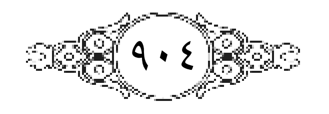
والله أعلم ، ،



(١) **صحيح** . أخرجه **الترمذي** في سننه برقم : (٣٣٣٤) في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ويل للمطففين، وأخرجه **ابن ماجه** في سننه برقم : (٤٢٤٤) في كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب ، وأخرجه **أحمد** في مسنده برقم : (٧٨٩٢) . والحديث صحيح ، صححه الترمذي ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١٢٠/٤) ، والذهبي في المهذب (٤١٩٢/٨) ، وأحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير (٨٢/١) ، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٤١) ، وصحيح الجامع (١٦٧٠) ، وصحيح الترغيب (٣١٤١) ، وصحيح الترمذي (٣٣٣٤) ، وصحيح الموارد (٢٠٧٥) .

(٢) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٤٤) في كتاب الإيمان ، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً .

(٣) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



سورة الانشقاق

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ [الانشقاق : ١٨] .

٢٣٣- **قال عطاء الخراساني** : إذا جمع واستوى [(١)].

الدراسة :

* في هذه الآية يقسم الله بآية من آياته ، وهو اتِّساق القمر ، ومعناه : اجتماع ضيائه ، وهو افتعال من الوَسْق بمعنى الجمع ، وذلك في ليلة البدر ، وتقييد القسم به بتلك الحالة لأنها مظهر نعمة الله على الناس بضيائه .

وأصل فعل اتّسق : اوتَسَق قلبت الواو تاء فوقية طلباً لإدغامها في تاء الافتعال وهو قلب مطرد [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : إذا جمع واستوى ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وسعيد بن جبير[(٥)]، ومجاهد [(٦)]، وعكرمة ، والضحاك، وقتادة ، وابن زيد [(٧)]، يقال : اتَّسق الأمر إذا انتظم واستوى .

القول الثاني : والقمر إذا استدار ، قاله قتادة [(٨)]، وعكرمة [(٩)].

القول الثالث : إذا اجتمع ، قاله الحسن [(١٠)] .

---

(١) أخرجه عنه أبو الشيخ في العظمة (١٢٠٢/٤) بسنده قال : حدثنا إبراهيم ، حدثنا عبيد بن آدم ، حدثنا أبي ، عن ابن شيبة ، عن عطاء رحمه الله تعالى .. وذكر الأثر .. وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه عند القول رقم : (١٥٤) ص(٦٦١) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٢٢٧/٣٠) .

(٣) النكت والعيون (٢٣٨/٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٨/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤١١/١٠) برقم : (١٩١٩٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٥٨/٨) عزوه لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٠/٢٤) .

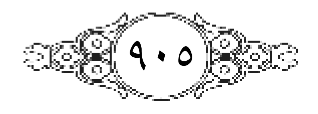
(٦) تفسير مجاهد (٣٢٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٠/٢٤) .

(٧) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٤٩/٢٤-٢٥٠) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٨/٣) ، والطبري (٢٥٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٥٨/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٨/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤٩/٢٤) .



القول الرابع : لثلاث عشرة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(١)]، وسعيد بن جبير، ومجاهد [(٢)].

الجمع أو الترجيح :

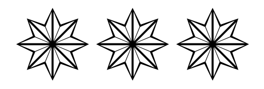
الأقوال جميعها متقاربة ، وهي بمعنى واحد ، والمقصود : القمر إذا استوى واجتمع ، وتمَّ نوره ، وصار بدراً ، وذلك في الأيام البيض من كلِّ شهر ، وهو مشتق من الوسق الذي هو الجمع ، والاتِّساق الاجتماع والاطِّراد، وبنحو هذا المعنى قال جمهور المفسِّرين [(٣)].

وفيه بيان أحسن أحواله ، وأكثرها منافع للناس ، وهي في مقابلة الليل وما وسق .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [(٤)].

وقول عطاء الخراساني في الآية قول صحيح ، موافق لقول جمهور المفسِّرين .

والحمد لله ،،



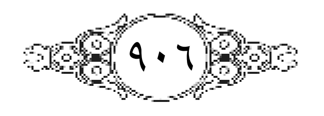
---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٤٩/٢٤) .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٥٤/٣) ، جامع البيان (٢٤٨/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣٦/٥) ، بحر العلوم (٥٦٢/٣) ، الكشف والبيان (١٦١/١٠) ، الوسيط (٤٥٤/٤) ، المفردات في غريب القرآن (٥٣٨)، معالم التنزيل (٢٢٩/٥) ، الكشاف (١١٩٠) ، المحرر الوجيز (١٩٦٢) ، زاد المسير (١٥٢٩) ، التفسير الكبير (١٠٢/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨٤/٢) ، أنوار التنزيل (٢٩٨/٥)، مدارك التنزيل (٧٨٩/٢) ، التسهيل (٣٥٤/٤) ، البحر المحيط (٦٢٢/٨) ، تفسير ابن كثير (٥١٨/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٠٢/٦) ، روح المعاني (١٤٦/٣٠) ، فتح القدير (٥٠٩/٥) ، تفسير المراغي (٢٨٥/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩١٧) ، التحرير والتنوير (٢٢٧/٣٠) ، أضواء البيان (٧١/٩) .

(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾ [الانشقاق : ١٩] .

٢٣٤- **قال عطاء الخراساني** : حالاً عبر حال ، ومنازلاً عبر منازل [١].

الدراسة :

* في هذه الآية يقسِم الله تعالى أنَّ الناس سيتنقلون من حال إلى حال ، وفيها إشارة إلى ترقي الإنسان في أحوال شتى في الدنيا ، وأحوال شتى في الآخرة ؛ من النشور والبعث والحساب وجواز الصراط ، إلى حين المستقر في إحدى الدارين [٢].

❖ القراءات في الآية [٣] :

* قرأ عمر بن الخطاب ، وابن مسعود وأصحابه ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وعامَّة قرَّاء مكة والكوفة ، وابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : ﴿ لتركَبَنَّ طبَقاً ﴾ ، بفتح الباء الموحَّدة .

* وقرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ويعقوب : ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ بضمِّ الباء ، على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدّة حالاً بعد حال .

الأقوال في الآية[٤] :

وبناءً على الاختلاف في القراءة ؛ اختلفت أقوال المفسِّرين في معنى

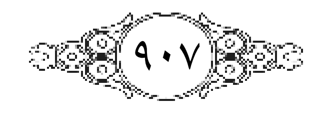
---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٦٧) ، ص١٠٠ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٣٠٤) .

(٣) انظر : المبسوط (٤٠٠) ، جامع البيان (٢٥٠/٢٤) ، البدور الزاهرة (٤١٨/٢) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٥٤/٣) ، جامع البيان (١٩٩/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣٦/٥) ، بحر العلوم (٥٦٢/٣) ، الكشف والبيان (١٦٢/١٠-١٦٣) ، النكت والعيون (٢٣٨/٦) ، الوسيط (٤٥٥/٤) ، معالم التنزيل (٢٢٩/٥-٢٣٠) ، الكشاف (١١٩٠) ، المحرر الوجيز (١٩٦٢) ، زاد المسير (١٥٣٠) ، التفسير الكبير (١٠٢/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨٥/٢) ، التسهيل (٣٥٤/٤-٣٥٥) ، البحر المحيط (٦٢٧/٨) ، تفسير ابن كثير (٥١٩/٤) ، روح المعاني (١٤٧/٣٠-١٤٨) ، فتح القدير (٥٠٩/٥)، تفسير المراغي (٢٧٤/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩١٥) ، التحرير والتنوير (١٩٩/٣٠) ، أضواء البيان (٦٠/٩) .



الآية، على أقوال .

* فجاء في معنى القراءة الأولى قولان :

القول الأول : أنَّه خطاب لرسول الله ﷺ ، ثمَّ في معناه قولان :

الأول : لتركبنَّ حالاً عبر حال ، ومنازلاً عبر منازل ، قاله عطاء الخراساني، وهو بنحو قول عمر بن الخطاب [١]، وابن مسعود [٢]، وابن عباس رضي الله عنهم [٣]، ومرَّة بن شراحيل [٤]، وسعيد بن جبير [٥]، والشعبي [٦]، ومجاهد [٧]، وعكرمة ، والضَّحاك ، والحسن [٨]، وقتادة [٩].

ومنه قول الشاعر [١٠]:

كَذَلِكَ الْمَرْءُ إِنْ يُنْسَأْ لَهُ أَجَلٌ يَرْكَبْ عَلَى طَبَقٍ مِنْ بَعْدِهِ طَبَقٌ

الثاني : لتركبنَّ سماء بعد سماء ، قاله ابن مسعود رضي الله عنه [١١]، وابن عباس

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٨) لعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٨) للبزَّار .

(٣) تفسير مجاهد (٣٢٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥١/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٨) عزوه لأبي عبيد في القراءات ، وسعيد بن منصور ، وابن منيع ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٠/٣) ، والطبري (٢٥٢/٢٤) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٥٢/٢٤) .

(٦) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤١١/١٠) برقم : (١٩١٩٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٨) عزوه لعبد بن حميد .

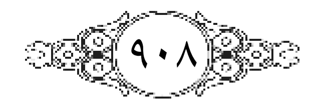
(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٠/٣) ، والطبري (٢٥٢/٢٤) .

(٨) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٥٢/٢٤-٢٥٣) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٩/٣) ، والطبري (٢٥٣/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٠/٨) لعبد بن حميد بلفظ : حالاً بعد حال ، بينما صاحب الدنيا في رخاء إذ صار في بلاء ، وبينما هو في بلاء إذ صار في رخاء .

(١٠) **البيت قاله كعب بن زهير** . انظر ديوانه ص(٥٦) ، وهو من شواهد : الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨٥/٢) ، غريب الحديث لابن قتيبة (٣٦٤/١) ، الزاهر في معاني كلمات الناس (١٧٦/١) ، غريب الحديث للخطابي (٤٦٤/٢) . ومعنى قوله : إن ينسأ : أي يؤخَّر ، يركب به طبق : يتقلَّب من حال إلى حال .

(١١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٠٩/٣) ، والطبري (٢٥٤/٢٤) ، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم في الكنى ، وابن منده في غرائب شعبة ، وابن مردويه ، والطبراني .



رضي الله عنهما[(١)]، ومسروق[(٢)]، وأبو العالية[(٣)]، والشعبي[(٤)]، والحسن البصري[(٥)]، ومعناه : أي لتركَبَنَّ يا محمد سماءً بعد سماء ، ودرجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى .

القول الثاني : أنَّ الإشارة إلى السماء ، والمعنى أنها تتغير لوناً بعد لون ، تَشقَّق ، ثم تحمرُّ ، ثم تنفَطر ؛ فتارة كالمهل ، وتارة كالدخان ، وهكذا حالاً بعد حال ، ومنزلة بعد منزلة ، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه[(٦)].

* وعلى القراءة الثانية أنَّ الخطاب للناس عامَّة ، واختلفوا في معنى الآية على أقوال :

القول الأول : الآخرة بعد الأولى ، قاله ابن زيد[(٧)] .

القول الثاني : منزلة بعد منزلة ، قوم كانوا في الدنيا متَّضعين فارتفعوا في الآخرة، وقوم كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة ، قاله سعيد بن جبير[(٨)].

القول الثالث : عملاً بعد عمل ، يعمل الآخر عمل الأول ، قاله السدي[(٩)].

القول الرابع : أمراً بعد أمر ، قاله مجاهد[(١٠)].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٥٩) للطيالسي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – ، والطبراني .

(٢) تفسير مجاهد (٣٢٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٣) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤١٢) بعد الأثر رقم : (١٩١٩٩) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٣) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤١٢) بعد الأثر رقم : (١٩١٩٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٤) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤١٢) برقم : (١٩١٩٩) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٣) .

(٦) تفسير مجاهد (٣٢٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٥) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤١١) برقم : (١٩١٩٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٥٩) عزوه لسعيد بن منصور ، والفريابي ، وعبد بن حميد، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والحاكم ، والبيهقي في البعث .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٤) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٦٠) لابن المنذر .

(٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٣٨) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٥٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٥٩) لعبد بن حميد .

القـول الخـامس : شـدَّة بعـد شـدة ، حيـاة ثم مـوت ثم بعـث ثم جـزاء ، وفي كل حال من هذه شدَّة [1].

والعرب تقول : وقع فلان في بنات طبق : إذا وقع في أمر شديد [2].

القـول السـادس : في كـلِّ عـشرين سـنة تحـدثون أمـراً لم تكونـوا عليـه ، قالـه مكحول[3].

القـول السـابع : لتـركبُنَّ سـنة الأولـين وسـنَّة مـن كـان قـبلكم ، قالـه أبـو عبيـدة[4]، ومنـه قولـه ﷺ في حـديث أبي سَـعِيد الْخُـدْرِيِّ ﷺ ، أنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ : « لَتَتْـبَعُنَّ سَـنَنَ مَـنْ كَـانَ قَـبْلَكُمْ شِـبْرًا شِـبْرًا وَذِرَاعًـا بِـذِرَاعٍ حَتَّـى لَـوْ دَخَلُـوا جُحْـرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟! ، قَالَ : «فَمَنْ»[5].

قـال ابـن عاشـور ﷺ : (وجملـة : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ نـسج نظمهـا نـسجاً مجمـلاً لتـوفير المعـاني الـتي تـذهب إليْهـا أفهـام الـسامعين ، فجـاءت علـى أبدع ما يُنسج عليه الكـلام الـذي يُرسـل إرسـال الأمثـال مـن الكـلام الجـامع البـديع النسْج الوافر المعنى ولذلك كثرت تأويلات المفسِّرين لها) [6].

الجمع أو الترجيح :

كـلا القـراءتين صـحيح ، ولم يظهـر لي بأيهمـا قـرأ عطـاء الخراسـاني ، ويـصحُّ حمل المعنى على القراءتين جميعاً دون ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى .

وأمـا فِعـل إمـام المفـسِّرين ؛ ابـن جريـر الطـبري ﷺ مـن تـرجيح إحـدى القراءتين علـى الأخـرى بحجـة أنَّهـا القـراءة الـتي وردت عـن أهـل التأويـل[7]، فـلا

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢٣٨/٦) .

(٢) انظر : جامع البيان (٢٥٦/٢٤) .

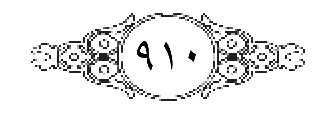
(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤١٢/١٠) برقم : (١٩٢٠٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٠/٨) عزوه لابن المنذر ، وعزاه أيضاً لأبي نعيم في الحلية .

(٤) مجاز القرآن (٢٩٢/٢) .

(٥) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٣٤٥٦) في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وأخرجه برقم : (٧٣٢٠) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٦٦٩) في كتاب العلم ، باب إتباع سنن اليهود والنصارى .

(٦) التحرير والتنوير (٢٢٧/٣٠) .

(٧) انظر : جامع البيان (٢٥٦/٢٤) .



وجه له ، لأنَّ القراءتين سبعيتان صحيحتان ، لا ترجَّح إحداهما على الأخرى.

والقاعدة التفسيرية التي سبقت معنا : أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجَّح إحداهما – في التوجيه – ترجيحاً يكاد يسقط الأخرى ... كما لا يقال بأنَّ إحدى القراءتين أجود من الأخرى (١) .

وقول عطاء الخراساني هو الأقرب من هذه الأقوال - على أنَّ بينها تداخلاً وتقارب - ، ويصحُّ أن يكون معنى لكلا القراءتين ؛ وعليه عامّة المفسِّرين واللغويين ، ويدخل تحته كثير من الأقوال التي قيلت في الآية .

ومما يؤيِّد هذا الترجيح ما رواه البخاري في صحيحه عن ابْنُ عَبَّاس رضي الله عنهما قال : (﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حَالاً بَعْدَ حَالٍ ، قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ) (٢).

قال ابن كثير رحمه الله : (وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ ، كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم ﷺ ، فيكون قوله : « نَبِيُّكُم » مرفوعاً على الفاعلية من « قَال » وهو الأظهر ، والله أعلم ، كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شَرٌّ منه ، سمعته من نبيكم ﷺ (٣)) (٤).

وقال ابن حجر رحمه الله : (" قال هذا نبيكم " : أي الخطاب له) (٥).

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده (٦).

وقد رجَّح أبو عبيدة على قراءة ضمِّ الباء : ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أنه خطاب للأمة ؛ لسياق ما قبلها وما بعدها (٧) (٨).

---

(١) قواعد التفسير (١/٨٩ ، ٩٧) .

(٢) **صحيح** . أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٤٠) في كتاب تفسير القرآن ، باب لتركبنّ طبقاً عن طبق .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه (٧٠٦٨) في كتاب الفتن ، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه ، ولفظه: « اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ » .

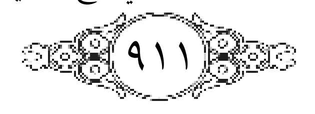
(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥١٨) .

(٥) فتح الباري (٨/٨٩١) .

(٦) قواعد التفسير (١/١٤٩) .

(٧) ما قبلها قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ ، وما بعدها قوله : ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١﴾ .

(٨) لم أقف عليه في مجاز القرآن ، وذكره عنه ابن حجر في فتح الباري (٨/٨٩١) .



ولا مانع أن يكون الخطاب على قراءة الفتح : ﴿ لتركَبَنَّ﴾ ، للإنسان السابق ذكره في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ مراعاة للفظه ، والخطاب على قراءة: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ للناس ؛ مراعاة لمعنى جنس الإنسان لأنه في معنى الناس : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [العصر : ٢-٣] ، ويكون المعنى : " حالاً بعد حال " على القراءتين .

فيقال : أي حالاً بعد حال : كل واحدة مطابقة لأختها في الشدَّة والهول ، وهي طبقات في الشدَّة بعضها أرفع من بعض ، وقد خصصها بعضهم بالموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ، والأقرب عدم تخصيصها بذلك ، وإنما هي شاملة لأحوال الدنيا والآخرة كلها إلى أن تستقر قدم الإنسان في إحدى الدارين ، جعلنا الله من أهل الجنة [(١)].

قال القرطبي رحمه الله بعد ذكر الخلاف : (وكلُّه مراد ، وقد جاءت بذلك أحاديث ، فروى أبو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول ﷺ يقول : « إنَّ ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل، إنَّ الله لا إله غيره إذا أراد خلْقه قال للملك : اكتب رزقه وأثره وأجله ، واكتب شقياً أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ويبعث الله ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا جاءه الموت ارتفع ذانك الملكان ، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه ، فإذا أدخل حفرته رد الروح في جسده ، ثم يرتفع ملك الموت ، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ، ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحطَّ عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه ، ثم حضرا معه ، واحد سائق والآخر شهيد ، ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ٢٢] قال رسول الله ﷺ : ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ ، قال : « حَالاً بَعْدَ حَالٍ » ، ثم قال النبي ﷺ : « إنَّ قدَّامكم أمراً عظيماً فاستعينوا بالله

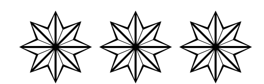
(١) انظر : الكشاف (١١٩٠) ، أنوار التنزيل (٥/٢٩٨) ، مدارك التنزيل (٢/٧٨٩) ، إرشاد العقل السليم (٦/٤٠٢) ، التحرير والتنوير (٣٠/٢٢٩) ، تتمة أضواء البيان (٩/٧٢) .



العظيم »[1].

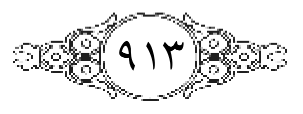
فقد اشتمل هـذا الحـديث علـى أحـوال تعتـري الإنـسان ، مـن حـين يُخلـق إلى حـين يبعـث ، وكلّـه شـدة بعـد شـدة ، حيـاةٌ ثمَّ مـوت ، ثم بعـثٌ ثمَّ جـزاء ، وفي كلِّ حال من هذه شدائد) [2].

والله أعلم ..



(١) **ضعيف** . قال عنه أبو نعيم (حلية الأولياء ٣/٢٢١) : غريب من حديث أبي جعفر ، تفرد به جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله . وقال القرطبي في التذكرة (١/٣٤٧) : جابر الجعفي متروك لا يحتج بحديثه في الأحكام . وقال عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٥١٩) : هذا حديث منكر ، وإسناده فيه ضعفاء ، ولكن معناه صحيح .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٨٤-٣٢٨٥) .



سورة البروج

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ [البروج : ٢] .

٢٣٥- **قال عطاء الخراساني** : يقال : هو يوم القيامة [١].

الدراسة :

* فسَّر عطاء الخراساني اليوم الموعود بأنه يوم القيامة ، وهو قول علي بن أبي طالب [٢]، وأبو هريرة[٣]، وابن عباس رضي الله عنهم [٤]، والحسن [٥]، وقتادة[٦]، وابن زيد[٧]، وهو قول جميع المفسِّرين [٨].

واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»[٩].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٨) ، ص١٠٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) تفسير مجاهد (٣٣٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٣/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٢٤) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٨) للطبراني في الأوسط ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، وابن عساكر من طرق .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٢/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١١/٣) ، والطبري (٢٦٣/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٢/٨) لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٣/٢٤) .

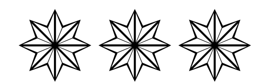
(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٥٦/٣) ، جامع البيان (٢٦٢/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣٧/٥) ، بحر العلوم (٥٦٣/٣) ، الكشف والبيان (١٦٥/١٠) ، النكت والعيون (٢٤٠/٦) ، الوسيط (٤٥٧/٤) ، المفردات في غريب القرآن (٥٤٢) ، معالم التنزيل (٢٣١/٥) ، الكشاف (١١٩١) ، المحرر الوجيز (١٩٦٣) ، زاد المسير (١٥٣١) ، التفسير الكبير (١٠٦/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨٧/٢) ، أنوار التنزيل (٣٠٠/٥) ، مدارك التنزيل (٧٩١/٢) ، التسهيل (٣٥٧/٤) ، البحر المحيط (٦٣٠/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٢٠/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٠٤/٦) ، روح المعاني (١٥٤/٣٠) ، فتح القدير (٥١٣/٥)، تفسير المراغي (٢٨٩/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩١٨) ، التحرير والتنوير (٢٣٨/٣٠) ، أضواء البيان (٧٤/٩).

(٩) **حسن** . أخرجه **الترمذي** في سننه برقم : (٣٣٣٩) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة البروج . وقال : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره) ، وأخرجه **الطبري** في تفسيره (٢٦٢/٢٤) ، **وابن أبي حاتم** (٣٤١٣/١٠)

وقد سمِّي بذلك لأنَّ الله وعد الخلق أن يجمعهم فيه ، ويضمَّ فيه أولهم وآخرهم ، وقاصيهم ودانيهم ، ووعدهم فيه بالجزاء بعد البعث ، وهو أمر لا يمكن أن يتغير ، ولا يخلف الله الميعاد (1).

قال الألوسي رحمه الله : (﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ أي الموعود به وهو يوم القيامة باتفاق المفسرين ، وقيل : لعله اليوم الذي يخرج الناس فيه من قبورهم فقد قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج : ٤٣ ، ٤٤] ، أو ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] ، وقيل : يمكن أن يراد به يوم شفاعة النبي ﷺ على ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، ولا يخفى أنَّ جميع ذلك داخل في يوم القيامة) (2).

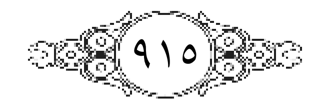
والله أعلم ،،



برقم : (١٩٢٠٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٦٣) عزوه لعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في الأصول ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، قال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/٢١٩) : العهد فيه على موسى بن عبيدة ، ونقله ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٥/٢٨١٣) ، والذهبي في المهذب (٣/١١٠٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٣٩) ، وفي مشكاة المصابيح (١٣١١) ، وله شاهد من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٦٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٦٣) للطبراني ، وابن مردويه من طريق شريح بن عبيد ، وسعيد بن منصور عن شريح بن عبيد مرسلاً ، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٨) : فيه محمد بن إسماعيل بن عياش ، وهو ضعيف ، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥) : إسناد رجاله ثقات ، باستثناء محمد بن إسماعيل، ثمّ هو منقطع .

(1) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩١٨) .

(2) روح المعاني (٣٠/١٥٤) .



الموضع الثاني :

* في قول الله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾ [البروج : ٣] .

٢٣٦- **قال عطاء الخراساني** : الشاهد يوم الجمعة ، ويقال : إنها الملائكة ، وأما المشهود فيقال : الإنسان شهد سمعه وبصره وجسده [(١)].

وفي لفظ قال : الشاهد هو الملَك ، والمشهود عليه هو الإنسان الذي تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، قال : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾ [النور : ٢٤] ، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٢١] [(٢)].

٢٣٧- **وقال** : الشاهد : الجوارح ، والمشهود عليه : الإنسان [(٣)].

الدراسة :

* اختلفت الروايات التي وردت عن عطاء الخراساني في معنى هذه الآية، ولعلها أقوال له في الآية ، وكما اختلف قول عطاء في الآية فقد تنوَّعت أقاويل المفسرين في المراد بالشاهد والمشهود[(٤)] فذكروا أقوالاً كثيرة تزيد على عشرين قولاً [(٥)]، ويمكن تأصيل الخلاف في المسألة ليبنى على قولين :

الأقوال في الآية[(٦)] :

- **القول الأول** : أن اشتقاقهما من الشهود أي : الحضور ، وبناءً على

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٩) ، ص١٠٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

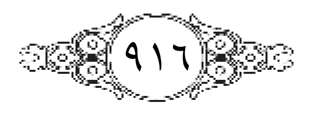
(٢) ذكره عنه الرازي في التفسير الكبير (١٠٨/٣١) .

(٣) ذكره عنه النيسابوري في غرائب القرآن (٤٧٥/٦) .

(٤) انظر لاختلاف التفسير بين المتقدمين والمتأخرين في ذلك : معاني القرآن للفراء (٢٥٦/٢) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣٧/٥) ، بحر العلوم (٥٦٣/٣) ، الكشف والبيان (١٦٥/١٠) ، النكت والعيون (٢٤١/٦) ، الوسيط (٤٥٧/٤-٤٥٨) ، المفردات في غريب القرآن (٢٧٣) ، معالم التنزيل (٢٣٢/٥) ، الكشاف (١١٩١) ، المحرر الوجيز (١٩٦٣) ، زاد المسير (١٥٣١) ، التفسير الكبير (١٠٦/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨٧/٢) ، التسهيل (٣٥٧/٤) ، البحر المحيط (٦٣٠/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٢٠/٤) ، التحرير والتنوير (٢٣٨/٣٠-٢٣٩) ، أضواء البيان (٧٥/٩) .

(٥) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١٥٣١) أربعة وعشرين قولاً في معنى هذه الآية ، وذكر ابن جزي في التسهيل (٣٥٧/٤-٣٥٨) ما يزيد عن ثلاثين قولاً .

(٦) انظر : النكت والعيون (٢٤١/٦) ، التفسير الكبير (١٠٦/٣١-١٠٧) ، غرائب القرآن (٤٧٤/٦-٤٧٥) .



ذلك فقد تنوعت عبارات المفسِّرين من السلف والخلف في معنى الشاهد والمشهود على أقوال أبرزها :

الأول : أنَّ الشاهد يوم الجمعة ، قاله عطاء الخراساني ، وسعيد بن المسيب [(١)]، والمشهود : يوم عرفة ، وهو قول : علي بن أبي طالب [(٢)]، وابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، وعكرمة [(٤)]، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد[(٥)].

واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَمَا طَلَعَتْ الشَّمْسُ ولا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ فِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ ، ولاَ يَسْتَعِيذُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْهُ » [(٦)].

الثاني : أن الشاهد يوم النحر ، والمشهود يوم عرفة ، قاله إبراهيم[(٧)].

الثالث : أنَّ الشاهد : يوم الأضحى ، والمشهود : يوم الجمعة ، قاله ابن عمر ، وابن الزبير [(٨)].

الرابع : أنَّ الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٩)].

الخامس : أنَّ الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم النحر ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإبراهيم النخعي [(١٠)].

السادس : الشاهد الجمع الذي يحضرون فيه من الملائكة والثقلين الأولين

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٢/٣) ، والطبري (٢٦٦/٢٤) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٢/٣) ، والطبري (٢٦٤/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٤/٢٤) .

(٤) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٢/٣) .

(٥) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٦٤/٢٤-٢٦٥) .

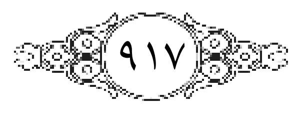
(٦) سبق تخريجه في الموضع السابق . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٣/٨) لابن مردويه وابن عساكر من طريق جبير بن مطعم رضي الله عنه .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢٤١/٦) .

(٨) تفسير مجاهد (٣٣٠) ، عن ابن عمرو ، والصواب : ابن عمر ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٩/٢٤).

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٩/٢٤) .

(١٠) ورد عنهما في تفسير مجاهد (٣٣٠) .



والآخرين ، المشهود يوم القيامة .

السابع : الشاهد الملائكة ، والمشهود يوم الجمعة .

الثامن : الشاهد الحُجَّاج ، والمشهود : يوم عرفة .

التاسع : المشهود يوم النحر .

العاشر : أنهما كلٌّ يوم فيه اجتماع عظيم للناس فيتناول الأقوال المذكورة كلها [(١)].

- **القول الثاني** : أنَّ اشتقاق الشاهد والمشهود من الشهادة ، والصلة محذوفة أي مشهود عليه أو به ، وبناء على ذلك تنوعت عبارات المفسرين أيضاً على أقوال ، أشهرها :

الأول : الشاهد : الجوارح ، والمشهود عليه : الإنسان ، قاله عطاء الخراساني في قول له .

الثاني : أنَّ الشاهد الملائكة ، والمشهود الإنسان ، قاله عطاء الخراساني في قول ثان له ، وهو قول سهل بن عبد الله [(٢)]، والحكيم الترمذي [(٣)(٤)].

الثالث : أنَّ الشاهد : الله ، والمشهود : يوم القيامة ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)].

الرابع : أنَّ الشاهد : عيسى عليه السلام ، والمشهود : يوم القيامة ، قاله مجاهد [(٦)].

الخامس : أنَّ الشاهد : الذي يشهد علينا ، والمشهود : يوم القيامة ، قاله

(١) الأقوال الخمسة الأخيرة حكاها الرازي في التفسير الكبير (٣١/١٠٦-١٠٩) .

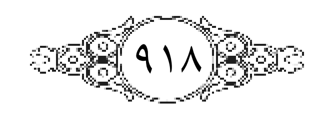
(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٤١) .

(٣) الترمذي = **أبو عبد الله** ، **محمد بن علي بن الحسن بن بشر** ، **الحكيم الترمذي** الإمام ، الزاهد الحافظ المؤذن ، صاحب التصانيف ، روى عن أبيه ، وقتيبة بن سعيد ، والحسن بن عمر بن شقيق ، وصالح بن عبد الله الترمذي ، وروى عنه : يحيى بن منصور القاضي ، والحسن بن علي ، وعلماء نيسابور ، فإنه قدمها في سنة خمس وثمانين ومائتين ، وعاش نحواً من ثمانين . انظر : تذكرة الحفاظ (٢/٦٤٥) .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/١٦٧) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٦٩) .

(٦) تفسير مجاهد (٣٣٠) .



عكرمة[1].

السادس : أنَّ الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم القيامة ، وهذا رواية عن علي بن أبي طالب[2]، والحسن بن علي[3]، وابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن المسيب[4].

واستدلوا للشاهد بقوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء : ٤١] ، وللمشهود بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [هود : ١٠٣] .

السابع : أنَّ الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم الجمعة ، قال به عكرمة[5].

الثامن : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة ، وهذا قول مجاهد[6]، وابن نجيح ، وعكرمة ، والضَّحاك[7].

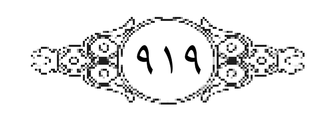
الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم – حمل المعنى على العموم ، وهذا الذي ذهب إليه جمع من المحققين .

قال الطبري رحمه الله : (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إنَّ الله أقسم بشاهد شهد ، ومشهود شهد ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أيَّ شاهد وأيَّ مشهود أراد ، وكلّ الذي ذكرنا أنَّ العلماء قالوا : هو المعنيُّ مما يستحقُّ أن يُقال له : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾)[8].

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٢/٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٨) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .
(٢) تفسير مجاهد (٣٣٠) .
(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٦/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٨) عزوه لابن مردويه .
(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٢٦٦/٢٤-٢٦٧) .
(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٨/٢٤) .
(٦) تفسير مجاهد (٣٣٠) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٦٧/٢٤) .
(٧) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢٦٨/٢٤) .
(٨) جامع البيان (٢٧٠/٢٤) .



وقال الزمخشري رحمه الله : (يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه ، والمراد بالشَّاهد : من يشهد فيه من الخلائق كلهم ؛ وبالمشهود : ما في ذلك اليوم من عجائبه ، وطريق تنكيرهما : إما ما ذكرته في قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير : ١٤] ، كأنه قيل : وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود ، وإما الإبهام في الوصف ، كأنه قيل : وشاهد مشهود لا يكتنه وصفهما ، وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما) [(١)].

وبنحوه قال البيضاوي [(٢)]، والنسفي [(٣)]، وأبو حيان [(٤)]، وأبو السعود[(٥)]، والألوسي[(٦)]، والشوكاني [(٧)]، وغيرهم[(٨)] رحمهم الله .

وقد أجاب ابن القيم رحمه الله عن الحديث فقال : (والظاهر – والله أعلم - أنه من تفسير أبي هريرة ، فقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي بن زيد فرفعه إلى النبي ﷺ ، وأما يونس فلم يعْدُ أبا هريرة أنه قال في هذه الآية : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال : " الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عُرْفَةَ ، وَالْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ " [(٩)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ الأولى حمل المعنى على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص [(١٠)].

وعليه فأقوال عطاء الخراساني هي أمثلة داخلة في العموم .

والله أعلم ،،

---

(١) الكشاف (١١٩١) .
(٢) أنوار التنزيل (٥/٣٠٠) .
(٣) مدارك التنزيل (٢/٧٩١) .
(٤) البحر المحيط (٨/٦٣٠) .
(٥) إرشاد العقل السليم (٦/٤٠٤) .
(٦) روح المعاني (٣٠/١٥٤) .
(٧) فتح القدير (٥/٥١٣) .
(٨) انظر : تفسير المراغي (١٠/٢٩٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩١٨) ، تتمة أضواء البيان (٩/٧٥) .
(٩) زاد المعاد (١/٣٩٩) ، والموقوف سنده أقوى من المرفوع .
(١٠) انظر : قواعد التفسير (٢/٥٩٩) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٢٧) .



سورة الطارق

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق : ٣] .

٢٣٨- **قال عطاء الخراساني** : ثقوبه : استنارته [(١)].

الدراسة :

* في هذه الآية تفسير للطارق بأنه النَّجم الثاقب ، أي: المضيء ، الذي يثقب نوره ، فيخرق السماوات فينفذ حتى يُرى في الأرض [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : الثاقب : المستنير ، قاله عطاء الخراساني ، وهو نفسه المضيء قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)] ، وقتادة [(٥)]، وجمهور المفسِّرين [(٦)].

القول الثاني : المتوهِّج ، قاله مجاهد [(٧)].

القول الثالث : الذي يثقب ، قاله عكرمة [(٨)]، وخصيف [(٩)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٥) ، ص١٠٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩١٩-٩٢٠) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٥٦٨/٣) ، النكت والعيون (٢٤٦/٦) ، المحرر الوجيز (١٩٦٦) ، التفسير الكبير (١١٨/٣١)، التسهيل (٣٦٢/٤) ، البحر المحيط (٦٣٨/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٢٧/٤) ، روح المعاني (١٧٠/٣٠) ، أضواء البيان (٨٨/٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٩/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤١٥/١٠) برقم : (١٩٢١٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٤/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ في العظمة .

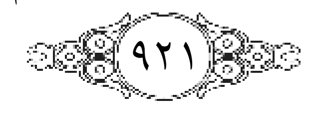
(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤١٦/٣) ، والطبري (٢٩٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٤/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٥٨/٣) ، معاني القرآن للزجاج (٢٣٩/٥) ، الكشف والبيان (١٧٨/١٠) ، الوسيط (٤٦٤/٤) ، معالم التنزيل (٢٣٩/٥) ، الكشاف (١١٩٣) ، زاد المسير (١٥٣٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٩٥/٢) ، أنوار التنزيل (٣٠٣/٥) ، مدارك التنزيل (٧٩٥/٢) ، إرشاد العقل السليم (٤١٠/٦)، تفسير المراغي (٢٩٧/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٠) ، التحرير والتنوير (٢٥٩/٣٠) ، أضواء البيان (٧٥/٩) .

(٧) تفسير مجاهد (٣٣٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٩٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٤/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٩/٢٤) .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٤/٨) لابن المنذر ، بلفظ : ممّ يثقب من يسترق السمع .



القول الرابع : الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها ، حكاه الفراء[(١)].

القول الخامس : الثاقب : الشياطين حين ترمى ، قاله السدي [(٢)].

القول السادس : الثاقب في مسيره ومجراه ، قاله الضحاك [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم – هو القول الأول ، قول عطاء الخراساني ومن معه؛ أنَّ الثاقب هو المضيء المستنير ، وهذا هو الموافق للغة العربية .

قال ابن فارس ﷺ : (قالوا : هو نجم ينفُذ السماوات كلّها نوره) [(٤)].

وقال الراغب ﷺ : (الثاقب الذي يثقب بنوره وإصابته ما يقع عليه ، وأصله من الثقبة) [(٥)].

وقال ابن منظور ﷺ في اللسان : (والثاقب المضيء ، ومنه قول الحجاج لابن عباس ﷺ : إن كان لمثقباً ، أي : ثاقب العلم مضيئه) [(٦)].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٧)].

قال ابن عاشور ﷺ : (والثَّقب : خَرق شيء ملتئم ، وهو هنا مستعار لظهور النور في خلال ظلمة الليل ، شبه النجم بمسمار أو نحوه ، وظهورُ ضوئه بظهور ما يبدو من المسمار من خلال الجسم الذي يثقبه مثل لَوح أو ثَوب . وأحسب أنَّ استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن ...

والتعريف في (النجم) يجوز أن يكون تعريف الجنس ... فيستغرق جميع النجوم استغراقاً حقيقياً وكلها ثاقب ، فكأنه قِيلَ : والنجوم ، إلا أنَّ صيغة

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/٢٥٨) .

(٢) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٤٦) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) معجم المقاييس في اللغة (١٨٥) .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٨٥) .

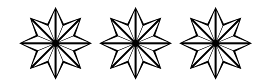
(٦) لسان العرب (٣/٢٨) .

(٧) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



الإفـراد في قولـه : ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ ظـاهر في إرادة فـرد معـيَّن مـن النجـوم ، ويجـوز أن يكون التعريف للعهد إشـارة إلى نجـم معـروف يطلـق عليـه اسـم الـنجم غالبـاً ، أي والـنجم الـذي هـو طـارق ، ويناسـب أن يكـون نجمـاً يَطلـع في أوائـل ظلمـة الليـل وهي الوقـت المعهـود لِطـروقِ الطـارقين مـن الـسائرين ، ولعـلَّ الطـارق هـو الـنجم الـذي يـسمَّى الـشاهد ، وهـو نجـم يظهـر عقـب غـروب الـشمس ، وبـه سميـت صـلاة المغـرب : « صَـلاَةَ الـشَّاهِدْ » ، روى النـسائي : أنَّ الـنبي ﷺ قـال : « إنَّ هَـذه الـصَّلاَةَ – أي العـصر – فُرِضَـتْ عَلَـى مَـنْ كَـانَ قَـبْلَكُمْ فَـضَيَّعُوْهَا » إلى قولـه : « وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَهَا حَتى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ »[1])[2].

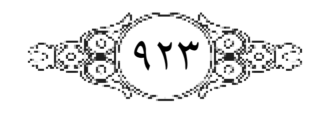
والله أعلم ، ،



---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم في صحيحه برقم : (٨٣٠) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها . من حديث أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ ولفظه قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَصْرَ بِالْمُخَمَّصِ فَقَالَ : « إِنَّ هَذِه الصَّلاَةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا ؛ فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، ولاَ صَلاَةَ بَعْدَهَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ ، وَالشَّاهِدُ النَّجْمُ » . وقد أخرجه النسائي في سننه برقم : (٥٢١) في كتاب المواقيت ، باب تأخير المغرب .

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٢٥٩) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ١٤ ﴾ [الطارق : ١٤] .

٢٣٩- **قال عطاء الخراساني** : الهزل : الباطل [١].

الدراسة :

* في هذه السورة أقسم الله جلَّ وعزَّ على أنَّ القرآن قول فصل ، أي : حق وصدق بين واضح ، وهو جدٌّ ليس بالهزل ، وهو القول الفاصل بين الطوائف والمقالات ، والفاصل في الخصومات [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : الهزل : أي الباطل ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، ووكيع ، والضحاك [٥].

القول الثاني : الهزل : اللعب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٦]، ومجاهد [٧]، وقتادة[٨]، وسعيد بن جبير [٩]، والزجَّاج [١٠].

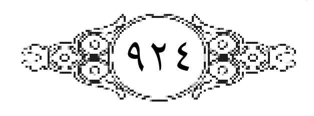
القول الثالث : الهزل : الكذب ، قاله السدي [١١].

الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والخلاف فيها هو من التنوع لا التضاد ، وبها تنوعت عبارات المفسِّرين ، على أنَّ المعنى : أنَّ القرآن أنزل بالجدّ ، ولم ينزل بالباطل ، ولا باللعب واللهو ، وليس في شيء منه شائبة هزل ، محض لا

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٦) ، ص١٠٨ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٢٠) .
(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٢٤٩) .
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٠٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٧٧) عزوه لابن المنذر .
(٥) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٤٩) .
(٦) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٤٩) .
(٧) تفسير مجاهد (٣٣٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٠٧) .
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٧٧) لعبد بن حميد .
(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٧٧) لابن أبي شيبة .
(١٠) معاني القرآن للزجاج (٥/٢٤٠) .
(١١) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٢٤٩) .



هوادة فيه ، فمن حقِّه أن يهتدي به الغواة ، وتخضع له رقاب العتاة .

وجميع أقوال المفسِّرين تدور حول هذا المعنى(1) .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها (2) .

وعليه فقول عطاء الخراساني صحيح في معنى الهزل .

وقد ضبط الراغب الأصفهاني رحمه الله الهزل بقوله : (كلُّ كلامٍ لا تحصيل له ولا رَبْع ، تشبيهاً بالهُزال) (3) .

قال الزمخشري رحمه الله في الكشاف : (يعني أنه جدٌّ كله لا هوادة فيه ، ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيباً في الصدور ، معظَّماً في القلوب ، يترفَّع به قارئه وسامعه ، وأن يلمَّ بهزل أو يتفكه بمزاح ، وأن يلقى ذهنه إلى أنّ جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ، ويعده وبوعده ، حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية ، فأدنى أمره أن يكون جادًّا غير هازل ، فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله: ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (61) ﴾ [النجم : 60-61] ، ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ [فصلت : 26]) (4) .

فائدة : قال ابن عاشور رحمه الله : (وعطف ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ بعد الثناء على القرآن بأنه ﴿ قَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ يتعيَّن على المفسِّر أن يتبيَّن وجه هذا العطف ومناسبته ، والذي أراه في ذلك أنه أعقب به الثناء على القرآن رداً على المشركين إذ كانوا يزعمون أنَّ النبي ﷺ جاء يهزل إذ يخبر بأنَّ الموتى سيحْيَوْن ، يريدون تضليل

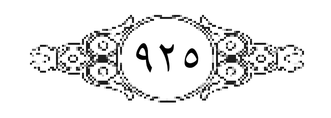
---

(1) انظر : بحر العلوم (569/3) ، الكشف والبيان (181/10) ، الوسيط (467/4) ، معالم التنزيل (240/5)، الكشاف (1194) ، المحرر الوجيز (1968) ، زاد المسير (1535) ، التفسير الكبير (124/31) ، الجامع لأحكام القرآن (3298/2) ، أنوار التنزيل (304/5) ، مدارك التنزيل (796/2) ، التسهيل (364/4) ، البحر المحيط (642/8) ، تفسير ابن كثير (528/4) ، إرشاد العقل السليم (411/6) ، روح المعاني (179/30) ، فتح القدير (525/5) ، تفسير المراغي (301/10) ، تيسير الكريم الرحمن (920) .

(2) قواعد التفسير (807/2) .

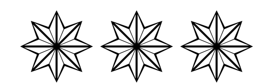
(3) المفردات في غريب القرآن (520) .

(4) الكشاف (1194) .



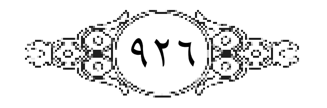
عامتهم حين يسمعون قوارع القرآن وإرشاده وجزالة معانيه ، يختلقون لهم تلك المعاذير ليصرفوهم عن أن يتدبروا القرآن ، وهو ما حكاه الله عنهم في قوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾[فصلت : ٢٦] ، فالهزل على هذا الوجه هو ضدّ الجدّ أعني المزح واللعب ، ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا إرادة التعريض ؛ وإلا كانت تقصيراً في المدح لا سيما إذا سبقتها محمدة من المحامد العظيمة . ويجوز أن يطلق الهزل على الهذيان قال تعالى : ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي بالهذيان)[1] .

والله أعلم ، ،



---

(١) التحرير والتنوير (٢٦٧/٣٠) .



سورة الغاشية

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ [الغاشية : ٦] .

٢٤٠- **قال عطاء الخراساني** : شجرة يقال لها : الشِّبْرِق [١].

الدراسة :

* يصف الله في هذه الآية طعام أهل النار أنه ﴿مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ ، والمقصود من الطعام أحد أمرين : إما أن يسدَّ جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه ، وإما أن يسمِّن بدنه من الهُزال ، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين ، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة نسأل الله العافية[٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : أنها شجرة يقال لها : الشِّبْرِق ، كثيرة الشوك ، قاله عطاء الخراساني، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، ومجاهد [٥]، وعكرمة [٦]، وقتادة [٧]، وشريك بن عبد الله [٨]، وهو قول جمهور المفسِّرين [٩].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٣٩) ، ص٩٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٢٢) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (١٠/١٨٨) ، النكت والعيون (٦/٢٥٩-٢٦٠) ، المحرر الوجيز (١٩٧١) ، زاد المسير (١٥٤٠) ، البحر المحيط (٨/٦٥٠) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٣٣) ، روح المعاني (٣٠/٢٠٢) ، فتح القدير (٥/٥٣٥-٥٣٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣١) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) لعبد بن حميد .

(٥) تفسير مجاهد (٣٣٤) ، وذكره عنه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن ، باب سورة : ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ . وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢١) برقم : (١٩٢٥٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣١) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢٠-٣٤٢١) برقم : (١٩٢٥٤) ، (١٩٢٦٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) عزوه لعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٢١) ، والطبري (٢٤/٣٣٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢٠-٣٤٢١) برقم : (١٩٢٥٠) ، (١٩٢٥٩) .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣٢) .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٦٢) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٤٣) ، بحر العلوم (٣/٥٧٤) ، الوسيط



ومنه قول الشاعر [(١)]:

رَعَـى الـشِّبْرِقَ الرَّيَّـان حَتَـى إذَا ذَوَىْ   وَصَّـارَ ضَـرِيْعَاً بَـانَ عَنْـهُ النَّحَـائِصُ[(٢)]

القـول الثـاني : الـسُّلاَّ ، وهـو شـوك النَّخـل ، وكيـف يـسمن مـن كـان طعامـه الشوك، قاله أبو الجوزاء [(٣)].

القول الثالث : أنها الحجارة ، قاله سعيد بن جبير [(٤)].

القول الرابع : أنه شجر من نار ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٥)]، وابن زيد [(٦)].

القول الخامس : أنه الزَّقوم ، قاله سعيد بن جبير [(٧)].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم – في معنى الضريع أنه شجر ذو شـوك ، لا يستـساغ أكلـه ، وهو شبيه في الدنيا لشجر الشبرق ، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل مـا دام رطبـاً ، فإذا يبس تحامته الإبل ، وهو سمٌ قاتل [(٨)].

الوسيط (٤/٤٧٤) ، المفردات في غريب القرآن (٢٩٨) ، معالم التنزيل (٥/٢٤٥)، الكشاف (١١٩٧) ، التفسير الكبير (٣١/١٤٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٠٦) ، أنوار التنزيل (٥/٣٠٧) ، مدارك التنزيل (٢/٧٩٩) ، التسهيل (٤/٣٧٠) ، إرشاد العقل السليم (٦/٤١٩) ، تفسير المراغي (١٠/٣١٠) ، التحرير والتنوير (٣٠/٢٩٧) ، تتمة أضواء البيان (٩/١١٢) .

(١) **البيت منسوب لأبي ذؤيب الهذلي** ، ولم أقف عليه في ديوان الهذليين في شعره ، وهو من شواهد : الكشاف (١١٩٧) ، التفسير الكبير (٣١/١٤٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٠٦) ، البحر المحيط (٨/٦٤٨) ، روح المعاني (٣٠/٢٠٢) .

(٢) **النحائص** = جمع النَّحوص (بفتح النون) ، وهي الأتان الوحشية الحائل ، وقيل : التي في بطنها ولد ، وقيل: التي لا لبن لها . انظر : لسان العرب (١٤/٢١٠-٢١١) مادة : نحص .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٢١) ، برقم : (١٩٢٦١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) عزوه لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وجاء بلفظ : السّلم ، والصواب : السُّلاَّ ، كما ذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/٨٩٥) .

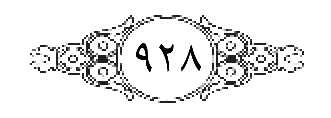
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢١) برقم : (١٩٢٦٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) عزوه لابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣٣) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢٠) برقم : (١٩٢٥٥) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٣٣) .

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٢١) برقم : (١٩٢٦٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٢) عزوه لعبد بن حميد.

(٨) انظر : الكشاف (١١٩٤) .



ولهـذا التـرجيح شـاهد مـن حـديث أخرجـه الواحـدي ، وابـن مردويـه بـسند واه عــن ابــن عبــاس ﵄ : ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾ قــال : قــال رســول الله ﷺ : « شَيْءٌ يَكُوْنُ فِيْ النَّارِ شَـبَهُ الْـشَّوْكِ ، أَمَـرُّ مِـنَ الـصَّبْرِ ، وَأَنْـتَنُ مِـنَ الْجِيْفَـةِ ، وَأَشَـدُّ حَـرّاً مِـنَ النَّـارِ ، سَـمَّاهُ اللهُ الْـضَّرِيْعُ ، إِذَاْ طَعِمَـهُ صَـاْحِبُهُ ، لاَ يَـدْخُلُ الْـبَطْنُ ، ولاَ يَرْتَفِعُ إِلَى الْفَمّ فَيَبْقَى بَيْنَ ذَلِكَ ، وَلاَ يُغْنِيْ مِنْ جُوْعْ » [(١)] .

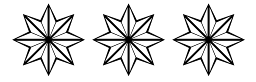
وهو كذلك التفسير الموافق للغة العربية ، وهو المشهور من كلام العرب .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [(٢)].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح معتبر .

قال ابن عاشور ﵀ : (ووصفُ ضريع بأنه لا يُسمن ولا يغني من جوع لتشويهه ، وأنه تمحض للضرِّ ؛ فلا يعود على آكليه بسمنٍ يُصلِح بعض ما التفحَ من أجـسادهم ، ولا يغني عنهم دفع ألم الجوع ، ولعل الجوع من ضروب تعذيبهم ، فيَـسألون الطعـام فيُطعمون الضريع فلا يدفع عنهم ألم الجوع) [(٣)].

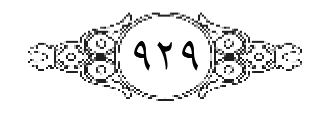
والله أعلم ، ،



(١) **ضعيف** . أخرجه الواحدي في الوسيط (٤٧٤/٤) قال : أخبرني عبد الرحمن بن الحسن بن علي الحافظ ، أجازه أنا عمر بن أحمد الواعظ ، نا عبد الله بن سليمان ، نا محمد بن عامر الأصبهاني ، عن أبيه ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ... وذكره . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٢/٨) لابن مردويه .

(٢) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .

(٣) التحرير والتنوير (٢٩٧/٣٠) .



الموضع الثاني :

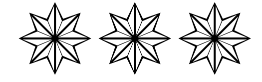
* وفي قول الله تعالى : ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية : ١٤] .

٢٤١- **قال عطاء الخراساني** : الأكواب : الأقساط [(١)].

الدراسة :

* سبقت دراسة معنى الأكواب في الموضع الخامس من سورة الإنسان ، تحت قول عطاء الخراساني رقم : (٢٢٠) .

والحمد لله ، ،



(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤٠) ، ص٩٤ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الغاشية : ٢٥] .

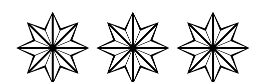
٢٤٢- **قال عطاء الخراساني** : إلى الله مرجعهم [١].

الدراسة :

* قول عطاء الخراساني قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٢]، وقتادة[٣]، والسدي[٤]، وهو قول عامة المفسِّرين [٥].

والمقصود : بيان أنَّ مرجعهم إلى الله بعد موتهم ، حين يبعثون للحساب والجزاء ، وفي الآية تهديد وتخويف لهم ، وبيان أنَّ المرجع والمنقلب إلى الله وحده ، ولا يشاركه في ذلك أحد لا كُلاًّ ، ولا جزءاً .

ففي هذه الآية يبيِّن الله أنَّ الذين كفروا وأعرضوا عن دين الله ، سيرجعون إلى الله وحده قطعاً ، وهو مجازيهم بأعمالهم حتماً ، وفي هذا تحديد لدور الرسول ﷺ، ودور كل داعية إليها بعده ، أنه مذكر للناس فقط ، وحسابهم بعد ذلك على الله ، ولا مفر لهم من العودة إليه ، ولا محيد لهم من حسابه وجزائه [٦]. والله أعلم ، ،



---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٤١) ، ص٩٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

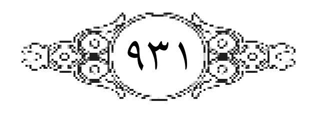
(٢) ذكره عنه **البخاري** في صحيحه في كتاب تفسير القرآن ، سورة : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ ، وعزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٥) لابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٤٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٩٦) عزوه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٢٢) برقم : (١٩٢٢٨) بلفظ : منقلبهم .

(٥) انظر : جامع البيان (٢٤/٣٤٣) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٤٤) ، بحر العلوم (٣/٥٧٦) ، الكشف والبيان (١٠/١٩٠) ، النكت والعيون (٦/٢٦٣) ، الوسيط (٤/٤٧٧) ، المفردات في غريب القرآن (٣٩) ، معالم التنزيل (٥/٢٤٦) ، المحرر الوجيز (١٩٧٣)، زاد المسير (١٥٤٢) ، التفسير الكبير (٣١/١٤٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٠٩) ، أنوار التنزيل (٥/٣٠٨) ، مدارك التنزيل (٢/٨٠١) ، التسهيل (٤/٣٧١) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٣٥) ، إرشاد العقل السليم (٦/٤٢١) ، روح المعاني (٣٠/٢١١) ، فتح القدير (٥/٥٣٨) ، تفسير المراغي (١٠/٣١٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٣) ، التحرير والتنوير (٣٠/٣٠٨) ، تتمة أضواء البيان (٩/١١٧) .

(٦) انظر : في ظلال القرآن (٦/٣٩٠٠) .



سورة الفجر

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر : ٢] .

٢٤٣- **قال عطاء الخراساني** : عشر الأضحى[(١)].

الدراسة :

* يقسم الله تعالى في مطلع هذه السورة بالفجر ، وليال عشر ، وإذا أقسم الله بشيء فإنما يقسم به لفضله ومكانته عنده سبحانه .

وقد وقع الخلاف في تعيين الليالي العشر ، واختلف العلماء فيها على أقوال .

الأقوال في الآية[(٢)] :

القول الأول : هي عشر الأضحى ، يعني عشر ذي الحجة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس[(٣)]، وابن الزبير رضي الله عنهم[(٤)]، ومسروق[(٥)]، ومجاهد[(٦)]، وعكرمة[(٧)]، والضحاك[(٨)]، وعطية[(٩)]،..................

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٦) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (١٩٠/١٠) ، النكت والعيون (٢٦٥/٦) ، معالم التنزيل (٢٤٧/٥) ، المحرر الوجيز (١٩٧٤) ، زاد المسير (١٥٤٣) ، التفسير الكبير (١٥١/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣١٠/٢) ، أنوار التنزيل (٣٠٩/٥) ، مدارك التنزيل (٨٠٢/٢) ، إرشاد العقل السليم (٤٢٣/٦) ، روح المعاني (٢١٥/٣٠-٢١٦) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٥/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٣/١٠) برقم : (١٩٢٣٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب من طرق .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٦/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٨) عزوه لعبد الرزاق -ولم أقف عليه -، وابن سعد ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - .

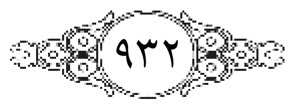
(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٢/٣) ، والطبري (٣٤٦/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٣/١٠) برقم : (١٩٢٣٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٧/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه - ، والفريابي ، وعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٦/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٨/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) للفريابي ، وعبد بن حميد .

(٩) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لابن مردويه .



وقتادة [(١)]، وابن زيد[(٢)]، وعليه جمهور المفسِّرين [(٣)].

قيل : إنَّ عشر ذي الحجة ، هي التي وعد الله موسى عليه السلام وأتمها عليه ، قاله مسروق [(٤)]، ومجاهد [(٥)].

وقد ورد في فضل العشر من ذي الحجّة ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِه » ، قَالُوا : وَلا الْجِهَادُ ؟ ، قَالَ : « وَلا الْجِهَادُ ؛ إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ » [(٦)].

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله : (هي ليال معلومة للسامعين موصوفة بأنها عشر واستُغني عن تعريفها بتوصيفها بعشر وإذ قد وصفت بهذا العدد تعين أنها عشر متتابعة ، وعدل عن تعريفها مع أنها معروفة ليتوصل بترْك التعريف إلى تنوينها المفيد للتعظيم ، وليس في ليالي السَّنة عشرُ ليال متتابعة عظيمة مثل عشر ذي الحجّة التي هي وقتُ مناسك الحج ، ففيها يكون الإِحرام ودخول مكة وأعمال الطواف ، وفي ثامنتها ليلة التروية ، وتاسعتها ليلة عرفة وعاشرتها ليلة النحر ، فتعيَّن أنها الليالي المرادة بليال عشر) [(٧)].

وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله : (وليس في القرآن نص بعينها ، وفي السنة بيان فضيلة عشر ذي الحجة وعشر رمضان كما هو معلوم ، فإن جعل الفجر خاصاً بيوم النحر ، كان ذي الحجة أقرب للسياق . والله تعالى أعلم) [(٨)].

القول الثاني : هي العشر الأواخر من شهر رمضان ، وهذا مروي عن ابن

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٢/٣) ، والطبري (٣٤٧/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لعبد الرزاق – ولم أقف عليه – ، وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٨/٢٤) .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٦٤/٣) ، جامع البيان (٣٤٨/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٤٥/٥) ، بحر العلوم (٥٧٧/٣) ، الوسيط (٤٧٨/٤) ، الكشاف (١١٩٩) ، التسهيل (٣٧٢/٤) ، تفسير ابن كثير (٥٣٥/٤) ، فتح القدير (٥٤١/٥)، التحرير والتنوير (٣١٣/٣٠) ، تتمة أضواء البيان (١٢٠/٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٤٦/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لعبد بن حميد .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٢/٣) .

(٦) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٩٦٩) في كتاب الجمعة ، باب فضل العمل في أيام التشريق .

(٧) التحرير والتنوير (٣١٣/٣٠) .

(٨) تتمة أضواء البيان (١١٩/٩-١٢٠) .



عباس رضي الله عنهما [(١)].

قال أبو حيان رحمه الله : (قيل : والأظهر قول ابن عباس للحديث المتفق على صحته ، قالت عائشة رضي الله عنها : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ » [(٢)].

قال التبريزي[(٣)]: اتفقوا على أنه العشر الأواخر ، يعني من رمضان ، لم يخالف فيه أحد ، فتعظيمه مناسب لتعظيم القَسَم) [(٤)].

القول الثالث : هي عشر من أول المحرم ، حكاه الطبري [(٥)].

الجمع أو الترجيح :

جاء ذكر الليالي العشر منكَّرة في الآية من بين ما أقسم الله به لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بفضيلة ليست لغيرها [(٦)].

وقد أطلقت هذه الليالي في النصِّ القرآني ، وإطلاقها هكذا أوقع وأندى، فهي ليال عشر يعلمها الله ، ولها عنده شأن ، تلقي في السياق ظل الليلات ذات الشخصية الخاصة ، وكأنها خلائق حية معينة ذوات أرواح ، تعاطفنا ونعاطفها من خلال التعبير القرآني الرفاف ! [(٧)].

وقد روى جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الأَضْحَى ،

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٢٣/١٠) برقم : (١٩٢٣٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) عزوه لابن المنذر .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٢٠٢٤) في كتاب صلاة التراويح ، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١١٧٤) في كتاب الاعتكاف ، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان .

(٣) **التبريزي** = أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي ، المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة ، قرأ على أبي العلاء المعري وعبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الدهان اللغوي وغيرهم ، وسمع الحديث من سليم بن أيوب الرازي وأبي القاسم السياري البغدادي وغيرهم،روى عنه الخطيب الحافظ صاحب تاريخ بغداد،وأبو منصور الجواليقي،وغيرهم من الأعيان وتخرج عليه خلق كثير.ومن مصنفاته: شرح القصائد العشر،وكتاب في إعراب القرآن،وغيرها.توفي يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد . انظر : الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١٩١/٦-١٩٦) ، طبقات المفسِّرين للداودي (١٥١) .

(٤) البحر المحيط (٦٥٧/٨) .

(٥) جامع البيان (٣٤٨/٢٤) .

(٦) انظر : الكشاف (١١٩٩) .

(٧) انظر : في ظلال القرآن (٣٩٠٢/٦-٣٩٠٣) .



وَالْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ » [(١)].

ولو صحَّ هذا الحديث إسناداً لكان عمدة في تفسير الآية .

والذي يترجَّح عندي – والله أعلم – حمل الآية على إطلاقها ، فتحتمل أنها عشر ذي الحجة ، وتحتمل أنها عشر رمضان الأواخر ، وقد جاءت منكَّرة في الآية ، وورد في كلٍّ من ليالي العشر الأواخر من رمضان ، وعشر ذي الحجة فضائل عظيمة ، فلعلَّ في إطلاق لفظ الآية هنا محفِّز للناس كي يجتهدوا في اغتنامها كلِّها بالعمل الصالح .

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه [(٢)].

والقاعدة الأخرى : الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيِّده[(٣)].

قال السعدي ﷺ : (وهي على الصحيح : ليالي عشر رمضان ، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة ، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها . وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، وفي نهارها ، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام . وفي أيام عشر ذي الحجة ، الوقوف بعرفة ، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان ، فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده ، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة ، وهذه أشياء معظَّمة ، مستحقَّة لأنْ يُقسِم الله بها) [(٤)]. والله أعلم ..

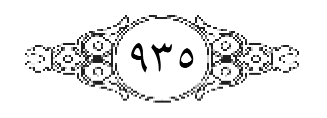
---

(١) **ضعيف** . أخرجه أحمد في مسنده (١٤١٠٢) قال : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ عُقْبَةَ ، حَدَّثَنِي خَيْرُ بْنُ نُعَيْمٍ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ .. وبنحوه أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٨/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٠/٨) عزوه للنسائي ، والبزار ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الشعب .
والحديث ضعيف ، قال عنه ابن العربي في أحكام القرآن (٣٨٦/٤) : لم يصح ، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٠٥/٤) : إسناده لا بأس برجاله ، وحسَّن ابن رجب إسناده في لطائف المعارف (٤٧٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠/٧) : رجاله رجال الصحيح غير عياش بن عقبة ، وهو ثقة . وقال ابن كثير في تفسيره (٥٣٦/٤) : وعندي أنَّ المتن في رفعه نكارة ا.هـ . وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٠٨) ، (٣٨٦٢) ، وقال في السلسلة الضعيفة (٣١٧٨) ، (٣٩٣٨) : منكر .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٥٥/٢) .

(٣) قواعد التفسير (٦٢١/٢) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٩٢٣) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر : ٣] .

٢٤٤- **قال عطاء الخراساني** : الزوج والفرد [١].

الدراسة :

* في هذه الآية يقسم الله أيضاً بشيء من مخلوقاته ، وهما الشفع والوتر، وقد اختلفت أقوال المفسِّرين في تعيينهما اختلافاً كبيراً ، وأجملها فيما يلي .

الأقوال في الآية[٢] :

القول الأول : الشفع : الزوج ، والوتر : الفرد ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٣]، وإبراهيم النخعي [٤]، واختاره المراغي [٥].

القول الثاني: أنه العدد لأنَّ جميعه شفع ووتر ، قاله الحسن [٦].

القول الثالث: أنَّ الشَّفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة ، رواه جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ » [٧]، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [٨]، وعكرمة [٩]، والضحاك[١٠]، والفراء [١١]، واختاره النحاس

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٧) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/٢٤٥) ، بحر العلوم (٣/٥٧٧) ، الكشف والبيان (١٠/١٩٢) ، النكت والعيون (٦/٢٦٥-٢٦٦) ، الوسيط (٤/٤٧٩) ، معالم التنزيل (٥/٢٤٧) ، الكشاف (١١٩٩) ، المحرر الوجيز (١٩٧٤) ، زاد المسير (١٥٤٣) ، التفسير الكبير (٣١/١٥١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣١٠)، التسهيل (٤/٣٧٢) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٣٦) ، فتح القدير (٥/٥٤١) .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٣) لعبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٣) لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) تفسير المراغي (١٠/٣١٧) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٥٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٣) لعبد بن حميد.

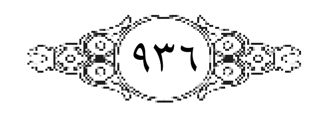
(٧) سبق تخريجه في الموضع السابق . قال أبو حيان (٨/٦٥٨) : (وفي هذا الحديث تفسيره عليه الصلاة والسلام الفجر بالصبح والليالي العشر بعشر النحر) ا..هـ .

(٨) تفسير مجاهد (٣٣٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٤٩) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢٤) برقم : (١٩٢٤٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٤) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان من طرق عنه .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٢٣) ، والطبري (٢٤/٣٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٤) عزوه لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٥٠) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٤) لعبد بن حميد .

(١١) معاني القرآن للفراء (٣/٢٦٤) .



وقال : (حديث أبي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي ﷺ ، وهو أصحُّ إسناداً من حديث عمران بن حصين : « صَوْمُ عَرَفَةَ وِتْرٌ لأَنَّهُ تَاسِعُهَا ، وَيَوْمُ النَّحْرِ شَفْعٌ لأَنَّهُ عَاشِرُهَا »[1])[2] .

القول الرابع : هي أيام نسك ؛ عرفة والأضحى هما للشفع ، وليلة الأضحى هي للوتر ، قاله عطاء[3] .

ويشهد له حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنَّ النبي ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال : « يَوْمَانِ وَلَيْلَةٌ ؛ يَوْمُ عَرَفَةَ وَيَوْمُ النَّحْرِ ، وَالْوِتْرُ : لَيْلَةُ النَّحْرِ لَيْلَةُ جَمْعٍ »[4] .

القول الخامس: أنَّ الشَّفع يوما منى ؛ الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة ، والوتر الثالث بعدهما ، قاله ابن الزبير[5] ، وابن زيد[6] .

ويؤيده ما روى جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الشَّفْعُ : الْيَوْمَانِ ، وَالْوَتْرُ: الْيَوْمُ الْوَاحِدُ »[7] .

القول السادس: أنها الصلاة ، فيها شفع وفيها وتر ، قاله عمران بن حصين[8][9] ، ورواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه سُئِلَ عَنْ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ فَقَالَ :

---

(١) لم أقف على هذا الحديث في كتب السنة .

(٢) ذكره عنه أبو حيان في البحر المحيط (٦٥٨/٨) ، ولم أقف عليه عند النَّحاس في معاني القرآن ، وفي إعراب القرآن .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٢٤/١٠) برقم : (١٩٢٤٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) **ضعيف** . عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٨) للطبراني وابن مردويه بسند ضعيف . قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠/٧) : فيه واصل بن السائب وهو متروك .

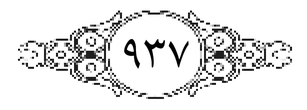
(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٢٤/١٠) برقم : (١٩٢٤١) ، (١٩٢٤٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٤/٨) عزوه للعبد الرزاق – ولم أقف عليه - ، وسعيد بن منصور ، وابن سعد ، وعبد بن حميد، وابن جرير – ولم أقف عليه - ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٠/٢٤) .

(٧) **ضعيف** . أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٥/٢٤) بسنده قال : حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني ، قال ثنا زيد بن حباب ، قال أخبرني عياش بن عقبة ، قال ثني جبير بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر . وفيه عياش بن عقبة ، وقد سبق كلام أهل العلم فيه .

(٨) **عمران بن حصين** = ابن عبيد بن خلف الخزاعي ، أبو نُجَيْد ، أسلم عام خيبر ، وصحب ، وكان فاضلاً ، وقضى بالكوفة ، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة . انظر : تقريب التهذيب (٤٢٩) .

(٩) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٣/٣) ، والطبري (٣٥٣/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) عزوه لعبد بن حميد .



« هِيَ الصَّلاةُ بَعْضُهَا شَفْعٌ وَبَعْضُهَا وِتْرٌ »[1]، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما [2]، وقتادة[3].

القول السابع: هي صلاة المغرب ، الشَّفع منها ركعتان ، والوتر الثالثة، قاله الربيع بن أنس [4]، وأبو العالية [5].

القول الثامن : أنَّ الشَّفع : الخلق كله ، والوتر : الله ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [6]، ومسروق [7]، ومجاهد [8]، وأبو صالح [9]، وعطية [10]، ورواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ [11]، ورجَّحه الشيخ عطية سالم في تتمة الأضواء [12].

القول التاسع : أنَّ الخلق كلّه شفع ووتر ، وهو قول الحسن البصري ،

---

(1) **ضعيف** . أخرجه الترمذي في سننه برقم : (٣٣٤٢) في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفجر . وأحمد في مسنده (١٩٤٣٣) ، وقال عنه الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلاَّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ ، وَقَدْ رَوَاهُ خَالِدُ بْنُ قَيْسٍ الْحُدَّانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا ا.هـ . وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٤/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٣/١٠) برقم : (١٩٢٣٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) عزوه لعبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه . قال عنه ابن العربي في عارضة الأحوذي (٣٩٦/٦) روي من طريق مجهولة ، وقال الشوكاني : في فتح القدير (٥٤٦/٥) : فيه رجل مجهول ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٣٤٢) ، والأقرب فيه ما قاله ابن كثير في تفسيره (٥٣٧/٤) : وعندي أنَّ وقفه على عمران بن حصين أشبه ، والله أعلم .

(2) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥١/٢٤) .

(3) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٤/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) لعبد بن حميد .

(4) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٣/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) لابن أبي حاتم –ولم أقف عليه – .

(5) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٢٣/١٠) برقم : (١٩٢٣٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٢/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(6) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥١/٢٤) .

(7) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٨) لعبد بن حميد .

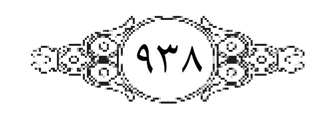
(8) تفسير مجاهد (٣٣٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥١/٢٤-٣٥٢) ، وابن أبي حاتم (٣٢٤٢/١٠) برقم : (١٩٢٣٨، ١٩٢٣٩ ، ١٩٢٤٣ ، ١٩٢٤٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٨) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(9) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥١/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٨) لعبد بن حميد .

(10) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لابن مردويه .

(11) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠١/٨) لابن مردويه .

(12) تتمة أضواء البيان (١٢١/٩) .



ومجاهد [(١)]، وزيد بن أسلم [(٢)].

قال البيضاوي رحمه الله: (﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ والأشياء كلُّها شفعها ووترها ، أو الخلق لقوله : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات : ٤٩] ، والخالق لأنه فرد ، ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك أو البروج والسيارات أو شفع الصلوات ووترها ، أو بيومي النحر وعرفة ، وقد روي مرفوعاً ، أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد ، أو مدخلاً في الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر) [(٣)].

الجمع أو الترجيح :

الصحيح – والله أعلم – هو القول الأول ، الذي قاله عطاء الخراساني ، أنَّ المعنى على إطلاقه ؛ فالشفع : الزوج ، والوتر : الفرد . وذلك في كل شيء.

وقد توسَّع المفسِّرون في تفصيلات واحتمالات لا تحتملها الآية ؛ حتى قال الزمخشري رحمه الله: (وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه ، وذلك قليل الطائل ، جدير بالتلهي عنه) [(٤)].

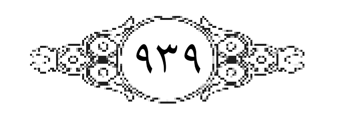
وقال أبو حيان رحمه الله: (ذكر في كتاب التحرير والتحبير[(٥)] فيها ستة وثلاثين قولاً ضجرنا من قراءتها فضلاً عن كتابتها في كتابنا هذا) [(٦)].

وقال الشوكاني بعد ذكر الخلاف رحمه الله: (ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين ، والضعف الظاهر ، والاتكال في التعيين على مجرّد الرأي الزائف ، والخاطر الخاطئ) [(٧)].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (وفي تفسير الشفع والوتر أقوال ثمانيةَ عشر

---

(١) أخرجه عنهما الصنعاني في تفسيره (٣/٤٢٣) ، والطبري (٢٤/٣٥٢) .
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٥٢) .
(٣) أنوار التنزيل (٥/٣٠٩) .
(٤) الكشاف (١١٩٩) .
(٥) كتاب التحرير والتحبير في التفسير ، لمحمد بن سليمان بن النقيب المقدسي ، المتوفى سنة ٦٩٨هـ .
(٦) البحر المحيط (٨/٦٥٨) .
(٧) فتح القدير (٥/٥٤١) .



وبعضها متداخل استقصاها القرطبي ، وأكثرها لا يَحسن حمل الآية عليه إذ ليست فيها مناسبة للعطف على ليال عشر) [(١)].

وعليه فلا ينبغي كثرة الخوض في تفاصيل لم تدلَّ النصوص عليها ، أو التكلُّف في ليِّ أعناق النصوص لتدلَّ على معانٍ لا تدخل في الآية .

وقول عطاء الخراساني في معنى الشَّفع والوتر بيان للمعنى اللفظي ، بعيد عن التكلُّف ، والخوض فيما لا دليل عليه .

قال الطبري ﵀ : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنَّ الله تعالى ذِكْره أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخصِّص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل ، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا لعموم قسَمه بذلك) [(٢)].

والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه [(٣)].

وأما الأحاديث التي استشهد بها أصحابها لأقوالهم فقد قال الألوسي ﵀ : (وقال بعض الأفاضل : لا إشعار للفظ الشفع والوتر بتخصيص شيء مما ذكروه وتعيينه بل هو إنما يدل على معنى كلي متناول لذلك ، ولعل من فسرهما بما فسرهما لم يدع الانحصار فيما فسر به بل أفرد بالذكر من أنواع مدلولهما ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلاً في الدين أو مناسبة لما قبل أو لما بعد ، أو أكثر منفعة موجبة للشكر ، أو نحو ذلك من النكات وإذا ثبت من الشارع عليه الصلاة والسلام تفسيرهما ببعض الوجوه فالظاهر أنه ليس مبنياً على تخصيص المدلول بل وارد على طريق التمثيل بما رأى في تخصيصه بالذِّكر فائدة معتداً بها فحينئذٍ يجوز للمفسِّر أن يحمل اللفظ على بعض آخر من محتملاته لفائدة أخرى .. انتهى) [(٤)].

وكذلك من القواعد التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط

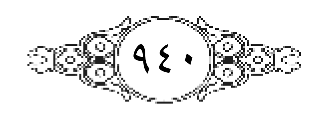
---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٣١٥) .

(٢) جامع البيان (٢٤/٣٥٥) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .

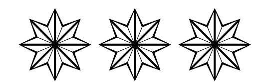
(٤) روح المعاني (٣٠/٢١٧) .



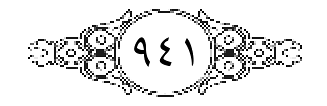
والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [١].

قال الشوكاني ﷺ مقرراً هذا المعنى : (والذي ينبغي التعويل عليه ، ويتعين المصير إليه : ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب ، وهما معروفان واضحان ، فالشفع عند العرب الزوج ، والوتر الفرد ؛ فالمراد بالآية إما نفس العدد ، أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر ، وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية ، فإن كان الدليل يدلّ على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك ، وإن كان الدليل يدلُّ على أنه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعاً من تناولها لغيره) [٢].

والله أعلم ،،



(١) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .
(٢) فتح القدير (٥/٥٤١) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾ [الفجر : ٥] .

٢٤٥- **قال عطاء الخراساني** : لذي نهى وحلم وحياء [١].

الدراسة :

* في هذه الآية استفهام تقريري يفيد التحقيق ، إذ حرف ﴿ هَلۡ ﴾ هنا بمعنى (قد) . وتنكير ﴿ قَسَمٞ ﴾ للتعظيم ، أي : قسم كافٍ ومُقنع للمُقْسَم له ، إذا كان عاقلاً أن يتدبر بعقله . فالمعنى : هل في ذلك تحقيق لما أُقسم عليه للسامع الموصوف بأنه صاحب حِجر ، والحِجْر : العقل لأنه يَحجرُ صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي ، كما سمي عقلاً لأنه يعْقِل صاحبه عن التهافت كما يعقِل العقال البعيرَ عن الضَّلال [٢].

الأقوال في الآية[٣] :

القول الأول : لذي نهى وحلم وحياء ، قاله عطاء الخراساني .

القول الثاني : لذي حجا ، لذي عقل ولب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٤]، وعكرمة ، والضحاك [٥]، وقتادة [٦]، وابن زيد [٧]، وقرأ : ﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ ، ﴿ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ .

القول الثالث : لذي لب ، قاله الحسن [٨]، ومجاهد [٩]، والسدي [١٠].

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٥) ، ص١٠٥ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (١١٦) ، التحرير والتنوير (٣١٦/٣٠) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٢٦٧/٦) .

(٤) تفسير مجاهد (٣٣٥) بلفظ : لذي عقل لذي رأي لذي قدرة لذي نهى ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٥٩/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٥/١٠) برقم : (١٩٢٥٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) عزوه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان من طرق .

(٥) عزاه عنهما السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) لسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٤/٣) ، والطبري (٣٦٠/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٠/٢٤) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٤/٣) ، والطبري (٣٦٠/٢٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٠/٢٤) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) لابن الأنباري في الوقف والابتداء .



القول الرابع : لذي عقل ورأي ، قاله مجاهد [1].

القول الخامس : لذي حلم ، قاله الحسن [2].

القول السادس : لذي ستر من النار ، قاله أبو مالك [3].

الجمع أو الترجيح :

جميع الأقوال صحيحة ، والاختلاف فيها اختلاف تنوع لا تضادّ ، ويمكن حمل المعنى عليها جميعاً ، وهي بمعنى واحد ، وبينها تداخل وارتباط ، وجمهور المفسِّرين على أنه ذو العقل واللب[4].

قال ابن زيد ﵀ : (والعقل واللب واحد ، إلاَّ أنه يفترق في كلام العرب[5])[6].

وقال الفرّاء ﵀ : (لذي عقل : لذي ستر ، وكله يرجع إلى أمر واحد من العقل ، والعرب تقول : إنه لذو حجْر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها ، كأنه أخذ من قولك : حجرْت على الرجل) [7].

وأصل الحَجْر : المَنع ، ومنه اشتق اسم الحجْر لامتناعه بصلابته ، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها ، ومنه سمي حجر المَولَّى عليه لما

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٥٩) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٦٠) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٢٥) برقم : (١٩٢٥١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٥) عزوه لعبد بن حميد .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٢٥) برقم : (١٩٢٥٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٠٥) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٥/٢٤٥) ، بحر العلوم (٣/٥٧٨) ، الكشف والبيان (١٠/١٩٥) ، الوسيط (٤/٤٨١) ، معالم التنزيل (٥/٢٤٨) ، الكشاف (١١٩٩) ، المحرر الوجيز (١٩٧٥) ، زاد المسير (١٥٤٥)، التفسير الكبير (٣١/١٥٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣١٢) ، أنوار التنزيل (٥/٣٠٩) ، مدارك التنزيل (٢/٨٠٢) ، التسهيل (٤/٣٧٣) ، البحر المحيط (٨/٦٥٩) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٣٧) ، إرشاد العقل السليم (٦/٤٢٤) ، روح المعاني (٣٠/٢١٩) ، فتح القدير (٥/٥٤٢) ، تفسير المراغي (١٠/٣١٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٣) ، التحرير والتنوير (٣٠/٣١٦) ، تتمة أضواء البيان (٩/١٢١) .

(٥) **اللُّب أخصُّ من العقل** ، كما قال الراغب الأصفهاني ﵀: (**اللب** : العقل الخالص من الشوائب وسمى بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه كاللباب واللب من الشيء ، وقيل : هو ما زكى من العقل ، فكل لبٍّ عقلٌ وليس كل عقلٍ لبا) . انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٤٩) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٦٠) .

(٧) معاني القرآن (٣/٢٦٥) .



فيه من منعه عن التصرف [1].

ومنه قول الشاعر [2]:

وكَيْفَ يُرَجَّى أن تَتُوْبَ وَإنَّمَا يُرجَّى مِنَ الْفِتْيَاْنِ مَنْ كَاْنَ ذَاْ حِجْرِ

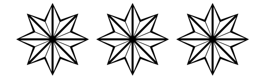
فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من التأويلات السابقة لما تضمَّنه من المنع .

وقول عطاء الخراساني فيه زيادة ذكر الحياء ، ويحمل على أنَّ العقل يمنع صاحبه من الوقوع في الرذائل ، ويدفعه لتحقيق الفضائل كالحلم والحياء ، وبهذا كان سبب ستر للعبد من النار .

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [3].

وكذلك : إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [4].

والله أعلم ، ،

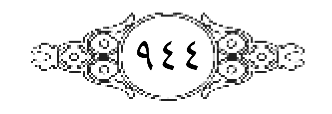


(١) انظر : لسان العرب (٤/٤٠) .

(٢) **البيت منسوب للحارث بن ثعلبة** ، ولم أقف على ديوان له ، وهو من شواهد : الجامع لأحكام القرآن (٣٣١٢/٢) ، والدر المنثور (٥٠٥/٨) .

(٣) قواعد التفسير (٢٣٢/١) .

(٤) المصدر السابق (٨٠٧/٢) .



الموضع الرابع :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾ [الفجر : ٧] .

٢٤٦- **قال عطاء الخراساني** : إرم : الأرض [(١)].

الدراسة :

* في هذه الآيات يضرب الله المثل والعبرة والموعظة بذكر حال أمة عاد وكيف أنه أهلكها مع عظيم قوتهم وبأسهم ، وكانت بلادهم في ذلك الزمن ليس لها مثيل في البلدان والبناء ، وفي ذلك عظة وعبرة عظيمة .

الأقوال في الآية[(٢)] :

واختلف المفسِّرون في المراد بإرم في هذه السورة على أقوال :

القول الأول : أنَّ إرم هي الأرض ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول قتادة [(٣)]، وبنحوه قول من قال : إرم مدينة عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن ، وهذا القول حكاه الفراء [(٤)]، وعزاه ابن عطية [(٥)]، وأبو حيان [(٦)] لجمهور المفسِّرين، ورجَّحه الشوكاني [(٧)].

القول الثاني : أنَّ إرم اسم قبيلة من عاد ، قاله قتادة [(٨)]، واختاره الطبري، وابن كثير وانتصر له [(٩)].

---

(١) ذكره عنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٨٩٦/٨) في شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ، سورة ٨٩ ، معزواً لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٤٥/٥) ، بحر العلوم (٥٧٨/٣) ، الكشف والبيان (١٩٥/١٠-١٩٦) ، النكت والعيون (٢٦٧/٦) ، الوسيط (٤٨١/٤) ، معالم التنزيل (٢٤٩/٥) ، الكشاف (١٢٠٠) ، المحرر الوجيز (١٩٧٥) ، زاد المسير (١٥٤٥) ، التفسير الكبير (١٥٥/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣١٣/٢)، مدارك التنزيل (٨٠٢/٢) ، البحر المحيط (٦٥٩/٨) ، روح المعاني (٢٢٠/٣٠) ، تفسير المراغي (٣١٨/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٣) ، التحرير والتنوير (٣١٦/٣٠) ، تتمة أضواء البيان (١٢١/٩) .

(٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون (٢٦٧/٦) .

(٤) معاني القرآن للفراء (٢٦٥/٣) .

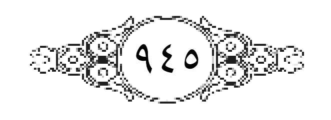
(٥) المحرر الوجيز (١٩٧٥) .

(٦) البحر المحيط (٦٥٩/٨) .

(٧) فتح القدير (٥٤٤/٥) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٤/٣) ، والطبري (٣٦٣/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٦/١٠) برقم: (١٩٢٥٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) انظر : تفسير ابن كثير (٥٣٨/٤) .



قال الطبري رحمه الله : (وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد ، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها ، وترك إجرائها ، كما يقال: ألم تر ما فعل ربك بتميم نهشل ؟ فيترك إجراء نهشل ، وهي قبيلة ، فترك إجراؤها لذلك ، وهي في موضع خفض بالردّ على تميم ، ولو كانت إرم اسم بلدة ، أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها ، كما يقال : هذا عمروُ زبيدِ ، وحاتمُ طيئ ، وأعشى هَمْدانَ ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى ، كما قال قتادة ، والله أعلم ، فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء)[1].

القول الثالث : أنَّ إرم أُمة من الأمم ، قاله مجاهد[2].

القول الرابع : أنَّ معنى إرم القديمة ، قاله مجاهد[3] .

القول الخامس : أنَّ إرم اسم جد عاد ، قاله محمد بن إسحاق ، وحكي عنه أنه عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح[4]، وبنحوه قال السدي[5].

القول السادس : أنه الهالك ، يقال : أرم بنو فلان ، أي هلكوا ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[6]، والضحاك[7].

القول السابع : أنها دمشق ، قاله سعيد بن المسيب[8]، وخالد الربعي[9][10]، وعكرمة[11]، ....

(١) جامع البيان (٣٦٤/٢٤) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٢/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٥/١٠) برقم : (١٩٢٥٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد (٣٣٥) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٢/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٣/٢٤) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٥/٨) لابن المنذر ، ولفظه : عاد بن إرم نسبهم إلى أبيهم الأكبر .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٣/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٤/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٦/١٠) برقم : (١٩٢٥٩) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) لابن عساكر .

(٩) **خالد الربعي** = هو خالد بن باب الربعي الأحدب ، بن أخي صفوان بن محرز ، بصري ، متروك الحديث ، ترك حديثه أبو زرعة ، يروى عن أنس بن مالك ، وروى عنه : هشام بن حسَّان ، وأبو الأشهب ، وحميد الكندي العنبري . انظر : التاريخ الكبير (١٤١/٣) ، الجرح والتعديل (٣٢٢/٣) ، الثقات (٢٠٠/٤) ، لسان الميزان (٣٧٤/٢) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) لعبد بن حميد .

(١١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٢٦/١٠) برقم : (١٩٢٥٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور



وسعيد المَقبُري [1][2].

القول الثامن : هي الإسكندرية ، قاله محمد بن كعب [3].

قال ابن عطية : (وهذان القولان ضعيفان) [4].

القول التاسع : أنَّ الله تعالى رمَّهم رمَّاً فجعلهم رميماً ، فلذلك سمَّاهم ، قاله شهر بن حوشب [5].

الجمع أو الترجيح :

الأقرب عندي بعد سبر وبحث – والله أعلم – أنَّ إرم هي اسم قبيلة قوم عاد ، وأطلق على الأرض التي كانوا يسكنونها ، وسمِّيت باسمهم ، وقد اكتُشفت قبل سنوات قليلة ، وتقع في سلطنة عُمَان ، بمنطقة الشَّصر في صحراء الربع الخالي في ظفار ، ويبعد مكانها تقريباً : ١٥٠ كيلو متر شمال مدينة صلالة ، و٨٠ كيلو متر من مدينة ثمريت .

قال الحسن بن أحمد الهمداني : (يقول اليمانية : وأكثر العلماء في البلاد أنَّ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴾ في تيه أبْيَن ، وهو غائط بين حضرموت ، وبين أبْيَن ، وما سمعنا أنَّ أحداً قال إنه عاينها) [6].

ولا تعارض بين كون إرَم اسم للقبيلة أو لجماعة من قوم عاد ، وبين كونها أطلقت على المكان الذي يسكنون فيه ، فإنه يمكن أن يكون قد سمِّي المكان على اسم القبيلة التي تسكن فيه ، كما سمِّيت الإسكندرية نسبة إلى

(٥٠٦/٨) لعبد بن حميد .

(١) **سعيد المقبري** = هو سعيد بن أبي سعيد ، كيسان المقبري ، أبو سعد المدني ، ثقة من الثالثة ، تغير قبل موته بأربع سنين ، روى عن أبيه ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وروى عنه الليث ، ومالك ، وقال أحمد : ليس به بأس ا.هـ ، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة ، مات في حدود سنة عشرين ومائة ، وقيل قبلها وقيل بعدها . انظر : الكاشف (٤٣٧/١) ، تقريب التهذيب (٢٣٦) .

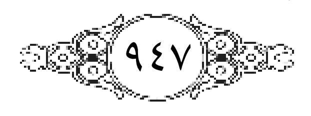
(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦١/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) عزوه لعبد بن حميد، وابن عساكر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦١/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) عزوه لابن المنذر .

(٤) المحرر الوجيز (١٩٧٥) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٦) الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِميَر (٦٢/٨) .



الإسكندر الذي بناها [١].

قال الزمخشري ﵀ : (وقيل : ﴿إِرَمَ﴾ بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها، ويدل عليه قراءة ابن الزبير : ﴿بِعَادِ إِرَمَ﴾ على الإضافة ، وتقديره : بعاد أهل إرم ، كقوله : ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢]) [٢].

والقاعدة التفسيرية : قد يكون اللفظ محتملاً لأمر ويحمل على غيره لأنه أولى بذلك الاسم منه [٣].

وقد احتمل القولين : الواحدي [٤]، والبيضاوي [٥]، وأبو السعود [٦].

ومُنِعت ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث .

ومن تأمَّل في صور تلك المدينة المكتشفة حديثاً وجد وصفاً منطبقاً دقيقاً لما قاله المفسرون رحمهم الله عنها [٧] ومن ذلك :

* وفي قوله تعالى : ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ إشارة إلى أعمدة مرفوعة مزخرفة[٨].

* ذات العماد : أي ذات الطول والشدَّة ، وقيل : سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم ، فشيَّد عمده ، والعماد والعمَد جمع عمود [٩].

* والإرم : العَلَم ، يعني : بعاد أهل أعلام ذات العماد . و ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ قيل : ذات البناء الرفيع ، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى : أنها ذات

---

(١) انظر : معجم البلدان (١/١٨٣) .

(٢) الكشاف (١٢٠٠) .

(٣) قواعد التفسير (٢/٨٥٥) .

(٤) الوسيط (٤/٤٨١) .

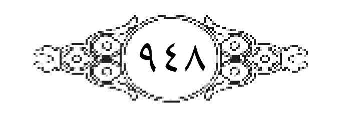
(٥) أنوار التنزيل (٥/٣٠٩) .

(٦) إرشاد العقل السليم (٦/٤٢٥) .

(٧) انظر : الصور رقم : (٢١-٢٢) ص(١٠٠٧) من ملحق الصور ، وتظهر فيها صور مدينة إرم المكتشفة حديثاً، والتي هي ديار قوم هود .

(٨) المفردات في غريب القرآن (٢٥) .

(٩) الكشف والبيان (١٠/١٩٦) .



أساطين[1].

وأجيب على قول من قال : إنَّ إرم هي الإسكندرية أو دمشق ؛ بأنَّ منازل عاد كانت بين عمان إلى حضرموت وهي بلاد الرمال والأحقاف ، كما قال : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ [الأحقاف : ٢١]، وأما الإسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال [2].

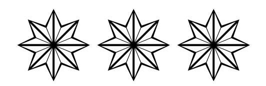
ومن تأمَّل آيات القرآن التي تحدَّث الله فيها عن قوم عاد ظهر له شيء من أخبارهم، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت : ١٥-١٦] .

وكذلك قوله عزَّ وجل : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة : ٦-٨] .

فمن تأمل هذه الآيات عرف كيف أنَّ الله أهلكهم بهذه الريح التي لم تترك لهم أثراً بعد هلاكهم ، ولله في ذلك حكمة .

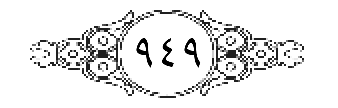
ومما سبق يتَّضح رجحان قول عطاء الخراساني في معنى ﴿ إِرَمَ ﴾ .

والله أعلم ، ،



(١) الكشاف (١٢٠٠) .

(٢) التفسير الكبير (٣١/١٥٥) .



الموضع الخامس :

* وفي قول الله تعالى : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر : ٩] .

٢٤٧- **قال عطاء الخراساني** : نقبوا الصخر بيوتاً [(١)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني هنا معنى قوله : ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ أنهم نقبوا الصخر بيوتاً ، والمعنى : أنهم قطَعوا الصَّخر ، ونحتوه ، وشقُّوه حتى جعلوه بيوتاً ، كما قال الله : ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ۝١٤٩﴾ [الشعراء : ١٤٩] .

والعرب تقول : جاب فلان الفلاة يجوبها جوباً : إذا دخلها وقطعها ، ومنه قول النابغة الجعدي [(٢)] :

أَتَـاكَ أَبُـوْ لَيْلَـى يَجُـوبُ بِـهِ الـدُّجَى ... دُجَـى اللَّيـلِ جَـوَّابَ الفَـلاةِ عَثَمْـثَمُ

يعني بقوله : يجوب : يدخل ويقطع .

وقول عطاء الخراساني هنا هو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٣)]، ومجاهد[(٤)]، والضحاك [(٥)]، وقتادة [(٦)]، وابن زيد [(٧)]، وجمهور المفسِّرين [(٨)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٨) ، ص١٠٦ .

(٢) **البيت للنابغة الجعدي** ، انظر ديوانه ص(٢٠٥) . وهو من قصيدة قالها حينما أقحمته السَّنَة ، فدخل على ابن الزبير رضي الله عنه في المسجد الحرام وأنشده إياها . انظر : الأغاني (٣٢/٥)، النهاية في غريب الأثر (١٨٣/٣) ، وهو من شواهد : اللسان (٣٦/١٠) مادة : عثم ، والعثمثم من الإبل هو الجمل القوي الشديد .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٩/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٦/١٠) برقم : (١٩٢٦١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) عزوه لابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٦٩/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٢٦/١٠) برقم : (١٩٢٦٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٠٦/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٠/٢٤) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٤/٣) ، والطبري (٣٦٩/٢٤) .

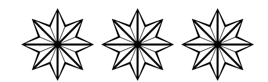
(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٣٧٠/٢٤) .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٦٥/٣) ، جامع البيان (٣٦٨/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٤٦/٥) ، بحر العلوم (٥٧٨/٣) ، الكشف والبيان (١٩٧/١٠) ، الوسيط (٤٨٢/٤) ، معالم التنزيل (٢٤٩/٥) ، الكشاف (١٢٠٠) ، المحرر الوجيز (١٩٧٦) ، زاد المسير (١٥٤٧) ، التفسير الكبير (١٥٦/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣١٤/٢) ، أنوار التنزيل (٣١٠/٥) ، مدارك التنزيل (٨٠٣/٢) ، التسهيل (٣٧٤/٤) ، البحر المحيط (٦٦٠/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٣٩/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٢٥/٦-٤٢٦) ، روح المعاني

قال الراغب ﷺ: (الجوب قطع الجوبة ؛ وهي كالغائط من الأرض ، ثمَّ يستعمل في قطْع كلِّ أرض) [(١)].

وقيل أنَّ أول من نحت الجبال والصخور والرخام هم ثمود ، وبنوا ألفاً وسبعمائة مدينة ، كلها من الحجارة [(٢)(٣)]، وهذا كلُّه من الإسرائيليات والدَّخيل في كتب التفسير .

والله أعلم ، ،

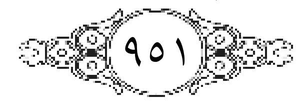


(٢٢٣/٣٠) ، فتح القدير (٥/٥٤٤) ، تفسير المراغي (٣١٩/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٣) ، التحرير والتنوير (٣٢٠/٣٠) ، تتمة أضواء البيان (١٢٣/٩) .

(١) المفردات في غريب القرآن (١٠٩) .

(٢) انظر : الكشاف (١٢٠٠) .

(٣) انظر : الصور رقم : (٢٣-٢٤) ص(١٠٠٨) من ملحق الصور ، وتظهر فيها صور نحت قوم صالح بيوتهم من الجبال ، وعجيب ما كانوا عليه من الإبداع في ذلك .



سورة البلد

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد : ١٠] .

٢٤٨- **قال عطاء الخراساني** : سبيل الخير والشر[(١)].

الدراسة :

* النَّجد في اللغة : هو المكان الغليظ الرفيع ، والنجدان في الآية مثل لطريقي الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال ، والجميل والقبيح في الفعال . وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير ، فغلِّب على الطريقين ، أو لأنَّ كل واحد صعب باعتبار ، فطريق الخير صعوبته في سلوكه ، وطريق الشر صعوبته في عواقبه ، ولذلك عبر عنه بعدَ هذا بالعقبة[(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : سبيل الخير والشر ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول علي بن أبي طالب[(٤)]، وعبد الله بن مسعود[(٥)]، وابن عباس رضي الله عنهم[(٦)]، وبه قال مجاهد[(٧)]، وعكرمة ، والضحاك[(٨)]، وابن زيد[(٩)]، وروي مرسلاً من طريق

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٣) ، ص١٠٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) ، وذكره عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٤٣/١٦)، وابن كثير في تفسيره (٥٤٣/٤) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٨٥) ، التحرير والتنوير (٣٥٥/٣٠) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٢٧٧/٦) ، المحرر الوجيز (١٩٨٠) ، زاد المسير (١٥٥٢-١٥٥٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢٢/٢) ، أنوار التنزيل (٣١٤/٥) ، البحر المحيط (٦٦٨/٨) ، إرشاد العقل السليم (٤٣١/٦-٤٣٢) ، روح المعاني (٢٤٤/٣٠) .

(٤) أخرجه عنه الفرَّاء في معاني القرآن (٢٦٩/٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٢/٨) للفريابي ، وعبد بن حميد .

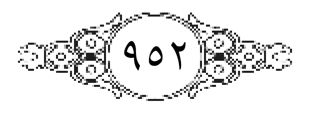
(٥) تفسير مجاهد (٣٣٨) ، وأخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٢٩/٣) ، والطبري في تفسيره (٤١٥/٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٣٤/١٠) برقم : (١٩٣٢٠) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني ، والحاكم وصححه .

(٦) تفسير مجاهد (٣٣٧) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٦/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٧/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٨) للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٤١٦/٢٤-٤١٧) ، وعزاه السيوطي عنهما في الدر المنثور (٥٢٢/٨) لعبد بن حميد .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤١٨/٢٤) .



الحسن[١] وقتادة[٢] إلى النبي ﷺ أنَّه قال : « يا أيُّها النَّاسُ إنَّمَا هُمَا النَجْدَانِ : نَجْدُ الخَيْرِ ، ونَجْدُ الشَّرّ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرّ أحَبَّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ »[٣].

وبنحو هذا القول قال جمهور المفسِّرين [٤].

وبنحوه قول من قال : سبيل الهدى والضلالة ، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما [٥]، ومحمد بن كعب القرظي [٦].

القول الثاني : الثديين ليتغذى بهما ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [٧]، والضحاك[٨]، وأنكره الربيع بن خثيم [٩][١٠].

---

(١) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٢٩) ، والطبري (٢٤/٤١٧) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٢) عزوه لعبد بن حميد ، وابن مردويه من طرق . قال عنه ابن تيمية في الفتاوى (١٦/١٤٤) مرسل .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤١٨) .

(٣) **حسن** . أخرجه من **طريق أنس بن مالك** : ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٣٤) برقم : (١٩٣٢٢) ، وأعلَّ بسنان بن سعد ، قال عنه القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٥/٢٥٨٣) : (فيه سنان بن سعد متروك الحديث) ، وقال عنه الشوكاني في فتح القدير (٥/٥٥٨) : تفرَّد به سنان بن سعد ، قال يحيى بن معين والإمام أحمد والنسائي والجوزجاني : منكر الحديث .

وأخرجه من **طريق أبي أمامة** ، المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٥٥) ، والطبراني في المعجم الكبير (٨٠٢٠) ، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٥٦) : فيه فضال ضعيف . وقال الشوكاني في فتح القدير (٥/٥٥٨) : له شاهد ، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٨٧٩) .

وأخرجه من **طريق أبي هريرة** رضي الله عنه : ابن راهويه في مسنده (٤٤٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٢) لابن مردويه . ولعلَّه يترقى للتحسين بمجموع طرقه . والله أعلم .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٣/٢٦٩) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٥٠) ، الكشف والبيان (١٠/٢٠٩) ، الوسيط (٤/٤٩٠) ، معالم التنزيل (٥/٢٥٦) ، الكشاف (١٢٠٤) ، التفسير الكبير (٣١/١٧١) ، مدارك التنزيل (٢/٨٠٨) ، التسهيل (٤/٣٨٠) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٤٣) ، فتح القدير (٥/٥٥٥) ، تفسير المراغي (١٠/٣٣٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٥) ، تتمة أضواء البيان (٩/١٣٠) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤١٦) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٣٤) برقم : (١٩٣٢١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢١) عزوه لابن المنذر .

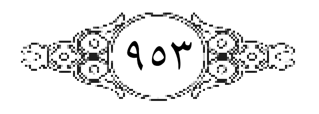
(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢١) لسعيد بن منصور .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٢٩) ، والطبري (٢٤/٤١٩) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٣٤) برقم : (١٩٣٢٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٢) عزوه لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤١٩) ، وقال عنه ابن تيمية في الفتاوى (١٦/١٤٤) : مرسل .

(٩) **الرَّبيع بن خثيم** = ابن عائذ بن عبد الله الثوري ، أبو يزيد الكوفي ، ثقة عابد مخضرم ورع قانت مخبت رباني حجة ، من الثانية ، روى عن ابن مسعود ، وأبي أيوب ، وروى عنه : الشعبي ، وإبراهيم، قال له بن مسعود لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . انظر : الكاشف (١/٣٩١) ، تقريب التهذيب (٢٠٦) .

(١٠) ذكره عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤١٦) .



الجمع أو الترجيح :

الأقرب - والله أعلم - القول الأول ، قول عطاء الخراساني ، والذي عليه جمهور المفسِّرين ؛ أنَّ المقصود بالنجدين طريق الخير وطريق الشرِّ ، وهو بنحو قوله تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان : ٣] .

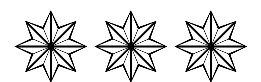
قال الطبري رحمه الله : (وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا : قول من قال: عُني بذلك طريق الخير والشرِّ ، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا ، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن ، فإنَّ الله تعالى ذكْره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان : ٢-٣] ، إنما عدَّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه ، فكذلك قوله : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾) [1].

والقاعدة التفسيرية : تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم ، وإن كان غيره محتملاً [2].

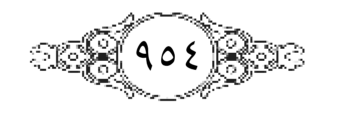
وأيضاً : فإنَّ الحديث الوارد في ذلك هو دليل صريح على هذا القول .

قال المراغي رحمه الله : (وإنما سمَّاهما الله نجدين ؛ للإشارة إلى أنهما واضحان ، كطريقين عاليين يراهما ذوو الأبصار ، وإلى أنَّ في كل منهما وعورة يشقُّ معها السلوك ولا يصبر عليها إلا من جاهد نفسه وراضها ، وفي ذلك إيماء إلى أنَّ طريق الشرِّ ليست بأهون من طريق الخير ، بل الغالب أنَّ طريق الشرِّ أصعب وأشقُّ وأحوج إلى بذل الجهد حتى تقطع إلى النهاية وتوصل إلى الغاية) [3].

والله أعلم ..



(١) جامع البيان (٢٤/٤١٩) .
(٢) قواعد التفسير (٢/٨٠٤) .
(٣) تفسير المراغي (١٠/٣٣٠) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد : ١٦] .

٢٤٩- **قال عطاء الخراساني** : يقال : الذي قد ألصقه الفقر بالتراب [(١)].

الدراسة :

* في هذه الآية يذكر الله عملاً من أعمال الخير التي تعين على تجاوز العقبة التي ذكرها الله قبلها ، وهو إطعام المسكين شديد الفقر والمسكنة ، والمتربة هنا صفة له ، جعلت علامة على الاحتياج بحسب العرف ، وهي مصدر بوزن مفْعَلة وفعِله ، يقال : ترِب ، إذا نام على التراب والتصق به ، فلم يكن له ما يفترشه على الأرض من شدَّة فقره ، وهو في الأصل كناية عن العُروِّ من الثياب التي تحول بين الجسد والأرض عند الجلوس والاضطجاع وقريب منه قولهم في الدعاء : تَرِبت يمينك : وتربَت يداك [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : الذي قد ألصقه الفقر بالتراب ، قاله عطاء الخراساني ، وقيل : هو المطروح على الطريق لا بيت له ولا مأوى يواريه إلا التراب ، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، وابن عمر [(٥)]، ومجاهد [(٦)]، وعكرمة [(٧)]، وعليه عامة المفسِّرين [(٨)].

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣١٤) ، ص١٠٩ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير (٣٠/٣٥٩) ، المفردات في غريب القرآن (٨١) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٢٧٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٢٤) ، روح المعاني (٣٠/٢٤٧) .

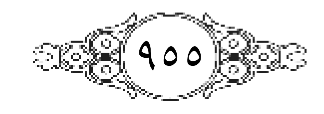
(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٢٦-٤٢٩) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٣٥) برقم : (١٩٣٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٥) عزوه للفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والحاكم .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) لابن مردويه بلفظ : الذي مأواه المزابل .

(٦) تفسير مجاهد (٣٣٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٢٨-٤٢٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٥) للفريابي ، وعبد بن حميد .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٢٩-٤٣٠) ، والطبري (٢٤/٤٢٩) .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٧٠) ، جامع البيان (٢٤/٤٣١) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٥١) ، بحر العلوم (٣/٥٨٤) ،الكشف والبيان (١٠/٢١١) ، الوسيط (٤/٤٩٣) ، معالم التنزيل (٥/٢٥٧) ، الكشاف



القول الثاني : أنه المحتاج ، شديد الحاجة ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[1]، وعكرمة ، وابن زيد [2].

القول الثالث : أنه ذو بنين وعيال لاصقين بالأرض من المسكنة والجهد ، وبهذا المعنى قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير ، والضَّحاك[3]، وقتادة[4].

القول الرابع : أنَّ ذا المتربة : البعيد التربة ، يعني الغريب البعيد عن وطنه، رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما [5].

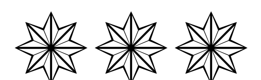
الجمع أو الترجيح :

الأقوال متقاربة ، والاختلاف فيها لفظي ، ويمكن حمل المعنى عليها جميعاً فيقال : المسكين ذو المتربة هو شديد الحاجة والفاقة الذي ألصقه الفقر بالتراب ، وقد يكون كثير العيال ، غريباً عن وطنه فتكون حاجته أشدّ .

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر الأقوال : (وكل هذه قريبة المعنى) [6].

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها [7].

والله أعلم ، ،



(١٢٠٤) ، المحرر الوجيز (١٩٨١) ، زاد المسير (١٥٥٤) ، التفسير الكبير (١٧٣/٣١) ، أنوار التنزيل (٣١٤/٥) ، مدارك التنزيل (٨٠٩/٢) ، التسهيل (٣٨١/٤) ، البحر المحيط (٦٦٩/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٤٥/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٣٢/٦) ، فتح القدير (٥٥٧/٥) ، تفسير المراغي (٣٣١/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٥) ، التحرير والتنوير (٣٥٩/٣٠) ، أضواء البيان (١٣٢/٩) .

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٥/٨) عزوه لابن المنذر .

(٢) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٤٣١/٢٤) .

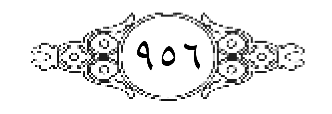
(٣) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٤٣٠/٢٤-٤٣١) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٠/٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٦/٨) .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٣٥/١٠) برقم : (١٩٣٣١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٥/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) تفسير ابن كثير (٥٤٥/٤) .

(٧) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .



الموضع الثالث :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد : ٢٠] .

٢٥٠- **قال عطاء الخراساني** : مُطبَقة [(١)].

الدراسة :

* يذكر الله في هذه الآية أنَّ الذين كفروا هم أصحاب النار الذين سيدخلونها ، وستكون عليهم مؤصدة ، والمؤصدة لغة : مأخوذة من أوصدت الباب أي أغلقته .

الأقوال في الآية[(٢)] :

القول الأول : مؤصدة أي مُطبَقة ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول أبي هريرة [(٣)]، وابن عباس [(٤)] رضي الله عنهم ، وسعيد بن جبير [(٥)]، ومجاهد [(٦)]، وعكرمة، والضحاك ، والحسن ، وعطية [(٧)]، وقتادة [(٨)]، وهو قول جماعة من المفسِّرين [(٩)].

القول الثاني : مؤصدة أي : مُغلَقة ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(١٠)]،

---

(١) ذكره عنه ابن رجب في التخويف من النار (٦٤) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٦/٢٨٠) .

(٣) تفسير مجاهد (٣٣٨) ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٣٥) برقم : (١٩٣٣٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) عزوه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد .

(٥) عزاه عنه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) لعبد بن حميد .

(٦) تفسير مجاهد (٣٣٨) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٣٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) لعبد بن حميد .

(٧) عزاه عنهم السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) لعبد بن حميد .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٣٠) ، والطبري (٢٤/٤٣٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) لعبد بن حميد .

(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٧٠) ، جامع البيان (٢٤/٤٣٢) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٥٢) ، بحر العلوم (٣/٥٨٤) ،الكشف والبيان (١٠/٢١١) ، الوسيط (٤/٤٩٣) ، معالم التنزيل (٥/٢٥٨) ، زاد المسير (١٥٥٤) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٤٦) ، تفسير المراغي (١٠/٣٣٢) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٥) .

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٢٦) لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

ومجاهد[1]، والضحاك [2]، وقاله السعدي [3].

الجمع أو الترجيح :

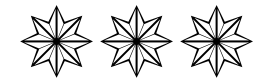
كـلا القـولين بمعـنى واحـد ، وجمهـور المفـسِّرين علـى أنَّ معـنى مؤصـدة أي: مطبقة مغلقة [4].

ومنه قول الشاعر [5]:

تحـنُّ إلى أجْبَـالِ مَكَّـةَ نَـاقَتِيْ   وَمِنْ دُوْنِهَـا أَبْـوَابُ صَـنْعَاءَ مُؤْصَـدَةَ

والمقـصود بيـان أنَّ النـار – أعاذنـا الله منـها – سـتكون مطبقـة مغلقـة علـى أهلها ، فلا ضوء فيها ولا فرْج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

والله أعلم ، ،



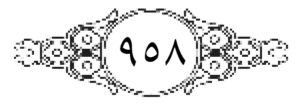
(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٢٦/٨) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٣/٢٤) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٩٢٥) .

(٤) انظر : الكشاف (١٢٠٤) ، المحرر الوجيز (١٩٨١) ، التفسير الكبير (١٧٤/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢٥/٢) ، أنوار التنزيل (٣١٤/٥) ، مدارك التنزيل (٨٠٩/٢) ، التسهيل (٣٨١/٤) ، البحر المحيط (٦٦٦/٨) ، إرشاد العقل السليم (٤٣٢/٦) ، فتح القدير (٥٥٧/٥) ، التحرير والتنوير (٣٦٣/٣٠) .

(٥) **البيت لم ينسب لقائل** . وهو من شواهد : الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢٥/٢) ، البحر المحيط (٦٦٦/٨) ، روح المعاني (٢٥٠/٣٠) ، فتح القدير (٥٥٧/٥) .



سورة الشمس

* في قول الله تعالى : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس : ٢] .

٢٥١- **قال عطاء الخراساني** : يعني القمر إذا تبع الشمس [(١)].

الدراسة :

* في هذه الآية يقسم الله تعالى بالقمر إذا تلا الشمس ، وأراد به هاهنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك أنه يقال : إنَّ القمر هو يقتبس النور من الشمس ، وهو لها بمنزلة الخليفة ، وقيل وعلى هذا نبَّه قوله : ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] والضياء أعلى مرتبة من النور ، إذ كان كل ضياء نوراً وليس كل نور ضياء [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : القمر إذا تبع الشمس ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، ومجاهد [(٥)]، وابن زيد [(٦)]، وجمهور المفسِّرين [(٧)].

وذلك يحصل في النِّصف الأول من الشَّهر ، إذا غربت الشمس تلاها القمر طالعاً .

---

(١) أخرجه عنه أبو الشيخ في العظمة (١٢٠٢/٤) بسنده قال : حدثنا إبراهيم حدثنا عبيد بن آدم حدثنا أبي عن ابن شيبة عن عطاء رحمه الله تعالى .. وذكر الأثر .. وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(٦٦١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٨٢) ، زاد المسير (١٥٥٥) .

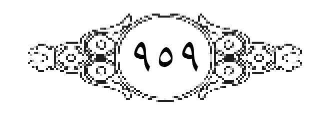
(٣) انظر : النكت والعيون (٢٨١/٦) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٥/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٣٦/١٠) برقم : (١٩٣٣٥) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٨/٨) عزوه للحاكم وصححه .

(٥) تفسير مجاهد (٣٣٩) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٥/٢٤) .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٣٦/٢٤) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرَّاء (٢٧١/٣) ، جامع البيان (٤٣٥/٢٤) ، بحر العلوم (٥٨٥/٣) ، الكشف والبيان (٢١٢/١٠) ، الوسيط (٤٩٤/٤) ، معالم التنزيل (٢٥٨/٥) ، الكشاف (١٢٠٥) ، المحرر الوجيز (١٩٨٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢٦/٢) ، أنوار التنزيل (٣١٥/٥)، مدارك التنزيل (٨١٠/٢) ، التسهيل (٣٨٢/٤) ، تفسير ابن كثير (٥٤٦/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٣٢/٦) ، روح المعاني (٢٥٣/٣٠) ، فتح القدير (٥٦١/٥) ، تفسير المراغي (٣٣٤/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٢٦) ، أضواء البيان (١٣٦/٩) .



قال ابن عطية ﵀ : (والقمر يتلو الشمس من أوَّل الشهر إلى نصفه في الغروب ؛ تغرُب هي ، ثمَّ يغرُب هو ، ويتلوها في النصف الآخر بنحو آخر ، وهي أن تغرُب هي فيطلع هو) (١).

القول الثاني : إذا تلا ليلة الهلال ، قاله قتادة (٢).

القول الثالث : تلاها حين استدار وكمل ، فكأنه يتلو الشمس في الضياء والنور يعني إذا كمل ضوؤه فصار كالقائم مقام الشمس في الإنارة ، وذلك في الليالي البيض ، قاله الزجاج (٣).

الجمع أو الترجيح :

الأقرب – والله أعلم – أنَّ الأقوال كلها صحيحة ، ويمكن حمل المعنى عليها ، فيقال : القمر يتلو الشمس في غالب ما ذكره المفسِّرون من أحوال ، فهو يتلو الشمس حين طلوعه عند غروب الشمس في النصف الأول من الشهر، ويتبعها في كثرة الضوء وانتشاره ، ويتبعها في أنّ الليل يأتي بعد النهار، ويتبعها في المنازل والنور ، وكون القمر يتلو الشمس فيه دلالة على سير الجميع ، وأنَّ الشمس سابقته وهو تاليها .

والقاعدة التفسيرية : أنَّه إذا احتمل اللَّفظ معاني عدة ، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها (٤).

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح في معنى الآية .

قال الطاهر ابن عاشور ﵀ : (والتلُوَّ : التبع وأريد به خَلَف ضوئه في الليل ضوءَ الشمس ، أي إذا ظهر بعد مغيبها فكأنه يتبعها في مكانها ، وهذا تلو مجازي . والقمر يتبع الشمس في أحوال كثيرة منها : استهلاله ، فالهلال يظهر للناظرين عقب غروب الشمس ثم يبقى كذلك ثلاث ليال ، وهو أيضاً يَتلو الشمس حين يقارب الابتدارَ ، وحين يصير بدراً فإذا صار بدراً صار تُلوّه الشمسَ حقيقة لأنه يظهر عندما تغرب الشمس ، وقريباً من غروبها قبله أو

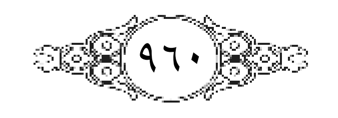
---

(١) المحرر الوجيز (١٩٨٢) .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٣١/٣) ، والطبري (٤٣٦/٢٤) .

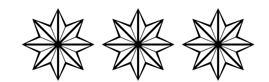
(٣) معاني القرآن للزجاج (٢٥٣/٥) .

(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢) .

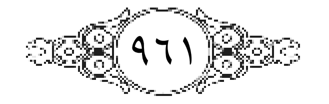


بعده ، وهـو أيـضاً يـضيء في أكثـر ليـالي الـشهر جعلـه الله عوضـاً عـن الـشمس في عـدة ليـال في الإِنـارة ، ولـذلك قُيِّـد القـسم بحـين تلـوه لأن تلـوه للـشمس حينئـذ تظهر منه مظاهر التلوُّ للنـاظرين ، فهـذا الزمـان مثـل زمـان الـضحى في القـسم بـه ، فكـان بمنزلـة قَـسَم بوقـت تُلـوه الـشمس ، فحـصل القـسم بـذات القمـر وبتلـوه الشمس) [1].

والله أعلم ،،



(١) التحرير والتنوير (٣٦٦/٣٠) .



سورة الضحى

* في قول الله تعالى : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى : ٢] .

٢٥٢- **قال عطاء الخراساني** : إذا سكن [١].

الدراسة :

* في هــذه الآيــة أقـسَم تعــالى بالليــل إذا ســجى وادلهمــت ظلمتــه ، علــى اعتناء الله برسوله ﷺ وأنه ما هجره ولا قلاه .

ومــن مناســبات القــسم بالليــل هنــا أنَّ الـضحى وقــت قيــام الـنبي ﷺ بــالقرآن، وهو الوقت الذي كان يَسمع فيـه المـشركون قراءتَـه مـن بيـوتهم القريبـة مـن بيتـه أو من المسجد الحرام [٢][٣].

الأقوال في الآية[٤] :

القول الأول : إذا سكن ، قاله عطاء الخراساني ، وهو بنحـو قـول الـضحاك [٥]،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٢٩٩) ، ص١٠٦ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٢٨) ، التحرير والتنوير (٣٠/٣٩٥) .

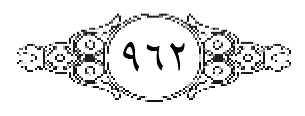
(٣) ومن المناسبات أيضاً التي ذكرها ابن القيم ﷺ بين القسم – أنَّ الله ما ودَّع رسوله وما هجره – ، والمقسَم به – الضحى والليل إذا سجى وسكن – ما يلي :

- مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل ؛ للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه ، حتى قال أعداؤه : ودَّع محمداً ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .
- أنَّ فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار ، وهو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة ، فهذان للحسِّ وهذان للعقل .
- أنَّ الذي اقتضت رحمته ألا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً ، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم ؛ لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغيّ ، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم .

فتأمَّل حسن ارتباط المقسم به بالمقسَم عليه ، وتأمَّل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ ، والجلالة التي على معانيها . ا..هـ . انظر : الضوء المنير على التفسير (٦/٣٩٥) .

(٤) انظر : الكشف والبيان (١٠/٢٢٣) ، النكت والعيون (٦/٢٩١) ، معالم التنزيل (٥/٢٦٦) ، زاد المسير (١٥٦١)، البحر المحيط (٨/٦٨٢) .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٨٣) .



وابن زيد [(١)]، وهو قول جمهور المفسِّرين [(٢)].

يقال : عين ساجية : فاترة الطرف ، وسجى البحر سجوا سكنت أمواجه ، ومنه استعير تسجية الميت أي تغطيته بالثوب [(٣)]، قال الراجز[(٤)]:

يَا حَبَّذَا القَمْرَاءُ واللَّيْلِ السَّاجِ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلاَءِ النَّسَّاجِ

القول الثاني : إذا سكَن الخلق فيه ، وهو قول قتادة [(٥)]، وبنحوه قول الحسن : إذا لبس الناس إذا جاء [(٦)].

القول الثالث : إذا أقبل ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [(٧)]، وسعيد بن جبير [(٨)].

القول الرابع : إذا استوى ، قاله مجاهد [(٩)].

القول الخامس : إذا أظلم وركد في طوله ، قاله الفرّاء [(١٠)]، والسعدي[(١١)]، والطاهر ابن عاشور [(١٢)].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٣/٢٤) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٥٨/٥) ، الوسيط (٥٠٧/٤) ، الكشاف (١٢٠٨) ، المحرر الوجيز (١٩٨٦)، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٣٤/٢) ، أنوار التنزيل (٣١٩/٥) ، مدارك التنزيل (٨١٤/٢) ، التسهيل (٣٨٨/٤) ، تفسير ابن كثير (٥٥٤/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٣٩/٦) ، روح المعاني (٢٧٧/٣٠) ، فتح القدير (٥٧٢/٥) ، تفسير المراغي (٣٤٤/١٠) ، تتمة أضواء البيان (١٥٤/٩) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٢٣١) .

(٤) **لم ينسب إلى قائل** . في كتاب العين (١٦١/٦) ، وغريب الحديث لابن قتيبة (١٨٩/٢) ، والخصائص (١١٥/٢) ، **ونسب** في لسان العرب (١٣٢/٧) مادة : سجا ، **للحارثي** . وهو من شواهد : الكشف والبيان (٢٢٣/١٠) ، جامع البيان (٤٨٤/٢٤) ، المحرر الوجيز (١٩٨٦) ، زاد المسير (١٥٦٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٣٤/٢) ، البحر المحيط (٦٨٢/٨) ، تتمة أضواء البيان (١٥٤/٩) .

(٥) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٣٥/٣) ، والطبري (٤٨٣/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤١/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٣٥/٣) ، والطبري (٤٨٢/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٢/٢٤) .

(٨) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٤٢/١٠) برقم : (١٩٣٧٢) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤١/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) تفسير مجاهد (٣٤٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٤٨٢/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٤٢/١٠) برقم : (١٩٣٧١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٤١/٨) عزوه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(١٠) معاني القرآن للفراء (٢٧٩/٣) .

(١١) تيسير الكريم الرحمن (٩٢٨) .

(١٢) التحرير والتنوير (٣٩٥/٣٠) .



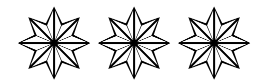
القول السادس : إذا ذهب ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما [1].

الجمع أو الترجيح :

المعاني متقاربة ، وهي تدور حول : سكن وأظلم وغطى ، وقول عطاء الخراساني هو الأقرب للاشتقاق الذي عليه جمهور المفسِّرين وأهل اللغة [2].

والقاعدة التفسيرية : أنَّ القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها [3].

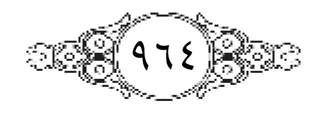
والله أعلم ،،



(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٤/٤٨٢) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٤٢) برقم : (١٩٣٧٣) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٥٤١) عزوه لابن المنذر ، وابن مردويه .

(٢) انظر : التفسير الكبير (٣١/١٩٤) ، التسهيل (٤/٣٨٨) ، فتح القدير (٥/٥٧٢) .

(٣) قواعد التفسير (١/٢٣٢) .



سورة القارعة

* في قوله : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة : ٥] .

٢٥٣- **قال عطاء الخراساني** : العهن : الصوف [(١)].

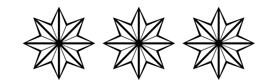
الدراسة :

* العهن هو الصوف كما قال عطاء الخراساني ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، والسدي [(٢)]، وقتادة[(٣)]، وعليه عامّة المفسِّرين [(٤)] .

وزاد جماعة من المفسِّرين وأهل اللغة أنه الصوف المصبوغ ألواناً ، وأنَّ تخصيص العهن لما فيه من اللون ، وعليه فيكون التشبيه به ملائماً لمناسبته مع اختلاف ألوان الجبال لأنَّ منها بيضاء ، وحمراء ، وسوداء ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ [فاطر : ٢٧] [(٥)].

وعليه فقول عطاء الخراساني قول صحيح ، وهو الذي عليه الإجماع .

والله أعلم ، ،



---

(١) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٥٧٧/٤) ، والحكمي في معارج القبول (٧٨٧/٢) .

(٢) ذكره عنهم ابن كثير في تفسيره (٥٧٧/٤) .

(٣) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٥٤/٣) ، والطبري (٥٩٤/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٠٥/٨) عزوه لعبد بن حميد .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٧١/٥) ، بحر العلوم (٦١١/٣) ، الوسيط (٥٤٦/٤) ، معالم التنزيل (٢٩٧/٥) ، زاد المسير (١٤٧٢) ، التسهيل (٤١٣/٤) ، البحر المحيط (٧١٨/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٧٧/٤) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٣) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (٢٩٧/٣) ، الكشف والبيان (٢٧٤/١٠) ، المفردات في غريب القرآن (٣٥٤) ، الكشاف (١٢١٨) ، المحرر الوجيز (٢٠٠١) ، التفسير الكبير (٦٨/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٦٦/٢) ، أنوار التنزيل (٣٣٣/٥) ، مدارك التنزيل (٨٢٨/٢) ، إرشاد العقل السليم (٤٦٤/٦) ، روح المعاني (٣٩٦/٣٠) ، فتح القدير (٦١٣/٥) ، تفسير المراغي (٣٧٥/١٠) ، التحرير والتنوير (٥١٢/٣٠) .

سورة التكاثر

* في قول الله تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر : ١].

٢٥٤- **قال عطاء الخراساني** : في الأموال والأولاد [(١)].

الدراسة :

* في هذه السورة ينكر الله على عباده اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له ، ومعرفته ، والإنابة إليه ، وتقديم محبته على كل شيء ، ولم يذكر المتكاثر به ، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون ، والتكاثر : هو التباري في كثرة الأشياء [(٢)].

الأقوال في الآية[(٣)] :

القول الأول : التكاثر في الأموال والأولاد ، قاله عطاء الخراساني ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٤)]، والحسن [(٥)]، والزجاج [(٦)]، واختاره جماعة من المفسِّرين [(٧)].

القول الثاني : التفاخر بكثرة العدد ، قاله قتادة [(٨)].

القول الثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك [(٩)].

الجمع أو الترجيح :

الغالب في التكاثر والتفاخر بين الناس أنهم يتفاخروا بأموالهم وأولادهم ، ومن

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٥) ، ص١٠٧ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص(١٧١) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٢٨) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٣) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٦/٣٣٠) ، زاد المسير (١٥٨٣) .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٦١١) لابن المنذر .

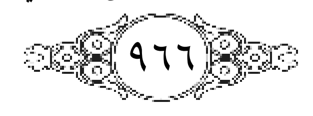
(٥) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٣٣٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٨٣) .

(٦) معاني القرآن للزجاج (٥/٢٧٣) .

(٧) انظر : الكشف والبيان (١٠/٢٧٦) ، الوسيط (٤/٥٤٨) ، معالم التنزيل (٥/٢٩٨) ، التسهيل (٤/٤١٤) ، تفسير ابن كثير (٥٧٨) ، فتح القدير (٥/٦١٥) .

(٨) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٣/٤٥٦) ، والطبري (٢٤/٥٩٨) ، وابن أبي حاتم (١٠/٣٤٦٠) برقم : (١٩٤٥٦) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٦١٠) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون (٦/٣٣٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٨٣) .



ذلك ما كان من حال المشركين حين قالوا : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سبأ : ٣٥] .

وكقوله تعالى محذِّراً من الاغترار بالدنيا ، والانغماس فيها : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

ويشهد لذلك أيضاً حديث عبد الله بن الشخِّير ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قَالَ : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي قَالَ : وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ » [(١)].

قال الطبري ﷺ معلِّقاً : (وقوله ﷺ بعقب قراءته ﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾ : « ليس لك من مالك إلا كذا وكذا » ، ينبئ أنَّ معنى ذلك عنده : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ : المال) [(٢)].

ويشهد له أيضاً حديث أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ أَنَّ لابنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ ، وَلَنْ يَملأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» [(٣)].

قَالَ أَنَسٍ عَنْ أُبَيٍّ قَالَ : كُنَّا نَرَى هَذَا مِنْ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾[(٤)].

ثمَّ تأتي الأمور الأخرى تبعاً للمال والولد .

وفي ذلك يقول الشاعر [(٥)]:

ولَسْتُ بالأكثرَ مِنهُمْ حَصَى ... وَإِنَّمَا العِزَّةُ للكَاثِرِ

وبناءً على ما سبق فقول عطاء الخراساني قول صحيح في معنى الآية .

ولكنَّ الأقرب – والله أعلم – أنَّ التكاثر هنا عام يشمل كل شيء يلهي ؛ من

---

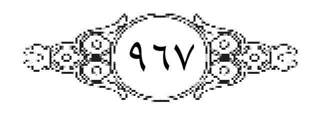
(١) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٢٩٥٨) في كتاب الزهد والرقائق .

(٢) جامع البيان (٦٠٠/٢٤) .

(٣) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٦٤٣٩) في كتاب الرقاق ، باب ما يتقى من فتنة المال . وأخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (١٠٤٨) في كتاب الزكاة ، باب لو أنَّ لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً . وأخرجاه بطرق أخرى دون كلام أبيّ وقد علّقه البخاري في موضعه .

(٤) أخرجه **البخاري** معلقاً بعد الحديث السابق رقم : (٦٤٣٩) في كتاب الرقاق .

(٥) **البيت للأعشى** . وانظر ديوانه ص(١٠٦) .



الأموال والأولاد، والأعداد وغيرها .

وجمهور العلماء على إطلاق المعنى وشموله لذلك كلِّه [(١)].

فإنَّ الله سبحانه لم يبيِّن في الآية نوع هذا التكاثر ، من أجل أن يبقى النصّ طليقاً فيشمل كلّ ما فيه تجاوز للحدّ المعتدل في أمور لا ينبغي التكثّر منها ، ولا الإسراف والمبالغة فيها، سواء كانت أموراً مباحة أو ليست مباحة ، وسواء كان هذا التكاثر بمقارنة الإنسان حاله مع الآخرين ومحاولة الاستكثار عمَّا في أيديهم ، أو كان مع نفسه بطلب الزيادة عما يجب ، والاستكثار بأكبر قدر ممكن من أمور الحياة الدنيا ومتعها .

قال الرازي ﷺ : (ويدخل فيه التكاثر بالعدد وبالمال والجاه والأقرباء والأنصار والجيش ، وبالجملة فيدخل فيه التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها ... إلى أن قال : فثبت أن مطلق التكاثر ليس بمذموم ، بل التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الحميدة ، هو المحمود ، وهو أصل الخيرات ، فالألف واللام في التكاثر ليسا للاستغراق ، بل للمعهود السابق ، وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها ، فإنه هو الذي يمنع عن طاعة الله تعالى وعبوديته ، ولما كان ذلك مقرراً في العقول ومتفقاً عليه في الأديان لا جرم ؛ حَسُن إدخال حرف التعريف عليه) [(٢)].

والقاعدة التفسيرية : أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص [(٣)].

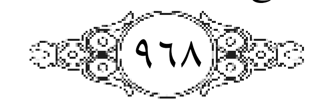
قال الشوكاني ﷺ : (وفي الآية دليل على أن الاشتغال بالدنيا ، والمكاثرة بها ، والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة ، وقال سبحانه : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ولم يقل عن كذا ، بل أطلقه؛ لأن الإطلاق أبلغ في الذمّ ؛ لأنه يذهب الوهم فيه كلّ مذهب ، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام ، ولأنَّ حذف المتعلق مشعرٌ بالتعميم ، كما تقرّر في علم البيان ؛ والمعنى أنه شغلكم التكاثر عن كلّ شيء يجب عليكم الاشتغال به من

---

(١) انظر : بحر العلوم (٦١٣/٣) ، الكشاف (١٢١٨) ، المحرر الوجيز (٢٠٠١) ، التفسير الكبير (٧١/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٦٧/٢) ، أنوار التنزيل (٣٣٤/٥) ، مدارك التنزيل (٨٢٩/٢) ، البحر المحيط (٧٢١/٨) ، إرشاد العقل السليم (٤٦٦/٦) ، روح المعاني (٤٠١/٣٠) ، تفسير المراغي (٣٧٧/١٠) ، التحرير والتنوير (٥١٩/٣٠) .

(٢) التفسير الكبير (٧١/٣٢) .

(٣) قواعد التفسير (٥٩٩/٢) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٥٢٧/٢) .



طاعة الله ، والعمل للآخرة)[1].

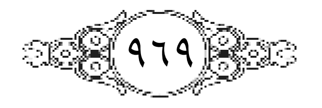
وقد ورد في التفاخر بالجميع آيات عديدة منها : قوله تعالى : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

ولأنَّ الحياة الدنيا بهذه المثابة جاء التحذير منها ومن الافتتان بها في نحو قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون : ٩] .

والله أعلم ، ،

✳ ✳ ✳

(١) فتح القدير (٥/٦١٦) .



سورة الهمزة

* في قول الله تعالى : ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٩].

٢٥٥- **قال عطاء الخراساني** : يعني عمداً من نار ممددة عليهم [١].

الدراسة :

* في هذه الآية يبين الله أنَّ من عذاب أهل النار أنَّ لهم عمد من خلف الأبواب ممددة عليهم لئلا يخرجوا منها ، ومثله قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [السجدة : ٢٠] ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العفو والعافية[٢].

❖ القراءات في الآية [٣] :

* قرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وشعبة ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف: ﴿ في عُمُد ممدّة ﴾ بضمِّ العين والميم .

* وقرأ الباقون بالفتح .

والعرب تجمع العمود عُمُداً ، وعَمَداً ، بضمِّ الحرفين وفتحهما ، وعليه فمعناهما واحد .

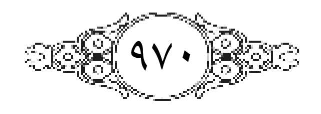
وكلاهما قراءتان صحيحتان ، بأيهما قرأ القارئ فمصيب [٤]، وبناءً على الاختلاف في القراءة فقد اختلفت الأقوال في المعنى .

الأقوال في الآية[٥] :

<u>القول الأول</u> : يعني عمداً من نار ممددة عليهم ، قاله عطاء الخراساني ،

---

(١) ذكره عنه النحاس في إعراب القرآن (٥/٢٩٠) .
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٣٤) .
(٣) انظر : المبسوط (٤١٧) ، البدور الزاهرة (٢/٤٥٢) .
(٤) انظر : جامع البيان (٢٤/٦٢٤) .
(٥) انظر : بحر العلوم (٣/٦١٧) ، الكشف والبيان (١٠/٢٨٧) ، النكت والعيون (٦/٣٣٧) ، معالم التنزيل (٥/٣٠٤) ، المحرر الوجيز (٢٠٠٤) ، زاد المسير (١٥٨٨) ، التفسير الكبير (٣٢/٨٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٧٥) ، التسهيل (٤/٤١٩) ، البحر المحيط (٨/٧٢٨) ، تفسير ابن كثير (٤/٥٨٣) ، فتح القدير (٦٢٤) .



وابن زيد [١]، وهو بنحو قول ابن عباس ﷺ [٢]، والسدِّي [٣]، والفرَّاء [٤]، والزجاج [٥]، قالوا : عمداً من نار .

القول الثاني : عَمَد يعذّبون بها في النار ، قاله قتادة [٦].

القول الثالث : مغلقة مطبقة عليهم ، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ إنها عَلَيْهِم مؤْصَدَة بعَمَد ممدَّدَة ﴾ [٧].

القول الرابع : يعني أدخلهم في عمد ، فمدَّت عليهم بعماد ، وفي أعناقهم السلاسل ، فسدَّت بها الأبواب ، قاله ابن عباس ﷺ [٨]، وبمعناه قال جماعة من المفسِّرين : يؤكد يأسهم من الخروج ، في عمد مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص ، وتمدد العمد على الأبواب استيثاقاً في استيثاق [٩].

القول الخامس : العمد : هي القيود الطوال ، قاله أبو صالح [١٠]، والسدي على القراءة الثانية [١١].

القول السادس : العمد : الأبواب ، قاله ابن عباس ﷺ [١٢].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٢٥/٢٤) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٢٥/٨) لعبد بن حميد ، وابن جرير – ولم أقف عليه – ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦٤/١٠) برقم : (١٩٤٨٠) .

(٤) معاني القرآن (٣٠٢/٣) .

(٥) معاني القرآن (٢٧٧/٥) .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٥٩/٣) بلفظ : عمد يقذفون بها في النار ، والطبري (٦٢٥/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٥/٨) عزوه لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٢٤/٢٤) .

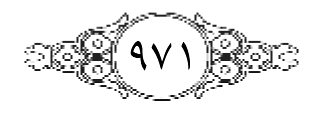
(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٢٥/٢٤) .

(٩) انظر : الكشاف (١٢٢١) ، التفسير الكبير (٨٨/٣٢) ، أنوار التنزيل (٣٣٨/٥) ، مدارك التنزيل (٨٣٠/٢)، إرشاد العقل السليم (٤٧٠/٦) ، روح المعاني (٤١٧/٣٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٤) ، التحرير والتنوير (٥٤٢/٣٠) .

(١٠) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦٤/١٠) برقم : (١٩٤٧٨) .

(١١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦٤/١٠) برقم : (١٩٤٨٠) بلفظ : ومن قرأها : عَمَد فهو حبل ممدود .

(١٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٦٤/١٠) برقم : (١٩٤٧٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٢٥/٨) عزوه لابن المنذر .



القول السابع : عمد من حديد في النار ، وهذا قول عطية[١].

القول الثامن : القصبة المجوَّفة تضيق عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفرقان : ١٣] قاله الشنقيطي [٢].

الجمع أو الترجيح :

أقرب الأقوال للصواب – والله أعلم – القول الثاني ، أنَّها عَمَد يُعذَّب بها أهل النار في النار ، ولا نعلم تفصيل هذا العذاب – أجارنا الله منه – والمقصود بيان شدَّة إطباق النار عليهم ، وتيئيسهم من الخروج منها ، وهذا هو المعنى الذي دلَّ الدليل عليه دون الخوض في أمور غيبية لا دليل عليها .

قال الطبري ﵀ : (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال معناه : أنهم يعذَّبون بعمد في النار ، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها ، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها ، ولا وضع لنا عليها دليل فندرِك به صفة ذلك ، فلا قول فيه غير الذي قلنا يصحُّ عندنا ، والله أعلم) [٣].

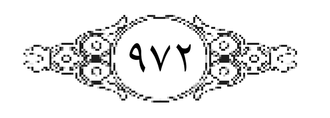
وقال المراغي ﵀ : (والمراد بذلك تصوير شدَّة إطباق النَّار على هؤلاء وإحكامها عليهم ، والمبالغة في ذلك ، ليودع في قلوبهم اليأس من الخلاص منها . وعلينا أن نؤمن بذلك ، ولا نبحث عن كون العمد من نار أو حديد ، ولا في أنها تمتدّ طولاً أو عرضاً ، ولا في أنها مشبهة لعمد الدنيا ، بل نكل أمر ذلك إلى الله ، لأنَّ شأن الآخرة غير شأن الدنيا ، ولم يأتنا خبر من الرسول ﷺ يبيِّن ذلك ، فالكلام فيه قول بلا علم ، وافتراء على الله الكذب) [٤].

والقاعدة التفسيرية : التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب ، وما سواهما فباطل [٥].

والقاعدة الأخرى : لا يصحُّ حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٦٢٥) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .
(٢) أضواء البيان (٩/٢٨٣) .
(٣) جامع البيان (٢٤/٦٢٦) .
(٤) تفسير المراغي (١٠/٣٨٥) .
(٥) قواعد التفسير (١/١٠٦) .



غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة [1].

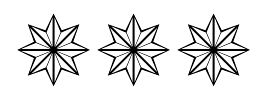
وعليه فقول عطاء الخراساني في معنى الآية أنها عمداً من نار قول لا دليل عليه .

قال ابن عاشور ﷺ : (وقوله : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ حال : إما من ضمير ﴿عَلَيْهِم﴾ أي في حال كونهم في عَمَد ، أي موثوقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجليه في فَلْقَة ذاتِ ثَقب يدخل في رجله أو في عنقه كالقرام ، وإمّا حال من ضمير ﴿إِنَّهَا﴾، أي أنَّ النار الموقدة في عمَد ، أي متوسطة عَمداً كما تكون نار الشواء إذ توضع عَمَد وتجعل النار تحتها تمثيلاً لأهلها بالشواء ...

والممدَّدة : المجعولة طويلة جدّاً ، وهو اسم مفعول من مدَّده ، إذا بالغ في مده ، أي الزيادة فيه .

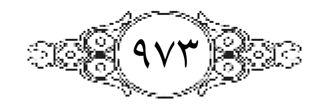
وكلُّ هذه الأوصاف تقوية لتمثيل شدة الإِغلاظ عليهم بأقصى ما يبلغه متعارف الناس من الأحوال) [2].

والله أعلم ، ،



(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٢٥) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٥٤١-٥٤٢) .



سورة الكوثر

الموضع الأول :

* في قول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر : ١].

٢٥٦- **قال عطاء الخراساني** : حوض محمد ﷺ الذي في الجنة [(١)].

الدراسة :

* هــذه أقــصر ســورة في القــرآن ؛ ســورة الكــوثر ، افتــتح الله الكــلام فيهــا

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٠) ، ص١٠٦ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) ، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٨٥/٢٤) بسنده قال : حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مطر ، عن عطاء قال : حوض في الجنة أُعطيه رسول الله ﷺ .

ودراسة الإسناد :

أبو كُرَيب هو : محمد بن العلاء بن كريب الهمداني ، أبو كريب الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة حافظ ، روى عن : هشيم ، وابن المبارك ، وروى عنه : الجماعة ، والسراج ، وابن خزيمة ، قال بن عقدة : ظهر بالكوفة له ثلاثمائة ألف حديث ، هو أسن من أحمد بثلاث سنين ، من العاشرة ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وهو ابن سبع وثمانين سنة . انظر : الكاشف (٢٠٨/٢) ، تقريب التهذيب (٥٠٠) .

وكيع : **هو** وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤاسي ، أبو سفيان الكوفي ، ثقة حافظ عابد ، أحد الأعلام ، روى عن : الأعمش ، وهشام بن عروة ، وروى عنه : أحمد ، وإسحاق ، وإبراهيم بن عبد الله القصار ، قال أحمد : ما رأيت أوعى للعلم منه ، ولا أحفظ ا.هـ ، من كبار التاسعة ، مات بفيد يوم عاشوراء ، سنة سبع وتسعين ومائة ، وله سبعون سنة . انظر : الكاشف (٣٥٠/٢) ، تقريب التهذيب (٥٨١) .

مطر : **هو** مطر الوراق ، قال أحمد بن حنبل : "هو في عطاء ضعيف" ، وسبقت دراسته في الباب الأول .

- ورواه أيضاً بسند آخر فقال : حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال: ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مطر ، قال: سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال: حوض أُعطيه رسول الله ﷺ . وهو وإن لم يذكر عطاء الخراساني فإنه رواه عن مطر الوراق وهو من تلاميذ عطاء . **ودراسة الإسناد** :

أحمد بن أبي سريج : **هو** أحمد بن الصباح النهشلي ، أبو جعفر بن أبي سريج النهشلي الرازي المقرئ ، ثقة حافظ له غرائب ، روى عن : ابن علية ، والقطان ، وقرأ على الكسائي ، وروى عنه : البخاري ، وأبو داود، والنسائي ، وابن أبي داود ، وخلق ، من العاشرة مات بعد سنة أربعين ومائتين . انظر : الكاشف (١٩٦/١) ، تقريب التهذيب (٨٠) .

وأبو نعيم : **هو** الفضل بن دكين الكوفي ، واسم دكين : عمرو بن حماد بن زهير التيمي ، مولاهم الأحول، الحافظ أبو نعيم المُلائي ، مشهور بكنيته ، ثقة ثبت من التاسعة ، روى عن الأعمش ، وزكريا بن أبي زائدة، وأمم ، وروى عنه البخاري ، وأبو زرعة ، وأمم ، مات في سلخ شعبان بالكوفة ، سنة ثماني عشرة وقيل تسع عشرة ومائتين ، وكان مولده سنة ثلاثين وهو من كبار شيوخ البخاري . انظر : الكاشف (١٢٢/٢) ، تقريب التهذيب (٤٤٦) .

وكلا الروايتين عند الطبري من طريق مطر الوراق ، والأثر بهذا الإسناد **حسن** عن عطاء الخراساني .



بحـرف التأكيـد للاهتمـام بـالخبر ، والإشـعار بأنـه شـيء عظـيم يـستتبع الإشـعار بتنويـه شـأن الـنبي ﷺ ، والكـلام فيهـا مَـسُوق مَـسَاق البـشارة وإنـشاء العطـاء ، لا مساق الإخبار بعطاء سابق ، وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم [(١)].

ثمَّ إنَّه عبَّر بالماضي وأراد الاستقبال لإفادة تحقق الوقوع .

الأقوال في الآية[(٢)] :

القـول الأول : أنـه حـوض الـنبي ﷺ الـذي في الجنـة ، قالـه عطـاء الخراسـاني، ورجَّحه ابن جزي [(٣)].

القـول الثـاني : أنـه نهـر في الجنـة ، وهـذا قـول عائـشة ، وابـن عبـاس [(٤)]، وحذيفــة [(٥)]، وابــن عمــر [(٦)]، وأنــس [(٧)]،وأبــو العاليــة [(٨)]، ومجاهــد [(٩)]، والــضحاك [(١٠)]، واختــاره الطــبري[(١١)]، وأبــو حيَّــان [(١٢)]، والألوســي [(١٣)]، والشوكاني[(١٤)].

ويشهد لهذا القول من السنة ما يلي :

عن أَنَـسَ بْـنَ مَالِـك ﷺ قَـالَ : لَمَّـا عُـرِجَ بِـالنَّبِيِّ ﷺ إِلَـى الـسَّمَاءِ قَـالَ : « أَتَيْـتُ عَلَـى نَهَـرٍ حَافَتَـاهُ قِبَـابُ اللُّؤْلُـؤِ مُجَوَّفًـا فَقُلْـتُ : مَـا هَـذَا يَـا جِبْرِيـلُ ؟ » قَـالَ : هَـذَا

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (٥٧٢/٣٠) .

(٢) انظر : الكشف والبيان (٣٠٨/١٠-٣١٠) ، النكت والعيون (٣٥٤/٦-٣٥٥) ، الوسيط (٥٦١/٤) ، معالم التنزيل (٣١٣/٥) ، زاد المسير (١٥٩٦) ، التفسير الكبير (١١٠/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٨٩/٢)، تفسير ابن كثير (٥٩٢/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٧٧/٦) .

(٣) التسهيل (٤٢٦/٤) .

(٤) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٦٨٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٨/٨) عزوه لابن مردويه.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٤٩/٨) للطبراني في الأوسط .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٧٩/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٦٦/٣) ، والطبري (٦٨٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٨/٨) عزوه لابن مردويه .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨١/٢٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨١/٢٤) .

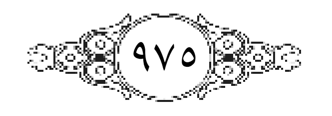
(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٤٩/٨) لابن المنذر .

(١١) جامع البيان (٦٨٥/٢٤) .

(١٢) البحر المحيط (٧٤١/٨) .

(١٣) روح المعاني (٤٤١/٣٠) .

(١٤) فتح القدير (٦٣٧/٥) .



الْكَوْثَرُ [1].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّها سئلت عَنْ قَوْلِه تَعَالَى : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قَالَتْ : نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ ؛ شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ [2].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا ، فَقُلْنَا : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : « أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ : بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ (٣)﴾ » ثُمَّ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، فَيُخْتَلَجُ [3] الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ : رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ» [4].

القول الثالث : أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله نبيه ﷺ فيدخل فيه النَّهر الذي في الجنة وغيره ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما [5]، وسعيد بن جبير [6]، ومجاهد [7]، وعكرمة [8]، وقتادة [9]، ....

(١) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٩٦٤) في كتاب تفسير القرآن ، وأخرجه برقم : (٦٥٨١) في كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، وبرقم : (٧٥١٧) في كتاب التوحيد ، باب قوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ .

(٢) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٤٩٦٥) في كتاب تفسير القرآن .

(٣) **يختلج** = من الخلْج وهو الجذب ، واختلجه إذا جبذه وانتزعه . انظر : لسان العرب (١٢١/٥) مادة : خلج .

(٤) **صحيح** . أخرجه **مسلم** في صحيحه برقم : (٤٠٠) في كتاب الصلاة ، باب حجَّة من قال : البسملة آية من أول كل سورة .

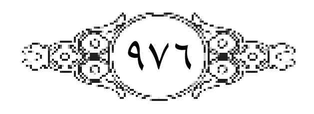
(٥) تفسير مجاهد (٣٦٠) ، وأخرجه عنه البخاري في صحيحه برقم : (٤٩٦٦) في كتاب تفسير القرآن ، وأخرجه برقم : (٦٥٧٨) في كتاب الرقاق ، باب في الحوض . وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨٢/٢٤)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٩/٨) عزوه للحاكم .

(٦) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨٢/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٨/٨) عزوه لابن أبي شيبة، وأحمد ، والترمذي وصححه ، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(٧) تفسير مجاهد (٣٦١) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨٤/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٤٨/٨) عزوه لابن مردويه ، وعزاه لابن عساكر (٦٥٠/٨) بلفظ : خير الدنيا والآخرة .

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨٣/٢٤) ولفظه : هو النبوة والخير الذي أعطاه الله إياه ، وفي لفظ : الخير الكثير والقرآن والحكمة ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم (٣٤٧٠/١٠) برقم : (١٩٥٠٩) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٠/٨) عزوه لهناد ، وابن عساكر .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٨٤/٢٤) .



واختاره الزجَّاج [1]، وابن عطية [2]، والرازي [3]، والبيضاوي [4]، والمراغي [5]، والسعدي [6]، وابن عاشور[7]، والشنقيطي[8].

وقد اقتصر جماعة من المفسِّرين على ذكر القولين الثاني والثالث بياناً أنهما الراجحان فقط [9]، ورجَّح القرطبي القول الأول والثاني [10]، وهذه الأقوال الثلاث هي أشهر الأقوال في معنى الكوثر ، والأقوال كثيرة أخرى كمن قال الكوثر : القرآن ، أو الإسلام ، أو كثرة الأمة ، أو رفعة الذِّكر ، وغير ذلك ، ذكرها الماوردي وغيره [11]، فاكتفيت هنا بما يجمعها فقط .

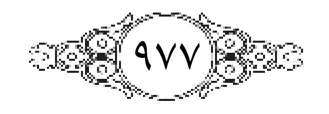
الجمع أو الترجيح :

الرَّاجح – والله أعلم – هو القول الثالث ، أنَّ الكوثر مأخوذ في اللغة من المبالغة في الكثرة ، ولم تأت في اللغة على هذا الوزن سوى صفات يسيرة قليلة .

فالأقرب في معنى الكوثر هو ما قاله ابن عبَّاس وغيره : الخير الكثير ، فيدخل فيه النَّهر ، والحوض ، والقرآن ، والنبوة ، والإسلام ، وكثرة أتباعه، وكثرة ذريته ، وكثرة العلماء من بعده الذين هم ورثته وفي هذا ردّ على أعدائه الذين عيَّروه بأنه أبتر أي لا ولد له .

كذلك يدخل في الكوثر أنْ رفع الله ذكره ﷺ ، وخلَّد اسمه ، وأعطاه من خيري الدنيا والآخرة ، وأعطاه من ألوان العلوم وأصنافها ، وأعطيت أمته

(١) معاني القرآن (٥/٢٨٤) .
(٢) المحرر الوجيز (٢٠٠٧) .
(٣) التفسير الكبير (٣٢/١١١) .
(٤) أنوار التنزيل (٥/٣٤٢) .
(٥) تفسير المراغي (١٠/٣٩٥) .
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٩٣٥) .
(٧) التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٣) .
(٨) أضواء البيان (٩/٣٠٨) .
(٩) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٣٠٩) ، المفردات في غريب القرآن (٤٢٨) ، بحر العلوم (٣/٦٢٧) ، الكشاف (١٢٢٤) ، مدارك التنزيل (٢/٨٣٦) .
(١٠) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٨٩) .
(١١) انظر : النكت والعيون (٦/٣٥٥) .



علماً وعدداً وأموالاً وثروات هائلة ، إلى غير ذلك من ألوان الخير الكثير .

ويحمل ما ذكره المفسِّرون من معاني الكوثر كلها أنها من باب التمثيل والبيان لشيء من الكوثر ، حتى ما ثبت عن النبي ﷺ من أنه نَّهر في الجنة .

ولئن كان المفسِّرون كتبوا في ذلك كثيراً واختلفت أقوالهم عن معنى الكوثر ، فكلُّ ما ذكروه داخل في الكوثر ، وما عند الله لنبيه ﷺ فوق ما ظنوا وفوق ما كتبوا ، لأنَّ المعطي : هو الله تعالى ، والمعطى : محمد ﷺ ، وهذا العطاء موصوف بالكثرة ، فكيف يمكن أن يكون !! فهو أمر لا يخطر على البال .. والله يقول : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] .

والعربُ تسمِّي كلَّ شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثراً ، وقيل لعجوز رجع ابنها من السفر : بمَ آب ابنك ؟ قالت : بكوثر (١).

قال ابن عطية رحمه الله : (كوثر : بناء مبالغة من الكثرة ، ولا مجال أن الذي أعطى الله محمداً عليه السلام من النبوة والحكمة العلم بربه والفوز برضوانه والشرف على عباده هو أكثر الأشياء وأعظمها كأنه يقول في هذه الآية : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ﴾ الحظ الأعظم ، قال سعيد بن جبير : النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله إياه ، فنعم ما ذهب إليه ابن عباس ، ونعم ما تمم ابن جبير رضي الله عنهم ، وأمْر النهر ثابت في الآثار في حديث الإسراء وغيره ، صلى الله على محمد ، ونفعنا بما منحنا من الهداية) (٢).

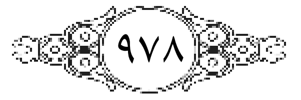
والقاعدة التفسيرية : أنه إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيَّداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه (٣).

وقول عطاء الخراساني في معنى الكوثر أنه الحوض لا تنافي بينه وبين القول الراجح ؛ لأنَّ الحوض من الخير الكثير الذي أعطيه النبي ﷺ .

قال الزجاج رحمه الله : (جاء في تفسير الكوثر : نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، حافَّتاه قباب الدر ، مجوَّف ، وجاء في التفسير

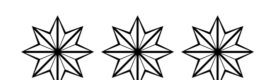
---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٨٨) .
(٢) المحرر الوجيز (٢٠٠٧) .
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .

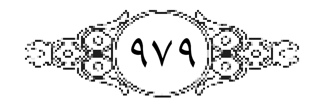


أيضاً : أنَّ الكوثر : الإسلام والنبوة ، وقال أهل اللغة : الكوثر فوْعَل من الكثرة ، ومعناه : الخير الكثير ، وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي ﷺ ؛ قد أعطي الإسلام والنبوة وإظهار الدين الذي أتى به على كلِّ دين ، والنصر على عدوه ، والشفاعة ، وما لا يحصى مما أعطيه ، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة) [1].

والله أعلم ،،



(١) معاني القرآن (٥/٢٨٤) .



الموضع الثاني :

* وفي قول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر : ٢] .

٢٥٧- **قال عطاء الخراساني** : ابدأ فصلِّ ثمَّ انحر [(١)].

وقال : يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها [(٢)].

٢٥٨- **وقال** : ﴿وَٱنْحَرْ﴾ أي : ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل ، وأبرِز نحرك، يعني به الاعتدال [(٣)].

وفي لفظ : إذا صليت فرفعت رأسك من الركوع فاستوِ قائماً [(٤)].

الدراسة :

* بعد أن امتنَّ الله على نبيه محمد ﷺ بالكوثر في الآية السابقة ، أمره بشكر هذه النعمة ، وخصَّ هاتين العبادتين بالذكر ، لأنهما من أفضل العبادات وأجلِّ القربات ، فالصلاة تتضمن خضوع القلب والجوارح لله ، والنحر فيه تقرب إلى الله بإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشحِّ به ، وناسب أن يكون الشكر بالازدياد مما عاداه عليه المشركون وغيرهم ممن قالوا مقالتهم الشنعاء : إنه أبتر ، فإن الصلاة لله شكر له وإغاظة للذين ينهونه عن الصلاة ، لأنهم إنما نهَوْه عن الصلاة التي هي لوجه الله دون العبادة لأصنامهم، وكذلك النحر لله ، وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النبي ﷺ وتقريبه ، وفيه تعريض بأنه يربُّه ويرأف به [(٥)].

الأقوال في الآية[(٦)] :

القول الأول : ابدأ فصلِّ ، ثمَّ انحر البُدْن ونحوها ، قاله عطاء الخراساني،

---

(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٠٤) ، ص١٠٧ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤/٥٩٤) .

(٣) ذكره عنه ابن كثير (٤/٥٩٥) ، وعزاه لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٦٥١) لابن أبي حاتم أيضاً بهذا اللفظ – ولم أقف عليه – .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٩٣٥) ، التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤) .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء (٣/٣٠٩) ، معاني القرآن للزجاج (٥/٢٨٤) ، بحر العلوم (٣/٦٢٧) ، الكشف والبيان (١٠/٣١٠) ، النكت والعيون (٦/٣٥٥) ، الوسيط (٤/٥٦٢) ، معالم التنزيل (٥/٣١٦) ، زاد المسير (١٥٩٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٣٨٩-٣٣٩٠) ، التسهيل (٤/٤٢٧) .

وهو قول ابن عباس ﷺ، والحسن ، وابن زيد [١].

وخصص ابن عباس ﷺ[٢]، وابن جبير [٣]، ومجاهد [٤]، وعكرمة[٥]، وعطاء بن أبي رباح[٦]، والحكَم [٧]الصلاة بالصلاة بالمكتوبة .

وخصصها غيرهم بصلاة العيد ، وهو قول أنس بن مالك ﷺ ، والربيع[٨]، وعطاء بن أبي رباح[٩]، وقتادة [١٠].

القول الثاني : ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل ، وأبرز نحرك ، يعني به الاعتدال ، وهذا قول ثانٍ لعطاء الخراساني .

القول الثالث : معناه أنْ يضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ، ثمَّ يضعهما على نحره في الصلاة ، قاله ابن عباس [١١]، وعليّ [١٢]، وأنس بن مالك [١٣] ﷺ ، وهو قول الشعبي ، وأبو القموص [١٤][١٥].

---

(١) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٦٩٤/٢٤-٦٩٥) .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٣/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) عزوه لابن المنذر .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٢/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٧٠/١٠) برقم : (١٩٥١٣) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٢/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٧٠/١٠) برقم : (١٩٥١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) عزوه للصنعاني – ولم أقف عليه - ، وابن المنذر .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٣/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) عزوه للصنعاني – ولم أقف عليه - ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - .

(٦) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٦٧/٣) ، والطبري (٦٩٢/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٧٠/١٠) برقم : (١٩٥١١) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) عزوه لابن المنذر .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٣/٢٤) .

(٨) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٦٩٣/٢٤) .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٤/٢٤) ، وابن أبي حاتم (٣٤٧٠/١٠) برقم : (١٩٥١٢) .

(١٠) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٦٦/٣-٤٦٧) ، والطبري (٦٩٤/٢٤) .

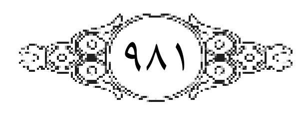
(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥٠/٨-٦٥١) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - ، وابن شاهين في السنَّة ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(١٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٦٧/٣) ، والطبري (٦٩٠/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٠/٨) عزوه لابن أبي شيبة في المصنَّف ، والبخاري في تاريخه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه - ، والدارقطني في الأفراد ، وأبو الشيخ ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه . وقال عنه ابن كثير (٥٩٤/٤) : ويروى هذا عن علي ولا يصح .

(١٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥٠/٨) لأبي الشيخ ، والبيهقي في سننه .

(١٤) **أبو القَمُوص** = زيد بن علي ، أبو القَمُوص العبدي ، كوفي تابعي ثقة ، روى عن طلحة بن عبيد الله ، وابن عباس ، وطلحة بن عمرو البصري ، وقيس بن النعمان ، وروى عنه : عوف ، وحفص بن خالد ، وقتادة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وروى له أبو داود حديثاً واحداً في النهي عن الدباء والحنتم ، كان قليل الحديث. انظر : تهذيب التهذيب (٣٦٣/٣) .

(١٥) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٦٩١/٢٤) .



القول الرابع : أن يرفع يديه أوَّل ما يكبِّر في الافتتاح ، وهو قول علي[1]، وابن عباس رضي الله عنهما[2]، وأبو جعفر[3] [4].

القول الخامس : استقبل القبلة في الصلاة بنحرك ، قاله أبو الأحوص[5]، وذكره الطبري عن بعض أهل العربية [6].

القول السادس : صلِّ الصلاة المكتوبة واسأل ، أي : أدع الله تعالى ، قاله الضحاك [7]، وقال ابن عباس : (يقول فادع يوم النَّحرْ) [8].

القول السابع : معنى الآية : لا تكن صلاتك ونحرك للبدن إلا لله ، قاله محمد بن كعب القرظي [9].

القول الثامن : أنَّ هذه الآية كانت يوم الحديبية ، أتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال : انحر وارجع ، فقام رسول الله ﷺ فخطب خطبة الفطر والنحر ، ثمَّ ركع ركعتين ، ثمَّ انصرف إلى البدْن فنحرها ، وهذا قول سعيد بن جبير [10].

القول التاسع : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ أي : أشكر لربك ، قاله عكرمة [11].

قال ابن كثير : (وكلُّ هذه الأقوال غريبة جداً) [12].

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٧٠/١٠) برقم : (١٩٥٠٨) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥٠/٨) عزوه للحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥٠/٨) لابن مردويه .

(٣) **أبو جعفر** = أبو جعفر الرازي التميمي ، مولاهم ، مشهور بكنيته ، واسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان ، وأصله من مرو ، وكان يتَّجر إلى الري ، صدوق سيء الحفظ ، خصوصاً عن مغيرة ، روى عن عطاء ، وابن المنكدر ، وروى عنه : ابنه عبد الله ، وأبو أحمد الزبيري ، وعبد الرحمن الدشتكي ، قال أبو زرعة : يهم كثيراً ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، ووثقه أبو حاتم ، من كبار السابعة ، مات في حدود الستين . انظر : الكاشف (٤١٦/٢) ، تقريب التهذيب (٦٢٩) .

(٤) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٢/٢٤) .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٦) جامع البيان (٦٩٦/٢٤) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٦/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) عزوه لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

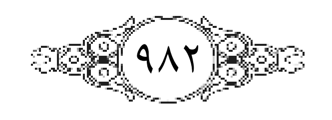
(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) للبيهقي في سننه .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٥/٢٤) .

(١٠) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦٩٥/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) عزوه لابن مردويه .

(١١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٨) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(١٢) تفسير ابن كثير (٥٩٥/٤) .



الجمع أو الترجيح :

المعنى الصحيح - والله أعلم - هو أنَّ المراد بالصلاة الصلاة عموماً ، فتشمل الفريضة والنافلة ، وليست الآية مخصوصة بصلاة الفجر أو العيد يوم الأضحى ، وإنما هي عامة ، لأنَّ الأمر بها أمر بشكر الله تعالى بعد العطاء الذي أعطاه إياه سبحانه ، وفيه إشارة إلى أهمية الصلاة ، وأنها من أعظم الشكر لله ، وفيها كمال الشكر بالقلب واللسان والجوارح ، إضافة إلى أنَّ فيها توجيه للرسول ﷺ أن لا يشغله أذى المشركين وتعييرهم له عن الأمور العظام المهمَّة ، لأنَّ الانشغال بهم يضرُّ ويلهي عما ينفع .

والنَّحر بمعناه الخاص هو نحر الإبل فقط ، وبمعناه العام يشمل كل ما ينحر ويذبح من الإبل والبقر والغنم وغيرها ، ومنه سمي يوم النَّحر بهذا الاسم ، والمقصود في الآية عموم النَّحر أيضاً لله تعالى ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] .

وبنحو هذا المعنى قال الزمخشري [١]، وابن عطية [٢]، وجمهور المفسِّرين [٣].

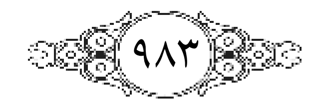
قال الطبري رحمه الله : (وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له ، وخصك به ، من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك ، لأنَّ الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر ، ثم أتبع ذلك قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ، فكان معلوماً بذلك أنه خصَّه بالصلاة له، والنحر على الشكر له ، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه ، بإعطائه

(١) الكشاف (١٢٢٤) .

(٢) المحرر الوجيز (٢٠٠٧) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (٤٨٧) ، التفسير الكبير (١١٩/٣٢-١٢٠) ، أنوار التنزيل (٣٤٢/٥) ، مدارك التنزيل (٨٣٦/٢) ، البحر المحيط (٧٤١/٨) ، تفسير ابن كثير (٥٩٤/٤) ، إرشاد العقل السليم (٤٧٧/٦) ، روح المعاني (٤٤٣/٣٠) ، فتح القدير (٦٣٦/٥) ، تفسير المراغي (٣٩٥/١٠) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦) ، التحرير والتنوير (٥٧٤/٣٠) ، أضواء البيان (٣١٠/٩) .



إيـاه الكـوثر ، فلـم يكـن لخـصوص بعـض الـصلاة بـذلك دون بعـض ، وبعـض النحر دون بعض وجه ، إذ كان حثاً على الشكر على النِّعَم .

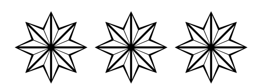
فتأويل الكـلام إذن : إنـا أعطينـاك يـا محمـد الكـوثر ، إنعامـاً منَّـا عليـك بـه ، وتكرِمة منا لـك ، فـأخلص لربـك العبـادة ، وأفـرد لـه صـلاتك ونـسكك ، خلافـاً لما يفعله من كفر به ، وعبد غيره ، ونحَر للأوثان) [(١)].

والقاعـدة التفـسيرية : أنـه إذا دار اللفـظ بـين أن يكـون مقيَّـداً أو مطلقـاً فإنـه يحمل على إطلاقه [(٢)].

وعليه فأقوال عطاء الخراساني التي قالها في الآية تقييد لا دليل عليه .

قال ابـن العـربي رحمه الله : (والـذي عنـدي أنـه أراد : اعبـد ربـك وانحـر لـه ، ولا يكـن عملـك إلا لمـن خـصَّك بـالكوثر ، وبـالحري أن يكـون جميـع العمـل يـوازي هذه الخصيـصة مـن الكـوثر ، وهـو الخـير الكـثير الـذي أعطـاك الله إيـاه ، أو النـهر الذي طينتـه مـسك ، وعـدد آنيتـه عـدد نجـوم الـسماء ، أمـا أن يـوازي هـذا صـلاة يـوم النحـر وذبـح كـبش أو بقـرة أو بدنـة فـذلك بعيـد في التقـدير والتـدبير وموازنـة الثواب للعباد) [(٣)].

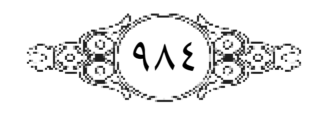
والله أعلم ، ،



(١) جامع البيان (٢٤/٦٩٦-٦٩٧) .

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٥٥) .

(٣) أحكام القرآن (٤/٤٥٩) .



سورة النَّصر

* في قوله : ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر : ٢].

٢٥٩- **قال عطاء الخراساني** : الأفواج من الناس زمراً [(١)].

الدراسة :

* يفسِّر عطاء الخراساني كلمة : أفواجاً ، بأنها : الزمر من الناس ، وهو بنحو تفسير ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)]، ومجاهد [(٣)]، وبنحوه قال جمهور المفسِّرين [(٤)].

والزُّمَرُ هم الجماعات الكثيرة ، كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل سائر العرب .

قال الراغب رحمه الله : (الفوج : الجماعة المارَّة المسرعة ، وجمعه أفواج) [(٥)].

ومعنى الآية : أي إذا رأيت يا محمد الناس يسلمون جماعات كثيرة ، بعدما كان يسلم الرجل بعد الرجل ، فسبّح بحمد ربك واستغفره ، فهو علامة على قرب أجلك .

قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، في باب أبي خراش الهذلي : (لم يبق عربي بعد حنين والطائف إلا أسلم ؛ منهم من قدم على النبي ﷺ ، ومنهم من لم يقدم عليه وقنع بما أتاه به وافد

---

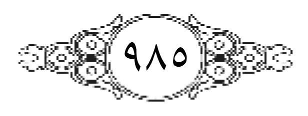
(١) أخرجه عنه محمد بن أحمد بن نصر الرملي في روايته لتفسير عطاء الخراساني برقم (٣٤٦) ، ص١١٦ ، وقد سبقت دراسة هذا الإسناد والحكم عليه ص (١٧١) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٦٠/٨) لابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد (٣٦٢) ، وأخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٠٧/٢٤) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء (٣١٢/٣) ، جامع البيان (٧٠٥/٢٤) ، معاني القرآن للزجاج (٢٨٧/٥) ، بحر العلوم (٦٣١/٣) ، الكشف والبيان (٣١٩/١٠) ، النكت والعيون (٣٦١/٦) ، الوسيط (٥٦٦/٤) ، معالم التنزيل (٣٢٥/٥) ، الكشاف (١٢٢٦) ، المحرر الوجيز (٢٠٠٩) ، زاد المسير (١٥٩٩) ، التفسير الكبير (١٤٦/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٩٥/٢) ، أنوار التنزيل (٣٤٤/٥) ، مدارك التنزيل (٨٣٨/٢) ، التسهيل (٤٣١/٤) ، البحر المحيط (٧٤٦/٨) ، إرشاد العقل السليم (٤٨٢/٦) ، روح المعاني (٤٦٠/٣٠) ، فتح القدير (٦٤٥/٥) ، تفسير المراغي (٣٩٩/١٠) ، التحرير والتنوير (٥٩٣/٣٠) .

(٥) المفردات في غريب القرآن (٣٨٨) .

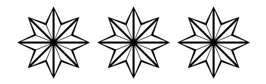


قومه من الدين عن النبي ﷺ) [١].

قال ابن عطية رحمه الله معلِّقاً : (والمراد - والله أعلم - عرب عبدة الأوثان ، وأما نصارى بني تغلب فما أراهم أسلموا قط في حياة رسول الله ﷺ ، لكن أعطوا الجزية) [٢].

وقال السعدي رحمه الله : (وقد وُجد ذلك – أي دخول الناس في الدين أفواجاً - في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمراً ، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان ، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره ، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث ، فابتلاهم الله بتفرُّق الكلمة ، وتشتت الأمر ، فحصل ما حصل . ومع هذا فلهذه الأمة ، وهذا الدين ، من رحمة الله ولطفه ، ما لا يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال) [٣].

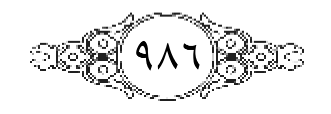
والحمد لله على كلِّ حال ، ،



(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٦٣٨) .

(٢) المحرر الوجيز (٢٠٠٩) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦) .



سورة الفلق

* في قول الله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [الفلق : ٥] .

٢٦٠- **قال عطاء الخراساني** : من شرِّ عينه ونفسه [١].

الدراسة :

* **الحسد** : هو تمني زوال نعمة من مستحقٍ لها ، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها ، والمنافسة هي تمني مثلها دون زوالها ، فالحسد شرٌّ مذموم، والمنافسة رغبة مباحة [٢]، وقد روي أن المؤمن يغبط والمنافق يحسد[٣]، وثبت أنَّ النبي ﷺ قال : « لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ : لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ »[٤].

قال الحسين بن الفضل رحمه الله[٥]: (إنَّ الله جمع الشرور في هذه الآية وختمها بالحسد ؛ ليُعلَم أنَّه أخس الطبائع) [٦].

وفيما أمر أن يستعيذ منه النبي ﷺ قولان .

الأقوال في الآية[٧] :

القول الأول : من شر الحاسد نفسه وعينه ، وهذا قول عطاء الخراساني ،

(١) ذكره عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/٧٥١) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٦/٣٦٧) ، المفردات في غريب القرآن (١٢٥) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٧) .

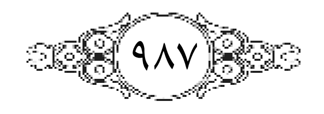
(٣) زعم بعضهم أنه حديث ، والصواب أنه من كلام الفضيل بن عياض . انظر : حلية الأولياء (٨/٩٥) ، المغني عن حمل الأسفار (٢/٨٦٦) ، الأسرار المرفوعة (٣٦٧) .

(٤) **صحيح** . أخرجه **البخاري** في صحيحه برقم : (٥٠٢٦) في كتاب فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه من طريق أخرى ، وكذا عند مسلم في صحيحه .

(٥) **الحسين بن الفضل** = الحسين بن حفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمداني ، أبو محمد الكوفي ، قاضي أصبهان ورئيسها ، روى عن الثوري ، وابن أبي رواد ، وروى عنه : الفلاس ، وسمويه ، وأسيد بن عاصم ، قال أبو حاتم : محله الصدق ، من كبار العاشرة ، مات سنة عشر أو إحدى عشرة ومائتين ، قال أبو نعيم الحافظ : كان دخله في العام مائة ألف فما وجبت عليه زكاة . انظر : الكاشف (١/٣٣٢) ، تقريب التهذيب (١٦٦) .

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/٣٤٠) .

(٧) جامع البيان (٢٤/٧٥١-٧٥٢) .



وهو بنحو قول ابن عباس رضي الله عنهما[(١)]، وقتادة [(٢)]، والمقصود كلّ حاسد .

والاستعاذة من عينه ونفسه لأنه ربما أصاب بها فعان وضر ، وعين الحاسد في الغالب لاقفة [(٣)]، نعوذ بالله من شرِّها [(٤)].

وبنحوه قال الزمخشري [(٥)]، وجماعة من المفسِّرين [(٦)]: أنَّ الاستعاذة بالله من شرِّ الحاسد إذا ظهر حسده ، وعمل بمقتضاه من طلب الغوائل [(٧)] للمحسود .

القول الثاني : أنَّ النبي ﷺ أُمِر أن يستعيذ من شرِّ اليهود الذين حسدوه ، وهو قول الحسن [(٨)]، وابن زيد [(٩)]، وبنحوه قال الفرَّاء [(١٠)]، والسمرقندي[(١١)]، والواحدي [(١٢)]، والبغوي [(١٣)]، وابن الجوزي [(١٤)]رحمهم الله.

الجمع أو الترجيح :

المقصود في الآية عموم الاستعاذة من شرِّ الحاسد ، وإبطال كيده ، فيدخل في ذلك قول عطاء الخراساني وغيره أنَّ الاستعاذة من شرِّ نفسه وعينه، ويدخل في ذلك اليهود وغيرهم من كلِّ من أراد الحسد .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٩١/٨) لابن المنذر .

(٢) أخرجه عنه الصنعاني في تفسيره (٤٧٧/٨) ، والطبري (٧٥١/٢٤) ، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٩١/٨) عزوه لابن المنذر .

(٣) **لاقفة** = اللَّقْف : تناول الشيء يرمى به إليك ، يقال:لَقِف الشيء تلقَّفَه : أي تناوله بسرعة . انظر : لسان العرب (٢٢٣/١٣) مادة : لقف .

(٤) انظر : النكت والعيون (٣٧٧/٦) ، المحرر الوجيز (٢٠١٣) ، التفسير الكبير (١٨١/٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٠٧/٢) ، التسهيل (٤٤١/٤) .

(٥) الكشاف (١٢٣٠) .

(٦) انظر : أنوار التنزيل (٣٤٨/٥) ، مدارك التنزيل (٨٤٣/٢) ، إرشاد العقل السليم (٤٩١/٦) ، روح المعاني (٥٠٧/٣٠) ، تفسير المراغي (٤٠٧/١٠) ، التحرير والتنوير (٦٣٠/٣٠) ، أضواء البيان (٣٤٣/٩) .

(٧) **الغوائل** = جمع غائلة،وهي الفساد والشر،قال الكسائي:الغوائل : الدواهي. انظر: لسان العرب (١١٢/١١) .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٩٠/٨) لابن أبي حاتم – ولم أقف عليه – .

(٩) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٧٥٢/٢٤) .

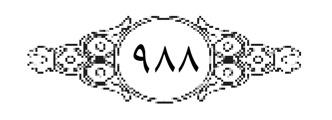
(١٠) معاني القرآن (٣١٧/٣) قال : يعني الذي سحره ، لبيداً .

(١١) بحر العلوم (٦٣٦/٣) .

(١٢) الوسيط (٥٧٤/٤) .

(١٣) معالم التنزيل (٣٣٥/٥) .

(١٤) زاد المسير (١٦٠٥) .

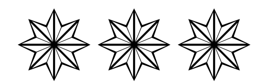


قال الطبري رحمه الله : (وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال : أُمِر النبيّ ﷺ أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد ، فعابه أو سحره ، أو بغاه سوءاً ، وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأنَّ الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ حاسداً دون حاسد ، بل عمَّ أمره إياه بالاستعاذة من شرِّ كلِّ حاسد ، فذلك على عمومه)[1].

والقاعدة التفسيرية : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نصّ بالتخصيص[2].

قال ابن عاشور رحمه الله : (فقد يغلب الحسدُ صبرَ الحاسد وأناتَه ؛ فيحمله على إيصال الأذى للمحسود بإتلاف أسباب نعمته أو إهلاكه رأساً ، وقد كان الحسد أولَ أسباب الجنايات في الدنيا ؛ إذ حسد أحد ابني آدم أخاه على أن قُبِل قربانه ولم يقبل قُربان الآخر ، كما قصّه الله تعالى في سورة العقود[3].

وتقييد الاستعاذة من شره بوقت : ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ لأنه حينئذ يندفع إلى عمل الشرِّ بالمحسُود حين يجيش الحسد في نفسه ، فتتحرك له الحيل والنوايا لإلحاق الضرّ به . والمراد من الحسد في قوله : ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ حسد خاص ، وهو البالغ أشد حقيقته)[4]. والله أعلم ، ،



وهذا آخر ما جُمِع من تفسير عطاء بن أبي مسلم الخراساني رحمه الله ودراسته
وكان الفراغ من التعليق عليه ؛ على يد جامعه الفقير إلى عفو ربه :
محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاوي
عفا الله عنه ، وعامله بلطفه ورحمته
غرة شهر ربيع الثاني
من عام تسعة وعشرين
وأربعمائة وألف
للهجرة النبوية
المباركة
تمت

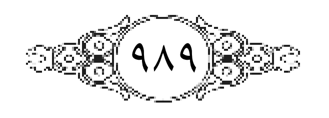
---

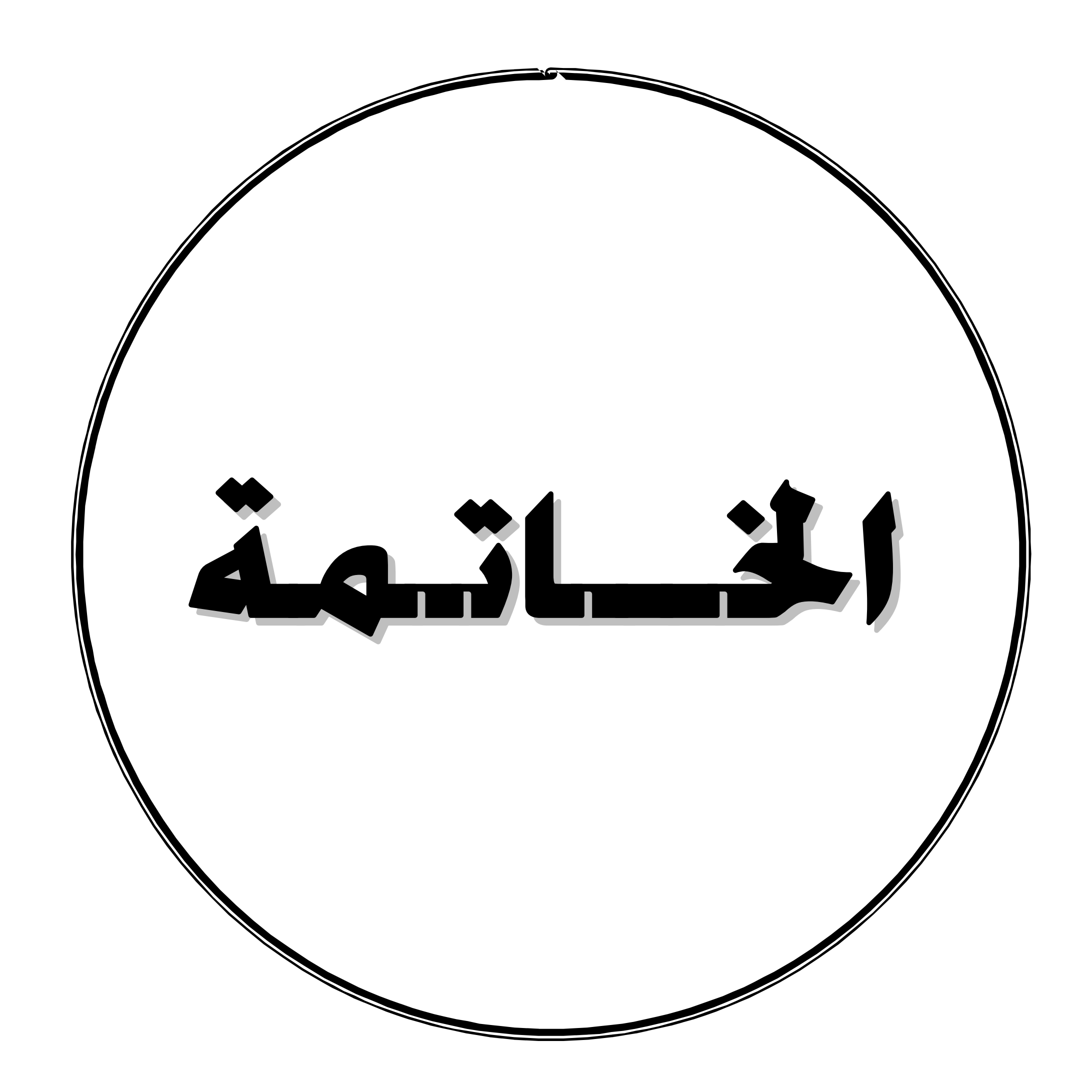
(١) جامع البيان (٢٤/٧٥٢) .

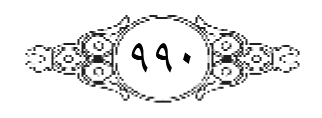
(٢) انظر : قواعد التفسير (٢/٥٩٩) ، قواعد الترجيح عند المفسِّرين (٢/٥٢٧) .

(٣) المقصود بسورة العقود هي سورة المائدة ، لافتتاحها بالأمر بالوفاء بالعقود .

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/٦٣٠) .




الخـــاتمة



الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية الماتعة التي قضيتها مع عطاء الخراساني ﷺ في بضع سنين قضيتها مع رحاب أقواله في التفسير ؛ وعشت فيها مع السلف الصالح ، ومع الرعيل الأول من هذه الأمة ، أثْبِتُ في هذه الخاتمة أبرز ما توصلت إليه من نتائج ، ممزوجة ببعض التوصيات ، فأقول وبالله أقول :

أبرز النتائج والتوصيات التي توصَّلت إليها تتلخص فيما يلي :

١- تعدُّ هذه الرسالة عناية بأثر من آثار هذا العالم الرباني ممثلة في تفسيره، وهي محيلة على بقية آثاره مثل كتابه الناسخ والمنسوخ الذي يُوصى بتحقيقه وإخراجه ، وكتاب تنزيل القرآن – إن وجد – .

٢- تصور شخصية عطاء الخراساني العلمية وصفاته الخُلقية التي تمثل القدوة الصالحة لطالب العلم ، فهو العالم العامل الواعظ الفقيه المفسِّر اللغوي المجاهد الداعي إلى الله ، وسيرته العلمية والعملية ، شاهد على علمه وفهمه.

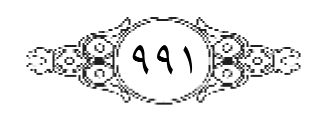
٣- اتخذ عطاءُ الخراساني القرآنَ الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة ﷺ ، ولغة العرب مصادراً لتفسيره ، وهي المصادر الأصلية لعلماء التفسير، وإن كانت لغة العرب هي المصدر الأكثر والأشهر من مصادره . واستفادته من تفسير ابن عباس ﷺ على وجه الخصوص أكثر مما يُنسب إلى باقي الصحابة ﷺ ، فهو من المكثرين إرسالاً عن ابن عباس ﷺ .

٤- إنَّ اعتماد عطاء الخراساني ﷺ على تلك المصادر الأصلية في تفسيره لم يمنعه من اجتهاد رأيه ، واستنباط بعض معاني الآيات ، فهو مفسِّر مجتهد ، يحمل أدوات التفسير ولوازمه .

٥- لم يشذَّ عطاء الخراساني ﷺ عن أراء المفسِّرين بقول شاذ خلا بعض الأقوال القليلة – إن صحت نسبتها له ﷺ – ، مثل تفسيره انشقاق القمر بأنه سينشق يوم القيامة ، وتفسيره للبرزخ الذي بين البحرين بالمدة التي بين الدنيا والآخرة ، ونحو ذلك .

٦- عطاء الخراساني ﷺ صاحب عقيدة سلفية على منهج الكتاب والسنة، ولم يَبدُر منه في أقواله ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة .

٧- ألفيتُ عطاء الخراساني ﷺ فقيهاً عميق الفقه ، فقد خاض في مسائل



دقيقه لم يقف عليها كثيرٌ من الفقهاء ، وفقهه جدير بالدراسة والبحث .

٨- الموافقات الكثيرة بين عطاء الخراساني والإمام أبي حنيفة ﷺ في ما يتعلق بآيات الأحكام ومسائل الفقه ، مع أنَّ كتب المصادر لم تُفِد بأي لقاء بينهما رغم تعاصرهما . علماً بأنَّ عطاء الخراساني ﷺ متقدِّم على أبي حنيفة سناً ، ومع هذا فقد نسبه محمد محروس صاحب كتاب (مشائخ بلخ من الحنفية) إلى المحدثين الأحناف من أهل بلخ .

٩- عطاء الخراساني ﷺ مفسِّر قد أعمل في تفسيره كثيراً من قواعد التفسير وأصوله ، حاله في ذلك حال سابقيه ومعاصريه من أئمة التفسير .

١٠- يكون لعطاء الخراساني – أحياناً – أكثر من قول في تفسير الآية ، ويُحمل هذا على بيان بعضها لبعض في الغالب ، أو اختلاف التنوع لا التضاد، أو ثبوت أحدهما وعدم ثبوت الآخر ، وعلى كل حال فكلها تُنبئُ عن سعة علم هذا العالم الجليل .

١١- إلمام عطاء الخراساني ﷺ بعلوم القرآن وأصوله ، وما عنايته بالناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، وغريب القرآن ، والقراءات ، وأنواع التفسير ، وأمثلة القرآن ، إلا دليل على ذلك ؛ بل إنَّ كتابته في الناسخ والمنسوخ ، وتنزيل القرآن دليل واضح على ذلك .

١٢- تنبئ هذه الرسالة على أنَّ عطاء الخراساني ﷺ كنيفٌ مملوءٌ علماً وعملاً ؛ يتجاوز الرواية والنقل إلى الإرث والعقل ، ويجوب بأقواله بحار الفنون المختلفة كاللغة والفقه والحديث وغير ذلك .

١٣- وفرة الأقوال التفسيرية داخل كتب التفسير لعلماء متقدمين لم يُقدَّر أن يوجد لهم إرث علمي ؛ الأمر الذي يجعل التوصية بجمع أقوالهم ودراستها وتحقيقها مسألة مهمة .

١٤- التعرُّف على طريقة السلف ﷺ في التأويل ، وحمل الآية على المعنى المراد .

١٥- كانت هذه الرسالة مَيداناً تطبيقياً لأصول التفسير وعلومه ، وقواعده وأصوله ، والتأمل والتدبُّر في كتاب الله تعالى ، وهذا من أجلِّ ثمار هذا العمل.

١٦- كانت هذه الرسالة – أيضاً – مجالاً رحيباً لتوجيه أقوال السلف في



التفسير عموماً ، وما يُستفاد من ذلك في التأدب مع أقوالهم وآرائهم ، وحملها على المحمل الحسن ، والاعتذار للمخالفين منهم .

وبعد ..

فقد عشت مع هذا العمل حقبة من عمري تعرَّضت خلالها لظروف مختلفة ، وأحوال متقلبة ، صيفاً وشتاءً ، وسفراً وحضراً ، وحزناً وفرحاً ، بل لا أبالغ إن قلت : ويقظة ونوماً ، عشته بكلِّ الظروف والأحوال ، وكان الفكر والبال والحال على صروف شتى ، وضروب متقلِّبة ، حتى خرج هذا العمل نتاجاً خداجاً ، فأسأل الله أن يتمِّمه بفضله ، وأن يصلحه بمنه وكرمه ؛ ومن رأى فيه عيباً فليسدَّ الخلل ، وليحسن الظن ، وليبادر بالإصلاح .

هذا .. وإن كان فيه من توفيق وصواب فمن الله جلَّ وعلا وحده ، وله الحمد كله والشكر كله ، وما كان فيه من خطأ ونقص وجهل فمني ومن الشيطان ، وأستغفر الله من كل زلل ، وأعوذ به أن أقول عليه بلا علم ، وأسأله أن يتقبل مني ما كتبت من كَلِم، وأن يجعلني في خير مُعْتَصَم ، وأن يغفر لي مازلَّ به القلم .

وفي الختام أتوجه إلى الله تعالى بالحمد والثناء والشكر على ما يسَّر لي من إتمام هذا العمل ، وأسأله سبحانه أن يُلبسه ثوب الإخلاص ، وعمامة الصدق ، ونور الخشية ، وربانية الطريق ، وأن يُكلَّله بالتوفيق والقبول .

والحمد له في البدء والختام على جميل التمام ، وأسأله أن يتمَّ أجره وثوابه ، وأن يفرحني به يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

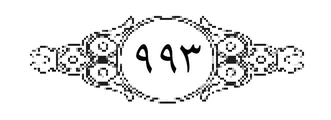
اللهم تقبَّله مني ، واجعله خالصاً لك ، مثبتاً في ديواني ، وباركه ، واجعله باقياً لي بعد موتي علماً ينتفع به ، وأصلح ما فسَد منه ، وسامح كلَّ تقصير أو زلل وقع قبله أو بعده ، واكتبني اللهم به من أهل الفردوس الأعلى من الجنة .. آمين . اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

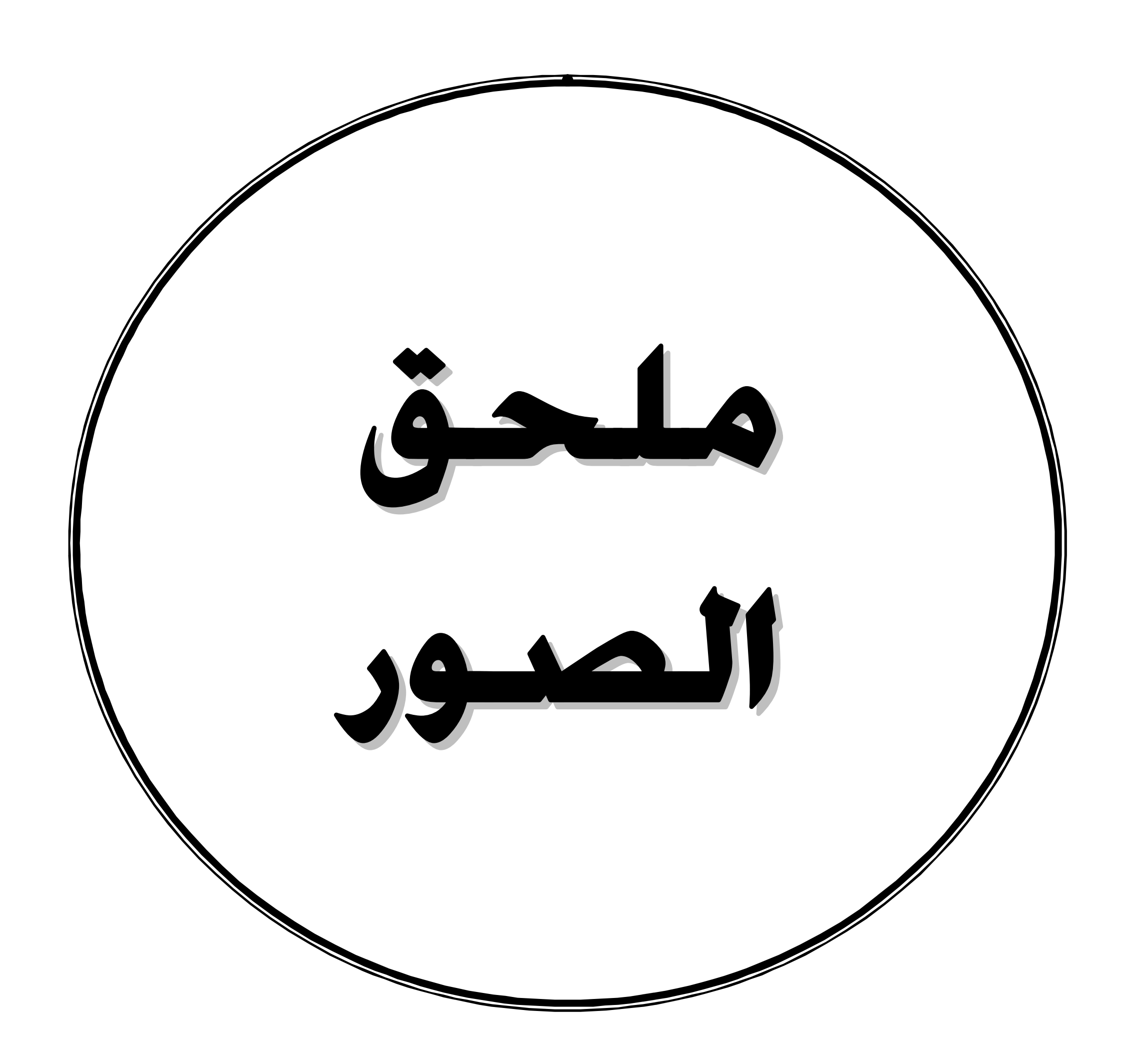
والحمد لله رب العالمين .

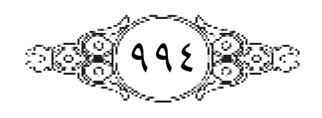
وكتبه راجي رحمة ربه ومغفرته :

محمد بن عبد الجواد بن محمد الصاوي

جدة في ١/٥/١٤٢٩هـ




ملحق
الصور

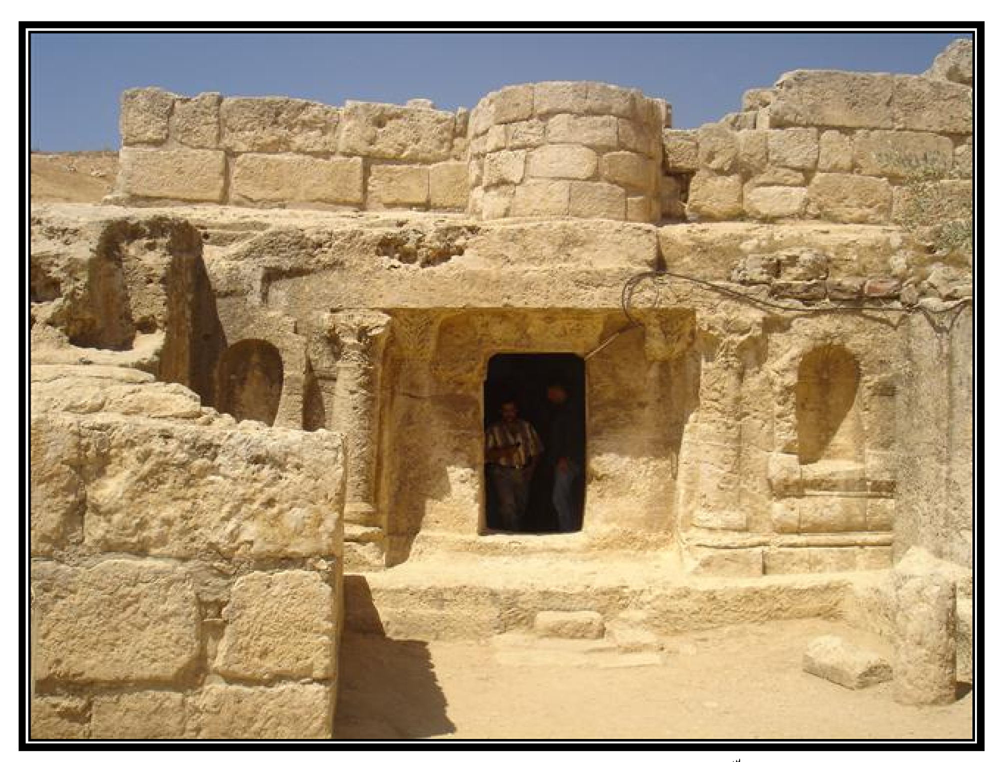


ملحق الصور

النموذج الأول

* صورة تبيِّن مدخل كهف أصحاب الكهف ؛ الذين أخبر الله عنهم ، وفيه توضيح للوصيد الذي قال الله عنه : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف : ١٨] .

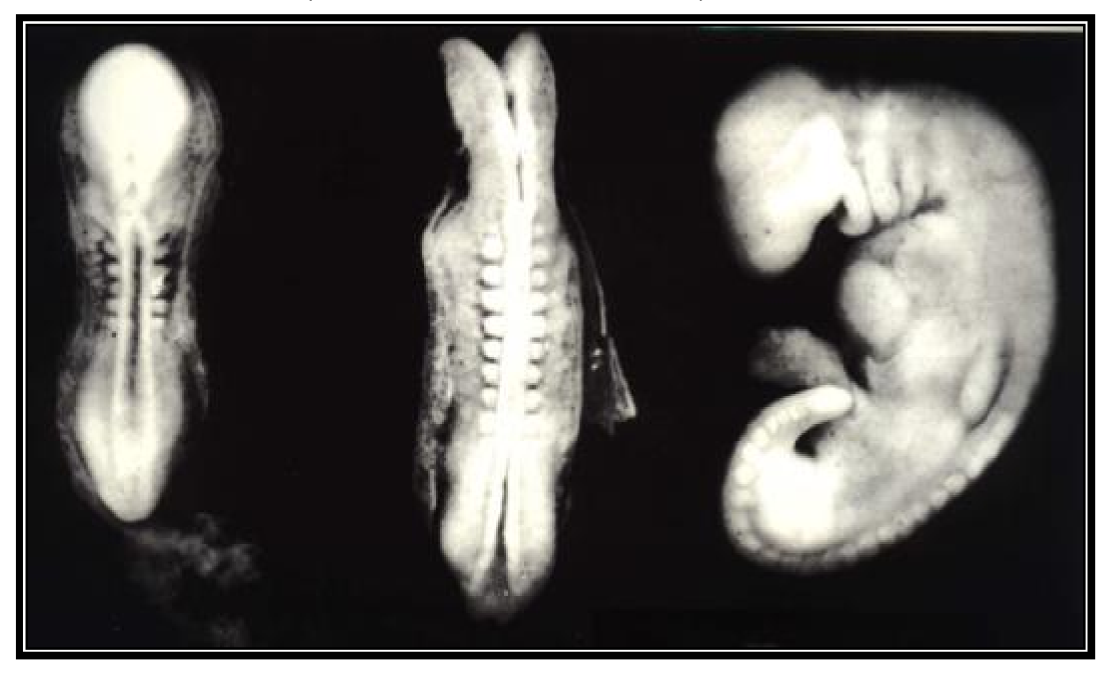
وهذا الكهف مكتشف في منطقة الرقيم في الأردن .



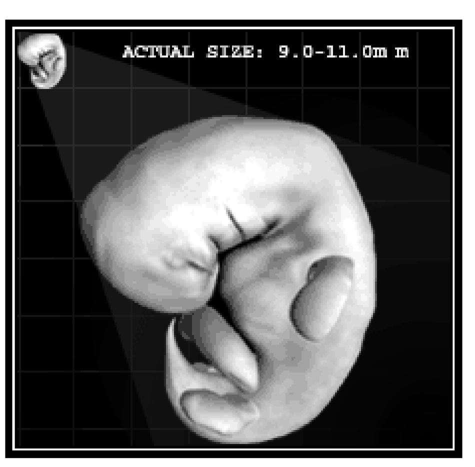
صورة رقم (١) تبيِّن مدخل الكهف الذي يعتقد أنه الذي كان فيه الفتية

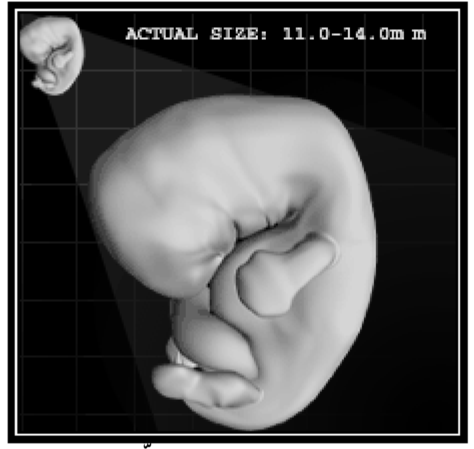
النموذج الثاني

* صور تبيِّن مرحلة المضغة المخلقة وغير المخلَّقة في خلق الإنسان ، وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله سبحانه : ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج : ٥] .

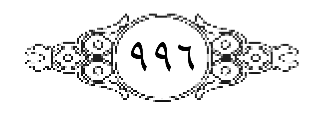


صورة رقم (2) تبيِّن المضغة قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط ولا استبانة ولا تمايز فيها في بداية خلقها





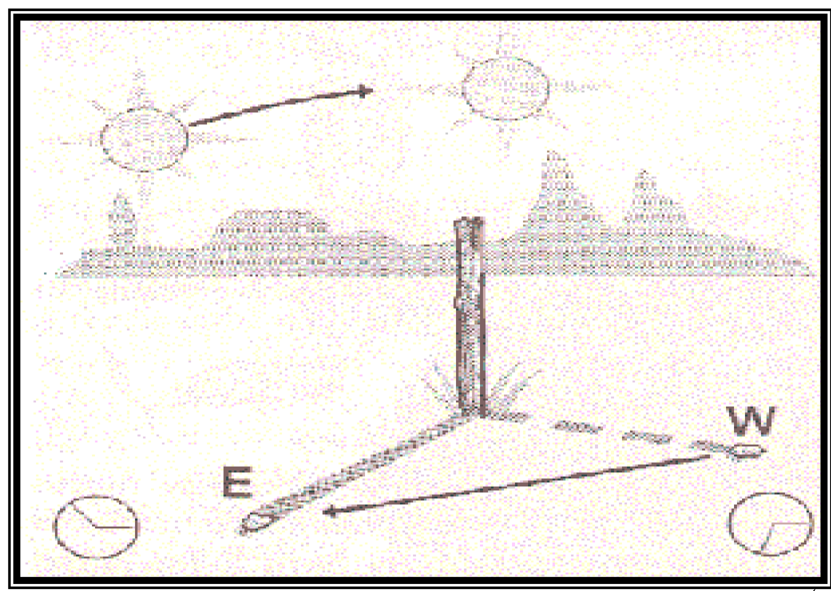
صورة رقم (٣) (٤) تبين مرحلة التخليق للمضغة ، فهي مضغة مخلّقة وغير مخلَّقة



النموذج الثالث

* في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾[الفرقان : ٤٥] .

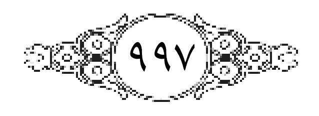
بيان لحركة الظل ومدِّه ، حينما يمتدُّ وينبسط فينتفع به الناس ، وذلك عند ابتـداء طلوع الشمس ممتداً إلى ما شاء الله عزَّ وجل .



شكل رقم (٥) حركة الظلال بانتقالها من جهة الغرب والى جهة الشرق على مدار اليوم



صورة رقم (٦) نموذج للظل الممدود بالقطب الجنوبي ، ويلاحظ الامتداد والاستطالة الكبيرة للظلال في هذه المناطق



النموذج الرابع

* كان قوم هود يبنون العلامات في الطرق عبثاً دون فائدة ، وهذا من الأمور التي انتقدها عليهم نبيهم هود ، كما أخبر الله سبحانه عنه بقوله لهم : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] .

والصورة التالية توضِّح إحدى هذه العلامات التي أخبر الله عنها ، والتي كانوا يبنونها في طرقاتهم عبثاً ولعباً .



صورة رقم (٧) للعلامات التي كان يبنيها قوم هود عليه السلام في طرقاتهم

النموذج الخامس

* في قولـه تعـالى : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم : ٢-٤] ، يبيِّن الله أنَّ غلبة الروم في أدنى الأرض، وقد ثبـت علمياً بقياسات عديدة أنَّ أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً هـو غـور البحـر الميـت ، ويقـع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً ، حيث يصل مستوى منسوب سـطحه إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر ، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائـه إلى قرابة الثمانمائة متـر تحـت مـستوى سـطح البحـر ، والـصورة التاليـة تبـيِّن ذلـك وتوضِّحه.

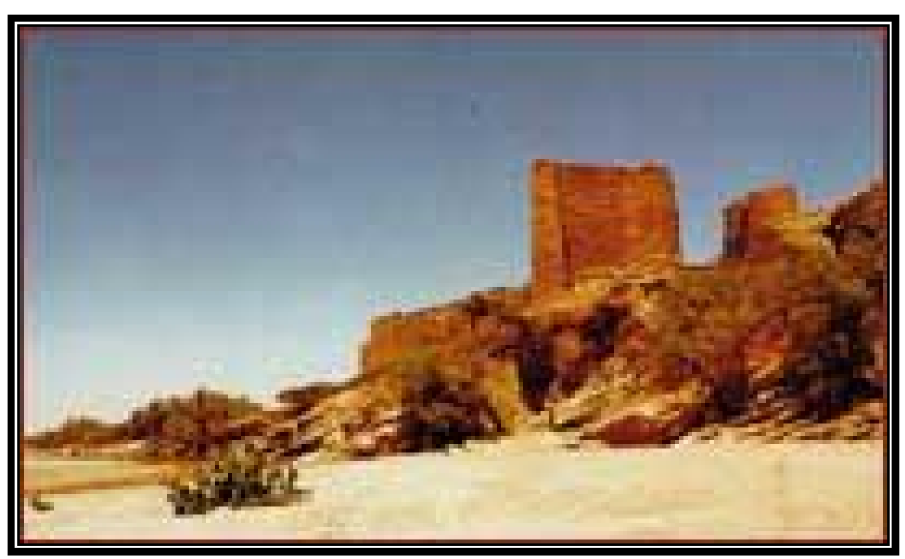


صورة رقم (٨) بالأقمار الصناعية لمنطقة البحر الميت ويظهر انخفاضها

النموذج السادس

* صور تبيِّن بقايا سدِّ مأرب بعد أن أرسل الله عليه سيل العرم الذي أخبر عنه في كتابه بقوله : ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سبأ : ١٦] .

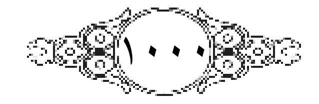
وفي هذه الصور تظهر ما تبدلت به تلك الجنان التي رزقها الله أهل سبأ ؛ بصحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة ، والله على كلِّ شيء قدير .



صورة رقم (٩) تبين بقايا سدّ مأرب القديم والأشجار البرية



صورة رقم (١٠) تبين بقايا سدّ مأرب القديم والصحراء القاحلة



النموذج السابع

* أوضح الله تعالى في كتابه أنَّ الشمس والقمر كلٌ منهما يجري إلى أجل مسمى ، ولا يدرك أحدهما الآخر ، قال سبحانه : ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] .

وفي الشكل التالي بيان تقريبي لما عليه الشمس والقمر من انفصال ، وأنَّ لكل واحد منهما مداره وفلكه الذي يسير فيه ، فسبحان الله خالق كل شيء .



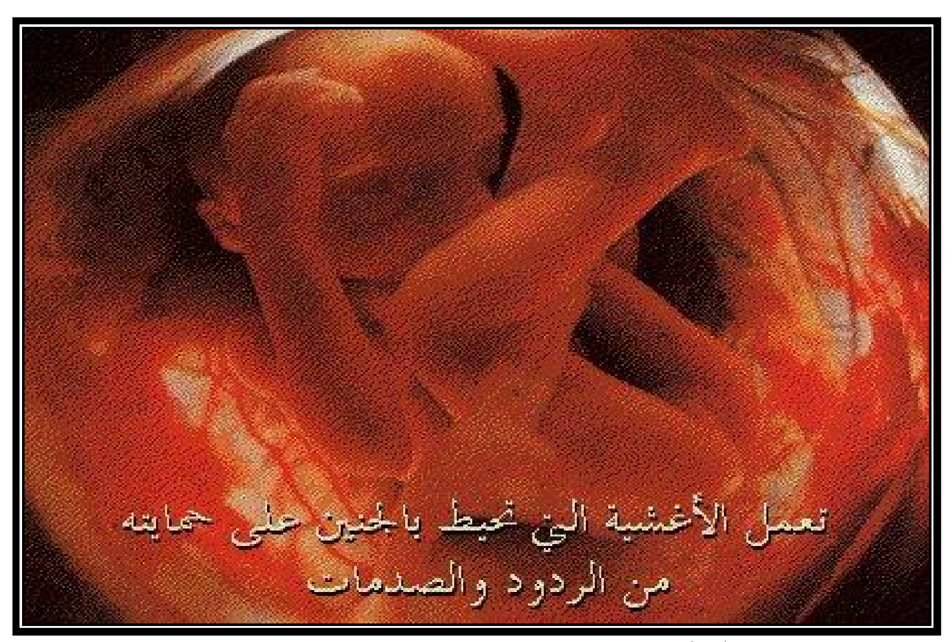
شكل رقم (١١) تقريبي يبين مدارات الشمس والقمر وأن كل واحد منهما له فلكه الذي يسبح فيه دون أن يدرك الآخر

النموذج الثامن

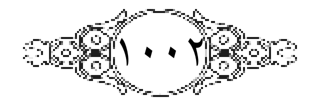
* صور تبين صورة الجنين في بطن أمه ، وتحيط به الظلمات الثلاث التي ذكرها العلماء : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، وهي التي ذكرها الله بقوله : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ [الزمر : ٦] . فسبحان الله .



صورة رقم (١٢) تبين الظلمات التي يكون فيها الإنسان في بطن أمه

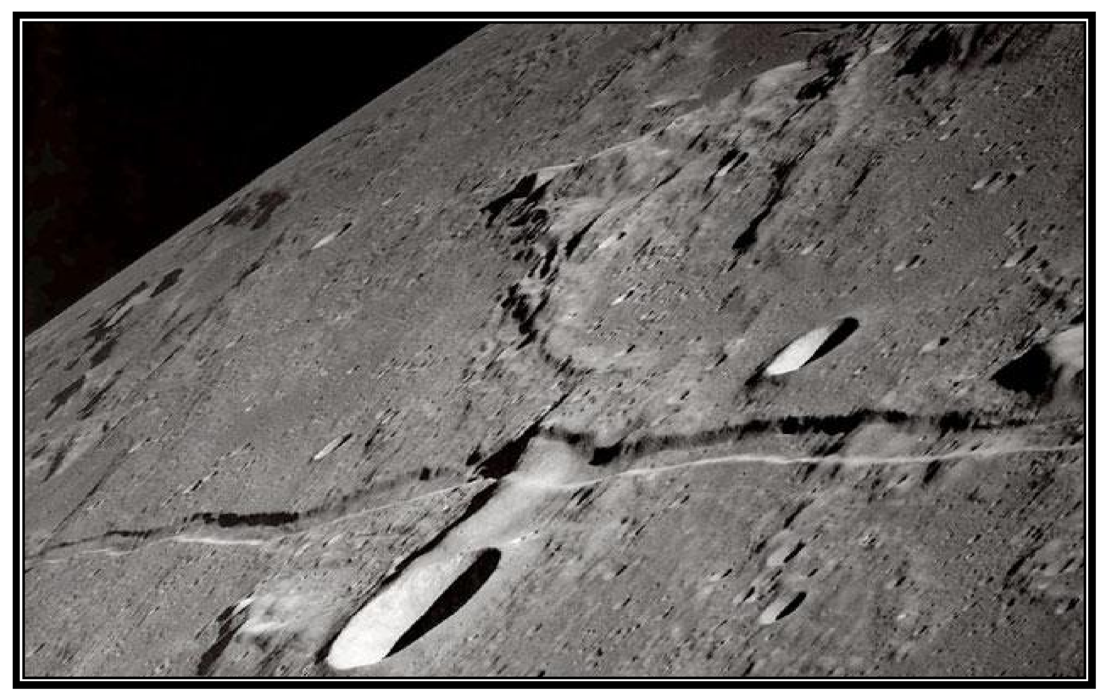


صورة رقم (١٣) تبين الظلمات التي يكون فيها الإنسان في بطن أمه



النموذج التاسع

* صورة القمر من وكالة ناسا الفضائية ، وفيه أثر الانشقاق الذي حصله له قبل ذلك في زمن النبي ﷺ ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ .



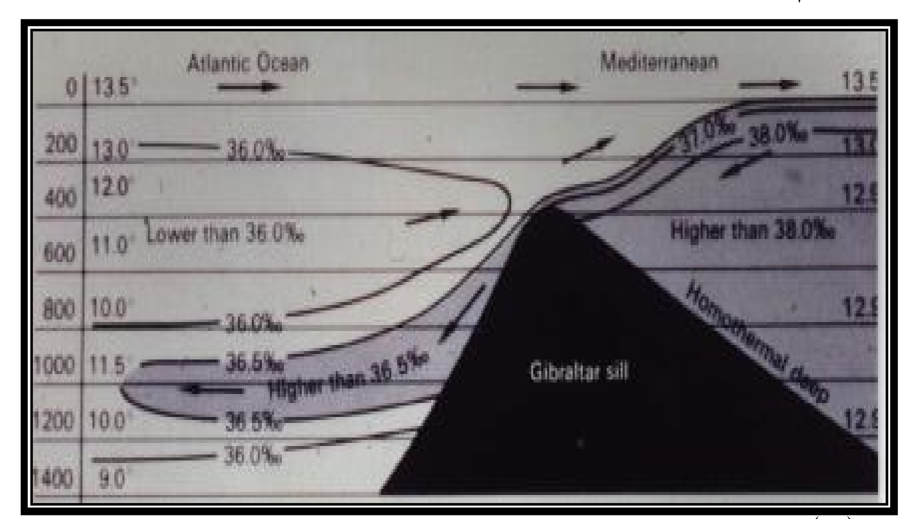
صورة رقم (١٤) لسطح القمر وفيه علامة توضح انشقاقه والتئامه

النموذج العاشر

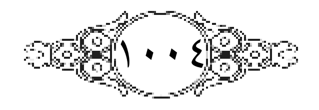
* صورة للمنطقة التي تفصل بين بحرين مالحين ، وتسمى البرزخ المائي، وقد وجد العلماء لها خصائص تختلف عن كلا البحرين على جانبيها، ووجدوا أيضاً لكل بحر خصائصه التي تختلف عن خصائص البحر الآخر . وعلى الرغم من اختلاط ماء البحرين عبر هذه المنطقة إلا أنَّ كل بحر يحافظ على خصائصه ولا يطغى على البحر الآخر ، وهذه الحقائق لم تُكتشف إلا منذ سنوات فقط ، فسبحان الذي حدثنا عنها بدقة كاملة في قوله تعالى : ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] .



صورة رقم (١٥) للحاجز بين البحرين المالحين ، ويظهر اختلاف اللون بينهما

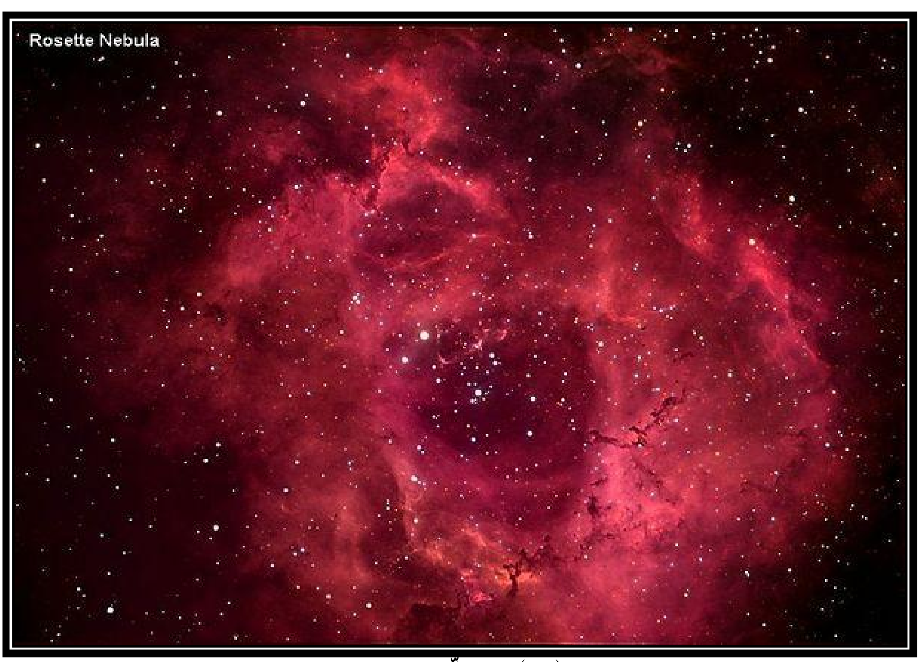


صورة رقم (١٦) لكتلتين بحريتين مختلفتين عند مضيق جبل طارق بينهما حاجز وفاصل لا يجعل أحد الكتلتين تختلط بالأخرى وقد اكتشفت هذه الحواجز بعد تصويرها بالأشعة تحت الحمراء في السنوات الأخيرة

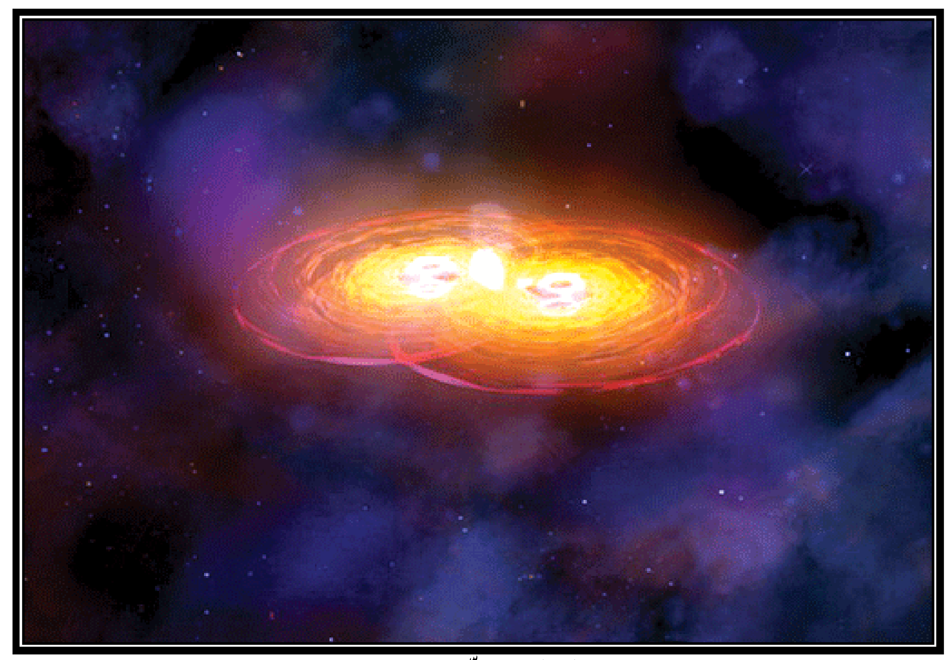


النموذج الحادي عشر

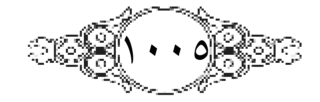
* نموذج للنجوم حينما تنفجر وتموت ، في الدنيا ، وهي صور تقرِّب الصورة الذهنية لما سيكون يوم القيامة مما أخبر الله به في قوله : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن : ٣٧] .



صورة رقم (١٧) توضِّح حالة موت النجوم



صورة رقم (١٨) توضِّح حالة موت النجوم

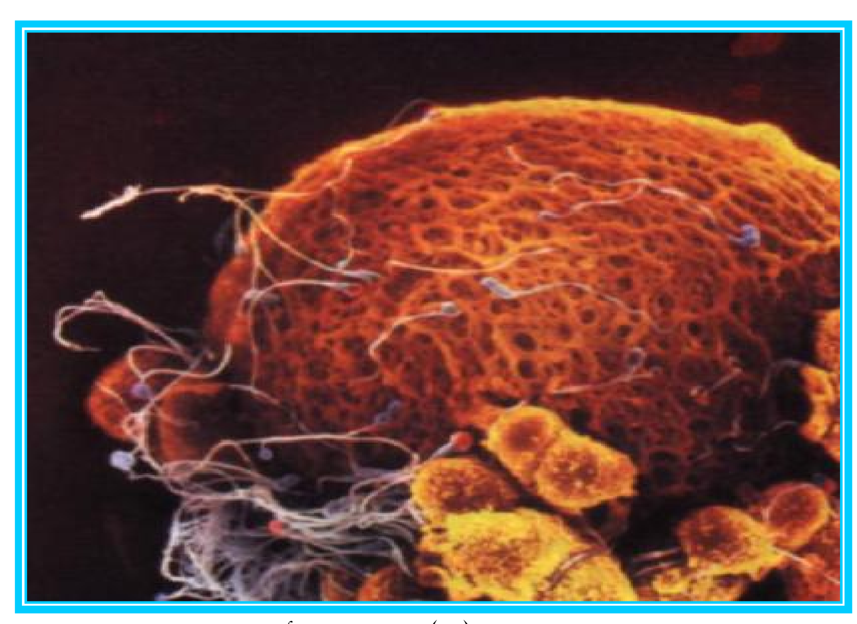


النموذج الثاني عشر

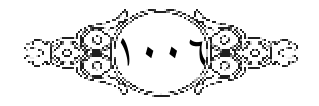
* في قـــول الله تعـــالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنـــسان : ٢] ، وفي الـصور التاليـة تقريـب لحـال النطفـة الأمـشاج ، وبـه يظهـر معـنى قـول بعـض المفـسِّرين ، ومـا قالـه عطـاء الخراسـاني : الأمـشاج الحمـرة في البيـاض ، والبياض في الحمرة أو الصُّفرة .



صورة رقم (١٩) للنطفة الأمشاج



صورة رقم (٢٠) للنطفة الأمشاج



النموذج الثالث عشر

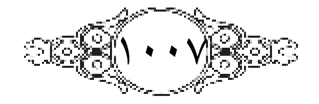
* نمـاذج لـصور التقطـت لموقـع مدينـة إرم المكتـشفة حـديثاً في مطلـع سـنة ١٩٩٨م في منطقـة الشـصر في صـحراء ظفـار العمانيـة ، ويبعـد مكـان الاكتـشاف ما يقارب ١٥٠ كيلو متـر شمـال مدينـة صـلالة و٨٠ كيلـو متـر مـن مدينـة ثمريـت ، وقـــد أخـــبر الله عنـــهم بقولـــه : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ [الفجر : ٧-٨].



صورة رقم (٢١) لإرم ديار قوم هود عليه السلام

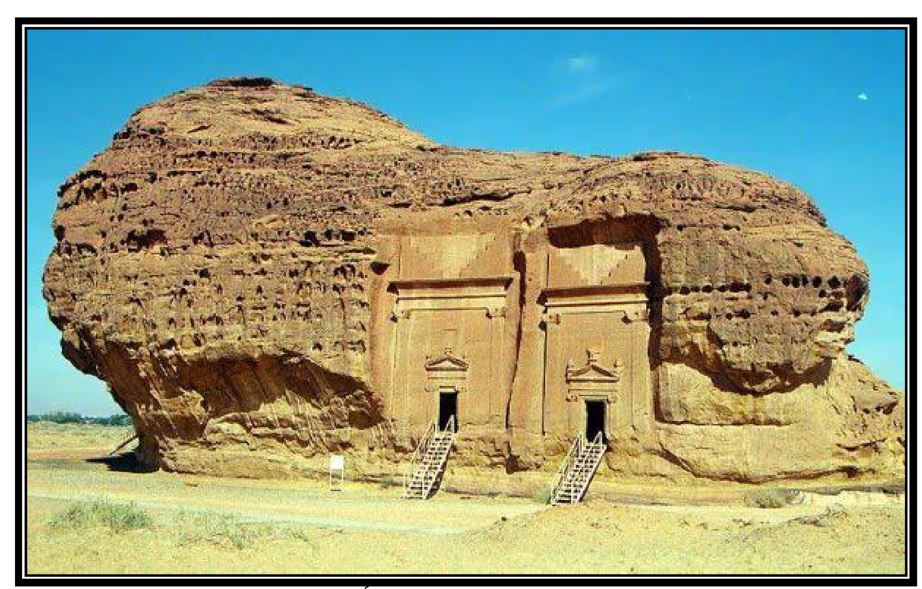


صورة رقم (٢٢) لإرم ديار قوم هود عليه السلام

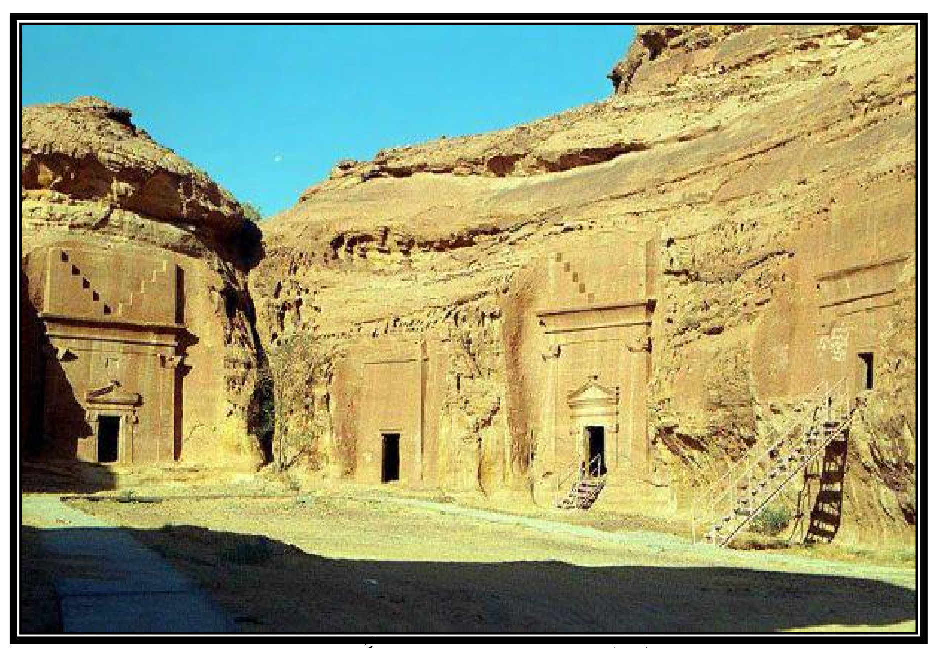


النموذج الرابع عشر

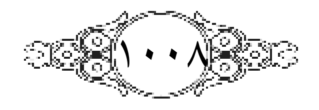
* نماذج لبعض الصور التي التقطت لمدائن صالح ، ديار ثمود الذين قال الله عنهم : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر : ٩] .



صورة رقم (٢٣) لنحت الجبال بيوتاً عند قوم صالح عليه السلام

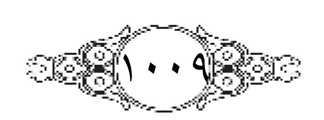


صورة رقم (٢٤) لنحت الجبال بيوتاً عند قوم صالح عليه السلام

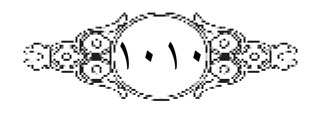


❖ الفهارس العامة :

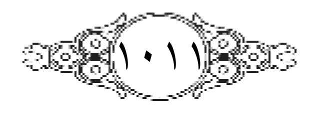
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس الأعلام .
- فهرس شيوخ عطاء الخراساني .
- فهرس تلاميذ عطاء الخراساني .
- فهرس القواعد التفسيرية .
- فهرس غريب المفردات .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس الفرق والمذاهب .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .



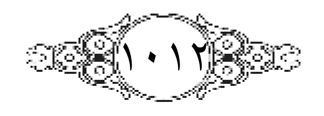
فهرس الآيات القرآنية



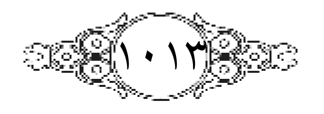
سورة آل عمران			
٢١	﴿الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾	١-٣	٥٢٦
٢٢	﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾	٣١	٥٩٨
٢٣	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾	٧٧	٧٧٩
٢٤	﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾	١١٩	٢٢١
٢٥	﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)﴾	١٢١	٧٧٥
٢٦	﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ﴾	١٥٥	٨٢٣
٢٧	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾	٥٩	٢٠٤
٢٨	﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ﴾	١٨٠	٦٨٥
٢٩	﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾	١٨٥	٤٦٠
٣٠	﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾	١٨٧	٥
٣١	﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا﴾	١٩١	٦٤٩
سورة النساء			
٣٢	﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا (١٥)﴾	١٥	٢٦٠ ، ٧٨٦، ٧٨٩
٣٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾	٢٩	٢٩٣ ، ٦٢٤
٣٤	﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا (٤١)﴾	٤١	٩١٩
٣٥	﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾	٧٨	٢٥٢
٣٦	﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾	٨٠	٥٩٨
٣٧	﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا (٨٢)﴾	٨٢	١٣٨
٣٨	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا (١٠٥)﴾	١٠٥	١٠٧
٣٩	﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ﴾	١١٣	٥٨٧
٤٠	﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا (١٥٩)﴾	١٥٩	٥٥٦



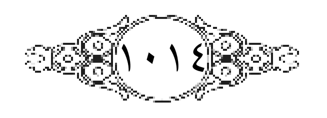
م	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة المائدة		
٤١	﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	٥	٩٢
٤٢	﴿وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾	١٢	٥٩٨
٤٣	﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)﴾	٧٤	٢٨٦
٤٤	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾	٨٢	١٤٤
٤٥	﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾	٨٩	٩٢
٤٦	﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾	١١٧	٦٨٥
	سورة الأنعام		
٤٧	﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾	٣٥	٢٢٢
٤٨	﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾	٦٧	٤١١
٤٩	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾	٨٢	١٠٨
٥٠	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)﴾	٨٣-٨٦	٥٧٧
٥١	﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾	٩١	٣٨٥ ، ٨٥٢
٥٢	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾	٩٢	٣٨٥
٥٣	﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾	١٣٨	٣٠٤
٥٤	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾	١٦٢-١٦٣	٩٨٣
	سورة الأعراف		
٥٥	﴿المص (١) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾	١-٢	٥٢٦
٥٦	﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾	٢٨	٧٨٩
٥٧	﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٣١	٢٧٦



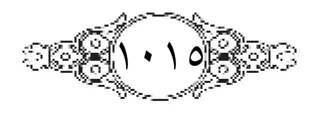
٥٨	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	٣٣	٧٨٩
٥٩	﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾	٤٠	٨٩٨
٦٠	﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾	٧٣	٣٤٦
٦١	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾	٧٨	٣٤٦
٦٢	﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٢٨	٨٢٢
٦٣	﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾	١٣٤	٨٥٤
٦٤	﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾	١٥٧	٥٩٨
سورة الأنفال			
٦٥	﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١	١٩٠
٦٦	﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾	١٧	٥٨٤
٦٧	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾	٣٠	٤٠٦
٦٨	﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾	٣٢	٦٨٥
٦٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٥-٤٦	٧٧٥
٧٠	﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١٠٧
سورة التوبة			
٧١	﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾	١١١	٦٨١ ، ٧٧٩
٧٢	﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾	١١٤	٧٧١
سورة يونس			
٧٣	﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾	٥	٨٧٦ ، ٩٥٩
سورة هود			
٧٤	﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾	١	٣٠٩
٧٥	﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٨	٣٧٥
٧٦	﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ﴾	٦٥	٣٤٦
٧٧	﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾	٦٧	٣٤٦
٧٨	﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن	٨٢	٣١٦



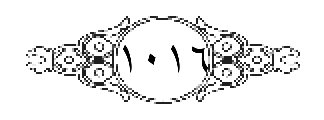
	﴿سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾		
٧٩	﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾	١٠٣	٩١٩
٨٠	﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾	١١٤	٥٤
سورة يوسف			
٨١	﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾	٢	١٣٨
٨٢	﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	٨٢	٩٤٨
سورة إبراهيم			
٨٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	٦٩٦
٨٤	﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٥٧١
٨٥	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ﴾	٤٨	٧١٠
سورة الحجر			
٨٦	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾	٩	٥٤٨ ، ٥
٨٧	﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾	٤٤	٥٢١
٨٨	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾	٨٠	٣٠٤
سورة النحل			
٨٩	﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ﴾	١٨	٤٣٢ ، ٤٣١
٩٠	﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	٤٦١
٩١	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	١٢٠ ، ١٠٨ ، ١٠٧
٩٢	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾	٤٩-٥٠	٨٢٩
٩٣	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾	٥٨	٥٤٣
٩٤	﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	١٠٧
٩٥	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾	٨٩	٣٠٩
٩٦	﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	٩٠	٥٨٢
سورة الإسراء			
٩٧	﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾	١٩	٤٨٧



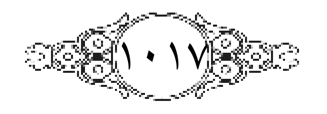
٩٨	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	٥٤٢
٩٩	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	٨٨٨
١٠٠	﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾	٧٤-٧٣	٥٨٧
١٠١	﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾	٧٥	٥٨٨
١٠٢	﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾	٧٩	٩١٥
١٠٣	﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾	٩٣	٥٩٢
	سورة الكهف		
١٠٤	﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾	٦	١٧١
١٠٥	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾	٧	١٧٢
١٠٦	﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾	١٦	١٧٥
١٠٧	﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾	١٨	١٦٧ ، ١٧٧، ٩٩٥
١٠٨	﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٢٢	١٨١
١٠٩	﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	١٨٢
١١٠	﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	٨٥٨
١١١	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾	٣٢	١٦٣ ، ١٨٣
١١٢	﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	٦٢٩
١١٣	﴿أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	١٥٥ ، ١٦٨ ، ١٨٨
١١٤	﴿عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾	٨٦	١٥٧ ، ١٩٠
١١٥	﴿خَرَاجًا﴾	٩٤	١٥٧ ، ١٥٩
١١٦	﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾	٩٦	٢٠٠ ، ٤٤٣
١١٧	﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾	٩٦	٤٤٣
	سورة مريم		
١١٨	﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	٣٧٠
١١٩	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾	٤٧-٤٦	٧٧٢



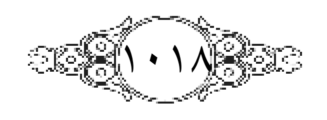
سورة طه			
١٢٠	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾	٥	٦٧٢
١٢١	﴿۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾	٥٥	٢٠٢
١٢٢	﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ۝٧٧﴾	٧٧	٥٦٤
١٢٣	﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾	١٠٣	٢٠٧
١٢٤	﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾	١٢٣	٥٤٨
١٢٥	﴿كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾	١٢٦	٥٤٨
سورة الأنبياء			
١٢٦	﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾	١٨	٣٠٨
١٢٧	﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾	١٩-٢٠	٨٢٩
١٢٨	﴿نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾	٧٨	٢٠٨
١٢٩	﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾	٧٩	٤٤١
١٣٠	﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٨٧	٤٨٨
١٣١	﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾	١٠٤	٩١٥
سورة الحج			
١٣٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾	٥	٢٠٥
١٣٣	﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾	٥	٢١١ ، ٩٩٦
١٣٤	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾	١١	٢١٧ ، ٢١٩
١٣٥	﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾	١٥	٢٢٠
١٣٦	﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۝٢٠﴾	٢٠	١٦٨ ، ٢٢٣
١٣٧	﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤﴾	٢٤	١٣٢ ، ٢٦٤
١٣٨	﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾	٢٧	٢٢٦
١٣٩	﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾	٢٨	١٦٤ ، ٢٢٨
١٤٠	﴿لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾	٢٩	١٦٨ ، ٢٣٢
١٤١	﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾	٣٠	٨٥٥



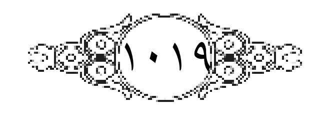
١٤٢	﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾	٣٢	٢٣٥
١٤٣	﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٣٣	٢٣٥
١٤٤	﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾	٣٦	١٣٦ ، ٢٣٨
١٤٥	﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾	٣٦	٢٤٠
١٤٦	﴿ٱلْقَانِعَ﴾	٣٦	١٥٩ ، ٢٤٢
١٤٧	﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾	٣٦	١٥٩ ، ٢٤٦
١٤٨	﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾	٤٥	٢٤٩
١٤٩	﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	١٥٩ ، ٢٥١
١٥٠	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾	٤٦	٨٠٥
سورة المؤمنون			
١٥١	﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	٢	٢٥٣ ، ٢٥٤
١٥٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾	١٢-١٣	٢٠٤ ، ٨٦٠
١٥٣	﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾	١٤	٨٦٠
١٥٤	﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾	٢٠	١٦٨ ، ٢٥٦
١٥٥	﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾	٣١	٣١٣
١٥٦	﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾	٧٢	١٩٨
سورة النور			
١٥٧	﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾	٣	٢٦٧
١٥٨	﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾	٤	٢٦٠ ، ٢٦١
١٥٩	﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾	٦	٢٦١
١٦٠	﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾	٨	١٤١ ، ١٥٣ ، ٢٥٩، ٢٦٢ ، ٢٦٣
١٦١	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾	٢٤	١٦٤ ، ٩١٦
١٦٢	﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾	٢٦	١٣٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦، ٢٦٧
١٦٣	﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾	٢٩	٢٦٩



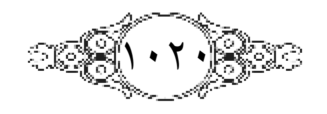
١٦٤	﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾	٣١	١٤١ ، ٢٧٤
١٦٥	﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾	٣١	١٥٣ ، ١٦٦ ، ٢٨٠
١٦٦	﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)﴾	٣٣	٢٨٧ ، ٢٨٤
١٦٧	﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾	٤٣	١٣٩ ، ٢٨٨
١٦٨	﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾	٥٩	١٥٣ ، ٢٩٠
١٦٩	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾	٦١	١٥٣ ، ٢٩٢
١٧٠	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾	٦١	١٤٨ ، ٢٩٧
١٧١	﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾	٦٢	٣٠١
	سورة الفرقان		
١٧٢	﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣)﴾	١٣	٩٧٢
١٧٣	﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢)﴾	٢٢	٣٠٤
١٧٤	﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)﴾	٣٣	٣٠٨
١٧٥	﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨)﴾	٣٨	١٤٢ ، ١٥٩ ، ٣١٠
١٧٦	﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾	٤٠	٣١٥
١٧٧	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾	٤٥	٣١٧ ، ٩٩٧
١٧٨	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾	٥٠-٥٢	١٣٢ ، ٣٢١
١٧٩	﴿۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣)﴾	٥٣	٣٢٤ ، ٦٩٤ ، ٦٩٧
	سورة الشعراء		
١٨٠	﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾	٣	٣٢٧
١٨١	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤)﴾	٥٤	١٤٥ ، ٣٢٨
١٨٢	﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)﴾	٦١	٣٦٦
١٨٣	﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)﴾	٦٣	١٦٦ ، ٣٣٣
١٨٤	﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤)﴾	٦٤	٣٣٥



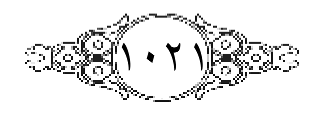
م	الآية	رقمها	الصفحة
١٨٥	﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾	٨٤	٥١٤
١٨٦	﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾	٩١	٨٥٨
١٨٧	﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨﴾	١٢٨	٣٣٨ ، ٩٩٨
١٨٨	﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾	١٣٧	٣٤٢
١٨٩	﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ١٤٩﴾	١٤٩	٩٥٠
١٩٠	﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾	١٥٨	٣٤٥
١٩١	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾	١٩٢- ١٩٥	١٣٨
١٩٢	﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾	٢١٨	١٦٩ ، ٣٤٨
١٩٣	﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾	٢١٩	٣٥٠
	سورة النمل		
١٩٤	﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾	١٢	١٦٠ ، ٣٥٣
١٩٥	﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾	١٤	٣٥٥ ، ٣٥٦
١٩٦	﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾	٢٣	٢٢٧ ، ٣٥٧
١٩٧	﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾	٣٨	٣٦١
١٩٨	﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾	٤٤	٣٦٤
١٩٩	﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١﴾	٥١	٣٤٦
٢٠٠	﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾	٦١	٦٩٧
٢٠١	﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾	٦٦	٣٦٥
٢٠٢	﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾	٧٢	٣٧١
٢٠٣	﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾	٨٢	١٣٢ ، ١٥٨ ، ٣٧٤
٢٠٤	﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾	٨٨	١٥٥ ، ٣٧٧
٢٠٥	﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾	٩٠	٣٨٠
	سورة القصص		
٢٠٦	﴿قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾	٤٨	٣٨٥
٢٠٧	﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾	٤٨	١٥٨ ، ٣٨٢
٢٠٨	﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ﴾	٤٩	٣٨٣



٢٠٩	﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	٧٣	٥٩٨
٢١٠	﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾	٧٦	٣٨٦ ، ١٤٢
٢١١	﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾	٧٦	٣٩٠
٢١٢	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾	٧٩	٣٩٢
	سورة العنكبوت		
٢١٣	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٣	٣٩٧ ، ١٣٩
٢١٤	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾	١٠	٣٩٩
٢١٥	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (١٣) ﴾	١٢-١٣	٥٨٦
٢١٦	﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾	١٧	٤٠٢
٢١٧	﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٣٤	٨٥٤
٢١٨	﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤١) ﴾	٤١	٤٠٥ ، ١٦١
٢١٩	﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤٣) ﴾	٤٣	١٨٧
٢٢٠	﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾	٥٣	٤١٠
٢٢١	﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾	٦٤	٩٦٩
	سورة الروم		
٢٢٢	﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) ﴾	٢	، ٤١٢ ، ١٦١ ، ٩٩٩ ، ٤١٦
٢٢٣	﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾	٣	٩٩٩ ، ٤١٦ ، ٤١٣
٢٢٤	﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) ﴾	١٧	٦٧٩
٢٢٥	﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٤١	٤١٧
	سورة لقمان		
٢٢٦	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾	٦	٤٢١ ، ١٣٦
٢٢٧	﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾	١٣	١٠٨
٢٢٨	﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾	١٤	٤٢٧ ، ١٣٩
٢٢٩	﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) ﴾	١٤	٢٥



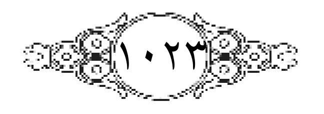
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٠	﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	٦٩ ، ٦١٧
٢٣١	﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾	٢٠	١٥٨ ، ٤٣٠
٢٣٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٤٦١
	سورة السجدة		
٢٣٣	﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾	٦-٨	٢٠٤ ، ٢٠٥
٢٣٤	﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾	٢٠	٩٧٠
	سورة الأحزاب		
٢٣٥	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾	٧	٥٧٧
٢٣٦	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾	٢١	٥٩٣
٢٣٧	﴿مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾	٢٦	١٥٥ ، ٤٣٤
٢٣٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ ﴾	٤١-٤٢	٥٩٨
٢٣٩	﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾	٥٩	٤٣٦
	سورة سبأ		
٢٤٠	﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾	١٠	٤٣٩
٢٤١	﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾	١٢	٤٤٢
٢٤٢	﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾	١٣	١٦٤ ، ٤٤٤
٢٤٣	﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾	١٤	١٥٥ ، ٤٤٧
٢٤٤	﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾	١٥	٤٥٣
٢٤٥	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾	١٦	٤٤٨ ، ٤٥١ ، ١٠٠٠
٢٤٦	﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	٦٩٧
٢٤٧	﴿ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢	٤٥٤
	سورة فاطر		
٢٤٨	﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾	١١	١٤٢ ، ٤٥٦



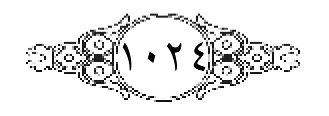
٢٤٩	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾	١٢	٦٩٧
٢٥٠	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾	١٨	٤٦٠
٢٥١	﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	١٥٦ ، ٤٦٢ ، ٩٦٥
٢٥٢	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	٤٦٤
سورة يس			
٢٥٣	﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾	١-٢	٥٢٦
٢٥٤	﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٦	٨٦١
٢٥٥	﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	٤٦٦ ، ١٠٠١
٢٥٦	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾	٥١	٦٨٩
٢٥٧	﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾	٥٦	٥٧٣
سورة الصافات			
٢٥٨	﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	٤٧٠
٢٥٩	﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	٤٧٢
٢٦٠	﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	٧٢١
٢٦١	﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	١٦٣ ، ٤٧٦
٢٦٢	﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾	٥٠-٥١	١٨٣
٢٦٣	﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾	٥١	١٦١ ، ١٨٥، ٤٨٠
٢٦٤	﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	٤٨٣
٢٦٥	﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	٤٨٤
٢٦٦	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾	١٠٢	٤٨٦
٢٦٧	﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾	١٤٦	١٣٦ ، ٤٨٨
٢٦٨	﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾	١٥٠	٥٤٣
سورة ص			
٢٦٩	﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾	١٦	١٦٥ ، ٤٩٢
٢٧٠	﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٥٠٣
٢٧١	﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٤٤١ ، ٥٠٣
٢٧٢	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٥٠٣



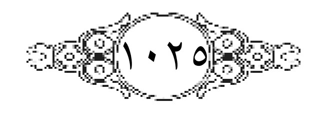
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٧٣	﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ (٢٤)﴾	٢٤	١٤٦
٢٧٤	﴿۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ (٢١) إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ (٢٤) فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٢٥)﴾	٢١-٢٥	١٤٦ ، ٤٩٦
٢٧٥	﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾	٢٦	٥٠٥
٢٧٦	﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	٤٥	١٦٥ ، ٥٠٧
٢٧٧	﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ (٤٦)﴾	٤٦	٥١١
سورة الزمر			
٢٧٨	﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾	٦	٥١٥ ، ١٠٠٢
٢٧٩	﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ (١٥)﴾	١٥	٧٧٧
٢٨٠	﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾	٢٨	١٣٨
٢٨١	﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ (٥١)﴾	٥٠-٥١	٦٦٧
٢٨٢	﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾	٧٢	١٤٢ ، ١٦٦، ٥١٩
سورة غافر			
٢٨٣	﴿حمٓ (١)﴾	١	١٤٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٦
٢٨٤	﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ (٢)﴾	٢	٥٢٦
٢٨٥	﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾	٧	٥٠٦
٢٨٦	﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾	١١	١٣٢ ، ٥٢٨
٢٨٧	﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾	١٧	٥٦٢



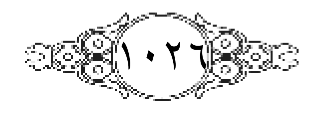
٢٨٨	﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	٣٥٦
٢٨٩	﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾	٥٥	٥٨٥
٢٩٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾	٥٦	٥٣٢
٢٩١	﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾	٦٧	٢٠٥
سورة فصلت			
٢٩٢	﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾	٥	٥٣٧
٢٩٣	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٥-١٦	٩٤٩
٢٩٤	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٤٦
٢٩٥	﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ﴾	٢١	٩١٦ ، ١٦٤
٢٩٦	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾	٢٦	٩٢٦ ، ٩٢٥
٢٩٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾	٣٠-٣٢	٧٥٦
٢٩٨	﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ﴾	٤٠	٥٣٤ ، ١٣٩
٢٩٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾	٤٠-٤١	٥٣٥
٣٠٠	﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ﴾	٤٤	٥٣٦
سورة الشورى			
٣٠١	﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾	١٣	٥٧٧
٣٠٢	﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾	٥٠	٥٣٨



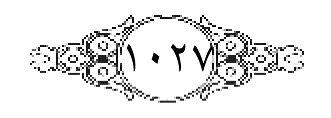
٣٠٣	﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾	٥٠	٥٤٠
سورة الزخرف			
٣٠٤	﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾	١٥	٥٤١
٣٠٥	﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾	١٦-١٨	٥٤٤
٣٠٦	﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾	١٩	٥٤٣
٣٠٧	﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾	٢٦-٢٧	٦٠٨
٣٠٨	﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾	٣١	٥٤٥
٣٠٩	﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	٣٦	٥٤٦
٣١٠	﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	١٥٨ ، ١٦٣، ٥٤٩
٣١١	﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾	٥٧	٥٥٢
٣١٢	﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾	٥٨	٥٥٢
٣١٣	﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾	٦١	٥٥٤
سورة الدخان			
٣١٤	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾	٣	٥٥٨ ، ٥٥٩
٣١٥	﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾	٤	٥٥٧
٣١٦	﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾	١٠-١١	٥٦٣
٣١٧	﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٥-١٦	٥٦١
٣١٨	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾	١٦	٥٦٣
٣١٩	﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	١٥٦ ، ٥٦٤
٣٢٠	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	٥٦ ، ٥٦٧
٣٢١	﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	٥٧٢
سورة الأحقاف			
٣٢٢	﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾	٢١	٩٤٩



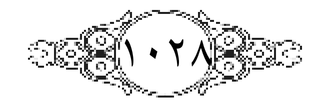
٣٢٣	﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	٥٧٤
	سورة محمد		
٣٢٤	﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾	٤	٥٧٠ ، ٥٨٦
٣٢٥	﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾	١٥	١٥٦ ، ٥٧٩
٣٢٦	﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾	١٥	٨٧٤
٣٢٧	﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾	١٩	٥٩٠ ، ٥٩١
	سورة الفتح		
٣٢٨	﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢	١٤٣ ، ٥٨١ ، ٥٨٤
٣٢٩	﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾	٣	٥٨٥
٣٣٠	﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾	٩	٥٩٥
٣٣١	﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾	١٦	٥٩٩
٣٣٢	﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾	١٨	٦٠٤
٣٣٣	﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾	٢٠	٦٠٢
٣٣٤	﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾	٢٦	٦٠٥
٣٣٥	﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾	٢٩	٦٠٩
٣٣٦	﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾	٢٩	٦١٠
٣٣٧	﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾	٢٩	٦١٢
	سورة الحجرات		
٣٣٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾	١	١٤٨ ، ٦١٤
٣٣٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾	٢	٦١٧
٣٤٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾	٤	١٦١ ، ٦٢٠
٣٤١	﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾	١١	٦٢٢ ، ٦٢٥
٣٤٢	﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ﴾	١٤	٦٢٨
	سورة ق		
٣٤٣	﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾	٤	٦٣٠
٣٤٤	﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾	٥	٦٣٤
٣٤٥	﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾	٦	٨٠٨
٣٤٦	﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠﴾	١٠	١٤٠ ، ١٥٦ ، ٦٣٨



٣٤٧	﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾	١٩	٦٤١
٣٤٨	﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾	٢٢	٩١٢
٣٤٩	﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩﴾	٣٩	٦٤٣
٣٥٠	﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝٤٢﴾	٤٢	٦٤٦
سورة الذاريات			
٣٥١	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾	٧	٦٣٥ ، ٦٤٨
٣٥٢	﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾	٨	٦٣٥ ، ٦٥١
٣٥٣	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾	١٦	٦٥٣
٣٥٤	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾	١٧	٦٥٢
٣٥٥	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩﴾	١٩	٦٥٦ ، ٦٥٩
٣٥٦	﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾	٣٢-٣٣	٣١٦ ، ٦٦٤
٣٥٧	﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٤٤﴾	٤٤	٣٤٦
٣٥٨	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٤٦﴾	٤٦	٦٦٤
٣٥٩	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾	٤٧	٦٦١
٣٦٠	﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾	٤٩	٩٣٩
٣٦١	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾	٥٦	٦٦٤
٣٦٢	﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾	٥٩	٦٦٤
سورة الطور			
٣٦٣	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦﴾	٦	١٢٦
٣٦٤	﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾	٩	٦٦٨
٣٦٥	﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾	٢١	٦٢٩
سورة النجم			
٣٦٦	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾	٣-٤	١١١ ، ٥٩٣
٣٦٧	﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾	٧	٦٧١
٣٦٨	﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾	٩	٦٧٣
٣٦٩	﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝٣٤﴾	٣٣-٣٤	٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦

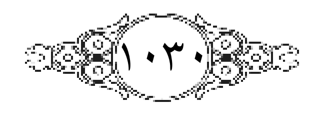


٣٧٠	﴿ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾	٤١	٦٧٦
٣٧١	﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	٦٧٨ ، ٦٧٩
٣٧٢	﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾	٣٨	٦٧٩
٣٧٣	﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	٦٨٢
٣٧٤	﴿ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	٦٠-٦١	٩٢٥
سورة القمر			
٣٧٥	﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾	١	٥٥٥، ٦٨٦، ١٠٠٣
٣٧٦	﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ ﴾	٢	٦٨٨
٣٧٧	﴿ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ ﴾	٧	٦٨٩
٣٧٨	﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	٣٤٦
سورة الرحمن			
٣٧٩	﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٦٩٠
٣٨٠	﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	٦٩٤ ، ١٠٠٤
٣٨١	﴿ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾	٢٠	١٦٦، ٦٩٩، ١٠٠٤
٣٨٢	﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٦٩٧ ، ٧٠٣
٣٨٣	﴿ شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ ﴾	٣٥	٧٠٦
٣٨٤	﴿ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	١٦٠ ، ١٦٣ ، ٧٠٨، ١٠٠٥
٣٨٥	﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	١٤٩ ، ٧١٢
٣٨٦	﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٨	١٦٤ ، ٧١٧
٣٨٧	﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾	٥٦	٧٢٠
٣٨٨	﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٤	٧٢٣
٣٨٩	﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	٧٢١ ، ٧٢٦، ٧٢٧
٣٩٠	﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ ﴾	٧٤	٧٣٠
٣٩١	﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ ﴾	٧٦	٧٣٣
٣٩٢	﴿ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ ﴾	٧٦	٧٣٦
سورة الواقعة			
٣٩٣	﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ ﴾	٥	٧٤١

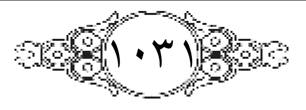


٣٩٤	﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦﴾	٦	٧٣٩ ، ٧٤١
٣٩٥	﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾	١٩	٤٧٤
٣٩٦	﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨﴾	٢٨	٧٤٢
٣٩٧	﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾	٣٥	٥٧٣
٣٩٨	﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾	٣٦	٧٣٢
٣٩٩	﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧﴾	٣٧	٧٤٥
٤٠٠	﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾	٧٥	١٣٤ ، ٧٥٣
٤٠١	﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾	٨٢	١٣٤ ، ١٤٩، ٧٥٤،٧٥٢
٤٠٢	﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾	٩١	٧٥٦ ، ٧٥٨
	سورة الحديد		
٤٠٣	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾	٢٠	٩٦٧
	سورة المجادلة		
٤٠٤	﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾	١	٧٦٥
٤٠٥	﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ﴾	٤	١٥٤ ، ٧٥٩، ٧٦١
٤٠٦	﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾	٤	١٣٤ ، ٧٦٣
٤٠٧	﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٨	١٣٤ ، ١٤٩، ٧٦٧
٤٠٨	﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾	١٣	٥٨٩
	سورة الحشر		
٤٠٩	﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾	٥	٧٦٩
٤١٠	﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾	١٤	٧٧٥
	سورة الممتحنة		
٤١١	﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾	٤	٧٧٠
٤١٢	﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾	٦	٧٧٢
	سورة الصف		
٤١٣	﴿بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾	٤	٧٧٣
	سورة المنافقون		
٤١٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾	٩	٩٦٩

	﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾		
	سورة التغابن		
٤١٥	﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾	٩-١٠	٧٧٧ ، ٧٧٨
٤١٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾	١٤	١٤٩ ، ٧٨٠، ٧٨١
٤١٧	﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾	١٤	٧٨٠ ، ٧٨٣
٤١٨	﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾	١٥	٧٨٢
٤١٩	﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٧٦١
	سورة الطلاق		
٤٢٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾	١	١٣٥ ، ٧٨٤
٤٢١	﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾	١	٧٨٦
٤٢٢	﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾	٩	٧٩٠
	سورة التحريم		
٤٢٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾	١	٧٩٢
٤٢٤	﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾	٣	٧٩٨
٤٢٥	﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	٤	٨٠١
٤٢٦	﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾	٥	٨٠٣
٤٢٧	﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾	٦	٨٢٩
٤٢٨	﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾	١٠	٢٦٧
٤٢٩	﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾	١١	٥٦ ، ٢٦٨
	سورة الملك		
٤٣٠	﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾	٣	٦٤٩ ، ٨٠٧ ، ٨٠٩
	سورة القلم		
٤٣١	﴿نٓ﴾	١	٨١١



٤٣٢	﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	٨١٤
٤٣٣	﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	٨١٦
٤٣٤	﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾	٥١	٨١٩
سورة الحاقة			
٤٣٥	﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾	٦	٨٢٤
٤٣٦	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾	٦-٨	٩٤٩
٤٣٧	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾	١١	١٦٩ ، ٨٢٧
٤٣٨	﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٨٣٠
٤٣٩	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٤-٤٧	٥٨٨
سورة المعارج			
٤٤٠	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾	٨	٧١٠
٤٤١	﴿كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾	١٥-١٧	٨٥٨
٤٤٢	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾	٢٤-٢٥	٦٦٠
٤٤٣	﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	٥٣١ ، ٦٤٧، ٦٨٩، ٩١٥
٤٤٤	﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	٩١٥
سورة نوح			
٤٤٥	﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾	١٣	٥٩٨
٤٤٦	﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾	١٦	٨٧٦
سورة الجن			
٤٤٧	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾	١٩	٣٤٩
سورة المزمل			
٤٤٨	﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾	١	١٥٢ ، ٨٣٣
٤٤٩	﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾	٢	٣٤٩
٤٥٠	﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾	٣-٤	١٥٤ ، ١٦٩، ٨٣٨
٤٥١	﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾	٥	٥٨٦



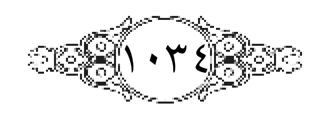
٤٥٢	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)﴾	٦	٨٤٣ ، ٨٥٠
٤٥٣	﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)﴾	٧	٨٤٨
٤٥٤	﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨)﴾	٨	٨٥١ ، ٨٥٣
٤٥٥	﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	٩	٨٥٣
٤٥٦	﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨)﴾	١٨	٨١٠
٤٥٧	﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾	٢٠	٨٤٠
٤٥٨	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾	٢١	٨٤١
	سورة المدثر		
٤٥٩	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)﴾	١-٣	٨٣٤
٤٦٠	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾	٥	١٣٦ ، ٨٥٤
٤٦١	﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩)﴾	٢٩	١١٩ ، ٨٥٧
	سورة القيامة		
٤٦٢	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾	٢٢-٢٣	٨٦٤
	سورة الإنسان		
٤٦٣	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾	٢	٨٥٩، ٩٥٤، ١٠٠٦
٤٦٤	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾	٣	٩٥٤
٤٦٥	﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١)﴾	١١	٨٦٣
٤٦٦	﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾	١٣	٨٦٥
٤٦٧	﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)﴾	١٣	٨٦٧
٤٦٨	﴿وَأَكْوَابٍ﴾	١٥	٨٧٠
٤٦٩	﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)﴾	١٦	١٦٠ ، ٨٧٢
٤٧٠	﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧)﴾	١٧	٨٧٤
٤٧١	﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨)﴾	١٨	٨٧٤
	سورة النبأ		
٤٧٢	﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢)﴾	١٢	٦٥٠
٤٧٣	﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)﴾	١٣	٨٧٦
٤٧٤	﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣)﴾	٢٣	١٨٩
٤٧٥	﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤)﴾	٣٤	٨٧٨



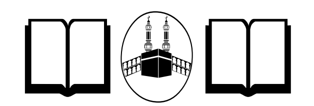
	سورة النازعات		
٤٧٦	﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾	٣	٤٦٨
٤٧٧	﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨﴾	٨	٨٨١
٤٧٨	﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠﴾	١٠	٨٨٣ ، ٨٨٤
٤٧٩	﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١﴾	١١	٨٨٧
٤٨٠	﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾	٢٩	٨٩٠
٤٨١	﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦﴾	٣٦	٨٥٨
٤٨٢	﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾	٤٠-٤١	٧١٤
	سورة عبس		
٤٨٣	﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨﴾	٣٨	١٦٠ ، ٨٦٤، ٨٩٢
٤٨٤	﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾	٣٩	٨٦٤
	سورة التكوير		
٤٨٥	﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾	١٤	٩٢٠
٤٨٦	﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾	٢٣	٦٧٣
	سورة الانفطار		
٤٨٧	﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾	٩	٨٩٥
	سورة المطففين		
٤٨٨	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾	٧	١٣٧ ، ٨٩٧
٤٨٩	﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾	٨-٩	٨٩٩
٤٩٠	﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾	١٤	٩٠٢ ، ٩٠٤
	سورة الانشقاق		
٤٩١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾	٦	٩١١
٤٩٢	﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾	١٨	٩٠٥
٤٩٣	﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾	١٩	٩٠٧
٤٩٤	﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ٢١﴾	٢٠-٢١	٩١١
	سورة البروج		
٤٩٥	﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢﴾	٢	١٣٧ ، ٩١٤
٤٩٦	﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾	٣	١٦٤ ، ٩١٦



م	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الطارق			
٤٩٧	﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾	٣	٩٢١
٤٩٨	﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾	١٤	٩٢٤
سورة الغاشية			
٤٩٩	﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦﴾	٦	٩٢٧ ، ٩٢٩
٥٠٠	﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾	٧	٩٢٧
٥٠١	﴿وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤﴾	١٤	٩٣٠
٥٠٢	﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥﴾	٢٥	٩٣١
سورة الفجر			
٥٠٣	﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾	٢	١٣٧ ، ٩٣٢
٥٠٤	﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾	٣	٩٣٦
٥٠٥	﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾	٥	٩٤٢
٥٠٦	﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧﴾	٧	٩٤٥ ، ١٠٠٧
٥٠٧	﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩﴾	٩	٩٥٠ ، ١٠٠٨
سورة البلد			
٥٠٨	﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾	١٠	١٣٧ ، ٩٥٢
٥٠٩	﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦﴾	١٦	٩٥٥
٥١٠	﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾	٢٠	٩٥٧
سورة الشمس			
٥١١	﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾	٢	٩٥٩
٥١٢	﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤﴾	١٤	٣٤٦
سورة الضحى			
٥١٣	﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾	٢	٩٦٢
٥١٤	﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾	٥	٩٧٨
سورة الشرح			
٥١٥	﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾	١-٤	٥٨٥
٥١٦	﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢﴾	٢	٥٨٨

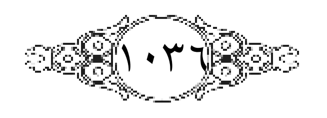


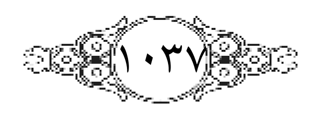
٥١٧	﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾	٥-٦	٥٨٦
	سورة العلق		
٥١٨	﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾	١	٨٣٤
	سورة الزلزلة		
٥١٩	﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾	٤	٥٦٨
	سورة القارعة		
٥٢٠	﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾	٥	٩٦٥
	سورة التكاثر		
٥٢١	﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾	١	٩٦٦
	سورة العصر		
٥٢٢	﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	٢-٣	٩١٢
	سورة الهمزة		
٥٢٣	﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾	٨	١٧٨ ، ١٧٩
٥٢٤	﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾	٩	٩٧٠
	سورة الفيل		
٥٢٥	﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾	٥	٦٩١
	سورة الكوثر		
٥٢٦	﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾	١	١٣٥ ، ٩٧٤
٥٢٧	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	٢	١٦٥ ، ٩٨٠
	سورة النصر		
٥٢٨	﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾	١-٣	٥٩٠
٥٢٩	﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾	٢	٩٨٥
٥٣٠	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾	٣	٥٩٠
	سورة الفلق		
٥٣١	﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾	٥	٩٨٧

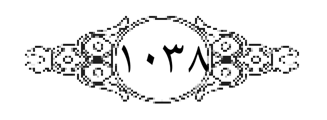


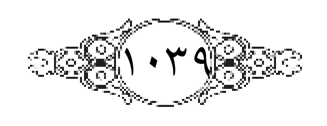


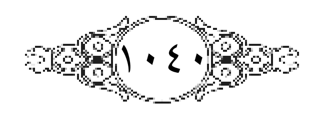
فهرس الأحاديث النبوية



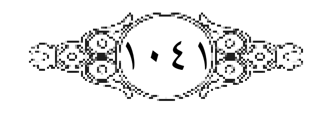




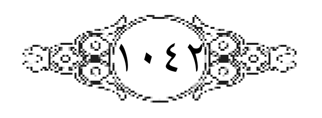




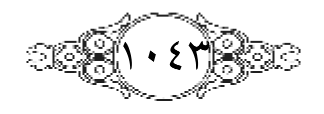




فهرس الآثار







فهرس الأبيات الشعرية

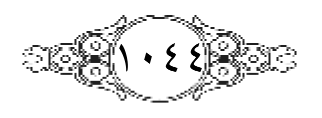
قافية الباء

قافية التاء

قافية الجيم

قافية الدال

قافية الراء

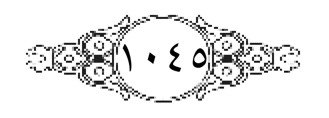


قافية السين

قافية الشين

قافية الصاد

قافية العين



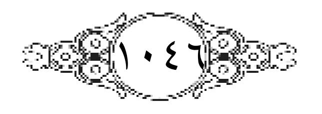
قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

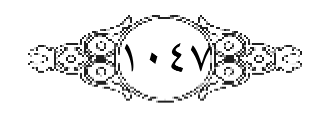


قافية النون

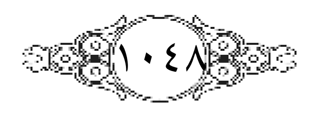
قافية الهاء

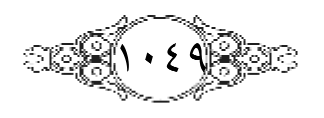
قافية الياء

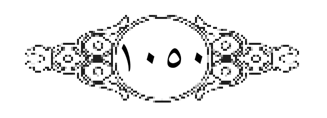


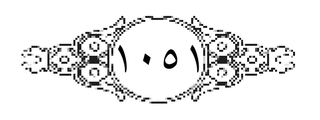


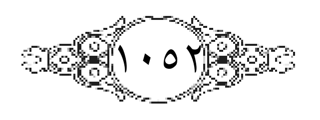
فهرس الأعلام

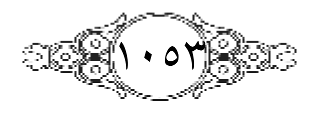


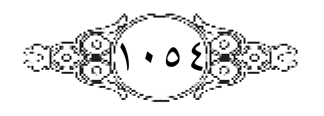


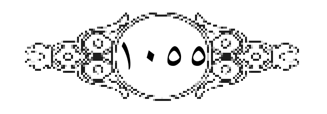


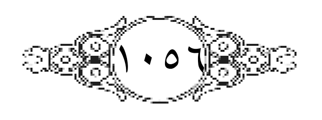


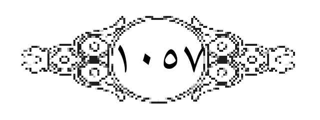


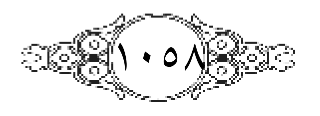


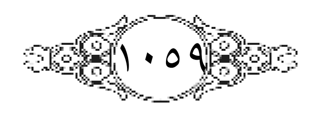




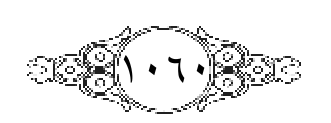




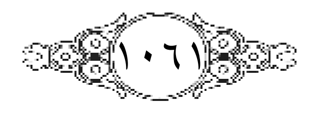


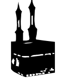


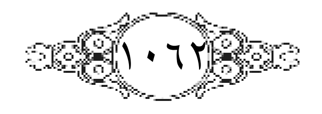
فهرس شيوخ عطاء الخراساني



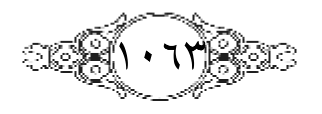
فهرس تلاميذ عطاء الخراساني



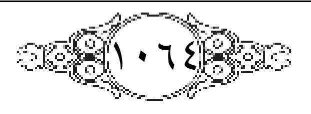





فهرس القواعد التفسيرية

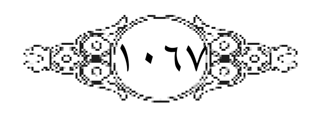


١٧	الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه	٦٧٣
١٨	الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل	٤٢٠ ، ٥٢٧
١٩	الإطلاق يقتضي المساواة	٦٩٦
٢٠	إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدَّر	٤٥٨، ٥٥٩
٢١	تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملا	٣٣٤ ، ٤٤٣ ، ٨٢٦، ٩٥٤
٢٢	تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب	١٦٩، ٨٢٨
٢٣	التخيير لا يقتضي التسوية	١٦٩، ٨٤٢
٢٤	الترتيب توقيفي في الآيات دون السور	٨٣٧
٢٥	تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجّة على من بعدهم	٣٤٩ ، ٤٧١ ، ٥١٨ ، ٦٣٢
٢٦	التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب ، وما سواهما فباطل	٩٧٢
٢٧	توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها	٥٥٣ ، ٥٥٥
٢٨	جعل الاسمين لمعنيين أولى من أن يكونا لمعنى واحد	٧٠٥
٢٩	الخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه	٢٢٢، ٢٢٧ ، ٢٧٢ ،٣٨٩ ، ٤٢٦
٣٠	السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل ...	٣٠٧، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٦٨، ٤٦٣، ٤٧٥
٣١	الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى تنزيلا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات	٢١٦
٣٢	صيغة التفضيل قد تطلق في القرآن واللغة مراداً بها الاتصاف ، لا تفضيل شيء على شيء	٦٨٥
٣٣	عامّة ألفاظ القرآن تدلُّ على معنيين فأكثر	٣٦٠
٣٤	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	٢٨٧، ٢٩٥، ٦٢٦، ٧٥٥
٣٥	العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف ، والمعطوف عليه ، مع اشتراكهما في الحكم الذي ذُكر لهما	٧٣٨
٣٦	علم المبهمات موقوف على النَّقل المحض	٣٣١، ٣٩١، ٣٩٦ ، ٥٢١
٣٧	عند احتمال اللفظ لمعنيين فأكثر تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النَّقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملا	٥١٨، ٦٠٨، ٦١١، ٦١٣، ٦٦٢، ٧٢١
٣٨	في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب ، والأشهر ، والأفصح ، دون الشاذ والقليل	١٦٨، ١٨٠، ٢١٠، ٢٢٥، ٤٤٦ ، ٦٣٩
٣٩	قد يكون اللفظ محتملا لأمر ويحمل على غيره لأنه أولى بذلك الاسم منه	٩٤٨
٤٠	القراءتين إذا اختلف معناهما ، ولم يظهر تعارضهما ، وعادتا إلى ذات واحدة ، كان ذلك من الزيادة في الحكم	١٩٤ ، ٣٤٤

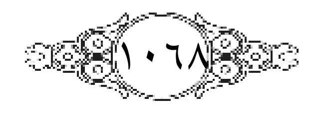


	لهذه الذات	
٤١	القرآن عربي ، فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها	١٧٤، ١٩٩، ٢١٩، ٢٧٩، ٣٤٠، ٣٥٩، ٣٨٩، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٥٣، ٤٦٩، ٤٧٩ ، ٥٣٥، ٥٧١، ٦١٣، ٦٥٩، ٦٦٧ ، ٦٧٧، ٦٩٢، ٧٠٧، ٨٣١، ٨٤٩، ٨٦١، ٩٢٢، ٩٢٩، ٩٤١، ٩٤٤، ٩٦٤
٤٢	القول الذي تؤيِّده آيات قرآنية مقدَّم على ما عدم ذلك	٤٤١ ، ٥٧٧
٤٣	القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجّح على ما خالفه	٣٢٠ ، ٥٤٤ ، ٥٦٣ ، ٦٠٤ ، ٦٣٢ ، ٦٩٨، ٨٤٩ ، ٨٧٥
٤٤	القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية	٢٤٥، ٢٤٨ ، ٦٤٢ ، ٦٩٢ ، ٧٢٩
٤٥	القول الذي يعظّم مقام النبوة ، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية	٥٠٥، ٥٩٤
٤٦	قول الصحابي مقدَّم على غيره في التفسير وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه	٢٣٠ ، ٥٣٠
٤٧	القول في الأسباب موقوف على النَّقل والسماع	٦١٦، ٧١٥، ٧٨٢
٤٨	كلّ اسم معرفة ذي أفراد يفيد العموم	٧١٥
٤٩	كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردّ	٥٦٠، ٦٨٨
٥٠	لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه	١٨٢، ١٨٦
٥١	لا يجوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجَّة يجب التسليم لها	٦٥٥، ٧٢٢
٥٢	لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه	٢٠٦، ٧١١ ، ٨١٣
٥٣	لا يخالَف بين الألفاظ إلا لاختلاف المعاني	٧٢٩
٥٤	لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيّبة ، لا دليل عليها من القرآن أو السنة	٣٤٧ ، ٩٧٣
٥٥	ما أُبهِم في القرآن فلا طائل في معرفته	٣٣١، ٣٩١، ٣٩٦
٥٦	معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة	٢٨٧
٥٧	يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق ، والموافقة لأدلة الشرع	٧٧١
٥٨	يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضَّعيف والمنكر	٤٩١ ، ٦٦٢
٥٩	يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص	٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٩، ٤١١ ، ٤٣٣، ٤٨٢، ٤٨٧ ، ٥٢١ ، ٥٣٩، ٦٠١، ٦٥٩، ٦٨١، ٦٨٤، ٧١٥ ، ٨٩٤، ٩٢٠، ٩٦٨، ٩٨٩

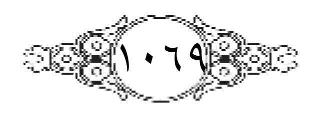
فهرس الغريب



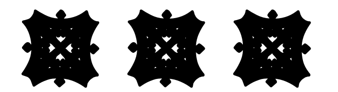


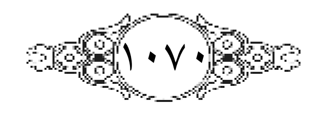


فهرس الأماكن والبلدان



فهرس الفرق والمذاهب





فهرس المصادر والمراجع

١ - **الإبانة الكبرى** – عبيد الله بن محمد بن بطة (٣٨٧هـ) ، تحقيق : رضا بن نعسان معطي ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٢ - **أبجد العلوم** -صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ) ، تحقيق : عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٣- **إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة** – أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

٤ - **الإتقان في علوم القرآن** -جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ .

٥ - **الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية** – محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ) ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٦ - **الآحاد والمثاني** -أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة ، دار الراية ، الرياض، ط١ ، ١٤١١هـ .

٧- **أحكام القرآن** – أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (٥٤٣هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان .

٨- **أحكام القرآن** – أحمد الرازي الجصاص (٣٧٠هـ) ، مراجعة : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

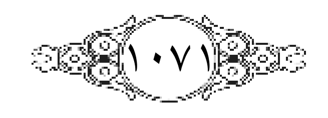
٩ - **أحكام من القرآن الكريم** – محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) ، مدار الوطن للنشر، الرياض ، ط: ١٤٢٥هـ .

١٠ - **أحوال الرجال** – إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (٢٥٩هـ) ، تحقيق: صبحي البدري، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١١ - **إحياء علوم الدين** – محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد (٥٠٥هـ) ، دار المعرفة ، بيروت.

١٢ - **أخبار مكة** – محمد بن إسماعيل الفاكهي (٢٧٥هـ) ، تحقيق: عبد الملك بن دهيش ، دار خضر ، بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ .

١٣ - **اختلاف المفسِّرين أسبابه وآثاره** – أ.د/ سعود الفنيسان – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ،



مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيليا ، الرياض .

١٤- **الإخوان** -عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

١٥- **الآداب الشرعية** -عبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي (٧٦٣هـ) ، حققه وضبط نصه: شعيب الأرنؤوط ، عمر القيَّام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .

١٦- **أدب الإملاء والاستملاء** – عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٦٢هـ) ، تحقيق: ماكس فايسفايلر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

١٧- **أدب الكاتب** – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (٢٧٦هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

١٨- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** – محمد بن محمد العمادي الحنفي (٩٨٢هـ) ، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٩هـ .

١٩- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث** – الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي (٤٤٦هـ)، تحقيق : د/ محمد سعيد عمر إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ.

٢٠- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٩هـ .

٢١- **أساس البلاغة** – أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٣٩٩هـ .

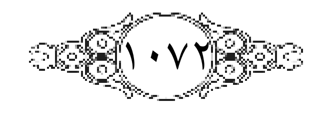
٢٢- **أسباب النزول** – علي بن احمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ) ، تحقيق : أيمن صالح شعبان ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٩هـ .

٢٣- **الاستذكار**– ابو عمر ، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، تحقيق: سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ٢٠٠٠م .

٢٤- **الاستيعاب في بيان الأسباب** – سليم الهلالي ، محمد بن موسى آل نصر ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .

٢٥- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** – يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢٦- **الإسرائيليات في التفسير والحديث** – محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط٤، ١٤١١هـ .



٢٧- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير** – محمد محمد أبو شهبة ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٠٨هـ .

٢٨- **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة** – نور الدين علي بن محمد بن سلطان ، الملا علي قاري (١٠١٤هـ) ، تحقيق : محمد الصباغ ، دار الأمانة ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١٣٩١هـ.

٢٩- **أسرار ترتيب القرآن** – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٣٠- **أشراط الساعة** – يوسف بن عبد الله الوابل ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط١٢، ١٤٢٠هـ.

٣١- **الإصابة في تمييز الصحابة** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٣٢- **أصول في التفسير** – محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) ، دار ابن القيم للتوزيع والنشر ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٣٣- **أضواء البيان** – محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (١٣٩٣هـ) ، خرج آياته وأحاديثه :محمد بن عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٣٤- **أطلس تاريخ الإسلام** – د/ حسين مؤنس ، وآخرون . الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة . ط١ ، ١٤٠٧هـ .

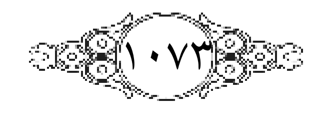
٣٥- **إعانة الطالبين** – أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

٣٦- **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة** – منهج التدريس الجامعي – أ.د/ عبد الله المصلح، د/ عبد الجواد الصاوي . دار جياد للنشر والتوزيع ط: الأولى ١٤٢٩هـ .

٣٧- **إعراب القرآن** – أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) ، تحقيق : د/ زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ .

٣٨- **الأعلام** – خير الدين الزركْلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م

٣٩- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري** – أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ) ، تحقيق ودراسة : محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بفرع الكتاب والسنة ، بجامعة أم القرى - ١٤٠٥هـ .



٤٠- **إعلام الموقعين** – شمس الدين محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ط: ١٩٣٧هـ .

٤١- **إغاثة اللهفان** – شمس الدين محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ .

٤٢- **الأغاني** – أبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦هـ) ، تحقيق : علي مهنا ، سمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٤٣- **الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر** – الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٢٢٤هـ). اعتنى به : محمد بن علي الأكوع . مكتبة الإرشاد . اليمن – صنعاء ، ط١، ١٤٢٩هـ .

٤٤- **إكمال المعلم بفوائد مسلم** – عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) ، تحقيق : يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ .

٤٥- **الأم** – محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) ، تحقيق وتخريج : رفعت فوزي عبد المطلب ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٤٦- **الأمالي في لغة العرب** – أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١٣٩٨هـ .

٤٧- **الأنساب** – عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٦٢هـ) ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٩٩٨م .

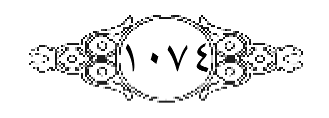
٤٨- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** – عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٦٩١هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ط١ .

٤٩- **الأولياء** – عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٥٠- **إيجاز البيان عن معاني القرآن** – محمود بن أبي الحسن النيسابوري (٥٥٣هـ) ، دراسة وتحقيق : علي العبيد ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٥١- **الإيضاح في علوم البلاغة** – الخطيب القزويني (٦٨٢هـ) ، تحقيق : الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٩هـ .

٥٢- **إيقاظ الهمم** – صالح بن محمد بن نوح العمري (١٢١٨هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط: ١٣٩٨هـ .



٥٣- **الإيمان بالأنبياء بجملتهم ، وضعف حديث أبي ذر في عددهم** – عبد الله بن زيد آل محمود ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر .

٥٤- **الإيمان لابن تيمية** – محمد ناصر الدين الألباني ، دار الأرقم .

٥٥- **باهر البرهان** – محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري (بعد٥٥٣هـ) ، تحقيق: سعاد بنت صالح بابقي ، ط١٤١٨هـ ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث .

٥٦- **بحر العلوم** – نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي (٣٧٣هـ) ، حققه وعلق عليه: عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٥٧- **البحر المحيط** – محمد بن يوسف بن حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، حقق أصوله وعلَّق عليه : د/عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٥٨- **بحوث في أصول التفسير ومناهجه** – فهد بن عبد الرحمن الرومي ، مكتبة التوبة ، الرياض ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٦ ، ١٤٢٢هـ .

٥٩- **بدائع الصنائع** – علاء الدين الكاساني (٥٨٧هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط٢ ، ١٩٨٢م .

٦٠- **بدائع الفوائد** – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

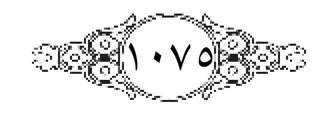
٦١- **البداية والنهاية** – إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف، بيروت .

٦٢- **البدر المنير** – سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الأنصاري (٨٠٤هـ) ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط ، وآخرون . دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١، ١٤٢٥هـ.

٦٣- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة** – عمر بن زين الدين قاسم النشار (٩٣٢هـ) ، تحقيق وتعليق : علي معوض ، وعادل عبد الموجود ، دار عالم الكتب، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٦٤- **البرهان في علوم القرآن** – محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة ، بيروت ، ط: ١٣٩١هـ .

٦٥- **البعث والنشور** – أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : عامر



أحمد حيدر ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٦٦- **بغية الطلب في تاريخ حلب** – كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت .

٦٧- **بغية الوعاة** – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان .

٦٨- **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام** – الحافظ أبو الحسن علي بن محمد ابن القطان (٦٢٨هـ) ، تحقيق : د/ الحسين آيت سعيد ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٦٩- **البيان والتبيين** – عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب، بيروت .

٧٠- **تاج العروس** – محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى حجازي، وآخرون ، دار الهداية .

٧١- **تاريخ ابن خلدون** – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (٨٠٨هـ) ، دار القلم، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤هـ .

٧٢- **تاريخ ابن معين** (رواية الدوري) – أبو زكريا يحيى بن معين (٢٢٣هـ) ، تحقيق: د/ أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، مكة المكرمة ، ط: ١٣٩٩هـ

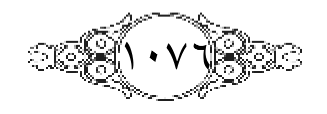
٧٣- **تاريخ أصبهان** – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

٧٤- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) ، تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

٧٥- **التاريخ الإسلامي** -محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١١هـ .

٧٦- **تاريخ الأمم والملوك** – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٧- **التاريخ الأوسط** – محمد بن عبد الله بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، مكتبة دار التراث ، حلب ، القاهرة ، ط١ ،



١٣٩٧هـ .

٧٨- **تاريخ التراث العربي** – فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د/ محمود فهمي حجازي، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام١٤٠٣هـ .

٧٩- **تاريخ التشريع الإسلامي** – محمد الخضري بك ، دار العمير للثقافة والنشر ، جدة –السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٨٠- **تاريخ الخلفاء** – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة . ط١ ، ١٤٢٥هـ .

٨١- **التاريخ الكبير** – محمد بن عبد الله بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار الفكر ، بيروت .

٨٢- **تاريخ المذاهب الفقهية** – محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، بيروت .

٨٣- **تاريخ اليعقوبي** – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (٢٨٤هـ) ، دار صادر ، بيروت .

٨٤- **تاريخ بغداد** – أحمد بن علي أبو بكر ، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٥- **تاريخ مدينة دمشق** – أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عساكر الشافعي (٥٧١هـ) ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٨٦- **تأويل مشكل القرآن** – ابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر .

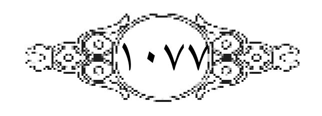
٨٧- **تبيين كذب المفتري** – علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ .

٨٨- **التحديث بما قيل : لا يصح فيه حديث** – بكر بن عبد الله أبو زيد (١٤٢٩هـ) ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٨٩- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** – محمد عبد الرحمن المباركفوري (١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٩٠- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** – شمس الدين السخاوي (٩٠٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٩١- **تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج** – عمر بن علي ابن الملقن (٨٠٤هـ) ، دار حراء ،



ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٩٢- **تحفة المولود** – الحافظ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط١ ، ١٣٩١هـ .

٩٣- **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري** –جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي (٧٦٢هـ) ، تحقيق ودراسة : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٩٤- **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار** – عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ، كتب هوامشه : عبد الله سلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣، ١٤٢٣هـ .

٩٥- **تدريب الراوي** – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

٩٦- **التدوين في أخبار قزوين** – عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (٦٢٣هـ) ، تحقيق: عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١٩٨٧م .

٩٧- **تذكرة الحفَّاظ** – شمس الدين محمد الذهبي (٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط: ا .

٩٨- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة** – أبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق ودراسة : د/ الصادق بن محمد إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .

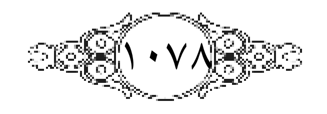
٩٩- **ترتيب الموضوعات لابن الجوزي** – شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

١٠٠- **الترغيب والترهيب** – عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٦٥٦هـ) ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

١٠١- **التسهيل لعلوم التنزيل** – محمد بن أحمد بن جزيٍّ الكلبي (٧٤١هـ) ، تحقيق : رضا فرج الهمامي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

١٠٢- **تعجيل المنفعة** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق : د/ إكرام الله إمداد الحق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ .

١٠٣- **التعديل والتجريح** – سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ)، تحقيق: د/ أبو لبابة حسين ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .



١٠٤- **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين** – د/ صلاح بن عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

١٠٥- **تفسير ابن عرفة** – تحقيق : حسين المناعي ، ط١ ، ١٩٨٦م ، تونس .

١٠٦- **تفسير التابعين** – محمد بن عبد الله الخضيري ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

١٠٧- **تفسير التحرير والتنوير** – الأستاذ / محمد الطاهر ابن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس .

١٠٨- **التفسير الصحيح** – موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، إعداد : أ.د/ حكمت بشير ياسين ، دار المآثر ، المدينة النبوية . ط١ ، ١٤٢٠هـ .

١٠٩- **تفسير القرآن** – أبو المظفَّر السمعاني (٤٨٩هـ) ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، غنيم بن عباس غنيم ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١١٠- **تفسير القرآن العظيم** – إسماعيل بن كثير القرشي ، (٧٧٤هـ) ، دار الخير ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ .

١١١- **تفسير القرآن العظيم** – عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ) ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .

١١٢- **تفسير القرآن الكريم** (**جزء عمَّ**) – محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) ، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ .

١١٣- **تفسير القرآن الكريم** (**سورة البقرة**) – محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

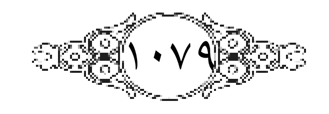
١١٤- **تفسير القرآن الكريم** (**من الحجرات للحديد**) – محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .

١١٥- **التفسير الكبير ومفاتح الغيب** – الإمام محمد الرازي (٦٠٤هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ١٤٢٥هـ .

١١٦- **التفسير اللغوي للقرآن الكريم** – مساعد بن سليمان الطيار ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

١١٧- **تفسير المراغي** – أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، ط١ ، ١٤٢١هـ .

١١٨- **تفسير المنار** – محمد رشيد رضا ، تعليق وتصحيح : سمير مصطفى رباط ،



دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

١١٩- **تفسير آيات الأحكام** – محمد علي السايس ، وآخرون ، صححه وعلق عليه: حسن السماحي ، دار ابن كثير ، دار القادري (دمشق،بيروت) . ط٤ ، ١٤٢٢هـ .

١٢٠- **تفسير جزء عمَّ** – الشيخ محمد عبده ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، طبعة سنة ١٩٨٥م .

١٢١- **تفسير سفيان بن عيينة** – جمع وتحقيق ودراسة : أحمد صالح محايري ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، مكتبة أسامة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

١٢٢- **تفسير عبد الرزاق** – عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) ، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

١٢٣- **تفسير عبد الرزاق الصنعاني** – عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) ، دراسة وتحقيق : د/ محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

١٢٤- **تفسير مجاهد** – مجاهد بن جبر القرشي المخزومي (١٠٤هـ) ، ضبط نصه وخرج أحاديثه : أبو محمد الأسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ .

١٢٥- **تفسير محاسن التأويل** (تفسير القاسمي) – محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)، طبعه وصححه ورقمه وخرجه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١ ، ١٣٧٦هـ .

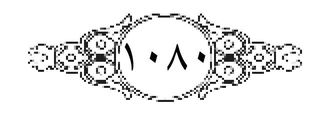
١٢٦- **تفسير مقاتل بن سليمان** – أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (١٥٠هـ)، تحقيق : احمد فريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

١٢٧- **التفسير والمفسرون** – محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٨ ، ١٤٢٤هـ.

١٢٨- تقريب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

١٢٩- **التقييد** – محمد بن عبد الغني البغدادي (٦٢٩هـ) ، تحقق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٣٠- **التمهيد** – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ) ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ .



١٣١ - **التنبيه على فضل علوم القرآن** – لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي – بغداد ، نسخة مصورة من مكتبة خليفة آل مشرف التميمي .

١٣٢ - **التهجد وقيام الليل** – عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ) ، تحقيق : مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١٣٣ - **تهذيب الأسماء** – محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

١٣٤ - **تهذيب التهذيب** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، دار الفكر ، بيروت، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

١٣٥ - **تهذيب الكمال** – يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (٧٤٢هـ)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .

١٣٦ - **تهذيب اللغة** – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

١٣٧ - **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد** – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ) ، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي ، دار عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

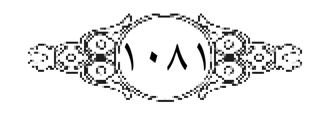
١٣٨ - **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** – عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، قدم له : عبد الله بن عقيل ، محمد بن عثيمين ، اعتنى به : عبد الرحمن اللويحق – مكتبة الرشد – الرياض ، ط: الثالثة ١٤٢٢هـ .

١٣٩ - **التيسير بشرح الجامع الصغير** – الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ .

١٤٠ - **التيسير في قواعد علم التفسير** – محمد بن سليمان الكافيجي (٨٧٩هـ) ، تحقيق: ناصر بن محمد المطرودي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

١٤١ - **الثقات** – محمد بن حبَّان بن أحمد ، أبو حاتم البستي (٣٥٤هـ) ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، ط١ ، ١٣٩٥هـ .

١٤٢ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق : د/عبد الله التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع الإعلان – القاهرة – ط: الأولى



١٤٢٢هـ.

١٤٣ - **جامع بيان العلم وفضله** – أبو عمر يوسف بن عبد البرّ النمري (٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١٣٩٨هـ .

١٤٤ - **الجامع لأحكام القرآن** –محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) ، دار ابن حزم، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .

١٤٥ - **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** – أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، تحقيق : د/ محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط: ١٤٠٣هـ

١٤٦ - **الجرح والتعديل** – عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٣٧١هـ .

١٤٧ - **الجزء فيه : تفسير القرآن ليحيى بن يمان ، وتفسير القرآن لنافع بن أبي نعيم القارئ ، وتفسير لمسلم بن خالد الزنجي ، وتفسير لعطاء الخراساني** – برواية أبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر الرملي الفقيه (٢٩٥هـ) ، تحقيق ودراسة : د/ حكمت بشير ياسين ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٤٨ - **جمهرة أشعار العرب** – أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (١٧٠هـ) ، تحقيق : عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم ، بيروت .

١٤٩ - **جمهرة الأمثال** – الشيخ الأديب أبو هلال العسكري (١٠٠٥م) ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٤٠٨هـ .

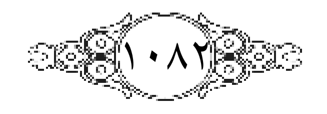
١٥٠ - **جمهرة اللغة** – محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ) ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

١٥١ - **الجهاد** – أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك (٢٨٧هـ) ، تحقيق : مساعد بن سليمان الراشد ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة . ط١ ، ١٤٠٩هـ .

١٥٢ - **جوامع السيرة** – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٠٠م .

١٥٣ - **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** – عبد الرحمن الثعالبي (٨٧٥هـ) ، حققه وخرج أحاديثه : أبو محمد الغماري الإدريسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

١٥٤ - **حادي الأرواح** – الحافظ شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .



١٥٥- **حجة القراءات** – عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (٤٠٣هـ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ .

١٥٦- **الحروف المقطعة في القرآن الكريم** – عبد الجبار حمد شرارة ، طبعة سنة ١٩٨٠م، مطبعة الإرشاد ، بغداد .

١٥٧- **حلية الأولياء** – أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ .

١٥٨- **خزانة الأدب** – عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، أميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

١٥٩- **الخصائص** – أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار، عالم الكتب ، بيروت .

١٦٠- **الخصائص الكبرى** – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة سنة ١٤٠٥هـ .

١٦١- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٤٢٣هـ .

١٦٢- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** – شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، مراقبة : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ .

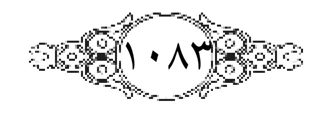
١٦٣- **الدعاء** – سليمان بن احمد الطبراني (٣٦٠هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

١٦٤- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) ، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٦٥- **الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط** – محمد قباني ، دار الأصالة ، دار وحي القلم ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

١٦٦- **الديباج المذهب** – إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي ، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٦٧- **ديوان أبي العتاهية** – إسماعيل بن القاسم (٢١٠هـ) ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط: ١٤٠٦هـ .



١٦٨ – **ديوان أبي دهبل الجمحي** (رواية أبي عمرو الشيباني) – تحقيق : عبد العظيم عبد المحسن ، مطبعة القضاء في النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٩٢هـ .

١٦٩ – **ديوان أبي نواس** – شرحه: محمود أفندي واصف ، ط: الأولى . المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨م ، طبع على نفقة اسكندر آصاف ، مدير المطبعة العمومية وجريدة المحاكم.

١٧٠ – **ديوان أشعار الحماسة** – أبو تمام الطائي ، طبعه : لطف الله الزهار ، المكتبة الوطنية في سوق أبي النصر ، مطبعة جمعية الفنون ١٣٠٦هـ .

١٧١ – **ديوان الشماخ بن ضرار التغلبي** – شرحه : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، طبع على نفقة شارحه سنة ١٣٢٧هـ ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .

١٧٢ – **ديوان الفرزدق** – المطبعة الأهلية ، بيروت ، ط٢ .

١٧٣ – **ديوان المتلمس الضبعي** – رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي – شرح وتحقيق د/ محمد ألتَّونَجي – دار صادر ، بيروت ، لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

١٧٤ – **ديوان المثقب العبدي** – اعتنى به : د/حسن حمد ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م – دار صادر. بيروت ، لبنان .

١٧٥ – **ديوان الهذليين** – مطبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ .

١٧٦ – **ديوان امرئ القيس** – شرح د/ محمد الاسكندراني ، د/ نهاد رزوق – دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان – ط: ١٤٢٨هـ .

١٧٧ – **ديوان أمية بن الصلت** – جمعه وحققه وشرحه : د/ سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

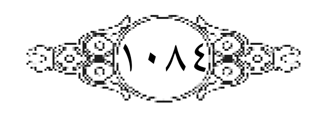
١٧٨ – **ديوان أوس بن حجر** – تحقيق د/ محمد يوسف نجم ، دار صادر – بيروت ، طبعة سنة ١٩٦٧م .

١٧٩ – **ديوان جرير** – تحقيق : محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

١٨٠ – **ديوان حاتم الطائي** – دار صادر ، بيروت ، ط: ١٤٠١هـ .

١٨١ – **ديوان ذي الرمة** – اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

١٨٢ – **ديوان زهير بن أبي سلمى** – اعتنى به : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ .



١٨٣ - **ديوان سحيم عبد بني الحسْحَاس** – تحقيق الأستاذ / عبد العزيز الميمني – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ - الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة .

١٨٤ - **ديوان طرَفة بن العبد** – اعتنى به : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

١٨٥ - **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات** – تحقيق وشرح : د/ محمد يوسف نجم ، دار بيروت، دار صادر ، بيروت ، ط: ١٣٧٨هـ .

١٨٦ - **ديوان علقمة بن عبدة** – شرحه وعلَّق عليه : سعيد نسيب مكارم ، دار صادر ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٦م .

١٨٧ - **ديوان كعب بن زهير** – حققه وشرحه الأستاذ / علي فاعور . دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان . ط١ ، ١٤٠٧هـ .

١٨٨ - **ديوان لبيد بن ربيعة** – اعتنى به : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ.

١٨٩ - **ذخيرة الحفاظ** – محمد بن طاهر القيسراني المقدسي (٥٠٧هـ) ، تحقيق : د/ عبد الرحمن الفريوائي ، دار السلف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

١٩٠ - **ذم الكلام وأهله** – أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (٤٨١هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط١ ، ١٤١٨هـ .

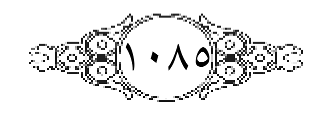
١٩١ - **ذمّ الهوى** – أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي (٥٩٧هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، ط: ١٩٦٢م .

١٩٢ - **رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً** – محمد صبحي حلاق ، دار ابن حزم، بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ .

١٩٣ - **رجال صحيح البخاري** – أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي (٣٩٨هـ)، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

١٩٤ - **رجال مسلم** – أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني (٤٢٨هـ) ، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

١٩٥ - **الرحيق المختوم** – صفي الرحمن المباركفوري ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة، ط: ١٤٢٤هـ .



١٩٦- **رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة** – عماد السيد الشربيني . دار اليقين للنشر والتوزيع ، مصر . دار القبلتين للنشر والتوزيع ، السعودية . الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

١٩٧- **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه** – شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تحقيق : عبد الله بن محمد المديفر ، مطابع الشرق الوسط ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

١٩٨- **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن** – محمد علي الصابوني ، دار الجيل، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

١٩٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** – محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) ، قرأه وصححه : محمد حسين العرب ، دار الفكر ، بيروت .

٢٠٠- **زاد المسير في علم التفسير** – عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٢٠١- **زاد المعاد** – ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، حققه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط – ط٣ ، ١٤١٩هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٢٠٢- **الزاهر في معاني كلمات الناس** – أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) ، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ.

٢٠٣- **الزهد** – أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ) ، حققه وعلق عليه / ياسين محمد السواس ، دار ابن كثير – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

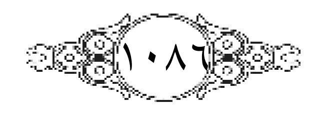
٢٠٤- **الزهد** – عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (١٨١هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠٥- **الزواجر** – ابن حجر الهيثمي ، تحقيق وإعداد : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ.

٢٠٦- **سبل السلام** – محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، مكتبة المؤيد – الرياض ، دار المعرفة ، بيروت ، ط. الأولى ١٤١٥هـ .

٢٠٧- **سبيل الهدى والرشاد** – محمد بن يوسف الصالحي الشامي (٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوَّض .

٢٠٨- **السلسلة الصحيحة** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض .



٢٠٩- **السلسلة الضعيفة** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض .

٢١٠- **سنن ابن ماجة** – محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .

٢١١- **سنن أبي داود** – سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ .

٢١٢- **سنن البيهقي الصغرى** – أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٠هـ.

٢١٣- **سنن البيهقي الكبرى** – أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ط: ١٤١٤هـ .

٢١٤- **سنن الترمذي** – محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢١٥- **سنن الدارقطني** – علي بن عمر الدارقطني البغدادي (٣٨٥هـ) ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط: ١٣٨٦هـ .

٢١٦- **سنن الدارمي** – عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ) ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

٢١٧- **سنن النسائي الكبرى** – أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) ، تحقيق : د/ عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .

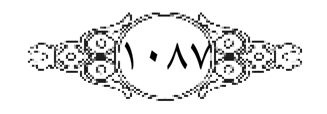
٢١٨- **سورة الحجرات دراسة تحليلية وموضوعية** – أ.د/ ناصر بن سليمان العمر ، موقع المسلم على شبكة الانترنت .

٢١٩- **سير أعلام النبلاء** – محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) ، أشرف على التحقيق وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١١ ، ١٤٢٢هـ .

٢٢٠- **السيرة النبوية** – عبد الملك بن هشام الحميري (٢١٣هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ .

٢٢١- **السيرة النبوية الصحيحة** – د/ أكرم ضياء العمري ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط٤ ، ١٤٢١هـ .

٢٢٢- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** – عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي (١٠٨٩هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ،



دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٢٢٣- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة** – هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (٤١٨هـ) ، تحقيق : د/ أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ط: ١٤٠٢هـ .

٢٢٤- **شرح الزرقاني** – محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (١١٢٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٢٢٥- **شرح السنة** – الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .

٢٢٦- **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور** – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٢٢٧- **شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** – محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري (١١٢٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٢٢٨- **الشرح الممتع على زاد المستقنع** – الشيخ / محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١هـ) ، دار ابن الجوزي – الدمام ، السعودية . ط١ ، ١٤٢٨هـ .

٢٢٩- **شرح ديوان الأخطل التغلبي** – صنفه : إيليا سليم الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان .

٢٣٠- **شرح رياض الصالحين** – الشيخ / محمد بن صالح العثيمين – مدار الوطن للنشر، الرياض ، طبعة ١٤٢٦هـ .

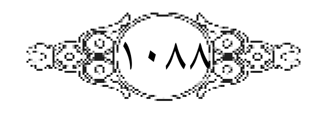
٢٣١- **شرح مختصر الروضة في أصول الفقه** – سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي ، تحقيق : إبراهيم بن عبد الله آل إبراهيم ، مطابع الشرق الأوسط ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٢٣٢- **شعب الإيمان** – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

٢٣٣- **شعر النابغة الجعدي** – منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، ط١ ، ١٣٨٤هـ .

٢٣٤- **شعر خداش بن زهير العامري** – صنعه : يحيى الجبوري – مطبوعات مجمَّع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٦هـ .

٢٣٥- **شعر عمرو بن أحمر الباهلي** – جمعه وحققه د/ حسين عطوان . مطبوعات مجمَّع



اللغة العربية بدمشق .

٢٣٦- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ -القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي – تحقيق / علي محمد البنجاوي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان . طبعة ١٤٠٤ هـ .

٢٣٧- **الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الأعشى** والأعشين الآخرين ، (ديوان الأعشى) ، طبع في مطبعة آذلف هلزهوستن ، ط: ١٩٢٧م .

٢٣٨- **الصبر والثواب عليه** – أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق / محمد خير رمضان يوسف – دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ .

٢٣٩- **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري** – محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصديق ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٢٤٠- **صحيح البخاري** – محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ، تقديم : أحمد شاكر، دار الجيل ، بيروت ، (النسخة اليونينية) .

٢٤١- **صحيح الترغيب والترهيب للمنذري** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٢٤٢- **صحيح الجامع الصغير وزيادته** – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، دمشق ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ .

٢٤٣- **صحيح سنن أبي داود** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

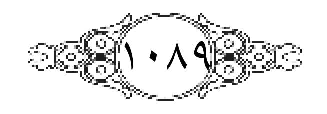
٢٤٤- **صحيح سنن الترمذي** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٢٤٥- **صحيح سنن النسائي** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٢٤٦- **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي** – محي الدين النووي (٦٥١هـ) ، تحقيق: خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٢٤٧- **صحيح موارد الظمآن على زوائد ابن حبان للهيثمي** – محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٢٤٨- **صفة الصفوة** – عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥٩٧هـ) ، تحقيق: محمود فاخوري ، د/ محمد رواس قلعه جي . دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ،



١٣٩٩هـ .

٢٤٩- **صفحات في علوم القراءات** – عبد القيوم بن عبد الغفور السندي ، دار البشاير الإسلامية ببيروت ، والمكتبة الإمدادية بمكة المكرمة ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ .

٢٥٠- **الضعفاء الكبير** – أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي (٣٢٢هـ) ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

٢٥١- **الضعفاء والمتروكين** – عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (٥٧٩هـ) ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٢٥٢- **ضعيف الترغيب والترهيب للمنذري** – محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٢٥٣- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ .

٢٥٤- **ضعيف سنن ابن ماجه** – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ .

٢٥٥- **ضعيف سنن أبي داود** – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢٥٦- **الضوء المنير على التفسير** – جمعه / علي الحمد الصالحي ، من كتب ابن القيم الجوزية – مؤسسة النور للطباعة والتجليد (عنيزة) ، بالتعاون مع مكتبة السلام (الرياض) .

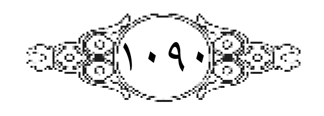
٢٥٧- **طبقات الحفَّاظ** – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

٢٥٨- **طبقات الحنابلة** – محمد بن أبي يعلى (٥٢١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة ، بيروت .

٢٥٩- **طبقات الشافعية الكبرى** – تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ)، تحقيق : د/ محمود محمد الطناحي ، د/ عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٣هـ .

٢٦٠- **طبقات الفقهاء** – إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (٤٧٦هـ) ، تحقيق : خليل الميس ، دار القلم ، بيروت .

٢٦١- **الطبقات الكبرى** – محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ) ، دار صادر ،



بيروت .

٢٦٢- **طبقات المفسِّرين** – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦هـ .

٢٦٣- **طبقات المفسرين** – محمد بن علي الداوودي (٩٤٥هـ) ، طبعه ووضع حواشيه/عبد السلام عبد المعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ .

٢٦٤- **طبقات فحول الشعراء** – محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة .

٢٦٥- **عارضة الأحوذي** – أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (٥٤٣هـ) ، دار الفكر، ط: ١٤١٥هـ .

٢٦٦- **العبر في خبر من غبر** – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق : د/ صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

٢٦٧- **العجاج (عبد الله بن رؤبة) حياته وشعره** – د/ عبد الحفيظ السطلي ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م . دمشق .

٢٦٨- **العدة في أصول الفقه** – القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : أحمد بن علي سير المباركي ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٢ ، ١٤١٠هـ .

٢٦٩- **عصمة الأنبياء** - للإمام فخر الدين الرازي . قدَّم حياة المؤلف : الشيخ/ عبد العزيز عيون السود . نشر وتوزيع : المكتبة الإسلامية ، حمص – سوريا .

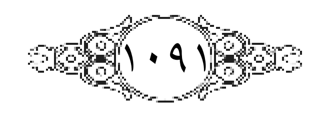
٢٧٠- **عصمة الأنبياء** – للإمام فخر الدين الرازي ، قدَّم له : الشيخ / عبد العزيز عيون السود . نشر وتوزيع : المكتبة الإسلامية – حمص .

٢٧١- **عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم** - محمد أبو النور الحديدي ، مطبعة الأمانة ، مصر . طبعة سنة ١٣٩٩هـ .

٢٧٢- **العظمة** – أبي الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ) ، دراسة وتحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة ، الرياض .

٢٧٣- **العقائد الإسلامية** – السيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٧٤- **العقد الفريد** – أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .



٢٧٥- **العقيدة الطحاوية** (شرح وتعليق) – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، دمشق ، ط١ ، ١٣٩٨هـ .

٢٧٦- **علل الحديث** – عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ) ، دار الفاروق الحديثة ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٢٧٧- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية** – علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (٣٨٥هـ) ، تحقيق : د/ محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٢٧٨- **العلل ومعرفة الرجال** – أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) ، تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٢٧٩- **علوم البلاغة** – (البيان والمعاني والبديع) - أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان . الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ .

٢٨٠- **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير** (مختصر تفسير ابن كثير) – للعلامة المحقق الشيخ: أحمد محمد شاكر ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة، مصر . الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ .

٢٨١- **عمدة التفسير من تفسير ابن كثير** – أحمد بن محمد شاكر ، دار الوفاء، مصر ، ط٢، ١٤٢٦هـ .

٢٨٢- **عمدة القاري** – بدر الدين محمود بن أحمد العيني (٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

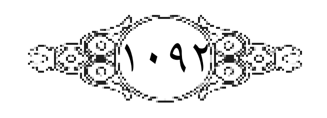
٢٨٣- **العين** – الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق : د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

٢٨٤- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، للقرضاوي** – محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .

٢٨٥- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** – الحسن بن محمد القمي النيسابوري (٧٢٨هـ)، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٦هـ.

٢٨٦- **غريب الحديث** – إبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥هـ) ، تحقيق : د/ سليمان إبراهيم العايد ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٢٨٧- **غريب الحديث** – أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي



(٥٩٧هـ) ، تحقيق : د/ عبد المعطي أمين القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٢٨٨- **غريب الحديث** – أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ) ، تحقيق / عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى – معهد البحوث العلمية ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ .

٢٨٩- **غريب الحديث** – أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (٣٨٨هـ) ، تحقيق : عبد الكريم بن إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ .

٢٩٠- **غريب الحديث** – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ، تحقيق : د/ عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٣٩٧هـ .

٢٩١- **غريب القرآن** – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ، تحقيق : أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١٣٩٨هـ.

٢٩٢- **الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة** – جمع وإعداد : أمين بن يحيى الوزان ، دار القاسم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

٢٩٣- **الفتاوى الكبرى** – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) ، قدم له:حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٩٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٧هـ) ، دار السلام ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٢٩٥- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** – عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

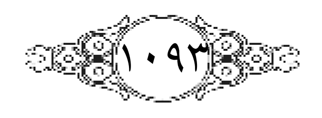
٢٩٦- **فتح القدير** –محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) ، ضبطه وصححه : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

٢٩٧- **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** – سليمان الجمل ، المطبعة العامرة الشرفية بمصر المحمية ، الطبعة الأولى ١٣٠٣هـ .

٢٩٨- **الفصل في الملل** – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري (٥٤٨هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٢٩٩- **فصول في أصول التفسير** – د/مساعد بن سليمان الطيار ، دار ابن الجوزي للنشر ، الدمام ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .

٣٠٠- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة** – محمد بن أيوب



الضريس، تحقيق/ غزوة بدير . دار الفكر – دمشق ، سورية .

٣٠١- **فقه السيرة** – محمد ناصر الدين الألباني ، دار القلم ، ط٧ ، ١٤١٨هـ .

٣٠٢- **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** – علوم القرآن –مخطوطات التفسير وعلومه ، مؤسسة آل البيت ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، الأردن .

٣٠٣- **الفهرست** – أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم (٣٨٥هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ط: ١٣٩٨هـ .

٣٠٤- **فوات الوفيات** – محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (٧٦٤هـ) ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م.

٣٠٥- **فواتح الرحموت بشرح مُسلَّم الثبوت** – عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري، المطبوع مع المستصفى للغزالي ، دار العلوم الحديثة ، بيروت .

٣٠٦- **الفواكه الدواني** – أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (١١٢٥هـ) ، دار الفكر، بيروت ، ط: ١٤١٥هـ .

٣٠٧- **في شرف العربية** – د/ إبراهيم السامرائي ، كتاب الأمة العدد (٤٢) ، ضمن سلسلة تصدر عن وزارة الشؤون الإسلامية – قطر ، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ .

٣٠٨- **في ظلال القرآن** – سيد قطب ، دار الشروق (بيروت ، القاهرة) الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢هـ.

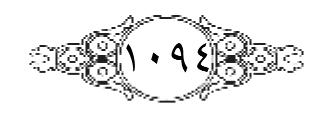
٣٠٩- **فيض القدير** – عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط١، ١٣٥٦هـ .

٣١٠- **القاموس المحيط** – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) ، مؤسسة الرسالة، بيروت .

٣١١- **القدر** – أبو بكر بن جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (٣٠١هـ) ، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٣١٢- **القراءات القرآنية** (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها) – عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ، إشراف ومراجعة أ.د/ مصطفى سعيد الخن ، ط. الأولى ١٩٩٩م، دار الغرب الإسلامي .

٣١٣- **قواعد الترجيح عند المفسرين** – حسين بن علي الحربي ، قدَّم له :مناع القطان ،



دار القاسم ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٣١٤- **قواعد التفسير** – جمعاً ودراسة – خالد بن عثمان السبت ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الرياض - دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، القاهرة . ط: الأولى ١٤٢٦هـ .

٣١٥- **الكاشف** – شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) ، تحقيق : محمد عوامة ، دار القبلة الإسلامية ، مؤسسة علوم القرآن ، جدة ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٣١٦- **الكامل في التاريخ** – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (٦٣٠هـ) ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٣١٧- **الكامل في اللغة والأدب** – أبو العباس محمد المبرد ، تحقيق / محمد أحمد الدالي – مؤسسة الرسالة ، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٣١٨- **الكامل في ضعفاء الرجال** – عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني (٣٦٥هـ) ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ.

٣١٩- **كتاب الأموال** – حميد ابن زنجويه (٢٥١هـ) ، تحقيق : شاكر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض .

٣٢٠- **كتاب التوحيد** – أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ) ، تحقيق : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٥ ، ١٤١٤هـ .

٣٢١- **الكتاب المقدس** (الإنجيل ، التوراة) العهد القديم ، والعهد الجديد .

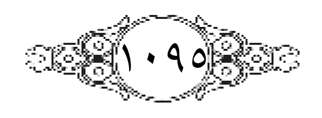
٣٢٢- **كتاب سيبويه** – عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ .

٣٢٣- **الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل** – محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ) ، اعتنى به وعلق عليه : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ .

٣٢٤- **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة** – نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ، تحقيق المحدث : حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٣٩٩هـ .

٣٢٥- **كشف الخفاء** – إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١١٦٢هـ) ، تحقيق : أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ .

٣٢٦- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** – مصطفى بن عبد الله ، الشهير بحاجي



خليفة ، (١٠٦٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٢٧- **الكشف والبيان** – أحمد الثعلبي (٤٢٧هـ) ، دراسة وتحقيق : علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٣٢٨- **كليات الألفاظ في التفسير** – بريك بن سعيد القرني ، طبع بالتعاون مع الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

٣٢٩- **الكنى والأسماء** – أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (٣١٠هـ) ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٣٣٠- **لباب التأويل في معاني التنزيل** – علاء الدين علي بن محمد البغدادي (٧٤١هـ)، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

٣٣١- **لباب النقول في أسباب النزول** –عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (٩١١هـ)، خرج أحاديثه : محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ.

٣٣٢- **اللباب في علوم الكتاب** – أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي (٨٨٠هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ .

٣٣٣- **لسان العرب** – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) ، دار صادر بيروت، ط٤ ، ٢٠٠٥م .

٣٣٤- **لسان الميزان** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ، الهند . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ.

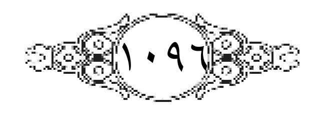
٣٣٥- **لطائف المعارف فيما لمواسم من اللطائف** – عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، دار ابن كثير ، ط٦ ، ١٤٢١هـ .

٣٣٦- **مباحث في علوم القرآن** – مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .

٣٣٧- **المبسوط في القراءات العشر** – أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٣٨١هـ) ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة . مؤسسة علوم القرآن ، بيروت . ط٢ ، ١٤٠٨هـ .

٣٣٨- **مجاز القرآن** – أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٣٣٩- **المجالسة وجواهر العلم** – أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري



(٣٣٣هـ)، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٣٤٠- **المجروحين** – محمد بن حبان بن أبي حاتم البستي (٣٥٤هـ) ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ، ط١ ، ١٣٩٦هـ .

٣٤١- **مجلة الإعجاز** – العدد الثامن ، مجلة فصلية ، تصدر عن : الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، التابعة لرابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .

٣٤٢- **مجلة المسلمون** – العدد السابع رمضان عام ١٣٧٣هـ ، مجلة إسلامية جامعة تصدر مع غرة كل شهر عربي ، القاهرة .

٣٤٣- **مجمع الأمثال** – أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٤٤- **مجمع الزوائد** – علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ، دار الريان للتراث ، القاهرة . دار الكتاب ، بيروت .

٣٤٥- **المجموع** – الإمام شرف الدين النووي (٦٥١هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٩٩٧م .

٣٤٦- **مجموع أشعار العرب** ، المشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج – اعتنى به : وليم بن الورد البروسي – دار الآفاق الجديدة – بيروت ، لبنان . الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

٣٤٧- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام** – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (٧٢٨هـ) ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن القاسم . ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٣٤٨- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** – عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، وآخرون . القاهرة ، ط: ١٤١٥هـ .

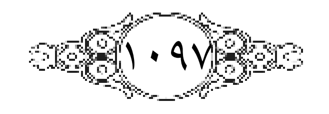
٣٤٩- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** – أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (٥٤١هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت . ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٣٥٠- **المحكم والمحيط الأعظم** – أبو الحسن علي بن سيده المرسي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٣٥١- **المحلى** – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ) ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٣٥٢- **مختار الصحاح** – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١هـ) ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط: ١٤١٥هـ .

٣٥٣- **مختصر المقاصد الحسنة في بيان الأحاديث المشتهرة على الألسنة** – محمد بن عبد



الباقي الزرقاني (١١٢٢هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ .

٣٥٤- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** – محمد ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر الجليل . دار طيبة ، الرياض . ط٢، ١٤٢٥هـ.

٣٥٥- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** – عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠هـ)، ضبطه وخرج أحاديثه : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٣٥٦- **المدخل** – محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ .

٣٥٧- **المدخل لدراسة القرآن الكريم** – محمد محمد أبو شهبة ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢هـ .

٣٥٨- **مذكرة في أصول الفقه** – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط٥ ، ١٤٢٢هـ .

٣٥٩- **مرآة الجنان** – أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (٧٦٨هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ .

٣٦٠- **المراسيل** – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

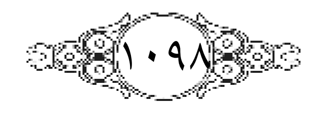
٣٦١- **المراسيل** – عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (٣٢٧هـ) ، تحقيق : شكر الله نعمة الله قوجاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٧هـ .

٣٦٢- **المرض والكفارات** – أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ) ، تحقيق : عبد الوكيل الندوي ، الدار السلفية ، بومباي ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٣٦٣- **مرقاة المفاتيح** – علي بن سلطان محمد القاري (١٠١٤هـ) ، تحقيق : جمال عيتاني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٣٦٤- **المستدرك على الصحيحين** – أبو عبد لله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ.

٣٦٥- **المستقصي في أمثال العرب** – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م .



٣٦٦- **مسند أبو يعلى** – أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (٣٠٧هـ)، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٦٧- **مسند إسحاق بن راهويه** – إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه (٢٣٨هـ) ، تحقيق : د/ عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٣٦٨- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** – أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

٣٦٩- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** – أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) ، تحقيق: أحمد شاكر ، حمزة الزين ، دار الحديث ، مصر ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٣٧٠- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** – أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٧١- **مسند الشاميين** – سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٣٧٢- **مشائخ بلخ من الحنفية** – د/ محمد محروس عبد اللطيف المدرس ، رسالة دكتوراه ، نوقشت ٢٧/رمضان/١٣٦٧هـ ، الدار العربية للطباعة ، بغداد .

٣٧٣- **مشاهير علماء الأمصار** – محمد بن حبان بن أبي حاتم البستي (٣٥٤هـ) ، تحقيق: م/ فلايشهمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة النشر : ١٩٥٩م .

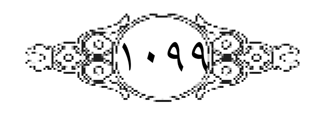
٣٧٤- **مشتبه أسامي المحدثين** – أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الهروي (٤٠٥هـ) ، تحقيق : نظر محمد الفاريابي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٣٧٥- **المصباح المنير** – أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، اعتنى بها : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – بيروت ، ط. الأولى ١٤١٧هـ .

٣٧٦- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** – أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٣٧٧- **مصنف ابن أبي شيبة** – أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

٣٧٨- **مصنف عبد الرزاق** – أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .



٣٧٩- **المطالب العالية** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق : د/ سعد بن ناصر الشثري ، دار العاصمة ، دار الغيث ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

٣٨٠- **معارج القبول** – حافظ بن أحمد حكمي (١٣٧٧هـ) ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

٣٨١- **معالم التنزيل** – الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٦هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ .

٣٨٢- **معاني القرآن** – إبراهيم بن سري الزجاج (٣١١هـ) ، شرح وتحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، خرج أحاديثه : علي جمال الدين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط: ١٤٢٦هـ .

٣٨٣- **معاني القرآن** – سعيد بن مسعدة البلخي (٢١٥هـ) ، قدم له وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٣٨٤- **معاني القرآن** – لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ) ، تحقيق : يحيى مراد ، دار الحديث، القاهرة ، ط: ١٤٢٥هـ .

٣٨٥- **معاني القرآن** – يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ، اعتنى به : فاتن محمد خليل اللبون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

٣٨٦- **معجم الأدباء** – أبو عبد اله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .

٣٨٧- **المعجم الأوسط** – أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ط: ١٤١٥هـ .

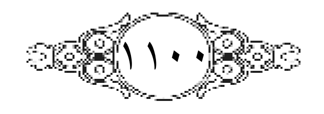
٣٨٨- **معجم البلدان** – ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت .

٣٨٩- **المعجم الصغير** – سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) ، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج ، المكتب الإسلامي ، بيروت – دار عمار ، عمان . ط١، ١٤٠٥هـ .

٣٩٠- **المعجم الكبير** – سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .

٣٩١- **معجم المؤلفين** – عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٩٢- **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** – عادل نويهض ، مؤسسة



نويهض الثقافية ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

٣٩٣- **معجم المقاييس في اللغة** – أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) ، حققه : شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

٣٩٤- **المعجم الوسيط** – إبراهيم مصطفى ، وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، اسطنبول ، تركيا.

٣٩٥- **معجم طبقات الحفاظ والمفسرين** – الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، دار عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

٣٩٦- **معرفة الثقات** – أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (٢٦١هـ) ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٣٩٧- **معرفة السنن والآثار** – الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٩٨- **معرفة القراء الكبار** – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق : بشار عواد معروف ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ .

٣٩٩- **معرفة علوم الحديث** – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) ، تحقيق : السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٧هـ .

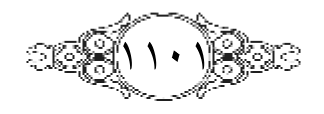
٤٠٠- **المعرفة والتاريخ** – أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (٢٧٧هـ) ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١٤١٩هـ .

٤٠١- **المغني** – ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ، اعتنى به وخرج أحاديثه : رائد بن صبري ابن أبي علفة ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، ط: ٢٠٠٤م .

٤٠٢- **مغني اللبيب** – جمال الدين ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق : د/ مازن المبارك ، محمد علي حمد الله . دار الفكر ، دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥م .

٤٠٣- **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج** – محمد الخطيب الشربيني (٩٧٧هـ) ، دار الفكر، بيروت .

٤٠٤- **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار** (تخريج الإحياء) – الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ) ، تحقيق : أشرف عبد



المقصود ، مكتبة طبرية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

٤٠٥- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** – محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط:١٤١٩هـ .

٤٠٦- **المفردات في غريب القرآن** – الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .

٤٠٧- **المفصَّل** – أبو القاسم محمود الزمخشري – تحقيق د/علي بوملحم ، ط. الأولى ١٩٩٣م ، مكتبة الهلال ، بيروت .

٤٠٨- **المقاصد الحسنة** – أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ)، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ.

٤٠٩- **المقتضب** – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت .

٤١٠- **مقدمة ابن الصلاح** – أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (٦٤٣هـ)، تحقيق : نور الدين عنتر ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط: ١٣٩٧هـ .

٤١١- **مقدمة تفسير ابن النقيب** في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن - تحقيق/ د . زكريا سعيد علي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، طبعة سنة : ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

٤١٢- **مقدمة في أصول التفسير** – شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، دار المؤيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

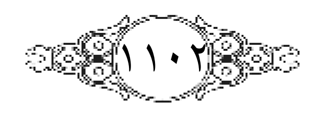
٤١٣- **الملل والنحل** – محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط: ١٤٠٤هـ .

٤١٤- **مناهج المفسرين** – د/ مصطفى مسلم ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١، ١٤١٥هـ .

٤١٥- **مناهل العرفان في علوم القرآن** – محمد بن عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٤١٦- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٥٨هـ .

٤١٧- **المهذب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي** – محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي



(٧٤٨هـ) ، دار الوطن للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٤١٨ – **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** – جلال الدين أبو بكر السيوطي (٩١١هـ) ، مخطوط – نسخة : عبد الرحمن أبو الحبايب المالكي .

٤١٩ – **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** – لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق د/ التهامي الراجي الهاشمي ، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة – صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة .

٤٢٠ – **الموافقات** – إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (٧٩٠هـ) ، تحقيق : عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت .

٤٢١ – **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة** – ناصر بن عبد الله القفاري ، ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٤٢٢ – **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** – إعداد : الندوة العالمية للشباب الإسلامي – إشراف : د/ مانع بن حماد الجهني . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .

٤٢٣ – **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة** – وليد القيسي ، مصطفى الحبيب ، بشير القيسي ، عماد البغدادي ، دار الحكمة ، بريطانيا، ط١ ، ١٤٢٤هـ.

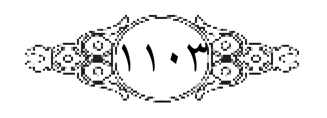
٤٢٤ – **موسوعة ويكيبيديا الحرة على شبكة الانترنت** .

٤٢٥ – **موضح أوهام الجمع والتفريق** – أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، تحقيق : د/ عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .

٤٢٦ – **الموقظة في علم مصطلح الحديث** – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٤٢٧ – **الموقع الرسمي للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة على شبكة الانترنت** .

٤٢٨ – **مولد العلماء ووفياتهم** – محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان الربعي (٣٩٧هـ)، تحقيق : د/ عبد الله بن أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ .



٤٢٩ - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٥م .

٤٣٠ - **الناسخ والمنسوخ** - محمد بن أحمد الصفار المرادي (أبو جعفر النحاس) (٣٣٩هـ)، تحقيق : د/ محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٤٣١ - **النجوم الزاهرة** - جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر .

٤٣٢ - **نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر** - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، مؤسسة الخافقين .

٤٣٣ - **نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام** - محمد بن علي الكرجي القصاب ، تحقيق :علي بن غازي التويجري ، وآخرون . دار ابن القيم ؛ السعودية ، دار ابن عفان ؛ القاهرة .

٤٣٤ - **نكت الهميان في نكت العميان** - خليل بن أيبك بن عبد الله صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ، ط: ١٩١١م .

٤٣٥ - **النكت على كتاب ابن الصلاح** - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق : د/ ربيع بن هادي عمير ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٥هـ .

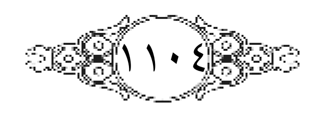
٤٣٦ - **النكت والعيون** - علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ) ، راجعه وعلق عليه : سيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت.

٤٣٧ - **نهاية المحتاج** - شمس الدين محمد بن أبي العباس ابن شهاب الرملي (١٠٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ط: ١٤٠٤هـ .

٤٣٨ - **النهاية في غريب الأثر** -أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط: ١٣٩٩هـ .

٤٣٩ - **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** - محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (٣٦٠هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط: ١٩٩٢م .

٤٤٠ - **نيل الأوطار** - محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥هـ) ، دار الجيل ، بيروت ،



ط: ١٩٧٣م .

٤٤١ - **نيل السائرين في طبقات المفسرين** - محمد طاهر ، مكتبة اليمان ، دار القرآن بنج بير (صوابي) ، الباكستان ، ط٣ ، رمضان ١٤٢١هـ .

٤٤٢ - **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام** - صديق بن علي القنوجي البخاري (١٣٠٧هـ)، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، أحمد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ.

٤٤٣ - **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة** - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، دار ابن القيم ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٤٤٤ - **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة** - محمد ناصر الدين الألباني ، دار ابن عفان ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

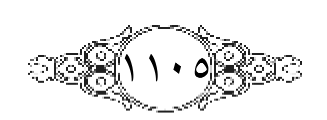
٤٤٥ - **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** - مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (١٠٦٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: ١٤١٣هـ .

٤٤٦ - **الوافي بالوفيات** - خليل بن أيبك صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ) ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط: ١٤٢٠هـ .

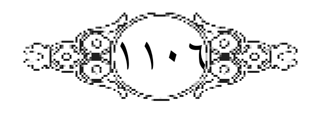
٤٤٧ - **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** - علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٥هـ .

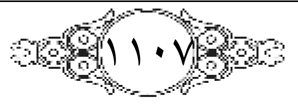
٤٤٨ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ) ، تحقيق : أحمد عباس ، دار الثقافة ، لبنان .

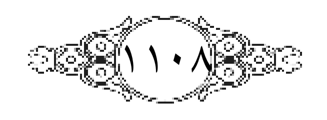
٤٤٩ - **اليقين** - من موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا -عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ) ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة الكتب الثقافية . ط١، ١٤١٣هـ .

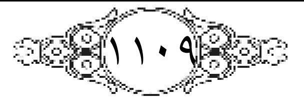


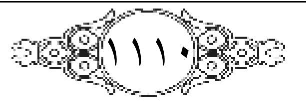
فهرس الموضوعات











تمت

